

۳۱۴۲۴

کتاب

البلدان

۲۲۱

کتابخانه

مرکز تحقیقات کتاب و ترویج علوم اسلامی

شماره ثبت: ۹۰۴۰۰۰۰۰۰

تاریخ ثبت:



مرکز تحقیقات کتاب و ترویج علوم اسلامی
تألیف

أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني
(المعروف بابن الفقيه)

تحقيق
يوسف الطنطاوي

عالم الكتب



مركز بحوث وتطوير النشر



عالم الكتب

للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب. ٨٧٢٢ - ١١، بيروت - لبنان

تلفون: ٨١٩٦٨٤ - ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣ - ٢٠٢٠٣

عبر شبكات يوريك ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٢١

برقياً: نابعلبكي - تليكس: ALAMKO 23390LE

فاكس: ٠٠٩٦٦/١/٦-٢٢-٣

WORLD OF BOOKS

FOR PRINTING, PUBLISHING AND DISTRIBUTION

P.O. BOX: 11 - 8723, BEIRUT, LEBANON

TEL: 819684, 306166, 315142, 603203

VIA NEW YORK 0012124781831

CABLE: NABAALBAKY, TELEX: ALAMKO 23390LE

FAX: 00/961/1/803203

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

يمنع طبع هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع،
كما يمنع الاقتباس منه أو التمثيل أو الترجمة لأية لغة أخرى،
أو نقله على أي نحو، وبأية طريقة، سواء كانت إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك،
إلا بموافقة خطية مسبقة من الناشر على ذلك.



ردیف سند	۱۱
تاریخ سند	۱۳۸۵/۰۵/۰۵
موضوع سند	کتابخانه
محل سند	تهران
ملاحظات	



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

کتاب
الْبُلْدَانُ

مقدمة كتاب البلدان

لابن الفقيه الهمداني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ياقوت الحموي وهو يردّ على من طلب إليه أن يختصر كتابه (معجم البلدان): «حكى عن الجاحظ أنه صنّف كتاباً وبوّبه أبواباً. فأخذه بعض أهل عصره فحذف منه أشياء وجعله أشلاء. فأحضره وقال له: يا هذا! إنّ المصنّف كالمصوّر. وقد صورتُ في تصنيفي صورة كانت لها عيناان فمورّتهما - أعمى الله عينيك - وكان لها أذنان فصلمتهما - صلم الله أذنيك - وكان لها يداان فقطعتهما - قطع الله يديك - . حتى عدّ أعضاء الصورة. فاعتذر إليه الرجل بجهله هذا المقدار وتاب إليه عن المعاودة إلى مثله»^(١).

وينطبق ما قاله الجاحظ على من اختصر الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء الكرام، حيث بلغ اختصاره أحياناً حدّاً أدى إلى غموض الجمل وضياع الأسانيد بما لها من خطورة وأهمية في تحديد أزمان الوقائع. فقد حذف مثلاً أسم الرحالة تميم بن بحر المطوعي الذي قام برحلة إلى آسيا الوسطى وحدث بأخبارها ابن الفقيه، وحذف تبعاً لذلك الرحلة بكاملها. وحذف المعلومات المهمة التي أوردها ابن الفقيه نقلاً عن أبي العباس المروزي عن القبائل التركية والتي نقلها ياقوت فيما بعد عن النسخة الكاملة لكتاب ابن الفقيه. كما حذف أخطر فصول الكتاب على الإطلاق ونعني به الفصل المسمّى بـ (ذكر بعض مدن الأتراك وعجائبها) الذي نقله

(١) معجم البلدان ١ : ١١ .

ابن الفقيه عن سعيد بن الحسن السمرقندي الذي توغل في معلوماته إلى حدود القبائل الفينية حيث مدينة بسكوف (Pskov) . - كما نرتأي أن تكون آخر المدن التي ذكرها السمرقندي . - ففي هذا الفصل . من المعلومات عن الحياة الاجتماعية لتلك القبائل مما لا نجده في أي مصدر آخر .

نشير أولاً إلى أن المخطوطة التي عثر عليها في المكتبة الرضوية بمدينة مشهد الإيرانية في ربيع ١٢٣١ تمثل نصف الكتاب الأصل بعد أن احتُمل في بداية الأمر أنها كاملة . والدليل على ذلك ما ورد في الورقة الأولى منها بعد البسملة والصلاة على النبي وآله وآلوه: «هذا بقية القول في العراق والبصرة وأخبار دار فتحها» .

أما مختصر الكتاب فقد حققه العلامة الهولندي دي خويه وطبعه عام ١٨٨٥ ضمن مسلسل المكتبة الجغرافية الذي اعتمد على نسخة قال إنه تم اختصارها على يد أبي الحسن علي بن جعفر الشيزي (أو الشيزري) عام ٤١٣ هـ^(١) ، فهو يضم النصف الأول من الكتاب لأصل ولكن بصورة مختصرة . ويمكن القول بصورة عامة إنه إذا كان المختصر يضم النصف الأول من الكتاب ، فإن مخطوطة المكتبة الرضوية تضم النصف الثاني . وعليه فإن كلاً من المختصر والأصل المخطوط يكمل بعضهما بعضاً . وقد ارتأينا أن نشرهما معاً أي النصف الأول المختصر الذي نشره دي خويه ثم أتبعناه بالنصف الثاني الذي هو مخطوطة المكتبة الرضوية كما كتبها مؤلفها ابن الفقيه كاملة .

ولما كانت بعض أبواب النصف الثاني من المختصر تلتقي مع المخطوطة الأصل فقد أشير إلى مواضع الالتقاء تلك بطباعتها بالحرف المحقق (الأسود) . ولكي يطلع القارئ الكريم بصورة دقيقة على ما ذكرناه آنفاً نكتب هنا أبواب مختصر البلدان جنباً إلى جنب الأبواب الواردة في النسخة الأصل ونشير إلى ما هو

(١) مختصر كتاب البلدان: المقدمة ص ٢ . وانظر: المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني ص ٩ .

موجود هنا أو مفقود هناك :

الأبواب الموجودة في نسخة الرضوية
أي أصل الكتاب

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

غير موجود

الأبواب الموجودة في مختصر الكتاب المطبوع

القول في خلق الأرض .

القول في البحار وإحاطتها بالأرض .

القول في البحار وعجائب ما فيها .

الفرق ما بين بلاد الصين وبلاد الهند .

القول في مكة .

القول في المدينة .

الفرق بين تهامة والحجاز .

القول في اليمامة .

القول في البحرين .

القول في اليمن .

باب تصريف الجدل إلى الهزل

والهزل إلى الجد .

باب في مدح الغربية والاعتراب .

القول في مصر والنيل .

القول في المغرب .

القول في الشام .

القول في بيت المقدس .

القول في دمشق .

افتخار الشاميين على البصريين .

القول في الجزيرة .

القول في الروم .

في مدح البناء . في ذم البناء .

القول في العراق .

غير موجود	القول في الكوفة.
غير موجود	افتخار الكوفيين والبصريين عند السفاح.
غير موجود	ما جاء في مستجد الكوفة.
ما جاء في ذم الكوفة	موجود بصورة مختصرة.
القول في البصرة	موجود بصورة مختصرة.
ذم البصرة وفيه مناظرة بين	
الكوفيين والبصريين عند الماءون	غير موجود
القول في واسط	غير موجود
النبط وما جاء فيهم	غير موجود
القول في مدينة السلام بغداد	غير موجود
القول في سرّ من رأى	غير موجود
القول في السواد ووصفته	غير موجود
القول في الأهواز	غير موجود
في أبنية البلدان وخواصها وعجائبها	توجد بعض نصوصه هنا.
القول في فارس	تلتقي أغلب نصوصه مع الأصل.
القول في كرمان	توجد أغلب نصوصه هنا.
القول في الجبل وقرماسين وشبديز	توجد أغلب نصوصه هنا.
القول في همدان	تلتقي بعض نصوصه مع الأصل.
ذكر ما خصّ الله تعالى كل بلدة	
من الأمتعة دون غيرها	تلتقي أغلب نصوصه مع الأصل.
القول في نهاوند	موجود بكامله تقريباً.
القول في إصبهان	موجود بكامله تقريباً.
القول في قم	موجود بكامله تقريباً.
القول في قزوین وزنجان وأبهر	تلتقي أغلب نصوصه مع الأصل.
غير موجود	القول في آذربيجان.
القول في أرمينية	تلتقي أغلب نصوصه مع الأصل.
القول في طبرستان	تلتقي أغلب نصوصه مع الأصل.

تلتقي بعض نصوصه مع الأصل .
غير موجود .

القول في خراسان
القول في الترك

ابن الفقيه الهمداني

ترجم له ابن النديم ترجمة موجزة جداً نقلها فيما بعد ياقوت الحموي في معجم الأدباء وأضاف إليها - لحسن الحظ - الترجمة التي كتبها له المواطن الهمداني شيرويه بن شهردار الديلمي (٤٤٥ - ٥٠٩ هـ) مصنف كتاب تاريخ همدان بلده لمناسبة حديثه عن والد ابن الفقيه وهي :

«قال شيرويه : محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، الفقيه أبو أحمد ، والد أبي عبيد الأخباري : روى عن إبراهيم بن حميد البصري وغيره . وروى عنه ابنه أبو عبد الله .

وقال شيرويه : أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأخباري أبو عبد الله ، يعرف بابن الفقيه ويلقب بحالان ، صاحب كتاب البلدان . روى عن أبيه ، وإبراهيم بن الحسين بن ديزيل ، ومحمد بن أيوب الرازي ، وأبي عبد الله الحسين بن أبي السرح الأخباري ، وذكر جماعة وقال : وروى عنه : أبو بكر بن لال ، وأبو بكر بن روزنة . ولم يذكر وفاته»^(١).

وبما أننا لا نعرف على وجه التحديد تاريخ ولادته ولا وفاته ، فلا بد لنا من معرفة الذين روى عنهم أو رووا عنه ممن ذكر أعلاه على أن نبحت فيما بعد فيمن حدث عنهم ولم يذكروا هنا ، حيث رأينا ياقوتاً قد اختصر ذلك بقوله «وذكر جماعة» ، إضافة إلى خطأ الناسخ في بعض تلك الأسماء كقوله عن ابن الفقيه أنه أحمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بإضافة (أحمد) ثانية إلى اسمه . وقوله (ابن روزنة) والصواب (ابن روزيه) وقوله بن أبي السرح . ورجعنا أنه (ابن أبي السري).

أما أبوه فليس لدينا سوى ما ذكره شيرويه أعلاه من أنه حدث عن إبراهيم بن

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٠٠ . ويوجد بعض هذه الترجمة في التدوين ١ : ٣١ .

حميد البصري، وهو إبراهيم بن حميد بن تيرويه الطويل البصري المتوفى عام ٢١٩ هـ^(١).

وأما إبراهيم بن الحسين الكسائي الهمداني المعروف بابن ديزيل فهو محدث همدان المشهور جداً توفي عام ٢٨١ هـ وصفه الذهبي بالرخال^(٢). ومحمد بن أيوب الرازي: هو محمد بن أبوب بن ضريس البجلي الرازي شيخ الري ومسندها ولد في حدود ٢٠٠ وتوفي بالري سنة ٢٩٤ هـ^(٣).

أما أبو عبد الله الحسين بن أبي السرح: فترجح أنه أبو عبد الله الحسين بن أبي السري العسقلاني - نسبة إلى عسقلان وهي محلة من محال بلخ^(٤) - واسم أبي السري هو المتوكل. فيكون اسمه الحسين بن المتوكل بن عبد الرحمن بن حسان المتوفى عام ٢٤٠ هـ^(٥).

أما الذين روى عنه فهم:

أبو بكر بن لال وهو أحمد بن علي الهمداني «ورد بغداد غير مرة وحدث بها»^(٦). وقال الذهبي: «قال شيرويه: كان ثقة، أوجد زمانه، مفتي البلد - يعني همدان -، يحسن هذا الشأن. له مصنفات في علوم الحديث غير أنه كان مشهوراً

(١) تاريخ الإسلام ١٥ : ٥٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٠٨. وانظر عنه تاريخ الإسلام ٢١ : ١٠٦ والعبر ١ : ٤٠٣ وقال عنه: كان ثقة جوالاً صالحاً.

(٣) تاريخ الإسلام ٢٢ : ٢٥٥ وق. ورد البصرة عدة مرات (تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٤٣) وسير أعلام النبلاء ١٣ : ٤٥.

(٤) أنساب السمعاني ٤ : ١٩٠.

(٥) تاريخ الإسلام ١٧ : ١٤١ وميزان الاعتدال ١ : ٣١٥ وتهذيب التهذيب ٢ : ٣١٤. وهو نفسه الذي ورد في تهذيب الأحكام ٦ : ٣٨٤ وفي فروع الكافي ٥ : ٢٦١ يروي عن الحسن بن إبراهيم. وكان السيد الخوئي (معجم رجال الحديث ٢ : ١٢٠) قد رجح أن يكون (الحسن بن السري) وعمل ذلك بقوله (لعدم وجود الحسين بن أبي السري في كتب رجال الحديث) (١ : ٢٠٣). وانظر شواهد التنزيل ٢ : ٢٩٣ حيث ورد بهذا الاسم: الحسين بن أبي السري.

(٦) تاريخ بغداد ٤ : ٣١٨.

بالفقه . ورأيتُ له كتاب (السنن) و (معجم الصحابة) ما رأيت شيئاً أحسن منه . ولد سنة ثمان وثلاثمائة وتوفي في سادس عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين^(١) . وقد نصّ مترجموه على أن له رحلة لقي بها أبا سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي بمكة^(٢) .

وممن روى عن ابن الفقيه : أبو بكر بن روزبه . وهو عبد الله بن أحمد بن خالد بن روزبه ، أبو بكر الفارسي الكسروي المتوفى عام (٣٩٢ هـ)^(٣) .

والذي يهمنا من جميع مَنْ ذكرنا أنه إذا كان قد سمع من ابن أبي السري في نفس السنة التي توفي فيها أي ٢٤٠ هـ على أضعف الاحتمالات وكان عمره آنذاك ١٠ سنوات وهو سن لا بأس به لتحمل الحديث . وكان أبو بكر أحمد بن علي بن لال قد سمع من ابن الفقيه وعمره - أي عمر بن لال - ١٠ سنوات أي في العام ٣١٨ هـ ، فيكون ابن الفقيه حياً في السنوات الواقعة بين ٢٣٠ و ٣١٨ هـ على الأقل . وعليه ، فإن ما ذكره ياقوت من أن ابن الفقيه كان حياً في حدود عام ٣٤٠ هـ^(٤) يثير الشكوك . وقد يكون خلط بينه وبين أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي الفقيه الذي توفي عام ٣٤٤ هـ^(٥) .

ويثار تساؤل آخر وهو : إذا كان ابن الفقيه قد بقي حياً إلى ما بعد العام

(١) تاريخ الذهبي ٢٧ : ٣٥٤ . وقال في سير أعلام النبلاء ١٧ : ٧٦ أنه ولد عام ٣١٨ هـ . وفي تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٢٧ أنه عمّر تسعين سنة . وفي العبر ٢ : ١٩٣ عاش تسعين سنة وتوفي عام ٣٩٨ هـ .

وفي تاريخ التراث العربي المجلد الأول ، الجزء الأول ص ٤٥١ أنه يوجد له كتاب في الحديث بالمكتبة الظاهرية . ونرجح أن الصحيح في ولادته هو عام ٣٠٨ لأنه عاش تسعين عاماً كما قال مترجموه .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٢٧ وسير أعلام النبلاء ١٧ : ٧٦ . وتاريخ الذهبي ٢٧ : ٣٥٤ .

(٣) تاريخ الإسلام ٢٧ : ٢٦٥ .

(٤) معجم البلدان ١ : ٧٨٧ .

(٥) تاريخ بغداد ٤ : ٣٩٢ .

٢٩٠ هـ - وهو مؤكد طبعاً بدليل سماع ابن لال منه - فلماذا لا نجد في كتابه (البلدان) ما يشير إلى زمن أبعد من عام ٢٨٩ هـ وهو آخر عام من خلافة المعتضد العباسي حيث ذكره ولم يترحم عليه مما يدل على أن المعتضد كان حياً آنذاك؟

المعروف أن المعتضد قد توفي لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩ وقيل لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٨٩ هـ^(١). وعليه فإن تاريخ الانتهاء من تأليف البلدان كان في أواخر ذلك العام وأوائل ٢٩٠ هـ.

نرجح أنه بعد أن انتهى من تأليف كتابه هذا انهمك في عمله العلمي بوصفه محدثاً وفي تأليف أعمال أخرى التي ذكر منها ابن النديم (ص ١٧١) كتابه: ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين.

اسم المؤلف وعنوان الكتاب

هو أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن الفقيه الهمداني. وقد وهم ياقوت في بعض مواضع من كتابه معجم البلدان فأسماه: محمد بن أحمد^(٢).

فاسمه هو أحمد بن محمد كما في آخر ورقة من مخطوطة المكتبة الرضوية التي نشرها. وكما هو لدى ابن النديم الذي ألف كتابه عام ٣٧٧ هـ. ولدى حسن بن محمد القمي الذي ألف كتابه عام ٣٧٨ هـ^(٣). والرافعي القزويني من أعلام القرن السادس^(٤). إلا أن العجب كل العجب أن يخلط إدوارد قنديك بينه وبين جغرافي آخر هو أبو محمد الحسن بن حمد بن يعقوب الهمداني

(١) الثقات لابن حبان ٢: ٣٣٣.

(٢) انظر مثلاً مادة (رومية) حيث قال «فهو من كتاب محمد بن أحمد الهمداني المعروف بابن الفقيه» وكذلك المواد: زمزم، صنعاء، عانة، قصر شيرين، المحمدية. وفي فهرست وستنفلد لمعجم البلدان (ص ٦٤٠) تنبيه إلى ذلك حيث قال إن الصحيح هو أحمد بن محمد.

(٣) تاريخ قم ص ٢٣.

(٤) التدوين ١: ٣١.

المعروف بابن الحائك ويعتبرهما شخصاً واحداً رغم بعد الشقة في الأسماء والكنى والألقاب^(١).

أما الكتاب فهو: البلدان كما هو لدى ابن النديم (ص ١٧١) والقمي (ص ٢٣، ٥٦، ٩٠) والرافعي القزويني (ص ٣١) رغم أننا نقرأ في الورقة الأخيرة من المخطوطة أنه كتاب (أخبار البلدان) ويبدو أن كلمة (أخبار) إضافة من ناسخ الكتاب، إذ أن مختصر الكتاب الذي اختصره فيما بعد سمي مختصره بـ (مختصر كتاب البلدان) ولم يقل (مختصر كتاب أخبار البلدان).

مصادر كتاب البلدان

أهملنا مصادره التي كان يشير فيها إلى الأسماء مجردة عن أسماء الكتب كقوله «قال المدائني» أو «قال أبو عبيدة معمر بن المثنى» إذ ليس بين أيدينا مؤلفاتهم الجغرافية، ولا ندري إن كان نقل عنها مباشرة أم بالواسطة. إلا ما هو بين أيدينا من المصادر فقد راجعناه وذكرنا مأخذه عنه، فقولنا مثلاً «قال عمرو بن بحر» وجدناه في كتاب الحيوان الذي نقل منه مقاطع طويلة. كما أشار إشارة عابرة إلى البلاذري إلا أن وجود كتابه فتوح البلدان بين أيدينا أتاح لنا معرفة النصوص التي نقلها ابن الفقيه عنه - وهي كثيرة - وكذلك الأمر بالنسبة لابن قتيبة الدينوري وغيره. ومما يعزز إهمالنا لبعض مصادره أنه كان يحوّر في ألفاظ أسانيد الروايات فيوهم قارئه. ففي حديثه عن (عين الجمل) قال: «وسألت بعض المشايخ عن عين جمل لم سميت بهذا الاسم؟ (أ٥)». والحقيقة فإن هذا الكلام للبلاذري مع تحوير طفيف جداً. قال البلاذري: «وحدثني بعض المشايخ.....»^(٢).

أو أن يقول (٨٧ ب): «وخبّر إبراهيم بن العباس.....». وحقيقة الأمر أن هذا الكلام منقول عن الجاحظ في الحيوان حيث قال الجاحظ: «وخبّرني

(١) اكتفاء القنوع ص ٤٩ و ٥١.

(٢) فتوح البلدان ٢٩٦.

إبراهيم بن عباس...^(١) وسوف تفصل ذلك لدى بحثنا في منقولاته عن البلاذري والجاحظ وغيرهما.

وستتناول الآن بالبحث مصادره بقسميها الكتابي والروائي الذي سمعه والذي يبدوه عادة بقوله: (حدثني) أو (حدث) أو (سألناه). وقد نسهب أحياناً في الحديث عن أحد الرواة لأهمية المعلومات التي رواها. فلنبداً مع الكتب حسب تسلسل ورودها في الكتاب.

أخبار الصين والهند

من تأليف سليمان التاجر الذي سافر إلى الهند والصين أكثر من مرة بقصد التجارة «وقد اتفق الباحثون في أخبار الصين والهند على أن هذه الروايات أو الأخبار جُمعت حول سنة ١٣٧ هـ أي ٨٥١ م. ويرى المستشرق فيران أن سليمان هو الذي دون الروايات بنفسه»^(٢).

وقد نقل ابن الفقيه عنه أخباراً تتعلق بالصين والهند. والكتاب مطبوع متداول بين أيدي القراء.

مركز تحقيق كتابي سرمد

المسالك والممالك

نقل عنه ابن الفقيه نصاً يتعلق ببناء مسجد دمشق. فإن كان المقصود كتاب ابن خرداذبة فهذا النص ليس موجوداً في كتاب المسالك والممالك الذي بين أيدينا. علماً بأن دي خويه يرى «أن النص الكامل لمصنف ابن خرداذبة لم يتم العثور عليه بعد»^(٣). كما أنه لا يمكن معرفة ما إذا كان المقصود كتاب المسالك والممالك لجعفر بن أحمد انروز الذي قال ابن النديم أنه أول من ألف في المسالك والممالك كتاباً ولم يتمه. وتوفي بالأهواز وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحرائي سنة ٢٧٤ هـ^(٤).

(١) الحيوان ٤ : ١٤٣.

(٢) ص ١٠ من مقدمة الدكتور نقلا زيادة لكتاب (من رحلات العرب).

(٣) تركستان ٧٥. ودائرة المعارف، الإسلامية ٧ : ١٨ مادة (جغرافيا).

(٤) ابن النديم ١٦٧.

كما نستبعد أن يكون الممالك والمسالك الذي ألفه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني الذي عُين وزيراً لنصر بن أحمد الساماني عام ٣٠١ هـ والذي وضع كتابه قريباً من عام ٣١٠ هـ بينما كتب ابن الفقيه كتابه عام ٢٩٠ هـ^(١).

الحيوان للجاحظ

صرح ابن الفقيه باسم الجاحظ أكثر من مرة، وقد وجدناه ينقل مقاطع طويلة عن كتابه (الحيوان) الذي لم يشر إليه بالاسم. وقد أشرنا إلى النصوص المنقولة عنه في هوامش كتابنا هذا. وإن كان استخدم أسلوباً مجحفاً بحق الجاحظ إذ كان ينقل عنه أحياناً من غير أن يذكره بالاسم، أو أن يُحرّف كما في قوله (وخبر إبراهيم بن العباس) والحقيقة أن هذا كلام الجاحظ ولكن على الشكل التالي (وخبرني إبراهيم بن العباس) أو يختصر كما في النص المتعلق بالنار وهو طويل جداً وموجود في (الحيوان).

فتوح البلدان

أشار إلى اسم البلاذري ثلاث مرات، إلا أنه نقل مقاطع طويلة عنه من كتابه (فتوح البلدان) دون أن يشير ولا مرة واحدة إلى اسم الكتاب. كما أن المعلومة المتعلقة بكور طبرستان التي صدرها بـ (قال البلاذري) لم نجدها في فتوح البلدان الذي بين أيدينا. وعلينا هنا أن نذكر بقول ابن النديم من أن للبلاذري كتابين باسم البلدان. أحدهما صغير والآخر كبير ولم يتمه^(٢).

ويكتفي أحياناً في نقله عن فتوح البلدان بذكر اسم الراوي من غير ذكر اسم الكتاب فهو يقول مثلاً (١٣٨ ب) قال جعفر بن محمد الرازي. والحقيقة هي أن هذا النص موجود في فتوح البلدان (ص ٣١٥) حيث نثبن منه أن جعفرأ هذا هو أحد شيوخ البلاذري والنص يبدأ هكذا: «حدثني جعفر بن محمد الرازي...».

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ٢٢١.

(٢) ابن النديم ١٢٦.

وهو يحوّر في بعض كلمات البلاذري أحياناً ولا يكلف نفسه بالإشارة لا إلى (فتوح البلدان) ولا (البلاذري). ففي نص طويل متعلق بعيون الطف والققطانة والرهيمة وعين جمل وقد نقله ابن الفقيه بأسره من البلاذري من غير أن يذكر ذلك. (٤ أ) و (٤ ب) ويمكن مقارنة بالمطبوع من فتوح البلدان ص ٢٩٦، نجد ما يلي:

البلاذري	ابن الفقيه
وحدثني بعض المشايخ: أن جملاً مات عند عين الجمل فنسبت إليه.	وسألت بعض المشايخ عن عين جمل لم سميت بهذا الاسم؟ فذكر أن جملاً مات عندها فنسبت العين إليه.
وذكر بعض أهل واسط أن المستخرج لها كان يسمى جملاً.	وذكر بعض أهل واسط أن المستخرج لهذه العين يسمى جملاً.
قالوا: وسميت العين عين الصيد لأن السمك يجتمع فيها.	قال: وسميت عين الصيد لأن السمك كان كثيراً جداً فيها فيصطاد اسميت بهذا الاسم.

فضائل بغداد وصفتها

من تأليف يزدجرد بن مهيندان الكسروي. قال عنه ابن النديم إنه عاش في أيام المعتضد وله من الكتب: كتاب فضائل بغداد وصفتها. وكتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة وغيرهم. كبير، رأيت بخطه^(١).

وعن كتابه هذا قال الناضي التنوخي: «تجارتنا عند القاضي أبي الحسن محمد بن صالح بن علي الهاشمي، ابن أم شيبان في سنة ستين وثلثمائة عظم بغداد وكثرة أهلها في أيام المقتدر وذكرت أنا كتاباً رأيت لرجل يعرف بيزدجرد بن مهيندان الكسروي كان على عهد المقتدر بحضرة أبي محمد المهلب، كان سُلّم إليّ وإلى جماعة ممن حضر، كرّيس منه لنسخه ونفذه إلى الأمير ركن

(١) نفس المصدر ١٤٢.

الدولة، لأنه التمس كتاباً في وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات وأنها كانت عشرة آلاف، ذكر في الكتاب مبلغها وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس والسفن والملاحين وما يُحتاج إليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات.....^(١).

ولا تعارض بين ما ذكره ابن النديم من أن الرجل عاش في زمن خلافة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) وقول التنوخي إنه كان في خلافة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) فمن الممكن أن يكون قد عاش في العهدين.

ويضيف رضي الدين علي بن موسى المعروف بابن طاووس (٥٨٩ - ٦٦٤ هـ) معلومات مهمة عن يزدجرد هذا وعلمه وأخيه بالنجوم فيقول نقلاً عن التنوخي:

«وممن وصف بعلم النجوم سهلون ويزدجرد من علماء الإسلام فيما ذكره التنوخي في أربع أجزاء النشوار فقال ما هذا لفظه: حدثني أبو عبد الله محمد الحارثي قال: كان ببغداد في أيام المقتدر إخوان كهلان فاضلان وعندهما من كل فن ملبح، وهما من أحرار فارس. قد نشأ ببغداد وتادبا بها وتعلما علوماً كثيرة يقال لأحدهما سهلون وللآخر يزدجرد ابنا مهمندار الكسروي. ويعرفان بذلك لانتسابهما إلى الأكاسرة. وكانا ذوي نعمة قديمة وحالة ضخمة وكنت ألزمهما على طريق الأدب. وكان ليزدجرد منهما كتاب حسن ألفه في صفة بغداد وعدد سككها وحماماتها.....^(٢)»

وعن كتابه هذا (فضائل بغداد) نقل ابن الفقيه مقاطع طويلة جداً في إحصائيات تتعلق بعدد الحمامات والمساجد والسكك والشوارع وما يدخلها من الأقوات يومياً وما يباع فيها. وهذا الفصل مما حذفه مختصر كتاب البلدان فأتحفتنا به نسختنا الكاملة.

(١) نشوار المحاضرة ٧: ١٢٨.

(٢) فرج المهموم ١٧٦.

عيون الأخبار

لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ). وقد نقل عنه نصاً يتعلق بمدح أهل خراسان فقال: «وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أهل خراسان...» (١٥٤ ب) من غير أن يذكر الكتاب الذي نقل عنه إذ إن مؤلفات ابن قتيبة كثيرة كما هو معلوم. وقد وجدنا النص بكامله في عيون الأخبار (١: ٢٠٤ - ٢٠٥).

الأهوية والبلدان والمياه

من تأليف الطبيب والحكيم اليوناني بقراط (٤٦٠ - ٣٧٧ ق . م) الذي يشكك المؤرخون في كونه من تأليفه^(١). ومع ذلك فإن أول ترجمة لهذه الرسالة إلى العربية تمت على يد حنين بن إسحاق (١٩٤ - ٢٦٠ هـ) أو الفريق العامل معه^(٢). وقد أولع الأطباء والجغرافيون المسلمون بالنقل عن هذه الرسالة. فهناك الطبيب الطبرستاني: علي بن ربن الطبري المتوفى عام ٢٤٧ هـ الذي كان أبوه مترجماً^(٣) أيضاً. ولدى مقارنة ما نقله ابن الفقيه عن رسالة (الأهوية والبلدان والمياه) التي أسماها بـ (الأهوية والأبدان)، وما نقله علي بن ربن عنها في كتابه (فردوس الحكمة) نجد تشابهاً واضحاً بين الاثنين سوى أن ابن الفقيه اختصر قليلاً

(١) قصة الحضارة ٧: ١٨٨. وورد في ٧: ١٨٨ منه:

«انعقد إجماع المؤرخين على أن أربعة كتب فقط هي من تأليفه وهي: (الحكم) و (الأدلة) و (تنظيم التغذية والعوائد في الأمراض الحادة) ورسائله (في جروح الرأس) أما ما عدا هذه الأربعة من المؤلفات المعزوة إلى أبقرط فمن وضع مؤلفين مختلفين عاشوا في أوقات مختلفة بين القرنين الخامس والثامن قبل الميلاد.

(٢) تاريخ طب در إيران ٢٤٨.

(٣) قال القفطي في أخبار العاماء ١٢٨: «ربن الطبري الطبيب اليهودي المنجم: هذا رجل من أهل طبرستان كان حكيماً عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة وحل كتباً حكمية من لغة إلى أخرى».

فيما طوّل فيه ابن ربّين^(١). ونحن نعرف من خلاف نقل ابن الفقيه الخبر بعثة جبل دماوند عن ابن ربّين أنه كان لديه نسخة من كتاب (فردوس الحكمة).

نشير أخيراً إلى أن المؤرخ والجغرافي اليعقوبي الذي ألف كتابه البلدان عام ٢٧٨ هـ قد نقل مقاطع طويلة من (الأهوية والمياه والبلدان) فيها كثير مما هو موجود لدى ابن ربّين وابن الفقيه^(٢). كما نجد مقاطع طويلة منها أيضاً في كتاب (هداية المتعلمين في الطب) للأخوين البخاري الذي تحدث عن تأثير فصول السنة على الأمزجة وختم بالقول «ويطول الحديث في هذا، فإن أردت أن تعلم هذه الحقيقة فعليك بقراءة كتاب (الأهوية والمياه والبلدان) لبقراط أو فصول بقراط»^(٣).

الفلاحة

نقل عنه ابن الفقيه بعد انتهائه من الاقتباس من كتاب بقراط فقال «وقال فسطوس في كتاب الفلاحة...» (١٠٢). والصواب أنه فسطوس. يقول الأستاذ فؤاد سزكين أنه قد ترجم عن اليونانية إلى العربية مباشرة عام ٢١٢ هـ من قبل سرجيس بن هليبا الرومي، كما ترجم عن البهلوية بعنوان ورزنامه. وقد استفاد العلماء العرب من الترجمتين. فعلي بن ربّين الطبري رجع على سبيل المثال إلى الرواية الفارسية. بينما رجع ابن قتيبة إلى الترجمة المباشرة عن اللغة اليونانية^(٤).

الطلسمات

قال ابن الفقيه «وفي كتاب الطلسمات أن قباذ وجه بليناس الرومي إلى الري فاتخذ طلسماً...» (١٤٢ ب).

يوجد كتاب في الطلاسم نقله حنين بن إسحاق إلى العربية اسمه: كتاب

(١) انظر: فردوس الحكمة، الصفحات ٥٠١ - ٥٠٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١: ١٠٥ - ١١٣.

(٣) هداية المتعلمين ١٥٠.

(٤) تاريخ التراث العربي المجلد الرابع: ٤٧٦.

المدخل الكبير لبليناس إلى رسالة الطلاس. ويرى الأستاذ سزكين أن كتب أبولونيوس التبانى قد وصلت إلينا باللغة العربية تحت أسماء محرفة مثل: بليناس وبلينس وبولينياس وأبولون^(١).

وقد نقل ابن الفقيه كثيراً عن كتاب الطلسمات هذا مما أحدثه من طلسمات في البلدان التي ذهب إليها.

فردوس الحكمة

اكتفى ابن الفقيه بالقول: «وقال علي بن ربن كاتب المازيار: وجهنا جماعة من أهل طبرستان...» (١: ٥ ب). ولم يذكر كتاب فردوس الحكمة وهو كتاب طبي معروف مؤلفه علي بن ربن الطبري. وحكاية السفارة هذه إلى قمة جبل دماوند ذكرها فيه^(٢). وقد نقلها عنه فيما بعد البيروني في الصيدنة وابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان الذي ألفه عام ٦١٣ هـ.

المسالك والممالك

من تأليف أبي القاسم عبید الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه المتوفى في حدود سنة ٣٠٠ هـ. وقد نقل عنه صفحات طويلة وإن لم يصرح بذلك وأشهر تلك النصوص خبر رحلة سلام الترجمان إلى سد يأجوج وماجوج بأمر من الخليفة الواصل (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) التي تناقلها - رغم ما فيها من تفاصيل أسطورية - الجغرافيون والمؤرخون المسلمون وإن كان المحققون منهم قد شككوا فيها مثل ياقوت الذي كتب بعد نقله لمدة أخبار تتعلق بالسد ومنها خبر سلام الترجمان: «قد

(١) نفس المصدر ص ١١٢ و ١١٩. ويقول ابن النديم ٣٧٢ «وكتابه فيما عمله بمدينة ويممالك الملوك من الطلسمات، معروف مشهور».

(٢) فردوس الحكمة ٥٤٩ وفيه «فذكروا أنهم صعودوه في يومين وليلتين وبعض اليوم الثالث». ويتفق هذا الزمن عن صعود الجبل مع ما ذكره البيروني في الصيدنة (٥١٩) نقلاً عن ابن ربن. وفي تاريخ طبرستان (٨٣) أن المدة هي يومان وقال إنه قد نقل ذلك عن (فردوس الحكمة). إلا أن ابن الفقيه قال إنهم صعودوا إلى رأسه في خمسة أيام وخمس ليال.

كتبت من خبر السد ما وجدته في الكتب ولست أقطع بصحة ما أوردته لاختلاف الروايات فيه والله أعلم بصحته^(١). ومثل الثعالبي المرغني (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) الذي قال «والذي حكاه سلام الترجمان في ذكر السد من حديث الباب والعضادة ووصف القفل والمفتاح والدندانجات كالأسطوانات، غير معتمد عليه لأنه غير موافق لما نطق به القرآن من وصفه...»^(٢).

وفهم من كلام المقدسي البشاري الذي ألف كتابه عام ٣٧٥ هـ أنه يعزو هذه الرحلة لابن خرداذبه حيث قال: «قرأت في كتاب ابن خرداذبه وغيره في قصة هذا السد على نسق واحد، واللفظ والإسناد لابن خرداذبه لأنه كان وزير الخليفة وأقدر على ودائع علوم خزانة أمير المؤمنين مع أنه يقول حدثني سلام المترجم. إن الواثق بالله...»^(٣).

كما نقلها بصورة مختصرة مؤلف مجهول كتب كتابه عام ٥٢٠ هـ^(٤).

ومما يلفت النظر في كتاب ابن الفقيه التشابه الحرفي بين بعض نصوصه ونصوص المسالك والممالك لابن خرداذبه، وليس بإمكاننا أن نجزم هنا أنه قد نقلها عن ابن خرداذبه الذي ألف كتابه عام ٢٥٠ هـ. لأن هناك تداخلاً بين كتاب ابن خرداذبه وكتاب آخر للجيهاني الوزير مما سوف نفصله فيما بعد ونكتفي بنقل قول المقدسي - طبقاً لأحد مسودات كتابه أحسن التقاسيم -: «ورأيت مختصرين بنيشابور مترجمين، أحدهما للجيهاني والآخر لابن خرداذبه تتفق معانيهما غير أن الجيهاني قد زاد شيئاً يسيراً»^(٥).

(١) معجم البلدان ٣: ٥٨ (مادة: سدّ ياجوج ومأجوج).

(٢) تاريخ غرر السير ٤٤٠.

(٣) أحسن التقاسيم ٢٧٧ (طبعة بيروت).

(٤) مجمل التواريخ والقصص ٤٩٠.

(٥) تركستان ٧٥.

حرب جوذرز وبيران

قال ابن الفقيه: «وقرأتُ في كتاب حرب جوذرز وبيران» (١٥٤ ب).

لا يمكننا معرفة ما إذا كان هذا كتاباً مستقلاً أم جزءاً من كتاب قُسم على كتب؟ والكتاب يتعلق بالتاريخ الأسطوري للفرس في الأعصار السحيقة وهي الفترة التي تمتاز كأمثالها من الفترات الزمنية لكل الأمم - بالغموض والتناقض وتضارب المعلومات حتى أن حمزة الأصفهاني المؤرخ المعروف شكى من ذلك فقال عن تواريخ الفرس: «وتواريخهم كلها مدخولة غير صحيحة لأنها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان، ومن خط منشأه رقوم الأعداد إلى خط متشابه رقوم العقود فلم يكن لي في حكاية ما يقتضي هذا الباب ملجأ إلا إلى جمع النسخ المختلفة النقل فاتفق لي ثمان نسخ وهي فلما اجتمعت هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب»^(١).

ومع ذلك يذكر الشاعر الملحمي الإيراني أسدي طوسي المتوفى عام ٤٦٥ هـ كتاباً باسم كتاب بيرن ويسه

الإنجيل

يقول ابن الفقيه: «وقرأت في الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال: بحق أقول لكم، ليأتين قوم من الشرق . . .» (١٥٨ أ).

أورد ذلك بعد ذكره تحديث ذوي الرايات السود القادمين من قبل المشرق المروي عن النبي (ﷺ). وقد وجدنا في رؤيا يوحنا اللاهوتي من العهد الجديد (رؤيا ١٦: ١٢ - ١٦) نصاً يتعلق بمعركة هرمجدون التي قيل أنها ستقع في آخر

(١) تاريخ سني ملوك الأرض ولأنبياء ٩ - ١٠.

(٢) لغت فرس ص ٤٦ وقال الباحث الإيراني ذبيح الله صفا إن هذه القصة هي من الملاحم البهلوية التي نجد لها أثراً في الآداب الإسلامية، انظر ص ٤٥ من كتابه حماسه سرايي در ایران.

الزمان فلعله هو المقصود من خلال قرينة ما ذكر فيه وهو: (الملوك الذين من مشرق الشمس).

أما الحديث المتعلق بالرايات السود فقد وجدناه لدى نعيم بن حماد المتوفى عام ٢٢٩ هـ وللمقارنة تذكره هنا، إذ يبدو أن ابن الفقيه قد اختصره. قال نعيم: «حدثنا محمد بن فضيل وعبد الله بن إدريس وجرير، عن يزيد عن (الصواب: بن) أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله (ﷺ)، إذ جاء فتية من بني هاشم فتغير لونه. فقلنا: يا رسول الله ما نزل؟ نرى في وجهك شيئاً نكرهه. قال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وأن أهل بيتي هؤلاء سيقتلون (الصواب: سيلقون) بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً حتى يأتي قوم من هاهنا من نحو المشرق، أصحاب رايات سود يسألون الحق فلا يُعطونه - مرتين أو ثلاثاً - فيقاتلون فيُتصرون فيُعطون ما سألوا فلا يقبلوها (كذا) حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً. فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإنه المهدي»^(١).

ونفس الخبر موجود في دلائل الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الذي عاش في النصف الأول من القرن الخامس حيث نعلم منه سند الخبر بصورة أوضح وهو «عن صباح بن يحيى ومطر بن خليفة عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عبد الله بن مسعود...»^(٢).

وذكر أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (٢٧٧ - ٣٦٥) في كتابه الكامل في ضعفاء المحدثين «وهذا الحديث لا أعلم من يرويه بهذا الإسناد عن إبراهيم [النخعي] غير يزيد بن أبي زياد ويرويه عنه يزيد بن فضيل»^(٣).

والى هنا ينتهي بنا المطاف - وبعد أن انتهينا من الكتب - إلى الحديث عن

(١) كتاب الفتن، الورقة ٨٣ ب.

(٢) دلائل الإمامة ٢٣٥ ويزيد بن أبي زياد (١٤٧ - ١٣٦ هـ) له ترجمة في تهذيب التهذيب ١١:

٢٨٧ ذكر فيها شيوخه ومن روى عنه. وانظر تاريخ الإسلام ٨: ٥٦٥.

(٣) الكامل في ضعفاء المحدثين ٧: ٢٧٥.

شيوخه الذين روى عنهم ممن ذكرهم بكلمة (حدثني) أو (سأله) أو ممن يدل نوع المعلومات على نوع من الصلة له معهم.

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق

قال ابن الفقيه: «وحدثني أبو يوسف يعقوب بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن الجنيد، عن إبراهيم بن رويم الخوارزمي قال: فيما بين خراسان وأرض الهند نمل أمثال الكلاب السلوقية...» (١٦٣ أ).

وفي الورقة (٧١ أ): «قال يعقوب بن إسحاق: سمعت أبي يقول: سمعت يزيد بن هارون...».

عند بحثنا عن يكون إسحاق هذا الذي يروي عن يزيد بن هارون الواسطي (١١٨ - ٢٠٦ هـ) فوجدناهم بالعشرات في كتب الرجال والحديث. وعليه فلن نقطع بشيء إلى حين ظهور مرجع.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي
له ترجمة مطولة في تاريخ بيهق وقال إن لقبه هو المغيثي نسبة إلى المغيثة وهي قرية من قرى بيهق. ثم ذكر شيوخه فقال إنهم المبرد وثلعب. وإنه هجا البحثري، وإن ابن الرومي قال فيه... ولكنه لم يذكر سنة وفاته^(١).

وقد روى عنه ابن الفقيه بقوله: «وحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي قال أنشدني حماد بن إسحاق الموصلي لأبيه...» (٧٤ أ).

أبو عمرو عبد العزيز بن محمد، بن الفضل

قال ابن الفقيه: «حدثنا أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا بشر بن محمد بن أبان...» (٩٠ أ).

لم نعث حتى الآن عن ترجمة لأبي عمرو عبد العزيز. فأما إبراهيم بن

(١) تاريخ بيهق ١٥١ - ١٥٤.

الجنيد، فهو إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبو إسحاق قال الذهبي: «له تصانيف وتاريخ ورحلة لم أجد له وفاة»^(١) وقال في تذكرة الحفاظ: «وكان وفاته في حدود ٢٦٠ هـ»^(٢) وفي سير أعلام النبلاء «أنه بقي إلى قرب سنة سبعين ومائتين»^(٣). وقال الخطيب البغدادي: «إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبو إسحاق المعروف بالختلي صاحب كتب الزهد والرقائق. بغدادي سكن سر من رأى»^(٤).

وأما بشر بن محمد بن أبان. فقد وصفه الذهبي بالواسطي السكري أبو أحمد^(٥).

أبو علي محمد بن هارون بن زياد

قال ابن الفقيه: «وقال لي أبو علي محمد بن هارون بن زياد - وكان حكيماً فيلسوفاً - وقد تجارينا ذكر شبديز...» (٩٧ ب). لا نعرف شيئاً عن أبي علي هذا.

أبو حامد أحمد بن جعفر المستملي

قال ابن الفقيه: «وحدثني أبو حامد أحمد بن جعفر المستملي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن بشر البلخي قال: حدثني أبي...» (١٤٨ ب). ولأبي حامد هذا ترجمة في تاريخ بغداد قال فيها إنه حدث عن محمد بن يحيى الأزدي الذي توفي عام ٢٥٢ هـ. وروى عنه - عن أبي حامد - عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم الوكيل المعروف بالطستي (٢٦٦ - ٣٤٦ هـ). ولم يذكر لأبي حامد تاريخاً لوفاته^(٦).

(١) تاريخ الإسلام ٢٠: ٦١.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢: ٦٣٢.

(٤) تاريخ بغداد ٦: ١٢٠.

(٥) ميزان الاعتدال ١: ٣٢٤.

(٦) تاريخ بغداد ٤: ٦٣ و ٣: ٤١٤ و ١١: ٤١. وفي شواهد التنزيل رواية لأبي حامد المستملي =

وقال ابن الفقيه أيضاً: (وحدثني أحمد بن جعفر، حدثني أبو حفص عمر بن مدرك قال: كنت عند أبي إسحاق الطالقاني يوماً بمرور عليّ الرزق في المسجد الجامع، فقال أبو إسحاق: كذا يوماً عند ابن المبارك...) (١٦٠ ب).

أما أبو حفص عمر بن مدرك، فهو - كما في تاريخ بغداد - «القاص الرازي ويقال البلخي». وأراه بلخياً سكن الري وقدم بغداد وحدث بها... مات سنة ٢٧٠ هـ^(١).

وفي الخبر: إبراهيم بن إسحاق بن عيسى أبو إسحاق الطالقاني المتوفى عام ٢١٥ هـ^(٢).

وفيه: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولا هم أبو عبد الرحمن المروزي (١١٨ - ١٨١ هـ) أحد الأئمة المعروفين^(٣) والغزاة المطوعة كما كان شاعراً.

تميم بن بحر المطوعي

لو لم تقع مخطوطة المكتبة الرضوية الكاملة، ما عرفنا باسم تميم المطوعي هذا الذي قام برحلة إلى آسيا على بريد أنفذه إليه خاقان التغرغزي. وفي أخباره من المعلومات كل ما هو مهم وخطير. حيث نجد هذا السؤال الموجه إليه من ابن الفقيه الذي ورد بصيغة «رسالناه عن طريق كيماك من طراز، فذكر أن الطريق...» الذي عرفنا منه أن ابن الفقيه التقى به. ثم إن خبر تميم قد نقله ياقوت باختصار دون أن يعروه لأحد. فقد افتتح كلامه في مادة تركستان وأورد

= هذا عن إبراهيم بن الجنيد أبي الخثلي الذي ذكرناه آنفاً.

(١) تاريخ بغداد ١١: ٢١١ وفي الأصل: مات سنة سبعين من غير لفظة مائتين. وفي الجرح والتعديل ٦: ١٣٦ «إنه كان يحدث في الدور» وهو ما يؤكد صفة (القاص) له.

(٢) انظر عنه تاريخ الإسلام ١٥: ٥١ وقد ذكر محققه بهامشه الكثير من مصادر ترجمته.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ٣٣٤ - ٣٣٨. وله ترجمة وافية في تاريخ الإسلام ١٢: ٢٢٠ - ٢٤٨. وتذكرة الحفاظ ١: ٢٧٥. وفي تاريخ بغداد ١٠: ١٥٢ - ١٦٩.

خبر تميم فيها بصورة مختصرة عما هو عليه في أصل كتاب البلدان. وحين وصل إلى خبر (حجر المطر) الذي لدى الترك، ذكر اسم ابن الفقيه ونقل عنه الخبر الذي رواه عيسى بن محمد المروزي. فأوهم ياقوت قارئه أن خبر تميم منقول عن مصدر آخر. بينما الحقيقة غير ذلك وهو موجود لدى ابن الفقيه الذي التقى به وسأله تفصيلاً عن رحلته تلك. ومهما يكن فليس لدينا أي معلومات عن تميم بن بحر المطوعي سوى كونه مطوعاً وهم طائفة من المتطوعين الذين كانوا يرابطون في ثغور البلاد الإسلامية لدفع هجمات الدول والقبائل التي كانت تحتاح بين الحين والآخر حدود البلاد الإسلامية كالروم والأتراك - قبل إسلامهم - . ويعرف المطوعة هؤلاء أخباراً ووقائع مهمة عن البلاد غير الإسلامية حيث كان بعضهم يسافر إليها، وأشهر أولئك، إبراهيم بن شماس الذي كان يذهب بين الحين والآخر إلى بلاد الغزية لشراء الأسرى وكان يلتقي بملكهم جغويه^(١).

أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه

قال ابن الفقيه: «وحدثني أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه، حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن، حدثنا هشام بن إسماعيل السائب الكلبي...» (١٧٠ أ).

لم نجد لابن أستاذويه ذكراً في كتب التراجم، اللهم إلا أن يكون أبا عبد الله الحسين بن شاذويه الذي ترجم له النجاشي فقال: «الحسين بن شاذويه أبو عبد الله الصفار وكان صحافاً فيقال الصحاف...»^(٢) وقال: الرجالي ابن الغضائري إنه قمي زعم القميون أنه كان غالباً^(٣). وأما شيخه أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن - فنحتمله أنه الفنديني الرازي الذي يروي عن أحمد بن سيار المروزي^(٤).

(١) تاريخ الإسلام ١٨ : ٣٤.

(٢) رجال النجاشي ٦٥.

(٣) الجامع في الرجال ٦٠٤.

(٤) معجم البلدان ٣ : ٦٢٠ وأنساب السمعاني ٤ : ٤٠٣ ورجح آقا بزرك أنه من أوائل المئة الرابعة بدلالة أن جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩ هـ يروي عنه. (الذريعة ٢ : ٦٤).

(١٩٨ - ٢٦٨ هـ) وأحمد بن منصور الرمادي (المتوفى عام ٢٦٥ هـ).

أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى المروزي

روى عنه ابن الفقيه بقوله: «وحدث أبو العباس عيسى...» (١٧٠ ب) وليس واضحاً ما إذا كان قد انتقاه رغم أن المروزي كان معاصراً لابن الفقيه. وقد روى عنه أسطورة حجر المعطر الذي لدى الترك والذي يستجلبون به المطر إذا خافوا من الأعداء.

وقد أدى لقبه (المروزي) وكنيته (أبو العباس) إلى أن يسهو قلم العالم الحجة في الدراسات الجغرافية ونعني به أغناطيوس كراتشكوفسكي، فيرى فيه مروزيّاً آخر توفي قبل عام ١٧٤ هـ بقليل فقال:

«أبو عباس جعفر بن محمد بن أحمد المروزي. ابن النديم يذكر أنه أول من صنف في المسالك والممالك...» قد تنسب إليه حكايات من وقت لآخر عند الجغرافيين المتأخرين. فابن الفقيه يروي عنه أسطورة تتعلق بحجر المطر، كما ينقل عنه روايات عديدة عن القبائل التركية^(١).

ولأهمية شخصية هذا الرجل ولكونه رحالة في البلاد ذا علاقة بالأمراء وكبار الشخصيات ولأهمية المعلومات التي قدمها - إذا أسقطنا الجانب الأسطوري منها - فسنفصل القول فيه.

قال السمعاني: «أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن سليمان المروزي الكاتب المعروف بالطهماني. أظن أنه من ولد إبراهيم بن طهمان. وهو إمام في اللغة والعلم وأحد أشرف خراسان بنفسه وآبائه وأسلافه»^(٢).

أما والده محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن سليمان المروزي الكاتب فقد

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ١٣١. وانظر أيضاً دائرة المعارف بزرگ إسلامي مادة (ابن فقيه) ٤ : ٤١١.

(٢) الأنساب ٤ : ٨٨.

استوزره طاهر بن عبد الله بمدينة مرو عام ٢٤٠ هـ^(١) ويظهر اسمه في الحوادث الخطيرة والشغب الذي حدث ببغداد خلال عام ٢٥٥ هـ وما بعده حيث كان مع الجيش القادم من خراسان مع سليمان بن عبد الله بن طاهر، وقبلها في أحداث عام ٢٥٢ هـ^(٢). ونورد هنا ما تمكنا من جمعه من علماء هذه العائلة وشخصياتهم السياسية.

عيسى بن عبد الرحمن المروزي^(٣)



محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن سليمان المروزي الكاتب
«وزير لطاهر عام ٢٤٠ هـ».



عيسى بن محمد بن عيسى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ)
(كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني)^(٤).



محمد بن عيسى بن محمد أبو صالح المروزي (العارض بجرجان)^(٥).

قال الذهبي عن عيسى بن محمد المروزي (الذي روى ابن الفقيه عنه) بعد أن

(١) تاريخ طبرستان ٢٢٢.

(٢) تاريخ الطبري ٩ : ٣٥٥ و ٤٠١ و ٤٠٤.

(٣) روى عنه الطبري ٤ : ٥٣٢ خبراً واحداً رواه المروزي بدوره عن الحسن بن الحسين العربي (في ميزان الاعتدال ١ : ٤٨٣، العربي الكوفي). قال أبو حاتم: لم يكن بصديق عندهم. كان من رؤساء الشيعة. وقال ابن عدي: لا يشبه حديثه حديث الثقات... ٢.

(٤) هو الذي روى عنه ابن الفقيه أخبار بلاد الترك.

(٥) له ترجمة في تاريخ الإسلام ١٣ : ٣٧١. وورد في كتاب القند (الورقة ٦٤ أ) أنه كان عارضاً بجرجان. ومنصب العارض منصب خطير يشمل إدارة ديوان العرض، عرض الجيش وكتابة أسمائهم وتعيين رواتبهم وتحديد مراتبهم ويمكن مقارنتها بما نسميه اليوم وزارة الدفاع. انظر: (اصطلاحات ديواني دوره غزنوي وسلجوقي ص ١١٦ - ١٢٠).

ذكر شيوخه في الحديث ومن روى عنه: «كان رئيساً نبيلاً كثير الفضائل توفي عام ٢٩٣ هـ»^(١). كان كثير التنقل في البلاد الخراسانية ومدن الأتراك. ويبدو أنه كان يُعنى بأخبار الخوارق والعجائب. فقد روى إضافة إلى ما نقله ابن الفقيه عنه من أخبار تدور حول حجر المطر - خبر المرأة التي عاشت نيفاً وعشرين سنة لا تأكل ولا تشرب (!!!) حتى إنه ذكر خبرها لأبي العباس أحمد بن محمد بن طلحة بن طاهر والي خوارزم وذلك في سنة ٢٦٦ هـ ولما عجب الوالي من ذلك أمر بإحضارها ووكل أمه بمراعاتها وإنها بقيت عندها نحواً من شهرين في بيت لا تخرج منه فلم يروها تأكل ولا تشرب^(٢).

كما رحل إلى جرجان وحديث بها^(٣). وفي رواية ابن الفقيه في البلدان أنه كان ببلاد الشاش حيث التقى هناك أحد شيوخ الكتاب القدماء المدعو حبيب بن عيسى الذي وصفه بأنه جمع في كتاب أخبار وقائع نوح بن أسد وحروبه مع الترك^(٤).

وكانت صلته بأمير خراسان إسماعيل بن أحمد الذي حكم بين (٢٨٧ - ٢٩٥ هـ)^(٥) قد أتاحت له معرفة الكثير مما يتعلق بالبلاد الخراسانية وما وراء النهر.

- (١) تاريخ الإسلام ٢٢ : ٢١٧ - ٢٢٢. كان الرافعي قد روى ما يدل على أنه كان حياً عام ٢٩٨ هـ قال في التدوين ٣ : ٤٩٢ : «رأيت بخط أبي الحسن القطان: حدثنا أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى المروزي بقروين إملاء سنة ثمان وتسعين ومائتين».
- (٢) انظر الخبر كاملاً في تاريخ الإسلام ٢٢ : ٢١٨ - ٢٢١. وفي سير أعلام النبلاء ١٣ : ٥٧٢ «إنها لا تأكل ولا تشرب ولا تروث» وفي آثار البلاد (٥٦٧) قال إنها ماتت عام ٢٦٨ هـ.
- (٣) تاريخ جرجان ٣٢٦.
- (٤) نحتمل أن يكون ابن عيسى هذا هو نفسه أبو النجم حبيب بن عيسى صاحب الإضافات على كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي (الصفحات ٧٤، ٧٥، ١١١، ١٤٨).
- (٥) اعتمدنا في هذا على المؤرخ العيني الذي قال: «استولى على الملك في الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأول سنة ٢٨٧ وحكم مدة ثماني سنوات وتوفي في ١٤ صفر سنة ٢٩٥ في بخارا». ترجمة تاريخ يميني ص ٦٠٠.

قدم إلى بغداد وحدث بها. وذكر أبو سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي (٢٤٦ - ٣٤٠ هـ) مؤلف طبقات النساك المعروف بشيخ الحرم أنه سمع منه ببغداد. كما سمع منه فيها عبد الباقي بن قانع (٢٦٥ - ٣٥١ هـ) ^(١).

أما حجر المطر الذي يوجد لدى الترك ويقول ابن الفقيه إنهم «إذا أرادوا المطر حركوا منه شيئاً يسيراً فينشأ الغيم فيوافي المطر. وإن هم أرادوا الثلج والبرد، زادوا فيه فيوافي الثلج والبرد. ويقال إنهم إذا أومأوا إلى جهة من الجهات، مطرت تلك الجهة وأبردت» (١٧١ أ)، فأمره لا يخلو من طرافة في عالم الفولكلور الآسيوي. فقد قال أبو دلف (الرحلة ١٧٧ ب) إنه لدى الترك الكيماك. ونقل البيروني عن كتاب النخب لجابر بن حيان (توفي عام ٢٠٠ هـ) أنه «حجر الشب وهو حجر الغلبة تستعمله الترك ليغلبوا» ^(٢).

ويزيد الأمر وضوحاً فيقول في الآثار الباقية: وهو يتحدث عن عدة ظواهر في الطبيعة: «وفي الجبل الذي بأرض الترك، فإنه إذا اجتاز عليه الغنم شدت أرجلها بالصوف لئلا تصطك حجارته فيعقبه المطر الغزير وقد يحمل منها الأتراك فيحتالون منها في دفع مضرة العدو إذا أحيط بهم فيشب من لا يعرف ذلك إلى السحر منهم» ^(٣).

ونظراً للروح العلمية التي لدى البيروني فقد طلب إلى أحد الأتراك الذين حملوا إليه شيئاً من تلك الأحجار أن يجلب بها المطر. فرماها إلى السماء مع همهمة وصياح فلم ينزل شيء من المطر. وعلق على ذلك قائلاً: «وأعجب من ذلك أن الحديث به يستفيض. وفي طباع الخاصة فضلاً عن العامة منطبع يلاحون فيه من غير تحقق» ^(٤).

(١) تاريخ بغداد ١١: ١٧٠ - ١٧١.

(٢) الصبغة ٦٣٨. والجماهر ٢١٩ تفصيل آخر عن النخب أيضاً وحدد مكانه بأنه في مفازة وراء وادي الخرخ أسود شرب قليل الحمرة.

(٣) الآثار الباقية ٢٤٦.

(٤) الجماهر ٢١٩.

ويبدو من كلام الكاشغري الذي كتب كتابه عام ٤٦٦ هـ أن استجلاب المطر كان من وظائف الكهان حيث قال: «إن الأمير أمر بالكاهن حتى تكهن وجاء بالريح والأمطار. وذلك معروف في ديار الترك يستجلب الريح والبرد والمطر بالحجر»^(١).

وبعد أن يورد شهرداد، بن أبي الخير الذي ألف كتابه بين ٤٨٨ و ٥١٣ هـ أسطورة حجر المطر - يبدو أنها نقلها عن البيروني - يشير إلى حجر جالب للريح والرعود والأمطار في واد عظيم ببلاد الهند وذلك إذا غنى أحد في ذلك الوادي. ولذا فإن الناس يجتازونه ولا يغنون إطلاقاً كما لا يتكلمون مع بعضهم»^(٢).

ومهما يكن فقد ظلت هذه الأسطورة حية بعد ذلك حتى أن الدنيسري الذي ألف كتابه عام ٦٦٩ هـ نقلها وقال إن الحجر يوجد في تركستان من غير أن يحدد مكاناً بعينه^(٣). كما ذكرها النزويني (٦٠٠ - ٦٨٢ هـ) وأضاف «ورأيت من شاهد هذا»^(٤).

مركز تحقيقات كويته سرمد

محمد بن أبي مريم

ذكره ابن الفقيه - كم هو في ٢٦٤ من مختصر البلدان المطبوع - وهو يتحدث عن مقدار خراج قم: «أخبرني محمد بن أبي مريم قال: مبلغ وظيفة الخراج بكورة قم».

وهو محمد بن إبراهيم عامل مدينة قم الذي نستخلص من خلال وصول لجنة برئاسة بشر بن فرج إلى قم في رجب عام ٢٨٤ من قبل المعتضد للنظر في شكاوى أهلها من ثقل الضرائب، أن محمد بن أبي مريم وأخاه أحمد قد تولي كل منهما

(١) ديوان لغات الترك ٢: ٢٨٥ - ٣: ١١٩.

(٢) نزهت نامه علاني ٢٨٤.

(٣) نوادر التبادر ١٦٣.

(٤) عجائب المخلوقات ١٤٧.

منتصب عامل قم في الفترة الواقعة بين ٢٨٢ و ٢٨٤ هـ^(١).

عمر بن الأزرق الكرمانى

أورده ابن الفقيه بقوله: «قال عمر بن الأزرق الكرمانى» (١٦١ أ) حيث ذكر ابن الأزرق معلومات مهمة عن معبد النوبهار بمدينة بلخ الذي قيل إنه كان يوجد فيه بيت من أكبر بيوت المجوس^(٢). وإن كان الأرجح أنه كان بيتاً للأصنام، حيث يقول من يرى ذلك «إن كلمة (بهار) تأتي أيضاً في الأدب الفارسي بمعنى معبد للأصنام»^(٣). وحتى بعد أن هُدم هذا المعبد على يد قيس بن هيثم السلمي عام ٤١ هـ، ظل مكانه موثقاً للكثير من الزائرين. يقول أبو بكر الواعظ الذي كان حياً عام ٥٨٨ هـ في كتابه فضائل بلخ نقلاً عن المحدث عبد الله بن شاذب البلخي (٨٦-١٥٦ هـ):

«روى عن ابن شاذب أنه حلول رأس السنة الشمسية كان الأكابر والأشراف من بلاد طخارستان والهند وتركستان ومن بلاد العراق والشام يأتون إلى هذه المدينة (بلخ) ويعتدون سبعة أيام في موقع النوبهار»^(٤).

إن المعلومات التي قدمها ابن الأزرق عن النوبهار فريدة لا تراها في أي مصدر آخر. فمن يكون عمر بن الأزرق هذا؟ لم نجد له ذكراً في كتب الرجال والتاريخ. وهناك بصيص ضعيف من الأمل في أن يكون هو الذي روى عن المدعو ابن سيار معلومة طبية من بلاد الروم. ففي كتاب في الأدوية ومنافعها ألف على عهد منصور بن نوح الساماني أي بين ٣٥٠ و ٣٦٦ هـ، قال مؤلفه:

«روى ابن الأزرق عن ابن سيار أنه قال: رأيت في بلاد الروم أنه عند ظهور

(١) تاريخ قم ١٣٠، ١٠٤، ١٠٥.

(٢) بلدان الخلافة الشرقية ٤٦٣.

(٣) عبد الحي حبيبي: تاريخ أفغانستان ١٦. وكان قد قال قبل ذلك إن كلمة بهار أو وهارة تعني بالسنسكريتية المعبد أيضاً.

(٤) فضائل بلخ ٤٦.

داء الخنازير لدى شخص ماء، يؤتى به ويُطرح أمام الخنازير كي تأخذ الغدد وتلعقها، فتذهب الغدد. وهذا من النوادر^(١).

فكون المعلومة الطبية من بلد خارج نطاق بلاد الإسلام تجعلنا نخمن أن ناقلها كان رَحَلاً زار تلك التخوم. وتجعلنا نحتمل أن يكون أحمد بن سيار بن أيوب المروزي (١٩٨ - ٢٦٨ هـ) الذي عُرف بكثرة التجوال وهو فقيه ومحدث مشهور حيث رحل إلى بخارى مع وفد لزيارة الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني، وإلى بغداد وهو في طريقه للحج عام ٢٤٥ هـ وإلى الشام ومصر^(٢). وهو على أي حال من أهالي تلك التخوم المجاورة للتغور الإسلامية.

سعيد بن الحسن السمرقندي

تحت عنوان «ذكر بعض مدن الأتراك وعجائبها» (١٧٢ أ) كتب ابن الفقيه فصلاً بداه به (قال سعيد بن الحسن السمرقندي) هو أروع فصول الكتاب، الفصل الذي لا نجد له مثيلاً في معلوماته الفريدة الغزيرة. والحقيقة فإن السمرقندي قد تجاوز في أواخر كلامه بلاد الأتراك وتوغل في الغابات المتشابكة الأشجار أي إلى الشمال من نهر الفولغا باتجاه قبائل (ويسو) الذين يقول عنهم أندريه ميكيل اعتماداً على كتاب حدود العالم، إنهم يُقرنون مع الأقوام اليوغورية وهذا نص كلامه:

يقرنهم كتاب الحدود بالويسو الذين يحيلون إلى قوم فنيين: الفس النازلين في جنوب شرق بحيرة أونيجا^(٣).

نقول هذا معتمدين على أن مدينة (سكوب) وهي آخر المدن التي ذكرها

(١) الأبنية عن حقايق الأدوية ١١٧. والخنازير هو مرض Scrofula أو King's evil وهو الغُذَب أو الخنازيري؛ داء الملك: مل الغدد اللفافية وبخاصة في العنق (المورد للبلعبيكي - قاموس إنكليزي - عربي).

(٢) من ترجمته في تاريخ بغداد ٤: ١٨٧ - ١٨٩ وأضاف أن له كتاباً في تاريخ مرو. وانظر (تهذيب الكمال للمزي ١: ٣٢٣ - ٣٢٤).

(٣) جغرافيا دار الإسلام البشرية ج ٢ ق ٢ ص ٨٨. وكما في حدود العالم ص ٨٦ فهم «يفسون ياسو» وقال أندريه ميكيل يجب أن نفهم أن يفسون هم: يوغره (يور).

السمرقندي هي بسكوف (Pskov) وهي ولاية غربية من روسيا أوربا مساحتها مع بحيراتها ١٧,٠٦٧ ميلاً مربعاً. وعدد سكانها ٧٧٥,٧٠١. وبها عدة بحيرات أهمها البحيرة المسماة باسمها. وفي جهتها الجنوبية الشرقية مستنقعات كثيرة. وقسم كبير منها تغشاه غابات من الصنوبر يستخرج منها كمية وافرة من القطران. وسكانها على الأكثر من أصل روسي ولكن يوجد بينهم قبائل أخرى وبعض من المسلمين.

قصة الولاية المذكورة واقعة على الضفة اليسرى من فاليكايا على بعد نحو خمسة أميال من مصبه في بحيرة بسكوف على السكة الحديدية بين بطرسبرج ووارسو تبعد ١٦٥ ميلاً عن بطرسبرج إلى جنوبي الجنوب الغربي. وعدد سكانها ١٢,٩٨١. ويحيط بها سور محيطه خمسة أميال. ولها قلعة في وسطها^(١).

فالمدينة التي ذكرها السمرقندي تشترك مع (بسكوف) في عدة نقاط منها كثرة البحيرات حيث قال السمرقندي: «ولهذه المدينة حمة عجيبة النفع تخرج من كهف في جبل شاهق لا يصل إنسان إلى الكهف الذي هي فيه. وإنما تجري فيه إلى عشرة أبيات مبنية بالصخر: سبعة للرجال وثلاثة للنساء. ماؤها في الشتاء شديد الحر وينقص حره في الصيف». ويضيف إلى ذلك قوله: «وفي هذا الجبل ثعالب سود وحمير وبلق قلما يصطاد شيء منها لتغلغلها بين الشجر وقلة نزولها إلى السهل. وهي أصبر الحيوان على الثلج وكذلك جميع ما في هذا الجبل، لأن الثلج يقع فيه أكثر السنة» (١٧٤ ب).

كما أن الحرية الجنسية التي لفتياتهم ونسائهم تجعلهم قريين من الأقوام المجاورين للفينيين وتعني بهم البرطاس الذين «تختار الجارية عندهم من أرادت من الرجال بصرف النظر عن سلطة الأب»^(٢) ومع الصقالبة الذين «إذا أحببت إحدى الفتيات رجلاً، ذهبت إليه واستسلمت تماماً إلى ملذاته. وهذه الممارسة شائعة

(١) دائرة معارف البستاني ٥ : ٤٢١ (بسكوف).

(٢) جغرافيا دار الإسلام البشرية ج ٢ ق ٢ ص ٣٧.

جداً حتى إن وصول الفتاة عذراء إلى الزواج يدفع إلى الشك بأنها مصابة بعاة
جسدية أو عقلية وتعرض إلى الطلاق»^(١).

وإن لغتهم غير لغة الأتراك لذلك ميزهم السمرقندي بأن قال «وأهلها
يتكلمون بالسريانية». فهل هم يتكلمون السريانية حقاً أم أن عدم تشابه لغتهم مع
لغات سائر الأتراك الذين ذكر منهم الواحدة تلو الأخرى هو الذي دعاه إلى ذلك؟
وفي هذه الحالة هل إن ذلك يجعلهم يقتربون من أمة البرطاس (البرداس) الذين
يحتمل أندريه ميكيل أنهم «فنلنديون تفاوت تتركهم ويتكلمون لغة خاصة
بهم وهم مقيمون على طاعة ملك الخزر. ويغيرون على بلكار والبجناك
ويغير هؤلاء عليهم ويشبونهم. ويقال لنا بأنهم يتسبون بدينهم إلى عالم الترك
وإلى الغز بوجه أدق»^(٢)؟

ووجود الثعالب بأنواعها في تلك المدينة (في غاباتها بطبيعة الحال) ألا يشير
إلى تجارة جلود الثعالب اسود والسمور لدى الويسو التي تجعل التجار البلغار
يخرجون إلى أرضهم لشراء تلك الجلود، كما يقول ابن فضلان الذي أضاف أن
بلاد الويسو تقع على مسافة مسيرة ثلاثة أشهر من بلاد البلغار^(٣)؟

إننا نقرب تدريجياً من روسيا البيضاء Bielo Russe - طبقاً لرأي المستشرق
الألماني فره ن الذي يرى أن ويسو Wisu تقع قرب موسكو غربي ورنك^(٤)
Varang. كما نقرب من أستونيا الواقعة إلى الشمال الغربي من بحيرة بسكوف -

(١) جغرافيا دار الإسلام البشرية ج ٢ ق ٢ ص ٨٠.

(٢) نفس المصدر ص ٣٧.

(٣) رسالة ابن فضلان ١٣٥، ١٣٨.

(٤) نفس المصدر ١٢٦. وقد قرأها فره ن هكذا أي (ويسو) كذلك قرأها محقق رسالة ابن فضلان
إلى العربية الدكتور سامي الدهان. وقد قال في الهامش إن النسخ كتبها في المخطوطة
(ويسوا) بألف بعد الواو كما يفعل دائماً بعض النسخ بواو الجمع. انتهى كلامه.
أما ناسخ مخطوطة التفهيم (ص ١٤٥) فقد كتبها: أنسوا. وكتبها محقق الكتاب ومترجمه إلى
الإنكليزية الأستاذ رمزي رايت: Ansu.

بعد كل هذا، لنا أن نفترض أن صواب الكلمة هو (ويسوا) أو (ايسوا).

حيث افترضنا أن السمرقندي كان يعني هذه المنطقة بحيرة ومدينة - أستونيا التي يرى الباحث Mikko Juva * - وطبقاً للشواهد الأركيولوجية - أن أسلاف الفنلنديين كانوا يعيشون فيها منذ ٣٥٠٠ عام على الأقل^(١).

وعلى هذا فالسمرقندي هو أول جغرافي أو رحالة مسلم وصف تلك الأصقاع (أو رحل إليها؟).

أخيراً، لم نعثر على شخص يدعى سعيد بن الحسن السمرقندي فيما بين أيدينا من مصادر، سوى أن ابن شيخ الربوة قد وضع أحد عناوين فصول كتابه على الشكل التالي: في جزائر البحر الأخضر التي بالقرب من سواحله ومنهن الجزائر الخالدات وذكر الأعجوبة للسمرقندي^(٢). ثم فصل ذلك داخل الكتاب بقوله: إن الإسكندر أراد أن يعلم ساحل المحيط الأقصى فجهز عدة مراكب فساروا سنة كاملة لم يروا إلا سطح الماء وما يخرج من حيوان عظيم الخلقة كالمنارة المشهورة^(٣).

مطاعن على كتاب البلدان

كان للتقييم الذي أطلقه ابن النديم (ألف كتابه عام ٣٧٧ هـ وما تلاه)، أثره المدوي في الأوساط التي أصدرت أحكامها فيما بعد بحقه. قال ابن النديم:

«ابن الفقيه الهمداني واسمه أحمد بن محمد. من أهل الأدب. لا نعرف من أمره أكثر من هذا. وله من الكتب: كتاب البلدان، نحو ألف ورقة، أخذه من كتب

FINLAND CREATION AND CONSTRUCTION. P.19.

(١)

ويقول موريس لومبارد الأستاذ في المدرسة العملية للدراسات العليا وفي دار المعلمين العليا بباريس إنه في الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والحادي عشر الميلاديين كان ينتشر خلف بلاد السلافيين (الصقالبة)، باتجاه نهر البلطيق (هو بحر ورنك عند الجغرافيين العرب)، الأقوام الفينية التي يدمجها الجغرافيون العرب مع الصقالبة. انظر ص ٢٦٠ من كتابه الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي.

(٢) نخبة الدهر ٣٤٤.

الناس وسلخ كتاب الجيهاني. وكتاب ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين»^(١).

لقد لاحظ العالم كراتشكوفسكي منذ وقت مبكر تهافت قول ابن النديم بأن ابن الفقيه سلخ كتاب الجيهاني المعروف بالممالك والممالك فقال:

«يجب أن نأخذ بعين الحذر والارتياح قول صاحب (الفهرست) أن ابن الفقيه قد (سلخ) كتاب الجيهاني. حقاً إن الطابع النقلي لكتاب ابن الفقيه ليس في الوسخ إنكاره، ولكن كتابه يرجع تأليفه إلى ما قبل عام ٢٩٠ هـ أي قبل أن يخرج الجيهاني إلى عالم الوجود»^(٢).

ومع ذلك تواصلت الهجمات على ابن الفقيه واتهامه بسلخ كتاب الجيهاني. فنقل ياقوت نفس ما قاله ابن النديم^(٣). وقفني على آثاره المستشرق رينو فادعي أن ابن الفقيه قد اختصر كتاب الجيهاني وأضاف «إن اختصار الكتاب ربما كان هو السبب في إهمال شأنه»^(٤) واستخدم المرحوم العلامة مصطفى جواد ألفاظاً أقسى حين ذكر كتاب الجيهاني **الممالك والممالك** وقال: «وهو الكتاب الذي سلبه ابن الفقيه الهمداني وسرقه»^(٥).

(١) الفهرست ١٧١. ولابن الفقيه كتاب آخر ذكره هو في كتابه البلدان فقال بعد أن انتهى من أخبار خالد بن مسان: «وقد ذكرنا أخباره في كتاب العجائب» (١٢٩ ب).

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١: ٢٢٢. ولقد كان الجيهاني في الوجود آنذاك ويبدو أن كراتشكوفسكي قد التبس عليه الأمر فخلط بينه وبين جيهاني آخر. فالمعروف أن الجيهاني وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد قد تولى الوزارة لنصر بن أحمد الساماني منذ عام ٣٠١ هـ. أما الأستاذ بروكلمان (٤: ٦٤٤) فقد ذهب إلى أنه «أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني وزير نصر بن أحمد بن نصر الساماني (٢٦١ - ٢٧٩ هـ) وأن الكتاب كتب في بخارى بين سنتي ٢٧٩ و ٢٩٥ هـ».

(٣) معجم الأدباء ٤: ٢٠٠.

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٢: ٩ تعليق للأستاذ خدابخش.

(٥) محاضرة في المهرجان الألفي لابن سينا. (كتاب المهرجان ص ٢٥٦). وقال إن مؤلف الكتاب هو أبو عبد الله أحمد بن محمد الجيهاني وزير الأمير السديد منصور بن نوح ثم وزير =

وحقيقة الأمر ما قاله المقدسي البشاري وهو وجود تشابه بين مؤلف الجيهاني ومؤلف ابن خرداذبه. حيث تقول إحدى مسودات كتاب المقدسي المسمى أحسن التقاسيم: «ورأيت كتابه - أي كتاب الجيهاني - في خزائن عضد الدولة غير مترجم. وقبل بل هو لابن خرداذبه. ورأيت مختصرين بنيشابور غير مترجمين، أحدهما للجيهاني والآخر لابن خرداذبه تتفق معانيهما غير أن الجيهاني قد زاد شيئاً يسيراً»^(١).

ومع ذلك تظل المسألة غامضة بعض الشيء. إذ المعروف أن ابن خرداذبه قد كتب كتابه المسالك والممالك عام ٢٥٠ هـ ورأينا تشابهاً في نصوصه في كثير من نصوص ابن الفقيه الذي كتب كتابه أواخر عام ٢٨٩ أو أوائل ٢٩٠ هـ وأن ابن الفقيه قد ذكره وكتابه بقوله (قال صاحب كتاب المسالك والممالك وهو عبد الله بن محمد بن خرداذبه... (ص ٢٠٣ من مختصر البلدان) كما نقل عنه رحلة سلام الترجمان. ترى هل أن الجيهاني الذي ألف كتابه فيما بعد قد أفاد من ابن خرداذبه

الأمير الرضي نوح بن منصور. انتهى كلامه في تاريخه الإسلامي

والحقيقة هي أن مؤلف المسالك هو أبو عبد الله محمد بن أحمد وزير نصر بن أحمد. وأن الذي ذكره الدكتور جواد هو حفيد الوزير المذكور آنفاً. وكان المحقق الإيراني قزويني المتوفى عام ١٩٤٩ كتب بحثاً ذكر فيه مجموعة من آل الجيهاني ومنهم الوزراء وقال إن الأول منهم وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد هو صاحب المسالك (يادداشتهاي قزويني ٢: ٣٩٤ - ٤٠١) وقد فصل شيئاً من حياته وعلمه وإرساله المبعوثين إلى البلدان، المؤرخ كرديزي في تاريخه ص ٣٣٠. وانظر أيضاً تركستان لبارتولد ٧٤، ٢٠٤. ونقرأ أيضاً لدى المسعودي: «أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد صاحب خراسان. ألف كتاباً في صفة العالم وأخباره وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الظريفة». التنبيه والإشراف ٦٥.

أخيراً لا تثريب على من يخطئ في من يكون الجيهاني صاحب المسالك. فابن النديم قد التبس عليه الأمر (انظر ص ١٥٣ و ٤٠١). وتابعه على ذلك ياقوت في معجم الأدباء (انظر ٤: ١٩٠) اعتماداً على ابن النديم.

(١) تركستان ٧٤ - ٧٥.

بحيث التبس الأمر على ابن النديم فقال إن ابن الفقيه سلخ كتابه؟ إن قول المقدسي آنفاً يساعدنا على احتمال صحة هذا الرأي.

أما الطعن الثاني فقد وجهه المقدسي الذي كتب كتابه عام ٣٧٥ هـ فقال:

«ورأيتُ كتاباً صنفه ابن الفقيه الهمداني في خمس مجلدات، سلك طريقة أخرى ولم يذكر غير المدائن العظمى وأدخل فيه فنوناً من العلوم. مرة يزهد في الدنيا ودفعة يرغب فيها، ووقناً يبيكي وساعة يضحك ويلهي.

وأما كتاب الجاحظ فصغير. وكتاب ابن الفقيه في معناه غير أنه أكثر حشواً وحكايات واحتجاجاً بأننا إنما أدخلنا خلال كتبنا ما أدخلنا ليتفرج فيها الناظر إذا ملّ. وربما كنت أنظر في كتاب ابن الفقيه فأقع في حكايات وفنون»^(١).

إن الانتقال من موضوع لآخر مخافة أن يسل القارئ هو أسلوب جاحظي. ولا شك أن ابن الفقيه متأثر بأسلوبه - وينبغي عدم المبالغة في هذا التأثير - إلا أن ابن الفقيه نفسه قد توخى هذا الهدف منذ البداية أي أنه جعله من أهداف الكتاب، بل جعل عنوان أحد فصوله: «باب في تصريف الجدل إلى الهزل والهزل إلى الجد». وقال في مطلع كتابه: «فكتابي هذا يشتمل على ضروب من أخبار البلدان وعجائب الكور والبنيان. فمن نظر فيه من أهل الأدب والمعرفة فليتأمله بعين الإنصاف، وليعزنا فيه حسن محضره وجميل رأيه، فإن الأجدى في المذهب شاوك وقرابة دائية ورحم ماسة ووصلة واشجة، ويهب زللي لاعترافي واغفالي لإقراراي. فلإني إنما ألحقت في هذا الكتاب ما أدركه حفظي وحضره سماعي من الأخبار والأشعار والشواهد والأمثال»^(٢).

بل إنه يباهي بهذا التشيع الذي ضمنه كتابه فهو يعقب بعد أن ذكر جملة من

(١) أحسن التقاسيم (طبعة دي خويه) ص ٥ هامش. وهو منقول عن أحد مسردات الكتاب. وقد قال في ص ٤ منه: «وأما الجاحظ وابن خرداذبه فإن كتابيهما مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة».

(٢) مختصر كتاب البلدان ٢.

المواعظ والأشعار الوعظية؛ «ولو لم يفدك هذا الكتاب من الأخبار العجيبة والأشعار الظريفة والأمور الغريبة، لكان فيما يفيدك من أخبار البلدان وعجائب الكور والأمصار بلاغاً ومقنعاً. فكيف وقد أفادك علم الماضين وأخبار الأولين. وذلك علم المعنيين. ووقفك على الطريقتين، وأرشدك إلى الأمرين جميعاً: حكمة بالغة وموعظة موجزة. تعرفت منه أخبار الماضين وأبنية من قد سلف من الأولين. وفي هذا الخبر الذي أثبتته هاهنا عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر، ودليل على وحدانية الله تعالى، ومخبر عن آياته وقدرته. فصفتُ ذهنك وفرغ قلبك، وأقبل عليه بسمعتك وتفكر فيه وفيما تضمنته من الأعجوبة. فإن فيه عبرة لأولي الألباب» (١٠٩ ب) ثم أورد بعد ذلك قصة عجيبة عن الخضر وملك بني إسرائيل.

نقول عن كتاب البلدان

أول من نقل عنه، حسن بن محمد القمي الذي ألف كتابه تاريخ قم عام ٣٧٨ هـ الذي نقل عنه في اثني عشر موضعاً.

والثاني هو المقدسي البشاري (٣٣٥ - ٣٩٠ هـ) الذي كان ازدرأوه لكتاب ابن الفقيه - كما مرّ بنا فيما مضى - مانعاً له عن النقل عنه، فلم ينقل إلا في موضع واحد (ص ٢٧ من طبعة بيروت).

ويأتي بعد ذلك محمد بن محمود بن أحمد طوسي مؤلف كتاب عجائب المخلوقات الذي قال حاجي خليفة (٢: ١١٢٧) أنه ألفه عام ٥٥٥ هـ إلا أن محقق الكتاب لاحظ فيه تاريخ ٥٦٢ هـ وأضاف: «على الرغم من كون اسمه: الطوسي. إلا أنه إما أن يكون من أهل همدان أو عاش ردهاً من الزمن فيها، كما يستفاد من الكتاب. وهو لم يشر إلى مصادره إلا فيما ندر، ولم يشر إلى ابن الفقيه ولا مرة واحدة»^(١).

ومن خلال مطالعتنا لعجائب الطوسي رأينا العجب العجائب. فالرجل قد نقل أكثر من ثلثي كتابه عن ابن الفقيه ولم يشر إليه ولا مرة واحدة. ولم يكن له من

(١) مقدمة منوهر ستوده للكتاب ١٨ و ٢١.

جهد في ذلك النقل سوى ترجمته النصوص إلى الفارسية.

أما أكثرهم نقلاً مع التتويه بأنه ينقل عن ابن الفقيه - بصورة عامة - فهو ياقوت الحموي الذي نقل عنه في مئة وثلاثة مواضع من كتابه معجم البلدان^(١). وقد كان قلمه يزل أحياناً فيكتب: محمد بن أحمد بدلاً من الصواب: أحمد بن محمد وهو الغالب في كتابه. وقد ذكرنا فيما مضى من المقدمة الموارد التي زل فيها قلمه.

ولقد دلتنا نقوله أنه كان ينقل عن المخطوطة الأصل وليس المختصرة كما أشرنا إلى ذلك في هوامش الكتاب. ونعتقد أنه كان ينقل عن نسخة من كتاب البلدان أكمل من هذه التي يوجد نصفها تقريباً بين أيدينا. ففي مادة (شبداز) لدى ابن الفقيه وفي النسخة الأصل لم نجد بضعة أسطر كان ياقوت قد قال صراحة أنه نقلها عن ابن الفقيه (انظر مادة شبداز ٣ : ٢٥٠). وكان يجري تغييراً طفيفاً على العبارة. فمثلاً نقرأ في فصل همذان لدى ابن الفقيه: «وقرأ عليّ بعض النصارى كتاباً بالسريانية» (١١١ أ) ونجد ياقوت كتب هكذا: «ووجد في بعض كتب السريانيين» (همذان ٤ : ٩٨١). أو قول ابن الفقيه (١١١ ب): «فأجمعوا على أن تسدّ عيونها حولاً ثم يفتح السد ويرسل على المدينة فإنها تغرق». نجده لدى ياقوت: «فأجمعوا على أن مياه عيونها تحبس حولاً ثم تفتّر وترسل على المدينة فإنها تغرق» (مادة همذان ٤ : ٩٨٢).

ويبدو أن كثرة نقول ياقوت عن ابن الفقيه كانت تدعوه إلى أن ينقل عنه من غير أن يذكر اسمه. فنحن نعرف بشكل أكيد أن المناظرة بين الواسطي وابن أبي السرح - قلنا إننا نرجح أن يكون ابن أبي السري - قد جرت في منزل محمد بن إسحاق بهمذان، وهو والد أحمد بن محمد بن إسحاق مؤلف كتاب البلدان (١١٧ ب وما يليها). ومع ذلك فقد نقلها ياقوت (مادة همذان ٤ : ٩٨٤) بطولها

(١) انظر ص ٣٠٠ من فهرست، فرديناند وستفلد محقق أفضل طبعة للكتاب ظهرت حتى الآن. حيث ذكر ٩٨ موضعاً وأضفنا خمسة مواضع سها عنها قلمه.

ونقل بقية المعلومات المتعلقة بهذان الموجود لدى ابن الفقيه من غير أن يذكره ولا مرة واحدة في هذه المادة.

أخيراً جاء ذكريا القزويني الذي كتب كتابه آثار البلاد عام ٦٧٤ هـ. ونرجح أنه قد أخذ عن ياقوت نقوله عن ابن الفقيه وأودعها كتابه، بحيث يمكننا القول بما يشبه اليقين أنه لم ير كتاب ابن الفقيه. دليلنا على ذلك أنه حيثما أخطأ ياقوت في اسم ابن الفقيه، كان هذا الخطأ يتكرر في نفس المادة لدى القزويني. فقد كنا أشرنا إلى أن ياقوتاً كان يسهو أحياناً فيكتب اسم ابن الفقيه هكذا: محمد بن أحمد الهمذاني. ونصادف هذا الخطأ لدى القزويني. فحين يقول ياقوت (مادة: رومية ٢: ٨٧٢) «فجميع ما ذكرته هاهنا من صفة هذه المدينة فهو من كتاب محمد بن أحمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه». نجد القزويني (ص ٥٩٤ مادة رومية أيضاً) يكرر نفس الخطأ فيقول: «وهذه كلها منقولة من كتاب ابن الفقيه وهو محمد بن أحمد الهمذاني»^(١).

وصف مخطوطة الكتاب

ضمت المجموعة الخطية التي كشف النقاب عنها في المكتبة التابعة لحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (ع) بمدينة مشهد الإيرانية المخطوطات التالية:

١ - نصف كتاب البلدان لابن الفقيه وهو الذي تقدمه بين أيدي القراء الأفاضل.

(١) انظر نماذج أخرى باسم محمد بن أحمد وفي نفس المادة يحدو فيها القزويني حدو ياقوت فيما يلي: صنعاء (ياقوت ٣: ٤٢١) والقزويني (٥٠) سوى أن القزويني اختصر المادة قليلاً. زمزم (ياقوت ٢: ٩٤٢) والقزويني (١٢٠). قصر شيرين (ياقوت ٤: ١١٣) والقزويني (٤٤١). ويقتضي الإنصاف أن نقول إنه كان يحدث أن يكون الاسم صحيحاً لدى ياقوت لكنه مكتوب بصورة مغلوطة لدى القزويني. ففي مادة جبل شام نجد ياقوتاً يقول (٣: ٢٤٨)، قال أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني بينما نجد القزويني (١١٦) يقول في نفس المادة: قال محمد بن أحمد بن إسحاق الهمذاني. وقد كرر هذا الغلط في مادة طرسوس لدى القزويني (٢١٩) بينما كان ياقوت قد نقل نفس المادة عن ابن الفقيه مع ذكر اسمه الصحيح وهو أحمد بن محمد (٣: ٥٢٦).

٢ - الرسالتين الأولى والثانية اللتين دون فيهما أبو دلف مسعر بن المهلهل رحلاته .

٣ - النص الكامل لرسالة ابن فضلان التي دون فيها مذكراته عن رحلته التي قام بها عام ٣١٠ هـ لمناطق بلغار الفولغا وبلاد الخزر والروس والصقالبة . وقد طبعت رسالتا أبي دلف ، كما طبعت رحلة ابن فضلان بينما بقيت مخطوطة بلدان ابن الفقيه حتى يومنا هذا على رف الانتظار .

يقول فلاديمير مينورسكي الأستاذ بجامعة لندن : « إن كاتب المجموعة الخطية هو شخص واحد قد كتبها على التوالي . ومن الممكن أن يعود تاريخ كتابتها إلى زمن يرقى إلى ما قبل الهجوم المغولي هو القرن السابع الهجري على أوجه التقريب . خطها ليس عسيراً على القراءة وتظهر ملاحظة بعض خصائص الإملاء أن كاتبها شخص إيراني ، من قبيل استخدام (ر) الفارسية أي ذات الثلاث نقاط . وكذلك كتابته لبعض التراكيب العربية التي لا معنى لها مثل كتابته (١٨٤ أ) (هي مدينة الإسلام رراءها) بدلاً من الصواب (لا إسلام وراءها) . أو كتابته (١٨٥ أ) (وبه بنو معون المهدي) بدلاً من الصواب وهو (وبه يتوقعون المهدي) ^(١) . »

ومن خلال المطالعة الدقيقة لمخطوطة البلدان نرى ما يلي : إن المخطوطة عُرضت لتشويهين : أولهما أنها كانت تُملأ على شخص كان يسمع فيكتب . ودليلنا

(١) سفرنامه أبو دلف در ایران . المقدمة ص ٢٠ و ٣٤ - ٣٥ وقد ذكر أمثلة أخرى من خصائص المخطوطة مثل خلطه في الضمائر والصفات في التذكير والتأنيث أو تمييز الأعداد . أو التاء الطويلة بدلاً من القصيرة وغير ذلك .

كما نبه إلى كتابته الأسماء التي فيها حرف الدال ، بحرف الذال . فهو يكتب بغداد بالذال فيقول بغداد . ويرى مينورسكي أن تلك كانت طريقة سائدة في الكتابة العربية والفارسية . وقد أهملت الكتابة بالذال في بداية القرن السابع الهجري .

وبدورنا فقد كتبنا كلمة (بغداد) التي وردت في كافة أرجاء الكتاب وخاصة الفصل الخاص بمدينة السلام بغداد - بصورة عامة - كتبناها بالذال .

على ذلك وجود تحريف في الكلمات لا يمكن تصحيحها بالنقل من كتاب مدون. فيستحيل مثلاً أن يصحف كاتب ما كلمة (سهم) إلى (صهم) إذا كانت كلمة (سهم) مكتوبة أمامه وهو يقوم بنقلها. من الممكن أن تصحف إلى (شهم) أو (بهم) أو (نهم) أو (بينهم) أو أي شيء قريب. لكن أن تصحف إلى (صهم) - بالصاد - فإن ذلك يعني أن المملي - وهو غير عربي - قد قرأها مضحمة فكتبها السامع بالصاد. وسنقدم أمثلة أخرى على ذلك.

أما التشويه الثاني فقد حدث على ناسخ استنسخ المخطوطة فارتكب أخطاء في الكتابة مما يمكن صدوره عن نقل من كتاب مدون أمامه مثل كتابة (ونموق قريباً) بدلاً من (وتموت) وهو الصواب.

أخطاء سببها السماع المغلوط :

الصواب	الخطأ
بسهم فذهبت	[١١١ ب] فأصبيت عينه بصهم لذهبت
صرفاً	[١١٤ أ] فالماء يشرب كرفاً وممزوجاً
	[١١٤ أ] الماء الذي يطرب كل شيء
يظهر كل شيء	ولا ينجسه شيء
	[١١٩ ب] وليس فينا دقة النظر
نظر	أهل البصرة
بحرف	[١١٠ ب] فلم يجبه بحرفه

أما تصحيقات النوع الثاني وهو الكتابي الممكن حدوثه أثناء النقل من نص مكتوب يقرؤه الناسخ نفسه. فمثل (٩٧ ب) وإذا فكرت في أمر صورة شبيذ هذه وحدثها كما ذكر المعتزلي. والصواب (وجدتها). وقوله (١٠٣ أ) فأحجج الناس جميعاً. والصواب (فأحجم). وقوله (١٠٣ أ) إن أمر نسائه سيعلموا على أمور

الرجال. والصواب (سيعلو). و (١٠٣ أ) إن حق صحن الدار أن يعمر بالجزم والحاشية. والصواب (بالخمس). و (١٠٥ أ) بنيت شديداً وتأمل بعيداً ونموق قريباً. والصواب (وتموت). و (١٠٧ ب) فحفروا وانتطوا الماء. والصواب (وأنبطوا).

عملنا في الكتاب

لما كانت المخطوطة الرضوية تمثل النصف الثاني لكتاب البلدان فقط. فقد اضطررنا إلى الاستعانة بمختصر الكتاب الذي طبعه دي خويه فوضعنا نصفه الأول في أول الكتاب ثم ألحقنا به النصف الثاني المخطوط (مخطوطة الرضوية) تجنباً لأن يكون في المكتبات كتابان أحدهما (مختصر كتاب البلدان) والثاني (النصف الثاني من مخطوطة البلدان الكاملة). هذا أولاً.

ثانياً: الأبواب التي هي موجودة في المختصر والمخطوط الأصل، اخترنا إثبات ما هو في المخطوطة الأصل الكاملة. إذ لا يعقل أن نثبت ما كتب عن الترك في المختصر ومقداره صفحة واحدة ونهمل ما هو في المخطوطة الكاملة ومقداره يزيد على عشر صفحات. أو نهمل مائة طبرستان الموسعة في المخطوطة لنثبت المختصر الذي هو في المطبوع.

ومع ذلك، ومن أجل فائدة من يرغب في المزيد من الدقة. فقد ارتأينا أن تطبع المواد المشتركة بين المختصر والمخطوطة الكاملة، أن تطبع بالحرف الأسود (المحقق) ليرى القارئ مقدار الإساءة التي أساءها مختصر الكتاب حين حذف أسانيد الكتاب أو أسطراً من منتصف المواد حيث كنا نرى الجملة معلقة أحياناً لا تعطي معنى، إضافة إلى اختصاره القطع الشعرية. وكل ذلك يتضح للقارئ من خلال ملاحظته السطور المطبوعة بالحرف الأبيض عن تلك المطبوعة بالأسود. ويكفي اختصار الكتاب نقصاً أنه حُذفت منه أغلب الأسانيد. كما حُذف منه أهم فصول الكتاب ونعني بها تلك المتعلقة بالترك والبلغار والصقالبة.

أخيراً، أرجو من السادة المحققين والأساتذة والنقاد، أن يتكرموا عليّ وهم

المتفضلون، إن كانت لديهم ملاحظات على الكتاب - سواء نشرت في الصحف والمجلات أم لم تنشر - بإرسال نسخة من تلك الملاحظات إلى دار عالم الكتب، لتتفضل مشكورة بإرسالها لي حيث أعيش الألف عام الأولى من العزلة بلا وطن ولا هوية، خارج الجغرافيا والتاريخ.

والله وليّ التوفيق.

يوسف الهادي

الأول من فبراير ١٩٩٥





مرکز تحقیقات و پژوهش در تاریخ و فرهنگ اسلامی



صفحة العنوان من كتاب البلدان المحفوظ برقم ٥٢٢٩ في مكتبة الحضرة الرضوية
بمدينة مشهد الإيرانية.

في هذا اليوم ولد النبي محمد بن عبد الله
 في مكة المكرمة في ليلة الاثنين
 في شهر ربيع الأول سنة الف
 في هذا اليوم ولد النبي محمد بن عبد الله
 في مكة المكرمة في ليلة الاثنين
 في شهر ربيع الأول سنة الف

[illegible][illegible]



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

كِتَابُ الْبُلْدَانِ

مركز تحقيق كتاب سير علماء الهند

تَأَلِيفُ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِي
(الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْفَقِيهِ)



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين الطاهرين.

هذا بقية القول في العراق والبصرة وأخبار دار فتحها والوقت الذي بنيت فيه، وما فيها من العجائب. والقول في الأبله. والقول في البطائح. والقول في واسط. والقول في النبط والخوز. والقول في بغداد وأخبار كور دجلة. والقول في سر من رأى. القول في خراج الدنيا وما كان يحمل إلى بيت السلطان من بلد إلى بلد. القول في الأهواز وفارس ومدنها. القول في قزمسين وأخبار شبريز. القول في همدان وعجائبها. القول في نهاوند وأصبهان وقم وعجائبها. القول في الري ودنباوند وأخبار بيوراسف. القول في قزوین وأبهر وزنجان وطبرستان. القول في خراسان ومدنها وأخبارها. القول في الترك وأخبارهم وقبائلهم وشرائعهم. ذكرنا أضيف (?) إلى ما صنفه أحمد بن محمد الهمداني في آخر كتابه رسالتين كتبهما إلينا أبو دلف مسعود (كذا) بن المهلهل. () في إحداهما أخبار الترك والصين بمشاهدته ذلك. والأخرى أشياء رآها وشاهدها () وأضفنا إليه كتاباً جمعه أحمد بن فضلان بن راشد بن حماد مولی محمد بن سليمان الهاشمي في أخبار الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد مما وقف عليه ونظر إليه. لأن المقتدر بالله أنفذه إلى بلد الصقالبة في سنة تسع وثلاثمائة باستدعاء ملكهم ذلك () والإسلام. فحدث بجميع ما شاهده في هذه البلدان () . [أب].

نص ما هو مكتوب على الصفحة التي تلي صفحة العنوان. والفراغات إما كلمات مضموسة أو غير مقروءة.



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ

قال، قال الفضل بن يحيى: الناس أربع طبقات: ملوك قَدَّمهم الاستحقاق، ووزراء فضَّلهم الفطنة والرأي، وعلية أنهضهم اليسار، وأوساط ألحقهم بهم التأدب؛ والناس بعدهم زَبَدٌ جُفَاءٌ وَسِيلٌ غُفَاءٌ لُكْعٌ وَلِكَاعٌ وريبطة اتضاع، هم أحدهم طعمه ونومه. وقال معاوية للأحنف: صف لي الناس. فقال: رؤوس رفعهم الحظُّ، وأكتاف عظمهم التدبير، وأعجاز شهرهم المال، وأدباء ألحقهم بهم التأدب؛ ثم الناس بعدهم أشباه البهائم، إن جاعوا ساموا، وإن شبعوا ناموا. وقال بُزْرجِمهر لرجل: إن أردت أن تبلغ أحظى دَرَجَةِ الآداب وأهلها، فاصحب ملكاً أو وزيراً، فإنهما برغبتهما في معرفة أيام الملوك وأخبارهم، والآداب وأهلها، وقسمة الفلك ونجومه؛ يبعثانك على طلب ذلك. قال: فما وسيلتي إليهما؟ قال: انتحال ذلك رسم الإدراك، والطلب مادة الوجود والآداب عند الهمة. وقال أسامة بن مَعْقِل: كان السَّقَّاح راعياً في الحُطَب والرسائل، يصطنع أهلها ويثيبهم عليها، فحفظت ألف رسالة وألف خطبة طلباً للحظوة عنده فنلتها؛ وكان المنصور بعده معنياً بالأسمار والأخبار وأيام العرب، يُدني أهلها ويجيزهم عليها. فلم يبق شيء من الأسمار والأخبار إلا حفظته طلباً للقربة منه، فظفرت بها. وكان موسى مغرمًا بالشعر يستخلص أهله فما تركت بيتاً نادراً، ولا شعراً فاخراً، ولا نسيباً سائراً إلا حفظته، وأعاني على ذلك طلب الهمة في علو الحال. ولم أر شيئاً أدعى إلى تعلُّم الآداب من رغبة الملوك في أهلها وصلاتهم عليها. ثم زهد هارون الرشيد في هذه الأربعة وأنسيتها حتى كأنني لم أحفظ منها شيئاً. دخل الشَّعْبِيُّ على الحجاج فقال:

يا شعبي أدبٌ وافِرٌ وعقلٌ نافرٌ . قال : صدقت أيُّها الأمير . العقل سجيّة والأدب
تكلفٌ . ولولا أنتم - معاشر الملوك - ما تأدّبنا ، قال : فالمنة في ذلك لنا دونكم .
قال : صدقت ، قال الشاعر ، في عبيد الله بن زياد :

عَلَّمَنِي جُودُكَ مَا لَمْ أَكُنْ أَخِيُّهُ مِنْ جَيْدِ الشُّعْرِ
فَصِرْتُ فِي النَّاسِ أَخَا ثَرَوَةٍ وَصِرْتُ ذَا جَاهٍ وَذَا قَدَرٍ

وأنشد لغيره :

وَكُنْتُ مُفَحِّمًا ذَهْرًا طَوِيلًا ، فَصَبَّرَنِي عَطَاؤُكَ ذَا بَيَانٍ
فَمَا شُكْرِي لِخَلْقٍ مِثْلَ شُكْرِي لِمَنْ كَفَّاهُ أَطْلَقَتَا لِسَانِي

قال : فكتابي هذا ، يشتمل على ضروب من أخبار البلدان ، وعجائب الكور
والبنيان ؛ فمن نظر فيه من أهل الأدب والمعرفة ، فليتأمله بعين الإنصاف ، وليعرنا
فيه حسن مخضّره وجميل رأيه ، فإن الأجدى في المذهب شاؤك ، وقراءة دانية ،
ورحم ماسّة ، ووصلة واشجة . ويهب زللي لاعترافي ، وإغفالي لإقرارِي . فإني إنما
ألحقت في هذا الكتاب ما أدركه حفظي ، ومخضّره سماعي من الأخبار والأشعار
والشواهد والأمثال .

القول في خلق الأرض

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ قال: ومثل النبي (ﷺ) عن الأرض: سبع هي؟ قال: نعم، والسموات سبع. وقرأ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. فقال رجل: فنحن على وجه الأرض الأولى؟ قال: نعم، وفي الثانية خلق يطيعون ولا يعصون، وفي الثالثة خلق، وفي الرابعة صخرة ملساء، والخامسة ضحضاح من الماء، والسادسة سجيل وعليها عرش إبليس، والسابعة ثور. والأرضون على قرن الثور، والثور على سمكة، والسمكة على الماء، والماء على الهواء، والهواء على الثرى، والثرى منقطع فيه علم العلماء.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي: صورة الدنيا على خمسة أجزاء كراس الطير والجناحين والصدر والذنب. فرأس الدنيا الصبن، وخلف الصين أمة يقال لها واق واق، ووراء واق واق من الأمم ما لا يحصي إلا الله. والجناح الأيمن الهند، وخلف الهند البحر، وليس خلفه خلق. والجناح الأيسر الخزَر، وخلف الخزَر أمتان، يقال لإحدهما منشك وماشك، وخلف ماشك ومنشك يأجوج ومأجوج من الأمم ما لا يعلمها إلا الله. وصدر الدنيا مكة والحجاز والشام والعراق ومصر. والذنب من ذات الحُمَام إلى المغرب، وشرُّ ما في الطير الذنب. وقال ابن عباس: الأرض كلها أربعة آلاف فرسخ في مثل ذلك، تكون ستة عشر ألف فرسخ. وقال أمير المؤمنين (رضي الله عنه): الأرض طولها مسيرة خمس مائة سنة: أربع مائة خراب، ومائة عمران. قال: وفي يد

المسلمين سنة. وقال أبو خَاف^(١): الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، فللسودان اثنا عشر ألف فرسخ، وللروم ثمانية آلاف فرسخ، وللعرب ألف فرسخ، وللفارس ثلاثة آلاف فرسخ. وذكر محمد بن موسى الخوارزمي^(٢): أن دور الأرض على الفضاء تسعة آلاف فرسخ. العمران من ذلك نصف سدسها، والباقي ليس فيه حيوان ولا نبات، والبحار هي محسوبة من العمران، والمفاوز التي بين العمران من العمران. وذكر بعض الفلاسفة، أن الأرض مدورة كتدوير الكرة، موضوعة في جوف الفلك كالمحّة في جوف البيضة. والنسيم حول الأرض، وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك. وبنية الخلق على الأرض، إن النسيم جاذب لما في أيديهم من الخفة، والأرض جاذبة لما في أيديهم من الثقل، لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجذب الحديد، والأرض مقسومة نصفين بينهما خط الاستواء، وهو من المشرق إلى المغرب. وهذا طول الأرض، وهو أكبر خط في كرة الأرض. كما أن منطقة البروج أكبر خط في الفلك، وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل، إلى القطب الشمالي الذي يدور حوله بنات نعش. واستدارة الأرض في موضع خط الاستواء ثلثمائة وستون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً، والأصبع ست حبات شعير مصفوفة بطن بعضها إلى بعض. فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ.

وزعم دُورتيوس^(٣): أن الأقاليم السبعة على بروج السماء كبار عظام مدينتان في إقليم زحل، ومدينتان في إقليم المشتري، ومدينتان في إقليم المريخ، ومدينة في إقليم الشمس، ومدينتان في إقليم الزهرة، ومدينتان في إقليم عطارد، ومدينة في إقليم القمر. وقالوا أيضاً: إن الأقاليم سبعة، إقليم في أيدي العرب، وإقليم في أيدي الروم، وإقليم في أيدي الحبشة، وإقليم في أيدي الهند، وإقليم في أيدي

(١) عزرا ياقوت ١ : ١٦ هذا القول عن مساحة الأرض إلى عمر بن جيلان.

(٢) الخوارزمي (بعد ٢٣٢ هـ) انظر عنه فهرست ابن النديم ٣٣٣ والاعلام ٧ : ١١٦.

(٣) في تاريخ مختصر الدول ١٤٠ : رياضي له اليد الطولى في علم الفلك والاحكام النجومية وتصانيفه مشهورة عند أهل هذا العلم في المواليذ والأدوار. وانظر: التنبيه والاشراف ٣٩.

الترك، وإقليم في أيدي الصين، وإقليم في أيدي ياجوج وماجوج، لا يدخل هؤلاء أرض هؤلاء، ولا هؤلاء إلى هؤلاء.

فالإقليم الأول: مبتدأه من أرض المَحْرَقَة التي تدعى باليونانية ريامياروس، ومنتهاه أرض سَرَنْدِيب، وسكانه سود، فباح الوجوه عراة كالسباع، وأعمارهم طويلة، ودوابهم وطيورهم أعظم من عامة البهائم والطيور، وهناك رُقَى وعقاقير وأحجار فيها شفاء ومنافع طبيعية، وفيها ثنائين وهوام ذات سموم، وطوله خمسة آلاف وخمسمائة فرسخ، وعرضه مائتان وخمسة وثمانون فرسخاً.

والإقليم الثاني: مبتدأه من العرض أرض سرنديب، ومنتهاه أرض الحَبَشَة، وهناك معدن الزبرجد والبيغاء، ومنتهاه من قِبَل شَرْقِيَة أرض السند قريب من كَابَلْ وزَابُلستان. وهناك سباع ضارية، وحشرات وطيور ممتنعة، وأهلها في القبح دون الإقليم الأول. وفيها أيضاً رُقَى وعقاقير، وأهلها أقصر أعماراً من الأول، وطوله طول الأول.

والإقليم الثالث: مبتدأه عرض أرض الضَّغْد وجُزْجان، حتى ينتهي إلى أرض الترك وحد الصين إلى أقصى المَشْرِق، ومن غَرْبِيَة نحو مصر، ومن شَرْقِيَة السند وَعَدَن، ومنتهى عرضه أرض الشام وفارس وإصْبَهان. وهناك ناس حكماء. وعرضه وطوله مثل الأول.

والإقليم الرابع: بابل، متوسط الأقاليم، وهو أفضلها مزاجاً. ومبتدأه من أفريقية إلى بَلَخ إلى مَشْرِق الأرض، وعرضه وطوله كالأول.

والإقليم الخامس: قُسْطَنْطِينِيَّة والروم والخَزَر، وعرضه وطوله كالأول.

والإقليم السادس: فِرْتَجَة وأمم أخرى، وفيه نساء من عاداتهن قطع ثديهن وكَيْه في صغرهن لئلا يعظم. وعرضه وطوله كالأول.

والإقليم السابع: الترك، ورجالهم ونسأؤهم مترَكُو الوجوه لغلبة البرد عليهم، وسباعهم صغيرة الأجساد، ولا يوجد هناك حشرات ولا هوام. ويسكنون الظلال يتخذونها من الألواح، ينقلونها على عَجَلٍ، تجرُّها الثيران، وأنعامهم في

الفيافي وفي أولادهم قلة. فمبلغ الأقاليم السبعة على مساحة الإقليم الأول ثمانية وثلاثون ألف فرسخ وخمسة مائة فرسخ، وعرضها ألف وتسع مائة وخمسة وتسعون فرسخاً.

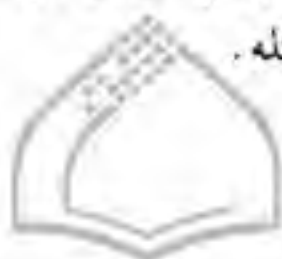
وقُسمت الأرض المعمورة أربعة أقسام:

أُرُوْقِي^(١)، وفيه: الأندلس والصقلية والروم وفرنجة.

وطنجة إلى حد مصر ولُويّة وفيها: مصر وقُلُزْم والحَبْشَة وبَرْبَر وما والاها.

والبحر الجنوبي، وليس في هذه البلاد خنزير برّي ولا أَيْل ولا عَيْر ولا تيس، وفيها تهامة واليمن والسند والهند.

وَأَسْقُوتِيَا وفيها: أَرَمِيْنِيَّة وخراسان والترك والخزر. وزعم هرمس أن طول كل إقليم سبع مائة فرسخ في مثله.



مركز تحقیقات کتب ویراثہ اسلامی

(١) ما نسميه اليوم: أوريا.

القول في البحار وإحاطتها بالأرض

قال: البحار أربعة:

البحر الكبير، الذي ليس في العالم بحر أكبر منه. وهو آخذ من المغرب إلى القلزم حتى يبلغ واق واق الصين، وواق واق الصين هو بخلاف واق واق اليمن، لأن واق واق اليمن يخرج منه ذهب سَوَّة. وهذا البحر يمدُّ من القلزم على وادي القرى حتى يبلغ بَرْبَر وعلان، ويمرُّ إلى النَّيْل والمولتان حتى يبلغ جبل الصَّنْف إلى الصين^(١).

ثم البحر المغربي الدبورِيُّ الرومِيُّ، وهو من أنطاكية إلى جزائر السعادة، وخليج منه آخذ من الأندلس حتى يبلغ السويس الأقصى، وعلى ساحل هذا البحر طَرَسُوس والمَصِيصَة والإسكندرية وأطرابلس. وطول هذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ، من أنطاكية إلى جزائر السعادة. وعرضه خمس مائة فرسخ.

والبحر الثالث الخراسانيُّ الحَزْرِيُّ، لقرب الحزر منه، إلى مُوقان إلى طبرستان وخوارزم وباب الأبواب، ومن بحر جرجان إلى خليج الحزر عشرة أيام،

(١) يبدو أن سبط ابن الجوزي قد نقل ما يتعلق بهذا البحر عن النسخة الكاملة من الكتاب فقال في مرآة الزمان، السفر الأول ٩٨ تحت عنوان (البحر الشرقي):

(ذكر أحمد بن محمد بن إسحاق في كتاب البلدان وقال: ليس في العالم أكبر من هذا البحر - يعني غير البحر المحيط - قال: فإنه يأخذ من المغرب وينتهي إلى الصين، فيمر على النوبة والحبشة ثم على القلزم ثم إلى وادي القرى وجدة وزبيد وعدن والشحر وحضرموت وعمان والديبل وفارس إلى المشرق وجميع بلاد الهند عليه. صيفهم شتاؤنا وشتاؤنا صيفهم، فكانوا وكان شباط عندهم مثل حزيران وتموز وآب عندنا. وعللوا ذلك بقرب الشمس من الأقاليم ويُعدها. وقال: وذكر من لا خبرة له به أن عمق الماء فيه في مواضع باع أو أكثر).

فإذا طابت لهم الرياح فثمانية أيام في البحر، ويومان في البر، ويسمى هذا البحر الدّوّارة الخراسانية، وقطرها مائة فرسخ، والذي يطيف بها ألف وخمسة مائة فرسخ.

والرابع، ما بين رومية وخوارزم جزيرة تسمى ثولية، ولم يوضع عليها سفينة قط. وملك العرب في يديه ألف مدينة في زماننا هذا، وفي يدي ملك النوبة ألف مدينة، وفي يدي ملك الصين أربع مائة مدينة، وستمائة مدينة من الصين في أيدي ملوك صغار.

قال: وأعلم أن بحر فارس والهند هما بحر واحد لا اتصال أحدهما بالآخر، إلا أنهما متضادان. قال: فأول ما تبدى صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقربها من الاستواء الخريفي، فلا يزال يكثر أمواجه ويتقاذف مياهه ويصعب ظهره، إلى أن تصير الشمس إلى الحوت. وأشد ما تكون صعوبته في آخر زمان الخريف، عند كون الشمس في القوس. وإذا كانت قرب الاستواء الربيعي، يبتدىء في قلة الأمواج ولين الظهر، إلى أن تعود الشمس في السنبلة، وألين ما يكون في آخر زمان الربيع، وهو عند كون الشمس في الجوزاء. فأما بحر الهند فإنه خلافة، لأنه عند كون الشمس في الحوت وقربها من الاستواء الربيعي، يبتدىء في الظلمة والغلظ، وتكثر أمواجه، حتى لا يركبه أحد لظلمته وصعوبته عند كون الشمس في الجوزاء. فإذا صارت في السنبلة أضاء ظلمته، ويسهل مركبه، إلى أن تصير الشمس في الحوت، إلا أن بحر فارس، قد يركب في كل أوقات السنة. فأما بحر الهند، فلا يركبه الناس عند هيجانه لظلمته وصعوبته. قال: فمن أراد الصين، أو عدن، أو سلاط، أخذ من ناحية المغرب على اليمامة وعمان. ومن أراد السند أخذ من ناحية فارس على سیراف.

القول في البحار وعجائب ما فيها

قال الله عز وجل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ يُزَوَّى عن الحسن قال: بحر فارس والروم. وقال سليمان بن أبي كريمة^(١): إذا طلعت الثريا ارتج البحر واختلفت الرياح، وسلط الله الجن على المياه، وتبرأ الله ممن يركب البحر أربعين يوماً. وقال النبي (ﷺ): «من ركب البحر بعد طلوع الثريا، فقد برئت منه الذمة». وسئل ابن عباس عن المد والجزر فقال: «إن ملكاً موكل بقاموس البحر^(٢)، إذا وضع رجله فيها فاضت، وإذا رفعها غاضت. قال كعب: ولقي الخضر ملكاً من الملائكة فسأله عن المد والجزر فقال الملك: إن الحوت يتنفس فيشرب الماء ويرفعه إلى منخرية فذلك الجزر، ثم يتنفس فيخرجه من منخرية فذلك المد. قال: وفي البحر سمكة يقال لها الخراطيم مثل الحية لها منقار كمنقار الكركي، وفي منقارها من الشقين كالمنشار. وفيه سمكة يقال لها الأطمر لها فرج كفرج المرأة، ووجهها كوجه الخنزير، وهو طبق من شحم وطبق من لحم. وفي البحر سمك على خلفة القروود من جلوده تكون الدرق التي تنب عنها السيوف، ويقال إنها تحيض وترضع وكذلك السلاحف. وفيه سمك يسمى الدخس يُنجي الغريق. وفيه سمك إذا هاج البحر خرج من قعر البحر، فيعلم البحرئون أن البحر قد هاج، يسمى البرستوج، وهو الذي يكون بالبصرة.

ويلي هذا البحر بحر يسمى هر كند، يقال إنه قاموس البحار كلها، وفي هذا البحر جزيرة سرنديب، وفي هذه الجزيرة الجبل الذي أهبط عليه آدم، وعليه أثر

(١) قال ياقوت في معجم البلدان انه من دمياط ولقبه بالبيروني (١: ٦٠٦).

(٢) في أساس البلاغة قاموس البحر: قعره الأقصى.

قدم آدم، وهو عظيم طويل، وعليه أنواع الأفاوية والطيب وفأر المسك، وفي بحره مغاص اللؤلؤ. وفي هذه الجزيرة ثلاثة ملوك، فالملك الأكبر منهم إذا مات قُطع بأربع قطع وأُحرق بالنار، ورجاله يتهافتون خلفه في النار حتى يحرقوا أنفسهم. وبعدها جزيرة الراميني وهي ثمان مائة فرسخ، وفيها عجائب كثيرة، وهي تشرع إلى بحر سَلَاطِط والهركنند، وفيها ملوك كثيرة، وبها الكَرْكَدَن والكافور، وفيها معادن الذهب، وطعامهم النارجيل، ورجالهم أقوياء يصيدون الفيلة، وفيها بَقَم كثير يغرس غرساً، وحملهُ شبه الحَرْثُوب، وطعمه مثل العَلَقَم لا يؤكل. ويقال: إن عروقه شفاء من سَم ساعة، وفيها الخيزران الكثير وجواميس عظيمة، وملوك لهم الأفاوية الطيبة كالصُّنْدَلِينَ والبَشْبَاسَة، وليس هذا لأحد غيرهم. وبالزابع بيغات بيض وحممر وصفر، تتكلم على ما لُقنت بكلام فصيح، عربية وفارسية ورومية وهندية. ومن الطواويس خضر ورقط وثُزارة بيض لها قنازع حممر، وإن بها قردة بيضاً عظيماً كأمثال الجواميس، وبها خلق على صورة الإنسان يتكلم بكلام لا يفهم يأكل ويشرب. وبها من السنابير ألوان ولها أجنحة كأجنحة الخفاش من أصل الأذن إلى الذنب. وأن فأر المسك يحمل أحياء من السند إلى الزابع، وأن الزباد أطيب رائحة من المسك، والأنثى تجلب مسكاً، وإذا مشى في بيت نفحت منه رائحة المسك، وإذا لمست يده عَقبَت يده^(١). وذكر سليمان التاجر: أن أكثر السفن الصينية تُحمَل من البصرة وعمان، وتُعبأ بسيراف، وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه، فإذا عُتِيَ المتاع استعذبوا الماء إلى موضع منها

(١) نقل القزويني نصاً شبيهاً بهذا في آثار البلاد ص ٣٠ نوره بنصه:

«بهذه الجزيرة - الزابع - قوم على صورة البشر، إلا أن أخلاقهم بالسباع أشبه، يتكلم بكلام لا يفهم، ويظفر من شجرة إلى شجرة، وبها صف من السنابير لها أجنحة كأجنحة الخفافيش من الأذن إلى الذنب. وبها وعول كالبقرة الجبلية، ألوانها حممر منقطة ببياض، وأذنانها كأذنان الظباء ولحومها حامضة. وبها دابة الزباد وهي شبيهة بالهر يجلب منها الزباد، وبها قارة المسك. وبها جبل النصبان، وهو جبل فيه حيات عظام تبلع البقر والجاموس ومنها ما يبلغ الفيل. وبها قردة بيض كأمثال الجواميس والكباش، وبها صف آخر بيض الصدر سود الظهر».

يقال له مَسْقَط، وهو آخر عمان، وبين سِيرَاف وهذا الموضع نحو مائتي فرسخ. وفي شرقيّ هذا البحر فيما بين سِيرَاف وَمَسْقَط من البلاد سِيف بني الصفاق وجزيرة ابن كاوان. وفي غربيّ هذا البحر جبال عمان، وفيها الموضع الذي يسمّى دُرْدُور وهو مضيق بين جبلين، تسلكه السفن الصغار ولا تسلك فيه الصنيّة، وفيه جبلا كُسَيْر وعُوَيْر، فإذا جاوزت الجبال صرت إلى موضع يقال له صُحَار عمان، فيُستعذب الماء من مَسْقَط من بئر بها وهناك جبل فيه رعاء غنم من بلاد عمان فتختطف^(١) السفينة منها إلى بلاد الهند، وتقصد إلى كُولُو مَلِي، وفيها مسلحة لبلاد الهند وبها ماء عذب، فإذا استعذبوا من هناك الماء أخذوا من المركب الصيني ألف درهم ومن غيرها عشرة دنانير إلى العشرين الدينار؛ ومَلِي من بلاد الهند. وبين مَسْقَط وبين كُولُو مَلِي مسيرة شهر، وبين كُولُو مَلِي وبين الهَرْكَند نحو من شهر. ثم يختطف من كُولُو مَلِي إلى بحر الهَرْكَند، فإذا جاوزوه، صاروا إلى موضع يقال له كَلَه بار بينه وبين هرْكَند جزائر قوم يقال لهم لَنْج^(٢)، لا يعرفون لغة، ولا يلبسون الثياب كواسج، لم يُر منهم امرأة، يبيعون العنبر بقطع الحديد، ويخرجون إلى التجار من الجزيرة في زوارق ومعهم النارجيل، وشراب النارجيل يكون أبيض؛ فإذا شرب منه فهو حلو كالعسل، فإذا ترك يوماً صار مُسْكراً، فإن بقي أيتاماً حمض فيبيعونه بالحديد، ويتبايعون بالإشارة يداً بيد، وهم حُذَاق بالسباحة، فربّما استلبوا الحديد من التجار ولا يعطونهم شيئاً، ثم تختطف السفينة إلى موضع يقال له كَلَه بار، وهي من مملكة الزابج متيامنة عن بلاد الهند، يجمعهم مَلِكٌ ولباسهم القوط، ثم يختطف إلى موضع يقال له تَبُومَة، بها ماء عذب والمسافة إليها عشرة أيام، ثم إلى موضع يقال له كَذَرَج^(٣) مسيرة عشرة أيام بها ماء عذب، وكذلك في سائر جزائر الهند إن احتقر فيها الآبار وُجد فيها الماء.

(١) أخبار الصين والهند لسليمان التاجر ٢٢ (خطفوا) - وهذه لفظة يستعملها أهل البحر، يعني يقلعون.

(٢) لدى سليمان ٢٣ (لنجالوس).

(٣) سليمان ٢٤ (كندرنج).

العذب، وبها جبل مشرف. ثم يخطف إلى موضع يقال له الصَّنْف، ثم إلى موضع يقال له صَنْدَرُفُولَات^(١)، وهي جزيرة في البحر، والمسيرة إليها عشرة أيام، ثم إلى موضع يقال له صَنْج إلى أبواب الصين، وهي جبال في البحر، بين كل جبلين فرجة تمرُّ فيها السفن، ثم إلى الصين. ومن صَنْدَرُفُولَات إلى الصين مسافة شهر، إلا أن الجبال التي تمرُّ بها السفن مسيرة سبعة أيام، فإذا جاوزت الأبواب صرت إلى ماء عذب يقال له خَانْفُو، يكون فيه مدّ وجزر في اليوم والليلة مرتين^(٢).

وبقرب الصين في موضع يقال له صَنْجِي وهو أخبث البحار. [كثير الموج والخب وفيه جبال كثيرة لا بدّ للمراكب من النفوذ بينها. وذلك أن البحر إذا عظم خبه وكثر موجه ظهر أشخاص^(٣) شبيهون بصبيان الزنج طول أحدهم أربعة أشبار، يخرجون بالليل من الماء فيبتون في السفينة ويدورون فيها، ولا يؤذون أحداً، ثم يعودون إلى البحر، فإذا رأوا ذلك كان علامة الريح التي تسمى الحَبّ، وهي أخبث الرياح، فيستعدّون لتلك الريح ويخففون المتاع. وقالوا: إذا رأوا أعلى دقل السفينة بهذا الموضع طائراً كأنه شعلة نار، فذلك عندهم من دلالة التخلُّص، وإن في البحر طيراً يقال له جَرَشِي، يكون قريباً من الساحل أعظم من الحمام، يتبعه طير يقال له جُوانَكَرك، يشبه الحمام. فإذا ذرق الجرشي تلقاه الجوانَكَرك بمنقاره فابتلعه. وأن بقرب الزابج جبلاً يسمى جبل النار لا يقدر على الدنو منه، يظهر بالنهار منه دخان، وبالليل لهب النار، يخرج من أسفله عين باردة عذبة وعين حارة عذبة.

(١) سليمان ٢٤ (صنف فولاو).

(٢) إلى هنا يتوقف عن النقل من سليمان التاجر ثم يبدأ في نقل المقطع المتعلق بـ (صنجي) من مصدر نقل عنه المسعودي في المروج ١: ١٧٥.

(٣) ما بين العضادتين نقلناه عن المسعودي ليكمل معنى النص كما عدلنا كلمة (شبيها) الموجودة في الأصل لتصبح (شيهين) وتتسق مع المعنى العام. علماً بأن بقية الكلام موجود في المسعودي لغاية: تلقاه الجوانَكَرك بمنقاره فابتلعه. وما جاء بعدها وهو ما يتعلق بالجبل القريب من زابج فهو منقول عن سليمان التاجر ٢٥.

جزيرة برطاييل: جزيرة قريبة من جزائر الزابج، سكانها قوم وجوهم كالجمان المطرقة وشعورهم كأذناب البراذين وبها الكركدن، وبها جبال يسمع فيها بالليل صوت الطبل والدف والصياح المزعجة، والبحريون يقولون إن الدجال فيها ومنها يخرج.

وبها القرنفل ومنها يجلب، وذلك أن التجار ينزلون عليها ويضعون بضائعهم وأمتعتهم على الساحل ويعودون إلى مراكبهم ويلبثون فيها. فإذا أصبحوا ذهبوا إلى أمتعتهم فيجدون إلى جانب كل شيء من البضاعة شيئاً من القرنفل فإن رضيه أخذه وترك البضاعة. وإن أخذوا البضاعة والقرنفل لم تقدر مراكبهم على السير حتى يردوا أحدهما إلى مكانه. وإن طلب أحدهم الزيادة فترك البضاعة والقرنفل فيزداد له فيه.

وحكى بعض التجار أنه صعد هذه الجزيرة فرأى فيها قوماً مردأ وجوهم كوجوه الأتراك وأذانهم مخرمة ولهم شعور، هم على زي النساء. فغابوا عن بصره. ثم إن التجار بعد ذلك أقاموا يترددون إليها ويتركون البضائع على الساحل فلم يخرج إليهم شيء من القرنفل، فعلموا أن ذلك بسبب نظرهم إليهم، ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه.

ولباس هؤلاء القوم ورق شجر يقال له اللوف يأكلون ثمرتها ويلبسون ورقها. ويأكلون حيواناً يشبه السرطان، وهذا الحيوان إذا خرج إلى البر صار حجراً صلباً. وهو مشهور يدخل في الأكحال، ويأكلون السمك والموز والنارجيل والقرنفل، وهذا القرنفل من أكله رطباً لا يهرم ولا يشيب شعره^(١).

الصين

[أهل الصين يقولون بالتناسخ ويعملون بالنجوم ولهم كتب يشتغلون بها، والزنا عندهم مباح ولهم غلمان وقفوهم للمواطة. كما أن الهند وقفوا الجواري على

(١) نقل هذا النص القزويني عن ابن الفقيه، في آثار البلاد ص ٨١.

البُدَّ^(١) للزنا وذلك عند سفلتهم لا عند أهل التمييز .

والملك وكل بالصناع ليرفع إلى الملك جميع المعمول، فما أراد من ذلك اشتراه لخزائنه وإلا يباع في السوق، وما فيه عيب يمزقه .

وحكي أنه ارتفع ثوب إلى الملك فاستحسنته المشايخ كلهم إلا واحداً، فسئل عن عيبه فقال: إن هذا الثوب عليه صورة الطاووس وقد حمل قنو موز، والطاووس لا يقدر على حمل قنو الموز، فلو بعث الملك هذا الثوب هدية إلى بعض الملوك يقولون: أهل الصين ما يعرفون أن الطاووس لا يقدر على حمل قنو الموز .

وبالصين دابة المسك، وهي دابة تخرج من الماء في كل سنة في وقت معلوم فيصطاد منها شيء كثير وهي شديدة الشبه بالظباء، فتذبح ويؤخذ الدم من سرتها وهو المسك ولا رائحة له هناك حتى يحمل إلى غيرها من الأماكن .

وبها الغضائر الصيني التي لها خواص وهي بيضاء اللون شفافة لا يصل إلى بلادنا منها شيء، والذي يباع في بلادنا على أنه صيني معمول بلاد الهند بمدينة يقال لها كولم . والصيني أصلب منه وأصبر على النار .

وخزف الصين أبيض، قالوا: يترشح السم منه وخزف كولم أدكن .

وطرائف الصين كثيرة: الفرند الفائق والحديد المصنوع الذي يقال له طاليقون يشتري بأضعافه فضة، ومناديل الغمر من جلد السمندل، والطواويس العجيبة، والبراذين الفرّه الني لا نظير لها في البلاد^(٢) .

الفرق ما بين بلاد الصين وبلاد الهند

قالوا: ليس بالصين متاع أسرى ولا أحسن مما يحمله التجار إلى العراق، فأما ما يبقى هناك فردج لا حُسن له . ولباس أهل الصين كلهم الحرير في الشتاء،

(١) البد، هو الصنم . وهو بالفارسية: بُت .

(٢) عن القزويني ص ٤٦ ، ٥٥ .

والصيف. يلبس الرجل منهم خمس سراويلات حرير لتذوة أسفلهم. فأما
 هواؤهم، فحار، ولا يعرفون العمامم، وطعامهم الأرز، وملوكهم يأكلون خبز
 الحنطة واللحم، وليس فيهم كثير نخل، ويعمل نبيذهم، من الأرز، ولا يستنجون
 بالماء، ويأكلون الميتة، ونساؤهم يكشفن رؤوسهن، ويجعلن فيها الأمشاط.
 فربما كان في رأس واحدة منهن عشرون مشطاً من عاج، والرجال يغطون رؤوسهم
 بشبه القلانس، وأهل الصين يلوطنون بغلمان قد أقيموا لذلك بمنزلة الزواني للهند.
 وحيطان أهل الصين الخشب، وأكثرهم لا لحى لهم، حتى كأنهم لم تُخلق لهم
 لحى. وأهل الصين يعبدون الأوثان، ولهم كتب لأديانهم.

والهند لا يأكلون الحنطة، إنما يأكلون الأرز فقط، وتطول لحاهم حتى ربما
 رأيت لأحدهم لحية ثلاثة أذرع، وإذا مات أحدهم حُلق رأسه ولحيته، وهم
 يتلازمون بالحقوق، ويمنعون في الملازمة الطعام والشراب سبعة أيام، وأهل الهند
 يقتلون ما أرادوا أكله ولا يذبحونه، يضربون هامته حتى يموت، ثم يأكلونه، ولا
 يغتسلون من جنابة، ولا يأتون النساء في حيض، وأهل الصين يأتون لأن آئينهم
 آئين المجوس. وأهل الهند لا يأكلون حتى يساكروا ويغتسلوا، ولا يفعل ذلك أهل
 الصين، وبلاد الهند أوسع من بلاد الصين أضعافاً، وبلاد الصين أعمر وليس لهم
 عنب، وليس بالبلدين جميعاً نخل، وللهند السحر وهم جميعاً يقولون بالتناسخ،
 ويختلفون في فروع دينهم، وأهل الهند أطباء حكماء منجمون، ولهم خيل قليلة،
 وملوكهم لا يرزقون جندهم، إنما يدعوهم الملوك إلى الجهاد فيخرجون بنفقات
 أنفسهم. والهند لا مدائن لهم، ويلبسون القُرطين ويتحلون بأسورة الذهب الرجال
 والنساء، والهند تبيع الزنا ما خلا ملك قمار، فإنه يحرم الزنا والشراب [وملكها
 يعاقبهم على شرب الخمر، فيحمي الحديد بالنار وتوضع على بدن الشارب ولا
 تترك إلى أن تبرد. فربما يفضي إلى التلف. ويُنسب إليها العود القماري]^(١). وبلاد
 الصين أنزه وأحسن، ومدنهم عظيمة مشرفة محصنة مسورة، وبلادهم أصح وأقل
 أمراضاً وأطيب، لا تكاد ترى بها أعور ولا أعمى ولا ذا عاهة، ولهم عطاء

(١) عن القزويني ص ١٠٥.

كديوان العرب^(١). ويقال إن بين الهند والصين ثلاثين ملكاً، أصغر ملك بها يملك ما يملكه ملك العرب، وملوك الهند كلُّهم يلبسون الحلى. وفي بلاد الهند مملكة يقال لها رَهْمَى على ساحل البحر، وملكتهم امرأة وبلادها وبيّة، ومن دخل إليها من سائر الهند مات، فالتجار يدخلونها لكثرة أرباحها، ثم تصير إلى بلاد الزابج، فلملك الكبير يقال له المِهْرَاج، تفسيره ملك الملوك، وليس بعده أحد، لأنه في آخر الجزائر، وهو ملك كثير الخير، وفيها غيضة فيها ورْدٌ، إذا أخرج من الغيضة احترق.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فيما بين السند والهند أرض يقال لها كنام فيها بطة من نحاس على عمود من نحاس، فإذا كان يوم عاشوراء نشرت البطة جناحها، ومدّت منقارها، فيفيض من الماء ما يكفي زروعهم ومواشيهم وضياعهم إلى العام المقبل. وقمار من بلاد الهند، وأهل الهند تزعم أن أصل كتب الهند من قمار، وملكه مسيرة أربعة أشهر، وعبادتهم الأصنام كلُّهم. وملك قمار يفرش أربعة آلاف جارية والعنبر يؤتى به من جزيرة شلاهط، والفلفل من مَلِي وسندان، والبقم من ناحية الجنوب من شلاهط، والقرنفل والصندل والكافور وجوزبوا من الزابج، وهو من ناحية القبلة بقرب الصين من بلد يقال له فَنصُور، وماء الكافور والنيل من ناحية السند، والخيزران من بلد يقال له لَنكِبَالُوس وكلّه من ناحية خراسان، والقنّى من عمان، والياقوت والألماس من سرنديب، وكذلك الكركدن والطاوس والبيغاء والدجاج السندي وجميع أنواع العطر والصيّدلة.

قالوا: ومبدأ بحر الصين من جبل قاف إلى أن يجيء إلى عبادان والبصرة، وأول البحار التي تسلك إلى بلاد الصين بحر صَنْجِي، وأول جبل فيه يدعى صَنْدَرْقُولَات، وفيه حيات ربّما ابتلعت البقر والرجل؛ فهو أشدُّ البحار كلّها، وهو قليل المسافة، وعلى الجبل من الصيّادين خلق لهم شباك يكون في قعر البحر، فأهل المركب إذا رأوا بلاد الصين سألوا الصيّادين عن الريح فيخبرونهم بهيجان

(١) كل ما مرّ أعلاه نقله ابن الفقيه عن سليمان التاجر.

البحر وسكونه، لأنه بحر إذا هاج فيه الريح فقليل من يسلم، وإنما يقطع في عشر أو ثمان إلى بلاد الصين إلى الأبواب، خاصة أبواب الصين؛ وذلك البحر بحر كبير وفيه ملك يدعى المهرج، عظيم الملك في جزائره عجائب، وأنواع العطر، وينبت في بلاده الذهب نباتاً، ويقال غلته في كل يوم مائتا مناً ذهب.

[أتى رجل من الهند هذا الصنم وقد اتخذ لرأسه تاجاً من القطن ملطخاً بالقطران ولأصابعه كذلك وأشعل النار فيها، ووقف بين يدي الصنم حتى احترق^(١).



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد و اسنادی

(١) عن القزويني في آثار البلاد ص ١٢٢ وكان يتحدث عن صنم عظيم بالهند فنقل هذا النص عن ابن الفقيه.

القول في مكة

قال، عبد الله بن عمرو بن العاص: سَمِيَتْ بَكَّةَ لأنها كانت تَبَكُّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظُلْم - أي تدقُّ - . وقال إبراهيم بن أبي المهاجر: بَكَّة موضع البيت، ومَكَّة موضع القرية. وسَمِيَتْ بذلك لاجتذابها الناس من الآفاق. وقالوا: سَمِيَتْ بَكَّةَ لأن الأقدام تَبَكُّ بعضها بعضاً - أي تزدحم - وسُمِّيَ البيت العتيق لأنه أُعْتِقَ من الجبابرة. وهي أُمُّ الْقُرَى، وأُمُّ الرُّحَم، لأن الرُّحمة تنزل بها. ومن أسمائها: صَلَاح، ونَامَّة لقلَّة الماء بها، وَبَيْتَةُ الْأَمِين.

قال النبي (ﷺ): «مَا مِنْ نَبِيٍّ هَرَبَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا هَرَبَ إِلَى الْكَعْبَةِ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهَا حَتَّى يَمُوتَ» وقال (عليه السلام): «إِنَّ قَبْرَ هُودَ وَشُعَيْبٍ وَصَالِحٍ فِيمَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْمَقَامِ، وَإِنَّ فِي الْكَعْبَةِ قَبْرَ ثَلَاثِمِائَةِ نَبِيٍّ، وَمَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ إِلَى الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ قَبْرَ سَبْعِينَ نَبِيًّا» وقال (ﷺ): «مَنْ مَاتَ فِي حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ لَمْ يُغَرِّضْ وَلَمْ يَحَاسِبْ، وَقِيلَ لَهُ: أَدْخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ». وقال (ﷺ): «مَنْ صَلَّى فِي الْحَرَمِ صَلَاةً وَاحِدَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ صَلَاةٍ وَخَمْسَ مِائَةِ صَلَاةٍ». وقال (ﷺ): «الْمَقَامُ بِمَكَّةَ سَعَادَةٌ وَالْخُرُوجُ مِنْهَا شَقَاوَةٌ». وقال (ﷺ): «الْحَاجُّ وَالْعُمْرُاءُ وَقَدْ أَتَوْا اللَّهَ إِنْ سَأَلُوا أُعْطُوا، وَإِنْ دَعَا أُجِيبُوا، وَإِنْ أَنْفَقُوا أَخْلَفَ عَلَيْهِمْ لِكُلِّ دِرْهَمٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ». وقال (ﷺ): «مَنْ صَبَرَ عَلَى حَزْمِ مَكَّةَ تَبَاعَدَ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ وَتَقَرَّبَ مِنْ الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ». وقال الكلبي: لَمَّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِينًا وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ» الْآيَةُ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَأَمِنَ فِيهِ الْخَائِفُ وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، يُجْلِبُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْآفَاقِ، وَقِيلَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الشَّامِ، فَيُقَالُ إِنَّهَا الطَّائِفُ وَقَالَ مُقَاتِلٌ: مَنْ نَزَلَ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِمَا مُحْتَسِبًا حَتَّى يَمُوتَ دَخَلَ فِي

شفاعة محمد (ﷺ) قال الله جلّ ذكره: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا مِثَابَ لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ ولم يقل مِثَابَ للعرب دون العجم، إذ كان اسم الناس شاملاً للفريقين، فقد جعله الله مِثَابَ للجميع، والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَطَهَّرَ بَيْنِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ الآية فمن شرف مكة أمنه، ومقام إبراهيم فيه، وحج الأنبياء إليه، وأن أهلها في الجاهلية كانت لقاحاً لم يؤذوا أتاوة قط، ولا ملكهم ملك. وكانوا يتزوّجون في أي القبائل شاؤوا، ولا يشترط عليهم في ذلك ولا يزوّجون أحداً إلا بعد أن يشترطوا عليهم أن يكونوا حُمساً على دينهم ويُدان لهم وينتقل إليهم، فحُمسوا خزاعة ودانت لهم، وحُمسوا عامر بن صعصعة ودانت لهم، وحُمسوا ثقيفاً ودانت لهم، سوى من حُمسوا من عدد الرجال؛ ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم، وأن يخلعوا ثياب الحل، ويستبدلوا ثياب الحرم إما شري أو عارية أو هبة، فإن أتى بذلك وإلا طاف بالبيت عرياناً، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك، وكلّفوا العرب أن تفيض من المُزْدَلِفَةِ، وهم بعدُ أعزُّ العرب يتأمرون على العرب قاطبة، وهم أصحاب الهريس والحريير والثريد والضيافة والأندية والقالودج، وأول من ثرد الثريد منهم عمرو وهو هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر^(١):

عَمْرُو الْعُلَى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَشُونَ عِجَافٍ
ولهذا سمي هاشماً.

ذكر البيت الحرام وما جاء فيه

قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾، عن وهب بن منبه أنه قال: إن الله جلّ وعزّ لما أهبط آدم (عليه السلام) من الجنة إلى الأرض حزن واشتدّ بكأؤه على الجنة، فحباء الله بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له بمكة في موضع الكعبة، قبل أن تكون الكعبة وكانت من ياقوتة حمراء، فيها فناديل من ذهب، وأنزل معها الركن، وهو يومئذ ياقوتة بيضاء، وكان كرسيّاً لآدم (عليه

(١) هو ابن الزبير السهمي (أخبار مكة ١: ١١١).

السلام) وطول الحديث، قال: فمن فضائل البيت الحرام أنه لم يره أحد ممن لم يكن رآه إلا ضحك أو بكى، ومن فضائله أنه لا يسقط على ظهر الكعبة من الحمام إلا العليل منها، فإذا وقع عليه بريء، وتقبل الفرقة من الطير والحمام وغير ذلك حتى إذا تحاذت الكعبة افترقت فرقتين، ومالت عن ظهرها، ولم يطر على ظهرها طير قط ومن عجائب البيت والمسجد: كثرة الحمام بها، ولم يروا على طول الدهر ذرقة حمام ولا طير في المسجد ولا الكعبة ومن عجائبه: أمن الطير والوحوش والسباع بها، ودفع الله عنها شر الحبشة والفيلة، وحجّه النعمان بن المنذر وزاره وهو ملك نصراني، فجلس في سفح أجياد فبال عليه خالد بن ثؤالة الكناني فما كان عنده نكير لأهل مكة. وماء زمزم دواء لكل مبتلى. وقال (ﷺ): «التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق». [وكان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعاً]^(١)

وقال مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿فَأَجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ قال: لو قال: واجعل أفندة الناس تهوي إليهم لزدحمت عليه فارس والروم. قال قتادة: بُنيت الكعبة من خمسة أجبل: طور سينا وطور زيتا، وأحد، ولبنان، وحراء، وثبير. وقال مجاهد: أسس إبراهيم زوايا البيت بأربعة أحجار: حجر من حراء، وحجر من ثبير، وحجر من الطور، وحجر من الجودي. قال قتادة: فبنى إبراهيم البيت وجعل طوله في السماء سبعة أذرع، وعرضه اثنين وثلاثين ذراعاً بين الركن الأسود إلى الركن الشامي الذي عنده الحجر من وجهه، وجعل عرض ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي الذي فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعاً، وجعل طول ظهرها من الركن الغربي إلى الركن اليماني أحد وثلاثين ذراعاً، وجعل عرض شقها اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعاً، وجعل بابها في الأرض مبوَّب حتى كان زمن تبع الحميري، فهو الذي بوَّبها وكساها الوصائل ثياب حبرة ونحر عندها، ثم كساها النبي (عليه السلام) الثياب اليمانية، ثم كساها عثمان

(١) ما بين عضادتين زيادة من ياقوت (زمزم) ولا تدري هل يقف في نقله عن ابن الفقيه عند هذا الحد أم أن ما بعده لابن الفقيه أيضاً. فهو لم يذكر أين انتهى نقله. وفي آثار البلاد ص ١٢٠ نقل عن ابن الفقيه أن ذرع زمزم أربعون ذراعاً.

القباطي، ثم كساها الحجّاج الديباج. قال: ومعاوية أول من طيّب الكعبة بالخلوق والمجمر، وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت مال المسلمين؛ وبناء ابن الزبير بعد ما بويغ له بالخلافة، فلما قُتل نقض الحجّاج بناءه وبناء على الأساس الأول، ثم وسّع المنصور مسجد الكعبة سنة ولي الخلافة، ثم زاد فيه المهدي.

قال: فطول البيت اليوم سبعة وعشرون ذراعاً، وعرضه في الحجر أحد وعشرون ذراعاً، وذرع جوفها ما بين الركن الأسود إلى الركن اليماني بطن الكعبة خمسة عشر ذراعاً وشبر، وما بين ركني الحجر ثمانية عشر ذراعاً، وما بين الباب إلى الشاذروان خمسة أذرع، وعرض بابها أربعة أذرع وفيها ثلاث سوارٍ اثنان منها صنوبر والوسطى ساج. وبعث عمر بن الخطاب إلى البيت بهلالين كبيرين فعُلِّقا في الكعبة، وبعث عبد الملك بن مروان بالشَّمسَيْن، وبعث الوليد ابنه بقدحين، وبعث أبو العباس بالصَّخفة الخضراء، وبعث أبو جعفر بالقارورة الفِرْعَوْنِيَّة، وبعث المأمون بالصنم الذي وجَّهه إليه ملك الثُّبَّت وكان أسلم وله خبر طويل^(١). وذرع المقام ذراع وهو مربع سعة أعلاه أربعة عشر إصبعاً في مثله، ومن أسفله مثل ذلك، وفي طرفيه طوق من ذهب، وما بين الطرفين من الحجر من المقام بارز لا ذهب عليه، وطوله من نواحيه كلها تسع أصابع، وعرضه عشر أصابع، وعرض الحجر المقام من نواحيه إحدى وعشرون إصبعاً، وسطه مربع القادمان داخلتان في الحجر سبع أصابع، دخولهما منحرف ووسطه قد استدق من التمشيح به. والمقام في حوض مربع حوله رصاص، وعلى الحوض صفائح من رصاص مكسّر، وعلى المقام صندوق ساج في طرفيه سلسلتان تدخلان في أسفل الصندوق، وعليهما قفلان. قال: وذرع المسجد اليوم مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع مكسّر، وعرضه من باب التَّذْوَة إلى الجدار الذي يلي الوادي عند باب الصَّفَا ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع، وعرض المسجد من المنارة التي عند المسعى إلى المنارة التي عند باب بني شيبه الكبير مائتا ذراعاً وثمانية وسبعون ذراعاً، وفيه من الأساطين أربع مائة وخمس وستون أسطوانة، طول كل أسطوانة عشرة أذرع،

(١) عن هذا الصنم انظر: أخبار مكة ١: ٢٢٥.

وتدويرها ثلاثة أذرع. وعدد أبواب المسجد في الشق الشرقي خمسة أبواب، وفي الغربي ستة أبواب، وفي اليماني سبعة أبواب، وفي الشق الشامي ستة أبواب، وذرع الطواف مائة ذراع وخمسة أذرع.

وحدود الحرم من طريق المدينة على ثلاثة أميال، ومن طريق جذّة على عشرة أميال، ومن طريق اليمن على سبعة أميال، ومن طريق الطائف على أحد عشر ميلاً، ومن طريق العراق على تسعة أميال، ومن بغداد إلى مكّة مائتان وخمسة وسبعون فرسخاً وثلاثاً فرسخ^(١) تكون ثمانية وخمسين بريداً. ومن البريد إلى البريد عشرون ميلاً، وبين كل بريدين مُشرف وكل ثلاثة أميال فرسخ، ومن مكّة إلى عَرَقات اثنا عشر ميلاً.



(١) حدود الحرم والمسافة بين بغداد والحرم لدى ابن خردادبه ١٣٢.

مدينة الطائف

اسمها وَجّ، وسمّيت الطائف بذلك الطوف الذي أحاطه عليها قَيْسٌ وهو ثَقِيفٌ وكانت الطائف مَهْرَباً وملجأ لكلّ هارب، وبالطائف وَهَط عمرو بن العاص، وهو كرم كان يُعْرَش على ألف ألف خشبة، شَرَى كلّ خشبة ألف درهم، والوهط عند العرب دَقّ التراب، يقال تراب مُوَهَطٌ أي مدقوق، وحجّ سليمان بن عبد الملك فمرّ بالوهط وقال: أحبُّ أن أنظر إليه، فلَمَّا رآه قال: هذا أكرم مال وأحسنه، وما رأيت لأحد مثله، لولا هذه الحرة في وسطه. فقيل له: ما هذه بحرة ولكنها زبيبه، وقد كان جُمع في وسط الضيعة، فليَمَّا رآها من بعيد ظنَّ أنها حرة سوداء فقال: لله درُّ قَيْسٍ بأيّ عُشٍّ وضع أفرُّخه^(١).

مدرسة الشريعة الإسلامية
بجامعة الإمام محمد بن سعود
الرياض

(١) روى ياقوت (الطائف) هذا الخبر عن المدائني.

القول في المدينة

R يروى عن النبي (عليه السلام) أنه قال: للمدينة عشرة أسماء هي: طَيِّبَةٌ، والباقية، والمُوقِيَّة، والمِسْكِيَّة، والمباركة، والمحفوظة، والمحرمة، والعذراء، والمُسْلِمَة، والمقدَّسة، والشافية، والمرزوقَة. فمن فضلها على غيرها أن وهب بن مَنبِه قال: إني لأجد في بعض الكتب أن مهاجر النبي الأُمِّي العربي إلى بلد يقال لها طَيِّبًا، وتفسير ذلك أنها طُوِيَتْ بالبركة، وقُدِّس هواءها، وطُيِّب ترابها، فيها مهاجرة، وموضع قبره، ومن مشى بالمدينة شَمَّ بها عَرْفًا طَيِّبًا.

وقال أبو البَخْتَرِي: هي أرفع الأرض كلها، ولا يدخلها طاعون ولا دجال، وبظاھر بیداتها يخسف بالدجال، وبها نزل القرآن وفُرِضَت الفرائض وسُنَّت السنن، وبها أصول الدين والسنن والأحكام والفرائض والحلال والحرام، وبها روضة من رياض الجنة، ودعا رسول الله (ﷺ) أن يبارك لهم في صاعهم ومُدَّهم وسوقهم وقليلهم وكثيرهم، وبها آثار رسول الله (ﷺ) ومساجده وقبره وقبور أصحابه وأعمامه وأزواجه، وكلُّ بلد في دار الإسلام فإنما فُتِحَ بالسيف إلا المدينة فإنها افتتحت بالإيمان.

R وقال (ﷺ): «غبار المدينة دواءٌ من الجذام» وقال: «حبُّ أهل المدينة محنة فإن منافقاً لا يحبُّهم ومؤمناً لا يبغضهم» وقال (عليه السلام): «أهل المدينة الشعار والناس الدثار» وقال: «المدينة معلَّقة بالجنة» كما قال: ولما حجَّ معاوية حرَّك المنبر يريد أن يخرج به إلى الشام فانكسفت الشمس، فقال جابر بن عبد الله: بش ما صنع معاوية ببلد رسول الله (ﷺ) ومهاجرة الذي اختاره الله له، والله ليصينَّ معاوية شيء في وجهه، فأصابته اللقوة نسال الله العافية.

فلما قدم النبي المدينة أقطع الناس الدور فخط لبني زهرة في ناحية مؤخر المسجد، وجعل للزبير بن العوام بقيعاً واسعاً، وجعل لطلحة موضع داره، ولآل أبي بكر موضع داره عند المسجد الذي صار لآل معمر، ولخالد وعطار موضع داريهما، وخط لعثمان موضع داره اليوم، ويقال إن الخوخة التي في دار عثمان اليوم تجاه باب النبي (ﷺ) كان يخرج منها إذا دخل بيت عثمان بن عفان.

ذكر مسجد المدينة

قال (ﷺ): «من جاء إلى مسجدي لا يريد إلا الصلاة في مسجدي والتسليم عليّ شهدت وشفعت له، ومن سلّم عليّ ميتاً فكأنما سلّم عليّ حياً» وكان بناء المسجد على عهد النبي (ﷺ) باللبن وسقفه جريد، وعمده خشب النخل، فزاد فيه عمر، ثم غيّره عثمان وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه ساجاً. وبناه رسول الله (ﷺ) وله بابان شارعان: باب عائشة والذي يقال له باب عاتكة؛ وباب في مؤخر المسجد إلى دار مليكة: وأول من حصّب المسجد عمر قال: والأساس اليوم معمول بالحجارة، والجدران بالحجارة المطابقة، وعمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص، وكان طوله مائتي ذراع وعرضه مائتي ذراع، وهو معنق ومعنق سقف دون سقف، والمحراب والمقصورة من ساج.

وتراب المدينة وهواؤها أطيب ريحاً من رائحة الأفاويه بسائر البلدان، ويكتفي بالمدينة الرجل الأكل بقرصتين، ولا يكتفي في غيرها بخمسة أرغفة، وليس ذلك لغلظ فيه أو فساد في حبه وطحنه، ولو كان كذلك لظهر في التخمر، ولهم الفقه والصحة، ولهم حبّ البان ومنها يُحمل إلى جميع البلدان - وهي حشيشة تنبت في باديها - وجبلها أحد، قال رسول الله: رَضَوْنِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقُدْس قُدْسُهُ اللهُ، وأحد جبل يحبنا ونحبه، جاءنا سائراً إلينا متعبداً، له تسبيح يزف زفاً ومن عجائبها جبل العرج الذي بين المدينة ومكة، يمضي إلى الشام حتى يتصل بلبنان من حمص، ويمرّ حتى يتصل بجبال أنطاكية والمصيصة، ويسمّى هناك

اللُّكَّام، ثم يتَّصل بجبال مَلْطِيَّة وشِمَشَاط وَقَالِيَقْلَا إلى بحر الخزر، وفيه باب الأبواب يسمَّى هناك القَبْقُ وعليه سبعون لساناً لا تَعْرِفُ اللُّغَةُ واللُّسَانُ اللِّسَانَ إِلَّا بِتَرْجَمَانٍ.

والعقيق خارج المدينة ولَمَّا رَأَاهَا رسول الله (ﷺ) قال: «لو علمنا بهذه أولاً لكانت المنزل» وقصر عروة بن الزبير بالعقيق، وسُئِلَ بعضهم لِمَ سَمَّيَ العقيق عقيقاً؟ قال: لأنَّ سبيله عَقَّ في الحَرَّةِ، وبها الجَمَّاءُ الثلاث: [فمنها جماء تُضَارِعُ التي تسيل إلى قصر أم عاصم وبئر عروة وما وإلى ذلك وفيه يقول أحيحة بن الجلاح:

إنِّي والمشعر الحرام وما حجت قريش له وما تحروا
لا آخذ الخُطَّةَ الدُّنْيَا دَامَ يُرَى مِنْ تَضَارِعِ حَجَرٍ

ومنه مُكِمَّنِ الجَمَاءُ وفيه يقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

عفا مَكَمَّنِ الجَمَاءُ مِنْ أُمِّ عَامِرٍ فَسَلِّعْ عَفَا مِنْهَا فَحَرَّةً وَاقِمِ

ثم الجَمَاءُ الثَّانِيَّةُ: جَمَاءُ أُمِّ خَالِدٍ التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفري وما والاه. وفي أصلها بيوت الأشعث من أهل المدينة، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلي - وفيقاء الخبر من جماء أم خالد.

والجَمَاءُ الثَّالِثَةُ: جَمَاءُ العَاقِرِ وبها بئر رومة - ويقال أرومة - وبئر أريس وبئر بضاعة. وبينها - جَمَاءُ العَاقِرِ - وبين جَمَاءُ أُمِّ خَالِدٍ فَسْحَةٌ، وهي تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاه. وإحدى هذه الجَمَّاءُ أراد أبو قطفية بقوله:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون
إلى البلاد فما حازت قرائنه دور نَزَحْنَ عن الفحشاء والهون
قد يكتُم الناس أسراراً وأعلمها وليس يدرون طول الدهر مكنوني^(١)

(١) عن معجم البلدان ٢: ١١١ - ١١٢ (الجماء). وقد صرح بنقلها عن ابن الفقيه.

ويقال: إن ماء بئر رومة أعذب ماء بالعقيق، وفي العقيق وقصوره وأوديته
وحراره أخبار كثيرة. وللزبير بن بكار فيه كتاب مفرد^(١).

[خاخ: في حدود العقيق، وهو بين الشوطي والناصفة.

قال الأحوص بن محمد:

طربت وكيف تطرب أم تصابي ورأسك قد توشج بالقتير
لغانية تحل هضاب خاخ فأسقف فالدوافع من حضير

خفية: في أرض العيق بالمدينة قال الشاعر:

ونزل من خفية كل وادٍ إذا ضاقت بمنزله النعيم

العشيرة: من أودية العقيق. قال عروة بن أذينة:

يا ذا العشيرة قد هجت الغداة لنا شوقاً وذكرتنا أيامك الأولا
ما كان أحسن فيك العيش مؤثناً غصاً وأطيب في آصالك الأصلا

ذو الضروبة ثم ذو الغراء: من عقيق المدينة قال أبو وجزة:

كأنهم يوم ذي الغراء حين غدت نكباً جمالهم وللين فاندفعوا
لم يصبح القوم جيراناً فكل نوى بالناس لا صدع فيها سوف ينصدع

الجنينة: موضع بالعقيق^(٢).

وفي عالية المدينة: قبا. ومما يلي الشام: خبير، ووادي القرى، وتيماء،
ودومة الجندل، وفدك، - وهو أقربها إلى المدينة -.

(١) ذكر ابن النديم ١٢٣ أن للزبير بن بكار كتاباً باسم (كتاب العقيق وأخباره).

(٢) ما بين العضادين مواد نص ياقوت على أن ابن الفقيه قد ذكرها في كتابه - وياقوت ينقل عن أصل كتاب البلدان - فأثرنا وضعها في موضعها وهي في معجم البلدان حسب تسلسل ورودها هنا (٢: ٣٨٥ و ٤٥٧، ٣: ٦٨٢ و ٧٧٩. وفي المشترك وضعاً والمفترق صقلاً (١٠٩ و ١٥٨) حيث ذكر مادتي (باب الجنينة) و (خفية).

ومن عمل المدينة: مُرَّان، وقُبا، والدثينة - ويقال الدفينة - وفلجة، وضريبة، وطخفة، وإمرة، وأضاح، ومعدن الحسن، وبثر غرس بقبا، وبثر بضاعة بالمدينة، وكانوا يستشفون بمائها.

[عبلاء البياض: موضعان من أعمال المدينة وعبلاء الهرد. والهُرْد نبت به يصبغ أصفر.

غمرة: من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاها النبي (ﷺ) عكاشة بن محصن.

فأما أعراض المدينة فأضخمها الفرع وبه منزل الوالي وبه مسجد صلى به النبي (ﷺ) [١].

الفرق بين تهامة والحجاز

قال الأصمعي: إذا خلقت عَجَلْرًا مُضْعَدًا فقد أنجدت، فلا تزال منجداً حتى تنحدر في ثنايا ذات عِرْقٍ، فإذا فعلت ذلك فقد اتهمت، وإنما سمي الحِجَاز حجازاً لأنه يحجز بين تهامة ونجد. وقال ابن الأعرابي، الجزيرة ما كان فوق بَقَّة، وإنما سميت الجزيرة لأنها تقطع الفرات ودجلة، وبعد تقطع البر، وإنما سميت المَوْصِل لأنها وصلت بين الجزيرة والشام. وقال ابن الكلبي: الحجاز ما يحجز بين تهامة والعروض، وما بين اليمن ونجد. وقال جعفر: أودية نجد تسيل مشرقة وأودية تهامة تسيل مغربة وقد قيل: فرق ما بين الحجاز ونجد أنه ليس بالحجاز غصاً فما أنبت الغصا فهو نجد وما أنبت الطلح والسمر والأسل - وواحد أسلة - فهو حجاز وقال الأصمعي: طرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج، وأول تهامة من قبل نجد ذات عِرْق. وقالوا: طول تهامة ما بين جبل السَّراة إلى شط البحر، وطول الحجاز من حدّ العرج إلى السَّراة فطائف. والمدينة من نجد وأرض اليمامة والبحرين إلى عمان من العروض وتهامة تسائر البحر.

(١) ما بين العضادتين من معجم البلدان ٣: ٦٠٨، ٨١٤، ٨٧٨.

لَزِينَةُ: واد طوله عشرون يوماً في نجد وأعلاه في السراة ويسمى عقيق تمرّة.
السقيا: من أسافل أودية تهامة.

شِعْر: جبل بالحمى، ويوم شِعْر بين بني عامر وغطفان عطش يومئذ غلام
شاب يقال له الحكم بن الطفيل فخشي أن يؤخذ فخنق نفسه فسمي يوم التخانق.
قال البريق الهذلي:

سقى الرحمن حَزْمَ ينابيع من الجوزاء أنواء غزارا
بمرتجز كأن على ذراه ركاب الشام يحملن البهारा
يحط العصم من أكناف شعر ولم يترك بذي سلع خماراً^(١)



مركز تحقيقات كلّوب ودراسات
تاريخ اللغة العربية

(١) ما بين العضادتين من معجم البلدان ٢: ٩٦٨ و ٣: ١٠٤.

القول في اليمامة

سميت اليمامة بامرأة من طسّم بنت مُرّة، وكانت منازل طسّم وجديس اليمامة وما حولها إلى البحرين، ومنازل عاد الأولى الأخفاف وهو الرمل ما بين عمان إلى عَدَن، وكانت مساكن غسان بيثرب، ومساكن أميم بالرمل، ومساكن جرهم بتهائم اليمن، ثم لحقوا بمكة فنزلوا على إسماعيل، وكانت منازل العمالق موضع صنعاء اليوم ثم خرجوا فنزلوا مكة، ولحقت طائفة منهم بالشام ومصر، وتفرقت طائفة منهم في جزيرة العرب إلى العراق؛ ويقال: إن فراعنة مصر كانوا من العمالق منهم فرعون إبراهيم (عليه السلام) واسمه سِتّان بن عَلاوان، وفرعون يوسف اسمه الرّئان بن الوليد وفرعون موسى اسمه الوليد بن مصعب، وملك الحجاز رجل من العمالق يقال له الأرقم، وكان الضحّاك من العمالق غلب على ملك العجم بالعراق وهو فيما بين موسى وداود.

صفة اليمامة وأوديتها

اليمامة واديان يصبّان من مهبّ الشمال، ويفرغان في مهبّ الجنوب، وعيون اليمامة كثيرة فيها عين يقال لها الحَضْرَاءُ، وعين يقال لها الهَيْتُ، وعين بجوّ تجري من جبل يقال له الرّام، وهو جبل معترض مطلع اليمامة يحول بينها وبين يثربين والبحرين والدّوّ والدّهناء؛ ويجوّ عين يقال لها الهَجْرَة ولا يُشْرَب ماؤها لخبثه، وبالمَجَازَة نهران وبأسفلها نهر يقال له سَنِحُ الغَمَر، وبأعلاها قرية يقال لها نَعَام، بها نهر يقال له سَنِحُ نَعَام، وأول ديار ربيعة باليمامة مبدأها من أعلاها أوّلها دار هَزّان قال: واليمامة لبني حنيفة، والبحرين لعبد القيس، والجزيرة لبني تغلب، وذات السُّوع قصر باليمامة، والمُشَقَّر فيما بين نَجْران والبحرين، ويَبِيلُ حَجَرٍ عليه

قصر مشيد عجيب من بناء طسم، ومُعْنَق قصر عُيَيْد بن ثعلبة وهو أشهر قصور
 اليمامة من بناء طسم على أكمة مرتفعة، والثُّمْلِيَّة حصن من حصون طسم، ويقول
 أهل اليمامة: غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال: ليس في الدنيا
 أحسن ألواناً من نساتنا، ولا أطيب طعاماً من حنطتنا، ولا أشد حلاوة من تمرنا،
 ولا أطيب مضغة من لحمنا، ولا أعذب من مائنا، فأما قولهم في نساتهم فإنهم
 ذُرَيَات الألوان كما قال ذو الرُّمَّة:

كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

وكقول امرئ القيس:

كَيْكَرِ الْمُقَانِاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ

وذلك أحسن الألوان، ويقال لا تبلغ مولدة مائة ألف درهم إلا يمامية، وأما
 حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة وهي عذري لا سقي، يُحْمَلُ منه إلى الخلفاء، وأما
 تمره فلو لم يعرف فضله إلا أن التمر ينادي عليه بين المسجدين: يمامي اليمامة،
 يمامي اليمامة، فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي، وبها أصناف الثور،
 وبها نخلة تسمى العُمرة، ويقال إنها نخلة مَرِيَم، وجمعها العُمَر، والجُدَامِيَّة تمر
 ينفع من البواسير والصفرقان - تمره سوداء طيبة - والحَصْرِيَّة، والهَجْنَة، والبُرْدِيَّة،
 والصفراء، والقَعْقَاعِيَّة، واللَّصْف، والصفراء، والتَّغْضُوض، والعُمَانِيَّة،
 والجعاب، والمُرِّيَّة، وخَرَائِفُ بني مسعود، والصفَرَان، والرُّغْرِيَّة، والصَّنْغَانَة،
 وزُبُّ رَبَّاح: يقال في المثل: الدُّمْنُ زُبْدُ بَرْب، وصرْفَان، جلاجِل، والخيَل، هذه
 كلها تمر اليمامة ألوان ملوثة. قالوا: أجود تمر عمان: الفرض، والبَلْعَق،
 والمَحْبُوت، وأجود تمر اليمامة: البُرْدِيَّة، والزَّرْقَاء، والجُدَامِيَّة. وأجود تمر
 البحرين: التَّغْضُوض. والمُكْرِيَّة، والآزاد. وأجود تمر الكوفة: الزُّرِّيَّان،
 والسابريَّة. وأجود تمر البصرة: الآزاد، والقَرِيَّاء. وأما لحم اليمامة فإنه يطيب
 لطيب مراعيهم وماؤهم نمير يجلو البلغم وينقي الصدر، وفيها قالت الشعراء: أرقُّ
 من ماء اليمامة واليمامة صُرَّة نجد ومدينة نجد حجر.

[إصاد: من أودية العلاء من أرض اليمامة]^(١).

[الخضارم: حَجَر، مصر اليمامة ثم جَوَّ وهي الخضرمة وهي من حجر على يوم ليلة وبها بنو سحيم وبنو ثمامة من حنيفة]^(٢).

[العرايس: من جبال الحمى.

عنيزة: من أودية اليمامة قرب سَواج.

عِيهم: جبل بنجد على طريق اليمامة إلى مكة، قال جابر بن حنّي التغلبي:

ألا يا لقومي للحديد المصَرَم وللحلم بعد الزلة المتوَقَّم
وللمرء يعتاد الصبابة بعدما أتى دونها ما فرط حول مُجَرَّم
فيا دار سلمى بالصريمة فاللوى إلى مدفع القيقاء فالمتلثم
أقامت بها بالصيف ثم تذكرت منازلها بين الجواء فعيهم]^(٣)



مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية

(١) عن معجم البلدان ١ : ٢٩ .

(٢) عن معجم البلدان ٢ : ٤٥٠ ولا نعلم إن كانت بنية الكلام المذكور في المعجم بعد هذا تابع لكلام ابن الفقيه، أم منقول عن أحد كتب الأصمعي بصورة مباشرة.

(٣) عن معجم البلدان ٣ : ٦٣٢ ، ٧٣٨ ، ٧٦٦ .

القول في البحرين

قال أبو عبيدة: بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام، وبين هَجَر مدينة البحرين وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل، وهي الحَطُّ، والقَطِيف، والآرَةُ، وهَجَر. والبيثونة، والزارة، وجوانا، والسابور، ودارين، والغابة، وقصبة هجر الصفا، والمشقر، والشبعان، والمسجد الجامع في المشقر؛ وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين، ومن قرى البحرين: الحوس، والكثيب الأكبر، والكثيب الأصغر، وأرض نوح، وذو النار، والمالحة، والدرايب، والبدي، والخزسان، والسهلة، والحوجر، والوجير، والطربال، والمُسلخ، والمرزي، والمطلع، والشسط، والقزحاء، والرميلة، والبحرة، والرجراجة، والعرجة، فهذه قرى بني مُحارب بن عمرو بن وديعة؛ وقرى بني عامر بن الحارث بن أئمار بن عمرو بن وديعة أضعاف هذه. وبين مكة واليمن عشرون يوماً.

[سفار: بلد بالبحرين]^(١).

الحُزُون

قال أبو عبيدة: الحَزْنُ ما بين زُبالة فما فوق ذلك مُصْعداً في بلاد نجد، وقال أبو سعيد الضَّرِير: الحُزُون ثلاثة: حَزْنُ بني جَعْدَةَ وهم من ربيعة، ثم حَزْنُ يَزْبُوع، ثم حَزْنُ بني غاضِرَة. وأما واقِصَةُ فهي واقِصَةُ الحُزُون وهي دون زُبالة، وإنما سُميت واقِصَةُ الحُزُون لأن الحُزُون أطافت بها من كل ناحية.

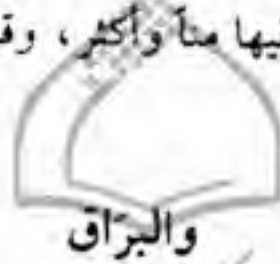
(١) عن معجم البلدان ٣: ٩٦.

والحرّات

في بلاد العرب ثمانية: حرّة بني سُليم وهي سوداء، وحرّة نُفْلَف، وحرّة بني هِلّال، وحرّة النار، وحرّة لَيْلَى، وحرّة راجِل، وحرّة واقِم، وحرّة ضَرُغْد.

والسّروات

ثلاث: سرّاة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف وأقصاها قرب صنعاء، والسروات أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب، وعلى نجد من المشرق؛ والطائف من سرّاة بني ثَقِيف وهو أدنى السروات إلى مكّة، ومعدن البرم هي السراة الثانية بلاد عَدَوَان في بريّة العرب وبها معدن البَلُور، وهو أجود ما يكون في صفاء الماورّد تُوجد القطعة فيها منّا وأكثر، وقال الكِنْدِيُّ: رأيت قطعة فيها مائة منّا.



والبراق

بُرْقة مُنشد ما بين بني تميم وبين بني أسد، وبُرْقة تُهمد لبني دارم، وبرقة ضاحك لبني دارم، وأبرق العزّاف لبني أسد، وأبرق الحنّان لبني فزّارة، وإنما سمي أبرق العزّاف لعزف الجنّ بها والحنّان لأنه يسمع الحنين بها، وأبرق النّغار لطبيّة وغشّان، وأبرق الرّوّحان.

والدارات

في بلاد العرب سبع عشرة دارة، قال ابن حبيب: الدّورُ جمع دارة وكلُّ أرض اتّسعت فأحاطت بها الجبال في غلظ أو سهولة فهي دارة فمن ذلك: دارة شَجِي، ودارة جُلْجُل، ودارة رَقْرَق، ودارة مَكَمَن، ودارة الجُمْد، ودارة الدّور، ودارة الكُور، ودارة قِطْقِط، ودارة صُلْصُل، ودارة الجّاب، ودارة العليق، ودارة ماسل، ودارة الخرج، ودارة رَهْبِي، ودارة حَيْقُور، والبُهرَة مثل الدّارة لأن البهرة تكون في سهولة وغلظ جميعاً.

القول في اليمن

قال الكلبي: سميت اليمن لأن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح أقبل بعد خروج ثلاثة عشر ذكراً من ولد أبيه، فنزل موضع اليمن فقالت العرب: تيمّن بنو يقطن فسميت اليمن ويقال بل سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة ولما جاء أهل اليمن قال رسول الله (ﷺ): قد جاءكم أهل اليمن أرق قلوباً منكم وهم أول من جاءنا بالمصافحة. وقال: «الإيمان يمان والحكمة يمانية والإسلام يمان» وقال: «أهل اليمن زين الحاج» وقال مجاهد في قول الله عز وجل ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال: سني اليمن قال: وقدم رجل على النعمان بن المنذر فقال: أخبرني عن أهل اليمن فقال: أكثر الناس سيئاً وأكثرهم جمعاً. قال: فأخبرني عن بني عامر قال: أعجاز النساء وأعناق الظباء. قال: فتميم! قال: حَجَرٌ إن وقعت عليه آذاك، وإن وقع عليك أذي. قال رسول الله (ﷺ): «إذا تعذر على أحدكم الملتمس فعليه بهذا الوجه» وأشار إلى اليمن. وفي قوله عز وجل ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ الآية قال: هم أهل اليمن، وفضائل كثيرة. ر

قال: فاليمن ثلاثة وثلاثون منبراً قديمة، وأربعون مُحدثة، وسميت صنعاء بصنعاء بن أزال بن يقطن، وهو الذي بناها. وفي قوله عز وجل: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ قال: صنعاء. وقوله عز وجل ﴿عُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: كان سليمان بن داود (عليه السلام) يغدو من إصطخر ويروح بصنعاء ويستعرض الشياطين بالرّي. قال: وصنعاء أطيب البلدان، وهي طيبة الهواء كثيرة الماء، يُشتون مرتين، ويُصيفون مرتين، [وكذلك أهل فران ومارب وعدن والشحر. وإذا

صارت الشمس إلى أول الحمل ، صار الحر عندهم مفرطاً . فإذا صارت إلى أول السرطان وزالت عن سمت رؤوسهم أربعة وعشرين ، شتوا . ثم تعود الشمس إليهم إذا صارت إلى أول الميزان فيصيفون ثانية ويشتد الحر عليهم . فإذا زالت إلى الجنوب وصارت إلى الجدي شتوا ثانية ، غير أن شتاءهم قريب من صيفهم . وكان في ظفار وهي صنعاء كذا .

وظفار مشهورة على ساحل البحر ولعل هذه كانت تسمى بذلك قريب من القصور : قصر زيدان وهو قصر المملكة ، وقصر شوحطان ، وقصر كوكبان وهو جبل قريب منها وقد ذكر في موضعه .

وكان لمدينة صنعاء تسعة أبواب وكان لا يدخلها غريب إلا بإذن . كانوا يجدون في كتبهم أنها تخرب من رجل يدخل من باب لها يسمى باب حقل . وكانت مرتبة صاحب الملك على ميل من بابها وكان من دونه إلى الباب حاجبان بين كل واحد إلى صاحبه رمية سهم . وكانت له سلسلة من ذهب من عند الحاجب إلى باب المدينة ممدودة وفيها أجراس ، متى قدم على الملك شريف أو رسول أو يريد من بعض العمال حركت السلسلة فيعلم الملك بذلك فيرى رأيه^(١) .

وأهل الحجاز واليمن يُنمطرون الصيف كله ، ويخصبون في الشتاء فيُمنطر صنعاء وما والاها في حزيران وتُثوز وآب وبعض أيلول من الزوال إلى المغرب ، يُلقي الرجل الآخر منهم فيكلمه فيقول : عجل قبل الغيث لأنه لا بُد من المطر في هذه الأيام . وكان ابن عباس يقول : مُجاهد عالم أهل الحجاز ، وسعيد بن جبير عالم أهل العراق ، وطاؤوس عالم أهل اليمن ، ووهب عالم الناس .

وباليمن من أنواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة ، وقد تفاخرت الروم وفارس بالبنيان وتنافست

(١) عن معجم البلدان ٣ : ٤٢٢ والقزويني ص ٥٠ . ولا تعلم إن كان الكلام الذي يليه في المعجم تابع لكلام ابن الفقيه أم لا ويبدأ بقوله : وقال أبو محمد البزدي (وهو يحيى بن المبارك المتوفى عام ١٨٠ هـ) .

فيه، فعجزوا عن مثل عُمدان، ومأرب، وحَضْرَمَوْت، وقصر مَسْعُود، ومُدَّ
لُثْمَان، وسَلْحِين، وصِرَواح، ومرواح، وبَيْثُون، وهِنْدَة، وهَنْيْدَة، وفَلْثُوم، بَرْيْدَة
قال:

أَبْعَدَ بَيْثُونٌ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ وَبَعْدَ سَلْحِينِ يَنْبِي النَّاسُ بُيُوتَنَا

وبصنعاء عُمدان قصر عجيب قد بُني على أربعة أوجه: وجه بالجروب
الأبيض، ووجه بالجروب الأصفر، ووجه بالجروب الأحمر، ووجه بالجروب
الأخضر، - والجروب الحجارة - وابنتي في داخله على ما أُنقن من أساسه قصراً
على سبعة مسقوف، بين كل سقفين أربعون ذراعاً، وسقفه من رخامة واحدة،
وجُعل على كل ركن تمثال أسد من شَبَه كَأَعْظَم ما يكون من الأسد، فكانت الريح
إذا هبت من ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت جوفه من دُبُرِه، ثم خرجت من
فيه، فَيُسْمَع له زئير كزئير الأسد. وكان يأمر بالمصاييح فتسرج في بيوت الرخام
إلى الصبح، فكان القصر يلمع من ظاهره كل مع البرق، فإذا أشرف الإنسان ليلاً
قال: أرى بصنعاء برقاً شديداً ومظراً كثيراً، ولا يعلم أن ذلك من ضوء السُّرُج،
فكان كذلك حتى أُحرق؛ وعلى ركن من أركانه مكتوب: إِمْلَمَ عُمدَانُ هَادِمُكَ
مقتول، فهدمه عثمان بن عفان فقتل. وقالوا: إن الذي بناه سليمان بن داود وذلك
أنه أمر الشياطين أن يبنوا لبَلْقِيس ثلاثة قصور بصنعاء أحدها عُمدان وسَلْحِين
وبَيْثُون وفيها يقول الشاعر:

هَلْ بَعْدَ عُمدَانٍ أَوْ سَلْحِينٍ مِنْ أَثَرٍ وَبَعْدَ بَيْثُونٍ يَنْبِي النَّاسُ بُيُوتَنَا

وقال أبو عُبَيْدَة: لأهل اليمن أربعة أشياء ليست لغيرهم: الركن اليماني في
القبلة، وسُهَيْل اليماني في السماء، والبحر اليماني في الجور، واليمن في البلدان،
ولهم الخطُّ المُسَنَّد، وعَقْد الجُمْل، والحساب، والخطُّ الحميري؛ وقال الكلبي:
علوج مصر القبط، وعلوج الشام جَرَاخِمَة، وعلوج الجزيرة جَرَامِقَة، وعلوج
السواد نبط، وعلوج السند مَبَايِجَة، وعلوج عمان المَزُون، وعلوج اليمن سَامِرَان؛
ويُخَمَل العقيق من مخاليف صنعاء وأجوده ما أتى به من معدن يسمَّى مُقَرِّي، وقرية

أخرى تسمى الهام، وجبل يقال له قُساس، فيُعمل بعضه باليمن، ويحمل بعضه إلى البصرة R وحدث يزيد بن هارون^(١) عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): قال لي جبرئيل: يا محمد تختّم بالعقيق، فقلت: وما العقيق؟ قال: جبل باليمن يشهد لله بالتوحيد، ولي بالرسالة، ولك بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولذريته بالإمامة، ولشيعتهم بالجنة R وبها معدن الجزع وهو أنواع، وجميع هذه الأنواع يؤتى بها من معدن العقيق، وأجود هذه الأنواع البقراني وأثمنها، ومنه: العرواني، والفارسي، والحبشي، والمعسل، والمعرق، وقال الأصمعي: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الؤرس، والكُنْدُر، والخطِر، والعصب، فأما المعرق من الجزع فإنه يتخذ منه الأواني لكبره وعظمه، ولهم الحُلل اليمانية والثياب السعيدية والعَدَنِيَّة والشبُّ اليماني وهو ماء ينبع من قلة جبل فسيل على جانبه قبل أن يصل إلى الأرض فيجمد، فيصير هذا الشبُّ اليماني الأبيض؛ ولهم الؤرس وهو شيء يسقط على الشجر كالترنجبين؛ ولهم البُتْك ويقال إنه من خشب أم غيلان، ومن أبيضها القشيب الذي يقال له:

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ الْقَشِيبِ

وعن مكحول قال: أربعة مدن من مدن الجنة: مكة، والمدينة، وإيلياء، ودمشق. وأربعة من مدن النار: أنطاكية، والطَّوَّانَة، وتسطنطينية، وصنعاء. وبها سدُّ أسعد الملك وهو سدٌّ بين جبلين، بحجارة مربعة منقّشة بين الحجرين عمود من حديد من الأسفل إلى الأعلى، وقد رصّص ما بين الجبلين مقدار ميلين، وسمكه ثلثمائة ذراع، تنصبُّ إليه أودية وأنهار فيرتفع الماء حتى يسقوا مزارعهم وحدائقهم، وهو أعجب سدٍّ في الأرض، مكتوب عليه بالمسند أشياء كثيرة. ومن عجائب اليمن القردة وهي بها كثيرة جداً، وفيهم قرد عظيم، في عنقه لوح يقال إنه عهد من سليمان بن داود صلى الله عليه وعلى سيدنا محمد، ويقال: إن هذه القردة

(١) حافظ معروف من حفاظ الحديث توفي عام ٢٠٦ هـ. انظر ترجمته في المعبر ١: ٢٧٤ وجامع الرواة للأردبيلي ٢: ٣٥٤. وتذكرة الحفاظ ١: ٣١٧.

وكلهم سليمان بحفظ شياطين محبسين في هذه الناحية من الجن ومن عجائبهم العُدَّار وهو شيطان يتعرَّض للنساء والرجال منهم، وله أير كالقرن صلابة فيجامعه في دبره فيموت من ساعته، وفي المثل: ألوط من عُدَّار وباليمن قرية وبَّار وهي مسكن الجن، وهي أخصب بلاد الله وأنزهها، لا يقدر أحد على الدنو منها من الأنس، وقال أبو المُنْذِر: وبَّار ما بين نَجْران وحضرموت، وزعمت العرب أن الله حين أهلك عاداً وثموداً أن الجن سكنت في منازل وبار وحمتها من كل مَنْ أرادها، وأنها أخصب بلاد الله، وأكثرها شجراً، وأطيبها تمرأً ونخلأً وغنأً وموزأً، فإن دنا اليوم من تلك البلاد إنسان متعمداً أو غالطاً حثوا في وجهه التراب، فإن أبى إلا الدخول خبَّلوه، وربما قتلوه، وزعموا أن الغالب على تلك البلاد الجن والإبل الحوشية - والحوش من الإبل عندهم التي قد ضرب فيها فحول إبل الجن وهي من نسل إبل الجن - والهندية، والمهرية، والعسجدية، والعمانية، هذه كلها قد ضرب فيها الحوش قال ذو الرُّمَّة:

جَرَتْ رَدَايَا مِنْ بِلَادِ الْحُوشِ

قال بعضهم: قدمنا البحرين فلحقنا أعرابي على ناقه له صغيرة قد أكل الجرب جنبها ومعنا إبل لم ير الناس مثلها فقلنا: يا أعرابي أتبيع ناقتك ببعض هذه الإبل؟ قال: والله لو أعطيتُموني بها جميع إبلكم كلها ما بعْتُكم. قلنا: فلك مائة دينار، فأبى. فقلنا: ألف دينار، فأبى، ونحن في كل ذلك نهزأ به فقال: لو ملأتم جلودها ذهباً ما بعْتُكم. قلنا: فأرنا من سيرها شيئاً. قال: نعم؛ فسرنا فإذا نحن بحمير وحش قد عنت فقال: أي الحمير تريدون أعرضه لكم؟ فقلنا: نريد غير كذا؟ فغمزها ثم زجرها فمرت ما يُرى منها شيء حتى لحقت الحمير ثم تناول قوسه فرمى فلم يُخطِ الحمار، فلم يزل يرشقه حتى صرعه ولحقناه وقد ذبحه، فلما رأينا ذلك ساومناه بجدة فقال: ليس عندي من نسلها إلا ابن لها وابنة ولا والله لا أبيعها أبداً بشيء.

وبأرض وبَّار التَّنَّاس^(١) ويقال: إن لهم نصف رأس وعين واحدة ويصادون

(١) في أخبار الزمان ٣٨ (التنناس وهو كمثل نصف الإنسان بيد واحدة ورجل واحدة ويشب =

فيؤكلون. قال: وهو شيء له وجه كوجه الإنسان وإنما له يد ورجل في صدره، ويتكلمون وهم في غياض هناك وباليمن جبل فيه شق يقال له شَمَخ، يدخل منها الرجل الضخم حتى ينفذ إلى الجانب الآخر ما خلا ولد الزنا فإنه يضيق عليه حتى لا يقدر أن ينفذ منه.

قال المدائني: كان أبو العباس السفاح أبو الخلفاء يعجبه منازعة الناس، فحضر ذات ليلة إبراهيم بن مخرمة الكندي وناس من بلحارث ابن كعب وكانوا أخواله، وخالد بن صفوان فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين إن اليمن الذين هم العرب الذين دانت لهم الدنيا، لم يزالوا ملوكاً وأرباباً ووزراء الملك منهم: الثُّعَمَانَات والمُنْدَرَات والقابوسات، ومنهم غاصب البحر، وحمي الدُّبُر وغسيل الملائكة، ومنهم من اهتز لموته العرش، ومكلم الذئب^(١)، ومنهم البذاخ والفتاح والرماح، ومن له مدينة الشعر وبابها، ومن له أقالم الوقاء ومفاتحها، ومنهم الخال الكريم صاحب البؤس والنعيم، وليس من شيء له خطر إلا إليهم يسب، من فرس رائع، أو سيف قاطع، أو درع حصينة، أو حلة مصونة، أو دُرّة مكنونة، وهم العرب العاربة وغيرهم متعربة. قال أبو العباس: ما أظن التميمي يرضى بقولك، ثم قال: ما تقول أنت يا خالد؟ قال: إن أذنت لي في الكلام تكلمت، قال: تكلم ولا تهب أحداً. قال: أخطأ المتقخم بغير علم، ونطق بغير صواب، وكيف يكون ذلك لقوم ليست لهم ألسن فصيحة، ولا لغة صحيحة، ولا حجة نزل بها كتاب، ولا جاءت بها سنة،

= وثباً ويعدو عدواً شديداً وكان ببلاد اليمن وربما كان ببلاد العجم والعرب تصيده وتأكله).

انظر عنه معجم الحيوان للمعلوف ص ١٦ عن الأساطير المتعلقة بحيوانات شبيهة به.

(١) غاصب البحر إشارة إلى الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً - كما في سورة الكهف الآية ٧٨.

وقال دي خويه في هامش تحقيقه لمختصر البلدان أن حمي الدبر هو عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. ومعروف أن غسيل الملائكة هو حنظلة بن أبي عامر. ومن اهتز العرش لموته هو سعد بن معاذ وفي خبر أنه خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين). ومكلم الذئب هو اهبان بن عياذ.

ولأنهم منا لعلى منزلتين، إن جازوا حُكْمَنَا قُتِلُوا، وإن جاروا عن قصدنا أَكَلُوا، يفخرون علينا بالنعمانات والمنذرات والقابوسات وغير ذلك ممّا سيأتي، ونفخر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام محمّد عليه السلام، فله به المنة علينا وعليهم، لقد كانوا أتباعه به عُرِفُوا، وله أكرموا، فمنّا النبيّ المصطفى والخليفة المرتضى، ولنا البيت المعمور والمشعر الحرام وزمزم والمقام والبطحاء مع ما لا يُحصى من المآثر، فليس يعدل بنا عادل، ولا يبلغنا قول قائل، ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوليّ والسبطان وأسد الله وذو الجناحين وسيف الله، وبنا عرفوا الدين، وأتاهم اليقين، فمن زاحمنا زاحمناه، ومن عادانا اصطلمناه.

ثم أقبل خالد على إبراهيم فقال: أعالم أنت بلغة قومك؟ قال: نعم. قال: فما اسم العين؟ قال: الجحمة. قال: فما اسم السن؟ قال: الميذر. قال: فما اسم الأذن؟ قال: الصنارة. قال: فما اسم الأصابع؟ قال: الشنائر. قال: فما اسم اللحية؟ قال: الزب. قال: فما اسم الذئب؟ قال: الكتع. قال: أفعالم أنت بكتاب الله؟ قال: نعم. قال: فإن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ فنحن العرب والقرآن علينا أنزل بلساننا، ألم تر أن الله عز وجل يقول ﴿وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ﴾ ولم يقل الجحمة بالجحمة، والصنارة بالصنارة، والميذر بالميذر، وقال: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ ولم يقل شنائرهم في صناراتهم، وقال: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِخِيِّي﴾ ولم يقل بزبي، وقال: ﴿أَكَلَهُ الذَّئْبُ﴾ ولم يقل أكله الكتع.

ثم قال خالد: إني أسألك عن أربع خصال لا يجعل الله لك منها مخرجاً، إن أقررت بهن فُهرت، وإن جحدت بهن كفرت، قال: وما هي؟ قال: الرسول (ﷺ) منا أو منكم؟ قال: بل منكم. قال: القرآن علينا أنزل أو عليكم؟ قال: بل عليكم. قال: فالبيت لنا أم لكم؟ قال: بل لكم. قال: فالمنبر لنا أم فيكم؟ قال: بل فيكم. قال: فاذهب فما كان بعد هذا فهو لكم. قال: فغلب خالد إبراهيم فأكرم أبو العباس خالدًا وحباهما جميعاً، فقام خالد وهو يقول ما أنتم إلا سائس قرد، أو

دابغ جلد، أو ناسج بُرد، ملكتكم امرأة وغرقتكم فارة ودلّ عليكم الهُدُود.

[شَبَام: جبل عظيم بقرب صنعاء بينها وبينه يوم واحد، وهو صعب المرتقى ليس إليه إلا طريق واحد. وذروته واسعة فيها ضياع كثيرة ومزارع وكروم ونخيل والطريق إليها في دار الملك. وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك، فمن أراد النزول إلى السهل استأذن الملك حتى يأذن بفتح الباب له. وحول تلك الضياع والكروم جبال شاهقة لا تسلك ولا يعلم أحد ما وراءها إلا الله. ومياه هذا الجبل تنسكب إلى سدّ هناك، فإذا امتلأ السدّ ماءً فتح ليجري إلى صنعاء ومخاليقها.

وبها جبل كوكبان، إنه بقرب صنعاء عليه قصران مبنيان بالجواهر يلمعان بالليل كالكوكبين ولا طريق إليهما. قيل إنهما من بناء الجن.

وبار: كانت أكثر الأرضين خيراً وأخصبها ضياعاً وأكثرها شجراً ومياهاً وثمرات، فكثرت بها القبائل وعظمت أموالهم. وكانوا ذوي أجسام، فأشروا وبطروا لم يعرفوا حق نعم الله تعالى عليهم، فبدّل الله تعالى خلقهم وصيّرهم نساناً لأحدهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة. فخرجوا يرعون في تلك الغياض على شاطئ البحر كما ترعى البهائم، وهم فيما بين وبار وأرض الشحر وأطراف اليمن يفسدون الزرع فيصيدهم أهل تلك الديار بالكلاب، ينفرونهم عن زروعهم وحدائقهم^(١).

(١) ما بين عضادتين نقلناه عن آثار البلاد الذي نصّر على أنه قد نقله عن ابن الفقيه. انظر ص ٦٣ و٦٨.

باب في تصريف الجدة إلى الهزل والهزل إلى الجد

قال منصور بن عمار^(١): خرجت في ليلة قد قيّدت العيون ظلامها، وأخذ بالأنفاس حنّدها، فما يُسمع إلا غطيط. ولا يُحسّ إلا نباح، فوجدت في بعض أبواب أهل الدنيا الذين قد سحّروهم زُخرفها، وراقهم زبرجها، وشغف قلوبهم بهجتها، رجلاً واقفاً وهو يقول بصوت لم يسمع أحسن منه ولا أشجى لقلب ولا أفرح لكبد ولا أبكى لعين:

أنا المُسيءُ المُذنبُ الخاطي المُفْرِطُ اليِّنُ إفراطي
فلإن تُعاقِبَ كُنْتُ أَفْلاً لهُ وأنتَ أَفْلُ العَفْوِ عَنْ خاطي

فلا والله أن ملكت نفسي، وتذكرت ما سلف من ذنوبي، ووقفت كالواله المرعوب الحائر قد امتلأت من الله خوفاً، وعملت على أني قد أحرزت وعظاً فقلت: أيها القاتل ما أسمع والباكي على ما سلف زدنا من هذا، فإن دواءك قد وافق داء قديماً فعسى أن يشفيه، فزاد في صوته بترجيع قوله الذي قرح، قلبي وذكرني ذنبي، ثم قال:

يا ساحِراً أَوْرَطَنِي حُبُّهُ وعِشْقُهُ فِي شَرِّ إِيراطِ

قلت: قبحك الله واعظاً وترّحك، وآجرني على وقفتي عليك وطلبي منك، وأنت تطيع الشيطان وتعصى الرحمان، ثم قلت: اللهم اغفر لي وتب عليه.

وقال عوف بن مسكين: سمع الربيع بن خثيم في جوف الليل رجلاً يقول:

(١) عن منصور بن عمار انظر فهرست ابن النديم ص ٢٣٦.

بَعْفُوكَ يَسْتَكِينُ وَيَسْتَجِيرُ عَظِيمُ الذَّنْبِ مِسْكِينُ فَقِيرُ
رَجَاكَ لَعْفُ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ وَأَنْتَ عَلَى الَّذِي يَرْجُو قَدِيرُ

فقال الربيع: أسألك بحق من ترجوه لما تريد إلا رددت ما تقول، فجعل
يردده، فقال الربيع: زدني يرحمك الله فقال:

فَقَدْ عَلِمَ الْإِلَهُ بِمَا الْإِقْيَ مِنَ الْحُبِّ الَّذِي سَتَرَ الضَّمِيرُ

فقال الربيع: واسوءناه من استماعي دعاء لغير الله جلّ وعزّ.

ومر سفيان الثوريّ برجل يبكي ويقول:

أَتُوبُ إِلَى الَّذِي أُمِسِّي وَأُضْحِي وَقَلْبِي يَتَّقِيهِ وَيَرْتَجِيهِ
تَشَاغُلُ كُلِّ مَخْلُوقٍ بِشَيْءٍ وَشُغْلِي فِي مَحَبَّتِهِ وَفِيهِ

قال له سفيان: يا هذا لا تقنط كل هذا القنوط، ولا تيأس من الله فإن الله
يقبل التوبة عن عباده، وذنبك بين المقصر والغالي، فإن كنت قد أسلفت ذنباً
فلأنك من الإسلام لعلّ خير كثير استغفر الله وتب إليه، وأقلل من هذا البكاء،
عصمنا الله وإياك، فنعم ما شغلت به نفسك، فقال الرجل:

عَسَى قَلْبُ الْمُمَكِّنِ مِنْ فُؤَادِي يَرِقُّ لِتَرْكِ طَاعَةِ عَاذِلِيهِ

فقال سفيان: اللهم أعِزَّنَا مِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكَوَرِ: ولا تُفْلِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا،
أعزّب عزب الله بك.

وقال إبراهيم بن الفرج: مرّ خليل الناسك بغرفة مُخَلَّد الموصلي الشاعر وهو
لا يعرفه فسمعه يقول:

أَسَأْتُ وَلَمْ أَحْسِنُ وَجِثُّكَ هَارِباً وَأَتَيْتُ لِعَبْدٍ غَيْرِ مَوْلَاهُ مَهْرَبِ

فوقف الخليل ومخلّد يردّد البيت ويبكي، والخليل يبكي معه، ثم ناداه: يا
قائل الخير عُدْ، يا سائل الفضل زِدْ، فقال مخلّد: نعم وكرامة يا أبا محمّد:

غَرَّالٌ إِذَا قَبَّلْتَهُ وَلَثِمْتَهُ رَشَقَتْ لَهُ رِيقاً مِنَ الشُّهْدِ أَطْيَبِ

فقال الخليل: سقاك الله حميماً وغساقاً. ثم قال: اللهم لا تؤاخذني بهذا الموقف ومضى.

وخرج عمر بن الخطاب يوماً فإذا جوارٍ يضرب بالدف ويغني ويقلن:

تَغْنَيْنَ تَغْنَيْنَ فَلِلَّهِوَ خُلِقْتُنَّ

فجعل يضرب رؤوسهن بالذرة ويقول: كذبتن كذبتن:

فأخزى الله شيطاناً رمى هذا إليكن

وقال بعض المتعبدين: كنت أماشي بعض الصوفية بين بساتين البصرة فسمعنا ضارب طنبور يقول:

يا صِبَاحَ الْوُجُوهِ مَا تُنْصِفُونَا أَنْتُمْ زِدْتُمُ الْقُلُوبَ قُتُونَا
كَانَ فِي وَاجِبِ الْحُقُوقِ عَلَيْكُمْ إِذْ يُلِينَا بِكُمْ بَأْنَ تَرْحُمُونَا

قال فشهو شهقة ثم أفاق وقال: يا مغرور قل:

يا صِبَاحَ الْوُجُوهِ سَوْفَ تَمُوتُونَ وَتَبْلَى خُدُودُكُمْ وَالْعُيُونُ
وَتَصِيرُونَ بَعْدَ ذَاكَ رَمِيمًا فَأَعْلَمُوا ذَاكَ إِنَّ ذَاكَ يَقِينَا

ومر بعض الشعراء بنسوة فأعجبه شأنهن فأنشأ يقول:

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينَ خُلِقْنَ لَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ
فأجابته واحدة:

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَّاحِينَ خُلِقْنَ لَكُمْ وَكُلُّكُمْ يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَّاحِينَ

ومر حسين بن علي (رضي الله عنه) بنسوة فقال لهن: لولا أنتن لكنا مؤمنين، فأجابته واحدة منهن وقالت: لولا أنتن لكنا آمنين.

وكان عمرو الجُهَنِيُّ ناسكاً فدخل المسجد الجامع بالبصرة فوقف على حلقة التهديين والقرشيين وأنشأ يقول:

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي مِنْكَ إِلَّا اسْتَرْتُ مِنْ أَصْحَابِي
بِدُمُوعِ تَجْرِي وَإِنْ كُنْتُ وَخْدِي خَالِيًا أَتَّبِعُ الدُّمُوعَ أَتَّحِبُّ
أَنْتَ هَمِّي وَمُنِيِّي وَهَوَايَ وَرَجَائِي وَغَايَتِي وَأَرْتَقَابِي

قال: فتصوّب الحلق يستمعون إليه فأقبل عليهم وقال: هذا يقوله مخلوق لمخلوق وتَدْعُونَ الخيرات الحسان المفصّورات في الخيام.

وقال بشر بن أبي قبيصة: قلنا لأبي همام - وقد كان غلب على عقله - تأمر في ميراثك عن أبيك؟ فأقبل علينا مغضباً وقال: يا بشر! أويتوارث أهل ملتين؟ قلت: ونحن أهل ملتين؟ قال: نعم، أنتم تزعمون أن الله قضى الخير ولم يقض الشر، وأنا أزعم أن الله قضى الخير والشر، وأن من عذبه الله عذبه غير ظالم له، ومن رحمّه فرحمته وسعت كل شيء.

وقال عبد الله بن إدريس: مررتُ بابن أبي مالك وكان معتوهاً ذاهب العقل لا يتكلّم حتى يكلم، فإذا كلّم أجاب جواباً معجباً، فقلت: يا بن أبي مالك ما تقول في النبيذ؟ قال: حلال. قلت: أنشربه؟ قال: إن شربته فقد شربه وكيع وهو قدوة. قلت: تقتدي بوكيع في تحليله ولا تقتدي بي في تحريمه وأنا أسئ منه؟ قال: قول وكيع مع اتفاق أهل البلد معه أحبُّ إليّ من مقاتلتك مع خلاف أهل البلد عليك. وقال عبد الله بن إدريس: مررتُ بابن أبي مالك فناديته فقال: ما تشاء؟ قلت: متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول بأعلم من السائل، غير أن من مات فقد قامت قيامته، والموت أوّل عدل الآخرة. قلت: فالمصلوب يعذب؟ قال: إن كان مستحقاً فإن روحه يعذب وما أدري لعلّ هذا البدن في عذاب من عذاب الله لا تدركه عقولنا وأبصارنا، فإن لله لطفاً لا يدرك.

وكان جالساً في موضع قد كان فيه رماد ومعه قطعة جصّ فكان يخطُّ به فيستبين بياض الجصّ في سواد الرماد، فتبسم فقلت له: أي شيء تصنع؟ قال: ما كان يصنع صاحبنا مجنون بني عامر. قلت: وما كان يصنع؟ قال: أوما سمعته يقول:

عَشِيَّةً مَا لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنِّي بَلَقَطِ الْحَصَى وَالْحَطُّ فِي الدَّارِ مُوَلَعٌ
أَخْطُ وَأَمْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أَعِيدُهُ بِكَفِّي وَالغَزْلَانِ حَوْلِي تَرْتَعُ

قلت: ما سمعته، فتضاحك ثم قال: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى رِبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أسمعته أم رأيته؟ يا ابن إدريس هذا كلام العرب.

وقال خلف بن تميم: عدنا مريضاً فقال رجل ممن كان في البيت:

نَادِ رَبَّ الدَّارِ ذَا الْمَالِ الَّذِي جَمَعَ الْمَالَ بِحِرْصٍ مَا فَعَلَ
فأجابه من ناحية البيت:

كَانَ فِي دَارٍ مِثْلَ دَارِهِ عَلَّلَهُ بِالْمُنَى ثُمَّ ارْتَحَلَ
إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظَلٍّ زَائِلٍ طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْهِ فَأُضْمَحِلَّ

وقال بعضهم: أحبيت جارية من العرب ذات جمال وأدب، فما زلت أحتال في أمرها حتى التقينا في ليلة ظلماء شديدة السواد فقلت لها: طال شوقي إليك، قالت: وأنا كذلك، وإنما تجري الأمور بالمقادير. فحدثتنا ثم قلت: قد ذهب الليل وقرب الصبح، قالت: وهكذا تنفذ اللذات وتنقطع الشهوات، قلت: لو أدنيتني منك. قالت: هيهات إنني أخاف الله من العقوبات، قلت: فما دعاك إلى الحضور في هذا الموضع الخالي؟ قالت: شقوتي وبلائي. قلت: فما أراك تذكريني بعد هذا، قالت: ما أراني أنساك وأما الاجتماع فما أراني أراك ثم ولت عني وقالت:

أَخَافُ اللَّهَ رَبِّي مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ لَا أَطِيقُ لَهُ اصْطِبَارًا

قال: فاستحييت والله مما سمعت منها وانصرفت وقد ذهب عني بعض ما كنت أجدها.

قال: وكان سليمان بن عبد الملك شاباً وضيئاً وكان يعجبه اللباس والخمرة، فلبس ذات يوم وتهيأ ثم قال لجارية له حجازية: كيف ترين الهيئة؟ قالت: أنت أجمل الناس. قال: أنشديني على ذلك، فقالت:

أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
أَنْتَ خَلَوُ مِنَ الْعُيُوبِ وَمِمَّا يَكْرَهُهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَإِنْ

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجارية له: أَلْقَيْتُ عَلَى جِلْسَائِي صَدْرَ بَيْتٍ
فَأَعْيَاهُمْ إِجَازَتَهُ. قالت: وما هو؟ قال:

نَرْوُحُ إِذَا رَاحُوا وَنَغْدُوا إِذَا غَدَوْا
فَقَالَتْ: وَعَمَّا قَلِيلٍ لَا نَرْوُحُ وَلَا نَغْدُوا



مركز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

باب في مدح الغربة والاعتراب

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الآية، قال: وروى الزبير بن العوام قال: قال رسول الله (ﷺ): «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيث ما أصبت خيراً فأقم، واتق الله» وقال: «سافروا تغنموا» وقال (ﷺ): «موت الغريب شهادة». قال أبو المليح: أتيت ميمون بن مهران وقلت له: إني أريد سفراً فقال: «أخرج لعلك تصيب من آخرتك أفضل ما تؤمل من دنياك، فإن موسى بن عمران خرج يفتبس ناراً لأهله فكلّمه الله عز وجل، وخرجت بلقيس تطلب ملكها فرزقها الله الإسلام».

وقال عمر (رضي الله عنه): لا تلتثوا بدار معجزة - أي لا تقيموا.

وقال سفيان الثوري: لما خرج يوسف (عليه السلام) من الحب قال قائل منهم: استوصوا بالغريب خيراً، فقال يوسف: من كان الله معه فلا غربة عليه. وعن شريح بن عبيد قال: ما مات غريب في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكى السماء عليه والأرض وأنشد:

إِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا بَكَى فِي حَنْدِسٍ بَكَتِ الثُّجُومُ عَلَيْهِ كُلُّ أَوَانٍ

وقال معاوية للحارث بن الحباب: أي البلاد أحب إليك؟ قال: ما حسنت فيه حالي وعرض فيه جاهي ثم أنشأ يقول:

فلا كُوفَةُ أُمِّي وَلَا بَصْرَةُ أَبِي وَلَا أَنَا يَتَّيْنِي عَنِ الرَّحْلَةِ الْكَسَلُ

وَقُرَى عَلَى بَابِ خَانَ طَرَسُوسَ :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وَإِنْ أَبَدَى تَجَلَّدَهُ إِلَّا سَيَذْكُرُ عِنْدَ الْغُرْبَةِ الْوَطَنَا

وَأَسْفَلَ مِنْهُ مَكْتُوبٌ :

أَيُّرُ الْحِمَارِ وَأَيُّرُ الْبَغْلِ فِي قَرْنٍ فِي أَسْتِ الْغَرِيبِ إِذَا مَا حَنَّ لِلْوَطَنِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : غَرَسَ الْمَشَقَّةُ مَعَ دَوَامِ الْغُرْبَةِ يَحْبِيَانِ الدَّعَةَ ، وَحَسُنُ التَّعَبِ

يَصِيرُ إِلَى مَحَلِّ الرَّاحَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : اطْلُبُوا الرِّزْقَ فِي الْبَعْدِ فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَغْنَمُوا

مَالاً كَثِيراً غَنِمْتُمْ عَقْلاً كَبِيراً وَأَنْشُدُ :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ حَنِينُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ

تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَفْلاً بِأَفْلٍ وَجِيرَاناً بِجِيرَانِ

هَذَا كَمَا قِيلَ فِي الْأَثَرِ : لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبِلْدَانِ عِدَاوَةٌ ، فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا

احْتَمَلَكَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ : كَمَا يَزِيدُ عِلْمُكَ بِدَوْلَةٍ

وَمَا يَلْدُ الْإِنْسَانُ غَيْرُ الْمَوَافِقِ وَلَا أَهْلُهُ الْأَذُنُونَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ

وَقَالَ آخَرُ :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا فَدَعِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّخَوُّيَا

لَيْسَ الْمَقَامُ عَلَيْكَ قَرْضاً لَازِماً فِي بَلَدَةٍ تَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلاً

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ نَكَّرْهُتْ أَهْلَهَا فَدَعَهَا وَفِيهَا إِنْ رَجَعْتَ مَعَادُ

وَقَالُوا : الرَّاحَةُ عُقْلَةٌ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَعَاذِيِّ :

إِنَّ الثَّوَانِي أَنْكَحَ الْعَجَزَ بِنْتَهُ وَسَاقَ إِلَيْهَا حِينَ زَوَّجَهَا مَهْرَا

فِرَاشاً وَطِيّاً ثُمَّ قَالَ لَهَا أَنْكِسِي فَقَضَرَهُمَا لَا شَكَّ أَنْ يَلِدَا الْفَقْرَا

نعوذ بالله منه، وقال آخر:

أَغْرَكَ أَنْ كَانَتْ لِبَطْنِكَ عُكَّةٌ وَأَنْتَ مَكْفِيٌّ بِمَكَّةَ طَاعِمٌ
وقال الحُطَيْيئة:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَيْهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
وقالوا: قناعة الناس بالأوطان من النقص والفشل والطلب من علم التجارب والعقل.

وقال أكنم بن صَيْفِي: ما يسرُّني أني مكفيُّ أمر الدنيا، واني أُنِمتُ وأُلبِستُ.
قالوا: ولم؟ قال: مخافة عادة العجز.

وقالوا: لا توحشك الغربة إذا آنست بالكفاية، ولا تجزع لفراق الأهل مع لقاء اليسار.

وقالوا: الفقر أوحش من الغربة، والغنى آنس من الوطن، وترك الوطن أدنى إلى فرح الإقامة.

وقيل: الفقير في الأهل مصروم، والغني في الغربة موصول.

وقالوا: أرحش قومك. ما كان في إبحاشهم أنسك، واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك.

وقالوا: إذا عدمت أنكرك قريبك، وإن أثريت عرفك غريبك.

وقال قُصَّ بن ساعدة: أبلغُ العظمتِ النظر إلى محلّ الأموات، وأفضل الذكر ذكر الله، وخير الزاد التقوى، وأحسن الجواب الصمت، وأزين الأمور الاحتمال، والحزم شدة الحذار، والكرم حسن الاصطبار، وفي طول الاغتراب فوز الاكتساب.

وقال آخر: تألفوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيد بحسن الشكر، واغتربوا لتكسبوا، ولا تكونوا كالنساء اللاتي قد رضين بالكنّ واقتصرن على

القعود، فإن الغربية تخرج الغمر، وتشجع الجبان، وتحرك المضطجع، وتزيد في بصيرة الماهر.

وقال:

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربية أوطان

وقال آخر: لا يآلف الوطن إلا ضيق العطن.

وقال آخر: ما حنَّ أحد إلى بلد جمع فيه شمله إلا لوصمة في عقله، ولا تنزع بامرئ نفسه إلى بلد قلَّ به رفته إلا لاستيلاء الموق عليه.

وقالوا: الحنين إلى الأوطان من أخلاق الصبيان وفي طول الاغتراب فوز الاكتساب، وفي فائدة صالح الإخوان مع النزوح عن الأوطان سلوٌّ عن مقارنة الجيران، ولولا اغتراب الناس عن محالهم ضاقت بهم البلدان وسئم ألفهم الإخوان، ومن طالب أخاه بمحلّه قلّت هيئته وسئم أهله وتمنّوا الراحة منه. قال: ولولا اغتراب المغتربين ما عُرف ما بين الأندلس إلى الصين، ولا رَدَم الإسكندر السدود، ودوَّخ الأقاليم، ومدَّن المدن، وبخع له ملوكها بالطاعة، ولا قُتل دارا بن دارا، ولا أُسر الأساورة، ولا جمعت الملوك بين الصفائح اليمانية، والقُضُب الهندية، والرماح البلوصية، والأسنة الخزّرية، والأعمدة الهروية، والأجرزنة^(١) الأمروشنية، والخناجر الصغدية، والسروج الصينية، والدروع السابرية والجواشن الفارسية، والقسي الشاشية، والأوتار التركية، والسهام الناوكية، والجعاب السجّزية، والدرق المغربية، والأترسة التبتية، والجلود الرُنّجية، والنمور البربرية، واللجم الخابدية والركب المروزية، والستور الصينية، والخيال الخزّرية، والكراسي القميّة، والشهاري البخارية والبغال الأرمنية، والحمير المريسية، والكلاب السلوقية، والبزاة الرومية، والصوالجة النهاوندية، والثياب المنيرة

(١) لعلها (الاجرزة) قال ابن منظور: الجرّز من السلاح والجمع الجرّزة والجرّز والجرّز: العمود من الحديد، معروف، عربي. وقال في برهان قاطع (كرز) عمود حديد، وتقال للهراوة المصنوعة من الخشب.

الرازية، والأكسية القزوينية، والثياب السعيدية، والحلل اليمانية، والأردية المصرية، والملاحم الخراسانية، والثياب الطاهرية، والحلل الأندلسية، والدرّ العُماني، والياقوت الشرنديبي، والحرير الصيني، والخزّ السومّي، والديباج الشّشري، والبرزون الرومي، والكثان المصري، والوشّي الكوفي، والعتابيّ الأصبهاني؛ ولا عُلِمَ أن ببلاد المغرب ومصر عجائب لا تكون إلاّ بها مثل منارة الإسكندرية وعمود عين الشمس، والهرمان وجسر أذنة، وقنطرة سُنْجَة، وكنيسة الرُّها، وسور أنطاكية، والأبلق الفرد، وبرّهوت، وهاروت، والفرس الذي في أقصى المغرب، والأسد الذي بهمدان، والسمة والثور بنهاوند، وإيوان كسرى بالمداين، وتخت شَبْدِيز في الطاق، وبناء قصر شيرين والدكان، وأساطين قصر اللصوص، وعجائب رومية، وانتمساح بالليل، والرعاد والسقنقور، وغير ذلك مما لا يحصى ولا يُعدّ. وقالوا: أبعد الناس نجعة في الكسب بصريّ، وحميريّ، ومن دخل فرغانة القصوى، والسوس الأقصى، فلا بدّ أن يرى فيها بصريّاً، أو حميريّاً على أن أهل إصبهان والخوز معروفون بذلك، ويحد في كلّ بلد منهما صفّاً قائماً. ومما قالوا في التقلّب في البلدان والتباعد في الأطراف قول أبي العتاهية في الرشيد:

ولولا أمير المؤمنين وعذله
وسيّارة هادون في الأرض بالهدى
لئن كان ذو القرنين أدرك غاية

وقال آخر في غزوة خراسان:

وما كان ذو القرنين يبلّغ سعيه
وجوّاب آفاق وطلائع أنجس

وقال آخر في تقلّبه في البلاد:

خليفة الخضر من يربّع على وطن
بالشّام داري وبغداد الهوى وطني

في بلدة فظهور العيس أوطاني
بالرقمّتين وبالفسطاط إخواني

وما أَظُنُّ التَّوَكُّيَ تَرْضَىٰ بِمَا صَنَعْتُ حَتَّىٰ تُسَافِرَ بِي أَقْصَىٰ خُرَاسَانَ

وقال الطائي:

إِنْ تَرَانِي تَرَىٰ حُسَاماً صَقِيلاً مَشْرِقِيّاً مِنَ السُّيُوفِ الْجِدَادِ
ثَانِيَ اللَّيْلِ ثَالِثَ الْيَدِ وَالسَّيِّدِ رِ نَدِيمَ الثُّجُومِ تَرْبُ الشُّهَادِ
كَلِمَ الْخِضَرُ لِي يُصَيِّرُنِي بَعْدَ سَدِّكَ عَيْشاً عَلَىٰ عِيَارِ الْبِلَادِ
لَيْلَةً بِالشَّامِ ثُمَّتَ بِالْأَفْ سَوَارِ يَوْمِاً وَلَيْلَةً بِالسَّوَادِ
وَطَنِي حَيْثُ حَطَّتِ الْعَيْسُ رَحْلِي وَذِرَاعِي السَّوَادِ وَهُوَ مِهَادِي

وقال آخر في شبهه هذا المعنى:

قَبَّحَ اللَّهُ آلَ بَرْزَمَكَ إِنِّي صِرْتُ مِنْ أَجْلِهِمْ أَخَا أَنْفَارِ
إِنْ بِكَ ذُو الْقَرْنَيْنِ قَدْ مَسَحَ الْأَرْ صَ قَائِي مُوَكَّلٌ بِالْعِيَارِ

ويقول الشاعر للمعتصم بالله:

تَنَاوَلْتَ أَطْرَافَ الْبِلَادِ بِقُدْرَةٍ كَمَا أَنَّكَ فِيهَا تَبْتَغِي أَنْفَرَ الْخِضَرِ

قال: وقد كانت للخلفاء فتوح ولكنه لم يشق لأحد ما اتسق للمأمون وعبد الملك بن مروان والمعتصم بالله، إلا أن فتوح المأمون وعبد الملك كانت لمن قصد إلى ملكهما، فبلغا في ذلك ما لم يبلغه أحد في الإسلام من الملوك، وللمعتصم ست فتوح عظام جليلة، لم يحارب في واحدة منهن إلا من قصد المسلمين دون ملكه خاصة، فمن ذلك: مازيار ملك طبرستان بعد أن غلب وقتل وتمكن من تلك القلاع والجبال المنيعه والسبل الوعرة حتى ظفر به وقتله، ومن ذلك: بابك كسر العساكر وقتل الأجناد وقتل القواد وأخرب البلاد وملأ القلوب هيبه ومخافة فأخذه أسيراً وقتله وصلبه إلى جنب مازيار، ومن ذلك: فتح عمورية، وهزيمة الطاغية أمير ياطيس صاحب الضواحي، فأسرته وصلبه إلى جنب بابك ومازيار، ومن ذلك: استباحته الرط حتى اجتث أصلهم وأباد خضراءهم؛ بعد أن منعوا بغداد الميرة، وقتلوا القواد، وغلبوا على البلاد، وبعد أن رامهم خليفة بعد

خليفة؛ ومن ذلك: أمر جعفر الكُزْدِي وإخافته السبل فظفر به وقتله؛ ومن ذلك: ما كان منه في أمر الهند وشق الهند كله، حتى ظفر من عُدَد البرّوج ورؤساء الهند وإبطال المقاتلة وأخرب السواحل على يدي عمر بن الفضل الشيرازي.

ثم خليفتنا المعتضد بالله اتّسق له من الفتوح الجليّة العظيمة مثل ذلك فمن ذلك: أسره لهارون الخارجي بعد أن كان قد تغلّب على البلاد ومنع الميرة من جميع الآفاق، ومن ذلك: قصده لآل عبد العزيز بن أبي ذلف بناحية الجبل، حتى اجتنّ أصلهم، واستباح حريمهم، ثم ما كان من شأن رافع بن هرثمة وخلعه الطاعة، فحمل رأسه إلى مدينة السلام، ثم أمر محمّد بن زيد العلوي بطبرستان بعد أن تمكّن من القلاع والحصون التي لا ترام، بعد أن كانت الخطبة قد انقطعت عنهم ثمان وثلاثين سنة بمقامه ومقام الحسن بن زيد، وكان دخول الحسن بن زيد إليها في المحرم سنة ٢٥٠، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٧٠، وصار مكانه أخوة محمّد بن زيد، فقتل (رحمه الله) بجرّان يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة ٢٨٧؛ ومن ذلك: عمرو بن الليث الصقار وقتله إياه؛ ومن ذلك: فتح أمّده وهي أحسن مدينة في بلاد العرب، وإيقاعه بابن الشيخ، وأخذه إياه أسيراً، ثم أمر وصيف الخادم وخروجه إليه بنفسه إلى تخوم أرض الروم حتى أوقع به وأخذه أسيراً، ثم قتله وصلبه^(١).

(١) وقعت الأحداث أعلاه كما يلي:

الظفر بهارون الشاري كان عام ٢٨٣ هـ.

جيء برأس رافع فنصب ببغداد عام ٢٨٤ هـ.

تمت السيطرة على طبرستان وخطب للمعتضد على منابرهما في ٢٨٧ هـ.

ألقي القبض على ابن الشيخ في ٢٨٧ هـ.

هرب وصيف وإلقاء القبض عليه وقتله في ٢٨٨ هـ.

جيء بعمر بن الليث أسيراً إلى بغداد عام ٢٨٨ هـ. وكان المعتضد وهو على فراش الموت

يوميء بيديه إلى أحد خدمه بقتل عمرو إلا أن ذلك الخادم لم يفعل، ثم مات المعتضد ٢٨٩

ثم قتل عمرو في نفس العام عند أول دخول المكتفي إلى بغداد. انظر الطبري ١٠: ٤٣ - ٨٨

عن الأحداث أعلاه. وكذلك ابن الأثير ٧: ٥١٦.

وكان الحسن بن علي (رضي الله عنهما) يتمثل :

مَنْ عَاذَ بِالسَّيْفِ لَأَقَى فُرْصَةً عَجَبًا مَوْتًا عَلَى عَجَلٍ أَوْ عَاشَ مُتَنَصِّفًا
لَا تَرْكَبُوا السَّهْلَ إِنَّ السَّهْلَ مَفْسَدَةٌ لَنْ تُذَرِكُوا الْمَجْدَ حَتَّى تَرْكَبُوا غُفَا

وقالوا: ليكن اليقين من أفضل سلاحك، والرضا بالقضاء من أفضل أعوانك
والجند في طلب الخير من بالك، وأنشد:

فَلَا تَحْسِبَنَّ الرِّزْقَ بَابًا سَدَدَتْهُ عَلَيَّ وَلَا أَنِّي إِلَيْكَ فَقِيرُ
فَفِي الْعِيسِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ وَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ سِوَاكَ كَثِيرُ

وكتب بعضهم إلى أهله من بلاده بعيدة:

كِتَابِي إِلَيْكُمْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ تَجَشُّمُهَا كَنِي لَا يَضُرُّ بِي الْفَقْرُ
وأنشد:

اضْمِرْ لَهَا فَالْحُرُّ صَبَّارُ أَوْ أَشْكُهَا إِنْ مَسَّكَ الْعَارُ
دَائِرَةٌ دَارَتْ عَلَى عَاقِلٍ لَسِمَ يَحْشَهَا وَالذُّفْرُ دَوَّارُ
نَبَتْ بِكَ الدَّارُ فِرَ أَمِنَا فَلِلْفَتَى حَيْثُ أَتَتْهُ دَارُ

ولبعضهم:

تَبَدَّلْ بَدَارٍ غَيْرَ دَارِكَ مَوْطِنَا إِذَا صَعُبَتْ فِيهَا عَلَيْكَ الْمَطَالِبُ
فَمَا الْكَرَجُ الدُّنْيَا وَلَا النَّاسَ قَاسِمُ وَفِي غَيْرِهَا لِلطَّالِبِينَ مَكَاسِبُ

وللطائي:

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقُ لِدِيَا جَتِيهِ فَأَغْتَرِبُ تَتَجَدَّدُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدُ

وقالوا: العُسر في الغربة مع العز، خير من اليُسْر في الوطن مع الذل. وقيل
لآخر: ما العيش؟ قال: دَوْرَانِ الْبُلْدَانِ، ولقاء الإخوان، ومغازلة القيان، ومرافقة

الفتيان، واستماع النعمات من الزير والمثاني.

وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: غيبة بعد غنى وأوبة تغيب مئى. وقال آخر:

سرى طيفها نحو أمرى متطوح	طليح سفار أنفع اللون شاحب
تراه كنضل السيف أضدا صفحة	مقادمه والتضل ماضي الضرائب
تغرب يتغي اليسر ليس لنفسه	خصوصا ولكن لابن عم وصاحب
وما عذر ذي العشرين والخمس قاعدا	ولم يئل عذرا في طلاب الرغائب
ومن لا يزال يخشى العواقب لا يزال	مهينا رهينا في جبال العواقب
وأشفق من اسم التنكر مقترا	فلم يتجه إلا نجاء الركائب

ولعبد الله بن طاهر:

واسوءتلى لامرئ شبيته	في عثوان وماؤها خضل
وهو مقيم بدار مضية	طاعه في اصطناعه القشل
راض بدون المعاش متضجع	عليه ثراث الآباء متكمل
لا حفظ الله ذاك من رجل	ولا رعاه ما حثت الإبل
كلا وربى حتى يكون فتى	قد نهكته الأسفار والرحل
تسؤوبه همة منازعة	وطرفه بالشهاد مكتحل
نال بلا مشية ولا ضرع	ولا بوجه تقوته الحيل
إلا بعضب أومت بشفرته	كف تمطى بها فتى بطل
حتى متى يصحب الرجال ولا	يُصحب يوما لأمة الهبل

وكان عمرو بن العاص يقول: عليكم بكل أمر مؤلفة مهلكة، أي عليكم بجسام الأمور.

ولما نظر معاوية إلى عسكر أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: من طلب عظيماً خاطر بعظيمته - يعني برأيه - .

وكان يقال: من سرّه أن يعيش مسروراً فليقتنع، ومن أراد الذكر فليجتهد، ومن أراد أن يعتبر فليغترب. وقالوا: لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين: إما في الغاية القصوى من الدنيا والطلب لها، أو في الغاية والنهاية من الترك لها.

وقال آخر: الدنيا مرعى فمن وجد الكلأ في موضع فليزمه. ولأبي نواس:

أَرَى النَّفْسَ قَدْ أَضْحَتْ تَتَوَقُّ إِلَى مِصْرٍ وَمِنْ دُونِهَا جَوْبُ الْحُزُونَةِ وَالْوَعْرِ
وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَلِلْخَفْضِ وَالْغِنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى قَبْرِ
سَأَزِمِي بِنَفْسِي عَنْ قَرِيبٍ أَمَامَهَا وَأَتْرُكُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ ذَوِي الرُّجْرِ
لَأَنَّ الَّذِي قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنٌ أَلَا إِمَّا تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ

وقال آخر: السلامة إحدى العِصْمَتَيْنِ، والمرأة الصالحة إحدى الكاسِبَيْنِ، واللبن إحدى اللحمين، والعادة إحدى الطبيعتين، والدعاء للسائل إحدى الصدقتين، وخِصَّة الظهر أحد اليسارين، والغربة إحدى اللذتين.

وأنشدني صديق لابن عَنَدُوسَ الْكَاتِبِ:

زَعَمَ الَّذِينَ تَشَرَّفُوا وَتَغَرَّبُوا أَنَّ الْغَرِيبَ وَإِنْ أَعَزَّ ذَلِيلُ
فَأَجَبْتُهُمْ إِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا اتَّقَى حَيْثُ اسْتَقَلَّ بِهِ الرِّكَابُ جَلِيلُ
قَالُوا الْغَرِيبُ يَهَانُ قُلْتُ تَجَلُّدًا إِنَّ إِلَهَهُ بَنَصْرِهِ لَكَفِيلُ
قَالُوا إِذَا مَاتَ الْغَرِيبُ بِبَلَدَةٍ أَذِلِّي وَلَمْ يُسْمَعْ عَلَيْهِ عَوِيلُ
قُلْتُ الْغَرِيبُ كَفَاهُ رَحْمَةٌ رَبِّهِ وَغَنَى الْبُكَاءُ عَنِ الْفَقِيدِ قَلِيلُ
وله أيضاً:

يقولون لي لا تَغْتَرِبْ قُلْتُ إِنِّي إِذَا كُنْتُ ذَا عُسْرٍ وَحَالٍ خَمِيسَةٌ
إِذَا كُنْتُ ذَا مَالٍ وَحَالٍ جَلِيلَةٌ أَمِنْتُ شِمَانَاتٍ بِهَا لِقَرِيبٍ
وَأَخْذَرْتُ أَنْ لَا يُطْلَبُونَ عُيُوبِي^(١)

(١) لعل الأصل هو: ان لا يطلبوا لعموبي.

القول في مصر والنيل

قال الكلبي: سَمِيَتْ مِصْرَ بِمِصْرَ بْنِ أَيْشَمَ بْنِ حَامَ بْنِ نُوحَ، وافتتحها عمرو بن العاص، وروى في قول الله عز وجل: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: مصر. قال ابن السكيت: سَمِيَتْ مِصْرَ لِأَنَّهَا الْحَدُّ، وَأَهْلُ هَجَرَ يَكْتُبُونَ فِي شُرُوطِهِمْ اشْتَرَى جَمِيعَ الدَّارِ بِمِصُورِهَا أَيْ بِحُدُودِهَا، قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ التَّمِيمِيُّ: وَصَيَّرَ الشُّفْسَ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا

أَي حَدًّا حَاجِزًا. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْفَرْدُوسِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مِصْرَ حِينَ تُخْرَثُ. وَرَوَى عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا قَالَ: يَنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يَا أَهْلَ مِصْرَ فَيَقُولُونَ جَمِيعًا أَوْلَهُمْ وَأَخْرَهُمْ: لَبَّيْكَ، فَيَقَالُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَلَمْ أَمُنْ عَلَيْكُمْ بِسَكْنَى مِصْرَ، وَأَطْعَمْتُكُمْ فِيهِ الْخَمْرَ^(١) وَالْخَمِيرَ وَصِيدَ طَيْرِ السَّمَاءِ وَحَيْثَانَ الْبَحْرِ وَالْمَاءَ الْعَذْبَ؟ فَيَقُولُونَ: بَلَى رَبَّنَا.

وأرض مصر محدودة أربعين ليلة في مثلها، وكانت منازل الفراعنة وكان اسمها باليونانية مَقْدُونِيَّة، وطول مصر من الشَّجَرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَيْنَ رَقْعٍ وَالْعَرِيشِ إِلَى أَشْوَانَ، وعرضها من بَرْقَةِ إِلَى أَيْلَةَ وهي مسيرة أربعين ليلة في أربعين ليلة، ومن بغداد إلى مصر خمس مائة وسبعون فرسخاً، يكون ذلك أميالاً ألف وسبع مائة وعشرة أميال^(٢).

(١) كذا في الأصل، ولعلها: الخبز.

(٢) من (أرض مصر محدودة . . .) إلى (وعشرة أميال) في ابن خردادبه ص ٨٠، ٨٣.

قال: وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: البركة عشر بركات، في مصر تسع بركات وفي الأرضين بركة واحدة. والشر عشرة أجزاء، بمصر جزء واحد، وفي الأرض كلها تسعة أجزاء وأما معنى قولهم: عمر مصر الأمصار فإنه لم يحدث إلا البصرة والكوفة، وقد تفعل العرب هذا فتسمي الاثنين باسم الجميع؛ وقال الحسن: مصر عمر سبعة أمصار: المدينة، والبحرين، والبصرة، والكوفة، والجزيرة، والشام، ومصر. وقال أبو الخطاب: لم يذكر الله جل وعز شيئاً من البلدان باسمه في القرآن ما ذكر مصر حين قال: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وقال عز وجل: ﴿افْبِطُوا مِصْرًا﴾، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ وكنّاها فقال عز وجل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ وسمّاها الله عز وجل الأرض فقال: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا﴾ الآية وسمّى الله جل وعز ملكها العزيز فقال: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ وأخبرني شيخ من آل أبي طالب قال: رأيت بمنف من كور مصر دار فرعون، ودرت في مجالسه، ومشارفه وغرفته وصفافه فإذا كلّه حجر واحد منقور، فإن كناوا لا يحكوا به حتى صار في الملامسة لا يستبين فيه مجمع حجرين، ولا ملتقى صخرتين، فهذا عجب، وإن كان حجراً واحداً فنقرته الرجال بالمناكير حتى تخرقت فيه تلك المخارق إن هذا لأعجب والنيل قد سمّاه الله بحراً قال الله: ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ واليم هاهنا النيل، وهي ذات عيون سفّاحة.

ومن مفاخر أهل مصر مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله (ﷺ)، وتزوج خمس عشرة امرأة، وتوفي (ﷺ) عن تسع، وحرّم الله جل وعز مارية على الرجال بعد أن ولدت إبراهيم من بعد وفاة النبي (عليه السلام) كما حرّم سائر نسائه. من مفاخر مصر هاجر أم إسماعيل (ﷺ) الصادق الوعد. وقال النبي (ﷺ): «إذا استفتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإني لهم صهر». وقالوا: لو عاش إبراهيم ما ملكت قبطية أبداً. قالوا: وأرض مصر محدودة في الكتاب. إنها مسيرة أربعين ليلة في مثلها، وأرض السودان مسيرة سبع سنين، فما فضل عنهم من مائها صار

إلى مصر، وأرض مصر جزء من ستين جزءاً من أرض السودان، وأرض السودان جزء من ستين جزءاً من الأرض.

ومن مفاخر مصر وسكانها من القبط مؤمن آل فرعون، والسحرة وأصحاب التوبة النصوح، وهاجر، وآسية، وأم إبراهيم، وفي نسايتهم ملح وهن يشبهن في الحظوة البربريات، والقبط أحذق في الكمانكية^(١) واللعب من السند، ومع القبط خفة عجيبة.

وبمصر جبل المقطم، ويروى عن كعب أنه قال: جبل مصر مقدس من القصير إلى اليعقوم، وسأل كعب رجلاً يريد مصر فقال: أهد لي تربة من سفح مقطمها، فاتاه بجراب، فلما توفي أمر به ففرش تحت جنبه في قبره. وقالوا: جبل الزمرد من جبال البجة موصل بالمقطم، والمقطم جبل مصر. وقال ابن لهيعة: سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم كله بسبعين ألف دينار، فكتب عمرو إلى عمر فقال عمر: سله لم أعطانا بها وهي لا تستببط، ولا تزرع فقال: إني أجد في الكتب أن فيه غرس الجنة، فأعلم عمرو عمر ذلك فكتب إليه: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فأقبر فيه من مات من المسلمين، ولا تبعه بشيء، فكان أول من قبر فيه رجل من المعافر، يقال له عامر، فقبل عُمِرَت.

ومدينة فسطاط: هي مدينة مصر سميت بذلك لأن عمرو بن العاص ضرب فسطاطه بذلك المكان بباب الئون، وسويقة ورذان بمصر، وبمصر حائط العجوز على شاطئ النيل، بنته عجوز كانت في أول الدهر ذات مال، وكان لها ابن وكان واحداً فقتله السبع فقالت: لأمنعن السباع أن ترّد النيل، فبنت ذلك الحائط حتى لا تصل السباع إلى النيل؛ ويقال: إن ذلك الحائط كان طلسماً وكان فيه تماثيل، كل إقليم على هيئتهم وزيتهم، والدواب والسلاح، وكل أمة مصورة في طرقها التي تجيء منها، فإذا أراد أهل إقليم غزو مصر وانتهوا إلى تلك الصور انصرفوا، ويقال: بُني ذلك ليكون حاجزاً بين أهل الصعيد والنوبة، لأنهم كانوا يغيرون على

(١) لم نهتد إلى معناها.

أهل الصعيد ولا يستعرفون، فبُني ذلك من أهل النوبة. وقيل أمر بعض الملوك أفلاطون فبني بناحية مصر ممّا يلي البرّ حائطاً طوله ثلاثون فرسخاً ما بين الفرما إلى أسوان حاجزاً بينهم وبين الحبشة.

وبالفسطاط صورة امرأة من حجر عظيمة قاعدة، على رأسها إجانة وعلى كل واحدة من ركبتيها درّجة إلى غُرْفة، تسمّى أم يزيد الخولانيّة.

وقالوا: البَطّ ترعى بمصر كما ترعى الغنم، وبها الثعابين وليس هي في بلد غيرها، وإليها حوّل الله عصا موسى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ يعني أنه حولها ثعباناً. ومن أعاجيب مصر النمس، وليس ذلك لأحد غيرهم، وهي من عجائب الدنيا، وذلك أنها دويّبة متحرّكة كأنها قُدّيرة، فإذا رأت الثعبان دنت منه، فينطوي الثعبان عليها يريد أن يعضّها ويأكلها، فتزفر زفرة تقدّ الثعبان بقطعتين، وربّما قطعتة قطعاً، ولو لا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر، وهي هناك أنفع لأهلها من القناقد لأهل سجستان، وسجستان بلد كثير الأفاعي وفي شروطهم أن لا يُقتل لهم قنقد ولا يصاد. وبمصر أعجوبة أخرى وهي التمساح، لا يكون إلا في النيل، ويكون في نهر السند مهراً^(١)، فإذا عضّ أوغل أسنانه واختلقت، فلم يدع ما أخذه حتى يقطع بأسنانه ما قبض من شيء، وحنكه الأعلى يتحرّك ولا يتحرّك الأسفل، وليس ذلك في غيره من الدواب، ولا يعمل الحديد في جلده، وما بين رأسه وذنبه عظم واحد، وليس يلتوي ولا ينقبض لأنه ليس في ظهره خرز، وإذا انقلب لم يستطع أن يتحرّك، وإذا سفد الذكر الأنثى خرج من النيل فيلقبها على ظهرها ثم يأتيها مثل ما يفعل الرجل بالمرأة، فإذا فرغ ألقبها، وإن أقربها على ظهرها صيدت، لأنها لا تقدر أن تنقلب، وذنب التمساح حاد جداً، فربّما قتل من الضربة، وربّما جرّ الثور إلى نفسه فيأكله، وله بيض مثل بيض الأوز، ويبيض ستين بيضة، وله ستون فإذا سفد ففي ستين مرة، فإذا خرج التمساح من بيضة خرج مثل الحرذون في خلقه وجسمه، فيعظم حتى يكون عشرة أذرع أو

(١) في معجم البلدان ٤ : ٧٦٦ (ويقال إنه أيضاً بنهر السند إلا أنه ليس في عظم المصري، فإذا عضّ ...).

أكثر، وهو يزيد كلما عاش، وإن أخذ من جانب حنكه الأيمن، أول سن في الحنك وعلق على من به حمى نافض تركته من ساعته، وربما دخل اللحم في خلال أسنانه فيفتح فاه، وله صديق من الطير يشبه بالطيطوى، يجينه حتى يسقط على شدة فيخلل بمنقاره ذلك اللحم، فيكون ذلك طعاماً للطير، وترفيهاً للتمساح لأنه ينقى ما في أسنانه من اللحم ويحرسه هذا الطائر ما دام ينقى أسنانه فإن رأى صياداً أو إنساناً يريد به، أو ابن عرس فإنه عدوه أعلمه ذلك وذلك إن ابن عرس يجيء إلى التمساح وهو نائم ويحب النوم على شط النهر فيستحم في الماء ويتمرغ في الطين ثم يتنفض حتى يقوم شعره في فم التمساح فيقتله قتلاً عنيفاً أو يأكل ما في جوفه فلذلك الطير يحرس التمساح وإذا رأى ابن عرس مقبلاً أنه التمساح وأذنه فيهرب التمساح إلى الماء وليس هذا بأعجب من الخلد وهي دابة عمياء فتخرج من جحرها فتفتح فاهاً فيتساقط الذبان في فاهاً وأشدقها ولا تزال تضم فاهاً على الذبان وتبلعه حتى تشبع ثم تدخل جحرها وليس هذا بأعجب من طائرين يراهما الناس من أدنى حدود البحر من شق البصرة إلى غاية البحر من شق السند أحدهما كبير والآخر صغير يقال لأحدهما جؤانكرك ويسمى الآخر جرشى فلا يزال الصغير يرتق على رأس الكبير ويعبث به ويطوف حوله ويخرج من بين رجليه ويغمه ويكربه حتى يتقيه بذرة فإذا ذرق الجرشى تلقاه الجؤانكرك فلا يخطيء أقصى حلقه حتى كأنه ردى به في بئر فإذا استوفى ذلك الذرق رجع شعبان ريان بقوت يومه ومضى ذلك الكبير لطيفه وأمرهما مشهور ظاهر، وأعجوبة أخرى وهو إن الدخس من دواب الماء مما يقايس السمك وليس بسمك يعرض للغريق فيدنو منه حتى يضع الغريق يده على ظهره فيسبح والغريق يذهب معه ويستعين بالاتكاء عليه والتعلق به حتى ينجيه، وهو عند البحرئين مشهور، قالوا ومن أدهن بشحم حرذون ثم ألقى نفسه على التمساح في الماء صاده والحرذون دويبة تكون بمصر وزبله ينفع من وجع العين ويقاقل العقرب وإذا ظفر بالجدي أكل أذنه، وأهل مصر يعدون كون التمساح في النيل من غرائب ما عندهم وهو كثير في خلجان سندان والزنج ولكنهم لا يعرفون له هناك هذا الطائر الذي يخلل أسنانه، وكون التمساح موصول في نيل

مصر بوادي مِهران وهو وادي السند ومن هناك أتاه. وبمصر من العجائب الفرس الذي يكون في النيل يأكل التماسيح وغيره من الدواب ويربى هذا الفرس إذا كان فلوأ في البيوت مع النساء والصبيان وفي سنه شفاء من وجع المعدة. والنوبة والحبشة تتعالج به لأنهم يأكلون الأطعمة الغليظة فيشرفون على الموت من وجع المعدة فيأخذون سنّ هذا ويتعالجون به فيبرؤون وأعفاجه تبرىء من الجنون الذي يأخذ في الأهلة. ومن عجائب النيل دابة تسمى ذا القرن تكون في النيل على أنفها مثل السيف الحاد تقطع الصخرة إذا ضربتها وربما قتلت به الفيل.

وأهل مصر يعدّون النيل من أحد عجائبهم وذلك أنه مخالف لجميع الأودية التي عليها ضبّع العالم وكلّ سرب ومغيض فإلما استقبله من ناحية الشمال وليس النيل كذلك لأن مجراه من ناحية الجنوب وليست التماسيح في شيء من هذه الأودية المعروفة لا تُرى بالفرات ولا دجلة ولا سيحان ولا جنيحان ولا نهر بلخ، ولا فيها من الفساد والدواب الخبيثة، وشرب أهل مصر في البواقي^(١)، وقال النبي (ﷺ): «تغور المياه كلها وترجع إلى أماكنها، إلا نهر الأردن ونيل مصر والحجرات وعرفات وميناء». وقال ابن الكلبي: إذا طلع العيوق غارت المياه كلها ونقصت إلا نيل مصر، ويمتد النيل لسبع من أيار. وقال عبد الله بن عمرو: نيل مصر سيّد الأنهار، سحر الله له كلّ نهر بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يُجرّيه أمر كلّ نهر أن يمدّه، فأمدّه الأنهار بمائها، فإذا فجّر الله به الأرض عيونا وانتهى من جريته إلى ما أراد الله، أوحى الله عزّ وجلّ إلى كلّ ماء أن يرجع إلى عنصره، وفي الخبر أربعة أنهار من الجنة: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان. وقال بعضهم: النيل يخرج من خلف خطّ الاستواء من بحيرتين يقال لهما بحيرتا النيل، وهو يطيف أرض الحبشة ويجيء فيمرّ بين بحر القلزم - وهو بحر الفرما - وبين المفازة، فيجيء فيصبّ بدُمياط، ويخرج إلى البحر الروميّ المغربيّ، ودُمياط على البحر الروميّ المغربيّ. وقال أبو الخطّاب: قال المُشترى ابن الأسود: غزوت بلاد أنبية عشرين غزاة، من السوس الأقصى، فرأيت النيل بينه وبين البحر الأجاج

(١) جمع باقول، وهو الكوب (أساس البلاغة، بقل).

كثيب من رمل، يخرج النيل من تحته. وقال بعض الفلاسفة: أقول إنه قد يكون البحر في موضع من بعض المواضع ثم ينضب الماء عنه حتى يصير أرضاً يابسة ثم يعود بحراً، والعلة في ذلك أن قرار الأرض يشبه أجسام الحيوانات والنبات، وأن لها نهاية وغاية بمنزلة الشباب والهرم ينقص ويزيد، فإذا قربته الشمس حيناً طويلاً حللته فارتفع وجفّ ذلك الموضع، فإذا بعدت الشمس عنه رطب ذلك الموضع وندي واجتمعت فيه المياه من الندى والأمطار، ذكروا أن أرض مصر كانت بحراً، وكذلك جميع الأرض عليها فنضب ذلك الماء قليلاً، فجفت تلك المواضع في مدة من الزمان، فظهر اليبس وغرس فيه الأشجار وزرع فيه الزرع.

ولما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بوونه، فقالوا: أيها الأمير لنيلنا هذا سنة لا يجري إلّا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكرين أبويها فأرضيناها وجعلنا عليها من الحلّي والحلل والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. قال عمرو: إن هذا أمر لا يكون أبداً في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله، فهتؤوا بالجللاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمرو بن الخطاب، فكتب إليه أنك قد أصبت وأني قد بعثت إليك بطاقة في داخل كتابي هذا - يعني رقعة - فألقها في النيل، فلما قدم كتاب عمر على عمرو أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها من عبد الله عمر إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله العزيز الغفار الواحد القهار هو الذي يجريك فנסأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، وقد نهياً أهل مصر للجللاء لأنهم لا تقوم مصالحهم إلّا بالنيل، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر، وقال ابن الكلبي: كتاب عمر إلى نيل هو الطلسم الأكبر.

ومن عجائب مصر: حشيشة يقال لها الدقس، يتخذ منها حبال للسفن، تسمى تلك الحبال القرقس، يؤخذ من القرقس قطعة فيشعل بين أيديهم كالشمع، ثم يطفي فيمكث سائر الليل، فإذا احتاجوا إليه أخذوا طرفه فأداروه كالمخراق

فيشتعل . ومن أعاجيب مصر : الشجرة التي تدعى باليونانية المومقس ، يرى بالليل من بعيد كأنه حريق ، فإذا دنا منه الإنسان لم يجد عنده شيئاً بته . ومن أعاجيب مصر : الرماد الذي يقال له رماد السنط ، وهو خشب يوقد نهارهم كله ، ولو جمع الإنسان ذلك الرماد لما ملأ راحته . ولهم حجارة الواحات ، كل من تناول منها حجراً فحرّكه فكأنما يحرك مقلة نواتها في جوفها ؛ ولهم القراطيس التي لا يشركهم فيها أحد ؛ ولهم دابة يقال لها الاشقنقور يهيج الجماع إذا أكل ، وفيه أعجوبة أخرى وذلك أن ثلاثة من الحيوان للذكر منها إيران : الاشقنقور والورل والضب .

ومن مفاخرهم : شراب العسل وهو هناك يختار على الخمر البابلي للذته وطيبه وشدة أخذه ، وموضع الأعجوبة فيه أنه يتخذ في زمان مدود النيل ، ويعمل من ذلك الماء الخائر الكدر ، ولو عمل من الصافي لم يخرج على صفاء هذا ولا جودته ، ولا تزيده تلك الكدورة إلا صفاء وحسناً ؛ ولهم اللسان ، ودهن الفجل ، ودهن الخردل ، ولهم الخيش والريش ؛ ولهم أن كل واد في الأرض مخالف لواديه ، لأنه يستقبل الشمال وماؤها يجري من الجنوب ؛ وأعجوبة أخرى أنها لا تمطر مطراً ، وأعجوبة أخرى أنها اسمها مصر ، وعلى اسمها سميت الأنصار مثل : الكوفة والبصرة - وإنما سميت البصرة فسطاطاً على التشبيه بفسطاط مصر - .

وقال الكلبي : كان لفرعون ما بين مصر إلى مغرب الشمس وهي مملكة أفريقية والأندلس ، وإنما هو مثل أرض واسط أربعون في مثلها وأعجوبة أخرى بمصر وهي الأترج ، ربما وضع الرجل الأترجة بينه وبين صاحبه فلا يرى أحدهما الآخر لكبرها ؛ وبمصر من الأعاجيب السمك الرقاد ، ومن صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتنتفض ما دام في شبكته وشصه ، وليس هذا بأعجب من الجبل الذي بآمد ، يراه جميع أهل البلد فيه صدع فمن انتضى سيفه فأولجه فيه ثم قبض على قبعته بجميع يديه ، اضطرب السيف في يديه وارتعد هو ولو كان أشد الناس ؛ وفيه أعجوبة أخرى لأنه متى حُكَّ بهذا الجبل سيف أو سكين حمل ذلك السكين الحديد ، وجذب الأبر والمسال بأكثر من جذب المغناطيس ؛ وأعجوبة أخرى أن ذلك الحجر بعينه لا يجذب الحديد ، فإن حُكَّ عليه سكين أو حُدَّ به جذب

الحديد؛ وفيه أعجوبة أخرى أنه لو بقي مائة سنة لكانت تلك القوة قائمة فيه، ولو سُقي كما تُسقى السكاكين، والمغناطيس نفسه إذا حُكَّ عليه الثوم لم يجذب الحديد، وذلك شبيه بناب الأفعى، لأنهم إذا حَشَوْا فيه حُمَاض الأترج، ثم عَضَّ وانقلب لم يكن له سَمٌّ قاتل.

وقد بَارَكَ رسول الله (عليه السلام) في بُنْيَا قرية مصر. وقال أهل مصر: اتَّخَذَ يوسف (عليه السلام) الفَيُّومَ بالشرقي في جبل شَرِبُ أسفلها وأعلاها ووسطها بماء واحد لا تُعَدُّ الثمرة فيها رطوبةً شتاءً ولا صيفاً.

قالوا: وإذا جاوزت بلاد غانة إلى أرض مصر انتهيت إلى أمة من السودان يقال لها كوكو، ثم إلى أمة يقال لها مرندة، ثم إلى أمة يقال لها مُراوة، ثم إلى واحات مصر بمَلْسَانَة.

صفة الهرمين

وبمصر، الهرمَيْن^(١) الذي يُرى أصحابُه كأنهم دُفِنُوا حديثاً، إلا أنهم في عمق من الأرض، وهي ثلاثة أهرام، كلُّ هرم أربع مائة ذراع طول في أربع مائة ذراع عرض، في سمك أربع مائة ذراع في الهواء، مبنية بحجارة المرمر والرخام، غلظ كل حجر وطوله وعرضه عشرة أذرع مُهَنْدَز مُهَنْدَم، لا يستبين هندامه إلا الحادُّ البصر، منقور في كل حجر بالكتاب المسند، يقرأه كلُّ من يقرأ المسند، كلُّ سحر وكلُّ عجب من الطبِّ وكلُّ طلسم وكلُّ خلقة طير. وحدث بعض المشايخ بمصر أنه قرىء لبعض خلفاء بني العباس على الهرمين مكتوب أنني بنيتُهما فمن كان يدَّعي قوة في مله فليهدمهما، فإن الهدم أيسر من البناء، فأرادوا هدمهما فإذا خراج الأرض لا يقوم به فتركوهما. وقال عبد الله بن طاهر: رأيت بمصر من عجائب الدنيا ثلاثة أشياء: النيل، والهرمين، وابن عُفَيْر. وكان ابن عُفَيْر هذا كثير العلم، واسمه سعيد بن كثير بن عُفَيْر. قالوا: ووُجد في أهرام مصر حية من ذهب في شقوقها صُفِيحة فضة مكتوب فيها:

(١) الصواب: وبمصر، الهرمان.

إِنِّي وَرَبُّ الْبُذْنِ وَالْقِلَاصِ عَمِلْتُهَا مِنْ خَالِصِ الرِّصَاصِ

وَقَرِءَ عَلَيْهِ أَيْضاً: أَنِّي نَقَبْتُهَا وَكَسَوْتُهَا الْأَنْطَاعَ، ثُمَّ كَسَوْتُهَا الْحَبْرَ الْيَمَانِيَّةَ، ثُمَّ كَسَوْتُهَا الدِّيْبَاجَ، فَمَنْ ادَّعَى الْقُوَّةَ فِي مَلِكِهِ فَلْيَكْسُهَا الْحُصَرَ، فَأَرَادَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَكْسُوهَا الْحَصَرَ فَكَانَ^(١) يُخْرِجُ فِيهَا خَرَجَ مِصْرَ أَجْمَعَ.

وَبِمِصْرِ الرَّمْلِ الْمَحْبُوسِ، وَالطُّورِ الَّذِي كُلَّمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِهَا، وَهُوَ فِي صَحْرَاءٍ التَّيَّةِ فِيمَا بَيْنَ الْقُلُزْمِ وَأَيْلَةَ، وَفِيهَا الصَّرْحُ الَّذِي لَمْ يَرْقُ شَيْءٌ مِثْلَهُ؛ وَهُمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَكْثَرُ النَّاسِ عَبْدًا وَشُهَدَاءَ وَقَتْدًا وَنَقْدًا؛ قَالُوا: وَالصُّوفُ وَالْكُتَّانُ لَنَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِلْدَانِ مِثْلُهَا؛ وَقَالُوا: وَلَنَا الْحَمِيرُ الْقَمْرِيَّةُ، وَالْبُغَالُ الْمِصْرِيَّةُ، وَالْخَيْلُ الْعَتَاقُ، وَالْمِطَايَا مِنَ الْإِبِلِ؛ قَالُوا: وَلَنَا الْأَوْدِيَّةُ وَالْمَرَاعِيقُ الَّتِي لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهَا؛ وَرَبَّمَا خِيفَ عَلَى الْإِبِلِ الْهَلَاكُ مِنَ السَّمَنِ، لِأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ الْغَايَةَ فِي السَّمَنِ، فَرَبَّمَا انْصَدَعَتْ كَرَكَرَهَا عَنْ شَحْمَةِ كَالسَّنَامِ، حَتَّى يَخْرَ الْبَعِيرُ مَيِّتًا؛ قَالُوا: وَلَنَا الشَّمْعُ وَالْعَسَلُ وَالرِّيشُ وَالْخَيْشُ، وَلَنَا ضُرُوبُ الرَّقِيقِ وَالْجَوَاهِرِ.

مَرْكَزُ تَحْقِيقَاتِ كَلِمَاتِ بَرَكَاتِهِ

وَبِمِصْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «خَيْرُ مَسَالِحِكُمُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ»، وَهِيَ مِنْ بَنَاءِ الْإِسْكَانْدَرِ وَبِهِ سَمِيَتْ، وَيُرْوَى فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِزِمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ قَالَ: هِيَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لِأَنَّ أَبِيتَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ لَيْلَةً عَلَى فَرَاشِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ لَيْلَةً، كُلُّ لَيْلَةٍ مِنْهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ بِمَقْدَارِهَا. وَرَوَى زُهْرَةُ بْنُ مَعْبُدٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَيْنَ تَسْكُنُ بِمِصْرَ؟ قُلْتُ: الْفُسْطَاطُ. قَالَ: تَسْكُنُ الْمَدِينَةَ الْخَبِيثَةَ وَتَذُرُ الطَّيِّبَةَ. قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ، فَإِنَّكَ تَجْمَعُ دِينًا وَدُنْيَا وَهِيَ طَيِّبَةُ الْمَوْطَأِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ قَبْرِي فِيهَا وَلَمَّا هَمَّ الْإِسْكَانْدَرُ بِنَائِهَا دَخَلَ هَيْكَلًا لِلْيُونَانِيِّينَ عَظِيمًا، فَذَبَحَ فِيهِ ذَبَائِحَ كَثِيرَةً، وَسَأَلَ أَحْبَارَهَا أَنْ تَبَيِّنَ لَهُ أَمْرَ الْمَدِينَةِ هَلْ يَتِمُّ بِنَاؤُهَا، وَكَيْفَ يَكُونُ؟ فَرَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِدَارَ ذَلِكَ الْهَيْكَلِ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ تَبْنِي مَدِينَةً يَذْهَبُ صَوْتُهَا فِي

(١) لَعَلَّهَا: فَكَادَ.

أقطار الأرض، ويسكنها من الناس ما لا يحصى عددهم، ويختلط الرياح الطيبة بهوائها، ويثبت حكمة أهلها، ويصرف عنها سورة السموم والحر، ويطوى عنها قسوة البرد والزمهرير، ويظعن عنها الشرور حتى لا يصيبها خيل من الشيطان، وإن جلب إليها الملوك والأمم بجنودهم وحاصروها لم يدخل عليها ضرر. فبناها وسمّاها الإسكندرية. ثم رحل عنها فيقال: إنه مات ببابل وحُمِلَ إلى الإسكندرية فدفن بها ويقال: إنها عُمِلت في ثلثمائة سنة، وخُفرت نورتها ثلاث سنين، وضربت ثلثمائة سنة. ولقد غَبَرَ أهلها سبعين سنة ما يمشون بالنهار فيها إلا بخرق سود، فَرَقَ أَنْ تذهب أبصارهم من بياض جُذرها، وما أَسْرَجَ فيها أحد سراجاً بليل من ضوئها، ومنارة الإسكندرية على سرطان من زجاج في البحر^(١).

والجوف بمصر وباليمامة وهما جوفان، مثل الطوخ بالعراق، وحُلوان بمصر على فرسخ من الفسطاط، وبه نخل كثير والكرويون على ثلاثة فراسخ منها.

فأما منارة الإسكندرية فلها عمودان من نحاس على صورتين أحدهما من زجاج والآخر من نحاس؛ أما النحاس فعلى صورة عقرب، والزجاج على صورة سرطان، والمنظرة إلى جنبهما ويقال لهما المنارة^(٢).

وعَيْنُ الشَّمْسِ على ثلاثة فراسخ من الفسطاط ومَنَفَ مساكن فرعون بينها وبين عين الشمس ثلاثة فراسخ.

وقد اختلفوا في الإسكندر فزعم بعضهم أنه ذو القرنين، وقال آخرون: ليس هو ذو القرنين ابن فيلفوس، ولكنه لكثرة جولانه في الأرض وطيه الأقاليم شَبَّهَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِذِي القرنين، وبينه وبين ذِي القرنين المعمّر صاحب سدّ ياجوج وماجوج وباني مدينة مرو ومنارة الإسكندرية المركّزة على سرطان من زجاج، وباني مدينة البهت بالمغرب وتعرف بالبُها، وهي مبنية من حجر يسمّى حجر البهت، مَنْ تَطَلَّعَ فيها تاه واستغرب ضحكاً حتى يتلف نفسه دهرٌ طويل، وذو القرنين المعمّر هو الذي وقف على صاحب الصور حين دخل الظلمات، وبلغ

(١) سيحدث المؤلف فيما بعد عن ثلاث عشرة مدينة باسم الاسكندرية.

مكاناً لم ينفذ وراءه، فصور فرساً من نحاس عليه فارس من نحاس ممسك على عنان فرسه بيسرى يديه، وماداً يده اليمنى مكتوب فيها بالحميرية ليس ورائي مسلك، فهذا عُمرَ عمراً طويلاً حتى عاش سبع مائة سنة، وأوتي من كل شيء سبباً، ورفع إلى السماء وكان يسمّى عَيَاشاً، والرومي عُمرَ عمراً قليلاً وكانت سيرته أخبث سيرة.

وقال عطاء بن أبي خالده المخزومي: كانت الإسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار، فكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج منهم واحد من بيته، ومن خرج اختطف؛ وكان لهم راع يرعى الغنم على شاطئ البحر، وكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه فكمن له الراعي في بعض المواضع حتى خرج، فإذا جارية فتشبث بشعرها ومانعته فذهب بها إلى منزله، فأنست بهم فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس، فسألتهن عن ذلك فأخبروه أن من خرج في ذلك الوقت اختطف، فعملت لهم الطلسمات وكانت أول من وضع الطلسمات بمصر.

ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: عجائب الدنيا أربع^(١):

مرآة معلقة بمنارة الإسكندرية؛ كان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية، وبينهما عرض البحر.

وفرس نحاس: عليه راكب من نحاس بأرض الأندلس باسط يده رافعها، عليه مكتوب ليس خلفي مسلك، ولا يطا تلك البلاد أحد إلا ابتلعه النمل.

ومنارة من نحاس بأرض عاد، عليها راكب من نحاس، فإذا كان الأشهر الحرم هطل منه الماء، فشربوا منه وسقوا وصبوا في الحياض والآبار، فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء.

وشجرة من نحاس: عليها سودانية من نحاس بأرض رومية، فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية التي من نحاس؛ فتجيء كل سودانية من الطيارات بثلاث زيتونات زيتونة في منقارها وزيتونتان في رجليها حتى تلقىها على الشجرة فيعصر

(١) في الأصل أربعة.

أهل رومية ما يكفيهم لأدامهم وسرجهم إلى قابل.

وبعين شمس من أرض مصر بقايا أساطين كانت هناك، في رأس كل أسطوانة طوق من نحاس، يقطر من أحدهما ماءً من تحت الطوق إلى نصف الأسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره ليلاً ولا نهاراً، فموضعه من الأسطوانة أخضر، ولا يصل الماء إلى الأرض، وهو من بناء هوشنك. وبالإسكندرية موضع فيها سوارٍ وأساطين من حجارة من بقية بناء قديم، وفيها سارية تعرف بسارية سليمان (عليه السلام) فيها أعجوبة، وذلك أن الرجل فيها يجيء إليها ومعه زجاج أو خزف أو غير ذلك فيلقيه على السارية ويقول: بحق سليمان بن داود إلا أنكسرت فيتفتت الزجاج والخزف وليس هذا إلا في هذه السارية، وإن لم يقل بحق سليمان لم ينكسر.

وبمصر منى مدينة فرعون، لها سبعون باباً، وحيطان المدينة من حديد وصفر، وفيها كانت الأنهار التي تجري من تحته وهي أربعة.

[انصنا: مدينة قديمة على شرقي النيل بأرض مصر. أهل هذه المدينة مسخوا حجراً فيها رجال ونساء مسخوا حجراً على أعمالهم فالرجل نائم مع زوجته، والقصاب يقطع لحمه، والمرأة تخمر عجينة، والصبي في المهد، والرغفان في التنور. كلها انقلبت حجراً صلباً^(١).

ومن كور مصر: منى، ومسيم، ودلاص، وبوصير، والفيوم، وأهناس، والقيس، وطحا، وأسيوط، وأشمونين، قهفا، البهنسي، هو وقنى، فقط الأقصر، استى، أرمنت، سوان، الإسكندرية، المليدس، الطور، مصيل، قرطسا، خربتا، اليدقون، صاوشباس، تيده، الأفراخون، لوبيا، الأوصية، منوف العليا، منوف السفلى، دمسيس، أتريب، عين شمس، فرخطشا، الجوف الشرقي، الجوف الغربي.

وبمصر نهر اللاهون، ويقال: إن يوسف (عليه السلام) احتفزه وهو يأخذ من

(١) عن آثار البلاد ص ١٤٩.

النيل، وآخر عمل مصر من حدّ النوبة أشوان، ودُمُقْلَة مدينة النوبة وبينهما مسيرة أربعين ليلة.

ومن عيوب مصر أنها لا تمطر، ويكرهون المطر، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ ومن عيوبها الريح الجنوب التي يدعونها المَرِيسِيَّة، وذلك أنهم يسمُّون أعلى الصعيد إلى بلد النوبة مَرِيسَ، فإذا هبّت الريح المَرِيسِيَّة ثلاثة عشر يوماً تباعاً اشترى أهل مصر الأكفان والعنوط، وأيقنوا بالوباء القاتل والفناء العاجل نسأل الله العافية. ومن عيوبها اختلاف هوائها، لأنه في يوم واحد يختلف عليهم أهوية برد وحرّ، وإذا أجذبوا انقضوا لأنه ليست لهم ميرة من وجه من الوجوه، والناس من عندهم يمتارون فإذا انقطعت من عندهم فنوا نسأل الله العافية. وهم قتلوا عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب وعميرا المأمونيّ. ونساء أهل مصر والقبط ضدّ نساء خراسان، لأن نساء خراسان يلدن أذكاراً، ونساء القبط لا يكاد يُرى منهن إلا مثنان، وتلد الاثني والثلاثة والأربعة، ولا نعلم ناساً في الأرض أكثر ذكراً من آل أبي طالب.

وتربة مدينة الرسول (عليه السلام) طيبة والغالية والطيب بها يزداد على العبق وطول الأيام طيباً، والغالية الثمينة الخطيرة بالأهواز تنقلب في أيام يسيرة، وحماها على الصغير منهم والكبير لا تزايله حتى على المولود ساعة يولد قال رسول الله (ﷺ): «إن مصر ستفتح بعدي فانتجعوها ولا تتخذوها داراً فإنه يساق إليها أعجل الناس أعماراً فحماها أخبث من حمى الأهواز، ووباؤه أشدّ من ذلك. وقال رسول الله (ﷺ): «انتجعوا خيرها واسكنوا غيرها، فإنها معدن السحر والزنا ودار الفاسقين، ولا تغسلوا رؤوسكم بطينها الأسود، فإنه يميت القلب ويكثر الهم، ويذهب بالغيرة نعوذ بالله منه» قال: وكُشف عن حجر بمصر فإذا فيه كتابة: ويلك يا مصر خرابك سيّلك، ملوكك غريباء لا يسود منك فيك ولا منك في غيرك. وقال وهب المعافري: إذا رأيتم منبر الفسطاط قد حوّل عن مكانه فتحولوا منها. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتين على الناس زمان قُتِبَ على جمَلٍ دبر خير من دار بمصر، وقال يحيى بن محفوظ: خلق الله العقل وخلق معه المكر

وأسكنه العراق، وخلق المكر وخلق معه الجفاء فأسكنه الشام، وخلق الفقر وخلق معه القنوع وأسكنه الحجاز، وخلق الغناء وخلق معه الذل وأسكنه مصر. وقال كعب القرظي: خلق الله السرقة تسعة أجزاء سبعة منها في القبط.

ومن عجائب مصر: الشب وهو حجر أسود مجدر يطفو فوق الماء، والأبنوس يرسب في الماء، فأي شيء أعجب من خشب يرسب في الماء، وحجر يطفو على الماء؟ وضروب من الخشب ترسب في الماء: الأبنوس، والشيز، والعناب، والأهندال، وحجر المغناطيس عجب وإن شأن الألماس لعجب، ومن أعاجيب الحجارة الحصاة التي في صورة النواة، تسبح في الخل كأنها سمكة، والخرزة التي تجعل في حق المرأة لثلاً تحبل، والحجر الذي يوضع على حرف الثور فيساقط خبز الثور كله، ويدعون أن كعب الأرنب إذا شد بساق الملسوع لم يضره.

قال: وخراج مصر وحدها بضعف على جميع خراج الروم، وحمل منها موسى بن عيسى في دولة بني العباس ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار.

وعلى أعلى مصر، النوبة والحبشة والبجة. وكان عثمان صالح النوبة على أربع مائة رأس في السنة، وفي الخبر قال رسول الله (ﷺ): من لم يكن له أخ فليأخذ أخاً من النوبة. وقال: خير سبيكم النوبة، وللنوبة كف ووفاء وحسن عهد، وبها الأبنوس الأبيض يأخذ منه الأسرة، وبها الكركدن وهو مثل العجل، وفي جبهته قرن يقاتل به، وآخر صغير أسفل منه بين عينيه، يقطع به الحشيش ويطعن الأسد بالذي في جبهته فيقتله، وله ظلف كظلف البقر، ويهرب منه الأسد والفيل؛ وبالنوبة الزرافة وذكروا أنها بين النمر والناقة، وأن النمر ينزو على الناقة فتلد الزرافة، ولا تغتذي إلا بما تستخرجه من البحر، فخلق الباري جل وعز لها عنقاً طويلاً لتبلغ الموضع الذي تستخرج منه الغذاء، ومثله في الحيوان فيما يشاكله ويقرب منه في التناج، كما يُلحق الفرس الحمار، والذئب الضبع، والنمر اللبوة، فيخرج من بينهما الفهد؛ فالزرافة لها جثة جمل، ورأس إبل، وأظلاف بقر، وذنب طير، وليديها ركبتيان وليس لرجليها ركة، وجلدها منمر، وهو منظر عجيب

وتسمى بالفارسية أُشْتُرْكَاوِيَكُنْكَ أي إنها بين الجمل والثور والنمر والزرافة في اللغة الجمع، وسميت هذه الدابة لاجتماع هذه المشابة فيها، وذكر بعض الحكماء أن الزرافة نتاجها من فحول شتى وهذا باطل، لأن الفرس لا يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقرة وبالحبشة دابة يقال لها الرَّعْقَى، تقبض على خرطوم الجمل فتصرعه وتشرب دمه ولا تأكل لحمه.

والنوبة يعقوبية، وللصقالبة صُلبان - الحمد لله على الإسلام - وكذلك أهل عُلُوَا وتَكْرِيت والقبط والشام كلها نصارى يعقوبي ومَلَكِي، وَتَسْطُورِي، وَنِيْقَلَانِي، وَرَكُوسِي، وَمَرْقِيُونِي، وَصَابِي، وَمَنَانِي - الحمد لله على الإسلام -.

والنوبة أصحاب ختان لا تطأ في الحيض، ولا تغتسل من الجنابة، وهم نصارى يعقوبية، يَهْذُونَ الإنجيل، والروم ملكانية يقرأون الإنجيل بالجرمقانية، وأهل بُجَّة عباد أوثان، يحكمون بحكم التورية ودُمُقْلَة مدينة النوبة وبها منزل الملك، وهي على ساحل البحر، ولها سبع جيطان وأسفلها بالحجارة، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة، وطول عُلُوَا إلى بلاد النوبة مع المغرب مسيرة ثلاثة أشهر، ومن دُمُقْلَة إلى أسوان أول مصر مسيرة أربعين ليلة، ومن أسوان إلى القسقاط خمس عشرة ليلة ومن أسوان إلى أدنى بلاد النوبة خمس ليالٍ؛ وفي الشرق من بلاد النوبة البُجَّة ما بين النيل وبحر اليمن، وهو بحر القلزم بمصر، وبحر الجار بالمدينة، وبحر جُدَّة بمكة، وبحر اليمن بالشَّحْر، وعمان وفارس والأبْلَة وفيما بين أرض النوبة والبُجَّة جبال منيعة، وهم أصحاب أوثان، وفي بلادهم معدن الزبرجد يُحفر التراب من معدنه، ثم يغسل فيوجد فيه قِطْع الزبرجد.

والبُجَّة أصناف: فالنوبة والبُجَّة تسمي الله عز وجل بحير، وبالزنجية لمكلوجلو، والقبطية أبْنُوذَه، وبالبربرية مذيكر؛ ومن خلف بلاد عُلُوَا أمة من السودان تدعى تَكْنَة، وهم عراة مثل الزنج وبلادهم تنبت الذهب، وفي بلادهم يفترق النيل، وقد ذكرنا مخرجه، وقالوا: من وراء مخرج النيل الظلمة، وخلف الظلمة مياه تنبت الذهب في تَكْنَة وغانة.

[بلاد التبر: هذه البلاد حرّها شديد جداً. أهلها بالنهار يكونون في السرايب

تحت الأرض، والذهب ينبت في رمل هذه البلاد كما ينبت الجزر بأرضنا. وأهلها يخرجون عند بزوغ الشمس ويقطفون الذهب. وطعامهم الذرة واللوبيا، ولباسهم جلود الحيوانات وأكثر ملبوسهم جلد النمر، والنمر عندهم كثير^(١).



(١) عن آثار البلاد ص ١٨. ولا ندري هل يتوقف القزويني في النقل عن ابن الفقيه إلى هذا الحد، أم أن الكلام الذي يلي هذا المنقول تابع لابن الفقيه أيضاً؟ لا نملك دليلاً يقيناً في ذلك. وكان القزويني قد حدد موقع بلاد النهر بقوله (هي بلاد السودان في جنوب المغرب). وقد نقل ياقوت ١ : ٨٣٢ عن ابن الفقيه معلومة (بلاد النهر) هذه أيضاً.

القول في المغرب

أسفل الأرض من الفسطاط إلى برقة مئمة وستون ميلاً . وبرقة مدينة حسنة في صحراء ، وهي صلحية صالح عليها عمرو بن العاص وجبر أهلها على الجزية ، وهي خصبة ممتعة ، ومن برقة إلى القيروان مدينة أفريقية مئمة وثمانية وثلاثون ميلاً ، وسميت بأفريقش بن أبرهة الرائي ، وهو الذي بناها ، وأفريقية افتتحها عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري (رحمه الله) وجهه معاوية وهي الآن في يدي ابن الأغلب^(١) ، وفي يديه أيضاً : قابس ، وجلولاء ، وسبيطلة مدينة جرجير الملك وكان رومياً ، وبينها وبين القيروان سبعون ميلاً - وزرود ، وقفصة ، وقصطلية ، ومدينة الزاب ، وودان ، وضفرجيل ، وزغوان ، وتونس ، وبينها وبين أفريقية مرحلتان على البغال ، واسم مدينة تونس قرطاجنة ، وهي على ساحل البحر ، يحيط بسورها أحد وعشرون ألف ذراع ، ومن مدينة تونس إلى الأندلس ستة فراسخ ، وإلى قرطبة مدينة الأندلس مسيرة خمسة أيام .

وفي يدي الرستمى الأباضي ، وهو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم من الفُرس ، يسلم عليه بالخلافة بقيروة ، وسلمة ، وسلمية ، وتاهرت ، وما والاها ، وبين أفريقية وتاهرت مسيرة شهر على الإبل ، ومدينة سبتة إلى جانب الخضراء .

وملك سبتة البيان وفي يدي ابن صفير البربري خلماية إلى وادي الرمل ووادي الزيتون وقصر الأسود بن الهيثم إلى أطرابلس .

(١) من هنا وما بعده يوجد بعضه لدى ابن خرداذبة ٨٧ - ٩٠

وفي يدي الخارجي الصُّقْرِيّ مدينة كبيرة تدعى دَرْعَة، فيها معدن الفضة، وهي ممّا يلي الحبشة في ناحية الجنوب، ومدينة تدعى زيز.

وفي يدي إبراهيم بن محمّد بن محمود البربريّ المعتزليّ مدينة تلي تاهرت تدعى أيزرج.

وفي يدي ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) مدينة تِلْطُسِين، ومن تاهرت إليها مسيرة خمسة وعشرين يوماً عمران كلّها، وطنجة، وفاس وبها منزله، ووليلة، ومدرّكة، ومترّوكة، ومدينة زُقُور، وغُرّة، وغُميرة، والحاجر وماجراجرا، وفنكور، والخضراء، وأوراس، وما يتّصل ببلاد زاغي بن زاغي، وطنجة خلف تاهرت بأربع وعشرين ليلة، وخلف طنجة السوس الأدنى، وخلف السوس الأدنى السوس الأقصى على بحر اليمن في شرقيّ النيل، ومدينة السوس الأقصى تدعى طَرْقَلَة، ومدينة الأندلس تدعى قرطبة، وبلاد أنبية من السوس الأقصى على مسيرة سبعين ليلة في براريّ ومفاوز، وأهلها وأهل لَمْطَة أصحاب الدرق، يتفقونها في اللين حولاً معجّداً، فينبو عنها السيف وإن قطع السيف منها شيئاً نشب السيف في الدرق، ولم يمكن أن ينزع من الدرق، والدرق اللَّمْطِيّة ليس عليها قياس.

وكان سبب خروج إدريس ووقوعه إلى هذه النواحي ما حكاه صالح بن عليّ^(١) قال: أخبرنا مشايخنا أن إدريس بن عبد الله بن حسن الطالبيّ أفلت من وقعة العبّاسيّين بالطلالبيّين بفَخّ مَكّة، وذلك في خلافة الهادي، فوقع بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى المنصور، وكان رافضياً فحمله على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طنجة بمدينة يقال لها وَلِيلَة، فاستجاب له من بها وبأعراضها من الناس، فلمّا استخلف الرشيد أعلم بذلك فضرب عنق واضح وصلبه، ودسّ إلى إدريس الشماخ اليمانيّ مولى المهديّ، وكتب له كتاباً إلى

(١) نرجح أنه صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور أحد أفراد الأسرة العبّاسية. وقد توفي عام ٢٦٢ هـ (ابن الأثير ٧: ٣٠٥).

إبراهيم بن الأغلب عامله على أفريقية، فخرج حتى وصل إلى رليّة، وذكر أنه متطّيب وأنه من أوليائهم، فاطمأن إليه إدريس وأنس به، فشكا إليه إدريس علة في أسنانه، فأعطاه سنوناً مسموماً ليلاً، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر، وهرب من الليل، فلما طلع الفجر استنّ إدريس بالسنون فقتله وطلب الشماخ فلم يظفر به، وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه، ولحقت الأخبار بعد مقدمه بموته فكتب بذلك إلى الرشيد فولّى الشماخ بريد مصر، ثم ملك من بعد إدريس ابنه، وإلى هذه الغاية هي ثابتة في ولده.

وفي يدي محمّد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أمية ما وراء بحر الأندلس، وفي يديه قرطبة وبينها وبين الساحل مسيرة خمس ليال، ومن ساحل قرطبة إلى أرثونة آخر الأندلس ممّا يلي فرنجة ألف ميل، وطليطلة وبها كان يتزل الملك، ومن طليطلة إلى قرطبة عشرون ليلة، وللأندلس أربعون مدينة، ويجاور الأندلس فرنجة وما والاها من بلاد الشرك، والأندلس مسيرة أكثر من شهر في شهر، وهي خصبة كثيرة الخير والفواكه وممّا يلي الشمال والروم فرنجة، والأندلس افتتحها طارق بن زياد وموسى بن نصير، فأصاب بها مائدة سليمان (عليه السلام) فيها جواهر لم يَرَ خلق مثلها فقطع طارق قائمة من قوائم المائدة وصير مكانها أخرى لا تشبهها، فلما قدموا بها على الوليد بن عبد الملك وكان موسى وجهها إليه فقال طارق: أنا أصبتها فكذب موسى فقال طارق للوليد: ادعُ بالمائدة فنظر إلى قائمته فإذا هي لا تشبه القوائم، فقال طارق: سله عنها، فسأله فقال: كذا أصبتها فأخرج طارق إليه القائمة فصدّقه الوليد وقومت المائدة مائتي ألف دينار.

ومن العجائب بيتان وُجدا بالأندلس عند فتحها في مدينة الملوك، في أحدهما عدد تيجان لملوكها، وفي هذا البيت وُجد مائدة سليمان بن داود (عليه السلام)، وعلى البيت الآخر أربعة وعشرون قفلاً، كلّها ملك منهم ملك زاد عليه قفلاً، ولا يدرون ما في البيت حتى ملك لدريق، وهو آخر ملوكهم فقال: لا بدّ أن أعرف ما في هذا البيت، وتوهم أن فيه مالاً، فاجتمعت الأساقفة والشمامسة

وأعظموا ذلك عليه فأبى فقالوا له: انظر ما يخطر ببالك من مال تراه فيه، فنحن ندفعه إليك ولا تفتحه، فعصاهم وفتح الباب فإذا في البيت تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم وقسيّتهم ونبلهم، فدخلت العرب بلدهم في السنة التي فتح فيها ذلك البيت، وكان ملك الأندلس حين فُتحت يسمّى لودزريق من أهل إصبهان، وبإصبهان يسمّى أهل قرطبة الأسبان، ويسلم على الأموي بها السلام عليك يا بن الخلائف، وذلك أنهم لا يرون اسم الخلافة إلا لمن ملك الحرمين.

أعراض البربر: هواره، وزنانة، وضريسة، ومغيلة وورقجومة، وأحياء كثيرة، فدواب هواره غاية في الفراهة، وكانت دار البرابرة فلسطين وملكهم جالوت، قلماً قتله داود انتقلت البربر إلى المغرب، ثم انتشرت إلى السوس الأدنى خلف طنجة، والسوس الأقصى وهي من مدينة قُصُور من موضع القيروان على ألفين وخمسين ميلاً، وكرهت البربر نزول المدائن فترلوا الجبال والرمال وبرجان وبلدان الصقالب. والإبر، شمالي الأندلس.

والذي يجيء من هذه الناحية الخدم الصقالبة، والغلمان الرومية والأفرنجية والجواري الأندلسيات، وجلود الخز والوبر والسُّور، ومن الطيب الميعة والمصطكي، ويقع من بحرهم البُئذ، وهو الذي تسميه العامة المرجان^(١)، ولهم الخيل العراب، والإبل العراب، والقسيّ العربية، وهم أهل غفلة وقلة فطنة، وقال رسول الله (ﷺ): نساء البربر خير من رجالهم بُعث إليهم نبي فقتلوه، فتولّت النساء دفنه، والحدّة عشرة أجزاء تسعة منها في البربر وجزء في الناس.

[ويروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: ما تحت أديم السماء ولا على الأرض خلق شر من البربر، ولئن أتصدق بعلامة سوطي في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق رقبة بربري]^(٢).

(١) من قوله (أعراض البربر: هواره...) أعلاه، إلى هنا (المرجان) موجود في ابن خردادبه ٩٠ - ٩٢ إلا أنه مختصر هنا.

(٢) عن معجم البلدان ١: ٥٤٣ (بربر).

قالوا: وبلاد طنجة مدينتها وَلَيْلَة، والغالب عليها المعتزلة، وعميدهم اليوم إسحاق بن محمد بن عبد الحميد، وهو صاحب إدريس بن إدريس، وإدريس موافق له، وأُمُّ إدريس بربرية مولدة، وبربر أخواله، واسم أم إدريس كَنْز، وهي التي كانت تتولَّى طعامه وطبيخه خوفاً من السم. ومن ليلة إلى طنجة إلى ناحيتي مدينة السوس الأدنى مسيرة عشرين ليلة، وليس في بلادهم نخل، ولا كرم، ولا زيتون. ولهم القمح، والشعير، والأغنام، والرمك، والبقر، والعسل، وليس لهم قطن ولا كتان، لباسهم الصوف، وزرعهم على ماء السماء؛ ومن آخر مدينة السوس إلى آخر طَرْقَلَة مدينة السوس الأقصى شهران، وليس وراء طَرْقَلَة أنس.

ومن عجائبهم وادي الرمل ومدينة البَهْت، وهي في بعض مفاوزها، قال: ولما فرغ الإسكندر من فتح مصر أخذ ميثامناً نحو المغرب حتى انتهى إلى أمة من بني إسرائيل قوم موسى بمدينة لهم وكانوا عباداً أتقياء، فلما انتهى إلى تخوم أرضهم بلغهم وروده عليهم فاجتمع عظمائهم وأخبارهم وكتبوا إليه: بسم الله ذي الطول والمن، من البرجُمَانَتَيْنِ الفقيرين إلى الله وذوي التواضع لله إلى الإسكندر المغتر بالدنيا، أما بعد فقد بلغنا مسيرك إلينا، فإن كنت محارباً كما حاربت غيرنا لتأخذ من دنيانا، فارجع فما لك عندنا طائلة، ولا لك في قتالنا نفع، لأننا أناس مساكين، ليست لنا أموال، ولا للملوك في أرضنا أرب، وإن كنت إنما تقصد نحونا لتطلب العلم فارغب إلى الله أن يفتحك ويهديك، مع علمنا أنك لا تحب ذلك، لأن انهماكك في طلب الدنيا بلا فكرة في زوالها وانقطاعها عنك، يدل أنك غير راغب فيها؛ فأما نحن فقد خَلينا الدنيا ورفضناها، ورجبنا في الآخرة وتشوقناها، فانصرف أيها العبد عتاً، ولا تؤذينا وتخرّب بلادنا، ولا أرب لك فينا.

فلما أتاه الكتاب عزم على إتيانهم في مائة فارس من علماء أصحابه وزهادهم، وقد كان بينه وبينهم بحر رمل يجري كما يجري الماء، ويسكن كل يوم سبت فلا يتحرك إلى الليل، ومدينتهم تسمى مِقيارات، وحولها تسع قرى، وهم متفرقون فيها، وأسمائهم: عَطْرُوت، ورَبْعُون، ويَمْحُون، وقَنَوا، وحَسَنُون، وبَغْلَى، وسبام، وينوا، ويُنْعُون، ودورهم مستوية، وليس فيهم رجل أغنى من

الآخر، وقبورهم على أبواب دورهم، فأقام الإسكندر على حافة ذلك البحر حتى
 إذا كان يوم السبت سكن ذلك الرمل، فسلكه وسار يومه كله إلى اصفرار الشمس،
 حتى جاز النهر في أصحابه، فاستقبلوه وسلموا عليه، فلما دنا منهم نزل فاجتمع
 إليه من أفاضلهم وعلمائهم زهاء مائة رجل، فدعوا له بالصلاح فرحب بهم
 الإسكندر، ودخل معهم المدينة. فجلس على الأرض، وجلس أولئك الأخبار
 حوله، ثم قال: ما بال قبوركم على أبواب منازلكم؟ قالوا: ليكون ذكر الموت
 نصب أعيننا. قال: فهل فيكم مسكين؟ قالوا: ما فينا أحد أغنى من الآخر. قال:
 فمن شر عباد الله؟ قالوا: من أصلح دنياه وأخرب آخرته. قال: فمن أفسى الناس
 قلباً؟ قالوا: من أغفل أمر الموت ونسي الحساب والعقاب. قال: فالبرُّ أقدم أم
 البحر؟ قالوا: لا بل البرُّ لأن البحر إنما يحول إلى البرِّ. قال: فالليل أقدم أم
 النهار؟ قالوا: بل الليل أقدم لأن الخلق إنما خلقوا في الظلمة في بطون الأمهات،
 ثم خرجوا بعد ذلك إلى النور. قال الإسكندر: طوبى لكم، لقد رزقتم زهادة
 وعلماً. قالوا: بل طوبى لمن وقاه الله فتنة الدنيا، وأخرجه منها سالماً. قال: فإني
 أحبُّ أن تعظوني. قالوا: وما يُغني وعظنا إياك مع انهماك على الدنيا وحرصك
 عليها بلا فكرة منك في زوالها. قال: فسلوني حوائجكم. قالوا: نسألك الخلد.
 قال: هل يقدر على ذلك أحد إلا الله؟ قالوا: فإن كنت موقناً بالموت فما تصنع
 بقتل أهل الأرض؟ قال: نعم إني موقن بذلك غير أنني لا أملك لنفسي ضرراً ولا
 نفعاً، ثم قال: يا معشر البرجُمانيين إن الله قد خصكم بالعلم، وحلاكم بالزهادة،
 وزينكم بالحكمة، وصرف قلوبكم عن الشهوات، فسلوني حُكمكم من زهرة
 الدنيا. قالوا: لا حاجة لنا في شيء من ذلك. قال: فأحبُّ أن تقبلوا مني شيئاً فإن
 معي يواقيت وجواهر حسناً. قالوا: احضره لننظر إليه، فأمر بإخراج أسفاط فيها
 جواهر مثمّنة، ففتحت فلما نظروا إليها قالوا له: أيُّها الملك ويعجبك مثل هذا؟
 قال: ليس شيءٌ من عرض الدنيا أحبُّ إلينا منه. قالوا: فانطلق بنا حتى نريك ما
 هو أحسن منه وأكثر، وليس عليك فيها مؤونة، فانطلقوا إلى نهر عظيم فيه صنوف
 الجواهر واليواقيت، وفيه من الجواهر ما لم ير مثله، فقالوا: هذا أكثر أو ما معك؟

قال: بل هذا. فقالوا: بالذي نزع عن قلوبنا الشهوات، ووقفنا لطاعته، وقوانا على العباد، ما تزيت امرأة مثا قط بشيء من هذا، ولا انتفعنا به بنفس خاتم. فأقام عندهم إلى السبت الآخر حتى سكن البحر فجازاه حتى أتى معسكره فيقال: إنهم القوم الذين ذكرهم الله جل وعز في كتابه فقال وقوله الحق: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: فلما ملك ناشر ينعم تجهز وسار في جمع لا يحصى عددهم نحو المغرب، حتى إذا بلغ وادي الرمل أراد أن يجوزه فلم يجد مجازاً، فأقام إلى يوم السبت، فلما سكن الرمل يوم السبت أرسل نفرأ من أصحابه وأمرهم أن يقطعوه، ثم يقيموا من ذلك الجانب إلى السبت الآخر، ثم ينصرفوا إليه بخبر ما راوه، فساروا يرمهم ذلك حتى هجم عليهم الليل قبل أن يقطعوه، فجرى ذلك الرمل فغرقوا فيه، فلما رأى ذلك ولم يرجع إليه من أصحابه أحد، أمر بصنم فنصب على حافة الوادي، وكتب على جبهته: ليس ورائي لا مريء مذهب فلا يتكلفن أحد المضي إلى الجانب الآخر، ثم انصرف إلى مملكته.

ومن طرقة إلى مدينة غانة مسيرة ثلاثة أشهر مفاوز وقفار، وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتاً في الرمل، كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس، وطعامهم الدرة واللوبياء، ويسمون الدرة الدخن، ولباسهم جلود النمر وهي هناك كثيرة.

ومعدن الفضة والذهب بموضع يقال له تدمير، بينه وبين قرطبة عشرة أيام، ومعدن الفضة في أعلى مدينة يقال لها جيتان، وبها معدن الزبيق في موضع يقال له فخص البلوط، ومن معدن الزبيق إلى قرطبة خمسة أيام، وأهلها بربر وهم في سلطان الأموي.

ويتاخم الشرك أمة يقال لها علجشكش وهي قرية من البحر.

وبقرطبة دار الضرب في موضع يقال له باب العطارين، وليس في دراهمهم مقطعة، ولهم فلوس يتعاملون بها ستين فلساً بدرهم، ودرهم تسمى طلياً. وللأموي جند وديوان يعطيهم أرزاقهم من العرب والموالي وغيرهم. قرطبة طيبة الهواء لا يحتاجون في الصيف إلى خيش، وبها عيون وآبار، وعندهم ثلج يقع على جبل يقال له شلير، بينه وبين قرطبة أربعة أيام، وبقرطبة آبار طيبة عذبة باردة،

يشربون في الصيف من تلك الآبار لشدة بردها.

ويروى عن عامر الشَّعْبِيّ قال: إن الله جلّ وعزّ خلق خلقاً خلف الأندلس ليس بينهم وبين الأندلس إلّا كما بيننا وبين الأندلس، لا يرون أن الله عصاه أحد، لا يحرقون، ولا يزرعون، ولا يحصدون، على أبوابهم شجر ينبت لهم ما يأكلون منه، وللشجرة أوراق عراض، يوصلون بعضها إلى بعض فيلبسونها، وفي أرضهم الدرّ والياقوت، وفي جبالهم الذهب والفضة، فأتاهم ذو القرنين فخرجوا إليه فقالوا له: ما جاء بك، تريد أن تملكنا، فوالله ما ملكنا أحد قط، وإن كنت تريد المال فخذ. فقال: والله ما واحدة من هاتين أريد، ولكن سألت ربي أن يسيّرني فيما بين مطلع الشمس إلى مغربها، فهذا حيث جئتكم من المطلع قالوا: هذا المغرب عندك.

وبالأندلس نخل قليل، وبها زيتون كثير، وزيت وقطن وكتان.

حديث البهت: فمن عجائب الأندلس البهت، وهي المدينة التي في بعض مفاوزها، ولما بلغ عبد الملك بن مروان خبر هذه المدينة وأن فيها كنوزاً، كتب إلى موسى بن نصير - وكان عامله على المغرب - يأمره بالمسير إليها، ودفع الكتاب إلى طالب بن مدرك، فسار حتى انتهى إلى مدينة القيروان، وموسى مقيم بها، فأوصل كتاب عبد الملك إليه فلما قرأه تجهّز وسار في ألف فارس من أبطال قومه وأشرفهم، وحمل معه من الزاد لأربعة أشهر، ومن الماء لنفسه وأصحابه ما يكفيهم، وأخرج رجالاً أدلاءً بذلك الطريق، فسار ثلاثة وأربعين يوماً حتى انتهى إليها، فأقام ثلاثاً حتى علم كنه علمه، ثم ارتحل إلى البحيرة، وكانت على ميلين من المدينة، وتفهم أمرها ثم انصرف إلى القيروان، وكتب إلى عبد الملك بن مروان مع طالب بن مدرك، بسم الله الرحمن الرحيم: أصلح الله أمير المؤمنين صلاحاً يبلغ به شرف الدنيا والآخرة، أخبرك يا أمير المؤمنين أنني تجهّزت لأربعة أشهر، وسرت في مفازة الأندلس في ألف رجل من أصحابي، حتى أوغلت في طرق قد انطمست ومناهل قد اندرست وعفت فيها الآثار، وانقطعت عنها الأخبار، أحاول بلوغ مدينة لم يرَ الرءاؤون مثلها ولم يسمع السامعون بمثلها، فسرنا ثلاثة

وأربعين يوماً فلاح لنا بريق شرف تلك المدينة من مسيرة خمسة أيام، فها لنا منظرها وامتلات قلوبنا منها رعباً من عظمها وبُعد إقطارها، فلما قربنا منها إذا أمرها عجيب هائل، ومنظرها مخيف موجل كأن المخلوقين لم يصنعوها، فنزلنا عند ركنها الشرقي فصلينا عشاء الآخرة، ثم بتنا بأربع ليلة بات بها أحد من المسلمين، فلما أصبحنا كبرنا استئناساً بالصبح وسروراً به، ثم أرسلت رجلاً من أصحابي في مائة فارس، وأمرته أن يدور مع سور المدينة ليعرف لنا موضع بابها، فغاب عنا يومين، ثم أتانا صبيحة يوم الثالث فأخبر أنها مدينة لا باب لها، ولا مسلك إليها، فجمعت أمتعة أصحابي إلى جانب سورها وجعلت بعضها إلى بعض لأنظر من يصعد إليها فيأتيني بخبر ما فيها فلم تبلغ أمتعتنا ربع الحائط لارتفاعه في الهواء فأمرت فأتخذ سلاليم كثيرة، ووصلت بعضها إلى بعض بالجمال ونصبتها على الحائط، وناديت في المعسكر من يتعرف لي خبر هذه المدينة، ويصعد هذه السلاليم فله عشرة آلاف درهم، فانتدب رجل من أصحابي فتسّم السّلم وهو يتعوّذ ويقرأ، فلما صار في أعلاها وأشرف على المدينة قهقه ضاحكاً، ثم هبط إليها فنادينا: أخبرنا بما رأيت فيها، فلم يجبنا، فجعلنا أيضاً لمن يصعد إليها ويأتينا بخبرها وخبر الرجل ألف دينار، فانتدب رجل من حمير وأخذ الدنانير وجعلها في رحله، ثم صعد فلما استوى على السور قهقه ضاحكاً، ثم نزل إليها فنادينا: أخبرنا بما وراءك وما الذي ترى فلم يجبنا أحد، حتى صعد ثلاثة رجال كلهم يقهقه ضاحكاً ويتطير، فامتنع أصحابي بعد ذلك من الصعود وأشفقوا على أنفسهم، فلما يشت من أولئك الرجال ومن معرفة المدينة، رحلت نحو البحيرة، فسرت مع سور المدينة فانتهينا إلى مكان من السور فيه كتابة بالعربية^(١)، فوقفت حتى أمرت باستنساخه وهي:

لِيَغْلَمَ الْمَرْءُ ذُو الْعِزِّ الْمَنِيعِ وَمَنْ يَرْجُو الْخُلُودَ وَلَا حَيٍّ بِمَخْلُودٍ
لَوْ أَنَّ خَلْقاً يَسْأَلُ الْخُلْدَ فِي مَهَلٍ لَنَالِ ذَاكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ

(١) معجم البلدان (بالحميرية). وقد أكملنا بعض الفجوات في خبر هذه المدينة اعتماداً عليه إذ إن ياقوت الحموي كان يعتمد على النسخة الكاملة من كتاب ابن الفقيه. انظر ٤: ٤٥٥ - ٤٥٧.

سالت له العَيْنُ عَيْنَ الْقَطْرِ فَائِضَةً فيها عطاءً جَلِيلٌ غَيْرُ مَصْرُودٍ
وقال لِلْجِنِّ ابْشُوا مِنْهُ لِي أُنْزِلَ يَبْقَى إِلَى الْحَشْرِ لَا يَبْلَى وَلَا يُودَى
فصَيَّرُوهُ صِفَاحاً ثُمَّ مِيلَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ بِأَحْكَامٍ وَتَجْوِيدِ
وَأَفْرَغُوا الْقَطْرَ فَوْقَ السُّورِ مَنْحَدِراً فَصَارَ صُلْباً شَدِيداً مِثْلَ صَيْحُودِ
وَرَدَّ فِيهَا كُنُوزَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً وَسَوْفَ يَظْهَرُ يَوْماً غَيْرَ مَخْدُودِ
لَمْ تَبْقَ مِنْ بَعْدِهَا فِي الْمَلِكِ شَارِفَةٌ حَتَّى يُضْمَنَ رَمْساً بَطْنُ أَخْدُودِ
وَصَارَ فِي قَعْرِ بَطْنِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعاً مُضْمَناً بِطَوَائِقِ الْجَلَامِيدِ
هَذَا لَتَعْلَمَ أَنَّ الْمُلْكَ مُنْقَطِعٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ذِي التَّقْوَى وَذِي الْجُودِ

ثم سرت حتى وافيت البحيرة عند مغيب الشمس فإذا هي مقدار ميل في ميل، وهي كثيرة الأمواج، فنظرنا فإذا رجل قائم فناديناه من أنت؟ قال: أنا رجل من الجن، وكان سليمان بن داود حبس والذي فوق الماء في^(١) هذه البحيرة، فأتيته لأنظر ما حاله، قلنا: فما لك قائماً فوق الماء؟ قال: سمعت صوتاً فظننته صوت رجل يأتي هذه البحيرة في كل عام مرة فهذا أوان مجيئه. فيصلي على شاطئ هذه البحيرة أتماً ويهلل الله ويمجده، قلنا: فمن تظنه؟ قال: أظنه الخضر، ثم غاب عنا، فبتنا تلك الليلة على شاطئ البحيرة، وقد كنت أخرجت معي عدة من الغواصين، فغاصوا في البحيرة فأخرجوا منها حباً من صُفْرٍ مطبقاً رأسه بصفر، مسموراً بمسامير من صفر، فأمرت بقلع الصفر فخرج منه رجل من صفر على فرس من صفر بيده مطرد من صفر، فطار في الهواء وهو يقول: يا نبي الله لا أعود، ثم غاصوا ثانية وثالثة فأخرجوا عدة من أولئك، ثم ضج أصحابي وخافوا أن ينقطع بهم الزاد، فأمرت بالرحيل وانصرفت بالطريق الذي سلكته، وأقبلت حتى نزلت القيروان، وكتابي منها والحمد لله الذي حفظ لأمير المؤمنين أموره وسلم له جنده والسلام. فلما قرأ عبد الملك بن مروان كتاب موسى بن نصير وكان عنده الزهري قال: ما تظن بأولئك الذين صعدوا فوق السور كيف استطيروا؟ قال: أظنهم خبلوا

(١) لدى باقوت (ولدي).

فاستطبروا لأن بتلك المدينة جفًا قد وكلوا بها. قال: فمن أولئك الذين خرجوا من الحباب ثم يطبرون؟ قال: أولئك مردة الجن الذين حبسهم سليمان بن داود (عليه السلام) في البحار.

[بيرة: جزيرة فيها اثنتا عشرة مدينة وملكها مسلم يقال له في هذا الوقت سودان بن يوسف، وهي في أيدي المسلمين منذ دهر، وأهلها يغزون الروم والروم يغزونهم، ومنها يتوجه إلى القيروان]^(١).



مركز تحقيقات كالجور اسلامي

(١) عن باقوت: ١: ٧٨٧.

القول في الشام

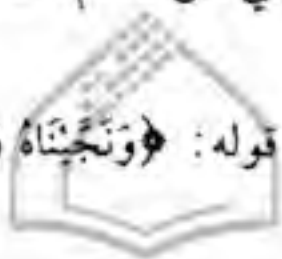
قال: سمّيت الشام شاماً لأنها شامة للكعبة، وقالوا: سمّيت لشامات بها حمر وسود، وقال ابن الأعرابي: إذا جرت جبلي طيء - يقال لأحدهما سَلَمَى وللآخر أجأ - فقد أشامت حتى تجوز غزّة ودمشق وفلسطين والأردن وقنسرين من عمل العراق. وقالوا: الشام من الكوفة إلى الرملة، ومن بالس إلى أيلة. وقال عبد الله بن عمرو: قُسم الخير عشرة أجزاء فيجعل منها تسعة أعشار في الشام، وجزء في سائر الأرضين. وقال وهب الذماري: إن الله جلّ وعزّ أوحى إلى الشام أني باركتك وقدّستك، وجعلت فيك مقامي، وإليك مخشر خلقي، فأتسعي لهم كما يتسع الرّحم، إن وُضع فيه الثّان وسعهما، وإن وُضع ثلاثة وسعهم، وعيني عليك من أول السنين إلى آخر الدهر، من عَدِمَ فيك المال لم يعدم فيك الخبز والزيت.

وروى جُبَيْر بن نُفَيْر الحضرمي قال: شكت الشام إلى ربّها فقالت: يا ربّ فضّلت الأرضين عليّ بالجبال والأنهار وتركتني كظهر الحمار، فأوحى الله عزّ وجلّ إليها أن المسكين يشبع فيك، وعيني عليك وبدي إليك. وفي خبر آخر قال: قال رسول الله ﷺ: الشام صفوة الله من بلاده، وإليه يجتبي صفوته من عباده، يا أهل اليمن عليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض الشام.

وقال الحجاج لابن القريّة: أخبرني عن مُكران. قال: ماؤها وشلّ، وتمرها دقل، وسهلها جبّل، ولصّها بطل، إن كثر بها الجيش جاعوا، وإن قلّوا ضاعوا. قال: فأخبرني عن خراسان. قال: ماؤها جامد، وعدوّها جاهد، وبأسهم شديد، وشرّهم عنيد. قال: فأخبرني عن اليمن. قال: أرض العرب وأهل بيوتات

وحسب. قال: فأخبرني عن عمان. قال: حرُّها شديد، وصيدها عتيد، وأهلها بهائم، ليس بها رائم. قال: فأخبرني عن البحرين. قال: كناسة بين مصرين كثيرة جبالها، جهلة رجالها. قال: فأخبرني عن مكة. قال: رجالهم علماء، وفيهم جفاء، ونساؤها كُساء عُراة. قال: فأخبرني عن المدينة. قال: رسخ العلم فيها ثم علا وانتشر منها في الآفاق. قال: فأخبرني عن اليمامة. قال: أهل جفاء وجلد وثروة وعدد وصبر ونكر. قال: فأخبرني عن البصرة. قال: حرُّها شديد، وماؤها مالح، وحربها صالح، مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. قال: فأخبرني عن واسط. قال: جنة بين حماة وكنتة تحسدانها، ودجلة والزاب يتباريان عليها. قال: فأخبرني عن الكوفة قال: سفلت عن برد الشام وارتفعت عن حرِّ اليمن، قطاب ليلها وكثر خيرها. قال: فأخبرني عن الشام. قال: عروس في نسوة جلوس كلهن يُزفنها ويرفدنها.

وقال عدني بن كعب في قوله: ﴿وَنَجِّنَا﴾ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿﴾ قال: الشام.



مركز تجميع الكتب في العراق

القول في بيت المقدس

قال في قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ قال: بيت المقدس. وقال مقاتل بن سليمان في قول الله تعالى ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قال: هي بيت المقدس. وقوله: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: إلى بيت المقدس. وقوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ قال: بيت المقدس. وشدد الله عز وجل ملك داود بها، وسخر الله له الجبال والطير يستخزن بيت المقدس، ووهب الله عز وجل له سليمان بها، وغفر لسليمان ذنبه، وفهمه الحكمة في بيت المقدس، وكانت أنبياء بني إسرائيل تقرب بها، واصطفى الله عز وجل مريم بها على نساء العالمين، وآتى الله عز وجل يحيى الحكمة بها، وسرة الأرض بيت المقدس. وفي الخبر: من صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء، وتزف الكعبة بجميع حجاجها يوم القيامة إلى بيت المقدس، ويقول لها: مرحباً بالزائر والمزور، وتزف مساجد الله عز وجل كلها إلى البيت المقدس، وأول ما انحسر عنه الطرفان صخرة بيت المقدس، وينفخ في الصور يوم القيامة بها، ويحشر الله عز وجل الخلائق إليها، وتزف الجنة عند بيت المقدس، وباب السماء مفتوح على بيت المقدس، ويغفر الله عز وجل لمن أتى إلى بيت المقدس، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. قال الله عز وجل لموسى: انطلق إلى بيت المقدس فإن بها نوري، وناري. وتكفل الله عز وجل لمن أتاها أن لا يفوته الرزق. وقال رسول الله ﷺ لنا: ستهاجرون هجرة إلى مهاجر إبراهيم - يعني بيت المقدس - فمن صلى في بيت المقدس ركعتين خرج من ذنوبه مثل يوم ولدته أمه، وكان له بكل شعرة في جسده مائة نور عند الله عز وجل، وحشره الله عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء. وقال لسليمان بن

داود حين فرغ من بنائها . سَلَنِي أُعْطِكَ قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذَنْبِي . قَالَ
اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : لَكَ ذَلِكَ . قَالَ : يَا رَبِّ وَأَسْأَلُكَ مِنْ جَاءَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لَا يَرِيدُ إِلَّا
الصَّلَاةَ فِيهِ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : وَلَكَ ذَلِكَ . قَالَ :
وَأَسْأَلُكَ مِنْ جَاءَهُ فَقِيراً أَنْ تُغْنِيَهُ ، أَوْ سَقِماً أَنْ تُشْفِيَهُ . قَالَ : ذَلِكَ لَكَ . قَالَ :
وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَكُونَ عَيْنَكَ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ : وَلَكَ ذَلِكَ .

وقال رسول الله ﷺ : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى أَفْضَلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَصَلَاةٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ
صَلَاةٍ فِي سِوَاهُ ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَانِهَا وَشِدَّتِهَا جَاءَهُ اللهُ بِرِزْقِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ
خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ وَمَنْ فَوْقَهُ وَمَنْ تَحْتَهُ فَأَكَلَ رَغْداً ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ؛ وَهِيَ
أَوَّلُ أَرْضٍ بَارَكَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ فِيهَا ، وَبَشَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ بِإِسْحَاقَ بِهَا ،
وَبَشَّرَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى بِهَا ، وَتَسَوَّرَ الْمَلَائِكَةُ الْمِخْرَابَ عَلَى دَاوُدَ بِهَا ؛
وَيُمْنَعُ الدَّجَالُ عَدُوَّ اللهِ أَنْ يَدْخُلَهَا ، وَيُهْلِكَ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ حَوْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؛
وَأَوْصَى آدَمُ أَنْ يَدْفَنَ بِهَا ، إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ ، وَحَمَلُ يَعْقُوبَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَيْهَا ،
وَدُفِنَتْ مَرْيَمُ بِهَا ، وَبِهَا مَوْضِعُ الصِّرَاطِ وَوَادِي جَهَنَّمَ وَالسَّكِينَةُ ، وَإِلَيْهَا الْمُحْشَرُ
وَالْمُنْشَرُ ، وَتَابَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَى دَاوُدَ بِهَا ، وَصَدَّقَ إِبْرَاهِيمَ الرُّؤْيَا بِهَا ، وَكَلَّمَ
عِيسَى النَّاسَ فِي الْمَهْدِ بِهَا ، وَتُقَادُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وقال كعب : مَنْ زَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَزَارَهُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَبَطُوهُ
وَمَنْ صَامَ يَوْماً بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَمَا مِنْ مَاءٍ عَذِبَ إِلَّا يَخْرُجُ
مِنْ تَحْتِ الصَّخْرَةِ الَّتِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً
فُرَاتًا ﴾ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ : سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفَرَاتُ وَالنَّيْلُ الَّذِي بِمِصْرَ ، فَأَمَّا
سَيْحَانُ فَدَجْلَةٌ ، وَأَمَّا جَيْحَانُ فَنَهْرُ بَلْخَ ، وَأَمَّا الْفَرَاتُ فَبِالْكُوفَةِ قَالَ .

وقال كعب : كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعُ مِائَةِ سَرِيَّةٍ وَثَلَاثُ مِائَةِ
مُخَصَّصَةٍ^(١) ، وَأَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَكَانَ يَعْمَلُهُ بِالْجَنِّ

(١) فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ (الْمُلُوكُ الْأَوَّلُ ١١ : ٣) (وَكَانَ لَهُ سَبْعُمِائَةِ زَوْجَةٍ وَثَلَاثُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ) .

والأنس، فكان طعامهم الذي يطعمهم كل يوم من اللحم ستين ألف شاة وعشرين ألف عجل وعشرين ألف فدان، والذي يصلح لذلك من الحنطة.

وقال كعب: هبط آدم بالهند فخرّ ساجداً، فوقعت جبهته على صخرة بيت المقدس.

وقال كعب: لا تسموها إيلياء ولكنها بيت المقدس، إنما إيلياء امرأة بنت بيت المقدس.

وقال كعب: من أتى بيت المقدس يسأل الله عز وجل فيها حاجة لا يسأله غيرها إلا أعطاه الله إياها وقالت ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ أفتنا عن بيت المقدس. قال: نعم المصلّي، هو أرض المَحْشَر وأرض المَنْشَر ايتوه فصلوا فيه، فإن الصلاة فيه كالف صلاة. قلت: بأبي وأمي أنت من لم يطق أن يأتيه؟ قال: فليهد إليه زيتاً يُسرج فيه فإنه من أهدى إليه كان كمن صلى فيه. وقال كعب: دخلت امرأة الجنة في مغزل شعر أهدته إلى بيت المقدس.

وعن ابن عباس قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبيّ وقام عليه ملك.

وقال فضيل بن عياض: لما صُرفت القبلة نحو الكعبة قالت صخرة بيت المقدس: إلهي لم أزل قبلة لعبادك حتى بعثت خير خلقك فصُرفت قبلتهم عني، فقال: أبشري فلاني واصلع عليك عرشي، وحاشر إليك خلقي، وقاضٍ عليك أمري وناشر منك خلقي.

وقال وهب: أهل بيت المقدس جيران الله عز وجل، وحق على الله ألا يعذب جيرانه.

وقال كعب: من زار بيت المقدس شوقاً إليها دخل الجنة، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأعطى قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً، ومن تصدّق فيها بدرهم كان فداءه من النار، ومن صام فيها يوماً واحداً كتبت له براءة من النار.

وقال كعب: قرأت في التوراة أن الله جلّ وعزّ يقول للصخرة: أنت عرشي الأدنى، منك ارتفعت إلى السماء، ومن تحتك بسطت الأرض، ومن أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني ومن مات فيك فكأنما مات في السماء. أنا جاعل لمن يسكنك أن لا يفوته الخبز والزيت أيام حياته وكلّ ماء عذب من تحتك يخرج، لا تذهب الأيام حتى يزفّ إليك البيت الحرام. وكلّ بيت يذكر فيه اسمي، يحققون بك كما يحقق الركب بالعروس.

وقال بعضهم: ردّ الله جلّ وعزّ على سليمان ملكه بعسقلان، فمشى إلى بيت المقدس على قدميه تواضعاً لله وشكراً؛ ويقول الله عزّ وجلّ لبيت المقدس: أنت نصب عيني لا أنساك، أنت مني بمنزلة الولد من والديه، فيك جنتي وناري، وإليك محشري، وفيك موضع ميزاني.

وقال يحيى بن كثير: لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبع حيطان: حائط من ذهب، وحائط من فضة، وحائط من لؤلؤ، وحائط من ياقوت، وحائط من زبرجد، وحائط من نور.  وبيت المقدس افتتحه عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه).

وعن وهب بن منبه قال: أمر إسحاق ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيّين، وأن ينكح من بنات خاله لابان، وكان مسكنه القدان^(١)، فتوجّه إليه يعقوب فأدركه في بعض الطريق تعباً، فبات متوسداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم كأن مسلماً منصوباً إلى باب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل منه وتخرج فيه، وأوحى الله عزّ وجلّ إليه أني أنا الله لا إله إلا أنا إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وقد ورثتك هذه الأرض المقدّسة وذريّتك من بعدك، وباركت فيك وفيهم، وجعلت فيكم الكتاب والحكم والنبوة، ثم أنا معك حتى أردّك إلى هذا المكان، فأجعلك بيتاً تعبدني فيه وذريّتك، فيقال: إن ذلك بيت المقدس؛ ومات عنه داود (عليه السلام) فلم يتمّ بناءه، وأتمّه سليمان، فأخبره

(١) في التكوين ٢٨: ٢ قدان آرام وتقع فيما بين النهرين.

بُخِتْ نَصْر، فَمَرَّ عَلَيْهِ شَعْبًا فَرَأَاهُ خَرَابًا فَقَالَ: ﴿أَنْتَ يُخَيِّبُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ
اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ وَابْتَنَاهُ مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ فَارِسٍ يُقَالُ لَهُ كُوشَكٌ.

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مَنْبَهٍ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ الْقَى عَلَى
لِسَانِ دَاوُدَ فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا الْبَيْتُ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ هَذَا مَحَلَّةُ
رُسُلِي. وَأَهْلُ مَنَاجَاتِي، وَأَقْرَبُ الْأَرْضِ إِلَى فَصْلِ الْقَضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَمَنْتُ إِلَّا
يَأْتِيهِ عَبْدٌ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ إِلَّا غُفِرَتْ لَهُ، وَلَا يَسْتَغْفِرُنِي إِلَّا غُفِرَتْ لَهُ وَتَبَّتْ
عَلَيْهِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَارْزُقْنِي أَنْ آتِيَهُ. فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ لَا يَخَالِطُ
مَنْ التَّبَسَّتْ كَفَّاهُ بِالْدُنْيَا. قَالَ: يَا رَبِّ أَمَا قَبِلْتَ تَوْبَتِي وَأَعْطَيْتَنِي رِضَائِي، فَأَوْحَى
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: أَنْ الْبَيْتَ طَاهِرٌ طَهَّرْتُهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَغَسَلْتُهُ مِنَ الْخَطَايَا، فَلِذَلِكَ
مَنْعْتُكَ بِنَاءَهُ حَتَّى يُجْرَى بِنَاؤُهُ عَلَى يَدَيَّ مِنْ أَنْبِيَائِي تَقِي الْكَفَّيْنِ، وَقَدْ كَانَ دَاوُدُ
أَسَّسَ أَسَاسَ الْمَسْجِدِ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْجُدُرُ، فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ أَنْ
يُفْسِكَ عَنِ الْبِنَاءِ، وَيَعْلَمَهُ أَنْ الَّذِي يَتَوَلَّى بِنَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ وَأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ لَهُ
اسْمَ ذَلِكَ الْبِنَاءِ وَبَشَّرَهُ بِمَا يَعْطِي سُلَيْمَانُ بَعْدَهُ مِنْ عَظِيمِ الْمُلْكِ، فَلَمَّا أَوْحَى اللَّهُ
جَلَّ وَعَزَّ إِلَى دَاوُدَ بِذَلِكَ أَمَسَكَ عَنِ الْبِنَاءِ، فَلَمَّا تَوَفَّى دَاوُدَ وَمَلَكَ سُلَيْمَانُ أَمَرَ بِبِنَاءِ
الْبَيْتِ، وَأَمَرَ أَنْ يَجْرِيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنَ الْبُرِّ عَشْرُونَ أَلْفَ كُرٍّ، وَمِنْ الزَّيْتِ عَشْرُونَ
أَلْفَ كُرٍّ زَيْتُونَ، وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُلٍ أَصْحَابُ مَسَاحٍ وَمُرُورٍ، وَثَمَانُونَ أَلْفَ
رَجُلٍ مِمَّنْ يَنْحِتُ الْحِجَارَةَ، فَبَنَاهُ بِالْحِجَارَةِ، وَبَطَّنَهُ بِالْوَحِشِ مِنْ خَشَبٍ مَزْخَرَفٍ،
وَبَطَّنَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ يَقْرَبُ فِيهِ بِصَفَائِحَ مِنْ ذَهَبٍ، وَوَضَعَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ
يَقْرَبُ فِيهِ مِثَالِ مَلَكَيْنِ مِنْ خَشَبٍ مَنْقُوشَيْنِ، وَالْبِسْهُمَا صَفَائِحَ الذَّهَبِ، وَجَعَلَهَا عَنْ
يَمِينِ الْمَذْبَحِ وَعَنْ يَسَارِهِ فِي الْحَائِطِ، وَاتَّخَذَ لَهُ أَبْوَابًا مَنْقُوشَةً بِالذَّهَبِ، وَاسْتَتَمَّ
عَمَلَهُ فِي ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى الصَّيْنِ فَأَتَى بِرَجُلٍ يَعْمَلُ الشَّبَّهَ وَالنَّحَاسَ،
فَاتَّخَذَ أَمْتَةً لِلْبَيْتِ لَا تَحْصَى عِدْدًا، وَاتَّخَذَ عَمُودَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ، طَوَّلَ كُلَّ وَاحِدٍ
ثَمَانِيَةَ عَشْرِ ذِرَاعًا فِي غُلْظِ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَاتَّخَذَ عَلَى رَأْسِهِمَا أَجَانَتَيْنِ كُلُّ وَاحِدَةٍ
فِي طَوَّلٍ خَمْسَةَ أَذْرَعٍ، وَاتَّخَذَ لِهَمَا أَغْطِيَةً وَسُلَاسِلَ، وَعَلَّقَ فِيهِمَا أَرْبَعَ مِائَةَ رَمَانَةَ
شَبَّهَ صَفَيْنِ، يَقَابِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَاتَّخَذَ حَوْضًا مِنْ نَحَاسٍ، يَحْمِلُهُ اثْنَا عَشَرَ ثَوْرًا

مستديراً مع تماثيل وعجائب، وفَصَّصَ سقوفه وحيطانه بألوان الياقوت وسائر الجواهر، فلَمَّا فرغ من بنائه اتَّخَذَ سليمان ذلك اليوم عيداً في كلِّ سنة، وجمع عظماء بني إسرائيل وأحبارهم فأعلمهم أنه بناء لله جلَّ وعزَّ، وأن كلَّ شيء فيه خالص لله، ثم قام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله جلَّ وعزَّ وحمده ومجَّده وقال: اللهم أنت قوَّيتني على بناء هذا المسجد، وأعتنتني عليه، وسخرت لي الجنَّ والشياطين والريح والطير، اللهم أوزعني شكرَ نعمتك عليَّ وعبادتك وأعني، وتوفني على ملَّتكَ، ولا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي ذلك، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال فاستجبها لي يا إله العالمين، لا يطلبه مذنب بطلب التوبة إلا غفرت له ذنبه وتبتَّ عليه، ولا يدخله خائف إلا أمنت روعته وخوفه ووقَّيته شرَّ ما يخاف ويحذر، ولا يدخله سقيم إلا وهبت له الشفاء والعافية، ولا يدخله فقير يطلب من فضلك إلا أغنيته ورزقته من حيث لا يحتسب من حلال رزقك، والخامسة يا ربَّ لا تصرف بصركَ عمن يدخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحاداً وظلماً يا ربَّ العالمين.

ويقال: إن طول مسجد بيت المقدس ألف ذراع وعرضه سبع مائة ذراع، وفيه أربعة آلاف خشبة، وسبع مائة عمود، وخمسمائة سلسلة نحاس، ويُسرج فيه كلُّ ليلة ألف وستمائة قنديل، وفيه من الخدم مائة وأربعون خادماً، وفي كل شهر له مائة قسط زيت، وله من الحُصُر في كلِّ سنة ثمان مائة ألف ذراع، وفيه خمسة وعشرون ألف حُبَّ للماء، وفيه ستَّة عشر تابوتاً للمصاحف المسبَّلة، وفيها مصاحف لا يستقلُّها الرجل، وفيه أربعة^(١) منابر للمطوَّعة وواحد للمرتزقة، وله أربع^(٢) مياضى، وعلى سطوح المسجد مكان الطين خمس^(٣) وأربعون ألف صحيفة رصاص، وعلى يمين المحراب بلاطة سوداء مكتوب فيها خلقه محمَّد ﷺ، وفي ظهر القبلة في حَجَر أبيض كتابة بسم الله الرحمن الرحيم محمَّد رسول

(١) في الأصل: أربع.

(٢) في الأصل أربعة.

(٣) في الأصل: خمسة.

الله نصره حفزة وداخل المسجد ثلاث مقاصير للنساء طول كل مقصورة سبعون ذراعاً، وفيه خمسون باباً داخلياً وخارجاً، ووسط المسجد دكان طوله ثلثمائة ذراع في خمسين ومائة ذراع وارتفاعه تسعة أذرع، وله ست درجات إلى الصخرة، والصخرة وسط هذا الدكان وهي مائة ذراع في مائة ذراع ارتفاعها سبعون ذراعاً ودورها ثلثمائة وستون ذراعاً، يُسرج فيها كل ليلة ثلثمائة قنديل، وبها أربعة أبواب مطبقة، على كل باب أربعة أبواب، وعلى كل باب دكانة مرخمة، وحجر الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعاً في سبعة وعشرين ذراعاً، تحتها مغارة يصلي فيها الناس يسعها تسعة وستون نفساً، وفرش القبة رخام أبيض، وسقوفها بالذهب الأحمر، في دور حيطانها وفي أعلاها ستة وخمسون باباً مزججة بأنواع الزجاج، والباب ستة أذرع في ستة أشبار، والقبة بناها عبد الملك بن مروان على اثني عشر ركناً وثلاثين عموداً، وهي قبة على قبة، عليها صفائح الرصاص وصفائح النحاس مذهبة، جذرها من داخل وخارج ملبس بالرخام الأبيض ومن شرقي قبة الصخرة قبة السلسلة على عشرين عموداً رخاماً، ملبسة بصفائح الرصاص، وأمامها مصلى الخضر (عليه السلام) وهو وسط المسجد، وفي الشامي قبة النبي ﷺ ومقام جبريل (عليه السلام)، وعند الصخرة قبة المعراج، وفيه من الأبواب: باب داود، وباب حطة، وباب النبي، وباب التوبة - وفيه محراب مريم - وباب الوادي، وباب الرحمة، ومحراب زكرياء، وأبواب الأسباط، ومغارة إبراهيم، ومحراب يعقوب، وباب دار أم خالد، ومن خارج المسجد على باب المدينة في الغرب محراب داود، ومربط البراق في ركن منارة القبلة؛ وعين سلوان في قبلة المسجد، وطور زيتا^(١) مشرف على المسجد، وفيما بينهما وادي جهنم، ومنه رفع عيسى (عليه

(١) طور زيتا: نرجح انه جبل الزيتون الواقع إلى الجنوب الشرقي من اورشليم ويلتقي بوادي جهنم (وادي ابن هنوم) جنوب اورشليم. وعليه فإن القادم من الشرق سيشرق على المسجد الأقصى إذا جاءه من جهة جبل الزيتون (يبلغ ارتفاعه ٢٦٨٢ قدماً فوق سطح البحر). عن هذه المواقع انظر: مفصل العرب واليهود ص ٧٢٤ وهامش كتب التاريخ من العهد القديم (ط دار المشرق) ص ٨١٤ تعليقاً على ما ورد في سفر الأخبار الثاني ٢٨ : ٣.

السلام)، وعليه ينصب الصراط، وفيه مصلى عمر بن الخطاب، وفيه قبور الأنبياء، وبيت لحم على فرسخ من المدينة، وهو موضع وُلد فيه عيسى، ومسجد إبراهيم على خمسة عشر ميلاً، وفيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وسارة ونعل النبي ﷺ عند الإمام.

وكانت سلسلة قضاء الخصوم من اتخاذ سليمان، وكان ممّا اتخذ أيضاً بيت المقدس من الأعاجيب أن نُصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس، فكان من مشها من أولاد الأنبياء لم يضره مشها ومن مشها من غيرهم احترقت يده؛ فلم يزل كذلك على ما بناه سليمان حتى غزا بُحْت نصر، فخرّب بيت المقدس، ونقض المسجد، وأخذ ما كان في سقوفه من الذهب والفضة والجواهر، فحمله معه إلى دار مملكته بالعراق، وبقي بيت المقدس خراباً حتى مرّ به شعيب النبي ورآه خراباً، وهو الذي قال الله عز وجل ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ وابتناه بعد ذلك ملك من ملوك فارس يقال له كوشك^(١).

وبين بيت المقدس والرملة ثمانية عشر ميلاً، وهي من كورة فلسطين، وكانت دار ملك داود وسليمان ورَجِيم بن سليمان وولد سليمان، ولما ملك الوليد بن عبد الملك ولّى سليمان بن عبد الملك جند فلسطين، فنزل لُدّاً ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها، وكان أول ما بنى فيها قصره، والدار التي تعرف بدار الصبّاغين، وجعل في الدار صهريجاً متوسطاً لها، ثم اختط المسجد وبناه، وأذن للناس في البناء فبنوا، واحتفر لأهل الرملة قناتهم التي تدعى بَرْدَه، واحتفر أيضاً آباراً عذبة، وولّى النفقة على بنائه بالرملة ومسجد الجامع كاتباً له نصرانياً من أهل لُدّ يقال له البطريق بن بكاء، ولم تكن مدينة الرملة قبل سليمان، وكان موضعها رملة وصارت دار الصبّاغين لورثه صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس، لأنها قُبِضت عن بني أميّة، وكانت بنو أميّة تُنفق على آبار الرملة وقناتها بعد سليمان بن

(١) هو الملك الفارسي كورش الذي استولى على بابل عام ٥٣٩ ق . م ثم سمح عام ٥٣٨ ق . م لليهود الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل الذي هدمه نبوخذ نصر.

عبد الملك، فلما استخلف أبو العباس أنفق عليها، ثم كان ينفق خليفة بعد خليفة، فلما استخلف المعتصم بالله سَجَّلَ بتلك النفقة سجلاً فانقطع الاستثمار وصارت جارية يحتسب بها العمال فتحسب لهم.

ومن كور فلسطين أيضاً عَمَواس، وكورة لُدَّ، وكورة يُبْنَا، وكورة يافا، وكورة قيسارية، وكورة نابلس، وكورة سَبَسْطِيَّة، وكورة بيت جبرين، وكورة غَزَّة، وعَسْقَلان، وسميت فلسطين بفيلسطين بن كَسْلُوخِيم بن صدقيا ابن كنعان بن حام بن نوح النبي (عليه السلام) وقال ابن الكلبي في قول الله عز وجل ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: هي فلسطين وفي قوله ﴿الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قال: فلسطين.

وفلسطين بلاد واسعة كثيرة الخير، ويقال: إنها من بناء اليونانيين، والزيتون التي بها من غرسهم.

وقال النبي (ﷺ): «أبشركم بالعروستين غَزَّة وعَسْقَلان».

وقال عمر بن الخطاب: ~~لولا أن تعطل الثغور وتضيق عسقلان بأهلها~~ لأخبرتكم بما فيها من الفضل.

وقال عبد الله بن سلام: لكل شيء سراة وسراة الشام عسقلان.

وافتحها معاوية في خلافة عمر بن الخطاب.

وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله إني أريد العراق، فقال (ﷺ): عليك بالشام، فإن الله جلّ وعزّ قد تكفل لي بالشام وأهله، ثم الزم من الشام عسقلان، فإنه إذا دارت الرحا في أمّتي كان أهل عسقلان في راحة وعافية.

وقال أبو أمامة الباهلي: قال رسول الله (ﷺ): من رابط بعسقلان يوماً وليلة ثم مات بعد ذلك بستين سنة مات شهيداً، ولو مات في أرض الشرك.

وخراج فلسطين خمس مائة ألف دينار.

[وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر، ويقال إن بها فار التنور. وجبل الجليل بالقرب من دمشق أيضاً. يقال إن عيسى عليه السلام دعا لهذا الجبل أن لا يعدو سبُّعه ولا يجرب زرعه، وهو جبل يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير، وقال أبو قيس بن الإسلمت:

فلولا ربنا كنا يهوداً وما دين اليهود بندي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل جيل^(١)



مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية

(١) عن معجم البلدان ٢: ١١٠.

القول في دمشق

قال الكلبي: دِمَشْقُ بناها دمشق بن فالي بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وقال الأصمعي: أخذت دمشق من دمشقوها أي أسرعوها. وقال كعب في قول الله عز وجل: ﴿وَالْتَيْنِ﴾ قال: الجبل الذي عليه دمشق ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: الذي عليه بيت المقدس ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ حيث كلم الله موسى (عليه السلام) ﴿وَهَذَا الْبَلَدَ الْأَمِينِ﴾ مكة.

وقال كعب: مَرِيضٌ ثور في دمشق خير من دار عظيمة بحمص. قال في قوله عز وجل: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ قال: دمشق. وقال كعب: معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال نهر أبي فطرُس، ومن يأجوج ومأجوج الطور.

وقال هارون الرشيد للحسين بن عمار: ولَيْتَكَ دمشق وهي جنة تحيط بها غُدرٌ تتكفأ أمواجها على رياض كالدراري، فما يَرَحُ بك التعدي لإرفاقهم أن جعلتها أجرد من الصخر، وأوحش من القفر. قال: والله يا أمير المؤمنين ما قصدتُ لغير التوفيق من جهته، ولكني رأيت أقواماً ثَقُلَ الحَقُّ على أعناقهم فتفرقوا في ميادين التعدي ورأوا المراغة بترك العمارة أوقع بأضرار السلطان، وأرادوا بذلك المشقة على الولاة، وإن سخط أمير المؤمنين فقد أخذ بالحظ الأوفر من مساءتي. فقال الرشيد: هذا أجزل كلام سُمع من خائف.

وقال الأصمعي: جنان الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، ونهر بلخ، ونهر الأبلّة. وحشوش الدنيا ثلاثة: الأبلّة، وسيراف، وعُمان.

وقال: عروسا الدنيا: الرِّيُّ ودمشق.

وقال يحيى بن أكثم: ليس في الأرض بقعة أنزه من ثلاث بقاع: قهندز سمرقند، وغوطة دمشق، ونهر الأبلّة.

وقال المدائني: دمشق مدينتها الغوطة، وكورها: إقليم سَينير وكورة جُبيل، وبَيروَت، وصَيِّدَا، وبَينِيَّة، وحَوْرَان، وجَوْلَان، وظاهر البَلقاء، وجَبْرِين الغُوز، وكورة مَآب، وكورة جِبَال، وكورة الشَّرَاق، وبُضْرَى، وعَمَّان، والجَابِيَّة، والقرَّيْتان، والحُوْلَة، والبِقاع، والسواحل منها سِتَّة: صيدا، وبِروَت، وأطرا بُلُس، وعَرَقة، وصُور، منبرها إلى دمشق وخراجها إلى الأردن، وخراج دمشق أربع مائة ألف ونيّف، ودمشق هي أربعة أخماس صلح وخمس عنوة وهو خمس خالد بن الوليد، وفتحت سنة ١٤، في رجب للنصف منه في خلافة عمر بن الخطّاب. وقال البُخترِيُّ في دمشق:

أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مَحَاسِنَهَا وَقَدْ وَفَى لَكَ مُطَرِّبُهَا بِمَا وَعَدَا
إِذَا أَرَدْتَ مَلَاتِ الْعَيْنَ مِنْ بَلَدٍ مُسْتَحْسِنٍ وَزَمَانٍ يُشْبِهُ الْبَلَدَا
تُمْسِي السَّحَابُ عَلَى أَجْبَالِهَا فِرْقًا وَيُضْبِحُ الثَّوْرُ فِي صَخْرَائِهَا بَدَا
فَلَسْتَ تُبْصِرُ إِلَّا وَاكِفًا خَضِلًا وَيَانِعًا خَضِرًا أَوْ طَائِرًا غَرْدَا
كَأَمَّا الْقَيْظُ وَلَيْ بَعْدَ جَيْتِهِ أَوْ الرَّبِيعُ دَنَا مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدَا

وقال أبو تمام:

لَوْ لَا حَدَائِقُهَا وَأَنْبِي لَا أَرَى عَرْشًا هُنَاكَ ظَنَنْتُهَا بَلْقِيسَا
وَأَرَى الزَّمَانَ غَدًا عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ جَذْلَانِ بَسَامًا وَكَانَ عُبُوسًا
قَدْ نُورَتْ تِلْكَ الْبُطُونُ وَقُدْسَتْ تِلْكَ الظُّهُورُ بِقُرْبِهِ تَقْدِيسَا

وقالوا: عجائب الدنيا أربع^(١): قنطرة سُنْجَة، ومنازة الإسكندريّة، وكنيسة

(١) في الأصل: أربعة.

الرُّهَاء، ومسجد دمشق. ولمدينة دمشق ستة أبواب: باب الجابية، وباب الصغير، وباب كيسان، وباب الشرقي، وباب ثوما، وباب الفراديس، هذه التي كانت على عهد الروم ولما أراد الوليد بن عبد الملك بناءً مسجد دمشق دعا نصاري دمشق فقال: إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيسةكم هذه، ونعطيك موضع كنيسة حيث شئتم، فحذروهم ذلك وقالوا: إنا نجد في كتبنا أنه لا يهدمها أحد إلا خُتق، فقال الوليد: فأنا أول من يهدمها. فقام عليها وعليه قباء أصفر فهدمها بيده وهدم الناس معه، ثم زاد في المسجد. فلما هدمها كتب إليه ملك الروم أنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها. فإن كان حقاً ما عملت فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلاً فقد خالفت أباك، فلم يعرف الوليد جواباً فاستشار الناس وكتب إلى العراق فقال الفرزدق: أجنه يا أمير المؤمنين بقول الله جل وعز: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ - الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ - حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فكتب إليه الوليد بذلك فلم يجبه.

والوليد^(١) مَن زاد في المساجد وبنائها، فبنى المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد قبا، ومسجد دمشق، وأول من حفر المياه في طريق مكة إلى الشام، وأول من عمل البيمارستانات للمرضى، وكان في ذلك أنه خرج حاجاً فمر بمسجد النبي (ﷺ) فدخله فرأى بيتاً ظاعناً في المسجد شارعاً باباً فقال: ما بال هذا البيت؟ فقبل: هذا بيت علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أقره رسول الله (ﷺ) وردم سائر أبواب أصحابه فقال: إن رجلاً نلعه على منابرنا في كل جمعة ثم نقر باباً ظاعناً في مسجد رسول الله (ﷺ) من بين الأبواب، اهدم يا غلام. فقال رُوح بن زُبَاع الجذامي: لا تفعل يا أمير المؤمنين حتى تقدم الشام، ثم تخرج أمرك بتوسيع مساجد الأمصار مثل: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، وتبني بدمشق مسجداً فيدخل هدم بيت علي بن أبي طالب فيما يوسع من مسجد المدينة. فقبل منه وقدم الشام وأخذ في بناء مسجد دمشق، وأنفق عليه خراج المملكة سبع سنين. ليكون ذكراً له، وفرغ من المسجد في ثمانين سنين، فلما

(١) هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان حكم من (٨٦ - ٩٦ هـ).

حُمِلَ إِلَيْهِ حَسَابُ نَفَقَاتِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشَرَ بَعِيرًا أَمْرًا بِإِحْرَاقِهَا.

قَالَ فِي كِتَابِ (الْمَسَالِكِ وَالْمَعَالِكِ)^(١): أَنْفَقَ عَلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ خَرَاغَ الدُّنْيَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَبَلَغَ ثَمَنُ الْبَقْلِ الَّذِي أَكَلَهُ الصَّنَاعُ فِي مَدَّةِ أَيَّامِ الْعَمَلِ سِتَّةَ آلَافٍ دِينَارًا، وَهَذَا الْمَسْجِدُ مَقْعَدُ عِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ، وَأَنْ فِيهِ سِتَّمِائَةَ سُلْسَلَةٍ ذَهَبٍ لِلْقَنَادِيلِ.

قَالَ زَيْدُ بْنُ وَاقِدٍ: وَكَتَنِي الْوَلِيدَ عَلَى الْعَمَالِ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ فَوَجَدْنَا فِيهِ مَغَارَةَ فَعَرَّفْنَا الْوَلِيدَ ذَلِكَ، فَتَزَلَّ فِي اللَّيْلِ فَإِذَا هِيَ كَنِيسَةٌ لَطِيفَةٌ، ثَلَاثَةُ أَذْرَعٍ فِي مِثْلِهَا، وَإِذَا فِيهَا صَنْدُوقٌ، وَفِيهِ سَفْطٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ هَذَا رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، فَرَأَيْنَاهُ فَأَمَرَ بِهِ الْوَلِيدُ أَنْ يَجْعَلَ تَحْتَ عَمُودٍ مَعَيَّنٍ، فَجُعِلَ تَحْتَ الْعَمُودِ الْمَسْفُوطُ الرَّابِعُ الشَّرْقِيُّ وَيَعْرِفُ بِعَمُودِ السَّكَاسِكِ، وَقَالَ أَبُو فَهْرَانَ رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا تَحْتَ عَمُودِ السَّكَاسِكِ، وَقَالَ زَيْدٌ أَيْضًا: رَأَيْتُ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا حِينَ وُضِعَ تَحْتَ الْعَمُودِ وَالبشرة والشعرة لم تتغير.

قَالُوا: فَمِنْ عَجَائِبِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ الرَّجُلُ فِيهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَكَانَ يَرَى فِيهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَعْجُوبَةً لَمْ يَرَهَا قَبْلَ.

وَقَالَ كَعْبٌ: لَبِيتُ فِي دِمَشْقَ مَسْجِدَ يَبْقَى بَعْدَ خَرَابِ الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ عَامًا وَالمُثَنِّةُ الَّتِي بِدِمَشْقَ كَانَتْ نَاطِمَةً لِلرُّومِ فِي كَنِيسَةِ يَحْيَى، فَلَمَّا هَدَمَ الْوَلِيدُ الْكِنَائِسَ وَأَدْخَلَهَا الْمَسْجِدَ تُرِكَتْ عَلَى حَالِهَا، وَهَدَمَ الْوَلِيدُ عِشْرَ كِنَائِسَ وَأَتَّخَذَهَا مَسْجِدًا، وَلَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخُلَافَةَ قَالَ: إِنِّي أَرَى فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ أَمْوَالًا أَنْفَقْتُ فِي غَيْرِ حَقِّهَا، فَأَنَا مُسْتَدْرِكٌ مَا اسْتَدْرَكَتْ مِنْهَا، وَرَادُّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، أَنْزَعُ هَذَا الرِّخَامَ وَالْفَسِيفَسَاءَ وَأَطِيتُهُ، وَأَنْزَعُ هَذِهِ السَّلَاسِلَ وَأَصِيرُ بِدَلِهِ حَبَالًا، فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ دِمَشْقَ فَخَرَجَ أَشْرَافُهَا إِلَيْهِ وَكَانَ فِيهِمْ يَزِيدُ بْنُ سَمْعَانَ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسْرِيُّ، فَقَالَ خَالِدٌ لَهُمْ: دَعُونِي وَالْكَلَامَ، قَالُوا: تَكَلَّمْ، فَلَمَّا

(١) إِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِـ (الْمَسَالِكِ وَالْمَعَالِكِ) كِتَابُ ابْنِ خَرْدَاذِبِهِ فَهَذَا النِّصُّ غَيْرُ مُوجُودٍ فِيهِ. اللَّهُمَّ
أَلَّا أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ نَسْخَةٌ أَوْسَعُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ نَقَلَ عَنْهَا ابْنُ الْفَقِيهِ.

دخلوا عليه قال له خالد: بلغنا أنك هممت بمسجدنا بكذا وكذا. قال: نعم. قال: والله ما ذلك لك. قال: فلمن ذلك لأمتك الكافرة؟ وكانت أمه نصرانية. فقال: إن تك كافرة ولدت مؤمناً، فاستحيي عمر وقال: صدقت. وورد على عمر رسل الروم فدخلوا مسجد دمشق لينظروا إليها فرفعوا رؤوسهم إلى المسجد، فنكس رؤسهم رأسه واصفر لونه فقالوا له في ذلك فقال: إنا كنا معاشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل، فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيبلغونها، فأخبر عمر بذلك فقال: أرى مسجدكم هذا غيظاً على الكفار، فترك ما هم به من أمر المسجد.

والمسجد مبني بالرخام والفسيفساء، مسقف بالساج، منقوش باللازورد والذهب، والمحراب مرصع بالجواهر المثمنة، والحجارة العجيبة.

وبني معاوية الخضراء بدمشق في زمن عثمان بن عفان، وأمر على الشام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، واستخلف وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفي لثمان وسبعين سنة، وهو أول من اتخذ المحاريب والمقاصير والشرط والحرس والخصيان وأصفى الأموال.

وقد أنكر قوم بناء الدور والأبنية، والنفقة والتبذير عليها، وهذا طلحة بنى داره بالآجر والقصة^(١) وأبوابه ساج، وبني عثمان بن عفان بالحجارة المنقوشة المطابقة وخشب الصنوبر والساج، وحمل له من البصرة في البحر ومن عدن في البحر، وحمل له القصة من بطن نخل؛ وبني الزبير أربعة أدور: داراً بمصر، وأخرى بالإسكندرية، وأخرى بالكوفة، وأخرى بالبصرة؛ وأنفق زيد بن ثابت على داره ثلاثين ألف درهم.

وقال كعب الحبر: أربع مدائن من مدائن الجنة: حمص، ودمشق، وبيت جبرين، وضفّار اليمن، وأجناد الشام أربعة: حمص، ودمشق، وفلسطين، والأردن.

(١) القص هو الجص (أساس البلاغة).

ولقي كعب رجلاً فقال: من أين أقبل الرجل؟ قال: من الشام. قال: أفمن أهله أنت؟ قال: نعم. قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم كل يوم مرتين. قال: وأي جند هم؟ قال: جند فلسطين. قال: لا. قال: فلعلك من الجند الذين يلقون الله في الثياب الخضراء. قال: وأي جند هم؟ قال: جند الأردن. قال: لا. قال: فلعلك من الجند الذين يستظلون تحت العرش يوم لا ظل إلا ظله. قال: وأي جند هم؟ قال: جند دمشق. قال: لا. قال: فلعلك من الجند الذين يبعث الله منهم سبعين ألف نبي. قال: وأي جند هم؟ قال: جند حمص. قال: لا. قال: فمن أين أنت؟ قال: من قنسرين. قال: ليست تلك من الشام، تلك قطعة من الجزيرة يفرق بينهما الفرات.

وبخراج حمص ثلثمائة ألف وأربعمائة دينار، وأقاليمها كثيرة منها: إقليما سلمية وتدمر.

قال: ولما هدم مروان بن محمد حائط تدمر وصل إلى بيت مجصص عليه قفل ففتحها فإذا امرأة مستلقية على قفاها، في بعض غداثرها صحيفة نحاس مكتوب عليه: بسمك اللهم أنا تدمر بنت حسان، أدخل الله الدل على من يدخل علي في بيتي. قال: فوالله ما ملك مروان بعدها إلا أياماً حتى أقبل عبد الله بن علي فقتل مروان بن محمد، وفرق خيله، واستباح عسكره، فقبل وافق دُعاءها.

ويقال: إن مدينة تدمر بناها سليمان بن داود، وكانت عجيبة البناء، كثيرة الصور والتماثيل. ويقال: إنه بنى فيها داراً فيها مقاصير وأروقة وحجرات وإوانات وغير ذلك، وأن سطح هذه الحجرات والمقاصير وغير ذلك حجر واحد بقطعة واحدة، وهو باقٍ إلى يومنا هذا، وبها صورة جارتين من حجارة من بقايا صور كانت بها، وقال: فيهما بعض الشعراء^(١):

فَتَأْتِي أَهْلَ تَدْمُرَ خَبْرَانِي أَلَمَّا تَنَامَا طُولَ الْمَقَامِ
قِيَامُكُمَا عَلَى غَيْرِ الْحَشَايَا عَلَى جَبَلٍ أَصَمٍّ مِنَ الرُّخَامِ

(١) هو أوس بن ثعلبة النيمي كما في معجم البلدان مادة (تدمر).

وإنكما على مرّ الليالي
لأنقى من فروع ابني شمام
وأنشد أبو ذؤلف فيهما لنفسه:

ما صورتان بتدُمِرٍ قد راعتا
غبرا على طول الزمان ومرة
فليزِمَيْنِ الدُّهْرُ من نكباته
وليُتِلَيْتُهُمَا الزمانُ بكَرِه
كَي يَغْلَمَ الْعِلْمَاءُ أَلَا دَائِمًا
وأنشد أبو الحسن العجلي فيهما:

إِنَّ اللَّيْلَيْنِ صِيغَتَا بَتْدُمِرٍ
صُورَتَا فِي أَحْسَنِ التَّصَوُّرِ
وَكَلَّمَا قَلْبِي بِوَجْدٍ مُضْمَرٍ
لَمْ يَزَهَبَا كَرَّ صُرُوفِ الْأَغْصَرِ
وتدُمِرُ صَلَاحِيَّةُ صَالِحِ أَهْلِهَا خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

والسواحل من حمص الستة: كورة اللاذقية، وكورة جبلة، وكورة بُلُنْيَاس،
وكورة أَنْطَرُطُوس، وكورة مَرْقِيَّة، وكاسِرة، والسَّقِي، وحَبنة، والمُحَوَّلَة، وعَمَلُوَا،
ورندك، وقَبْرَانَا. وإذا عبرت الفرات جثت إلى خُشَاف وناغورة، ثم إلى حَلَب
وقَسْرِين وكورها، وخراج قَسْرِين أربعة آلاف دينار.

وقال مشايخ أنطاكية: كانت ثغور المسلمين أيام عمر وعثمان أنطاكية والكور
التي سماها الرشيد العواصم وهي: كورة قُورُس، والجُومَة، ومَنْبِج، وأنطَاكِيَّة
وتُوزِين، وبَالِس، ورُصَافَة هشام، فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم
الروم، وكانت فيما بين الإسكندرية وطَرَسُوس حصون ومسالح للروم.

وقالوا: حِمَصُ من بناء اليونانيين، وزيتون فلسطين من غرسهم، ومدينة
حمص افتتحها خالد بن الوليد صالحهم على مائة وسبعين ألف دينار، وكانت
مدينة حمص مفروشة بالصخر، وهي اليوم كذاك.

ومن عجائب حمص: صورة على باب المسجد الجامع بجانب البيعة على

حجر أبيض، أعلى الصورة، صورة إنسان، وأسفلها صورة عقرب، فإذا لدغ العقرب إنساناً فأخذ طيناً ووضع على تلك الصورة، ثم أدافه بالماء وشربه سكن وجعه وبريء من ساعته؛ ويقال: إن تلك الصورة طلسم للعقرب خاصة، وكان فتح حمص قبل دمشق في أول ليلة من رجب سنة أربع عشرة.

وبدمشق لبنان وهو الجبل الذي يكون عليه العباد والأبدال، وعليه من كل الثمر والفواكه، وفيه عيون كثيرة عذبة، وهو متصل ببلاد الروم، وعند باب دمشق جَيْرُون، وهي من بناء سليمان بن داود، وهي سقيفة مستطيلة على عُمْد، وحولها مدينة تطيف بجيرون؛ قال أبو عبيدة: الجيرون عمود عليه صومعة، وهو من البناء المذكور، ومن البناء المذكور الأبلق الفَرْدُ والوَرْدُ أيضاً، قصر بناء سليمان بن داود.

قالوا: وأول من ابتنى حصن المصيصية في الإسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله، ثم بنى عمر بن عبد العزيز بها مسجداً من ناحية كَفَرِيَّيَا، واتخذ فيها صهريجاً وكان اسمه عليه مكتوباً، ثم إن المسجد خرب في خلافة المعتصم، وهو يدعى مسجد الحُصْنِ، وشحنوها بالرجال، وبنى المنصور فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكَل كان بها، وجعله مثل مسجد عمر ثلاث مرات، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر المغرب، وفرض فيها المنصور لآل ألف رجل، وزاد فيها المهدي ألفي رجل، ولم يعطهم شيئاً لأنها قد كانت سُحنت بالجنْد والمطوَّعة.

وقال أبو النعمان الأنطاكي: كان الطريق فيما بين أنطاكية والمصيصية مسبعة، يعرض للناس فيها الأسد، فلما كان أيام الوليد بن عبد الملك سُكي ذلك إليه، فوجّه أربعة آلاف جاموس وجاموسة فنفع الله جلّ وعزّ بها.

قال الواقدي: ولما غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم سنة ١٦٣ في أهل خراسان والموصل والشام ومطوَّعة العراق والحجاز خرج ممّا يلي طَرَسُوس، فأخبر المهدي ما في بنائها وتحصينها وشحنها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام والكبت للعدوّ، وكان خرج في مرج طرسوس، فركب إلى مدينتها، وهي

يومئذ خراب، فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها، وحزر عدة من يسكنها فوجدهم مائتي ألف، فلما كان سنة ١٧١ بلغ الرشيد أن الروم قد ائتمروا بينهم للخروج إلى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتلة بها. فأغزى الصائفة هرثمة بن أعين، وأمر بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها، ففعل فأجرى أمرها على يدي فرج بن سليم الخادم، فبنى قصبتها ومسجدها، ومسح ما بين النهر إلى النهر، فبلغ ذلك أربعة آلاف خطّة، كل خطّة عشرون ذراعاً في مثلها، وأقطع أهل طرسوس الخطط في شهر ربيع الآخر سنة ١٧٣، ولما كانت سنة ١٨٠ أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة وتحصينها^(١)، وحوّل إليها خلقاً من الخراسانية وأقطعهم المنازل، وفي سنة ١٨٣ أمر ببناء الهارونية، فبُنيت وشُحنت بالمقاتلة، ونسبت إليه، وأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها، وأمر المنصور صالح بن عليّ ببناء ملطية وكانت خراباً، وكان الحسن بن قحطبة أتمها بأمر المنصور وأعان الفعلة بنفسه وماله، وكان الحسن يقول: مَنْ سَبَقَ إِلَى شَرْقَةِ فَلِه كَذَا، فجَدَّ النَّاسُ فِي الْعَمَلِ حَتَّى فَرَّغُوا مِنْ بِنَاءِ مِلْطِيَّةٍ وَمَسْجِدِهَا فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَبُنِيَ بِهَا لِلْجُنْدِ الَّذِينَ أَسْكَنُوهَا، لِكُلِّ عَوَاقِفِ بَيْتَانِ سَفْلِيَّانِ وَعَلِيَّيَانِ، وَالْعَرَاقِفَةُ عَشْرَةُ نَفَرٍ إِلَى خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا، وَبُنِيَ لَهُمْ مَسْلِحَةٌ عَلَى ثَلَاثِينَ مِيلًا مِنْهَا، وَمَسْلِحَةٌ عَلَى نَهْرِ يَدْعَى قُبَاقِبٍ يَدْفَعُ فِي الْفَرَاتِ، وَأَسْكَنَهَا أَرْبَعَةُ أَلْفٍ مَقَاتِلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، وَزَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ، وَأَقْطَعَ الْجُنْدُ الْمَزَارِعَ، وَبُنِيَ حِصْنَ قَلُوزِيَّةٍ، وَأَرْضُ الْيَمِينِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ حِصْنُ مَنْصُورٍ أَرْبَعُونَ فَرَسَخًا.

وقال الحجاج بن يوسف لزادان فرّوخ: أخبرني عن العرب والأمصار. فقال: أصلح الله الأمير، أنا بالعجم أبصر مني بالعرب. قال: لتخبرني. قال: فسَلَّ عَمَّا بَدَأَ لَكَ. قال: أخبرني عن أهل الكوفة. قال: نزلوا بحضرة أهل السواد فأخذوا من ضيافتهم وسماحتهم. قال: فأهل البصرة. قال: نزلوا بحضرة الحُوز. فأخذوا من مكرهم ويُخْلَهُمْ. قال: فأهل الحجاز. قال: نزلوا بحضرة السودان

(١) في معجم البلدان ٣: ٧٦١ (قال ابن الفقيه: كان تجديد زريّ وعمارتها على يد أبي سليمان التركي الخادم في حدود سنة ١٩٠ وكان قد ولي الثغور من قبل الرشيد).

فأخذوا من ضيافتهم وسماحتهم . قال : فأهل البصرة . قال : نزلوا بحضرة الخُوز .
فأخذوا من مكرهم وبُخلهم . قال : فأهل الحجاز . قال : نزلوا بحضرة السودان
فأخذوا من حمقة عقولهم وطَرَبهم ، فغضب الحجاج فقال له : أعزك الله لست
حجازياً ، إنما أنت رجل من أهل الشام . قال : فأخبرني عن أهل الشام . قال : نزلوا
بحضرة الروم فأخذوا من ترفُّقهم وصناعتهم وشجاعتهم .

ويقال : ريف الدنيا من السمك ما بين ماهيرُويان إلى عمان ، وريف الدنيا من
التمر ما بين اليمن إلى البصرة وهَجَر ، وريف الدنيا من الزيتون فلسطين إلى
قنَّسرين .

وقال المدائني : قدم وفد من العراق على معاوية بن أبي سفيان فيهم
صَعَصَعَة بن صُوحان العبدي ، فقال معاوية : مرحباً بكم وأهلاً ، قدمتم خير مقدم ،
وقدمتم على خير خليفة ، وهو جُنة لكم ، وقدمتم الأرض المقدسة ، وقدمتم أرض
المحشر والمنشر ، وقدمتم أرضاً بها قبور الأنبياء . فقال صعصعة : أما قولك يا
معاوية قدمتم خير مقدم فذاك من قدم على الله والله عنه راضٍ ، وأما قولك قدمتم
على خليفتم وهو جُنة لكم فكيف بالجنة إذا احترقت ، وأما قولك قدمتم الأرض
المقدسة ، فإن الأرض لا تقدس أهلها لكن أهلها يقدسونها ، وأما قولك قدمتم
أرض المحشر والمنشر فإن بُعد الأرض لا ينفع كافراً ولا يضر مؤمناً ، وأما قولك
قدمتم أرض الأنبياء بها قبور الأنبياء فإن من مات بها من الفراعنة أكثر ممن مات
فيها من الأنبياء . فقال معاوية : اسكت لا أرض لك . قال : ولا لك يا معاوية ،
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال معاوية : يا صعصعة إني
كنت لأبغض أن أراك خطيباً . قال : وأنا والله يا معاوية أبغض أن أراك أميراً .

قالوا : ودُومة الجندل شاميّة ، وهي فصل ما بين العراق والشام ، وهي على
سبع مراحل من دمشق .

قال : ولما فتح أنوشروان قنَّسرين ومُنيج وحَلَب وأنطاكية وحمص ودمشق
ولإيلياء استحسن أنطاكية وبنائها ، فلما انصرف إلى العراق بنى مدينة على مثال
أنطاكية بأسواقها وشوارعها ودورها وسقماها زندقُشره ، وهي التي تسميها العرب

رُومِيَّة، وأمر أن يدخل إليها سبي أنطاكية فلما دخلوها لم ينكروا من منازلهم شيئاً، فانطلق كل رجل منهم إلى منزله إلا رجلاً اسكافاً، كان على بابه بأنطاكية شجرة فرصاد، فلم يرها على بابه برومية، فتحير ساعة، ثم اقتحم الدار فوجدها مثل داره، فلما رأى ملك الروم ما قد فتحه كسرى من مدائنه وادعه ووجه كسرى رجلاً من مرازبته إلى أرض الروم يقبض الأتاوة.

وقال عمرو بن بَخر: رُبَّ بلد يستحيل فيه العطر، وتذهب رائحته كقصبة الأهواز^(١).

وقد كان هارون الرشيد همَّ بالمقام بأنطاكية وكره أهلها ذلك، فقال شيخ منهم وصدقه: ليست من بلادك يا أمير المؤمنين، قال: وكيف؟ قال: لأن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينتفع منه بكبير شيء، والسلاح يصدأ فيها ولو كان من قلعة الهند. ٢

وقالوا: سَنَحان بأذنة، وجَنَحان بالمَصِيصة، والبرَدان ويسمى الغَضبان بطرسوس، وجَنَحون نهر بَلخ.

وقال ابن شوذب: تغور المياه قبل يوم القيامة إلا بئر زَمَزَم ونهر الأردن وهو الذي قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾.

وكور الأردن: طَبْرِيَّة، والسامِرة، وبَيْسان، وفخل، وكورة جَرَش، وعكا، وكورة قَدَس، وكورة صُور. وخراج الأردن ثلثمائة ألف وخمسون ألف دينار؛ من الطبرية إلى اللُجُون عشرون ميلاً، ثم إلى القَلَنْسُوة عشرون ميلاً، ثم إلى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلاً وهي على الجادة فحاج الشام والثغور ينزلونها^(٢).

ومدينة اللُجُون: فيها صخرة عظيمة مدورة خارج المدينة، وعلى الصخرة قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم (عليه السلام) يخرج من تحت الصخرة ماء كثير،

(١) كلام الجاحظ هذا في الحيوان ٣: ١٤٣.

(٢) من قوله (وكور الأردن) إلى هنا لدى ابن خرداذبه ص ٧٨.

وذكروا أن إبراهيم ضرب بعصاه هذه الصخرة فخرج منها من الماء ما يتسع فيه أهل المدينة ورساتيقهم إلى يومنا هذا.

قالوا: ولنا الزيت والزيتون الذي ليس في شيء من البلدان أكثر منه في بلادنا، وقال الله عز وجل: ﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ ومن أبنيتهم العجيبة لُدُّ، وحذّثني رجل قال: قلت لأهل لُدُّ هذا بنته الشياطين لسليمان، قال: أنتم إذا جلّ في صدوركم البنيان أضفتموه إلى الجن والشياطين، هذا قبل مولد سليمان (عليه السلام) بدهور كثيرة.

وعلى سبعة أميال من مَنبج حَمَّة. عليها قبة تسمّى المُدير، وعلى شفير الحَمَّة صورة رجل من حجر أسود، تزعم النساء أن كل من لا تلد تحك فرجها بأنف الصورة فيولد لها، وفيها حمام يقال له حمام الصّوابي فيه صورة رجل حجر يخرج ماء الحمام من إحليله.

قالوا: ومن عجائبنا تَفّاح لُبْنان، وفيه أعجوبة وذلك أنه يُحْمَل التفّاح من لبنان، وهو تَفّاح جبل عذّي لا طعم له ولا رائحة، فإذا توسّط نهر البليخ فاحت رائحته، وهذا شبيه بالذريّة التي بنهاوند، فإن بها قصبا يتخذ منه الذريّة، فليست له رائحة بته حتى يجاز بها ثنية الرّكاب، وهي من نهاوند على فراسخ كثيرة، فإذا جازت الثنية فاحت رائحته وحُمِل منها إلى البلدان، وبشيراز شجرة تَفّاح، التَفّاحة منها نصفها حلوّ في غاية الحلاوة، ونصف حامض في غاية الحموضة، وليس بفارس كلّها من هذا النوع إلا هذه الشجرة الواحدة.

قالوا: من عجائب الشام أربعة أشياء: بحيرة الطبريّة، والبحيرة المُتِنّة، وأحجار بَعْلَبَك، ومناة الإسكندريّة.

فأما أحجار بعلبك فإن فيها حجراً على خمسة عشر ذراعاً أقلّ وأكثر ارتفاعه في السماء عشرة أذرع في عرض خمسة عشر ذراعاً في طول خمسة وأربعين ذراعاً هذا حجر واحد في حائط.

وأما منارة الإسكندرية فإنه يصعد إليها رجل على برذون حتى يبلغ أعلاها، وهي مبنية على سرطان من زجاج.

وأما بحيرة الطبرية فإنه يشرع إليها وينتفع بها للغسالات، فإذا مُنع منها هذا أنشئت.

والبحيرة المُنْتِنَة لا يغرق فيها شيء، وكلُّ شيء يقع فيها فإنما يطفو على رأس الماء.

ومن عيوب الشام كثرة طواعينها، والناس يقولون: حُمَى خَيْرٌ وطواعين الشام ودمامل الجزيرة وجرب الزنج وطحال البحرين.

قالوا: ومن أقام بالمَوْصِلِ حولاً وجد في قوته فضلاً، ومن أطال الصوم بالمَصْبِيصَةِ خيف عليه الجنون، ومن قدم من شقَّ العراق إلى بلاد الزنج لم يزل حزيناً ما أقام بها، فإن أكثر من شرب نبيذها وشرب ماء النارجيل صار كالمعتوه^(١).

وقال أبو هريرة: أنا لبراغيث الشام أخوف مني لغيرها.

وقالوا في قول الله عز وجل: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ قال: من فلسطين.

افتخار الشاميين على البصريين وفضل الحَبْلَة على النَحْلَة

قال أبو عباد محمد بن سلمة البصري المعروف بابن العَلَّاف القاري: إني لفي يوم من أيام المعتز بالله في ديوان الخراج بسرٍّ من رأى مع جماعة من قُرَّاء البصريين نطالب بأرزاقتنا، وفيينا علي بن أبي ناسر، إذ طلع علينا فتية من كُتَّاب الأتبار، ومعهم أبو حمران الشاعر، ونحن نصف البصرة وما خُصَّت به من أرض الصدقة التي لا يسوغ للسلطان الأعظم تبديلها، ولا للعمال تغييرها، وما فيها من المدّ والجزر والخلجان ومقادير الساعات ومنازل القمر، فقال أبو حمران: ما من بلد إلا وقد أعطي نوعاً من الفضل يتفرد به، وضرباً من المرافق معدولاً عن غيره،

(١) من قوله (قالوا: ومن أقام ...) إلى هنا في حيوان الجاحظ ٤: ١٣٥، ١٣٩.

يعجب به أهله، ويطمثون إليه في تقريظه، فقلت له مجيباً: لئن قلت ذلك فإننا لا نعرف مصرأ جاهلياً ولا إسلامياً أفضل من البصرة، ولا أرضاً يجري عليها الأتاوة أشرف من أرض الصدقة، ولا شجرة هي أفضل من النخلة، ولا نعرف بلداً أقرب برأ من بحر، وحضرأ من بدو، وريفاً من فلاة، وملاحاً من جمال، وقانصاً وحش من صائد سمك، ونجدأ من غور من البصرة، فهي واسطة الأرض، وغوصة البحر، ومغيض الأقطار، وقلب الدنيا، ولقد مثلت الحكماء الأرض بصورة طائر، فجعلوا الجؤجؤ بما فيه من القلب البصرة، والرأس الشام والروم، والجناحين المشرق والمغرب، والذنب السودان، وهم أكثر عدداً من البيضان، فكفى بهذا وحده فخراً، فقال أبو حمران:

كُلُّ فَتَاةٍ بِفَتَاهَا مُعْجَبَةٌ وَالْخُنْفَسِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهِ لَوْلُؤُهُ

وقالت الأعرابية وهي تزقن ابناً لها وتقول:

يَا قُبُومَ مَا لِي لَا أَحِبُّ حَشُودَهُ وَكُلُّ خَنْزِيرٍ يُحِبُّ وَلَدَهُ

فأين أنت يا أبا البصرة عن نخصب الشام والجزيرة وعن فضل المسجد الأقصى والبلاد المقدسة، وعن عذاة دارني مصر وربيعه، وعن رفيع قدر الكرامة وعن قول عمرو بن كلثوم:

وَعِنْدَ اللَّهِ يَأْتِيهِ دَعَاهَا إِلَى أَرْضٍ يَعْيشُ بِهَا الْفَقِيرُ

لأرض الشام وهي حمى وحب وزيتون وثم نشا العصير

ووالله للرفقة البيضاء وخدها أطيب من البصرة، وللرافقة أغذى من الأبله، ولحلب أخصب من الكوفة، ولللحم وجذام وأفناء قبائل قضاة أشرف من بكر وتميم وضبة، وللحبله أفضل من النخلة، وللعنب أحلى من الرطبة، وللزبيبة أطيب من التمرة، ولقد خص الله بلاد الشام من بركة الزيتون، والعواصم والجزيرة من لذة التين ومن أنواع الفواكه بما يتهالك في أصغره النخل، ويستبشع معه الرطب والتمر؛ قال: فقلت لأبي حمران: قد سمعنا نشيدك ووعينا افتخارك، ولا

أحسبك سمعت قول الخليل بن أحمد في وصف البصرة إذ يقول في قصر أنس بن مالك ونهر بن عمرو وادي العقيق:

يا وادي القصر نغم القصر والوادي^(١)

وقول ابن أبي عيينة في ذلك^(٢):

يا جنة فاقب الجنان فما تَبْلُغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تَمُنُ
عَلِقْتُهَا فَاتَّخَذْتُهَا وَطَنًا إِنَّ فُؤَادِي بِذِكْرِهَا وَطَنُ
زُوجَ حِيتَانِهَا الضَّبَابَ بِهَا فَانْظُرْ وَفَكِّرْ يَا صَاحَ فِي سُفُنْ

وقوله أيضاً في أرض البصرة:

يُذَكِّرُنِي الْفِرْدَوْسَ طَوْرًا فَارْغَوِي وَطَوْرًا يَوَاتِنِي إِلَى الْقَصْفِ وَالْفَتْكِ
لِغَرَسٍ كَأَبْكَارِ الْجَوَارِي وَتُرْبَةٍ كَأَنَّ نَرَاهَا مَاءً وَرَدَّ عَلَى مِسْكِ
وَسِرْبٍ مِنَ الْغِزْلَانِ يَزْتَعْنُ حَوْلَهُ كَمَا انْسَلَّ مَنْظُومٌ مِنَ الدَّرِّ مِنْ سِلْكِ
وورقاء تخكي الموصلي إذا حدثت بِتَغْرِيدِهَا أَحَبَّ بِهَا وَبِمَنْ تَخْكِي
فيا طيب ذاك القصر قصرًا وتُرْمَةً بِأَفْيَحٍ رَحْبٍ غَيْرَ وَغَيْرٍ وَلَا ضَنْكِ

وسأل هشام بن عبد الملك خالد بن صفوان عن البصرة فقال: إذا أخبرك يا أمير المؤمنين، يخرج قانصان فيجيء هذا بالطير والظليم، وهذا بالسماك والشبوط، ونحن أكثر الناس ساجاً وعاجاً وخزاً وديباجاً وبرذوناً هملجاً، وجارية مغناجاً، بيوتنا الذهب، ونهرنا العجب، أوله رطب وآخره عطب، فالتحل في

(١) في حيوان الجاحظ ٦ : ٩٩ .

زر وادي القصر نغم القصر والوادي لا بد من زورة عن غير ميعاد
تسرى به السفن كالظلمان واقفة والضرب والنون والملاح والحادي

(٢) هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة. (الأغاني ٢٠ : ٧٥ - ١١٨) وتاريخ التراث العربي مج ٢ ج ٤ ص ٢٠٢. وبقيّة هذا الشعر في حيوان الجاحظ ٦ : ٩٩ .

مكاربه كالزيتون عندكم في منابته، ثم هو في أكمامه كذاك في أغصانه، ثم هو في
 إِيَّانه كذاك في زمانه، هُنَّ الراسخات في الوَحْل، المطاعم في المَحْل،
 الملقحات بالفَحْل، يُخرجن أسفاطاً عظاماً وأوساطاً نظاماً، كَأَما مُلِثت رِباطاً، ثم
 تفتُر عن قضبان اللُّجَيْن منظومة باللؤلؤ الأخضر، ثم يصير ذهباً منظوماً بالزبرجد
 الأخضر، ثم يصير عسلاً معلقاً في الهواء، ليس في قرية ولا سقاء، بعيداً من
 التراب كالشهد المذاب، ثم يصير في أَكْبَسَةِ الرجال فيستعان به على العيال. وأما
 نهرنا العجب فإنه يُقبل عند حاجتنا إليه ويُدبر عند ريتنا منه، وله عباب لا يحجبه،
 ولا يُغلق عَنَّا دونه حجاب.

فقال هشام: بلدكم أكرم بقاع الأرض يا أخا بني تميم، فلما رأى أبو حُمران
 إطراب النشيد في مدح بلدي قطع عليّ كلامي، وعارضني دون مرادي فقال: والله
 إنَّ لنا معكم بنخل بيسان ونواحي الأردن لأعظم الشرك في النخل، فما نعبأ به،
 ولا نراه طائلاً فنذكره، وما نصنع بطلب الحجّة من بعد ونحن نجدّها من قرب هذا
 الحسن بن هانئ صاحبكم الذي لا تنكرونه، وخزيحكم الذي لا تدفعونه يقول في
 البصرة:

أَلَا كُلُّ بَضْرِي بَرَى أَنَّمَا الْعَلَى	مُكَمَّمَةٌ سُخِّقَ لَهُنَّ جَرِينُ
فَإِنْ يَغْرِسُوا نَخْلًا فَإِنَّ غِرَامَنَا	ضِرَابٌ وَطَعْنٌ فِي الثُّحُورِ سَخِينُ
فَإِنْ أَكُّ بَضْرِيًّا فَإِنَّ مَهَّاجِرِي	دِمَشْقُ وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ شُجُونُ
لَا زُدَ عَمَّانَ بِالْمُهَلَّبِ نَزْوَةٌ	إِذَا افْتَحَرَ الْأَقْوَامُ ثُمَّ تَلِينُ
وَيَكْرُ تَرَى أَنَّ النَّبُوَّةَ أُنْزِلَتْ	عَلَى مِسْمَعٍ فِي الرَّخْمِ وَهُوَ جَنِينُ
وَلَا لُمْتُ قَيْسًا فِي قُتَيْبَةٍ بَعْدَهَا	وَفَخْرًا بِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ قُنُونُ

وأنشد أبو حُمران يصف نفسه لما اجتمعوا عليه في المناظرة وهو وحده:

حُمُولٌ لِمَا حُمَلْتَهُ غَيْرُ ضِيْقٍ	ذِرَاعًا بِمَا ضَاقَ الْكِرَامُ بِهِ مَسْكَا
دَعَانِي فَأَعْطَانِي مَوَدَّةَ قَلْبِهِ	مَوَدَّتَهُ الْمُثَلَّى وَفِي مَالِهِ الشِّرْكََا

ثم أشار إلى ابن أبي ناشر فقال:

جَنَدَلَانِ أَصْطَكْتَا أَصْطَكَاكَ إِنَّ الدَّلِيلَ يَكْرَهُ الْعِرَاكَ

وقد يضطر العَيْرُ والمِكْوَةُ في النار، ثم قال أبو حُمران: لنا الزيت والزيتون، ولنا عروسا الدنيا غَزَّةٌ وَعَشْقَلَان، ومدينة دمشق وهي إرم ذات العماد، ولنا الأرض المقدسة، وفي بلادنا الجبل الذي كلَّم الله عزَّ وجلَّ عليه موسى (عليه السلام)، وجبل لُبْنان من جبالنا، وبيت المقدس من بلادنا، ولنا المدن العجيبة والكور الشريفة مثل: طَرُسُوس والمَصْبِصَة، ومَلَطِيَة، والرملَة، وفلسطين، وأنطاكية، وحلب، وصور، وصَيْدَا، وطَبْرِيَة، والكرمة أفضل الأشجار والعنب سيّد الثمار، وهي ناعمة الورق، ناضرة الخضرة، غريبة تقطيع الورقة، بديعة الزوايا، مليحة الحروف، حسنة المقامير، كأنما قَوَّرت من سَرَقَة حرير، واستخرجت من ثوب نَسِيج، كثيفة الظل خفيفة الفَيء، لدنة الأغصان، ليتة الأفنان، خضرة الأطراف، كريمة الأخلاق، سلسلة القياد، رفيعة جوهر الأعواد، لذيدة الجنى، قريبة المعجنى، صغيرة العجمة، رقيقة الجلد، عذبة المذاق، سهلة المزدرد، كثيرة الماء، فاضلة المخبر على المنظر، شريفة العنصر والجوهر، وكلام كثير لم يُستدرك؛ ثم لا يَألف الغربان الناعقات الكرم كإلفها النخل، ولا يعيش في جوانبها العصافير المؤذية بصيْلانة أصواتها عند غناء النُفْران وورق العيدان كتعيشها في الأدقال وأصول الكرانيف والأكراب، ولا يتولّد منها من ضخام الدود وسمجة الحشرات والهوام ما يتولّد من الليف، ولا يستكنُّ في أثنائه من الذرّ والفراش، ولا يتحصّن فيها من الحيات والعقارب وعظام العناكب وذوات السموم القاتلة ما يتحصّن في رؤوس النخل، فهذا على هذا والنخل تُخلف وتُحيل، ولم نر كرمه حالت ولا أخلفت، واسم الكرم مشتق من الكَرَم والكرامة والإكرام والتكريم؛ وقد قدّم الله جلَّ وعزَّ ذكره في كتابه على سائر الأشياء فقال جلَّ وعزَّ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَبَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ فقدّم ذكر الكرم وجعل النخل نداءً للزرع، والله أن يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿١﴾ فَجَعَلَ الْكَرْمَ أَصْلًا لِلجَنَّتَيْنِ وَالنَّخْلَ مِنَ الزَّوَادِ، وَقَالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ﴿٢﴾﴾ وَقَالَ: ﴿أَتَتْرَكُونَ فِيمَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٣﴾﴾ فَالْجَنَّاتُ حَدَائِقُ الْكَرْمِ وَقَالَ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٤﴾﴾ فَجَعَلَ النَّخْلَ فِي تَرْتِيبٍ مِنَ الْخَلْقِ وَالْكَرْمَ فِي مَكَانِهِ مِنَ التَّقْدِيمِ وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ ﴿٥﴾﴾ فَهَلْ يُعْرَشُ مِنَ الشَّجَرِ شَيْءٌ غَيْرُ الْكَرْمِ وَالْجَنَّةِ الْمُؤَنِّقَةِ مَقْصُورٍ عَلَيْهِ، وَالْمَعْرُوشَةُ الْمَرْفُوعَةُ الْعِيدَانِ عَلَى الْخَشَبِ وَالْقَصَبِ وَهِيَ فِي الْفَرَادِيسِ. وَاحِدُهَا فِرْدَوْسٌ، وَالْحَضْرَمُ أَرْفَعُ مِنَ الْبَلْعِ، وَالْوِكَابُ أَطْيَبُ مِنَ الْبُسْرِ، وَالْعِنَبُ الَّذِي مِنَ الرُّطْبِ، وَالْعَجْدُ أَقْلُ غَوَائِلَ مِنَ التَّمْرِ، وَالْخَمْرُ أَنْفَعُ مِنَ النَّبِيذِ، وَخَلُّ الْخَمْرِ أَثْقَفُ وَأَحْسَنُ مِنْ خَلِّ الدَّقْلِ، وَالطَّلَاءُ فَوْقَ الدُّوْشَابِ، وَالْحَبْلَةُ سَيِّدَةُ النَّخْلَةِ، لِأَنَّ الْحَبْلَةَ خَيْرٌ وَنَفْعُ كُلِّهَا، وَالنَّخْلَةُ شَرُّ وَعَرٌّ وَكَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ:

النَّخْلُ عَبْدٌ وَهَذَا الْكَرْمُ سَيِّدُهُ وَمَنْ يَقَاسِمُ بَيْنَ التَّمْرِ وَالْعِنَبِ

وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّهُ رَأَى بِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ عِنَبًا يُقَالُ لَهُ الْمُخْتَمُّ، فَوْزَنَ مِنْهُ حَبَّةٌ فَوَجَدَهَا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَسَاتِيرَ، وَالْأَسَاتِيرُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ، وَحَمَلَ بَعْضُ عَمَّالِ الرَّشِيدِ بِالْيَمَنِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ مَا حَجَّ عَنْقُودِينَ فِي مَحْمَلَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ، وَقَدْ يُحْمَلُ مِنْ جِبَالِ أَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبِيجَانَ أَخُونَةَ عَظِيمَةً جَدًّا يَكُونُ دُورُ بَعْضِهَا عَشْرِينَ شَبْرًا مِنْ خَشَبِ الْكَرْمَةِ. قَالُوا: وَأَطْيَبُ الْعِنَبِ الْجُرَشِيُّ، وَهُوَ دَقِيقٌ وَلَهُ عَنَاقِيدُ تَكُونُ ذِرَاعًا، وَمِنْهُ عُيُونُ الْبَقَرِ وَهُوَ عِنَبٌ أَسْوَدُ عِظَامِ الْحَبِّ، وَمِنْهُ الشُّكَّرُ عِنَبٌ صَادِقُ الْحَلَاوَةِ، وَمِنْهُ أَطْرَافُ الْعَدَارِيِّ عِنَبٌ أَسْوَدٌ كَأَنَّهُ بَلُوطٌ عَنْقُودُهُ نَحْوُ الذِّرَاعِ، وَمِنْهُ الضَّرُوعُ عِنَبٌ أَبْيَضُ كِبَارِ الْحَبِّ قَلِيلُ الْمَاءِ عَظِيمُ الْعَنَاقِيدِ، وَمِنْهُ الْكُلَافِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى كُلَافٍ بَلَدٍ فِي شَقِّ الْيَمَنِ، وَمِنْهُ الدَّوَالِيُّ عِنَبٌ أَسْوَدٌ غَيْرُ حَالِكٍ؛ وَهَلْ نَحْنُ وَإِنْ أَطْنَبْنَا فِي ذِكْرِ الْعِنَبِ، وَأَسْهَبْنَا فِي نَعْتِ مَنَافِعِهِ وَمَنَاقِبِهِ فَمُعْطَوْهُ مَا لَهُ، أَوْ بِالْعَوْنِ بِهِ اسْتَحْقَاقُهُ، وَمَوْفُوقُهُ مَا هُوَ لَهُ مِنْ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ وَالْخِلَالِ الْمَرْضِيَّةِ، وَمِنْ طَيِّبِ الطَّعْمِ وَشِدَّةِ الْحَلَاوَةِ، وَكَثْرَةِ الْمَاءِ، وَعُمُومِ النِّفْعِ وَوَفُورِ الْجِسْمِ، وَصِغَرِ الْعِجْمِ، وَكَثْرَةِ

الأجناس والضروب والأنواع، ولو أن رجلاً خرج من بيته مسافراً في عنقوان شبيته، وحدائه سنه، واستقرى البلدان صفعاً فصقعاً، يتتبع الكروم مصرأً فمصرأً. حتى يهرم، وصغيراً حتى يبدن لتعرف أجناسه وإحاطة العلم بأنواعه، بل إقليماً واحداً من الأقاليم، وناحية من أقطار الأرض، لأغوزه وغلبه وعزّه وبهره، إذ كان كثرة فنونه واختلاف أنواعه لا يُذكر كالسرنابا^(١)، والخمريّ بطشوج قطربل؛ والملاحى ببغداد، والصقلبيّ والأحمر بسرّ من رأى، والزراوى بالكوفة، والحلاوى والبيروزيّ والجُرشيّ بالبصرة وأنهارها، والسماقيّ بالأهواز، وعيون البقر بالشام، والمورقيّ بالبليخ ونهر سعيد، والمختم بالريّ، والفارسيّ والزرجون والأسفيدمشك، والسيوشك والناشقينى والبازجك، والخرجج بقزوين، والوفرباي والماني، والماسبديّ بناحية الجبل؛ وأهل الطبّ مجمعون على أن العنب أكثر غذاءً، وأنقى كيموساً من جميع الفواكه والثمار، وأن الإكثار منه غير ضارّ كضرر التين والخوخ وسائر الفواكه الرطبة، وأنه حارّ رطب على طبع الحياة، قليل الفضول مولد للدم الصحيح النقي، وأنه ملاوم بجميع الطبائع، نافع لجميع الأسنان في كلّ البلدان، والأبيض أقلّ حرارة من الأسود، ولخمرى قطربل خاصيّة في الرائحة عجيبة.

وقال الثقفى: أطيب الطعام عنب قطيف أصابه الخريف بوادي ثقيف. وقال خالد بن صفوان: من فاته الرازقيّ في إدياره فحقّ لأهله أن يبكوا عليه.

وقال الرسول (ﷺ): كلوا الزبيب فإنه يأكل البلغم، ويُطفئ المرّة ويذهب بالنّصب، ويشدّ العصب، ويحسن الخلق.

وقالوا: أنفع الأشربة شراب الكرم فإنها أفضل الأشربة، كما أن ثمرتها رأس الثمار، وشجرتها رئيس الأشجار، وإنها دواءٌ لا داءَ فيه، وخير لا شرّ معه، وأن من أصحّ الدلائل على ذلك وأوضح البرهانات له وصف ربّ العالمين لها باللّذة،

(١) الصواب: سونايا وهي قرية ببغداد بقيت في موضعها بعد إنشاء بغداد وصارت تعرف بالعتيقة وإليها ينسب العنب الأسود الذي يكر على سائر العنب مجناه (ياقوت ٣: ١٩٧، ٦١٣).

وإجماع محلليها ومحرميها على تقديمها في الطب، وتفردها بطيب النكهة،
 وصفاء اللون، وسلس المذاقة، وسهولة المجري، ولذاذة الطعم، وحسن اللون،
 وذكاء العرف، وحُمْرة البشرة، وصحة الجوهر، وطول البقاء على الدهر، وتوليد
 الفرح والسرور، ونفي الهم والغم؛ وعلى أنها تغزو فلا تؤذي، وتنفع ولا تضر،
 وأنها أنفع المشروبات المفرقة والمرغبة لجميع الأسنان في كل البلدان وفي كل
 فصل وزمان، وأنها تشارك المسكرات في منافعها وتنافها في رذائلها، وأن من
 أفعالها التي هي لها دون غيرها تنظيف الأبدان ورحض الأبدان، وتوفير المخاخ
 وتنقية الأمشاج، وتصفية النطفة، وغسل المفاصل الرئيسة من الأمشاج القذرة
 والكيموسات المتسخة، وأنها تفتح الشدد المنعقدة، وتذيب الفضول الزائدة،
 وتولد الدم الصحيح الذي هو الحياة، وتسخن الدم الغليظ الجامد الفاسد الذي منه
 بدو الأدواء الفاحشة، وتذكي النار الغريزية، وتقوي الحرارة الطبيعية، وتحسن
 اللون، وتذفيء الكلى، وتدرّ البول، وتغسل المثانة، وتقوي الكبد والمعدة،
 وتهضم الطعام، وتطرد الرياح، وترقق البلغم المالح واللزج؛ ثم الخمر مع ما قد
 وُصف لها من الطيب والحسن وصار في حيزها من ذكاء المشتم وصحة الجوهر
 فوق كبار المعجونات في دفع المضارة ورفع الإيارجات في تحليل أوصاب الدماغ
 والأعصاب، والطف من دهن الخروع في التمشي في عمق المفاصل، والوغول في
 العظام، تجانس بنفعها العقاقير المختارة، وتنوب عن السموم المحللة،
 والضمادات المنّدة، والأطلية المقوية، وتجري مع الأدوية النافعة حيث جرت،
 ولا بدّ للمعجونات الكبار منها إذا رُكبت، فهي أفضل ما غُير به الماء بعد شرب
 الأدوية المسهلة، وعند العلاج في الحمية، ولا تُذاب الصمغ المتجسدة، وتُماع
 ألبان النبات الداخلة في المعجونات الرفيعة، نحو الشلثا والترياق والتيالذريطوس
 والهبطارغان^(١) إلّا بها، وبما كان من نوعها من العقيد أو نبيذ الزبيب وخل

(١) الاصطلاحات أعلاه هي: إيارجات: قال في برهان قاطع ١: ١٩٢ (إيارة على زنة شرارة:

مركب من مجموعة أدوية مليئة يُركب منها دواء مسهل. معربها: إيارجة.

أما الشلثا والترياق والتيالذريطوس. فقد ورد في كتاب هداية المتعلمين ٢٥٦ علاج للسكتة =

الخمرة؛ فقالوا: أنس الله ببقائك الأيام، وعمر بك الآداب، وأحيا بحياتك العلوم.



= البلغمية التي تنسد فيها التجاويف الدماغية بواسطة البلغم اللزج (ص ٢٥٥) وهو (الشليثا والترياق والمثروديطوس).
ولم نعر على خبر للشليثا، أما الترياق فهو دواء نافع من لدغ الهوام والسموم وهو البادزهر؛ ما يمنع ميكانيكياً امتصاص السم من المعدة والأمعاء (المصطلحات العلمية والفنية ص ٩٠) قال في برهان قاطع ٤٩٣ (يقال له بالعربي: حجر التيس).
مثروديطوس من المعاجين الطبية يستخدم لعلاج الصرع (تاريخ طب در إيران ٥٠٤).
ولم نهتد لمعنى (الهبطاركان).

القول في الجزيرة

سئل الشعبي عن الجزيرة جزيرة العرب فقال: ما بين العذيب إلى حضرموت.

وقال الأصمعي: جزيرة العرب ما لم تظله فارس والروم.

وقال الرياشي: جزيرة العرب ما بين نجران إلى العذيب.

وقال أبو عبيدة: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وفي العرض ما بين رمل يثرب إلى السماوة.

وقالوا: الجزيرة ما بين دجلة والفرات والموصل من الجزيرة وكذلك الرقة والرافقة.

وقال محمد بن الحسن: بلاد العرب الذين لا تقبل منهم الجزية، ولا يرضى منهم إلا بالدخول في الإسلام أو السيف من العذيب إلى أبين عدن فذلك الجزيرة.

قال ابن الأعرابي: الجزيرة ما كان فوق بقعة، وإنما سميت الجزيرة لأنها تقطع الفرات ودجلة وقد تقطع في البر.

وإنما سميت الموصل مَوْصِلًا لأنها وصلت بين الجزيرة والشام، والجزيرة من عمل مُمَيِّسَاط إلى بَلَد ومن الموصل إلى الأردن، ويقال سميت الموصل لأنها وصلت بين الفرات ودجلة.

ومدينة الموصل بناها محمد بن مروان؛ وراوند الموصل بناها راوند بن بيوراسف.

وولي عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السلمي الموصل سنة عشرين، فقاتله

أهل الحصن فأخذ حصنها الشرقيّ عنوة، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والأذن لمن أراد الجلاء في الجلاء، ثم فتح المَرَج وقراه وأرض بأنهدرا وداسين وجميع معاقل الأكراد؛ وأوّل من اختطّ الموصل وأسكنها العرب، ومصرّها هرثمة بن عَرْفَجَة البارقيّ، وكان عمر عزل عُتْبَة عن الموصل وولّاها هرثمة، وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازلهم ومحلة اليهود، فمصرّها هرثمة ثم بنى المسجد الجامع، ثم بنى بعدها الحديثة، وكانت قرية قديمة فيها بيعتان، فمصرّها وأسكنها قوماً من العرب فسُميت الحديثة، لأنها بعد الموصل؛ وافتتح عُتْبَة بن فَرْقَد الطيرهان وتكرّيت، وآمن أهل حصن تكريت على أنفسهم وأموالهم، وسار في كورة باجرمق حتى صار إلى شهرزور^(١).

وتكرّيت من كور الموصل، وبازائها في البرية مدينة الحضر على برية سنجار، وبينها وبين دجلة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين الفرات خمسة عشر فرسخاً، وهي مبنية بالحجارة البيض، بيوتها وسُقُفها وأبوابها؛ وهي على تلّ ولها ستون برجاً كباراً، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار، على رأس كلّ برج قصر، وأسفله حمام، وقد حُمِل عليها نهر الثرثار، ويشق المدينة ثم يخرج، وعلى حافتي الثرثار القرى والجنان، والثرثار يخرج من سنجار ويصب في الفرات، ويُحْمَل عليه السفن، وكان ملك الحضر السَّاطِرُونَ ثم الضيّز، ويقال: إنه كان على الحضر باب يغلقه رجل ولا يفتحه إلا خلق كثير، وهو الذي قال فيه عديّ بن زيد:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تُجْبى إليه والخابور

وقال: الشرقيّ بن قُطامي: لما افرقت قضاة خرجت فرقة منهم إلى الجزيرة، وعليهم ملك يقال له الضيّز بن جبّهلة، أحد الأحلاف، فنزلوا مدينة الحضر، وكان بناؤها، على طلسمين ألا يهدمها إلا حمامة ورقاء مطوّقة بحیض امرأة زرقاء، فأخرج ضيزن كلّ امرأة عارك^(٢)، وغزا الضيزن في جميع قضاة

(١) من قوله (وولى عمر بن الخطاب، عتبة بن فرقند...) إلى هنا في فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٢) العارك: الحافض.

فأصاب خلقاً من أهل شهرزور فقتلهم، وأغار على السواد فأصاب، ماه أخت سابور ذي الأكتاف، فسمع سابور بذلك فخرج وأقام عليهم ستين، لا يظفر منهم بشيء حتى عركت النضيرة بنت الضيزن، فأخرجت إلى الربض، فنظر إليها سابور فعشقها وعشقه فقالت له: ما لي عندك أن دلتك على ما تفتح به هذه المدينة قال لها: أجعلك فوق نسائي. قالت: فاعمد إلى حيض امرأة زرقاء فاكتب به في ورقة ثم اجعلها في عنق ورشان وسرخه، فإذا وقع على القصر أرفض بأهله، ففعل فكان كما قالت، فقتل من قضاة نحو مائتي ألف رجل، وأفنى قبائل كثيرة، وبادت إلى يومنا هذا، فقال الجدّي القضاعي:

الْمَ يَخْرُتُكَ وَالْأَنْبَاءُ تُبَيِّ بِمَقْتَلِ ضَيْزَرٍ وَبَنِي الْعَيْدِ

ثم إنه خرج بابنة الضيزن حتى عرّس بعين التمر، فلم تنم تلك الليلة، قال لها: ما لك؟ قالت: لم أنم على فراش قط أحسن من فراشك هذه. قال: ويلك وهل نامت الملوك على فرش قط أوطأ من فرشي؟ قالت: نعم، ونظر فإذا في الفراش ورقة آس وكانت قد التزقت ببطنها، فقال: بما كان أبواك يغذوانك قالت: بشهد الأبقار ولباب البرّ وصغار المعز فقال سابور: أنت لم تكافئي أبويك على حسن صنيعهما بك، ولم تفي لهما، فكيف تفين لي؟ فشدت ذوائبها إلى ذنب فرسين جموحين ثم استحضرا فقطعاها^(١).

(١) الحضر: مدينة عراقية على بعد ١١٠ كم من الموصل و٣ كم من وادي الثرثار أطلق عليها الرومان اسم (هترا). وما تزال جوانب من معابدها الكبيرة قائمة حتى يومنا هذا. وواقعة فتحها على يد الملك الفارسي سابور الأول بعد محاصرتها من ١٢ نيسان ٢٤٠ حتى أول نيسان ٢٤١ م فاستسلمت المدينة بعد ذلك، مذكورة في التواريخ العربية والفارسية مع ما فيها من الأساطير.

وكان السبب في هجوم سابور الأول عليها هو تحالفها مع الرومان عام ٢٣٥ م. (معجم الحضارات السامية مادة: الحضر).

يعلق الأستاذ هنري عبودي (مادة: الضيزن) على اسم هذا الملك بقوله: (إن اسم الضيزن لم يرد في كتابات الحضر وليس هنالك أي دليل على أنه شخصية تاريخية. والمعروف أن التوحيين العرب أسسوا مدينة الحيرة، وقد أغار عليهم سابور فذهب أغلبهم إلى الحضر وكان=

ومن الموصل أيضاً: الطيرهان، والسِّنُّ، والحديثة، ومَرْجُ جُهَيْنَةَ، ونينوى وباجلى، والمَرْج، وبانْهَذْرَا، وباعْذَرَا، وحِثُّون، وبانقلى، وحرَّة، وبانعاس، والمغلة، ورامين، والحناية، وباجزَمْى، وبابغيش، والداين، وكَفَرَعَزَى، وخراج الموصل أربعة آلاف ألف درهم^(١).

وبالموصل جبل يسمَّى شَعْرَان، لكثرة أشجاره، ويقال للشجر الشعراء ويقال: بل هو جبل بياجَزَمْى، ويسمَّى جبل قَنْدِيل وبالفارسية تخت شيرُويه، وهو من أعمار الجبال، وفيه كمثري والعنب وأنواع الطير وشجر عظام كبار يُقطع فيحمل إلى العراق، والثلج فيه قائم في الشتاء والصيف، وإذا خرجت من دَقُوقاً ظهر لك وجه منه يلي الزاب الصغير.

وقال الزُّهْرِيُّ: لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فُتح على عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، على يدي عِيَاض بن غَنَم فتح حَرَّان، والرَّقَّة، وقَرْقِيسِيَا، ونَصِيبِينَ، وسِنْجَار، وآمِد، ومِيَّافَارِقِينَ، وكَفَرْتُوْنَا، وطُورَ عَبْدِينَ، وحصن مارِدِينَ، ودارا، وقَرْدَى، وبَرْبَنْدَى، وأَرْزَن.

والرَّقَّة: واسطة دِيَارِ مُضَرَ، ولم يكن للرَّافِقَةِ أثر، وإنما بناها المنصور سنة مائة وخمس وخمسين على بناء مدينته ببغداد، ورُتِّب فيها جنداً من أهل خراسان.

قال الْكِنَانِيُّ في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ قال: إلى حَرَّان. وفي قوله ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ قال: إلى حَرَّان. قال كَعْب في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَجِّينَاهُ لَوُطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قال: حَرَّان. وقوله ﴿أَنْزَلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً﴾ قال: حَرَّان، أو قال رسول الله (ﷺ): أَرَفَعْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَرَأَيْتُ مَدِينَةً فَأَعْجَبْتَنِي فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَا هَذِهِ الْمَدِينَةُ؟ فَقَالَ: نَصِيبِينَ. فَقُلْتُ:

= على رأسهم الضيزن بن معاوية التنوخي. وقد يكرن حارب إلى جانب ملك المدينة مما سبب الالتباس الواقع. (معجم الحضارات ٥٦٠).

(١) من قوله (ومن الموصل أيضاً...) حتى هنا في ابن خرداذبة ص ٩٤. مع اختلاف في كتابة بعض الأسماء أحياناً.

اللهم اعجل فتحها واجعل فيها بركة للمسلمين R

ومن مدنها: الرُّهّا، وسُمَيْساط، وسُرُوج، ورأس كَيْفَا، والأرض البيضاء،
وتكْلُ مَوْزن، والرُّوَابِي، والمازحين، والمُدَيِّر، والرُّصَافَة، وكَفَرُ حَجَر، والجزيرة،
وتقدير خراج ديار مضر ألف ألف وستمئة ألف درهم.

ومن عمل الفُرات قَرْقِسيّا، وهي على الفرات، وعلى الرُّحْبَة، وعلى
الخابُور، وهيت وعانات والحديثة والزاب. ومن كور الخابُور: الصُّور،
والغُدَيْر، وماكِسين، والشَّمسانيّة، والشُّكَيْر، وعَرَابان، وطَابان، وتُنَيِّر العليا،
وتُنَيِّر السفلى، وشاعا، وهذه المدن على الخابور.

فأما كور ديار ربيعة: فنَصِيبيّ، وأرْزَن، وآمِد، ورأس العَيْن، ومَيَّافَارِقين،
قال الشاعر:

بِأَمِدَ مَرَّةً وَبِرَاسِ عَيْنٍ وَأَخْبَانًا بِمَيَّافَارِقِينَا

ومن الموصل إلى بَلَد سَبْعَة قَراسِخ، ومن نصيبين إلى أرزن ذات اليمين
سبعة وثلاثون فرسخاً، ومن آمِد إلى الرُّقَّة أربعة وخمسون فرسخاً، وخراج ديار
ربيعة سبعة آلاف ألف وسبع مائة ألف درهم^(١).

ومن عجائب الجزيرة كنيسة الرُّهّا، والروم تقول: ما من بناء بالحجارة أبهى
من كنيسة الرها، ولا بناء بالخشب أبهى من كنيسة مَنبِج، لأنها بطاقات من خشب
العُتَاب، ولا بناء بالرخام أبهى من قُسَيَّان أنطاكية، ولا بناء بطاقات الحجارة أبهى
من كنيسة حمص. وقالوا: إن حول مدينة الرها ثلثمائة وستين ديراً، وكان بالرها
صورة امرأة يقال لها هَيْلَانَة قاعدة على كرسي لم يُرَ في جسمها وجمالها مثلها،
فعمشقها رجل فمرض من حبها، فجاء أبوه فكسر رأسها، فلما نظر إليها الفتى تسلى
عنها.

(١) من (فأما كور ديار ربيعة) ... إلى هنا في ابن خردادبه ص ٩٥.

قالوا: ومن عجائبنا: الجبل الذي بآمد، يراه جميع أهل البلدة فيه صدع، فمن انتضى سيفه فأولجه فيه وقبض على قبيعته بجميع يديه اضطرب السيف في يديه، وأزعج القابض. وإن كان أشد الناس. وفيه أعجوبة أخرى: أنه متى يحك بذلك الجبل سكين، أو حديد، أو سيف، حمل ذلك السيف والسكين الحديد وجذب الإبر والمسأل بأكثر من جذب المغناطيس. وأعجوبة أخرى: أن ذلك الحجر نفسه لا يجذب الحديد فإن حك عليه سكين، أو سيف جذب الحديد. وفيه أعجوبة أخرى: وذلك أنه لو بقي مائة سنة لكانت تلك القوة قائمة فيه.

وبالرفقة دهن الخطارة، وفيه أعجوبة وذلك أنه لا يتخذ إلا في حانوت بها معروف، فإن اتخذ في غيره من الحوانيت فسد وخاصيته أنه نافع للرياح والنقرس.

قالوا: ومخرج الخابور من رأس العين، ويستمد من الهزماس، ويصب في الفرات؛ ومخرج الثرثار من الهزماس، ويمر بالحضر، ويصب في دجلة قالوا: ولنا الأفراس الجزيرة.

وسأل معاوية ابن الكواء^(١) عن أهل الكوفة فقال: أبحث الناس عن صغيرة وأضيعهم لكبيرة، قال: فأخبرني عن أهل البصرة. قال: غنم وردن جميعاً، وصدرن شتى. قال: فأخبرني عن أهل الحجاز. قال: أسرع الناس إلى فتنة، وأضعفهم فيها، وأقلهم غناء. قال: فأخبرني عن أهل الموصل. قال: قلادة أمة فيها من كل خريزة. قال: فأخبرني عن أهل الجزيرة. قال: كناسة بين المصريين، ثم سكت معاوية. فقال ابن الكواء: لتسألني أو لأخبرن أو ما عنه تحيد، قال: أخبرني عن أهل الشام قال: أطوع الناس لمخلوق، وأعصاهم لخالق لا يدرون ما بعده.

(١) هو عبد الله بن أوفى اليشكري ممن كان في جيش الإمام علي وخرج عليه بعد موقعة صفين (الطبري ٥: ٦٣، ٦٥) وقصة وفوده على معاوية ذكرها الطبري (٥: ٢١٢). إلا أنه لم يذكر هذا الحديث.

وقال الهيثم بن عدي: كانت دار إِيَاد ظهر الكوفة وديَر الأَعَوَر ودير قُرَّة ودير الأَعَوَر هو دير الجَمَاجِم.

وقال الأصمعي: كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعْزَبَايا وهي الموصل لقدرها عندهم، ولم ينلهم في خصبها شيء قط، وعن ريف الجزيرة وما يليها، لأنها تعدل في الخصب باعْزَبَايا، وفي التمر البصرة وفي السمك عُمان.

وخراج كور الجزيرة وديار ربيعة تسعة آلاف ألف وسبع مائة ألف وخمسة عشر ألفاً وثمان مائة درهم. أرْزَن: ألف ألف وستة وخمسون ألفاً. أَمَد: ألف ألف ومائة وخمسون ألفاً، ديار ربيعة: مَيَّارْفَارِقِينَ: ثمان مائة ألف وستة وخمسون ألفاً. وكذلك سائر المدن مثل: ماردين، ودارا، وبلد، وسنجار، وقَرْدَي، وبَرْبَدَي، وطُور عَبْدِينَ، ورأس العين، وقد أجمل خراجها. ديار مُضَر: حرَّان سبع مائة ألف وأربعون ألفاً. الرُّها: ألف ألف وثلثمائة ألف درهم. سُمَيْسَاط ألف ألف درهم. سَرُوج: ستمائة ألف درهم. قَرِيَّاتُ الْفُرَات: ستون ألف درهم. رأس كَيْفَا: ثلثمائة ألف وخمسون ألف درهم. أرض البَيْضَاء: مائة ألف وخمسون ألف درهم. الرُّقَّة: مائة ألف درهم وستون ألف درهم. الرافقة والرَّوَابِي: سبعة وخمسون ألف درهم. المازحين والمُدَيِّر: مائة ألف وخمسة وثمانون ألف درهم.

القول في الروم

وإنما ذكرنا الروم في هذا الموضع لأنها تحاذي الشام والجزيرة.

قال يحيى بن خالد البرمكي: الملوك خمسة: ملك الأناث، وملك الدواب، وملك المال، وملك الفيلة، وملك الأكسير. فأما ملك الأناث فملك الصين، وملك الدواب ملك الترك، وملك المال ملك العرب، وملك الفيلة ملك الهند، وملك الأكسير فملك الروم. فأرض الروم غربية دبورية، وهي من أنطاكية إلى صقلية، ومن قسطنطينية إلى تولية. والغالب عليهم رومي وصقلي، والأندلس صقلية، والروم كلهم: نصاري ملكانية، ويقرأون الإنجيل بالجرمقانية، وهم أصحاب بقر وخيل وشاء، ويحكمون بحكم التوراة، وهم أهل صناعات وحكم وطب، وهم أحذق الأمة بالتصاوير، يصور مصورهم الإنسان حتى لا يغادر منه شيئاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يصيره شاباً وإن شاء كهلاً، وإن شاء شيخاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يجعله جميلاً ثم يجعله خلوأً ثم لا يرضى حتى يصيره ضاحكاً وباكياً، ثم يفصل بين ضحك الشامت وضحك الحجل، وبين المستغرق والمبتسم والمسرور وضحك الهادي، ويركب صورة في صورة، ولما توادع قباذ وقبصر ملك الروم أهدى إليه قبصر هدايا كثيرة، فكان فيما أهدى إليه تمثال جارية من ذهب، كان إذا كان وقتاً من الليل يُسمع لها ترثم لا يطرأ على أذن أحد إلا أرقده، وفسطاط عظيم من كيمخار، وسفط جوهر.

وأوفد بعض الخلفاء عمارة بن حمزة^(١)، إلى ملك الروم، وكتب يتوعدده

(١) عمارة بن حمزة تنسب إليه دار عمارة بالجانب الغربي من بغداد وهو مولى المنصور (معجم =

بالخيال والرجال، قال عمارة؛ فانتهيت إلى مكان يُحجَّب منه الرجل على مسافة بعيدة، فجلست حتى أتى الأذن، فسرتُ إلى مكان آخر فجلست حتى أتى الأذن ثلاث مرّات، ثم وصلتُ إلى داره فأدخلت داراً، وإذا على طريقي أسدان عن جنبي الطريق، وطريقي عليهما لا أجد من ذلك بدءاً، فقلت: لا بدء من الموت، فلن أموت عاجزاً فحملت نفسي فلما صرت بينهما سكنا فجزتُ ودخلت داراً أخرى، وإذا سيفان يختلفان على طريقي، فحزرتُ أنه لو مرَّ بينهما ذبابة لقطعاها، فقلت: الذي سلّمني من الأسدَيْن سلّمني من السيفين، فاستخرت الله ومضيت، فلما صرت بينهما سكناً، ثم دخلت داراً ثالثة وفيها الملك فلما صرت إلى بهو، إذا هو في بهو فسيح أكاد أن لا أبصره لبعد مسافة البصر بيني وبينه، فمشيت حتى انتهيت إلى قدر ثلثه فغشيتني سحابة حمراء لم أبصر شيئاً فجلست مكاني ساعة، ثم تجلّت عني فقمت فمشيت، فلما بلغت نحو الثلاثين غشيتني سحابة خضراء فغشي بصري منها، فجلست حتى تجلّت، ثم قمت فمشيت فانتهيت إلى الملك فسلمت عليه، والترجمان بيني وبينه، فأذيت الرسالة وأوصلت الكتاب، فأمرني بالجلوس وسألني عن الخليفة وعن أشياء من أمر الأقاليم، ثم أمر بمنزل وإقامة ما أحتاج إليه، وأمرني بالإصراف والبكور عليه، فكنت لأعِبه وآنس بي، فركبت معه يوماً فانتهينا إلى حائط عليه باب وحفظه، فدخلنا فإذا أصول طرفاء فقال: أتعرف هذه الشجرة؟ فقلت: لا، وظننت أن عنده فيها معنى، فقال: هذه شجرة ينفع دخانها من الخُراج وتُمرىء الطعام، فقلت في نفسي: لو يعلم أنها ببلادنا حطب الأراذل منا، ثم مضى إلى حائط آخر عليه باب وحفظه، فدخل ودخلنا معه فإذا مقدار قفيز من أرض فيه كبر، فقال: أتعرف هذا؟ قلت: لا، وظننت به ظني الأول فقال: هذا نبت وهو جوارشن، وينفع من أصابه الحرق^(١)، ويُدخل في أدوية الجراحات. فقلت في نفسي: لو يعلم هذا أن عندنا لا يكون إلا في أخرب المواضع والمفاوز،

= (البلدان ٢: ٥٢٢) توفي عام ١٦٠ هـ.

(١) قرأها دي خويه (الخُرق) ونرى أنها (الحرق) من الحريق. خاصة وإن فيه خاصية تجفيف القروح الرطبة إذا وضع عليها من خارج (المعتمد ص ٤٠٨).

وأنه مباح لمن أراحه، فلما آنست به قلت: أيها الملك أريد أن أسأل عن شيء قال: سل عما بدا لك. قلت: إني رأيت أسدين وسحابتين كان من قصتهما كيت وكيت، ولم أعرف السبب. قال: أما الأسدان والسحابتان فإنهما حيلة تُحتال لمن ورد علينا من رسل الملوك لنروهم بذلك، وإذا قرب الرجل منهم سكنت كما رأيت، وأما السحابتان فلإني أعلمك خبرهما، ثم ضرب بيده إلى إثني فراشة فاستخرج قطعة ياقوت أحمر كالنعل، فإذا السحابة قد غشيتنا من ضوءها ثم ردها واستخرج أختها من زمرد أخضر فغشيتنا السحابة الخضراء، فلما أزعج خروجي وأجاب عن الكتاب قال: امض بنا إلى قصري فخرجنا حتى انتهينا إلى قصر عليه حفلة فدخلنا فإذا بيوت مختومة، فأمر بباب منها ففتح، فإذا جُرب بيض منضدة حوالي البيت، ثم قال: أشر إلى ما شئت منها، فأشرت إلى جراب منها فأمر ببرنية فملئت منها، ثم أمر بختمها، ثم استفتح باباً آخر كالأول في طوله، فإذا جُرب حمر فقال: أشر إلى ما شئت منها، فأشرت إلى جراب منها فملئت منه برنية ثم ختمها وانصرفنا إلى القصر، فدعا بكبير ومنفاخ ورطل نحاس ورطل رصاص، فأمر بأحدهما فأذيب، وأمر أن يُلقى عليه من الدواء الأبيض ما يحمل ظفر الإبهام، ثم أفرغه فخرج فضة بيضاء، ثم أذيب النحاس وألقى عليه من الأحمر مثل ذلك فخرج ذهباً أحمر فقال: أعلم صاحبك أن هذا مالي، وأما الخيل والرجال فإنك تعلم أنهم أكثر وأكبر، فقال عمارة: فحدث المنصور بهذا الحديث، فكان هذا الذي حداه على طلب الكيمياء. قال عمارة: وأعجب ما رأيت في مجلسه أنه كان إذا أراد أن يصرف الناس خرجت في ظهر كل رجل كف من الحائط فيدفعه فيعلم أنه قد أمر بالقيام.

وقال سيف بن عمر: كان ملك الروم الأول من آل بالع بن بَعُور، وبنى قرية دَنَحَب، ثم ملك بعده يُوَيْب بن زَرَج، ثم ملك بعده هُوشم، ونزل التَّيْمَن، ثم ملك بعده هَدَد بن بَدَد الذي قتل المَدَنِيِّين، ثم ملك سَمَل بن مَشْرِق، ثم عدّه كثيرة.

وقال حذيفة: كان على الروم ملك يقال له مَوْرِق سَيء السيرة، فاجتمع إليه

من المؤمنين اثنان وسبعون رجلاً على أن يأمروه بالمعروف وينهوه عن المنكر فانتدب منهم رجلان لذلك فكلّماه فأمر بهما ليُصلبا، فاجتمع السبعون فقال بعضهم لبعض: نقضتم العهد وأسلمتم أخوانكم للقتل، وأمركم الآن أشدّ من أمركم الأوّل، فاثمروا ليأخذوا السلاح ويفتكوا لمَورِق. حتى يقتلوه، فلما أبرز المورق بالرجلين شدّوا عليه فقتلوه، ونادوا: أيّها الناس لا بأس فإنما غضبنا الله، فاجتمع إليهم الناس وقالوا لهم: قد قلّدناكم أمورنا، فولّوا من أنفسكم من شتم، فملكوا عليه رجلاً يقال له فُوق، فهو الذي ضرب الدنانير الفُوقيّة، ثم ملك فوق وكان سبّ السيرة، فأرادت الروم أن تخلعه، فعمد إلى خزائنها وأموالهم فرمى بها في البحر، وشحن منها السفن، وأسرعها تخمّلها الريح حتى جاءت بها إلى الشام، وكان شهزبَرّاز غلاماً لكسرى على الشام، فخرج إلى الساحل فرأى السفن، فأمر بها فأخذت واستخرج ما فيها من الأموال، فسقى ذلك المال كنج باذاورّد، فبطلت أموال الروم منذ حينئذ، فليس في الأرض روميّ له عطاء أكثر من خمسة دنانير وعشرة دنانير هذا للشرّيف منهم فهم إلى يومنا هذا على هذا.

وقال ابن دأب^(١) عن موسى بن عتبة قال: كان عبادة بن الصامت يحدث أن بعض الخلفاء بعثه وهشام بن العاص وثُعَيْم بن عبد الله إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، قال: فخرجنا حتى جئنا جبلة ابن الأيّهم الغَسّانيّ وهو بالغُوطَة، فأدخلنا إليه فإذا هو على فرش مع السقف، فأجلسنا بعيداً فأرسل إلينا رسولا نكلّمه، فقلنا لا والله لا كلّمناه برسول، فأدّينا منه فكلّمه هشام ودعاه إلى الله، فإذا عليه ثياب سود فقال له هشام: ما هذه المسوح التي لبستها؟ قال: لبستها وعليّ نذر ألا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، قلنا: والله لنخرجنك من فرشك ومن دار مملكتك ونملك الملك الأعظم إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا (ﷺ)، قال: إذا أنتم السُّمراء. قلنا: وما السُّمراء؟ قال: الذين يصومون النهار ويقومون الليل. قلنا: فنحن والله هم. قال: وكيف صومكم؟ فأخبرناه بذلك. قال: فرطن لأصحابه

(١) هو عيسى بن يزيد بن دأب الكناني اللبني. قال ابن النديم ص ١٠٣ (والأغلب على آل دأب الأخبار).

وقال: قوموا وعَلَّاه سَوَادٌ ثُمَّ بَعَثَ مَعَنَا رَسُولًا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْ مَدِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ مَعَنَا: إِنَّ دَوَابَّنَا هَذِهِ لَا تَدْخُلُ مَدِينَةَ الْمَلِكِ، وَكُنَّا عَلَى رَوَاحِلٍ فَإِنْ شَتَّمْتُمْ حَمَلَنَاكُمْ عَلَى بَرَّادِينَ وَبِغَالَ، قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ لَا نَدْخُلُ إِلَّا عَلَيْهَا، فَأَرْسَلُوا إِلَى الْمَلِكِ أَنَّهُمْ يَأْبُونَ، فَأَرْسَلَ أَنْ خَلُّوا عَنْهُمْ، فَدَخَلْنَا مُعْتَمِينَ عَلَيْنَا السُّيُوفَ عَلَى الرَوَاحِلِ، وَإِذَا غُرْفَةٌ مَفْتُوحَةٌ يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَيْنَا، وَأَقْبَلْنَا حَتَّى أَنْخَنَّا تَحْتَ الْغُرْفَةِ، قُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: وَاللَّهِ يَعْلَمُ لَقَدْ انْتَفَضَتْ الْغُرْفَةُ حَتَّى كَانَتْهَا عَذْقُ سَعْفَةٍ ضَرْبِهَا الرِّيحُ، وَأَرْسَلَ أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَجْهَرُوا بِدِينِكُمْ عَلَى بَابِي، فَأَرْسَلَ أَنْ ادْخُلُوا فَدَخَلْنَا، فَإِذَا عَلَيْهِ ثِيَابٌ حُمْرٌ، وَإِذَا كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ أَحْمَرٌ، وَالْبَطَارِقَةُ حَوْلَهُ فَدَنَوْنَا مِنْهُ، فَإِذَا هُوَ يَفْصَحُ الْعَرَبِيَّةَ، فَقَالَ لَنَا وَضَحَكَ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَحْيُونِي بِتَحِيَّةِ نَبِيِّكُمْ؟ فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَلُ بِكُمْ، قُلْنَا: تَحْيِينًا لَا تَحِلُّ لَكَ، وَتَحْيِيَّتُكَ الَّتِي تُحْيِي بِهَا لَا تَحِلُّ لَنَا. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قُلْنَا السَّلَامُ عَلَيْكَ. قَالَ: فَمَا تَحْيُونُ مَلِكَكُمْ؟ قُلْنَا: بِهَذَا نَحْيِيهِ. قَالَ: فَكَيْفَ يَرُدُّ عَلَيْكُمْ؟ قُلْنَا: كَمَا نَقُولُ لَهُ. قَالَ: أَفَمَا يَرْتُكِمُ؟ قُلْنَا: لَا إِنَّمَا يَرِثُ مِنَّا الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ. قَالَ: وَكَذَلِكَ مَلِكَكُمْ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا صَوْمُكُمْ وَصَلَاتُكُمْ؟ فَوَصَفْنَا لَهُ. قَالَ: فَمَا أَعْظَمُ كَلَامِكُمْ؟ قُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَالَّذِي يَعْلَمُ أَنَّهُ انْتَفَضَ سَقْفُهُ حَتَّى ظَنَّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَنْ سَيَسْقُطُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ الَّتِي نَفَضَتْ الْغُرْفَةَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: وَكَلَّمَا قَلْتُمُوهَا نَفَضَتْ سَقُوفَكُمْ؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِذَا قَلْتُمُوهَا فِي بِلَادِ عَدُوِّكُمْ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: لَا، قُلْنَا: وَمَا رَأَيْنَاهَا صَنَعَتْ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَكَ. قَالَ: مَا أَحْسَنَ الصَّدَقَ، أَمَا أَنِّي وَدَدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ نَصْفِ مَلِكِي، وَأَنْتُمْ كُلُّمَا قَلْتُمُوهَا يَنْفُضُ كُلُّ شَيْءٍ. قُلْنَا: وَلَمْ ذَاكَ؟ قَالَ: كَانَ ذَاكَ أَيْسَرُ لِسَانِهَا وَأَجْدَرُ إِلَّا يَكُونُ نَبْوَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ حِيلَةِ النَّاسِ. قَالَ: فَمَا كَلِمَتُكُمْ الَّتِي تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: وَاللَّهِ أَكْبَرُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. ثُمَّ سَأَلَنَا سَوَالًا شَافِيًا وَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَمَرَ لَنَا بِمَنْزِلٍ حَسَنٍ، وَثُرُلٌ كَثِيرٌ فَمَكَّنَا ثَلَاثًا، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا لِيَلَّا فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا لَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ فَاسْتَعَادَنَا الْقَوْلَ، فَأَعَدَّنَا عَلَيْهِ، وَدَعَا بِشَيْءٍ كَهَيْئَةِ الرَّبْعَةِ الْعَظِيمَةِ مَذْهَبَةٍ فِيهَا بَيُوتٌ صَغَارٌ، عَلَيْهَا أَبْوَابٌ، فَفَتَحَ بَيْتًا فَأَخْرَجَ مِنْهُ خُرْقَةً سَوْدَاءَ

حريراً، فنشرها فإذا فيها صورة، وإذا رجل ضخيم العينين، عظيم الأليتين، طويل
 العنق، فقال: أتدرون من هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا آدم (عليه السلام)، ثم فتح بيتاً
 آخر فأخرج منه خرقة سوداء فنشرها، فإذا صورة بيضاء فإذا رجل له شعر كشعر
 القبط، أحمر العينين، عظيم الهامة، قال: أتدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا
 نوح (عليه السلام)، ثم فتح بيتاً آخر فاستخرج خرقة مثل الأوليين، فإذا صورة
 بيضاء شديدة البياض، وإذا رجل حسن العينين، طويل الخد، شارع الأنف،
 مختلط شيب الرأس أبيض اللحية، والله لكأنه يتبسّم، قال: أتعرفون هذا؟ قلنا:
 لا. قال: هذا إبراهيم (عليه السلام)، ثم أخرج خرقة سوداء مثلها، فنشرها فإذا
 صورة وإذا والله رسول الله (ﷺ) قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، وبكينا وقلنا: هذا
 نبينا محمد (ﷺ) فالله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس فقال: الله لهو هو، قلنا: والله
 لهو هو، كأننا ننظر إليه حياً، فأمسك ساعة ينظر ثم قال: أما والله إنه آخر البيوت
 ولكنني عجلته لكم لأعلم ما عندكم، فأعاده وفتح بيتاً آخر فأخرج خرقة سوداء فإذا
 فيها صورة صحماء أدماء رجل كثير الشعر جعد قطط، غائر العينين، حديد النظر،
 عابس، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، وإلى جنبه صورة شبيه به غير أنه مدور
 الرأس عظيم الجبين في عينه قبل، فقال: هذا موسى وأخوه هارون، ثم فتح باباً
 آخر فاستخرج خرقة سوداء فإذا فيها صورة بيضاء أشبه ما خلق الله بصورة امرأة
 عجيزة وساقاً، قال: هذا داود (عليه السلام)، ثم استخرج خرقة سوداء فيها صورة
 بيضاء، فإذا رجل أوقص طويل الرجلين قصير الظهر وإذا هو راكب على فرس لكل
 شيء منه جناح، قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا سليمان، وهذه الريح
 تحته، ثم أخرج لنا خرقة سوداء فيها صورة صفراء وإذا رجل شديد سواد الشعر
 سبطه كثيرة حسن الوجه والعينين مشبه كل شيء، قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا.
 قال: هذا عيسى (عليه السلام)، قلنا: ومن أين هذه الصور هكذا؟ فإنا نعلم أن
 هذه الصور على ما صوّرت، لأن صورة نبينا (ﷺ) مثله، قال: إن آدم (عليه
 السلام) سأل ربه جلّ وعزّ أن يريه أنبياء بنيّه، فأُنزل عليه صُورهم فاستخرجها ذو
 القرنين من خزانة آدم في مغرب الشمس، فصوّرها دانيال على تلك الصور في

خرق حرير، فهي هذه بعينها، ووالله لو ددت أن نفسي تطيب بالخروج من ملكي وأكون عبداً لأشرككم ملكه، ولكن نفسي لا تطيب ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرّحنا.

قال: ولما دخل أنوشروان أرض الروم وخرج منها فقد بها رجلاً من متطبيه يسمونه الزرسبيذ، فاشتدّ على أنوشروان ذلك، وغبرّ الرجل بأرض الروم سنين، حتى عرف كلامهم، وقرأ كتبهم، وعظم شأنه، فلما أحكم ما يريد انصرف إلى أنوشروان، فعظم موقعه لِمَا رجا أن يجد عنده ما يحبّ أن يعرف من حال الروم، فخلا به فسأله عن شدة ما رأى من بأس القوم ونجدتهم، فقال الزرسبيذ: إنا لم نزل نسمع من الملك أن النجدة قسم شريف، وقد يجمع قسمه أقساماً لا تتم إلا بها، وأنه لا يستحق أحد اسم البأس والشدة إلا بما يشيعه من الصبر الذي به يحتمل الإخطار بالنفس، والأنفة التي بها يُقدّم على ما أقدم به، وحسن الذكر والبصيرة الذي هو ملاك ذلك كله، ورباطة الجأش التي بها يوطن على ما ناله من إحراز المكرومة وحسن الشاء، وقل من رأيت فيهم ممن يستحق هذه الصفة، وذلك لمخالفتهم دينهم الذي يدينون به.

قال: فكيف حظهم من العلم؟ فوصفهم بقلته وزعم أن مفتخرهم إنما يفتخر بكتب الفلاسفة في المنطق، وإنما هي غايتهم، قال: فأين مبلغهم من الطب؟ قال: أما الطب فمعرفتهم بالطبائع، والجواهر، وعلاج الحرارة والبرودة، وفضول المرأة والبلغم، بالعقاقير المسماة لهم، لا يعرفون غير ذلك ممّا بسط لأهل الهند من علاج الأرواح، والأدواء الغليظة، والرقى، والاستعانة ببعض الأرواح على بعض، قال: فالنجوم؟ قال: قلّ حظهم منه جداً، قال كسرى: فما بلغك فيما يدّعيه بعضهم من صنعة الذهب والفضة، وعن الأصباغ التي يُصبغ بها الجواهر، فينقل إلى غير طبائعه، وما حُكي لنا عن طلسماتهم؟ قال: كان ذلك من أهمّ أمورهم عندي أن أظفر به، فلم أجد لشيء من ذلك حقيقة، فأما الطلسمات فإنها أمور قديمة، كان على الأرض من قوى بشيء لشيء قد ألف من الكلام والرقى والعقد على تماثيل قد رأيتها بها، ممّا تقادم عمله في الأزمنة الماضية قبل مخرج عيسى

(عليه السلام)، فأما اليوم فقد ذهب من بدّعيها وبطل من يعملها.

وفي الخبر^(١): أن الروم لما أخرجت بيت المقدس كتب الله عليهم السبي في كل يوم، فليس يمرّ يوم من أيام الدهر إلا وأمة من الأمم المطيفة بالروم يسبون من الروم سبايا.

ويخرج الروم من أنطاكية إلى قسطنطينية، ثم يدور آخذاً من ناحية الدبور، حتى يخرج خلف الباب والأبواب من ناحية الخزّر، حتى يبلغ قَيْرَوَانَ أفريقية وأطرابلس أفريقية، حتى يبلغ الأندلس إلى السوس الأقصى إلى جزائر السعادة. وأرض الروم غربية دبورية، وهي من أنطاكية إلى صقلية، ومن قسطنطينية إلى ثولية، الغالب عليها روسي وصقلبي وأندلسي، والصقالبة صنفان: سُغُر وأُدَم، وهو ممّا يلي البحر، ومنهم بيض فيهم جمال، وهم في البرّ، ومدينة الملك، قُسْطَنْطِينِيَّة، وأنطاكية على ساحل البحر، وفيها مجمع البطارقة، ومن طَرَسُوس إلى خليج قسطنطينية مائة ميل، فيه مسجد مَسْلَمَةَ بن عبد الملك حيث حصر قسطنطينية، ويمرّ خليج قسطنطينية حتى يصبّ إلى بحر الشام، وعرض الخليج بأبدُس قدر غلوة، وإذا صار إلى بحر الشام فعرضه عند مصبه أيضاً قدر غلوة، وهناك صخرة عظيمة عليها برج فيه سلسلة تمنع سفن المسلمين من دخول الخليج وعمورية دون الخليج، وبينها وبين قسطنطينية ستون ميلاً، وذكر أن بطارقة الروم الذين هم مع الملك اثنا عشر بطريقاً بقسطنطينية، وأن خيلها أربعة آلاف، ورجالها أربعة آلاف.

وروي عن كعب قال: شمتت قسطنطينية بخراب بيت المقدس فتعرّزت وتجرّبت فدُعيت المُسْتَكْبِرَة، وقالت: إن كان عرشُ ربّي جلّ جلاله على الماء، فقد بُنيتُ على الماء، فوعدها الله العذاب قبل يوم القيامة، فقال الله جلّ وعزّ لها: وعزّتي وجلالي لأنزعنّ حليكَ وحريرك وخمرك وخميرك، ولأتركّنك لا يصيح فيك ديك، ولا أجعل لك عامراً إلاّ الثعالب وبنات آوى، ولأنزلنّ عليك ثلاث

(١) هذا الخبر لدى ابن خرداذبه ص ١١٧.

نيران: ناراً من زفت، وناراً من كبريت، وناراً من نפט، ولأتركك جلعاء قرعاء لا يحول بينك وبين السماء شيء، وليبلغن صوتك عنان السماء، فإنه طال ما أشرك بي فيك، وعُبد فيك غيري، وليفتعن فيك جوارِي ما كدن أن ترى الشمس من حسنهن، ولأسمعن خريير البحر صوتك، فلا يعجز من بلغ منكم ذلك أن يمشي إلى بيت بلاطة ملكهم، فإنكم ستجدون فيه كتر اثني عشر ملكاً من ملوكهم، كلهم يزيد فيه ولا ينقص منه، فتقسمون ذلك كيلاً بالأتربة قطعاً بالفؤوس فتحملون ما استطعتم من كنوزها فتقسمونه بالغدقونية، فيأتيكم آت من قبل الشام أن الدجال قد خرج، فترفضون ما في أيديكم، فإذا بلغت الشام وجدتم الأمر باطلاً، وإنما هي نفحة كذوب.

قال خالد بن معدان: ليس في الجنة كلب إلا كلب أصحاب الكهف، وحمار بلعم، واسم كلب أصحاب الكهف دين؛ وقال غيره: بل اسمه حُمران، واسم الكهف جيرم، وأصحاب الرقيم بقسطنطينية في جبل هناك في شعب وهم ثلاثة عشر رجلاً.

مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية
 وخراج الروم مساحة كل مائتي مدى ثلاثة دنانير في كل سنة، ويأخذ عشر الغلات فيصير في الأهرار للجيش، ويأخذ من اليهود والمجوس من كل رجل ديناراً في السنة، ويؤخذ له في كل بيت يوقد فيه كل سنة درهم، وديوانه مقسوم على مائة ألف وعشرين ألف رجل، على كل عشرة آلاف رجل بطريق، وأجل البطارقة خليفة الملك ووزيره، ثم اللغيط صاحب ديوان الخراج، ثم اللغيط صاحب عرض الكتب، ثم الحاجب وصاحب ديوان البريد، ثم القاضي، ثم صاحب الحرس، ثم المرقب^(١).

والروم أصحاب بقر وخيل وشاء، ولهم البزبون العجيب، والديباج الرومي، ولهم من العطر الميعة والمصطكى والجواري الروميات، والخدم وينبت في قعر

(١) المعلومات عن خراج الروم أعلاه موجودة لدى ابن خرداذبة ص ١١١. كما أن بعض المعلومات التي سبقت عن بلاد الروم موجودة لدى ابن خرداذبة.

بحرهم البُؤس، وبها القبة التي من الرصاص وهي في بعض مفاوزها، وذكر بعضهم أنه دخلها وعابن ما فيها، ووجد على لوح بها مكتوب عليه: يا بن آدم خف الموت، وبادر الفوت، واستكثر من ادخار صالح الأعمال، واعلم أن ذكر الموت يهون على اللسان، وأن الموت على الفراش أشد من ألف ضربة بالسيف؛ يا بن آدم داو الموت بالطاعة، واعلم أن ملك الموت رؤوف بأهل الطاعة. يا بن آدم إن كنت تحب نفسك فصنّها عن المعاصي، واحملها على التعب الذي يُعقبك الراحة، وأعدّ للسفر البعيد زاداً، فإن من رحل بلا زاد عطب. يا بن آدم ما أقسى قلبك تعمر داراً تحرب، وتُحرب داراً تبقى، يا بن آدم خذ لنفسك من نفسك، واعرف المذاهب بالأسباب، فإن سبب العقل المداراة، وسبب المزيد الشكر، وسبب زوال النعمة البطر، وسبب العروّة الإنفة، وسبب الأدب المواظبة، وسبب البغضاء الحسد، وسبب المحبة الهدية، وسبب الأخوة البشاشة، وسبب القطيعة المعاتبة، وسبب الفقر إسراف العال، وسبب العداوة الجراء، وسبب المحبة السخاء، وسبب قضاء الحوائج الرفق، وسبب الخذلة مسألة الناس، وسبب الحرمان الكسل، وسبب الريبة مصاحبة الريب، وسبب الثبل العقاف، وسبب ثبات العقل المرأة الصالحة، وسبب الغناء قلة الفساد، وسبب الغضب الصلف، والخير كله يجمعه العقل، ومن لا عقل له ولا حياة فلا خير في صحبته قال: وإذا خوان موضوع هناك من ملح قدر ما يأكل عليه ألف رجل مكتوب عليه: يا بن آدم قد أكل على هذا الخوان مائة ملك، كلهم مصاب بعينه اليسرى، فكم كان الأصحاء؟ يا بن آدم قد قضم في هذه القبة مائتا ألف ملك، وقد رام حمل هذا الخوان واللوح ألف ملك فماتوا كلهم. قال: فدعاني قيصر فسألني عنه ففسرته له فبكى ثم قال: لله درُّ العرب ما أعظم أحلامها، وأكرم فروعها، ثم وصلني وأحسن جائرتي، ووجه معي من أخرجني من بلاده.

قال أبو المؤنذر: سميت الروم بني الأصفر لأنه لما مات ملكهم لم يبق منهم من يصلح للملك إلا امرأة، فأجمعوا أن يملكوا عليهم أول طالع من الفج فطلع

حَبَشِيٌّ قَدْ أَبَقَ مِنْ مَوْلَاهُ، فَأَخَذُوهُ فَرَوَّجُوهُ الْمَلِكَةُ فَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا فَسُمِّيَ الْأَصْفَرُ لِأَنَّهُ مِنْ أَسْوَدٍ وَأَبْيَضُ.

وَمِنْ عَجَائِبِ الرُّومِ: رُومِيَّةُ الدَّاخِلَةِ، فَإِنَّهَا عَجِيبةُ الْبِنَاءِ، كَثِيرَةُ الْأَهْلِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ مَسِيرَةُ سَنَةٍ. وَقَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: لَوْلَا صَوْتُ أَهْلِ رُومِيَّةَ لَسَمِعَ النَّاسُ وَجِبَةَ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ وَقَالَ حَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ: يُفْتَحُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَدِينَةُ خَلْفِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ يُقَالُ لَهَا رُومِيَّةُ فِيهَا مِائَةُ أَلْفِ سَوْقٍ، فِي كُلِّ سَوْقٍ مِائَةُ أَلْفِ رَجُلٍ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: يَنْقُصُ بِرُومِيَّةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرُونَ وَمِائَةُ أَلْفِ نَافُوسٍ، لَوْلَا وَجِبَةُ أَهْلِهَا لَسَمِعَ النَّاسُ تَسْبِيحَ الْمَلَائِكَةِ وَوَقَعَ غُرُوبُ الشَّمْسِ.

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: حَلِيَّةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَهْبَطَتْ مِنَ الْجَنَّةِ فَأَصَابَتْهَا الرُّومُ فَانْطَلَقَتْ بِهَا إِلَى مَدِينَةٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهَا رُومِيَّةُ. قَالَ: وَكَانَ الرَّكَّابُ يَسِيرُ بِضَوْءِ ذَلِكَ الْحَلِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِ لَيَالٍ.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ يَهُودِيٌّ قَالَ: دَخَلْتُ رُومِيَّةَ وَإِنِّي سَوَّقُ الطَّيْرَ فِيهَا فَرَسَخٌ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فِي بَلَدِ الرُّومِ مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا رُومِيَّةُ فِيهَا سِتْمِائَةُ أَلْفِ حِمَّامٍ.

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ الدَّمَشْقِيُّ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنَ التَّجَارِ قَالَ: رَكِبْنَا الْبَحْرَ وَالْقَتْنَا السَّفِينَةَ إِلَى سَاحِلِ رُومِيَّةَ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ: إِنَّا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْنَا رَسُولًا. فَخَرَجْنَا مَعَهُ نَزِيدُهَا. فَعَلُّونَا جَبَلًا فِي الطَّرِيقِ فَإِذَا بِشَيْءٍ أَخْضَرَ كَهَيْئَةِ اللَّجِّ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ لَنَا الرَّسُولُ: لَمْ كَبَّرْتُمْ؟ قُلْنَا: هَذَا الْبَحْرُ، وَمَنْ سَبَّلْنَا أَنْ نَكْبِرَ إِذَا رَأَيْنَاهُ. فَضَحِكَ وَقَالَ: هَذِهِ سَقُوفُ رُومِيَّةَ وَهِيَ كُلُّهَا مَرَصُصَةٌ.

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ إِذَا اسْتَدَارَتْهَا أَرْبَعُونَ مِيلاً فِي كُلِّ مِيلٍ مِنْهَا بَابٌ مَفْتُوحٌ.

قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَوَّلِ بَابٍ وَإِذَا سَوْقُ الْبَيَاطِرَةِ وَمَا أَشْبَهَهُ. ثُمَّ صَعَدْنَا دَرَجًا فَإِذَا سَوْقُ الصِّيَارِفَةِ وَالْبِزَازِينَ. ثُمَّ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا فِي وَسْطِهَا بَرْجٌ عَظِيمٌ وَاسِعٌ فِي أَحَدِ جَانِبَيْهِ كَنِيسَةٌ قَدْ اسْتَقْبَلَ بِمَحْرَابِهَا الْمَغْرِبَ وَبِبَابِهَا الْمَشْرِقَ وَفِي وَسْطِ الْبَرْجِ

بركة مبلطة بالنحاس يخرج منها ماء المدينة كله . وفي وسطها عمود من حجارة عليه صورة رجل من حجارة . قال : فسألت بعض أهلها فقلت : ما هذا؟ فقال : إن الذي بنى هذه المدينة قال لأهلها لا تخافوا على مدينتكم حتى يأتيكم قوم على هذه الصفة ، فهم الذين يفتحونها .

وذكر بعض الرهبان ممن دخلها وأقام بها أن طولها ثمانية وعشرون ميلاً في ثلاثة وعشرين ميلاً ولها ثلاثة أبواب من ذهب . فمن باب الذهب الذي في شرقها إلى البابين الآخرين ثلاثة وعشرون ميلاً ، ولها ثلاثة جوانب في البحر ، والرابع في البر . والباب الأول الشرقي والآخر الغربي والآخر اليمنى . ولها سبعة أبواب سوى هذه الثلاثة الأبواب من نحاس مذهب . ولها حائطان من حجارة رخام ، وفضاء طوله مائتا ذراع بين الحائطين .

وعرض السور الخارج ثمانية عشر ذراعاً وارتفاعه اثنان وستون ذراعاً . وبين السورين نهر ماء عذب يدور في جميع المدينة ويدخل دورهم مطبق برفوف النحاس ، كل دفعة منها ستة وأربعون ذراعاً . وعدد الرفوف مائتان وأربعون ألف دفعة . وهذا كله من نحاس .

وعמוד النهر ثلاثة وتسعون ذراعاً في عرض ثلاثة وأربعين ذراعاً . فكلما هم بهم عدو وأتاهم ، رُفعت تلك الرفوف فيصير بين السورين بحر لا يُرام .

وفيما بين أبواب الذهب إلى باب الملك اثنا عشر ميلاً وسوق ماؤ من شرقها إلى غربها بأساطين النحاس ، مسقف بالنحاس وفوقه سوق آخر ، وفي الجميع التجار .

وبين يدي هذا السوق سوق آخر على أعمدة نحاس ، كل عمود منها ثلاثون ذراعاً . وبين هذه الأعمدة نقيرة من نحاس في طول السوق من أوله إلى آخره فيه لسان تجري من البحر ، فتجىء السفينة في هذا النقيير وفيها الأمتعة حتى تجتاز في السوق بين يدي التجار فتقف على تاجر تاجر فيبتاع منها ما يريد ثم ترجع إلى البحر .

وفي داخل المدينة كنيسة مبنية على اسم مار فطرس ومار فولس الحواريين وهما مدفونان فيها. وطول هذه الكنيسة ألف ذراع في خمسمائة ذراع في سمك مائتي ذراع. وفيها ثلاث باسليقات بقناطر نحاس.

وفيها أيضاً كنيسة بنيت باسم اصطفانوس رأس الشهداء طولها ستمائة ذراع في عرض ثلاثمائة ذراع في سمك مائة وخمسين ذراعاً. وثلاث باسليقات بقناطرها وأركانها. وسقوف هذه الكنيسة وحيطانها وأرضها وأبوابها وكواؤها كلها وجميع ما فيها حجر واحد.

وفي المدينة كنائس منها أربع وعشرون كنيسة للخاصة وفيها كنائس لا تحصى للعامة.

وفي المدينة عشرة آلاف دير للرجال والنساء وحول سورها ثلاثون ألف عمود للربان.

وفيها اثنا عشر ألف زقاق يجري في كل زقاق منها نهران، واحد للشرب والآخر للحشوش.

وفيها اثنا عشر ألف سوق، في كل سوق قناة ماء عذب.

وأسواقها كلها مفروشة بالرخام الأبيض منصوبة على أعمدة النحاس مطبقة برفوف النحاس وفيها عشرون ألف سوق بعض هذه الأسواق صغار.

وفيها ستمائة ألف وستون ألف حمام.

وليس يباع في هذه المدينة ولا يشتري من ست ساعات من يوم السبت حتى تغرب الشمس من يوم الأحد.

وفيها مجامع لمن يلتبس صنوف العلم من الطب والنجوم وغير ذلك، يقال إنها مائة وعشرون موضعاً.

وفيها كنيسة الأمم إلى جانبها قصر الملك وتسمى هذه الكنيسة صهيون، بصهيون بيت المقدس، طولها فرسخ في فرسخ وفي سمك مائتي ذراع ومساحة

هيكلا ستة أجرة، والمذبح الذي يقدس عليه القربان من زبرجد أخضر طوله عشرون ذراعاً في عرض عشرة أذرع يحمله عشرون تمثالاً من ذهب طول كل تمثال ثلاثة أذرع، أعينها يواقيت حمر، وإذا قُرب على هذا المذبح قربان في الأعياد لا يُطفا إلا يصاب.

وفي رومية من الثياب الفاخرة ما يليق به. وفي الكنيسة ألف ومائتا أسطوانة من المرمر الملمع ومثلها من النحاس المذهب، طول كل أسطوانة خمسون ذراعاً. وفي الهيكل ألف وأربعمائة وأربعون أسطوانة، كل أسطوانة ستون ذراعاً لكل أسطوانة رجل معروف من الأساقفة. وفي الكنيسة ألف ومائتا باب كبار من النحاس الأصفر المفرغ وأربعون باباً كباراً من ذهب سوى أبواب الابنوس والعاج وغير ذلك. وفيها ألف باسليق طول كل باسليق أربعمائة وثمانية وعشرون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً، لكل باسليق أربعمائة وثمانية وعشرون ذراعاً، لكل باسليق أربعمائة وأربعون عموداً من رخام مختلف ألوانه طول كل واحد ستة وثلاثون ذراعاً.

وفيها أربعمائة قنطرة يحمل كل قنطرة عشرون عموداً من رخام.

وفيها مائة وثلاثون ألف سلسلة ذهب معلق في السقف بيكر ذهب تعلق فيها القناديل سوى القناديل التي تسرج يوم الأحد. وهذه القناديل تسرج يوم أعيادهم وبعض مواسمهم. وفيها الأساقفة ستمائة وثمانية عشر أسقفاً. ومن الكهنة والشمامسة ممن يجري عليهم الرزق من الكنيسة دون غيرهم خمسون ألف، كلما مات واحد أقاموا مكانه آخر.

وفي المدينة كنيسة الملك وفيها خزائنه التي فيها أواني الذهب والفضة مما قد جعل للمذبح، وفيها عشرة آلاف جرة ذهب يقال لها الميزان، وعشرة آلاف خوان ذهب وعشرة آلاف كأس وعشرة آلاف مروحة ذهب. ومن المنائر التي تدار حول المذبح سبعمائة منارة كلها ذهب، وفيها من الصلبان التي تخرج يوم الشعانين ثلاثون ألف صليب ذهب، ومن صلبان الحديد والنحاس المنقوشة المموهة بالذهب ما لا يحصى، ومن المقطوريات عشرون ألف مقطورية وفيها ألف مقطرة

من ذهب يمشون بها أمام القرايين . ومن المصاحف الذهب والفضة عشرة آلاف مصحف . وللبينة وحدها سبعة آلاف حمام سوى غير ذلك من المستغلات .

ومجلس الملك المعروف بالبلاط يكون مساحته مائة جريب وخمسين جريباً ، والإيوان الذي فيه مائة ذراع في خمسين ذراعاً ملبس كله ذهباً . وقد مثل في هذه الكنيسة مثال كل نبي منذ آدم عليه السلام إلى عيسى ابن مريم عليه السلام ، لا يشك الناظر إليهم أنهم أحياء . وفيها ثلاثة آلاف باب نحاس مموة بالذهب ، وحول مجلس الملك مائة عمود مموة بالذهب على كل واحد منها صنم من نحاس مفرغ ، في يد كل صنم جرس مكتوب عليه ذكر أمة من الأمم وجميعها طلسمات ، فإذا هم بغزوها ملك من الملوك تحرك ذلك الصنم وحرك الجرس الذي في يده فيعلمون أن ملك تلك الأمة يريدهم فيأخذون حذرهم .

وحول الكنيسة حائطان من حجارة طولهما فرسخ وارتفاع كل واحد منهما مائة ذراع وعشرون ذراعاً . لهما أربعة أبواب . وبين يدي الكنيسة صحن يكون خمسة أميال في مثلها في وسطه عمود من نحاس ارتفاعه خمسون ذراعاً . وهذا كله قطعة واحدة مفرغة وفوقه تمثال طائر يقال له السوداني^(١) ، من ذهب على صدره نقش طلسم وفي منقاره مثال زيتونه وفي كل عشرين واحدة من رجله مثال ذلك . فإذا كان أوان الزيتون لم يبق طائر في الأرض إلا وأتى وفي منقاره زيتونه وفي كل واحدة من رجله زيتونة حتى يطرح ذلك على رأس الطلسم . فزيت أهل رومية وزيتونهم من ذلك . وهذا الطلسم عمله لهم بليناس صاحب الطلسمات . وهذا الصحن عليه أمناء وحفظة من قبل الملك ، وأبوابه مختومة ، فإذا امتلأ وذهب أصل الزيتون اجتمع الأمناء فعصروه فيعطى الملك والبطارقة ومن يجري مجراهم قسطهم من الزيت ويجعل الباقي للقناديل التي للبيع . وهذه القصة - أعني قصة السوداني - مشهورة قلما رأيت كتاباً تذكر فيه عجائب البلاد إلا وقد ذكرت فيه .

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : من عجائب الدنيا شجرة

(١) السودانية والسودانة: طائر من الطير الذي يأكل العنب والجراد (لسان العرب، سَوْدَ).

برومية من نحاس عليها صورةُ سودانية في منقارها زيتونة، فإذا كان أوان الزيتون صفرت فوق الشجرة فيوافي كل طائر في الأرض من جنسها بثلاث زيتونات في منقاره ورجليه حتى يُلقِي ذلك على تلك الشجرة فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لقناديل بيعتهم وأكلهم لجميع الحول.

وفي بعض كنائسهم نهر يدخل من خارج المدينة، في هذا النهر من الضفادع والسلاحف والسراطين أمرٌ عظيم. فعلى الموضع الذي تدخل منه الكنيسة صورة صنم من حجارة وفي يده حديدة معقفة كأنه يريد أن يتناول بها شيئاً من الماء. فإذا انتهت إليه هذه الدواب المؤذية رجعت مصاعدة، ولم يدخل الكنيسة منها شيء البتة.



مركز تحقيقات كوكب بربر عام ١٩٨٠

القول في العراق

قال أبو عُبيدة: سمي العراق عِراقاً لأنه سفل على نَجْد، ودنا من البحر، كعراق القِرْبَةِ وهو الخَرْز المَشْنِي الذي في أسفلها وهو الذي يضعه السَّقَاءُ في صدره وقال الأصمعي: ما دون الرمل عراق وقال المدائني: عمل العراق من هَيْت إلى الصين والسند والهند، ثم كذلك الرِّيِّ وخراسان والديلم وجيلان والجبال، وإصْبَهان سُرة العراق، ومن ولي العراق فقد ولي البصرة والكوفة والأهواز وفارس وكرمان والهند والسند وسجستان وطبرستان وجرجان. والعراق في الطول من عانة إلى البصرة، والبصرة تتاخم الأهواز، والأهواز تتاخم فارس، وفارس تتاخم كرمان، وكرمان تتاخم كابل، وكابل تتاخم زَرْج، وزَرْج تتاخم الهند.

وقال بعض أهل النظر: أهل العراق هم أهل عقول صحيحة، وشهوات محمودة، وشماثل موزونة، وبراعة في كل صناعة، مع اعتدال الأعضاء، واستواء الأخلاط، وسمرة الألوان، وهي أعدلها وأقصدها، وهم الذين أنضجتهم الأرحام، فلم تُخرجهم بين أشقر وأصهب وأمهق ومُغْرَب، وكالذي يعتري أرحام نساء الصقالبة وما ضارعهما وصاقبها، وهم الذين لم تتجاوز أرحام نسايتهم في التضج إلى الإحراق، فيخرج الولد بين أسود وحالك وممتن الريح ذفر ومفلقل الشعر مختلف الأعضاء ناقص العقل فاسد الشهوة كالزنج والحبشان ومن أشبهها من السودان، فهم بين فطير لم يختمر ونضيج قد احترق.

وقالوا: مناكحة الغرائب أنجب، ومناكحة القرائب أضوئ.

وقالوا: اغْتَرِبُوا ولا تُضَوُّوا. وقالوا: فارس أعقل والروم أعلم وللروم صناعات.

القول في الكوفة

قال قطرب: سميت الكوفة من قولهم: تكوف الرمل أي ركب بعضه بعضاً.
والكوفان: الاستدارة. وقال أبو حاتم السجستاني: الكوفة رملة مستديرة، يقال
كانهم في كوفان.

وقال المغيرة بن شعبة: أخبرنا الفرس الذين كانوا بالحيرة قالوا: رأينا قبل
الإسلام في موضع الكوفة فيما بين الحيرة إلى النخيلة ناراً تأجج. فإذا أتينا
موضعها لم نر شيئاً. فكتب في ذلك صاحب الحيرة إلى كسرى فكتب إليه أن أبعث
إلي من تربتها. قال: فأخذنا من حوالها ووسطها وبعثنا به إليه، فأراه علماءه
وكهنته فقالوا: يبني في هذا الموضع قرية يكون على يدي أهلها هلاك الفرس.
قال: فرأينا - والله - الكوفة في ذلك الموضع.

قالوا: وأول من اختط مسجد الكوفة سعد بن أبي وقاص.

وقال غيره: اختط الكوفة السائب بن الأقرع وأبو الهيثاج الأسدي.

وكانت العرب تقول: أوقع البرّ لسانه في الريف. فما كان يلي الفرات فهو
المِلطاط، وما كان يلي الطين فهو الخيف.

ويروى عن أمير المؤمنين أنه قال: الكوفة كنز الإيمان وجمجمة الإسلام
وسيف الله ورمحه، يضعه حيث يشاء. والذي نفسي بيده لينصرون الله جلّ وعزّ
بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز.

وكان (عليه السلام) يقول: حبذا الكوفة، أرض سهلة معروفة، تعرفها
جمالنا المعلوفة.

ويقال: موضع الكوفة اليوم كانت سورستان.

وكان سلمان يقول: الكوفة أهل الله، وهي قبة الإسلام، يحنّ إليه كل مسلم.

سوقال أمير المؤمنين: ليأتين على الكوفة زمان وما من مؤمن ولا مؤمنة إلا بها أو قلبه يحنّ إليها.

وقال ابن الكلبي: وفد الحجاج على عبد الملك بن مروان ومعه أشراف العراق، فلما دخلوا عليه تذكروا أمر الكوفة والبصرة. فقال محمد بن عُمير العطاردي: إن أرض الكوفة أرض سفلت عن الشام وعملها ووباءها، وارتفعت عن البصرة وحرّها وعمقها، وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها، وهي مريثة مريّة.

فقال عبد الله بن الأَتم السَّعْدِيّ: نحن والله يا أمير المؤمنين أوسع منهم تُربة، وأكثر منهم دُرّة، وأعظم منهم برّة، وأغدّ منهم في السريّة، وأكثر منهم قنّداً ونقّداً، يأتينا ما يأتينا، عَفْواً صَفْواً، ولا يخرج من عندنا إلا سائق أو قائد أو ناعق.

فقال الحجاج: إن لي بالبلدّين خُبْراً يا أمير المؤمنين.

قال: هات فأنت غير متهم فيهم.

قال: أما البصرة فعجوز شمطاء بخراء ذفراء، أوتيت من كل حلّي وزينة، وأما الكوفة فبكر عاطل لا حلّي لها ولا زينة.

فقال عبد الملك: ما أراك إلا وقد فضّلت الكوفة.

وكان عمر بن الخطّاب يكتب: إلى سيّد الأمصار وجمجمة العرب يعني الكوفة.

وكان عبد الله بن عمر يقول: يا أهل الكوفة أنتم أسعد الناس بالمهديّ.

وقال أمير المؤمنين للكوفة: ويحك يا كوفة وأختك البصرة كأنني بكما تُمَدّان مدّ الأديم، وتُعْرَكان عرك العكاظي، إلا أنني أعلم فيما أعلمني الله عزّ وجلّ أنه ما

أراد بكما جباراً سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل.

وكان محمد بن عُمير بن عطار^(١) يقول: الكوفة سفلت عن الشام ووبائها، وارتفعت عن البصرة وعمقها، فهي مريئة مريعة بريئة بحرية، إذا أتننا الشمال هبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد، وورده، وياسمينه وخيريه وأترجه، ماؤنا عذب، ومختسنا خصب.

وكتب إليهم عمر بن الخطاب: أني اخترتكم فأحببت النزول بين أظهركم، لما أعرف من حكم الله ولرسوله، وقد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود مؤذناً ووزيراً، وهما من النجباء من أهل بدر، فخذوا عنهما واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي.

وكان زياد يقول: الكوفة جارية حسناء، تصنع لزوجها فكلما رآها يسر بها. قالوا: ولنا فتوح وأيام، فمن فتوحنا: الحيرة، وبانقيا، والفلولجيتين، ونسترا، وبغداد، وعين الثمر، ودومة، والأنبار، وما فتحوا مع خالد بن الوليد في سيرهم إلى الشام: المصبيح، وخضيد، وبشر، وقراقير، وسوي، وأراك، وتذمر، ثم شاركوا أهل الشام في بصرى ودمشق، هذا كله في خلافة أبي بكر، ثم كان من آثارهم في خلافة عمر: يوم جسر أبي عبيد، ويوم مهران، ويوم القادسية، ويوم المدائن وجلولاء وحلوان، هذا كله قبل أن ينزلوا الكوفة، ثم نزلوها ففتحوا الموصل، وأذربيجان، وتستر، وماسبدان، ورامهرمز، وجرجان، والدينور، ولهم مع أهل البصرة نهاوند، ولهم بعض الري، وبعض إصبهان، ولهم طميس ونامية من طبرستان؛ ونزل الكوفة من الخلفاء والأئمة علي والحسن (عليه السلام)، ومن الملوك والخلفاء معاوية، وعبد الملك، وأبو العباس، وأبو جعفر المنصور،

(١) سمع ابن الفقيه قبل قليل بالعطارد، وهو محمد بن عمير بن عطار، أبو عمير التميمي: كان سيد أهل الكوفة وأجود مضر وصاحب ربع تميم. كما كان أحد أمراء الإمام علي (ع) بصفين.

وقيل فيه:

علمت معاد القبائل كلها أن الجواد محمد بن عطار

انظر: تاريخ الذهبي ٦: ١٩٤ والإصابة ٣: ٥١٦. وفهرست تاريخ الطبري ١٠: ٤٠٤.

والمهدي، وهارون الرشيد؛ وكان بها عمال العراق والدعوة لهم في العطاء قبل أهل البصرة عذة أهل الكوفة ثمانون ألفاً، ومقاتلتهم أربعون ألفاً، وكان زياد يقول: أهل الكوفة أكثر طعاماً، وأهل البصرة أكثر دراهم.

وقال الأحنف بن قيس: نزل أهل الكوفة في منازل كسرى بن هرمز بين الجنان الملتفة والمياه الغزيرة والأنهار المطردة، تأتيهم ثمارهم غضة لم تُخضد ولم تُفسد، ونزلنا أرضاً هشاشة في طرف فلاة، وطرف ملح أجاج في سبخة نشاشة، لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، يأتينا ما يأتينا في مثل مري النعامة.

قال: ولما ظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) على أهل البصرة قال أعشى همدان:

إكسع البصري إن لا قيته إنما يكسع من قل وذل
واجعل الكوفي في الخيل ولا تجعل البصري إلا في الثقل
وإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمال
بين شيخ خاضب عشوقه وقضى أبيض وضاح رقل
جاءنا يخطر في سابعة فذبخناه ضحى ذبح الحمل
وعفونا فسيتم عفونا وكفرتم نعمة الله الأجل

وقال فطر بن خليفة: نازعني قتادة في الكوفة والبصرة فقلت: دخل الكوفة سبعون بذريراً، ودخل البصرة عتبة بن غزوان فسكت.

وقال أمير المؤمنين: قبة الإسلام الكوفة، والهجرة بالمدينة، والأبدال بالشام، والنجباء بمصر وهم قليل.

وقالوا: من نزل الكوفة فلم يقر لهم بفضل ثلاث، فليست له بدار: بفضل ماء الفرات، ورطب المشان، وفضل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ومن نزل البصرة. فلم يقر لهم بثلاث فليست له بدار: بفضل عثمان، وفضل الحسن البصري ورطب الأزاد.

قالوا: ومن أسخياء الكوفة: هلال بن عتاب، وأسماء بن خارجة، وعكرمة بن ربعي الفياض؛ ومن فتيانها: خالد بن عتاب، وأبو سفيان بن عروة بن المغيرة بن شعبة، وعمرو بن محمد بن حمزة.

وقال سعيد بن مسعود المازني لسليمان بن عبد الملك: منا أحلم الناس: الأحنف، وأحملهم بحمالة: إياس بن قتادة، وأسخاهم: طلحة بن عبد الله بن خَلَف، وأشجعهم عباد بن حصين والحريش^(١)، وأعبدهم: عامر بن عبد قيس. فقال نُظَار الكوفة: منا أشجع الناس الأشر^(٢)، وأسخاهم: خالد بن عتاب، وأحملهم: عكرمة الفياض، وأعبدهم: عمرو بن عتبة بن فرقد.

وقالوا جميعاً: إذا كان علم الرجل حجازياً وطاعته شامياً وسخاؤه كوفياً فقد كمل.

افتخار الكوفيين والبصريين

قال: اجتمع عند أبي العباس أمير المؤمنين عتبة من بني علي، وعدة من بني العباس، وفيهم بصريون وكوفيون منهم: أبو بكر الهذلي وكان بصرياً، وابن عيَّاش وكان كوفياً^(٣)، فقال أبو العباس: تناظروا حتى نعرف لمن الفضل منكم. قال بعض بني علي: إن أهل البصرة قاتلوا علياً يوم الجمل، وشقوا عصا المسلمين.

قال أبو العباس: ما تقول يا أبا بكر؟

قال: معاذ الله أن يجهل أهل البصرة، إنما كانت شرذمة منها شذت عن سبيل

(١) الحريش بن هلال أبو قدامة السعدي الشاعر.

(٢) مالك بن الحارث الأشر النخعي.

(٣) أبو بكر الهذلي البصري الأخباري واسمه سلمى. أحد الضعفاء توفي عام ١٦٨ هـ (العبر ١).

(١٩٤) وكان ينادم السفاح (مروج ٣: ٢٦٥).

أما ابن عيَّاش فهو المعروف بالمتوف من رجال البلاط العباسي (السفاح والمنصور). انظر عنه مروج الذهب ٣: ٢٨٧ توفي بعد عام ١٥٨ هـ إذ أنه حضر وفاة المنصور.

المنهج، واستحوذ عليها الشيطان، وفي كل قوم صالح وطالح فأما أهل البصرة فهم أكثر أموالاً وأولاداً، وأطوع للسلطان، وأعرف برسوم الإسلام.

قال ابن عيَّاش: نحن أعلم بالفتوح منكم، نحن نفينا كسرى عن البلاد وأبرنا جنوده وأبحنا ملكه وفتحنا الأقاليم؛ وإنما البصرة من العراق بمنزلة المثانة من الجسد، ينتهي إليها الماء بعد تغييره وفساده، مضغوطة قبل ظهورها بأخشن أحجار الحجاز وأقلها خيراً، مضغوطة من فوقها ببطيحتها، وإن كانوا يستعذبون ماءهم، ولولا ذلك ما انتفعوا بالعيش، ومضغوطة بالبحر الأخضر من أسفلها ونحن قللناهم على وجه المغزاء، وبعثنا إليهم من جندنا ما كان منه قوامهم؛ وإنما أهل البصرة بمنزلة الرسل لنا، ومحل الكوفة محلُّ اللهوات واللسان من الجسد، وموضعها على صدور الأرضين ينتهي إليها الماء بيزده وعدوته، ويتفرق في بلادنا ويجوز بالعذبة الزكية الفرات ودجلة، والبصرة من العراق بمنزلة المثانة من الجسد.

قال أبو بكر: أنتم مع ما وصفت أكثر أنبياء وما لنا إلا نبي واحد وهو محمد صلى الله عليه وعامة أنبيائكم الحاكمة.

فضحك أبو العباس حتى كاد يسقط عن السرير ثم قال: لله درك يا أبا بكر.

فقال أبو بكر: وما رأيت الأنبياء مصلوبين إلا ببلاد الكوفة.

فقال ابن عيَّاش: عيّرت أهل الكوفة بثلاثة مجانين من السفلة ادَّعوا النبوة بالجنون، فصلبهم الله بالكوفة، فمن يعير به أهل البصرة من المدَّعين للعقول والشرف والروايات للحديث كثيراً، كلهم يزعم أنه يهدي نفسه ويضلُّها، والمتنبئ بالجنون أيسر خطباً من ادَّعاء الصحيح هدى نفسه وضلالها، فلقد ادَّعوا الربوبية في قول بعضهم.

فقال أبو العباس: هذه بتلك أو أشدُّ يا أبا بكر، فاعترض عليهم بعض العلوية وهو الحسن بن زيد فقال: يا أبا بكر ما قاتلتم علياً يوم الجمل؟ فقال: بلى، قاتله شرذمة، وكفَّ الله عزَّ وجلَّ أيدينا وسلاحنا عن قتله نظراً منه لنا، ثم

رجع إلى الكوفة فقتلوه وولده وولد ولده وبني عمه . وأخرجوا الحسن بن علي بعد بيعتهم له حتى هرب منهم .

فقال ابن عيَّاش : بل قَصَّرَ الله أيديكم بطول أيدي الكوفة وبنصرتهم عليكم ، وكيف تعيرنا بباطل رجل واحد منا يبلغ بباطله ما عجز عنه عامتكم ، ولقد حدثني أشياخ من النَّخَع أن أهل الكوفة كانوا يوم الجمل تسعة آلاف رجل مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان عليه ثلاثون ألفاً مع طلحة والزبير وعائشة ، فلما التقوا لم يكن أهل البصرة إلا كرماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف .

فقال أبو بكر : ومتى كان أهل البصرة ثلاثين ألفاً يقاتلون أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد اعتزلهم الأحنف بن قيس في سعد والرباب ، وقد دخلنا بعد ذلك الكوفة ، فذبحنا بها ستة آلاف رجل من أصحاب نبيهم المختار ، كما يذبح الحملان ، سوى من هرب بعد أن جاء أسماء بن خارجة الفزاربي ومحمد بن الأشعث الكندي وشبث بن ربعي التميمي ، واستعانوا بأهل البصرة وشكوا إليهم المختار وأصحابه ، وما قتل من رجالهم واستباح من حريمهم ، فخرجنا مع مُضْعَب بن الزبير حتى قتلنا نبيهم المختار ، ومن قدرنا عليه من أصحابه وأعتقناهم من الرق ، فلنا الفضل على أهل الكوفة ، ولنا المنة عليهم وعلى أعقابهم لو كانوا يشكرون .

قال ابن عيَّاش : أناكم أهل الكوفة يوم الجمل مع علي فقتلوكم ، فأرى أهل الكوفة غاليين ومغلوبيين على الحق ، وأرى أهل البصرة غاليين ومغلوبيين على الباطل .

فقال أبو العباس : يا أبا بكر دونك فإني أرى ابن عيَّاش مفوهاً جدلاً .

قال أبو بكر : ما لهم بنا طاقة .

قال ابن عيَّاش : لسنا في حرب فيرى مغالبنا ، وإنما نحن في كلام ، فأحسن الكلام أوضحه حجة .

فقال الحسن بن زيد: يا أبا بكر لا تغالب أهل الكوفة ولا تفاخرهم، فإنهم أكثر فقهاء وأشرافاً منكم.

فقال أبو بكر: معاذ الله أني يكون هذا وما كان فيهم شريف إلا وفينا أشرف منه، وما كان في تميم الكوفة مثل الأحنف في تميم البصرة، ولا في عبد القيس الكوفة مثل الحَكَم بن الجارود في عبد القيس البصرة، ولا كان في بكر الكوفة مثل مالك بن مسمع في بكر البصرة، ولا كان في قيس الكوفة مثل قُتَيْبَة بن مسلم في قيس البصرة.

قال ابن عيَّاش: زدنا يا أبا بكر إن وجدت مزيداً، فعندنا أضعاف ما ذكرت ومن أنت ذاكره إن شاء الله.

قال أبو بكر: كفى بهذا فخراً وعزاً وشرفاً.

فقال ابن عيَّاش: قطع بك يا أبا بكر، إنما أهل البصرة مثل نظام البعر المستوي واسطته درة فهي فيهم مشهورة، وأهل الكوفة مثل نظيم الدر فواسطته منه لها أشباه كثيرة، ذكرت الأحنف في تميم البصرة وفي تميم الكوفة محمد بن عُمَيْر بن عَطَّارْد بن حَاجِب بن زُرَّارَة بن عَدَس رَهْن قوسه عن جميع العرب، والنعمان ابن مقرن صاحب النبي (ﷺ)، المقدم على جميع جيوش المسلمين أيام عمر بن الخطاب، وحسان بن المنذر بن ضَرَّار من بيت ضَبَّة، وسيدها عتاب بن ورقاء جواد العرب، وشبث بن ربعي التميمي قائد أهل البصرة وسائقهم مع مصعب بن الزبير، وعكرمة بن ربعي التميمي الذي قيل فيه:

وعِكرمة الفَيَّاض رَبُّ الفضائل

فهؤلاء سادة تميم الكوفة، والعجب لفخرك بمالك بن مسمع في بكر بن وائل على مصقلة بن هبيرة، وقد أقر بين يدي علي بن أبي طالب بشرفه وفضله، ومنهم خالد بن معمر وشقيق بن ثور السدوسي وسويد بن منجوف وحريث بن جابر والحُصَيْن بن المنذر ومخدوج المخزومي ويزيد بن رُوَيْم الشيباني والقَعْقَاع بن شُور الذهلي، وأما فخرك بقتيبة بن مسلم فما أنت وذاك، إنما هو

رجل من باهلة صَنَعَهُ الْحَجَّاجُ، والشرف من قيس في عامر بن صَغَصَةَ في بني
لَبِيد بن ربيعة الشاعر جاهلياً وإسلامياً، وإنما فخرتُ بواحد من مائة، أَلَا أَنِّي أَجْمِلُ
لَكَ: أَمِيرُنَا عَلِيٌّ بن أَبِي طَالِبٍ ومؤذُننا عبد الله بن مسعود وقاضينا شُرَيْح، فهات
في أهل البصرة واحداً من هؤلاء الثلاثة.

قال أبو بكر: أَمِيرُنَا عبد الله بن عباس.

قال ابن عِيَّاش: نحن بطانة عبد الله وظهارته وأنصاره وجنده عليكم، ونحن
أَحَقُّ به منكم.

فقال أبو بكر: فَإِنْ كَانَ مؤذَنُكُمْ عبد الله بن مسعود فَمَنْ أُنْسُ بن مالك خادم
النبي (ﷺ).

فقال ابن عِيَّاش: وَأَيْنَ أُنْسُ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فَتَقِيْسُهُ بِهِ، وَلَقَدْ نَزَلَ الْكَوْفَةُ
سَوًى مِنْ سَمَيْتُ لَكَ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَتَقِيْمُ لَكَ وَاحِدًا
بِأُنْسٍ، ثُمَّ نَفْتَخِرُ عَلَيْكَ بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ بَاقِينَ.

فقال أبو بكر: فَإِنْ كَانَ شُرَيْحُ قَاضِيكُمْ فَفِينَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ سَيِّدُ التَّابِعِينَ،
وَابْنُ سِيرِينَ فِي فَضْلِهِمَا وَفَقْهَهُمَا.

فقال ابن عِيَّاش: إِنْ عُدَدْتَ هَذَيْنِ وَبَاهِيَتْ بِهِمَا، عُدَدْنَا لَكَ أَوَيْسَ الْقَرْنِيِّ
الَّذِي يَشْفَعُ فِي مِثْلِ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَرَبِيعَ بنِ خُثَيْمٍ، وَالْأَسُودَ بنِ يَزِيدٍ وَعَلَقَمَةَ،
وَمُسْرُوقًا، وَهُبَيْرَةَ بنَ يَرِيمٍ، وَأَبَا مَيْسَرَةَ، وَسَعِيدَ بنَ جُبَيْرٍ، وَالْحَارِثَ الْأَعُورَ
صَاحِبَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ وَرَاوِيَتِهِ، وَأَيْنَ أَنْتَ عَمَّنْ لَمْ تَرَ عَيْنَكَ مِثْلَهُ فِي زَمَانِهِ مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَا أَحْفَظَ لِمَا سَمِعَ، وَلَا أَفْقَهَ فِي الدِّينِ، وَلَا أَصْدَقَ
فِي الْحَدِيثِ، وَلَا أَعْرَفَ بِمَغَازِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَحُدُودِ الْإِسْلَامِ
وَالْفَرَائِضِ وَالْغَرِيبِ وَالشَّعْرِ، وَلَا أَوْصَفَ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ عَامِرِ بنِ شَرَاهِيلَ الشَّعْبِيِّ؟

فقال كُلُّ مَنْ حَضَرَ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَبِالْكَوْفَةِ بَيُوتَاتُ الْعَرَبِ الْأَرْبَعَةِ:
فَحَاجِبُ بنِ زُرَّارَةَ بَيْتِ تَمِيمٍ، وَآلُ زَيْدِ بَيْتِ قَيْسٍ، وَآلُ ذِي الْجَدَّيْنِ بَيْتِ رِبِيعَةَ،
وَآلُ قَيْسِ ابْنِ مَعْدِي كَرِبَ الرُّبَيْدِيِّ بَيْتِ الْيَمَنِ. وَبِالْكَوْفَةِ فَرَسَانُ الْعَرَبِ الْأَرْبَعَةِ فِي

الجاهلية والإسلام: عمرو بن مَعْدِي كَرَبَ، والعبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَمي، وطُليحة بن خُوَيْلِد الأسدي، وأبو مِخْجَن الثَّقَفي. وأهل الكوفة جند سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، وأصحاب الجَمَل، وصفين، وخانقين، وجلولاء، ونهاوند، وفرسانهم المعدودون في الإسلام: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، وسعد بن قيس الهمداني، وعُزْوة بن زيد الطائي صاحب وقعة الديلم، وعبد الرحمان بن محمد بن الأشعث الكندي.

فقال أبو بكر: هذا الذي سلب الحسين بن علي قطيفة فسماه أهل الكوفة عبد الرحمان قطيفة، فقد كان ينبغي أن لا تذكره. فضحك أبو العبَّاس من قول أبي بكر.

فقال ابن عيَّاش: والذي سار تحت لوائه أهل الكوفة والبصرة وجماعة أهل العراق وبالكوفة من أحياء العرب بأسرهم ما ليس بالبصرة منهم إلا أهل بيت واحد وهم الذين يقول فيهم علي بن أبي طالب: لو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهَمدان ادخلي بسلام^(١).

فقال أبو بكر: فهل فيمن سَمَّيت أحدُهم إلا قاتل الحسين بن علي، وأهل بيته أو خذلهم أو سلبهم وأوطأ الخيل صدورهم؟

فقال ابن عيَّاش: تركت الفخر وأقبلت على التعيير، أنتم قتلتم أباه علي بن أبي طالب، فأما أهل الكوفة فكان منهم مع الحسين يوم قُتل أربعون رجلاً، وإنما كان معه سبعون رجلاً فماتوا كلُّهم دونه وقتل كلُّ واحد منهم عدوه قبل أن يُقتل.

فقال أبو بكر: إن أهل الكوفة قطعوا الرحم ووصلوا المثانة، كتبوا إلى الحسين بن علي إنا معك مائة ألف وغرؤوه حتى إذا جاء خرجوا إليه فقتلوه وأهل بيته صغيرهم وكبيرهم، ثم ذهبوا يطلبون دمه، فهل سمع السامعون بمثل هذا؟

فقال ابن عيَّاش: ومن أهل الكوفة أبو عبد الله الجدلي^(٢) الذي صار ناصراً

(١) هي قبيلة همدان العربية اليمنية.

(٢) الجدلي هذا هو عبدة بن عبد والواقعة المذكورة في الطبري ٦: ٧٥ - ٧٦.

لبنى هاشم حين حَصَرَهُم ابن الزبير، وكتب ابن الحَنَفِيَّة يستنصرهم فسار في عِدَّة مَمَّن كان مع ابن الزبير حتى صَيَّرَ الله بني هاشم حيث أَحَبُّوا فهل كان فيهم بصريٌّ؟
 فنهض أبو العباس وهو يقول: الكوفة بلاد الأدب ووجه العراق ومَبَرِّغُ أهْلَةٍ وعليها الجحاش وهي غاية الطالب، ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف، وأن أهل البصرة لأَشْبَهُ الناس بهم ثم قام.

ما جاء في مسجد الكوفة

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لقد صَلَّى في هذا البيت يعني مسجد الكوفة تسعون نبياً، وألف وصيٍّ، وفيه فار الثور، وخرجت منه السفينة، وفيه عصا موسى وخاتم سليمان بن داود، والبركة منه على اثني عشر ميلاً، وهو أحد المساجد الأربعة التي تُعْظَم، ولأنَّ أصْلِيَّ فيه ركعتين أَحَبُّ إِلَيَّ من أن أصْلِيَّ عشراً في غيره إلا في المسجد الحرام ومسجد الرسول.

وقال لَيْث بن أَبِي سُلَيْمٍ: بلغني أن المكتوبة في مسجد الكوفة تعدل حَجَّةً، والتطوُّع يعدل عمره.

وقال زادا نفروخ مسجد الكوفة تسعة أجربة.

ويروى عن ابن عُيَيْنَةَ قال: مرَّ إبراهيم (عليه السلام) بالقادسيَّة فرأى زهرتها فقال: قُدِّسَتْ وسميت القادسيَّة.

ويقال إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إن بالكوفة أربع بقاع قُدِّسَتْ مقدَّسة فيها أربعة^(١) مساجد، قيل: سَمَّيَها يا أمير المؤمنين. قال: أحدها مسجد ظَفِرٍ: وهو مسجد السَّهْلَةِ، إن إطنابها من الأرض لعلَّ ياقوتة خضراء، ما بعث الله نبياً إلا صورة وجهه فيها. والثاني مسجد جُفَيفٍ: لا تذهب الأيَّام والليالي حتى تنبع منه عين. والثالث مسجد غَنِيٍّ: لا تذهب الليالي والأَيَّام حتى تنبع منه عين، وحوله جنيَّة. والرابع مسجد الحمراء: وهو في موضع بستان، لا تذهب الليالي

(١) في الأصل: أربع.

والأيام حتى تنبع منه عين، تنطف ماء حواليه وفيه قبر أخي يونس بن متى.

ويقال: إن مسجد السهلة مناخ الحَصِر، وما أتاها مغموم. إلا فرَج الله عنه، قال: ونحن نسمي مسجد السهلة مسجد القُرَى.

وبالكوفة الفُرات وهو نهر من أنهار الجَنَّة، وفي الخبر: الفرات والنيل مؤمنان، ودجلة وبرهوت كافران.

وقال عبد الملك بن عُمير: الفرات نهر من أنهار الجَنَّة، لولا ما يخالطه من الأذى، ما تداوي به مريض إلا أبرأه الله، فإن عليه مَلَكاً يذود عنه الأدواء.

وقال سِمَاك بن حرب: أصبت ببصري فرأيت إبراهيم (عليه السلام) في منامي فقال: أنت الفرات فاستقبل بعينيك جرية الماء، ففعلتُ فردَّ الله عليَّ بصري.

ومخرج الفرات من قَالِقْلَا، ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم، ويجيء إلى كَمُخ وإلى مَلَطِيَّة، ويجيء إلى جبلتا وعيونها حتى يبلغ سُمَيْسَاط، فيحمل من هناك السفن، ثم يصبُّ إليه الأنهار الصغار: نهر سَنَجَة ونهر كَيْشُوم، ونهر دَيْصَان والبَلِيخ، ثم يجيء إلى الرَقَّة، ثم يتفرَّق فيصير أنهاراً، فمن أنهاره: نهر سُورَا وهو أكبرها، ونهر المَلِك، ونهر صَرْصَر، ونهر عَيْسَى والصَّرَاتَيْن، ونهر الخَنْدَق، وكُوْتَى، وسوق أَسَد، ونهر الكوفة والفرات العتيقة.

وقال المدائني: اجتمع أهل العراق عند يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة فقال ابن هُبَيْرَة: أيُّ البلدين أطيب ثمرة الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صَفْوَان: ثمرتنا أطيب أيُّها الأمير منها كذا ومنها كذا. فقال عبد الرحمن بن بشير العَجَلِي: لست أشك أيُّها الأمير إلا وأنكم قد اخترتم للخليفة ما تبعثون به إليه، فقال: أجل. فقال: قد رضينا بأن تحكم لنا وعلينا، فأَيُّ الرطب تحملون إليه؟ قال: المُشَان. قال: فليس بالبصرة منه واحدة، فأَيُّ التمر تحملون إليه؟ قال: النِزْسِيَان. قال: وهذا فليس بالبصرة منه واحدة. قال: والهَبْرُون والأَزَاد. قال: وهذا فليس بالبصرة منهما واحدة، ثم قال: فأَيُّ القسب تحملون إليه؟ قال: قسب العنبر. قال: وهذا

فليس بالبصرة منه واحدة. قال: أفلم تعلم أنها أفضل من البصرة؟

ذكر الخورنق

قالوا: ومن البناء المذكور الأبلق الفرد، وباليمين غمدان، وهو قصر من أعجب ما بنته الملوك، وقد ذكرنا خبره. وقصر نَبَاج بناه الأخنس بن شهاب، والهرمان^(١) بمصر والإسكندرية ومنازلها، ومئذنة مدينة فرعون، وملعب قامية بحمص، وتدمر بالشام، وإيوان أنوشروان ومأرب وشبذير والخورنق بظهر الكوفة. وكان الذي بناه النعمان بن امرئ القيس، وهو ابن الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فارس حليلة، ملك ثمانين سنة وبنى الخورنق في ستين سنة، بناه له رجل رومي. يقال له سِنَمَار، وكان بيني الستين والثلاثة ثم يغيب الخمس سنين، فيطلب فلا يوجد، ثم يأتي فيبني كذلك حتى أتت عليه ستون سنة وفرغ من الخورنق، فصعد النعمان على دابته فنظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه، ورأى الحوت والضب والظبي والطير والظليم والنخل والزرع فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قط، فقال له سِنَمَار: أما أني أعلم موضع آجرة لو زالت زال هذا القصر كله. فقال له النعمان: أيعرفها أحد غيرك؟ قال: لا. قال: لا جرم لأدعنها لا يعرفها أحد، ثم أمر فقذف سِنَمَار من فوق القصر فتقطع، فضربت العرب به المثل فتقول: جازاني جزاء سِنَمَار، فقال الشاعر:

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ	جَزَاءَ سِنَمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَمَةِ الْبُيَّانِ سِتِينَ حِجَّةٍ	يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ
فَلَمَّا رَأَى الْبُيَّانَ تَمَّ مَحْوُوقُهُ	وَأَضَ كَمِثْلِ الطَّوْدِ ذِي الْبَاذِخِ الصُّعْبِ
وَوَظَرَ سِنَمَارًا بِهِ كُلَّ خَيْرَةٍ	وَفَوَزَ لَدَيْهِ بِالْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
فَقَالَ: أَقْذِفُوا بِالْعُلْجِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ	فَهَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْجَبِ الْحَطَبِ ^(٢)

(١) في الأصل: الهرمين.

(٢) الأبيات عشرة في الطبري ٢: ٦٦ - ٦٧ مع اختلاف ببعض الألفاظ.

وكان النعمان غزا الشام مراراً وأكثر المصائب في أهلها وسباهم، وكان من أشد الملوكة نكايه، فجلس ذات يوم في مجلسه من الخورنق فأشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار ممّا يلي المغرب، وعلى الفرات ممّا يلي المشرق، والخورنق قصر بحذاء الفرات، يدور عليه في عاقول كالخندق، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار والزهر، فقال لوزيره: رأيت مثل هذا المنظر؟ قال: لا، لو كان يدوم. قال: وما الذي يدوم؟ قال: ما عند الله في الآخرة. قال: فبمّ يُنال؟ قال: بتركك الدنيا وتعبد الله، وتلتصم ما عنده، فتترك ملكه من ليلته ولبس مسوحه وخرج هارباً لا يعلم به أحد، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله فحضروا بابه فلم يؤذن لهم ثلاثة أيام، فلما أبطأ الأذن سألوا عنه فلم يجدوه، ففي ذلك يقول عدّي بن زيد^(١):

وَتَبَيَّنَ رَبُّ الْخَوَرْتَقِ إِذْ أَشَدَّ حَرْفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مُغْرَضًا وَالسَّيْدِيرُ
فَأَرْغَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ وَمَا غَبَرُ عَطَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَدُّ فَفَالْتَوَتْ بِهِ الصَّبَا وَالذُّبُورُ

وسُمّي السَّيْدِيرُ لأن العرب نظرت إلى سواد النخل فسدرت أعينهم أي تحيرت فقالوا: ما هذا إلا سيدير.

وقال الكلبي: أوّل من بنى الخَوَرْتَقَ بهرام جُور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف، وذلك أن يزدجرد كان لا يَبْقَى له ولد، وكان بهرام أصابه جنٌ في صغره، فسأل عن منزل مريءٍ صحيح من الأدوية فقالت الأطباء: لا يبرأ حتى تُخرجه من أرضك إلى بلاد العرب، ويُسقى أبوال الإبل وألبانها، فوجّهه يزدجرد إلى النعمان وأمر ببناء الخورنق مسكناً له ليعالج فيه، فعولج فبرأ، فكان بهرام يكرم العرب ويركب الإبل وهو في الصُّور التي تصوّرها العجم في أوانيها وبسطها وفرشها راكب بعيراً أبداً.

(١) الواقعة والأبيات في الطبري ٢: ٦٧ - ٦٨ مع اختلاف ببعض ألفاظ الأبيات.

وقال الهيثم بن عدي: لم يقدم الكوفة أحد إلا أحدث في هذا القصر شيئاً، يعني الخورنق، فلما قدمه الضحاك بن قيس بناء وعمره، فدخل عليه شريح القاضي فقال: أبا أمية أرايت بناءً قط أحسن منه؟ قال: نعم، قال: كذبت وأي بناء رأيت أحسن منه؟ قال: السماء. قال: وعن السماء سألتك أقسم لتسبني أبا تراب^(١). قال: لا أفعل. قال: ولم؟ قال: لأننا نعظم أحياء قريش، ولا نسب موتاهم، قال: جزاك الله خيراً.

وأشده لعلبي بن محمد العلوي^(٢):

كَمْ وَفْقَةٍ لَكَ بِالْخَوْرِ نَحْيٌ لَا تُوَازِي بِالْمَوَاقِفِ
بَيْنَ السَّيْرِ إِلَى الْغَدِيدِ سِرٌّ إِلَى دِيَارَاتِ الْأَسَاقِفِ
فَمَدَارِجِ الرُّهْبَانِ فِي أَطْمَارِ خَائِفَةِ وَخَائِفِ
دِمْنٍ كَأَنَّ رُسُومَهَا يَخْسِبْنَ أَعْلَامَ الْمَطَارِفِ
وَكَأَنَّمَا غُذِرَتْهَا مِنْهَا عُشُورٌ مِنْ مَصَاحِفِ
وَكَأَنَّمَا أَنْوَارُهَا تَهَيَّرُ بِالرَّيْحِ الْعَوَاصِفِ
يَلْقَى أَوَاخِرُهَا أَوْ تَلْهَا بِأَلْوَانِ الرِّفَارِفِ
بَخْرِيَّةٌ شَتَوَانُهَا بَرِّيَّةٌ مِنْهَا الْمَصَايِفِ
دُرِّيَّةٌ الْحَصْبَاءِ كَأَنَّهَا فُورِيَّةٌ مِنْهَا الْمَشَارِفِ

قصة القرَّيين

وبها القرَّيان بناهما المنذر بن امرئ القيس، وهو ابن ماء السماء، وكان سبب ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد خالد بن نضلة وعمرو بن مسعود وأنهما

(١) أبو تراب هو الإمام علي بن أبي طالب. وعن الضحاك انظر الطبري ٥: ١٣٥ والغارات للثقفى ٢: ٤٢١. أما شريح فقد كان قاضياً للإمام علي ثم أصبح قاضياً أيضاً سنين طويلة في الحكومة الأموية.

(٢) الكوفي الحماني (معجم البلدان ٢: ٤٩٣) مادة (الخورنق).

ثُمَّلاً مِنْ النَّبِيذِ لَيْلَةً فَرَادَا الْمَلِكُ بَعْضَ الْكَلَامِ فَأَمَرَ فَحُفِرَ لَهُمَا حَفِيرَتَانِ بِجَانِبِ الْبِشْرِ
بِظَهْرِ الْكُوفَةِ فَدُفِنَا فِيهِ حَتَّينِ وَفِيهِمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعَثُوا بَنَ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

يعني خالد بن نضلة، وأمر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان، وجعل
لهما في السنة يومين: يوم بؤس ويوم نعيم، فيذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه،
ويغزو بدمه الطربالين ما كان من شيء آدمي أو وحشي، وفي يوم بؤسه قتل
عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر، وكان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه، فقال
له المنذر: هلاً كان الذبح لغيرك يا عبيد، فقال عبيد: أتتلك بحائن رجلاه فأرسلها
مثلاً، فقال المنذر: أجل بلغ أناه، فقال له المنذر: أنشدني. فقال: حال الجريض
دون القريض، وبلغ الحزام الطيبين، فأرسلهما مثلاً فقال المنذر: أسمعني. فقال:
عبيد المنايا على الحوايا، فأرسلها مثلاً. فقال له بعض أصحاب الملك: أنشده
هبلتك أمك. فقال عبيد: وما قول قائل مقتول، فأرسلها مثلاً. فقال له آخر: ما
أشد جزعك من الموت. قال: لا يزحل رحك من ليس معك، فأرسلها مثلاً، أي
لا تدخل في أمرك من لا يهتم بك. قال المنذر: قد أملتني فأرخني، قال عبيد:
من عز بز، فأرسلها مثلاً ثم قتله. وكان سبب تركه لهذين اليومين رجل من طيء
يقال له حنظلة، هم بقتله فتكفل به شريك بن عمرو بن شراحيل أبو الحوقزان على
أن يرجع إلى أهله ويصلح حالهم، ثم يعود إليه فانقضت السنة ولم يرجع حنظلة
فهم الملك بشريك، فلما وضع السيف على عنق شريك فإذا به حنظلة قد أقبل
متحطاً متكفناً، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما فخلع عنهما وأبطل السنة،
وقال: لا أكون الأم الثلاثة.

والغري في اللغة ما يبس عليه الدم من صنم وغيره. ولما دخل معن بن زائدة
الكوفة رأى الغريين قد انهكما فأنشأ يقول:

لو كان شيء مقيماً لا يبيد على طول الزمان لما باد الغريان
قد فرّق الدهر والأيام بينهما وكل ألف إلى يتي وهجران

قالوا: وبالكوفة الحيرة البَيْضاء، وكانت الملوك تنزلها قبل أن بُنيت الكوفة لطيب هوائها وفضلها على سائر المواضع، وإنما سُميت الحيرة لأن تُبْعَا لَمَّا سار إلى موضع الحيرة. أخطأ الطريق وتحير هو وأصحابه فسُميت الحيرة وأول من نزل من العرب الحيرة جَذيمة الأبرش، ويقال: بل أول ملوكها مالك بن فهم بن غنم بن دؤس من الأزد. وقال ابن عُيَيْنَةَ: سمعتُ ابن شُبْرُمَةَ يقول: يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة، وكان ابن كُثَّامة يُنشد:

فإن بها لو تعلَّمينَ أصائلًا وليلاً رقيقاً مثل حاشية البرد

قال: وكان أول من ملك منهم في زمن ملوك الطوائف مالك بن فهم، وكان منزله فيما يلي الأنبار، ثم مات فملك أخوه جَذيمة الأبرش، وكان من أفضل ملوك العرب رأياً، وأبعدهم مغاراً، وأشدَّهم نكالية، وأظهرهم حزمًا؛ وصار الملك من بعده في ابن أخته عمرو بن عددي، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العراق، وهم ملوك آل نَضْر: إليه ينسبون ثم غلب على الأمر أَرْدَشِير بن بابك في أهل فارس.

مركز تحقيقات كاشغري

قالوا: وسوق يوسف بالحيرة تُسب إلى يوسف بن عمرو بن محمد بن الحكم بن عَقِيل الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف وحمَّام أُعَيْن تُسب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص.

وشَهَار سُوج^(١) معناه شهر طاق بَجَلَة بالكوفة تُسب إلى قبيلة بَجَلَة، وهم ولد مالك بن ثعلبة وبَجَلَة أمُّهم وغالبتهم على نسبهم، ونُسبوا إليها وغلط الناس فقالوا بَجِيلَة.

وجَبَّانة عَرَزَم منسوبة إلى رجل كان يلبن فيها، ولبنها رديٌّ فيه قصب وخِرَق، فربَّما أصابها شظيَّة من نار فاحترقت الحيطان.

(١) قال ياقوت ٣: ٣٣٩ إنها محلة بالبصرة وأعطى نفس هذه الأوصاف. وقال إن معنى الكلمة وهي فارسية: أربع جهات.

وزُرَّارَةُ تُسَبَّتْ إِلَى زُرَّارَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُدَسٍ مِنْ بَنِي الْبَكَّاءِ، وَكَانَتْ مَنْزِلَهُ فَأَخَذَهَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ^(١). وَدَارُ حُكَيْمٍ بِالْكُوفَةِ فِي أَصْحَابِ الْأَنْمَاطِ تُسَبَّتْ إِلَى حُكَيْمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ثَوْرِ الْبَكَّائِيِّ.

وَقَصْرُ مِقَاتِلٍ تُسَبُّ إِلَى مِقَاتِلِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

وَالسَّوَارِيَّةُ بِالْكُوفَةِ تُسَبَّتْ إِلَى سَوَّارِ بْنِ زَيْدِ الْعِبَادِيِّ الشَّاعِرِ.

وَقَرْيَةُ أَبِي صَلَابَةَ الَّتِي عَلَى الْفَرَاتِ تُسَبَّتْ إِلَى أَبِي صَلَابَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ طَارِقِ الْعَبْدِيِّ.

وَأُقْسَاسُ مَالِكٍ تَنْسَبُ إِلَى مَالِكِ بْنِ قَيْسٍ.

وَدَيْرُ الْأَعْوَرِ مَنْسُوبٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ إِبَادٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ حُذَافَةَ.

وَدَيْرُ قُرَّةَ يَنْسَبُ إِلَى قُرَّةَ أَحَدِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ حُذَافَةَ، وَإِلَيْهِمْ تُسَبُّ دَيْرُ السَّوَا وَالسَّوَا الْعَذَلُ.

وَدَيْرُ الْجَمَّاجِمِ دَيْرُ لِإِيَادٍ، وَكَانَ بَيْنَ حَيِّينَ مِنْهُمْ قِتَالٌ، وَهُمْ: بَنُو بَهْرَاءَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ، وَبَيْنَ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ بْنِ شَيْعِ اللَّهِ بْنِ وَبَرَةَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ، فَلَمَّا انْقَضَتِ الْوَقْعَةُ دَفَنُوا قَتْلَاهُمْ عِنْدَ الدَّيْرِ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا حَفَرُوا فِيهِ لِبَعْضِ أُمُورِهِمْ وَجَدُوا جَمَاجِمَ فَيُخْرِجُونَهَا فَسَمِّيَ دَيْرُ الْجَمَاجِمِ.

وَيَقَالُ أَيْضاً: إِنَّ دَيْرَ كَعْبٍ لِإِيَادٍ أَيْضاً.

وَدَيْرُ هِنْدٍ لَأُمِّ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ.

وَدَارُ قُمَامٍ تُسَبُّ إِلَى قُمَامِ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ هَانِيءِ الْكَنْدِيِّ وَهُوَ عِنْدَ دَارِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ.

وَبَيْعَةُ عَدِيٍّ تُسَبَّتْ إِلَى بَنِي عَدِيٍّ بْنِ الدُّمَيْلِ مِنْ لَحْمٍ.

(١) زُرَّارَةُ: محلة بالكوفة انظر تفصيلات إضافية عنها في معجم البلدان ٢: ٩٢١.

وكانت طيزناباذ تُدعى ضيزناباذ منسوبة إلى ضيزن بن معاوية بن العبيد السليحي.

ومسجد سِمَاك بالكوفة منسوب إلى سِمَاك بن مَخْزَمَة بن حَمِين الأسدي.

وبها محلة بني شَيْطَان منسوبة إلى شَيْطَان بن زُهَيْر من زيد مناة بن تميم.

ورحاً عُمارة نُسبت إلى عُمارة بن عُقْبَة بن أَبِي مُعَيْط.

وجَبَّانة سالم نُسبت إلى سالم بن عَمَّار من بكر بن هوازن.

وصَحراء البرْدَخْت نُسبت إلى البرْدَخْت الشاعر الضبي.

ومسجد بني عَنَز يُنسب إلى بني عَنَز بن وائل بن قاسط.

ومسجد بني جديمة.

وقصر العَدَسِيِّين في طرف الحيرة لبني عَمَّار بن عبد المسيح نسبوا إلى جدتهم عَدَسَة بنت مالك بن عوف الكلبي.

وسكّة البريد اليوم بالكوفة كانت بيعة لأم خالد بن عبد الله القسري.

ونهر الجامع من حفر خالد وقصر خالد معروف هناك.

وسوق أسد منسوب إلى أخيه أسد بن عبد الله القسري.

وقنطرة الكوفة أحدثها عمر بن هبيرة وأصلحها خالد بن عبد الله القسري.

وقصر يزيد بن عمر بن هبيرة بالقرب من جسر سورا.

والمدينة الهاشمية التي بناها أبو العباس بحيالها وكان نزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى فيها مدينتها المعروفة به، فلما استخلف المنصور نزل المدينة الهاشمية بالكوفة، واستتمّ بناءها وزاد فيها، ثم تحوّل منها إلى بغداد فبنى مدينته ومصرّ بغداد، وسماها مدينة السلام.

وبنى المنصور بالكوفة الرُصَافَة، وأمر أبا الخَصِيب مرزوقاً مولاه فبنى له القصر المعروف بأبي الخَصِيب على أساس قديم له، ويقال بل بناه لنفسه.

وأما الحَوْرَتَانِ فَقَدْ أُنِيتَ بِنَاءَهُ النِّعْمَانُ لِبَهْرَامِ جُورٍ .

وَجَبَّانَةُ مَيْمُونٌ نُسِبَتْ إِلَى مَيْمُونٍ مَوْلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ أَبُو
بَشَرَ بْنِ مَيْمُونٍ صَاحِبِ الطَّاقَاتِ بِبَغْدَادَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الشَّامِ .

وَصَحْرَاءُ أُمِّ سَلَمَةَ نُسِبَتْ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ يَعْقُوبَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ امْرَأَةِ
أَبِي الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

مَا جَاءَ فِي ذَمِّ الْكُوفَةِ

مِنْ ذَلِكَ غَدَرَهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قُتِلَ بَيْنَهُمْ ، وَخَذَلَانَهُمْ لَهُ
حَتَّى فِي تَجْهِمِهِ^(١) غَيْرِهِ . وَخَذَلَانَهُمُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ مَكَاتِبَتِهِمْ
إِيَّاهُ ، حَتَّى قُتِلَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . بَلْ هُمْ كَانُوا أَصْحَابَهُ وَقَتَلْتَهُ . وَقَبْلَ ذَلِكَ
غَدَرَهُمْ بِالْحَسَنِ وَمَكَاتِبَتَهُمْ مَعَاوِيَةَ وَمَصِيرَ أَكْثَرِهِمْ إِلَيْهِ . وَطَعْنَهُمُ الْحَسَنَ وَسَلَبَ
مَتَاعَهُ . وَقَتْلَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ رَاسِلًا مِنْ إِيَّاهُ^(٢) . وَغَدَرَهُمْ بَزِيدَ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا ، بَعْدَ مَبَايَعَتِهِمْ لَهُ . وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِبِجْجِيِّ بْنِ عَمْرِو وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَتَلُوا الْمُخْتَارَ بْنَ عُبَيْدٍ وَقَدْ خَرَجَ طَالِبًا بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ .

وَكَثْرَةُ شِكَايَتِهِمْ لِلْعَمَالِ . شَكَوْا سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَنْ لَا
يَرْضِيَهُمُ اللَّهُ بَوَالٍ وَلَا يَرْضَى وَالٍ عَنْهُمْ . وَشَكَوْا عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ ، وَالْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ
وَالْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ .

وَكَانَ ()^(٣) يَقُولُ : مَا أَبَالِي بَعْدَ السَّبْعِينَ لَوْ دَحِيتُ صَخْرَةً قَتَلْتُ بِهَا عَشْرَةَ
مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَقَالَ إِذَا كَانَ رَأْسُ السَّنَةِ فَلَوْ صَعِدْتُ مَسْجِدَ الْكُوفَةِ وَأَلْقَيْتُ
بِصَخْرَةٍ مَا خَشِيتُ أَنْ أَقْتُلَ مُؤْمِنًا . وَقَالَ عَمْرٌ ()^(٤) اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ

(١) كَذَا .

(٢) جملة تشبه أن تكون كذلك . ولعل الصواب : مرسلًا .

(٣) كلمة مطموسة .

(٤) كلمة مطموسة .

الضعيف خوفوه. وإن استعملت عليهم القوي (١). وقال بعض أهل الكوفة
للوليد بن عقبة بعدما عُزل عنهم: جزاك الله خيراً يابا وهب، فما رأينا بعدك خيراً
منك. قال: ولكني بحمد الله لم أرَ بعدكم شراً منكم، وإن بفضلكم لتلف وحبكم
لكلف.

وقال النجاشي:

إذا سقى الله أرضاً صوب غادية فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا
التاركين على طهر نساءهم والناتكين بشطى دجلة البقرا
والسارقين إذا ما جنّ ليهم والدارسين إذا ما أصبحوا السورا
القيّ العداوة والبغضاء بينهم حتى يكونوا لمن عاداهم جزرا
[٢١] وقال فيهم أيضاً:

لئن الله ولا يغفر لهم ساكني الكوفة من حيّ مضر
واليمانيين لا يحفل بهم فهم من شرّ من فوق القبر
جلّدوني ثم قالوا قدروا قدّر الله لهم سوء القدر

وكان قوم من أهل البصرة والكوفة بخراسان في بعض المغازي. فعير
البصريون الكوفيين بشرب السويق، وعير الكوفيون البصريين بشرب النبيذ. فقال
الشاعر في ذلك:

إذا ذكر الفرات بكوا عليه بعيد ما تمنّاهم سحيق
وقد علموا بأن الحرب ليست لأصحاب التزايد والسويق
ضربناكم على الإسلام حتى أقمناكم على وضّح الطريق

وأنت عيرهم أهل الشام بالسمن، فقال شاعرهم:

(٢) غيّر سبيهم بقين من المحرم أو ثمان

(١) كلمة مطموسة.

(٢) كلمة مطموسة.

وادعى النبوة من أهل الكوفة جماعة منهم المختار بن عبيد. كتب إلى الأحنف بن قيس: بلغني أنكم تكذبونني. ولئن كذبتُموني فقد كُذبت الأنبياء قبلي، ولست خيراً من كثير منهم.

قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال: صدق، وحي الشيطان. قال الله تعالى ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ ويروى أن المختار قال لرجل دخل إليه: اجلس على وسادة كانت في مجلسه: أتدري من قام عن هذه الوسادة آنفاً؟ قال: لا، قال جبريل.

وكان منهم أبو منصور الخنّاق^(١)، وكان يتولّى سبعة أنبياء من بني قريش وسبعة من بني عجل.

وكان منهم المغيرة بن سعيد^(٢). وسأله رجل عن أمير المؤمنين علي. فقال لا تحتمله. قال: بل أحتمله. قال فذكر آدم ومن دونه من الأنبياء فلم يذكر أحداً منهم إلاّ فضل علياً رضي الله عنه حتى انتهى إلى النبي (ﷺ) فقال فقلت كذبت. قال قد أخبرتك أنك لا تحتمل. وخرج راشد الهجري وأتى المدينة وذلك في ولاية زياد [٢ ب] العراق، فقال للحسن رضي الله عنه: استأذن لي على أمير المؤمنين. قال: أوليس قد مات؟ قال: لا والله ما مات، وإنه ليتنفس تنفس حي، ويعرق تحت الدثار الثقيل. فقال له الحسن: كذبت يا عدو الله. واتصل الخبر بزياد فقتله وصلبه على باب داره.

وكانت فيهم هند الأفاكة.

- (١) رأس الفرقة المنصورية وهي من فرق الشيعة الغالية. انظر المقالات والفرق ٤٦ - ٤٨ والحيوان للجاحظ ٢: ٢٦٨ و ٦: ٣٩١ وكذلك ٦: ٣٨٩ (الخنّاقون)، والملل والنحل ١: ١٥٨.
- (٢) رأس الفرقة المغيرية من الشيعة الغالية. انظر الملل والنحل ١: ١٥٧ والمقالات والفرق ٧٤ والحيوان للجاحظ ٦: ٣٩٠ ومواضع أخرى من الكتاب. ورجال الكشي ٢٢٣ ومواضع أخرى منه.

وقال أصغر بن حسان المازني - مازن مذحج - وقد قدم الكوفة يلتبس
الإحسان من أهلها فلم يفعلوا به جميلاً، وقالوا: أقم حتى يقتل الجيش من
جرجان. فلم يقم ورحل عنهم وقال:

رَحَلْتُ إِلَى قَوْمٍ أَوْمَلُ رِفْدَهُمْ	وما سائلُ الكوفي إلا مقاتلُهُ
لصوصٌ إذا مارستهم في بيوتهم	مُنِيَتْ بِخَصْمٍ لَا تَزَالُ تَجَادِلُهُ
وقالوا تَرَبَّصْ أَوْبَةَ الْجَيْشِ إِنَّهُ	بِجَرْجَانَ لَمْ نَحْبِسْ عَلَيْكَ مَجَاهِلُهُ
وإنَّ عطاءَ دُونِهِ ما زَعَمْتُمْ	على سائلِ الأعرابِ قد راثَ جَائِلُهُ
فإدْنَيْتُ حُرْجُوجًا كَأَنَّ سَنَامَهَا	مِنَ الْأَيْثَنِ (١)
ورحْتُ كما راحَ النجاشيُّ منهم	خفيفاً من النَّقْدِ الجيادِ رَواحِلُهُ
فويلٌ أُمُّها من قريَةٍ غيرِ أَثَها	قليلٌ بها معطي الجزيْلِ وفاعِلُهُ

وفيهما يقول شاعر من بني عمرو بن عامر:

يا أيها الراكبُ الغادي لطيفة	تَوَّأْتُ بِالْقَوْمِ أَهْلَ الْبَلَدِ الْحُرْمِ
أبلغ قبائلَ عمرو إن لقيتهم	لو كنتَ من دارِهِمْ يوماً على أُمِّ
إنَّا وَجَدْنَا فَقَرَوْا فِي بِلَادِكُمْ	أَهْلَ الْكِتَابِ وَأَهْلَ اللُّؤْمِ وَالْعَرَمِ
أَرْضٌ تَغْيَرُ أَحْسابُ الرِّجالِ بِها	كما رَسَمَتْ بِأَضَى الرِّبْطِ بِالْحُمْرِ (٢)

وخرج جيش من أهل الكوفة إلى جيش بن دلجة بالربذة فخافوا ورجعوا.
وخرج جيش من أهل البصرة فقتلوه فقال الشاعر في ذلك: [٣ أ]

السنا بأصحابِ أبْنِ دِلْجَةَ إِذْ عَبَا	هناك خيلاً كالسَّراحينِ ضَمَّراً
تُقَادُ بِفَرَسَانٍ إِذَا حَمَسَ الْوَعْيُ	أَحَلَّوْا الْحَرَامَ وَاسْتَبَاحُوا الْمَنكَرَا
فلاقَتَهُمْ خَيْلٌ لَنَا فَارَسِيَّةٌ	أَسَاوِرَةٌ تَدْعُو يَزِيدَ الْمَسُورَا

(١) فراغ في الأصل.

(٢) بيت من قصيدة أخرى على نفس الوزن وقافية مختلفة.

فلما التقوا وَلَّى المشامون هُرْباً عزيز (؟) وأخلوا عن حُبِشٍ مُقَطَّرَا

ويروى عن مجاهد أنه قال: لما أوحى الله عز وجل إلى الأرض أيام نوح فقال يا أرض ابلعي ماءك، كانت أرض الكوفة آخرها ابتلاعاً وأشدّها تقعساً. فمن هناك سائر الأرضين تُكرب على حمارين وثورين وأرض الكوفة على ستة.

وقال إبراهيم التيمي: لما أمرت الأرض أن تغيض الماء، أغاضت إلا أرض الكوفة. فلُعنت فسائر الأرض تكرب على ثورين وأرض الكوفة على أربعة.

وقالت أم العلاء الأوذبة: مرّوا بزيد بن علي في سوق كندة على حمار قد خولف بوجهه. فقاموا إليه بكون. فأقبل عليهم وقال: يا شرار خلق الله! أسلمتموني للقتل ثم جئتموني تبكون؟

وقال علي رضي الله عنه لأهل الكوفة: اللهم كما نصحتهم فغشوني، واثمتهم فخانوني، فسلط عليهم فنى ثقيف الذبّال المبال يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية.

وقال أبو عبد الله القشيري: قام أهل الكوفة إلى علي رضي الله عنه فقالوا: العطاء يا أمير المؤمنين. فقال: ما لهم ميث الله قلوبهم كما يُمّاث الملح في الماء. أتطلقوني ولادة من غير زوج؟ أما والله لو تجتمعون على حقكم كما تجتمعون على باطلكم ما غلّ على أموالكم حلب شاة. اللهم إني قد كرهتهم وكرهوني. فأرحهم مني وأرحني منهم. قال: فأصيب في ذلك العام.

وقدم رجل من أهل المدينة يكنى أبا مريم الكوفة فلقيه علي رضي الله عنه. فقال: يا أبا مريم ما أقدمك هذه البلاد؟ فقال: ما كانت لي حاجة، ولكن عهدي بك وأنت تقول: لو وُلّيتُ هذا الأمر لفعلتُ وفعلتُ. قال: فأنا على العهد الذي عهدت. ولكنني بُليت بأخبث قوم في الأرض. ما دعوتهم قطّ إلى حق فأجابوني [٣ ب] إليه. ولا يدعوني إلى أمر فأجيبهم إلاّ اختلفوا^(١).

(١) في الغارات للثقفى ١ : ٦٨ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها.

وقال جرير بن سبير^(١): قدمت الكوفة وقد انصرف علي بن الحسين من كربلاء، فرأيت نساء أهل الكوفة يلتدمن مهتكات الجيوب. فسمعت علي بن الحسين يقول بصوت صبي وقد نهكته العلة: ألا إن هؤلاء قتلونا.

ورأيت زينب بنت علي رضي الله عنها وقد أومأت إلى الناس أن انصتوا. فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت: الحمد لله والصلاة على نبيه. أما بعد يا أهل الكوفة. يا أهل الختل والخذل. فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرثة. إنما مثلكم كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً. تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف والصدف والشف. ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم إن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبيكون؟ أي والله. فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً. فلقد فزتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً. وأني ترحمون بعد قتل سليل خاتم الرسالة وسيد شبيبة أهل الجنة وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم. ألا ساء ما تزررون. تعساً ونكساً. فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله وضررت عليكم الذلة والمسكنة. ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد (ﷺ) فريتم؟ وأي دم سفكتم؟ وأي جرمة له أضعتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً. تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الجبال وتخر الجبال هذا. ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض والسماء. فمعجبتن أن قطرت السماء دماً. فللعذاب الآخرة أخزى ولا تنصرون. فلا يستخفنكم المهمل، فإنه لا يخاف فوت الثار. كلا. إن ربك لبالمرصاد.

قال: فرأيت الناس حيارى ولهي قد ردوا أيديهم في أفواههم.

ودخل اليقظان بن ظهير على عائشة فقالت: ممن أنت؟ فقال: من أهل الكوفة. فقالت: وددت أن الله سلط على أهل الكوفة عذاباً مثل عذاب يوم الظلة.

ولما قتل مصعب بن الزبير، وكانت امرأته سكينه بنت الحسين. أرادت

(١) خير هذه الخطبة في مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٠ عن بشير بن حذيم الأسدي. وفي فتوح ابن أعثم، المجلد الثالث ١٣٩ عن خزيمة الأسدي.

الرحيل إلى المدينة وكانت بالكوفة. فقالت لها أهل الكوفة: يا بنت رسول الله، أحسن الله صحابتك [٤ أ] وفعل بك وفعل. فقالت: يا أهل الكوفة! لا أحسن الله صحابتكم. فلقد قتلتم جدي علياً وعمي الحسن وأبي الحسين وبعلي مصعباً. فأيتتموني صغيرة وآيتتموني كبيرة. فلا أحسن الله عليكم الخلافة ولا رفع عنكم السوء.

وقال عمر بن الخطاب: اعضل بي أهل الكوفة ما يرضون بأمر، ولا يرضاهم (أمير) ولا يصلحون لأمر ولا يصلح لهم.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بلغه عن أهل الكوفة خصب وقيل له: ما تقول في الضب والنون يجتمعان في سفود؟ فقال إنكم لتنتعنون أرضاً برية بحرية. وأعجبه ذلك فقال: ما أراني إلا مآتبيهم فأمرهم بمعروف. فكتب إليه كعب: يا أمير المؤمنين لا تعجل فإنه بلغني أن بها الداء العضال وبها تسعة أعشار الشر. وبلغني أنه كان إذا كل شيء يتكلم اجتمع ثمانية أشياء في واد: الإيمان والحياة والهجرة والموت والغناء والعبي والشقاء والصحة. فقال بعضهم لبعض: تعالوا نتفرق في الأرض. فقال الإيمان: أنا الحق بأرض اليمن. فقال الحياة: أنا معك. قالت الهجرة: أنا الحق بأرض الشام. قال الموت: وأنا معك. قال الغنى: أنا الحق بأرض العراق. قال التقى: أنا معك. قالت الصحة: ما تركتم لي شيئاً من البلاد إلا وقد أخذتموه، فأنا الحق بالبرية. قال الشقاء: وأنا معك.

وقالوا: السدير ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب. وعيون^(١) الطف منها مثل عين الصيد والقططانة والرّهيمة وعين جمل وذواتها، وبها عيون كانت للموكلين بالمسالح التي وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم. وذلك أن سابور أقطعهم أرضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم خراجاً. فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه (ﷺ)، غلبت العرب على

(١) من هنا إلى آخر الفصل هذا وهو المتعلق بالكوفة موجود بنصه في فتوح البلاذري ص ٢٩٦ - ٢٩٧. و (عين الرحمة) الواردة هنا هي (عين الرحبة) لدى البلاذري. و (عيون تدعى العرق) في البلاذري (تدعى العرق).

طائفة من تلك العيون وبقي بعضها في أيدي الأعاجم. ثم لما قدم المسلمون الحيرة وهربت الأعاجم بعد أن طمّت عامة ما كان في أيديها منها وبقي الذي في أيدي العرب. فأسلموا عليه، وصار ما عمروه من الأرض [٤ ب] عُشراً. ولما انقضى أمر القادسية والمدائن دُفع ما جلا عنه الأعاجم من أرض تلك العيون إلى المسلمين وأقطعوه، فصارت عُشرية أيضاً.

وكان مجرى عيون الطف وأرضها مجرى أعراض المدينة وقرى نجد. وكانت صدقتها على عمال المدينة. فلما ولي إسحاق بن إبراهيم بن مصعب السواد للمتوكل ضمها إلى ما في يده. فتولى عمالة عُشرها وصيرها سوادية. فهي على ذلك إلى اليوم. وقد استخرجت فيها اليوم عيون إسلامية تجري ما عمرتها من الأرضين هذا المجرى.

وسألت بعد المشايخ عن عين جمل لم سميت بهذا الاسم؟ فذكر أن جملاً مات عندها فنسبت العين إليه.

وذكر بعض أهل واسط أن المستخرج لهذه العين يسمى جملاً. قال: وسميت عين الصيد لأن السمك كان كثيراً جداً فيها، فيصطاد فسميت بهذا الاسم.

وكانت عين الرحمة مما طمّتها وغوّرتها الأعاجم. فيقال إن رجلاً من أهل كرمان اجتاز بها وهو يريد الحج. فنظر إليها - وكان بصيراً باستنباط المياه - فلما قضى حجه ورجع، أتى عيسى بن موسى فدلّه عليها وقال أنا أستنبطها لك. فكاتب السلطان في أن يقطعه إياها وأرضها، ففعل. واستخرجها له الكرمانى فاعتمل ما عليها من الأرض وغرس النخل الذي في طريق العذيب. وعلى فراسخ من هيت عيون تدعى الغرق تجري لهذا المجرى وأعشارها إلى صاحب هيت.

القول في البصرة

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى^(١): سميت البصرة لأنه كان فيها حجارة رخوة. والبصرة: الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض. قال ذو الرمة:

[تداعين باسم الشيب في مُثَلَّم]^(٢) جوانبُه من بَصْرَةٍ وَسِلَامٍ

وقالوا: سُميت البصرة لأنه كان فيها حجارة سود بصرة. وقال محمد بن شريحيل بن حسنة إنما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة وهي البصرة. قال خفاف بن ندبة:

إِنْ تَكُ جَلْمُودَ بَصْرِ لَا أَوْبَسَةَ كَلْبٍ أَوْ قَدْ عَلِيهِ فَاَحْمِيهِ فَيَنْصَدَعُ

وقال الطرماح: [٥]

مؤلفة تهوي جميعاً كما هوى من اليتيم فوق البصرة المتطخّط

وقال نافع بن كلدة: كان عمر بن الخطاب قد هم أن يتخذ للمسلمين مصراً. وكان المسلمون قد غزوا من قبل البحرين وتوج ونوبندجان وطاسان. فلما فتحوها كتبوا إليه: إنا وجدنا بطاسان مكاناً لا بأس به. فكتب إليهم: إن بيني وبينكم دجلة فلا حاجة لي في كل شيء بيني وبينه دجلة أن تتخذوه مصراً. فقدم عليه رجل من بني سدوس يقال له ثابت فقال: يا أمير المؤمنين. إني مررت بمكان دون دجلة فيه قصر وفيه دياذبة الأعاجم يقال له الخريبة ويسمى أيضاً البصيرة. بينه وبين دجلة

(١) لأبي عبيدة كتابان في البصرة (فهرست ابن النديم ٥٩).

(٢) زيادة من لسان العرب (بصر).

أربعة فراسخ له خليج يجري فيه الماء إلى أجمة قصب. فأعجب ذلك عمر فدعا عتبة بن غزوان فبعثه في أربعين رجلاً فيهم نافع بن الحارث بن كلدة. وأبو بكره وزباد. فلما خرجوا قالت لهم أختهم: احملوني معكم. فحملوها. قال: فلما بصر بنا الديادية^(١) خرجوا هزأباً وجثنا فنزلنا القصر. فقال عتبة: ارتادوا لنا شيئاً نأكله. قال: فدخلنا الأجمة فإذا زنبيلان في أحدهما تمر وفي الآخر أرز بقشره. فجبذناهما حتى أدبناهما من القصر وأخرجنا ما فيهما. فقال عتبة هذا سم أعدّه لكم العدو - يعني الأرز - فلا تقربنه. فأخرجنا التمر وجعلنا نأكل منه. فإنا لكذلك إذا نحن بفرس قد قطع. قياده فأتى ذلك الأرز يأكل منه. فلقد رأيتنا نسعى إليه بشفارنا نريد ذبحه قبل أن يموت. فقال صاحبه امسكوا عنه. احرمه الليلة فإن أحسست بموته ذبحته. فلما أصبحنا إذا الفرس يروث لا بأس عليه. فقالت أختي: يا أخي. إني سمعت أبي يقول إن السم لا يضر إذا نضج. فأخذت من الأرز تطبخه وجعلت توقد تحته ثم نادت: ألا إنه يتفصى عن حبيبة حمراء. ثم قالت: قد جعلت تكون بيضاء. فما زالت تطبخه حتى أنماط قشره فألقيناه في الجفنة. فقال عتبة: اذكروا اسم الله عليه وكلوه. فأكلوا منه فإذا هو طيب. قال [هـ ب]: فجعلنا بعد نميط عنه قشره ونطبخه. فلقد رأيتني بعد ذلك وما أجده منه شيئاً إلا وأنا أعدّ لولدي منه.

ثم إنا التأمنا فبلغنا ستمائة رجل وست نسوة إحداهن أختي. فقلنا ألا نسير إلى الأبله فإنها مدينة حصينة، فسرنا إليها ومعنا العترة^(٢) وعليها الخرق وسيوفنا. وجعلنا للنساء رايات على قصب وأمرناهن أن يثرن التراب وراءنا حين يرون أننا قد دنونا من المدينة. فلما دنونا منها صففنا أصحابنا. قال: وفيها دياذبتهم وقد أعدوا السفن في دجلة. فخرجوا علينا في الحديد مسومين لا ترى منهم إلا الحندق. قال: فوالله، ما أخرج آخرهم حتى [رجع]^(٣) بعضهم على بعض قتلاً. وما قتلوا هم

(١) ديدبان: فارسية معناها الراصد أو المراقب الذي يوضع في المسالحي لرصد ما يحدث وإخبار المركز العسكري بذلك. وقد جمعها المؤلف جمع تكسير.

(٢) العترة: جمع عترة وهي أطول من العصا وأقصر من الرمح وفي رأسها زج (ياقوت: البصرة).

(٣) زيادة من ياقوت.

أنفسهم كان أكثر. ونزلت الديادة فعبروا إلى الجانب الآخر. وانتهى إلينا النساء. وقد فتح الله علينا ودخلنا المدينة وحوينا متاعهم وأموالهم وسألناهم ما الذي هزمكم من غير قتال؟ فقالوا: عرفتنا الديادة أن كميناً لكم قد ظهر وعلا رهجه. يريدون النساء في إثارتهم التراب..

قال: فاستعمل عتبة بن غزوان زيادةً على قسمة الغنائم وجمعها. ورزقه كل يوم درهماً. واستجمع الناس وأقبلت أعاريب بني تميم وبكر بن وائل إلينا فصرنا ثلاثة آلاف في الديوان. فتزوجنا فكان أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبي بكرة.

ثم قدم عتبة بن غزوان على عمر فأعلمه بما فتح الله عليه. فأرسل مكانه المغيرة بن شعبة فسار بنا فافتتح الفرات وميسان ودستميسان وأبرقيان. ثم وجه مكانه أبا موسى الأشعري.

وفي بعض الجند إن أول من اختط البصرة عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكانت تسمى يومئذ أرض الهند. فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن حط قيروانك بالكوفة وأبعث عتبة بن غزوان إلى أرض الهند، فإن له من الإسلام مكاناً، وقد شهد بدرًا - والبصرة يومئذ تسمى أرض الهند - فينزلها ويتخذها المسلمون قيرواناً. ولا تجعل [٦ أ] بيني وبينك بحراً. فدعا سعد بعتبة فأخبره بكتاب عمر فأجاب. وخرج من الكوفة في ثمانمائة رجل، فسار حتى نزل البصرة وضرب قيروانه وضرب المسلمون أخبيتهم. وكانت خيمة عتبة من أكسية. ثم رماه عمر بالرجال. فلما كثروا بنى رهط منهم فيها سبع دساكر من لبن. منها في الخريبة اثنتان وفي الأزد اثنتان^(١). وفي الزابوقة واحدة. وفي بني تميم اثنتان. وكان ذلك في سنة سبع عشرة.

وقال أبو عبيدة في روايته: الذي بصر البصرة لعمر بن الخطاب عتبة بن غزوان كتب إلى عمر: لا بد للمسلمين من منزل إذا شتوا، شتوا فيه. وإذا رجعوا

(١) في الأصل (سبعة دساكر...) في الخريبة اثنتان وفي الأزد اثنتان.

من غزوهم سكنوا فيه. فكتب إليه عمر: أن أوند لهم منزلاً قريباً من المراعي والماء واكتب إليّ بصفته. فكتب إلى عمر: إني قد وجدت أرضاً كثيرة القَصَّة^(١) في طرف البر إلى الريف ودونها منافع فيها ماء وفيها قَصَباء. فلما قرأ عمر كتابه قال: هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب. وكتب إليه أن أنزلها. فنزلها وبنى مسجدها من قصب وبنى دار إمارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم وكانت تسمى الدهناء، وفيها السجن والديوان وحمام الأمراء بعد ذلك لقربها من الماء. فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو. فإذا عادوا أعادوا بناءه. فلم يزل كذلك حتى استعمل عمر أبا موسى الأشعري وعزل المغيرة بن شعبة فبنى المسجد بلبن وكذلك دار الإمارة. فلم تزل على تلك الحال. فكان الإمام إذا أراد أن يصلي تخطى الناس حتى ينتهي إلى القبلة. فلما استعمل معاوية زياداً على البصرة، قال زياد: لا ينبغي للأمير أن يتخطى رقاب الناس. ولكنني أحول دار الإمارة إلى قبلة المسجد. فحول دار الإمارة من الدهناء وزاد في المسجد زيادة كثيرة وبنى دار الإمارة باللبن وبنى المسجد بالجص والآجر وسقفه [ب] بالساج. فلما فرغ من بنائه جعل يطوف فيه وينظر إليه ومعه وجوه أهل البصرة. فقال: هل ترون خللاً؟ قالوا: لا نعلم بناء أحكم منه. قال: بلى، هذه الأساطين التي على كل واحدة أربعة^(٢) عقود، لو كانت أغلظ من سائر الأساطين كان أحكم لها.

وقال أبو عبيدة عن يونس: ولم يؤتْ منهن قط صدع ولا ميل ولا عيب. وقال حارثة بن بدر الغداني:

بنى زيادُ لذكرِ اللهِ مصنعةً بالصخر والجِصِّ لم يُخلطْ من الطينِ
لولا تعاوُرُ أيدي الرافعينَ له إذا ظنَّاه أعمالَ الشياطينِ

وجاء بسواريه من الأهواز. وكان وني بناءه الحجاج بن عتيق الثقفي.

(١) القصة: حصي صغار مكسرة (أساس).

(٢) في الأصل: أربع.

فظهرت له أموال وحال لم تكن قبل . ففيه قيل : حبذا الإمارة ولو على الحجارة .

والذي اختط أيام عتبة بن غزوان مسجد البصرة حجر بن الأوزع أمره عتبة بن غزوان بذلك . وكان المنبر في وسط المسجد فأول من حوَّله إلى القبلة زياد . وكان في جانب المسجد الشمالي متزويماً ، وذلك أنه كان داراً لنافع أخى زياد أبى أن يبيعها . فلم تزل على تلك الحال حتى ولّى معاوية عبيد الله بن زياد البصرة . فقال عبيد الله لبعض وكلائه : إذا شخص عبد الله بن نافع إلى أقصى ضيعة له فأعلمني ، فشخص إلى قصره الأبيض . فأعلمه ذلك . فبعث فهدم الدار وأخذ في بناء الحائط الذي يستوي به تربيعة المسجد . وقدم عبد الله بن نافع فضجَّ . فقال : إني أئتمن لك وأعطيك مكان كل ذراع خمسة أذرع وادع لك خوخة في حائطك إلى المسجد وأخرى في غرفتك . فرضي . فلم تزل الخوختان في حائطه حتى زاد المهدي فيه ما زاد . فدخلت الدار كلها في المسجد ثم دخلت دار الإمارة كلها في المسجد . أمر بذلك الرشيد .

ولما قدم الحجاج خُبر أن زياداً بنى دار الإمارة بالبصرة . فأراد أن يذهب ذكر زياد [٧١] منها فقال : ابنيها بالآجر . فهدمها . فقيل له : إنما غرضك أن تذهب ذكر زياد فما حاجتك إلى أن تعظم النفقة وليس يزول ذكر زياد عنها ؟ فتركها مهدومة .

قال يونس^(١) : فعامة التي حولها إنما بنيت من طينها وجمع أبوابها . فلم تكن للأمراء دار ينزلونها حتى قام سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراقيين . فقال له صالح : إنه ليس بالبصرة دار إمارة ، وحده بحديث الحجاج . فقال له سليمان : أعدها . فأعادها بالآجر والجص على أساسها الذي كان ورفع سمكها . فلما أعادوا أبوابها عليها قصرت . فلما مات سليمان وقام عمر بن عبد العزيز استعمل عدي بن أرطاة على البصرة ، فبنى فوقها غرفاً . فبلغ ذلك عمر ، فكتب إليه : هبلك أمك يابن أم عدي ! أتعجز عنك مساكن وسعت زياداً وابن زياد ؟ فأمسك عدي عن بنائها .

(١) هو يونس بن حبيب (ابن النديم ٤٧) .

فلما قدم سليمان بن علي البصرة عاملاً للسفاح أنشأ فوق البناء الذي كان عدي أراد أن يجعله غرفاً، بناءً بطين. ثم إنه تحول إلى المربد.

فلما قدم الرشيد هدمها وأدخلها في قبلة المسجد. فليس اليوم للأمراء بالبصرة دار إمارة.

وقال الواقدي: أنشئت البصرة سنة سبع عشرة من التاريخ، قبل الكوفة بسنة وأشهر. وأول مولود ولد بالبصرة في الإسلام، عبد الرحمن بن أبي بكر فاجر عليه أبوه جزوراً، فكفت أهل البيت وذلك لقتلهم يومئذ، وأبو بكر أول من غرس النخل بالبصرة وقال هذه أرض نخل ثم غرس الناس من بعده.

وقال هشام بن الكلبي: أول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن يسار المزني. وكان عثمان بن عفان أخذ دار عثمان بن العاص الثقفي بالمدينة وكتب أن يُعطى أرضاً بالبصرة. فأعطى أرضه المعروفة بشاطئ عثمان حيال الأبله وكانت سجنة فاستخرجها وعمرها وإليه تنسب [٧ ب].

[وأول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد الله بن عثمان بن أبي العاص وهو موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة. ثم الثاني، حمام فيل مولى زياد. ثم الثالث حمام مسلم بن أبي بكر، وحمام منجاب ينسب إلى منجاب بن راشد الضبي. وقال الشاعر:

يا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ لَغِبْتُ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مُنْجَابٍ

وقصر أئس بالبصرة ينسب إلى أئس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ).

وقدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية، بين المياه العذبة والجنان الملتفة، وإننا نزلنا أرضاً نشاشة، لا يجفُّ ثراها، ولا ينبت مرعاها، ناحيتها من قبل المشرق البحر الأجاج، ومن قبل المغرب الفلاة، فليس لنا زرع ولا ضرع، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء النعامة، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة كذلك فتربق ولدها كما تربق

العنز، تخاف بادرة العدو وأكل السبع، فلا تَرْفَعُ خسيستنا وتجبر فافتنا نكن كقوم هلكوا، فألحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء، وكتب لهم إلى أبي موسى يأمره أن يحفر لهم نهراً.

فحدث جماعة من أهل البصرة قالوا: كان لدجلة العوراء - وهي دجلة البصرة - خور، والخور طريق للماء لم يحفره أحد يجري إليها فيه ماء الأمطار، ويتراجع ماؤها فيه عند المد، وينضب في الجزر، وكان طوله قدر فرسخ، ونهر الإجانة احتفروه أبو موسى وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة، فكان طول نهر الأبلّة أربعة فراسخ، ثم إنه انظمّ منه ما بين البصرة وبنق الجيري، وذلك على قدر فرسخ من البصرة، فلما شخّص ابن عامر إلى خراسان استخرج زياد نهر أبي موسى، فرجع ابن عامر وغضب عليه وتباعد ما بينهما وقال: إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دوني.

وكانت البصرة أيام خالد بن عبد الله طولها فرسخان^(١) وعرضها فرسخان^(٢). وتذكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد: لو ضلّت البصرة لجعلت الكوفة لمن يدلني عليها، وقال ابن سيرين: كان الرجل منا يقول: غَضِبَ الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة وولاه الكوفة، وقال أبو بكر الهذلي: نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً ونهراً عجاجاً وخراجاً، وأنشد لابن أبي عيّنة في البصرة:

يَا جَنَّةً فَاقَتِ الْجَنَانَ فَمَا يَتْلُغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تَمُنُ
أَلْفَتْهَا فَأَتَّخَذْتُهَا وَطَنًا إِنَّ فُؤَادِي لِحُسْنِهَا وَطَنُ

وقالوا: بالبصرة أربع بيوتات ليس بالكوفة عثلها: بيت بني المهلب، وبيت بني مُسلم بن عمرو الباهلي من قيس، وبيت بني مُنَمع من بكر بن وائل، وبيت آل الجارود من عبد القيس؛ ودخل فتى من أهل المدينة البصرة فلما انصرف قالوا: كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس، أما الجائع

(١) في الأصل: طولها فرسخين وعرضها فرسخين.

فياكل خبز الأرز والصُّخْنَاءَ ولا يتفق في الشهر إلاّ درهمين، وأما الغريب فيتزوّج بشقّ درهم، وأما المحتاج فلا عيلة عليه ما بقيت أُسْتُهُ يخرأ ويبيع. وقالوا: بالبصرة ستّة ليس بالكوفة مثلهم: الحسن البصريّ، والأحنف، وطلحة بن عبد الله، وابن سيرين، ومالك بن دينار، والخليل بن أحمد.

وبنى زياد بالبصرة دار الرزق، وحفر نهر الأبلّة ونهر مَعْقِل، وبنى داره، وبنى البيضاء والحمراء فلم يضافا إليه، وبنى سَكَّةَ فأسكنها أربعة آلاف من البُخاريّة فقيل سَكَّةُ البُخاريّة فأضيفت إليهم، وبنى سبعة مساجد فلم يضاف إليه شيء منها: مسجد الأساورة، ومسجد بني عديّ، ومسجد بني مجاشع، ومسجد حُدَّان؛ وكلُّ مسجد بالبصرة كانت رحبته مستديرة فإنه من بناء زياد، وكلُّ الذي بنى فيها أو صنع فإنه نُسب إلى غيره مثل: مسنّة مُضْعَب، ونهر عديّ ونهر بُلْبُل، وباب الأصفهانيّ، وحفيرة مُطيع، وقصر ابن عمار، وحمّام سيّاه، وحمّام فيل، وحمّام منجّاب، وقصر أوس، وباب عثمان، ومقبرة حصن، ومقبرة بني شيبان، ونهر مُرّة، ونهر بَشَّار.

وبنى عبيد الله بن زياد داره بها وفيها باب إلى السكّة التي تنفذ إلى سَكَّةِ اصْطِفَانُوس، وباب آخر إلى السكّة التي تعرف بالبُخاريّة، وبالبصرة دور كثيرة كانت لمواليهم فأضيفت إلى دينارزاذ وديناربنده، ولهم دار عَجْلان ودار القَطَن ونهر والس ونهر شيطان.

ودخل بعض الدهاقين البصرة فرأى ما اجتمع فيها فقال: قَاتَلَكِ اللهُ قِوَالَهُ ما صرّت هكذا حتى أخربت بلاداً وبلاداً.

وقال ابن الأهمم البصريّ: يأتيها ما يأتيها عفواً صفواً، ولا يخرج منها إلاّ سائق أو ناعق أو قائد. وقالوا: أبعد الناس نجعة في الكسب بصريّ وخوزيّ، ومن دخل فَرُغَانة القصوى والسوس الأقصى فلا بدّ من أن يُرى بها بصريّ أو خوزيّ أو حَبيريّ.

وأهدي إلى رسول الله (ﷺ) طبق من تمر، فجعل يأكل منه البرنبيّ والقريثاء

ثم قال: اللهم إني أعلم أنك تعلم أنني أحبهما فأثبتهما في أحب البلاد إليك، واجعل عندهما آية بيّنة، قال الحسن: فوالله ما أعلمهما في بلد أكثر منهما بالبصرة، وقد جعل الله عز وجل عندها آية بيّنة المدّ والجزر.

وقال علي بن محمد المدائني: وفد خالد بن صفوان على عبد الملك بن مروان فوافق عنده وفد جميع الأمصار، وقد اتخذ مسلمة مصانع له، فسأل عبد الملك أن يأذن لهم بالخروج معه إلى تلك المصانع فأذن لهم، فلما نظروا إليها أقبل مسلمة على وفد أهل مكة فقال: يا أهل مكة هل فيكم مثلها؟ قالوا: لا، إلا أن فينا بيت الله المستقبل. ثم قال لو فد المدينة: هل فيكم مثل هذا؟ قالوا: لا، إلا أن فينا قبر نبي الله المرسل. ثم أقبل على وفد الكوفة فقال: هل فيكم مثلها؟ فقالوا: لا، إلا أن فينا تلاوة القرآن العظيم. ثم أقبل على وفد البصرة فقال: هل فيكم مثل هذا؟ فتكلم خالد بن صفوان فقال: أصلح الله الأمير إن هؤلاء أقرؤا على بلادهم، ولو أن عندك من له خبرة ببلادهم لأجاب عنهم قال: أفعندك في بلادك غير ما قالوا؟ قال: نعم، أصف لك بلادنا قال: هات. قال: يغدو قانصانا فيجيء هذا بالشبوط والشميم، ويجيء هذا بالطير والظليم، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً وخزاً وديباجاً وبرذوناً هملجاً وخريذة معنأجاً، بيوتنا الذهب، ونهرنا العجب؛ تمام هذا الخبر في باب افتخار الشاميين على البصريين، وفضل الحيلة على النخلة^(١).

ونحن قتلنا أحمرأ في جموعهم وقد كان قتال الكُماة مظفراً^(٢)
غداة علا الاسكاف بالسيف رأسه فخر صريعاً لليدين مُعَفِّراً

وكان ابن سيرين يقول: تكون فتنة أعفا الناس فيها أهل البصرة.

وقال رجل لعبد الله بن عمرو بن العاص: بلغني أنك تقول البصرة أسرع خراباً. قال: ليس كذاك قلت. إنما قلت هي أبطأ الأرض خراباً، لأنها أقومها

(١) إلى هنا ينتهي المقطع الذي نقلناه عن المختصر وهو غير موجود في النسخة الأصل.

(٢) حدث في المخطوط قطع، ثم بدأ مرة أخرى بهذين البيتين.

قبلة ، وهي حيال البيت والمقام والحجر وزمزم . فهي أبطأها خراباً .

وقال أبو بكر رحمه الله : قال رسول الله (ﷺ) : ينزل ناس من أمتي غائطاً من الأرض يقال له البصرة أو البصيرة ، لها نهر يقال له دجلة يُعقد عليه جسر وهو من أمصار المهاجرين ، ويكثر أهله .

وقال كعب الأحبار : وجدت في كتب الله المثلثة إن بالبصرة كنز الله أربعون ألفاً يردون الناس إلى المهدي بعد انهزامهم عنه .

قال وحج ابن عمر وحج في ذلك العام ناس كثير من أهل الكوفة واليمن ، ولم يحج من أهل البصرة أحد . فقال ابن عمر : ما بال أهل البصرة ؟ قالوا : أصابهم وباء . فقال : أهل البصرة خير من أهل الكوفة .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : لما رأيت أهل بليد أبكر إلى ذكر الله من أهل البصرة .

وقال أبو ظبيان : سمعت ابن عمر ، وأتاه رجل فقال : أخبرني عن البصرة فإنه بلغني أنها أول الأرض خراباً ، فإن كان كذلك حوِّلت أهلي منها . قال : فإنها أبطأ الأرض خراباً .

ومدح عمر بن ذرّاك أهل البصرة فقال : هم أعظم الناس أخطاراً وأكرمهم جواراً وأبعدهم في الأرض آثاراً . أهل البصرة أعظم إمرة ، وأوسع هجرة ، وأعطى للبررة . وهم أعظم أعلاماً ، وأوفى زمماً وأكثر أعلاماً ، وأجود كفاً ، وأحسن عطفاً ، وأيمن لواءاً ، وأصدق حياةً ، وأكرم إخاءاً . صُبُر تحت الرايات ، وأكرم عند البيات .

أهل البصرة أكثر عدة ، وأجود عدة ، وأكرم سجية ، وأقسم بالسوية ، وأحسن سياسة للرعية . وأقرب من ورع ، وأحضر للجُمع ، وأقل عند الطمع . أهل البصرة أسمع وأطوع وأرضى وأمنع . وهم أطيب ثماراً ، وأكثر أشجاراً ، وأكرم أنهاراً . وأجزل عطية ، وأكرم بقية ، وأشد عصبية ، وأكثر غنماً ، وأحسن سلماً ، وأطيب طعماً ، وأصدق ثبات ، وأكرم هبات ، وأفضى للحاجات . وأحسن أخلاقاً ، وأشد

إشفاقاً، وأملئ رواقاً. وأحلم في الغضب، وأصبر في الكرب، وأجمل في الطلب. أهل البصرة أصبر للبلية، وأحمل للرزية، وأكرم خيبة. وهم أحمل للديات، وأسرع في الخيرات، وأطعم في الفلوات. وهم أكثر للذهب، وأركب للقتب، وأشهر في العرب. وهم أركب للبحور وأحسن في الأمور، وأصبر في الثغور.

ذم أهل البصرة:

قال كعب لأبي مسلم: من أين أنت؟ قال: من أهل العراق. قال: من أيها؟ قال: من أهل البصرة. قال: إذا رأيت نخلها قد أطعم فأخرج منها. قال: فإن لم أستطع ذلك؟ قال: فإذا رأيت آجامها قد اتخذت بساتين فأخرج منها. قال: فإن لم أستطع. قال: إذا تناول أهلها في بناء المدر فأخرج. قال: فإن لم أستطع. قال: فعليك بضواحيها وإياك وسباخها فإنه سيكون بسباخها خسف.

وقال قتادة: يخسف بالدار وتنجو الدار. ويخسف بالحي وينجو الحي.

وروي عن أسود العدوي، قال: قال عطر بن الخطاب: أريد أن آتي البصرة فأقيم فيها شهراً. فقال له كعب: لا تأتها^(١). فإن بها تسعة أعشار الشر والداء العضال، وبها تكون الفتن، وفيها يخرج الدجال.

وعن أبي مجلز قال: ائتفتك البصرة مرتين ولتأتفكن الثالثة.

وقال أبو موسى: للبصرة أربعة أسماء، الخريبة والبصيرة وتدمر والمؤتفكة.

وكان كعب الأحبار يقول لشبعن الضبع من النوا^(٢) في مسجد البصرة والقرى حولها عامرة.

وقال أبو غيلان: البصرة يسلط عليهم القتل الأحمر، والجوع الأغبر. وأما مصر فينضب [٩ ب] نيلها.

(١) في الأصل: لا تأتيها.

(٢) كذا في الأصل.

وكان ابن عمر يقول: البصرة أسرع أرض الله خراباً، وأخبثه تراباً. قيل: فما بال الكوفة؟ قال: يأتي الله بأمره إذا شاء.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لتغرقن البصرة أو لتحرقن إلا بيت مالها ومسجدها.

وقال عبد الله الضبي: سمعت علياً عليه السلام يقول: ويحك يا بصرة لتغرقن أو لتحرقن حتى يرى بيت مالك ومسجدك كجؤجؤ سفينة^(١).

وقال قتادة: لتغرقن البصرة وأهلها كثير. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يظهر منافقوها على مؤمنيتها فيخرجون منها رجالاً وركباناً. وأنشد لمحمد بن حازم:

تَرَى الْبَصْرِيَّ لَيْسَ بِهِ خِفَاءٌ لِمُنْخَرِهِ مِنَ التَّنِ انْتِشَارُ
رَبَا يَبْنِي الْحُشُوشَ وَشَبَّ فِيهَا فَمِنْ رِيحِ الْحُشُوشِ بِهِ أَصْفَرَارُ
يَعْتَقُ سَلَحَهُ كَيْمَا يُغَالِي بِهِ عِنْدَ الْمَبَايَعَةِ التَّجَارُ

ولما افتتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة ارتقى منبرها فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: يا أهل البصرة! يا بقايا نُمود ويا جند المرأة ويا أتباع البهيمة. رغا فاتبعتم، وعقر فانهزمت. دينكم نفاق، وأخلاقكم رقاق، وماؤكم زعاق. يا أهل البصرة والبصرة والسبخة والخريبة! أرضكم أبعد الأرض من السماء، وأقربها من الماء، وأسرعها خراباً وغرقاً^(٢).

وكان خالد بن ميمون يقول: البصرة أشد الأرض عذاباً، وأسرع خراباً وشره تراباً.

وسأل الحجاج بن يوسف، ابن القرية عن البصرة فقال: حرها شديد، وخيرها بعيد. وماؤها ملح، وحربها صلح. مأوى كل فاجر، وطريق كل عابر.

وكان الأوزاعي يقول: نظرت فيما اختلف فيه العلماء من أهل البلدان وفُتِنُوا

(١) نهج البلاغة ٥٦.

(٢) نهج البلاغة ٥٥.

به، فرأيت أهل البصرة قد فتنوا بخصلتين: الخضضة والقدر. وفتن أهل الكوفة بخصلتين: شرب المسكر وتأخير السحور. وفتن أهل الشام بخصلتين: طاعة [١٠] الظلمة، وأخذ الجوائز، وفتن أهل مكة بخصلتين: تزويج المتعة والدرهم بالدرهمين. وفتن أهل المدينة بخصلتين: حب السماع وإتيان النساء في الأدبار.

وقال ابن شبرمة لأهل البصرة: لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة. ولكم سفه السند وبخل الخوز وحمق أهل عمان.

وقال ابن شوذب: أول منبر يصعده الدجال منبر البصرة فيقول: أيها الناس من كان غنياً زدناه، ومن كان فقيراً موئلناه.

وقال عبد الله بن عباس: إذا كثرت القلدية بالبصرة انتفكت بأهلها، وإذا كثرت السبائية^(١) بالكوفة انتفكت بأهلها.

واستشار رجل ابن مسعود في سكون البصرة فقال له: إن كنت لا بد فاعلاً، فاسكن رايبتها ولا تسكن سبختها فإنه قد خسف بها مرة، وسيخسف بها أخرى. والخسف الذي كان بها، أنه كان بها خمسة حكام أسماؤهم: جائر وجابر وخطيء ومخطي وحمال الخطايا. فخرج رجل معه امرأة له حامل على حمار له حتى أتاها، فلما دخلها منعه جائر وقال: لا تدخل حتى تؤدي درهمين. فأخذ منه درهمين. فتظلم وقال: أنا رجل فقير وقد أخذ مني درهمان^(٢). فما أحد يعديني على من أخذهما مني؟ فقالوا: بلى، جابر. فأتاه فشكا إليه. فقال له هات أربعة دراهم. فأخذها منه مكرها. فأتى خطيء يشكوها إليه، فقال: هات ثمانية دراهم. فأخذها منه فأتى مخطيء فقال: هات ستة عشر درهماً. فقال أنا إنسان مسكين لا شيء لي. فضربه وضرب امرأته حتى أسقطت، وقطع ذنب حماره. فأتى حمال الخطايا فشكا إليه ما حل به من إسقاط امرأته وقطع ذنب حماره. فقال

(١) في الأصل: السبائية.

(٢) في الأصل درهمين.

لأصحابه: انكحوا امرأته حتى تحبل، واعملوا على حمارة حتى ينبت ذنبه.
فخسف الله بها.

ويروى أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دخل البصرة صعد المنبر وخطب وقال في خطبته: يا أهل البصرة! إن الله لم يقسم خيراً [١٠ ب] لأحد من أهل الأرض إلا وقد جعل فيكم أكثر منه. فعابذكم أعبد الناس، وقارثكم أقرأ الناس. غير أن حكم الله فيكم وفيمن مضى قبلكم جائز بقوله عز من قائل ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً﴾. كان ذلك في الكتاب مسطوراً. والله، ما ابتدأتكم بما ابتدأتكم به من المدح رغبة مني لما في أيديكم. غير أنني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أما علمت أن جبريل عليه السلام حمل جميع الأرضين على منكبه الأيمن فأتاني بها. ألا وإني وجدت البصرة أبعد بلاد الله من السماء وأقربها من الماء وأخشب تراباً وأسرع خراباً، ليأتين عليها يوم لا يؤتى منها إلا شرفات مسجدها كجوج السفينة في لجة البحر، فقال المنذر بن الجارود: ولذلك يا أمير المؤمنين، ومن ذاك؟ قال: إذا رأيتم آكامها خدوراً، وآجامها قصوراً، فلا بصرة. ثم قال: كم بينكم وبين أرض يقال لها الأبله؟ قالوا: أربعة فراسخ. فقال: صدقني والذي عجل روجه إلى الجنة وأكرمه بالنبوة فقال: يا علي أما علمت أن بين البصرة وبين أرض يقال لها الأبله أربعة فراسخ، يكون في ذلك الموضع العشور، ينبغي أن يقتل فيه سبعون ألفاً هم نظراء قتلى بدر، فليل ومن يقتلهم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخوان الجن، إخوان الجن، ثم قال: ويحك يا بصرة! ويحك لك من جيش لا غبار له. قيل: يا أمير المؤمنين ما الويح؟ قال: الويح والويل بابان، فالويح رحمة والويل عذاب.

مجلس الكوفيين والبصريين عند المأمون^(١)

كان المأمون يوماً جالساً وعنده نفر من خاصته وذوي المنزلة عنده. فأفاض معهم في الحديث ثم قال: قد قرأت القرآن فحفظته وسمعت الحديث وعلمت

(١) عن مفاخرة البصرة والكوفة والبصريين والكوفيين انظر أيضاً مروج الذهب ٣: ٣٣٠ - ٣٣١.

الأدب وناظرت المتكلمين، فلم يبقَ شيء من العلم إلا وقد كشفت ظاهره وفتشت باطنه [١١] إلا ما يتنازع فيه أهل الكوفة والبصرة، من فخر بعضهم على بعض. وقد أحببت أن تتكلموا في ذلك حتى أسمع.

فقال هشام^(١): أيد الله أمير المؤمنين. ما زلنا نسمع أن أهل البصرة أبعد في الأرض آثاراً وأكثر فتوحاً وأبلغ خطيباً وأكثر أدباً، والبصرة قبل الكوفة.

قال الحجاج بن خيثمة: أبقى الله أمير المؤمنين، وكيف يكون أهل الكوفة أشرف من أهل البصرة وعندنا من معايبهم والطعن عليهم ما لو سمعه أمير المؤمنين لعجب منه وسيئاً ما صنف فيهم شيخ لأهل البصرة يكنونه أبا عبيدة؟

فقال أحمد بن يوسف^(٢): أيد الله أمير المؤمنين، أبو عبيدة وأهل البصرة كما قال الفرزدق:

جَرِيرٌ وَقِيسٌ مِثْلُ كَلْبٍ وَثَلَّةٌ يَبِيتُ حِوَالِيهَا يَطُوفُ وَيَنْبَحُ .

وأبو عبيدة يهودي من يهودهم كان قال لأبيه موزجير اليهودي ليس له قديم ولا حديث ولا أول ولا آخر. عاب أنسابهم وتناول أحسابهم وشتم الأمهات والآباء وذكر الأخوة والأخوات، وعاش بينهم سبعين سنة يشتم أعراضهم وينتھك أحسابهم.

فقال أحمد بن هشام: أنتم لا تعتدون على أهل البصرة أنهم عابوكم ولا شتموكم بأكثر من قول أبي عبيدة. فإن أردتم الانتقام فليكن ذلك فيه، لأن الله عز وجل يقول ﴿وإن عاقبتُم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾.

فقال المأمون: قد كنت أعلم أن عندكم اختلافاً وافتخاراً. ولم أكن أحسبه بلغ هذا، والكلام كثير، وقد رأيت أن يدلي كل فريق بحجته ويكتبه كاتب حفيظ.

(١) هو أحمد بن هشام أحد أفراد حاشية المأمون، وكان على شرطة طاهر بن الحسين. (الطبري ٨: ٣٩١ وابن الأثير ٦: ٢٤٢).

(٢) أحمد بن يوسف: كاتب المأمون (ابن النديم ١٣٥ واعلام الزركلي ١: ٢٧٢).

فقال الخليل بن هشام^(١): اكتبوا ما شئتم ولا تنسوا خذلان علي وقتل الحسين عليهما السلام.

فقال العباس: لقد أمسكنا عن مساوئكم وقلنا بأحسن ما حضرنا من أمركم، فأتيتم الآن تهيجونا على أنفسكم، كقول الأخطل: [١١ ب]

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت قدَّلت عليها صوئها حيَّة البحر

قال أحمد بن يوسف: يا أمير المؤمنين. هو أعلم بمآثر الكوفة ومفاخرهم مني. وأنا أعلم بمعائب أهل البصرة والطعن عليهم منه. فقال: قل ما أحببت.

فقال أحمد: ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. إنا وجدنا أهل البصرة فتقوا في الإسلام فتوقاً وابتدعوا من الضلالة بدعاً، وبنوا من الباطل مناراً. إثم ذلك في أعناقهم، وعاره باق في أعقابهم. ولو استقصينا القول في ذلك كان كثيراً. ولكننا نذكر بعض ما لا يجوز تركه، ونترك ما يستغنى عن ذكره. فكان من ذلك: إنهم أول شهود ردت شهادتهم في الإسلام. وهم شبل بن معبد البجلي ونافع بن الحارث وأبو بكرة نفيح بن مسروح^(٢) حين شهدوا على المغيرة بن شعبة، فحدَّهم عمر بن الخطاب. ومنهم أول قسامة شهدت على زور وباطل، وذلك عند الجواب حين قالت عائشة رضي الله عنها - وقد سمعت نباح كلاب الحوَّاب: أي مكان هذا؟ فقبل لها الحوَّاب. فقالت: ردوني، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أي نسائي تنبِّحها كلاب الحوَّاب. فجاء خمسون شيخاً ممن تلقاها من البصريين فحلفوا لها ما هو الحوَّاب. ومنهم أول ساع سعى وغماز غمز وهو أبو

(١) شقيق أحمد بن هشام واحد رجالات دولة المأمون وقادة الجيش، ولي له قم والجبل وأصفهان وآذربيجان، ثم غضب عليه المأمون وصادر أمواله وسلاحه وقتله بعد ذلك عام ٢١٧ هـ بعدما بلغه عن ظلمه وأخذه الأموال (ابن الأثير ٦: ٢٥٧، ٣٩٩، ٤٢٠، ٤٢١).

(٢) في الأصل: وأبو بكرة ونفيح. والتصحيح من (عبد الله بن سبأ ١: ٢٣٢) حيث فصل هذه الواقعة تفصيلاً.

المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعو الكلابي حين كتب إلى عمر شعراً، يسعى بعماله . يقول فيه :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فانت أمين الله في الحال والأمر
فأرسل إلى النعمان وابن معقل وأرسل إلى حزى وأرسل إلى نشر
فأرسل إليهم يصدقوك ويخبروا أحاديث مال الله ذي العد والذئر
وقاسنهم نفسي فداؤك إنهم سيرضون إن قاسنهم منك بالشطر

[١٢] فكانت هذه أول سعاية في الإسلام، وذلك باقٍ فيهم إلى اليوم . ومنهم أول عمال أقرؤا بالخيانة في الإسلام، لأن عمر قال لهم : إن شئتم فتشتكم وإن شئتم صالحتكم . فقالوا : تصالحننا . فقاسمهم أموالهم . منهم النعمان بن عدي بن نقلة قرشي عدوي ، وعبد الله بن معقل المزني وعبد الله بن جزي والسعد بن عمر والأحنف بن قيس وبشر بن المعيص المزني والحجاج بن عثمان الثقفي .

ومنهم أول شهود ردّ شهادتهم حكم رسول الله (ﷺ)، ثم أخذوا على شهادتهم الجعالة والرشي . والمنذر بن الزبير وأبو مريم السلولي وغيرهما شهدوا أن أبا سفيان أقرّ عندهم أنه فجر بأُم زياد، وزعم أبو مريم أنه هو كان القواد الذي جاء بسمية إلى أبي سفيان . فردّ معاوية بشهادة هؤلاء حكم رسول الله (ﷺ) (الولد للفراش وللعاهر الحجر) . فجعل الحجر للفراش وللعاهر الولد .

وهم أول من تابع إمام هدى ثم خالفوه ونكثوا بيعته وذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .

وهم أول من جرى عليه حكم الحرب في الإسلام حين قتلهم الله بأيدينا يوم الجمل . فقال أمير المؤمنين رضي الله عنه : لا تتبعوا مولياً ولا تجيزوا على جريح^(١) . وأخذ ما في بيوت أموالهم فقسّمه بيننا، فأصاب كل رجل منا خمسمائة

(١) في (الجمل) للشيوخ المفيد ص ٢١٦ لا تجهزوا على جريح .

درهم وفي ذلك قال شاعرنا:

فلإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يومَ الجَمَلِ
إبعث الكوفي في الخيل ولا تبعث البصري إلا في الثقل

ومنهم أول من أجار ثم غدر في الإسلام وهو المجاشعي الذي أجار الزبير بن العوام حين انصرف من وقعة الجمل ثم غدر به حتى قُتل.

ومنهم أول من ارتد عن الإسلام وهم بنو ناجية، تنصروا بعد الإسلام، فبعث إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه [١٢ ب] معقل بن قيس الرياحي فقتل المقاتلة وسبى الذرية.

ومنهم من عطل حدود الله وهو عبد الله بن عامر بخراسان في خلافة عثمان بن عفان، ف قيل له: عطلت الحدود. فقال: أنا أعطيهم مالي وهم يذمونني، فكيف لو ضربت ظهورهم؟

ومنهم أول من خرج على المسلمين وهم أصحاب عبد الله بن عامر بخراسان.

ومنهم أول من ردّ قول رسول الله (ﷺ) (من انتفى من أبيه فعليه لعنة الله) فكان ذلك زياد وهو منهم.

وهم أول من ردّ قول النبي (ﷺ) (لا حلف في الإسلام) فتحالفت الأزد وبكر بن وائل. وكان الذي عقد الحلف مالك بن مسمع. فقال له الأحنف: يا مالك أحلف في الإسلام؟ فقال مالك: أدعوه في الإسلام وقد قال الله ادعوهم لأبائهم؟ - يريد أمر زياد.

ومنهم أول من انهزم في الإسلام هزيمة محلية وهو سلمة بن زرعة، انهزم من مرداس الخارجي. فصاح به الصبيان في الطرقات: يا سلمة! قد جاء أبو بلال مرداس. فحرد من ذلك. وزاد عليه الأمر حتى أقام في منزله ولم يخرج حتى مات.

ومنهم أول من عُرف بالتطفيل وهو الجارود بن سبرة الهذلي . كان يجيء إلى موائد الأمراء والأشراف من غير أن يدعوهم . وكذلك كان إمام مسجدهم سعيد بن أسعد الأنصاري إذا كانت وليمة سبق إليها .

ومنهم أول من أعلن الفاحشة وأقر على نفسه بالأبنة والفضيحة جحشويه^(١) .

وهم المقدمون على الناس بالحمق ، المعروفون بالنوك . منهم هبنقة القيسي وهو الذي يضرب به المثل حتى قيل (أحمق من هبنقة) . وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : أما بعد ، فاحذر أهل بلدك فإن أكثر أهلهم تميم وهم بخيل . وبكر بن وائل وهم كذب . وإن في الأزدي لموقاً . فهذا قول عمر فيهم خاصة . ولو كان عرف ذلك في أهل الكوفة لكتب إلى سعد [١٣ أ] بن أبي وقاص .

ومن حمقهم أن أباخيرة القشيري كان مملقاً فخدعه الفرزدق وأمره أن يبيع ابنته من المهلب على أنها وصيفة له : فبيأها ثم ذهب بها إليه وعرضها عليه ، فوعدت بقلبه واستام عليه بها مائة ألف فأخذها منه بما قال . فقال الفرزدق للمهلب : إن أبا خيرة إنما باعك ابنته . قال : كذبت . فأرسل إليه فسأله ، فقال نعم ، لم أطمع أن أزوجه فبعتهك بيعاً خالاً . فوقف على جهله فقال : قد جعلت المائة ألف مهرها . فولدت له محمداً وأبا عبيدة .

ومن حمقهم ما ذكره الشرقي بن القطامي قال : كان رجل من أهل البصرة جالساً مع امرأته فدعا الحجام ليحجمه ، فلما وضع المحاجم على عنقه شرطه وهو غافل ، فضرط . فضحكت امرأته . فأخذ السيف وضرب الحجام فقتله . فصاحت امرأته واجتمع الناس فأخذ وأتى به عبيد الله بن زياد وهو على البصرة . فقال : لم قتلت هذا ؟ قال : لأنه يشرط ولا يحذر .

ومن حمقهم أن شيخين من الأزدي تنازعا في شيء ، فقال أحدهما لصاحبه : والله لو كان غيرك . قال : فأنا غيري . قال : أنت غيرك . قال نعم . فرفع يده ولطم عينه .

(١) انظر عنه الحيوان للجاحظ ٤ : ١٨١ ، ٦ : ٢٦١ .

ومن حمقهم أن مصعب بن الزبير لما أراد المسير إلى المختار بعث إلى الأحنف بن قيس بمائة ألف درهم وقال سِرْ معي. فأمر الأحنف بفسطاطه فضرب في العسكر. فبلغ ذلك زيرا جارية الأحنف وكانت صاحبة أمره فقالت: ما أرسل إليّ مصعب شيئا؟ قيل: لا. فجاءت حتى دخلت على الأحنف وبكت ثم قالت: أبعد قتالك المشركين ومواقفك المحمودّة في بلد العدو، تخرج إلى المسلمين ومن يطلب بثأر أولاد النبي عليهم السلام تقاتلهم؟ قال: صدقت زيرا. قوَّضوا^(١) فسطاطي. ففعلوا. فبلغ ذلك مصعباً فقال: ما الذي دهاه؟ [١٣ ب] فخبروه بقصة زيرا. فبعث إليها ثلاثين ألف درهم. فجلست بين يدي الأحنف ثم قالت: أمرٌ قد اجتمعت إليه العرب والأشراف، ويومٌ من أيامهم المذكورة، له ما بعده، تغيب عنه فيخمل ذكرك ويدرس اسمك؟ قال: صدقت زيرا. أعيّدوا فسطاطي، فأعيد.

ومن حمق الأحنف أنه جرى بينه وبين الحتات كلام فقال له: إنك لضئيل، وإن أمك لورهاء، وإن خالك للثيم. فقال له الأحنف: إنك لجلف جاف، وما فيك من شيء إلا أنك ابن دارم. اسكت يا ذبابة. فطرح الحتات ثيابه بين الناس وقال: هل ترون شيئا؟ فبلغ من حمق الأحنف أنه كذب كذباً كُذِبَ به قبل أن يبرح.

ومن حمقه: أن الحسن بن علي رضي الله عنهما كتب إليه يستنصره فقال: قد بلونا حسناً وأبا حسن فلم نجد عندهما أبالة للملك ولا سبباً للحرب ولا خيانة للمال الأمر هاهنا - وأشار بيده إلى الشام - فخذل الناس عن الحسن رضي الله عنه. ثم شخص مع من شخص أمثال الحسين رضي الله عنه فقامت ركابه فكان ذلك سبب تخلفه.

ومن حمقه: أنه حين نزل به الموت قيل له ما تشتهي؟ فلم يقل رحمة الله. وقال: شربة من ماء الغرير. وهو ماء رديء لبني سعد. فترك ما ينفعه وتمنى ما لا يرجع إليه منه نفع في دنيا ولا آخرة.

(١) قوَّضوا: إجمعوا.

ومثل قتادة عن الأحنف فقال: كان ممن زف سجاح إلى مسيلمة الكذاب.

ومن حمق أهل البصرة: أن الحبل لما اضطرب عند موت يزيد بن معاوية، قام عبيد الله بن زياد على منبر البصرة فقال: أيها الناس: إنه لا بد لكم من إمام يقاتل عدوكم ويجبي فيثكم ويقسم بينكم. فاختاروا رجلاً يلي أمركم حتى يصطلح أهل الشام على رجل فتدخلوا في اختيارهم. فقام إليه الأحنف فقال: أنت فكن ذلك [١٤ أ] الرجل. ثم ضرب يده على يده فبايعه وتتبعوا كلهم على ذلك.

ومن حمقهم: أن سفيان بن مسعود بن عمر الأزدي دخل على عبد الملك وافتدأ من عند الحجاج. فأراد أن يطريه ويعظم شأنه فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، قد خربنا من خوف الحجاج.

ومن حمقهم، أن الثاقف البكراوي كان فاجراً خليعاً فكان أن فسق برجل كرهنا أن نسميه. ولولا أن جحشويه كشف ذلك على نفسه ما ذكرناه. فَحَطَبَ الثاقف بنت المفعول به، وظن أن تزويجها لا يحل له لفسقه بأبيها. فأتى الحسن البصري وهو جالس والناس عنده فقال: يا أبا سعيد ما تقول في رجل نكح رجلاً، أيحل له أن يتزوج ابنته؟ فقال له الحسن: نعلك أردت أنه نكح أمها؟ قال: لا. أنا أدرى ما سعيث فيه. فأعرض عنه الحسن.

وليس في الأرض بصري يدخل الكتاب إلا وله كرسي يجلس عليه لنلا تأكل الأرض ثوبه.

ومن بخلهم أن صاحب باقلي كان في بعض سككهم فأخرجوه وقالوا: تعلم صبياننا الإسراف ويقتلهم الجوع لأنهم يشترون منك بخبزهم باقلي.

وأخرجوا غريباً كان نازلاً في بعض سككهم فقال لهم: أي شيء أجمت إليكم؟ قالوا: تأكل اللحم في كل يوم.

ولقي بعضهم صاحباً له: أعزني نعلك إلى الكلا بتعليق يريد أنه يعلقها بيده ويمشي ليظن الناس أنها منقطعة الشراك.

وليس في الأرض أهل بلد أطمع ولا أدق أخلاقاً وأنظر في الخطر الخسيس

منهم . فإنهم أول من جعل حب الأرز في الموازين . وأربع حبات أرز ، حبة شعير . ولا نعرف ذاك في شيء من البلدان إلا بلدهم .

ومن فضل الكوفة على البصرة : ان ملوك العرب والعجم طافوا الآفاق واختاروا البلاد فوق اختيارهم على الكوفة وما يقرب منها . من ذلك الأنبار نزلها دارا بن دارا وجذيمة الأبرش [١٤ ب] . ومنها بابل نزلها بخت نصر ومن كان قبله وبعده من الملوك . ومنها مدائن كسرى نزلها أردشير بن بابك ومن بعده من ملوك فارس إلى يزيدجرد . ومنها الخورنق نزل بهرام جور والنعمان بن الشقيقة وغيره من ملوك العرب . ومنها الحيرة نزلها عمرو بن عدي وولده بعده إلى عمرو وقابوس ابني المنذر ، والنعمان بن المنذر ، وإياس بن قبيصة الطائي حتى جاء الله بالإسلام . وإنما كانت البصرة منازل ينزلها الجند مثل منجشان صاحب المنجشانية ومن أشبهه من السقلة والرعا .

وهم الذين شخصوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقال الأحنف يا أمير المؤمنين . إن إخواننا من أهل مصر نزلوا منازل فرعون ، وإن إخواننا من أهل الشام نزلوا في منازل ملوك الروم ، وإن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا بين حيرة النعمان ومدائن كسرى في مثل حواء الناقة أو حدقة البعير الغاسقة في جنان خصبة وأنهار عذبة تأتيهم ما يأتيهم من رزقهم غريضا غضا . وإنا نزلنا في سبخة هشاشة نشاشة زعفة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها عسفتها الفلاة من خلفها وخنقها البحر الاجاج من أمامها ، يأتيها ما أتاها في مثل حلقوم النعامة . فلا يزيد من الفخر عليهم بطيب المنازل إلا بما أقر به صاحبهم . ولم يزل أهل البصرة يشربون الماء المالح حتى وليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فحفر لهم نهرا من البطيحة فهم يسمونه نهر ابن عمر ، وفيه يقول بشار في شعر طويل :

لا نشرب الماء إلا قال قائلنا نِعَمَ الأميرُ ، فداءُ السمعُ والبصرُ
روى من العذبِ هاماتٍ مُصَرَّدَةٍ قد كان أزرى بهنَّ الملحُ والكدرُ

وقال شاعرنا يصف الكوفة وطيب هوائها وأن الشام ارتفعت عنها والبصرة
سفلت منها:

سَفَلْتُ عَنْ بَرْدِ أَرْضٍ زَادَهَا الْبَرْدُ عَذَابَا
وَعَلْتُ عَنْ حَرِّ أَرْضٍ تَلْهَبُ النَّارَ التَّهَابَا
مَزَجْتُ حَرًّا بِبَرْدٍ فَصَفَا الْعَيْشُ وَطَابَا

ولم يزل عمال العراق ينزلون الكوفة يرونها [١٥ أ] عذب ماء وأصفى هواء
وأطيب تراباً. وكل الأرض يجعلها الله للمسلمين طهوراً. ومسجداً إلا أرض
البصرة فإنه ليس يستطيع أحد أن يتيمم ولا يصلي على أرضها لقذرها وفسادها
وكثرة سمارها. وما نزلها من أمراء العراق أحد إلا الحجاج مُدَيِّدَةً ثم تحول إلى
واسط. ومسلمة بن عبد الملك أياماً حين قتل يزيد بن الأسدي. فأما الكوفة فأكثر
الولاة كانوا ينزلونها ويقيمون بها ولا يمضون إلى البصرة إلا لحادثة تحدث، أو
فتق يُحذَر. كان خالد بن عبد الله القسري يسميها الذفراء. وكذلك يوسف بن
عمر.

مَرْجِعُهَا كَمَا فِي بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ

ولما ولي يزيد بن عمر بن هبيرة العراق، لم يختر شيئاً على الكوفة وبني عند
قنطرتا مدينة وسمها الهبيرة وهي المعروفة بقصر ابن هبيرة. ولم يزل مقيماً
بالكوفة حتى جاءت الدولة الهاشمية فتحول إلى واسط.

ومن الكوفة ظهرت دولة بني العباس وفيها كان وزيرهم وبها عُقد لهم
الملك.

والكوفة بمنزلة العين من الرأس، والبصرة بمنزلة الكراع من الأديم. ثم ترك
المهدي الكوفة وبني القصر الأبيض بالحيرة وهو الذي كان النعمان بن المنذر
ينزله، وبني بها قصر أبي الخصيب على طرف النجف وفيه يقول الشاعر:

يَا دَارُ غَيْرِ رَشْمَهَا مَرُّ الشَّمَالِ مَعَ الْجَنُوبِ
بَيْنَ الْخُورَنَقِ وَالسَّيْدِ قُصْرُ أَبِي الْخَصِيبِ

فَالدِيرِ فَالنَجْفِ الْأَشْمَ حَيْالَ أَرْيَابِ الصَّلِيبِ

وَلَا يَحْتَاجُ عَلَيْنَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَنْ أَحَدًا مِنْ وَلَاةِ الْعِرَاقِ نَزْلُهَا إِلَّا زِيَادًا وَعَبِيدُ اللَّهِ ابْنَهُ . فَإِنَّهَا كَانَتْ وَطَنَهُمَا وَمَشْتَاهُمَا . وَلَمْ يَكُونَا عَلَى نَتْنِهَا وَمَلُوْحَةِ مَائِهَا وَشِدَّةِ بَخْرِهَا وَكَثْرَةِ بَقَّهَا وَكَدُورَةِ هَوَائِهَا وَفَسَادِ طَبِئَتِهَا ، يَطِيلَانِ الْمَقَامَ بِهَا . بَلْ كَانَ أَكْثَرُ مَقَامَهُمَا بِالْكُوفَةِ . وَبِحَسْبِكَ أَنْ السَّمَكُ فِي نَهْرِهَا لَا يَصْبِرُ عَلَى مَلُوْحَةِ الْمَاءِ حَتَّى يَشْتَقِلَ . فَإِذَا كَانَ سَمَكُ الْبَحْرِ لَا يَصْبِرُ ، فَكَيْفَ يَنْبَغِي لِلذَّوِي الْعُقُولِ أَنْ يَفْخَرُوا بِهَا؟

[١٥ ب] وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ بَلَدِنَا عَلَى بِلَدِهِمْ إِلَّا أَنَّا لَا نَحْتَاجُ إِلَى دَبَاغِ الْعَنْصِ وَقَشُورِ الرِّمَانِ فِي الصَّيْفِ ، لَكَانَ ذَلِكَ فَضْلًا عَظِيمًا . وَفِي الْحَدِيثِ (إِنْ الْفِرَاتُ وَدَجَلَةُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ) وَقَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِعَذُوبَتَيْهِمَا وَبِرُدَّتَيْهِمَا . وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنْ يَذُوقُوا مِنْهُمَا قَطْرَةً حَتَّى يَخْتَلِطَ بِهِمَا الْبَحْرُ الْأَجَاجُ . فَهَمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ . قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ» .

وَقَدَّمَ أَبُو شَذَقَمِ الْعَنْبَرِيُّ الْبَصْرَةَ فَمَلَحَ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَآذَاهُ تَهَاوُسَ رِيحِهَا وَكَثْرَةَ بَعُوضِهَا . ثُمَّ مَطَرَتْ السَّمَاءُ فَضَلَّاتٍ رَدَّغَاءً . فَقَالَ :

وَبُعْدَ شُقَّتَيْنَا يَا أُمَّ أَيُّوبَ	أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مِمَّسَانَا وَمَصِيبَنَا
يَزِيدُهُ طَبَعًا وَقَعُ الْأَهَاضِيبِ	وَإِنْ مَنْزَلْنَا أُمْسَى بِمَعْتَرِكِ
مَا قَصُرُ أَوْسٍ وَمَا سَخَّ الْمِيَازِيبِ	مَا كُنْتُ أَدْرِي وَقَدْ عُمُرْتُ مِنْ زَمَنِ
مَنْ نَحْوِ نَجْدٍ وَتَنْعَابِ الْغُرَايِيبِ	تَهَيَّجَنِي نَفَحَاتُ مَنْ يَمَانِيَةِ
مَجَالِسُ مَنْ بَنَى حَامٍ أَوْ الثُّوْبِ	كَأَنَّهُنَّ عَلَى الْأَجْدَالِ كُلِّ ضَحَى
أَوْ حَاجِزًا نَصْبًا غَضَّ الْيَعَاسِيبِ	يَا لَيْتَنَا قَدْ حَلَلْنَا وَادِيَا أُنْقَا
مَنْ مَاءٍ صَدَاءَ تَسْلِيٍّ ^(١) كُلِّ مَكْرُوبِ	وَحَبِذَا شِرْبَةً مِنْ شَنَةِ خَلْقِ
	وَآذَاهُ قَذَرُهَا فَقَالَ أَيْضًا :

(١) فِي الْأَصْلِ : تَعْلَى .

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى بلاداً بها سيحان برقاً ولا رعداً
بلاد تهبّ الريح فيها خبيثه وتزداد نثناً حين تمطر أو تندى
خليلي أشرف فوق غرفة درهم إلى قصر أوس فانظرون هل ترى قصراً؟

وقال أعرابي قدمها فتزل إلى جانب دار محمد بن سليمان :

هل الله من وادي البصرة مُخرِجي فأصبح لا تبدو لعيني قصورها
وأصبح قد جاوزت سيحان سالماً وأسلمني أسواقها وجسورها

[١٦]

ومربدّها المُذري علينا ترابه إذا شججت أبعالها وحميرها
ففضحي بها غبر الرؤوس كأننا أناسي موتى نبش عنها قبورها

وقال أبو تغلب يذكر نثنها وقذرها :

يا ربّ لا تشق نازل البصرة فهي على كل حالة قذرة
تأتيك منها إذا نزلت بها روائح من روائح العذرة

فقال علي بن هشام : يا أمير المؤمنين ! إن أحمد بن يوسف عدد عيوب البصرة ومثالبهم وترك ما على أهل الكوفة . فلئن كان الذي ذكر من أهل البصرة على ما ذكر فما يعرفه إلا خواص من الناس ممن نظر في الأمور وبحث عن المستور . فأما عيوب الكوفة فأوضح من النهار وأبين من الشمس ، تعرفها العاتق في خدرها والعجوز في مجراها والصبي في كتّابه .

قال المأمون : وأي شيء تعرف ؟

قال : عليّ أول ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال على المنبر : يا أيها الملأ المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم . ما عدت دعوة من دعاكم ، ولا استراح من قاساكم . كلامكم يوهن الصمّ الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الخود الكعاب . إن قلت لكم انفروا في الشتاء قلتم أمهلنا يذهب عنا الصر

والقر. وإن قلت لكم انفروا في الصيف، قلت أمهلنا تذهب عنا حمارة القيظ
وينسلخ عنا الحرّ. أعاليل بأضاليل. أية دار بعد داركم تمنعون؟ أم عن أي إمام
بعدي تقاتلون؟ في خطبة طويلة^(١).

فقال أحمد بن يوسف: إن أمير المؤمنين عليه السلام لما انتقضت عليه البلاد
وخالفه أكثر^(٢)، اختارنا لنفسه ورضينا لنصره. فكنا إذا أحسنّا دعا لنا وأثنى علينا.
وإذا أسأنا عاتبنا واستبطأنا كما يعاتب الرجل ولده. وإنك لتعلم يا أمير المؤمنين
إنه انحدر من المدينة يريد البصرة فنزل ذا قار ثم بعث إلينا فخرجنا لنصره على
الصعب [١٦ ب] والذلّول. فنصرناه قبل أن نراه، وآزرناه بعد أن رأنا. فكان يقول
عليه السلام: أنتم الشعار وأنتم الدثار، وفيكم محياي وعندكم مماتي. وكان
يقول: اختار الله لنبيه مكة، فاختر رسول الله عليه السلام لهجرته المدينة^(٣). وكان
يقول على منبر البصرة: يا أهل البصرة! يا أهل الحيرة. يا أهل تدمر. يا أهل
المؤتفكة اتتفكت بأهلها ثلاث مرات وعلى الله تمام الرابعة. يا جند المرأة، يا
أنصار البهيمة. رغا فأجبتهم وعقر فانهزمتهم. أخلاقكم رفاق وعهدكم نفاق وماؤكم
زعاق. وقد لعنكم الله ورسوله. فالعقيم بذنب والخارج عنها بنجاة^(٤).

قال علي بن هشام: فإن أهل الكوفة قتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
قتله ابن ملجم وكان نازلاً في دار الأشعث وتزوج قطام التميمية.

فقال أحمد بن يوسف: احتججت على نفسك. إن كان من أهل الكوفة،
فكيف ينزل دار الأشعث ويترك دار قومه؟ إنما هو رجل من مصر ممن كان مع
محمد بن أبي بكر رحمه الله. فلما قتله عمرو بن العاص ومضى جنده إلى علي
رضي الله عنه كان ابن ملجم فيهم.

قال عمرو بن الحارث: فإن أهل الكوفة قد قتلوا الحسين عليه السلام. وقد

(١) الخطبة كاملة في: الغارات ٢: ٤٧٦، ٤٨٣.

(٢) سقط هنا شيء من الكلام، لعله (الناس).

(٣) في الأصل: مدينة.

(٤) انظر: نهج البلاغة ٥٥ والجمال للمفيد ٢١٧ مع اختلافات يسيرة.

قتلوا زيد بن علي ويحيى بن زيد عليهما السلام وغروهما وخذلوهما.

قال العباسي: قد علم الناس أنه ليس في الأرض بلد أجمع أهله على حب بني هاشم إلا الكوفة. وما قتل أحد من بني هاشم في شرق ولا غرب إلا وحوله قتل من أهل الكوفة تختلط دماؤهم بدمه. فأما الحسين عليه السلام فإنه كتب إلى أشرافكم. فأما منذر بن الجارود فإنه أخذ الرسول وهو عبد الله بن يقطين^(١) الليثي فدفعه إلى ابن زياد فقتله، وذلك أن أنبته بحربة كانت عند ابن زياد. وكان من أمر الحسين عليه السلام ما كان. وما أكرم الله رجلاً أن يُسفك دمه [١٧ أ] معه فيكون في ذلك شرف الدنيا والآخرة. فهل سمع سامع بمثل أنصار الحسين وهم سبعون رجلاً لقوا جبال الحديد حتى قُتلوا حوله؟

قال الحجاج بن خيشمة: فإن الله قد أعطى أهل البصرة ما لم يعط أهل الكوفة. إن الماء يغدوا عليهم إذا غدوا إلى ضياعهم فيأخذونه إذا أرادوه. وإن استغنوا عنه حجبه.

قال أحمد بن يوسف: ما رأيت ذلك عندهم. فلم ينقطع أعناقهم من العطش فلا يشربون حسوتين إلا بالمنجنون^(٢) والإبل، فإن عطب بعير وانكسرت منجنونه أو أبطأ الموكل بذلك تعطلت السقايات. وإنما يقيم لهم الماء ساعة في أول النهار وساعة في آخره. وما أحد من أهل البصرة يشرب الماء العذب إلا أن يتصدق به عليه. ومتى كثر عليهم الماء خافوا الغرق وضربوا الفساطيط على المكان الذي يخشونه. وإن قل عطشوا حتى يمزجوا الماء بالخل من ملوخته. وإن المريض منهم ليقال له ما تشتهي؟ فيقول: الماء العذب. وهم يسمون ماءنا الماء الحي. وإذا قدم الغائب وكان طريقه على الماء العذب أخذ منه ليفرقه هدايا على أقاربه وأهله وإخوانه. وماؤهم صباية المياه ومفيض الأنهار.

وقال ابن عياش الهمداني لأبي بكر الهذلي يوم فاخره عند أبي العباس

(١) المعروف أنه ابن بقطر - أخو الإمام الحسين من الرضاة - (الطبري ٥: ٣٩٨، ٤٦٩).

(٢) المنجنون: الدولا ب التي يُسقى عليها (لسان العرب).

السفاح: إنما الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته. والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغييره وفساده.

وكان بالبصرة رجل من أهل الكوفة يقال له أبا المعذل بن غيلان ففاخرهم يوماً فقال: أستم تروون أن من بال في الماء القائم المبال أربعين صباحاً تغير عقله؟ قالوا: بلى. قال: فهو ذا أنتم يشرب أحدكم الماء القائم المبال فيه ثمانين سنة. فكيف تكون عقولكم مثل عقول أهل الكوفة؟ فما استطاعوا أن يجيبوه.

فقال عمرو بن الحارث^(١): فإن [١٧ ب] لأهل البصرة الرطب الذي ليس في الدنيا أكثر ولا ألذ منه.

فقال ابن يوسف: أما الكثير ليس بزائده في الطيب. ولو كان الكثير أطيب لكان بحر الإبل أطيب من الجوز. وأما الطيب، فإن أهل العراق اجتمعوا ليلة في سمر عند يزيد بن عمر بن هبيرة فقالوا: أي البلدين أطيب تمرأ الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان: بل تمرنا أطيب وأعذب، ولنا على أهل البصرة فضل العنب الرازقي في طيبه السونائي^(٢) في خللاته والخمري في رفته. فإذا فخر البصري بالعنب ذكر لهم عنباً يسمونه المتروري، وما رأيت الحصى قط يباع حتى رأيت هذا العنب يباع.

قال علي بن هشام: فإن لأهل البصرة فيلسوفي الإسلام اللذين استخرجوا النحو والعروض: أبو الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد.

فقال عمرو بن مسعدة^(٣): أما العروض فهو وإن كان علماً فما يحتاج إليه كثير من الناس، وليس من علم الأشراف. وأما النحو فإن أبا الأسود احتاج إليه لفساد السنة أهل البصرة. ولم يحتج أصحابنا لفصاحتهم. ولئن كان أبو الأسود

(١) عمرو بن الحارث بن يعقوب المتوفى عام ١٤٨ هـ (ابن الأثير ٥: ٥٨٩) فيكون هذا الكلام جزءاً من المفارقة التي وقعت عند أبي العباس السفاح.

(٢) في الأصل: السوناني. والصواب ما أثبتناه. وهو نسبة إلى سوناي من قرى بغداد.

(٣) أحد وزراء المأمون مات عام ٢١٧ هـ (مروج ٣: ٤١٧) ترجمته في ابن خلكان ٣: ٤٧٥.

تقدم في النحو، إن لأصحابنا الفصاحة في العلم بالقرآن والإعراب به والمعرفة بوجوه القراءات حتى أكثر القراء بقراءتهم يفرقون. ومنا الفقهاء والعلماء والأدباء والفصحاء والنجباء والشجعان والفرسان المذكورون والشعراء المعروفون.

قال علي بن هشام: فإن أبا عمرو بن العلاء من أنبل الناس وأفصحهم لساناً.

قال ابن يوسف: إن كان الناس يقولون: أبو عمرو الراوية كما يقولون حماد الراوية. فهو مثله إذ كان ديوان الشعر مجموعاً في قلبه. ومن مثل المفضل في رواية أشعار الشعراء وأشعار القبائل وأيام الجاهلية وأخبارهم؟ ومنا خالد بن كلثوم^(١) كان إذا علم شيئاً آذاه كما سمعه. [لا كمن]^(٢) كان يروي الخبر لا أصل له وربما زاد فيه ونقص منه.

قال عمرو بن الحارث [١٨]: فإن لأهل البصرة أبا بكر الهذلي أعلى الناس بالجاهلية والإسلام.

قال عمرو بن مسعدة: فأين هو من قبيصة بن ذؤيب الأسدي وعبد الملك المعيطي وعبد الله بن عياش الهمداني والحجاج بن أرطاة النخعي. وهم كلموه عند السفاح، فما تأتى له الرد عليهم.

ومنا الثقة المؤتمن هشام بن محمد بن سائب الكلبي الذي ملأ الآفاق علماً، وأبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي والهيثم بن عدي.

قال الحجاج: أوليس دغفل بن حنظلة الشيباني من أهل البصرة؟

قال ابن يوسف: فإن التجار العذري^(٣) كوفي بهلال بن الكيس الحميري وابن لسان الحمي التيمي ومحمد بن سائب الكلبي وهشام بن محمد والمنتوف والشرقي بن القطامي. وما منهم أحد إلا كما قال الأول:

(١) الكوفي (ابن النديم ١٧٧ و٧٣).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) لدى ابن النديم ١٠٨ (النجاد بن أوس العدوي) أو (النجار بن أوس العدواني).

وما كان بين الخافقين قبيلة يُقال أشتروهم، واحد فتبادله

قال الحجاج: فإن خطباء البصرة أخطب وأبلغ. منهم: عبد الله بن الأهم
وصفوان بن الأهم وخالد بن صفوان وثيب بن شبه.

قال عمرو: فأين هم من خطباء الكوفة مثل صعصعة بن صوحان والقعقاع بن
عمرو الأسدي ومصقلة بن رقة العبدي ومحمد بن المفضل السكوني وابنه خطباء
الرشيد وخطبائك يا أمير المؤمنين.

قال علي بن هشام: فإن الشعراء بالبصرة أشعر وأكثر منهم: جرير والفرزدق
وذو الرمة ويزيد بن الحكم والعجاج ورؤبة وأبو النجم. فهل لأهل الكوفة مثلهم؟

قال عمرو: أما جرير فإنه أعرابي صاحب عمود وبيت شعر كان يدخل
البصرة كما يدخل الكوفة. وكان أكثر دهرة باليمامة. ومنا الشماخ بن مزرد وليد
والعباس بن مرداس والكميت بن زيد الأسدي وعمرو بن شاس وضابئة البرجمي
والحطيئة وأبو محجن الثقفي وأبو شمال الأسدي وأبو زيد الطائي والنجاشي
الحارثي وأعشى همدان وعمرو بن معدى كرب وعدي بن حاتم وعروة بن زيد
الخيلى وابن [١٨ ب] مقبل والقطامي وكعب بن جعيل والجحاف بن حكيم وغيرهم
من الشعراء الموجودين.

قال عمرو بن الحارث: فإن الأسخياء بالبصرة أكثر منهم بالكوفة. منهم:
عبد الرحمن بن أبي بكرة وطلحة الطلحات فهل سمعت بمثلها؟

قال ابن مسعدة: فينا عدي بن حاتم الجواد بن الجواد. وعبد الملك بن
بشر بن مروان ومحمد بن عمير بن عطار.

قال عمرو بن الحارث: فإنه لم يلى^(١) العراق أحد من أهل الكوفة، وقد وليه
غير واحد من أهل البصرة منهم زياد وابنه ويزيد بن المهلب.

قال ابن مسعدة: هذا الحسن بن سهل معنا في المجلس، ومن قبله علي بن

(١) في الأصل: لم يلى.

أبي سعيد كلاهما قد ولي العراق. وثالثهما الفضل بن سهل ولي المشرق والمغرب ودُعي له على أكثر منابر الأرض في ولاية واحدة. فهل لأهل البصرة مثله؟

قال الحجاج: فمن أهل البصرة كُتِّب أمر العراق منهم صالح بن عبد الرحمن وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية وهو كاتب الحجاج بن يوسف. ومنهم المغيرة بن أبي قرّة كاتب المهلب. وشيبة بن أيمن كاتب يوسف بن عمر. وقحذم مولى أبي بكر كاتب يوسف. وهارون بن ياسين كاتب خالد بن عبد الله القسري. وجبله بن عبد الرحمن والقاسم بن سلم وعبد ربه بن أبي أيوب وابن أبي عبيدة وعمير بن أبي معن والمغيرة بن عطية وأخوه سعيد بن عطية.

قال العباس: أما صالح بن عبد الرحمن فهو مولى امرأة من أهل الكوفة من بني تميم. ولكن منّا زياد بن عبد الرحمن كاتب الحجاج. وسعد كاتب خالد. وعون كاتب خالد. ويونس بن مروة كاتب يوسف بن عمر. وعبد الجبار بن مغيث. والهيثم بن مسلم كاتباً عيسى بن موسى. وحماة بن موسى كاتب محمد بن سليمان. وكتاب الخلفاء منّا، لم يكتب لهم قط أحد من أهل البصرة. منهم يحيى بن زياد بن عبد الرحمن استكتبه المنصور وضمه إلى جعفر ابنه. وعمرو بن كليح وإبراهيم ومحمد ابنا حبيش. هؤلاء كُتِّب المنصور. وكتاب المهدي [١٩] علي بن يقطين وعمرو بن بزيع. وكتاب الرشيد: يحيى بن سليمان ومنصور بن زياد ومجاشع بن مسعدة ويوسف بن القاسم. ثم هؤلاء كتاب أمير المؤمنين^(١): الحسن بن سهل على الخراج، وعمرو بن مسعدة على الرسائل، وأحمد بن يوسف على الديوان بالجبل وخراسان، ومحمد بن عمران على ديوان البريد بالآفاق. وثابت بن يحيى منّا وإن كان قد نشأ بالري.

قال علي بن هشام: إن أبا عبيدة زعم أن علياً عليه السلام قام على منبر الكوفة فقال: إنكم تزعمون أن دابة الأرض^(٢) إن كنتم كاذبين فلا أماتكم الله

(١) أمير المؤمنين، أي المأمون.

(٢) يوجد نقص في العبارة.

حتى يخرج من أصلابكم نساء زواني.

قال ابن يوسف: كان علي عليه السلام اتقى الله وأرحم بعباده وأفقه في دينه من أن يقول هذا لقوم مسلمين. وأما الفجور فمعاذ الله أن يرمي به المسلمات. ولكن قد علم الله أن النهاريات والليليات لا يُعرفن في شيء من البلدان إلا بالبصرة. وليس بالبصرة شريف إلا وقد بنى في داره دكاناً تركب منه امرأته. وما بالبصرة امرأة جليلة إلا ولها حريف من المكاريين يخرجها إلى الأعياد والمواسم وقدم الولاية. وكل حدث يكون.

وما يحل للمسلمين أن يقدموا رجلاً من أهل البصرة يصلي بهم حتى يُحبس كما تحبس الإبل الجلالة سبعة أيام لأن غداء السماء. فضحك المأمون.

فقال علي بن هشام: أنت بالمعش أحذق وبه أرفق. ولكن بالبصرة أربعة بيوتات من بيوتات العرب ليس بالكوفة مثلها بيت: بيت بني الجارود، وليس في عبد القيس بالكوفة مثلهم. وبيت بني المهلب وليس في أزد الكوفة مثلهم. وبيت بني مسمع ليس في بكر الكوفة مثلهم.

قال عمرو بن مسعدة: أما بيت بني المهلب فإن النجاشي قال:

وكنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثَانِ
فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شُؤْءَةٍ وَأَمَّا الَّتِي شُلَّتْ فَأَزْدُ عُمانِ

[١٩ ب] وبالكوفة بيت بني مخنف بن سليم بن مزينة بن ماء السماء. ليس في أزد البصرة مثله. ولهم بعد ذلك من البيوتات الشريفة ما لا يحذ ولا يوصف. فمنهم بيت النعمان بن مقرن صاحب رسول الله (ﷺ). وقال النبي عليه السلام: آل مقرن من بيوتات الجنة. ومنهم حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله (ﷺ). ومنهم فرسان العرب الذين ادركوا الجاهلية والإسلام: عمرو بن معدي كرب وقيس بن مكشوح وعروة بن زيد الخيل والعباس بن مرداس وطلحة الأسدي والأشتر بن الحارث النخعي ومصقلة بن هبيرة وإبراهيم بن الأشتر وأبو بردة بن أبي موسى.

فنحن فينا بيوتات العرب وأشراف الجاهلية وفرسان الإسلام. خير الأقاليم إقليمنا
 وخير الإقليم بلدنا وخير الأنهار نهرنا وخير الصحابة فقهاؤنا. ومنهم أمير المؤمنين
 علي رضي الله عنه وابن مسعود وعمار بن ياسر وحذيفة اليمان، وسلمان منا.
 ومسجدنا المسجد الرابع في الفضل. مسجد كان من علي وسعد عامراً برهة، ومن
 عمار والرجال المهاجرين إلى الله من الأولين والآن. وفيه يقول السيد بن محمد
 الحميري:

لَعَمْرُكَ مَا مِنْ مَسْجِدٍ بَعْدَ مَسْجِدٍ	بِمَكَّةَ طَهْرًا أَوْ مَصَلًى يَشْرِبُ
لِشَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ عَلِمْنَا مَكَانَهُ	مِنَ الْأَرْضِ مَعْمُورٍ وَلَا مَتَجَنَّبٍ
بِأَيِّنْ فَضْلًا مِنْ مَصَلًى مَبَارِكٍ	بِكُوفَانَ رَحْبٍ ذِي أَوَاسِي وَمَخْصِبٍ
مَصَلًى بِهِ نُوحٌ تَأْتَلُ وَابْتَسَى	بِهِ ذَاتَ حَيْرُومٍ وَصَدْرٍ مُخْتَبِ
وَفَارَبَهُ الثُّورُ مَاءً وَعِنْدَهَا	لَهُ قِيلَ قُمْ يَا نُوحُ فِي الْفُلِكِ وَارْكَبِ
وَبَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ	مَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدُوبِ

[٢٠] وليس فينا قدرى ولا خارجي

فقال المأمون للبصريين: قد نظرت في أمركم وسمعت قولكم وفهمت
 احتجاجكم، فما لمتكم في جدال ولا مدافعة. ولكني رأيت مثلكم في مفاخرة أهل
 الكوفة كقول القائل:

يَا حَارٍ قَدْ كُنْتُ فِي عِزٍّ وَمَكْرَمَةٍ لَوْ أَنَّ مَعَاةً مِنْ جَارِيَتِهِ أَمَمُ

ثم دعا المأمون صاحب بيت حكمته فقال: اجعل هذا الكتاب في خواص
 كتبنا. ثم قال علي بن صالح للقوم انهضوا. فنهضوا وانقضى المجلس والحمد لله
 رب العالمين.

القول في واسط

وإنما ذكرنا واسط في هذا الموضع لأنها توسطت المصريين أعني البصرة والكوفة ولذلك سميت واسط.

وقال يحيى بن مهدي بن كلال: بنى الحجاج بن يوسف [واسط] في سنتين وكان فراغه منها في سنة ست وثمانين، وهي السنة التي مات فيها عبد الملك بن مروان.

ويروى أن ابن عمر بن عبد العزيز قال: إن الحجاج إنما بنى واسط إضراراً بالمصريين يعني الكوفة والبصرة. وقد أردت أن أهدم مسجدها وأخربها وأردّ كل قوم إلى وطنهم. فقال له أبو منبه: يا أمير المؤمنين! إن جلّ قومها فيها ولدوا وبها نشأوا، لا يعرفون غيرها، ومسجد جماعة قد قرأ فيه القرآن. فسكت.

وذكر بعض أهل الكوفة قال: سألت حازماً أبا عبد الله الضبي أن يشهد على دار اشتريتها بواسط فقال: لا أشهد على شيء بيع بواسط. قلت: ولم ذلك؟ قال: لأن الحجاج غصب عليها.

وذكرت واسط عند أبي سفيان الحميري وقيل ليس بها فاكهة. فقال: لأنها مشؤومة بناها رجل مشؤوم.

وقال أبو سفيان الحميري: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، قدمها سنة خمس وسبعين ومات سنة خمس وتسعين في شهر رمضان ليلة سبع وعشرين. وكانت ولايته في [٢٠ ب] أيام عبد الملك أحد عشر سنة، وفي أيام الوليد بن عبد الملك تسع سنين.

وكان قد ولي الحجاز ثلاث سنين وله ثلاثون سنة، ثم ولي العراق فمات وله ثلاث وخمسون سنة. ودفن بواسط على النبل. وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عمرو بن مسعود بن عامر بن معتب. وافتتح السند والهند بخراسان وسجستان، وولي الحجاز مكة والمدينة، وحج بالناس في حصار ابن الزبير سنة اثنين وسبعين. وقتل ابن الزبير في جمادى الآخرة وهو أول من ابتنى مدينة ألا وهي واسط، وأول من اتخذ المحامل وضرب الدراهم وكتب عليها قل هو الله أحد. وقال حميد الأرقط:

أَخَزَى الْإِلَهَ عَاجِلًا وَأَجَلًا أَوَّلَ عَبْدٍ عَمِلَ الْمُحَامِلَا
عَبْدَ ثَقِيفٍ ذَاكَ أَوَّلًا فَأَوَّلَا

وهو أول من ضرب له الخيس، وأول من أطعم على ألف خوان على كل خوان عشرة رجال وجنب شوي وثريدة وسمكة وبرنية عسل وبرنية لبن. وكان يقول لمن يحضر غداء وعشاء: رسولني إليكم الشمس، فإذا طلعت فاغدوا إلي غدائكم وإذا غربت فروحوا إلي عشائكم. وأول من أجاز بألف ألف درهم للجحاف بن حكيم. وولي العراق بعد بشر بن هارون. وقدم الكوفة وعليه قباء هروي أصفر متقلداً سيفه متنكباً قوساً معتماً بعمامة خبز حمراء لا ترى إلا عيناه. ولم يسلم عليه من أصحاب ابن الأشعث إلا الشعبي والغصبا بن يزيد^(١).

وقال بعضهم: صليت خلف الحجاج بالكوفة يوم الجمعة فعددت الناس خلفه فكانوا ستين نفساً.

قال: وقدم الحجاج العراق سنة خمس وسبعين ووليه عشرين سنة. وبنى واسط في ستين وفرغ سنة ست وثمانين وهي السنة التي مات [٢١] فيها

(١) كذا في الأصل. ويبدو أن الاسم هو (الغضبان بن القبعثرى الشيباني) وهو واحد ممن سجن بعد إخفاق ثورة ابن الأشعث ثلاث سنوات ثم أطلق سراحه (مروج: ٣: ١٤٧ - ١٥١).

عبد الملك. ولما فرغ كتب إلى عبد الملك: إني اتخذت مدينة في كرش الأرض بين الجبل والمصريين وسميتها واسط، فلذلك سمي أهل واسط الكرشيين.

وقال الأصمعي: وجه الحجاج الأطباء ليرتادوا له موضعاً. فذهبوا يطلبون ما بين عين التمر إلى البحر وجوار العراق. ورجعوا إليه وقالوا: ما أصبنا مكاناً أوفق من موضعك هذا في خفوف الريح وأنف البرية.

وكان الحجاج قبل اتخاذه واسط أراد نزول الصين من كسكر وحفر بها نهر الصين وجمع له الفعلة ثم بدا له، فعمر واسط ونزلها واحتفر النيل والزابي وسماه زابياً لأخذه من الزابي القديم. وأحيا ما على هذين النهرين من الأرضين، وأحدث المدينة التي تعرف بالنيل ومصرها، وعمد إلى ضياع كان عبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان استخرجها لنفسه أيام ولايته على خراج الكوفة مع المغيرة بن شعبة من موات مرفوض من مغايض وآجام، فضرب عليها المسنجات ثم قلع قصبتها ودخلها فحازه الحجاج لعبد الملك بن مروان.

وقال الوضاح بن عطاء: لقد رأيت المقصورة بواسط وإنه ليغشاها أربعون رجلاً شريفاً من آل أسلم بن زرعة الكلابي سدي

وحدث علي بن حرب الموصلي عن أبي البختري وهب بن عمرو بن كعب بن الحارث الحارثي قال سمعت خالي يحيى بن الموفق يحدث عن مسعدة بن صدقة العبدي قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن عن سماك بن حرب قال: استعملني الحجاج بن يوسف على ناحية بادوريا. فبينما أنا يوماً على شاطئ دجلة ومعني صاحب لي إذا أنا برجل على فرس من الجانب الآخر، فصاح باسمي واسم أبي. فقلت: ما تشاء [٢١ ب]؟ فقال الويل لأهل مدينة تبنى هاهنا. ليقتلن فيها ظلماً مبعون [ألفاً] ^(١). كرر ذلك ثلاث مرات ثم أقحم فرسه في دجلة حتى غاب في الماء. فلم أره. فلما كان قابل ساقني القضاء إلى ذلك الموضع فإذا أنا برجل على فرس، فصاح كما صاح في المرة الأولى، وقال كما قال وزاد: سيقتل

(١) تكملة من ياقوت (واسط).

فيما حولها ما يستقل الحصى لعددهم . ثم أقحم فرسه في الماء حتى غاب .
قال بعضهم : فكانوا يرون أنها واسط وما قتل فيها الحجاج من الناس .
ويقال إنه أحصى في حظيرة الحجاج بن يوسف ثلاثة وثلاثون ألف إنسان لم
يُحبسوا في دم ولا تبعة ولا دين . وأحصى من قتله صبراً فكانوا مائة وعشرين ألف
إنسان .

وقال الحسن بن صالح بن حي : أول مسجد بني بالسواد ، مسجد المدائن
بناه سعد وأصحابه ، ثم وسع بعد وأحكم بناؤه . وجرى ذلك على يدي حذيفة بن
اليمان بالمدائن . مات حذيفة سنة ست وثلاثين . ثم بُني مسجد الكوفة ثم مسجد
الأنبار . وأحدث الحجاج مدينة واسط في سنة ثلاث وثمانين أو سنة أربع ، وبني
مسجدها وقصرها والقبة الخضراء . وكانت أرض قصب فسميت واسط القصب .
ولما فرغ من بنائها كتب إلى عبد الملك : اتخذت مدينة في كرش الأرض بين
الجبل والمصرين وسميتها واسط . فلذلك سمي أهل واسط الكرشيين .

ونقل الحجاج إلى قصره والمسجد الجامع أبواباً من زندروود والدوقرة ودير
ماسرجيس وسراييط . فضج أهل هذه المدن وقالوا قد غصبنا على مدتنا وأموالنا ،
فلم يلتفت إلى قولهم . وحفر خالد بن عبد الله القسري المبارك^(١) .

قال وأنفق الحجاج على بناء قصره والمسجد الجامع والخندقين والصور
والقصر ثلاثة وأربعين ألف درهم . فقال له كاتبه صالح بن عبد الرحمن : هذه نفقة
كثيرة وإن حسبها لك [٢٢] أمير المؤمنين وجد في نفسه . قال فما تصنع ؟ قال
الحروب لها أحمل . فاحتسب منها في الحروب بأربعة وثلاثين ألف ألف درهم .
واحتسب في البناء تسعة ألف ألف درهم .

ولما فرغ الحجاج من حروبه استوطن الكوفة فأبغضه أهلها وأبغضهم ، فقال
لرجل من حرسه : امض فابتغ لي موضعاً في كرش من الأرض أبني فيه مدينة ،
وليكن ذلك على نهر جار . فأقبل يلتمس ذلك حتى صار إلى قرية فوق واسط بيسير

(١) من (ونقل الحجاج) إلى هنا في البلاذري ص ٢٨٩ .

يقال لها واسط القصب فبات بها واستطاب ليلها واستعذب أنهارها واستمرأ طعامها وشرابها فقال: كم بين هذا الموضع والكوفة؟ فقليل: أربعون فرسخاً. فقال: كم منها إلى المدائن؟ قال: أربعون. قال: فكم إلى الأهواز؟ قال: أربعون. فقال: هذا موضع متوسط. وكتب إلى الحجاج بالخبر ويمدح له الموضع. فكتب إليه: اشتر لي فيه موضعاً أبني به مدينة. وكان موضع واسط لرجل من الدهاقين يقال له داوردان. فساومه بالموضع فقال له الدهقان: ما يصلح للأمير؟ قال: ولم؟ قال أخبرك عنه بثلاث خصال، تخبره بها ثم الأمر إليه. قال: وما هي؟ قال: بلاد سبخة والبناء لا يثبت فيها، وهي شديدة الحر والسموم، وإن الطائر ليطير في الجو فيسقط لشدة الحر مبتأ، وهي بلاد أعمار أهلها قليلة. فكتب بذلك إلى الحجاج فكتب إليه: هذا رجل يكره مجاورتنا فأعلمه أنا سنحفر بها الأنهار، ونكثر فيها من البناء والغرس والزرع حتى تغدوا وتطيب. وأما ما ذكر أنها سبخة وأن البناء لا يثبت فيها فسنحكمه ثم نرحل عنه فيصير لغيرنا. وأما قلة أعمار أهلها فهذا شيء إلى الله عز وجل لا إلينا. وأعلمه أننا نحسن مجاورته ونقضي زمامه بإحساننا إليه.

قال: فابتاع الموضع من الدهقان وأبدأ في البناء سنة ثلاث وثمانين واستتمه في سنة ست وثمانين ومات في سنة خمس وتسعين.

ولما فرغ منه وسكنه أعجب به إعجاباً شديداً. فبينما هو ذات يوم في مجلسه [٢٢ ب] إذ أتاه بعض خدمه فقال له: إن فلانة - جارية من جواريه، كان ماثلاً إليها - أصابها كم^(١). فغتمه ذلك ووجه إلى الكوفة في إشخاص عبد الله بن هلال^(٢) الذي كان يقال له صديق إبليس. فلما قدم عليه عرفه الخبر فقال له أنا أحلّ [السحر] عنها. قال: افعل. فلما زال ما كان بها. قال له الحجاج: ويحك إني

(١) لم ولمة: مس من الجن (أساس).

(٢) أشهر السحرة في الفولكلور العربي. كان معاصراً للحجاج الثقفي زعموا (أنه صديق إبليس

وخنته وأنهم كانوا لا يشكون أن إبليس جده من قبل أمهاته) (الحيوان للجاحظ ١: ١٩٠ ومواضع أخرى منه) وابن النديم ٣٧١.

أخاف أن يكون هذا القصر محتضراً^(١). قال: أنا أصنع فيه شيئاً فلا ترى فيه أمراً تكرهه. فلما كان بعد ثلاثة، جاء عبد الله بن هلال يخطر بين الصفيين وفي يده قلعة مختومه. فقال: أيها الأمير تأمر بالقصر أن يمسح ثم تدفن هذه القلعة في وسطه فلا ترى فيه شيئاً فيما يكره. فقال له الحجاج: يا ابن هلال! وما العلامة في هذه القلعة؟ قال: أن يأمر الأمير برجل بعد آخر من أشد أصحابه حتى يأتي على عشرة منهم فيستقلوا بها من الأرض^(٢) فإنهم لا يقدرّون على ذلك. فأمر الحجاج بذلك ففعل، فكان كما قال ابن هلال. وكان بين يدي الحجاج مخصرة خيزران فوضعها في عروة القلعة ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم. إن ربكم الذي خلق السماوات والأرض. ثم شال القلعة فارتفعت على المخصرة، فوضعها ثم فكر منكساً رأسه ساعة. ثم التفت إلى عبد الله بن هلال فقال: خذ قلّتك والحق بأهلك. قال: ولم؟ قال: إن هذا القصر سيخرب بعدي وينزله قوم ويحتفر محتفر يوماً فيجد هذه القلعة فيقول: لعن الله الحجاج إنما كان بدء أمره السحر. قال: فأخذها ولحق بأهله.

قال: وكان ذرع القصر أربعمئة ذراع في مثلها. وذرع المسجد الجامع مائتين في مائتين. وصف الرحبة التي تلي صف الحدادين ثلاثمئة في ثلاثمئة. وذرع الرحبة التي تلي الخرازين والحوض ثلاثمئة في مائة ذراع. والرحبة التي تلي المضمار مائتين في مائة. قال: والأبواب كانت على مدينة قديمة أعجمية يقال لها الدوقرة. وقد قيل عليها وعلى غيرها فقلعت وحملت إلى واسط.

وقال محمد بن خالد: كان محمد بن [٢٣] القاسم الثقفي أيام كان يتقلد الهند والسند قد أهدى إلى الحجاج قبلاً فحمل من البطائح في سفينة، فلما صار إلى واسط أخرج في المشرعة التي تدعى مشرعة الفيل فسميت به إلى الساعة^(٣).

ولما استوطن الحجاج واسط نفى النبط عنها وقال: لا يساكنني أحد منهم فإنهم مفسدة. وكان في طبائخه رجل منهم وكان يطبخ لونا يعجب الحجاج. فلما

(١) يحضره الجن والشياطين (لسان العرب).

(٢) أي يرفعونها عن الأرض.

(٣) من قوله (وقال محمد بن خالد) إلى هنا في البلاذري ٢٩٠.

أمر بإخراج النبط فقد ذلك اللون فسأل عنه فقيل إن طباخه نبطي . فلهي عنه مدة ثم قال : اشترؤا لي غلاماً ومروه أن يعلمه ذلك اللون . ففعلوا فلم يحكمه الغلام . فقال : ادخلوا هذا النبطي نهاراً وأخرجوه ليلاً . قال : فكان يأتي في كل يوم بقدره ومغرفته فيطبخ ذلك اللون ثم ينصرف .

قال وكتب إلى الحكم بن ثوبة عامله على البصرة : أما بعد . فإذا نظرت في كتابي هذا فأجل من قبلك من الأنباط والحقهم بسوادهم فإنهم مفسدة الدين والدنيا .

فكتب إليه الحكم : أما بعد . فقد أخليت من في عملي من الأنباط إلا من قرأ منهم القرآن وفقه في الدين وعلم الفرائض والسنن . فكتب إليه الحجاج : فهمت ما كتبت به فإذا نظرت في كتابي هذا فاجمع من قبلك من الأطباء فليفتشوا عروقك عرقاً عرقاً ، فإن وجدوا فيك عرقاً نبطياً قطعه . والسلام .

ويروى عن مكحول أنه قال : لما أخرب بخت نصر السواد كان أشدها بكاء كسكر . فأوحى الله إليها أني يحدث فيك مسجداً يُصلّى فيه . قال مكحول : فكنا نرى أنه مسجد واسط .

وكان بعضهم يقول : كان الحجاج أحمر ، بنى مدينة في بادية النبط وحماهم دخولها ، فلما مات دخلوها من قرب .

وقال المري ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي^(١) بسوء فغضب وقال : إنما تذكرون المساويء ، أو ما علمتم أنه أول من ضرب درهماً عليه لا إله إلا الله . وأول من بنى مدينة في الإسلام ، وأول من اتخذ [٢٣ ب] المحامل . وإن امرأة من المسلمين سبيت بالهند فنادت يا حجاجاه ! فلما اتصل به ذلك أقبل يقول : يا لبيك ! وأنفق سبعة ألف ألف حتى افتتح الهند ، وأخذ المرأة وأحسن إليها غاية الإحسان .

واتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، فكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر . إن كان نهاراً . وإن كان ليلاً أشعلوا النيران فتجرد الخيل إليهم . فكانت المناظر

(١) من محدثي البصرة توفي عام ١٩٤ هـ (العبر ١ : ٢٤٥) .

متصلة بين قزوين وواسط . وكانت قزوين ثغراً في ذلك الوقت .

وأنشد لحميد الأرقط في واسط يهجوها^(١) :

اللَّهُ أَشَقَّاكَ مِنَ الْفَرَاتِ	النَّيْلَ يَنْقُضُ مِنَ الصَّارَةِ
وَأَحَدُثُ يَمْلُؤُ الْمُسْتَبَاتِ	نَضْرِبُ غَرَمَهُ بِوَأَسْقَاتِ
سِيَقُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَسْفَاتِ	دَائِمَةُ الرِّيفِ مِنَ الْغَدَاةِ
بَعِيدَةُ الْأَهْلِ مِنَ الْآفَاتِ	طَمَّتْ عَلَيَّ بِقِصَصِ الْبُغَاةِ
يُهْدَى إِلَيْهَا الرِّزْقُ مِنْ شَتَاتِ	مِنَ الْبُحُورِ وَمِنَ الْفَلَاتِ

وقال حمدان بن السخت الجرجاني : حضرت الحسين بن عمر الرستمي^(٢)

وكان من أكابر قواد المأمون وقد مثل الموبذ بخراسان ونحن في دار ذي الرياستين عن النوروز والمهرجان وكيف جعلاً عيداً وكيف سُميا، فقال الموبذ : نعم أنبيك عنهما . إن واسط كانت تجري على سننها في ناحية بطن جوخي ، فانبثقت في أيام بهرام جور وزالت عن مجراها إلى المذار ، وصارت تجري إلى جانب واسط منصبة . ففرقت القرى والعمارات التي كانت موضع البطائح وكانت متصلة بالبادية - ولم تكن البصرة ولا ما حولها إلا الأبلّة فإنها من بناء ذي القرنين ، وكان موضع البصرة قرى عادية مخسوف بها لا ينزلها أحد ولا يجري بها نهر إلا دجلة الأبلّة - فأصاب أهل القرى والمدن التي كانت في موضع البطائح - وهم بشر كثير - وباء فخرجوا هاربين على وجوههم وتبعهم أهاليهم بالأغذية والصلاحات ، فأصابوهم موتى ، فرجعوا [٢٤ أ] فلما كان في أول يوم من فروردين ماه من شهور الفرس أمطر الله عز وجل عليهم مطراً فأحياهم فرجعوا إلى أهاليهم . فقال ملك ذلك الزمان : هذا نوروز ، ومعناه يوم جديد . فسمي به . وقال الملك : هذا يوم مبارك فإن جاء الله فيه بمطر وإلا فليصب بعضكم الماء على بعض وتبركوا به . وصبروه عيداً ، فبلغ المأمون هذا القول فقال إنه لموجود في كتاب الله عز وجل بقوله ﴿ أَلَمْ

(١) أوردنا الآيات كما هي ولم نهتد لتصحيح المصحف منها .

(٢) انظر عن الرستمي : الطبري ٨ : ٣٧٥ ، ٣٩٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مَوْتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴿١﴾.

وقال ابن عباس في قول الله جلَّ وعزَّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ...﴾ قال: كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها فترزلوا ناحية منها. فهلك من أقام في القرية وسلم الآخرون. فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين. فقال من بقي ولم يمت في القرية: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا. لو صنعنا كما صنعوا سلمنا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن. فوقع الطاعون بها قاتل. فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان وهو وادي فيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من الملاء أن موتوا، فماتوا، فأحياهم الله لحزقيل في ثيابهم التي ماتوا فيها. فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى، حتى ماتوا بأجلهم التي كتبت لهم.

قال الهيثم بن عدي: سألت عبد الله بن هلال صديق إبليس عن اسم عامر واسط، فقال: زوبعة.

مركز تحقيقات كبرى علوم إسلامي

قلت: فما حدثك عن الحجاج؟

قال: لقد كان كافراً بالله وما رأيته يصلي قط خالياً. وما رأيت أحداً كان أجبن منه، لقد تراءيتُ له ذات يوم فبلغ من جبنه أنه عجن الطين بماء القرآن وطَّين به خضراء واسط^(١).

قلت: فأخبرني عن خالد بن عبد الله القسري.

قال: أشجع الناس. ولقد كان به النقرس، فلو أن ذبابة سقطت [٢٤ ب] على رجله لصاح منها. وكان له عمود حديد لا يفارقه، فتراءيتُ له يوماً فلم يقدر على القيام ونظر إلي وقال يا خبيث! لقد علمتُ أنني لا أقدر على القيام. ولكن إن

(١) اشتهر الحجاج بالجبن وكان يُعَمَّرُ بذلك وأشهر المواقع التي قرَّ فيها، هروبه أمام غزاة (امراة شبيب الخارجي) (موسوعة الكنايات العامة البغدادية ٢: ٢٩٥). وعن حياته انظر التلخيص المفيد الذي كتبه الشالحي في (موسوعة الكنايات) ٢: ٣٣٢ - ٣٤٣.

كنت رجلاً فادئ مني . ثم حَدَفَنِي بالعمود حَدْفَةً لو أصابتني لأوهنتني . ثم ظهرت ليوسف بن عمر - وكان جباناً - فادخل رأسه في لحافه وصاح بجارية له يقال لها طائفة : ويلك بادري إليّ ، فما جاءته حتى بال في فراشه ولا أخرج رأسه حتى علم أنها عنده ، وظهرت لابن هيرة فانتضى سيفه وبادر إليّ فاستترت منه ، فقال : أما والله لو تظهر لعلمت أنك لا تروع أحداً بعدي .

وقال بشار بن برد يهجو واسط :

على واسط من ربها ألف لعنة	وتسعة آلاف على أهل واسط
أيلتمس المعروف من أهل واسط	وواسط ماوى كل عِلج وساقط
نبيط وأعلاج وخوز تجمعوا	شرار عباد الله من كل غائط
وإني لأرجو أن أنال بشتيمهم	من الله أجراً مثل أجر المرابط

ذكر النبط وما جاء فيهم^(١)

قال رسول الله (ﷺ) : لا تَغضُوا قريشاً ، ولا تسبوا العرب ، ولا تذلووا الموالي ، ولا تساكنوا الأنباط فإنهم آفة الدين وقلة الأنبياء ، إذا هم سكنوا الأمصار وشيدوا الدور ونطقوا بالعربية وتعلموا القرآن ، استولوا على الناس بالمكر والخديعة فعندها يبغون الإسلام غوائله .

ويروى أنه كان لأبي هريرة صديق يكرمه . فقال له ذات يوم : إني قد أحببتك ولست أدري من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل السواد . فقال له أبو هريرة : تنع عني ! فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : أهل السواد قتل الأنبياء وآفة الدين ،

(١) يقول معجم الحضارات السامية عن النبط أو الأنباط أنهم (شعب عربي سكن الشمال الغربي من جزيرة العرب وكان على اتصال بعالم البحر المتوسط . عرفت الدولة النبطية ذروة حضارتها في المرحلة الهلنستية وكانت أهم قواعدها صنع (البطراء) المنبوعة ، عاصمة الآدوميين القديمة ، مما جعل النبطيين يحتكرون تجارة القوافل التي كانت تنقل المرّ والتوابل من الجزيرة العربية والحمّر من البحر الميت في إبله (إيلات الحالية) ص ٨٣٧ ثم ذكر قائمة بملوكهم امتد حكمهم بين ١٦٩ ق . م حتى ١٠٦ للميلاد .

وأعوان الظلمة في كل زمان، وأكلة الربا وأصحاب الأهواء.

ويروى أن قوماً [٢٥ أ] أتوا أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنا نسكن بأرض السواد فنصيب من مرافقها. فقال لهم علي رضي الله عنه: إنكم لتساكنون أهل الغفلة والحسد والبغي والمكر والخديعة، الذين سهمهم في الإسلام منقوص وحطهم في الآخرة قليل. سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إذا تفقّهت الأنباط في الدين، ونطقت بالعربية وتعلمت القرآن فالهرب الهرب منهم. فإنهم أكلة الربا ومعدن الرشا وأهل غش وخديعة لا سهم لهم في الإسلام.

ويروى أن الشيطان عشق خنزيرة فوثب عليها فأحبها فولدت ابناً فسمته مشنوء. فلما كثر نسله أتى سليمان فقال له أرنا أولادنا. فقال: أولادكم الأنباط الذين يستنبطون الأرض أصبر الناس على حرّ وبرد.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): لا يدخل الجنة نبطي.

وروي عن عكرمة في قوله «قتل أصحاب الأخدود» قال: كانوا نبط.

وقال عون بن عبد الله: لو كان إبليس من الإنس لكان نبطياً لأنهم أبذخ قوم إذا أمروا، وأذل شيء إذا قهروا. يغترفون الهوان ويكفون الإحسان.

ويروى عن عمر أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): ثلاثة هم شرار الخلق، الشيطان الرجيم، وإمام يخشى غشمه وظلمه، والنبطي إذا استعرب.

وكان يقال من أحب أن يكثر عياله ويقل خير بنيه فليتزوج نبطية.

ويروى عن أبي هريرة أنه قال: إن إبليس باض سبع بيضات. ثنتان وقعتا بأرض بابل وثنان وقعتا بميسان وثنان وقعتا ببلاد الخوز وواحدة وقعت بهمينيا. ففي الثنتين اللتين وقعتا ببابل ذكر وأنثى. اسم الذكر شقثى والأنثى بلعث.

وقال نصر بن محمد: اسم الذكر ميسان واسم الأنثى دلغث. وهما اللتان

بلبلتا الألسن ودعنا إلى الشرك وعبادة [٢٥ ب] الأوثان.

والشتان اللتان وقعتا بميسان فذكر وأنثى. اسم الذكر هيماء والأنثى همياء. لهم أذنان منكرا وقلوب قاسية وأكباد غليظة لا يتفقهون. لثام وضعة عتاة فجرة، لا يرقون للضعيف ولا يجلسون الكبير ولا يستحيون من القبيح.

والشتان اللتان وقعتا بالخوز فذكر وأنثى اسم الذكر أبو مرة والأنثى شيلث. نسلهما أشر النسل وأقبحه كلاماً وأرداه أخلاقاً. ويقال إنه بعث إليهم نبي فذبحوه وأكلوه.

وأما التي وقعت بهمينيا فذكر يقال له أحول. نكح جارية من الإنس فأولدها شيطاناً مريداً.

ويروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا تناكحوا الأنباط ولا تسترضعوا فيهم، فإنهم يورثون أولادكم اللوم النبطي.

وقالوا في قول الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً» قال: هم النبط.

وقال مقاتل بن سليمان: الأنباط من ولد شئان بن إبليس وإن شئان نكح شاة لآدم عليه السلام يقال لها ورسة فولدت ابناً فسماه نباط.

وقال وهب بن منبه: حبس سليمان عليه السلام نبطياً من أهل دستميسان وقتله. فجاء أهل السجن يشكونه. فدعا به وقال: ويلك! أما يشغلك بما أنت فيه من ضيق المجلس وثقل الحديد حتى يشكوك الناس؟ فقال: لا أعود يا نبي الله. فقال: زيدوه قيداً وردوه. ففعلوا ذلك. فعاود أهل السجن يشكونه. فدعا به وقال له مثل قوله الأول. فقال: لا أعود. فقال: زيدوه قيداً آخر وردوه. ففعلوا. فلم يبق إلا يوماً حتى عاد أهل السجن يشكونه. فأحضره وقال له مثل قوله الأول وزاده قيداً. فلم يكفه ذلك. وعادوا فشكوه. فلما شكوه الرابعة، نقله عنهم إلى سجن الجن، فجاء الجن يضجون منه ويشكونه. فدعا به وأمر بضربه فضرب وزاده قيداً

آخر. فشكوه ثلاثاً في كل ذلك يزيدونه^(١) قيداً. فلما كان في الرابعة قال لهم: ما الذي يصنع بكم حتى ضججتم منه؟ فقالوا: يا نبي الله! أعظم ما نشكو منه السعاية والنميمة. قد تقاتلنا [٢٦ أ] على يده.

فأخرجه عنهم ودعا بصخر المارد - وكان ينقل الصخر من فارس إلى الشام - فقال له: يا صخر! اكفني مؤونة هذا النبطي وليكن معك في سلسلة. ففعل ذلك. فبينما سليمان في بعض مواكبه وقد حملته الريح، إذ عارضه صخر في الهواء والنبطي معه في سلسلة، وصخر يستغيث إلى سليمان ويستوقفه. فأمر سليمان الريح فركدت ودعا به فسأله عن شأنه فقال: يا نبي الله! اعفني من هذا النبطي واقرن معي مائة عفريت في موضعه. قال: وما الذي يصنع بك؟ قال: يا نبي الله! يدعني حتى إذا حملت الصخرة على رأسي، استقدم في سلسلتي ولفها على صدره ثم جذبني وطرح نفسه على وجهه، فأقع على وجهي وتقع الصخرة على عنقي وظهري. فأقول له: ما شأنك؟ فيقول: أثرت - ويريد عثرت - . ثم أقوم فأجعلها على رأسي وأقول له: تأخر فكن من ورائي حتى لا تعثر، فيفعل. ثم يقبض على الطوق الذي في عنقه ويستعقد فيطرحني على ظهري وتقع الصخرة على جنبي. فأقول: ويلك! ماذا دهاك؟ فيقول: أنت شيطان من الشيوخ ونهن لا نلهق بك. يريد: أنت شيطان من الشيطان ونحن لا نلحق بك. فضحك سليمان ثم قال: قد جعلتك يا نبطي عريقاً على الجن النقالة فخذهم بالجد واستعجلهم في الحمل. فمضى لذلك.

فقال له الجن: إن بيتنا وبينك رحماً ماسة فانظر لنا في ولايتك. قال لهم: وأي رحم بيتنا وأنتم من الجن وأنا من الإنس؟ قالوا: إن هاهنا امتزاجاً آخر لا تعرفه. قال: وما هو؟ قالوا: إنه لما ملك سليمان أخته ملكة دستميسان فسأله أن يوجه معها شيطانين يبينان لها قصراً من وقت طلوع الشمس إلى الظهر. ففعل ذلك ووجه معها شيطانين يقال لأحدهما أكي، فبنياه لها إلى قبل الظهر. فلما فرغا منه

(١) في الأصل يزيدوه.

قالا لها: أشغلينا في عمل آخر إلى الليل، فإننا لا نجسر أن نرجع إلى سليمان.
قالت: ما لي [٢٦ ب] عمل، قد فرغتما من عملي الذي أردت. قالوا: فإننا نهدم
القصر ونتشاغل بذلك إلى آخر النهار فتحتاجين أن ترجعي إلى سليمان فتعيدي
عليه المسألة. فلما رأت الجدّ منهما دفعت إلى أحدهما مسحاً أسود وقالت:
اغسله حتى يبيض. وقالت للآخر: تعال حتى أشغلك في عمل آخر. واستلقت
على قفاها وكشفت عن فرجها وقالت: رشّ على هذا الجرح ماءً وروحه حتى
يلتحم. وكان الذي فعلت به هذا يسمى أكي. فلما رويها ساعة ورآه لا يلتحم
دعته نفسه إلى موابعتها. ففعل وأحبلها فولدت الشيصبان وتالي وداقويه. وهم بنو
عمك وقرايبك. فلينفعنا هذا عندك.

فقال النبطي: هذه لعمرى رحم مائة وفي دون رعاية وحفاظ، ولن أدع
القيام بشأنكم، فما الذي تشكون؟

قالوا: ما نحن فيه من التعب ونقل هذا الصخر من فارس إلى الشام.

قال: أوليس إنما تنقلونه ذاهبين فتستريحون راجعين؟

قالوا: بلى.

قال: فهذا نصف الطريق. فتركهم وانطلق إلى سليمان فقال: يا نبي الله!
أتظن أنك قد شغلت هؤلاء الجن الذين ينقلون الصخر وكففتهم عن التولّع ببني
آدم؟

قال: نعم.

قال: فاعلم أنهم يرجعون فرغاً يعيشون بالناس في طريقهم ويؤذونهم.

قال: فما ينبغي أن أصنع بهم؟

قال: تحملهم الصخر من فارس إلى الشام لبناء بيت المقدس، ويحملون من
الشام إلى فارس المرمر فيبنى لك به ما تريد وتكفهم عن أذى الناس. ففعل بهم
ذلك.

فقالوا للنبطي: ويحك! زدتنا تعباً على تعبنا. وقد رجونا أن تخفف عنا.

قال: أوليس عملكم إنما هو بالنهار، وبالليل أنتم مستريحون؟

قالوا: بلى.

قال: فإنما تعملون نصف الدهر ونصفه تبطلون. ثم انطلق إلى سليمان فقال: يا نبي الله! اعلم أن هؤلاء الجن النقاله يعملون نهارهم. فإذا كان الليل عرجوا إلى السماء واسترقوا السمع وأتوا [٢٧ أ] الكهان فخبروهم بذلك وعبثوا بالناس والبهائم.

قال: فما الحل؟

قال: تبني حول مدينتك هذه أركاناً معلقة على عددهم. فإذا فرغوا من عملهم نهاراً أمرتهم فصعدوا ليلهم إلى هذه الأركان وتأمرهم بالتسبيح والتهليل إلى الصباح. فيكون لك ثواب ذلك. ومن فقدت صوته منهم عذبتة فإنك تعرف أصواتهم ولا يخفى عليك شيء منها.

ففعل ذلك بهم فشكروا إلى الله. لما قد حل بهم فقال: ليس وراء هذه الشدة شيء فتوقعوا الآن الفرج. فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات سليمان عليه السلام.

وكان رجل من أهل السواد في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخلف بعض عمال عمر على السواد. فأتاه غلام من العرب وهو في قرية تدعى برأثا من برّ رخسابور فسأله أن يحمله فأبى، وسأله القرى فالتوى. فلما أكثر عليه قال: يا غلام! أعطه دجاجة. فانصرف الغلام وهو يقول - وكان العامل يكنى أبا جبيرة:

أنيثُ أبا جبيرة في برأثا فقال ألحق بأهلك يا غلام
وهناك دجاجة فتعش منها ولا يكثر عليّ لك الكلام

فبلغ خبره عمر، فجعل على أهل السواد قرى الضيف وحمل المنقطع وإرشاد الضال.

وقال ابن عباس: النبطي والأعرابي لا يقطعان أمراً دون نساتهما.

وقال المدائني: أمر بعض ملوك العجم رجلاً من حاشيته فقال له: صدّ شرّ الطير واشوه بشر الحطب وأطعمه شر الخلق. فصاد رخصة وشواها ببصرة وقدمها إلى رجل خوزي. فقال له الخوزي: أخطأت. اذهب فصد بومة واشوها بدفلى وأطعمها نبطياً ولد زنى. ففعل ذلك وعرفه الملك. فقال: لا يحتاج أن يكون ولد زنى. كفاه أن يكون نبطياً.

وعن سعيد بن المسيب قال: كتب سليمان بن داود عليه السلام كتاباً إلى الناس وإلى [٢٧ ب] النسناس وإلى أشباه الناس وإلى أولاد الشياطين. فأما الناس فأهل الصلاح والعلم. وأما النسناس فأهل الأسواق. وأما أشباه الناس فأهل الجهل. وأما أولاد الشياطين فالنبط.

وقال إسماعيل بن عبد الله: قال لي المنصور: صف لي الناس. قلت: ليسأل أمير المؤمنين عما أحب. قال: ما تقول في أهل الحجاز؟ قلت: مبدأ الإسلام وبقية العرب. قال: فأهل العراق؟ قلت: قطر الإسلام ومقاتلة الدم. قال: فأهل الشام؟ قلت: حصن الأمة وأسنة الأئمة. قال: فأهل خراسان؟ قلت: فرسان الهيجاء وأعنة الرجاء. قال: الترك؟ قلت: إخوة السباع وأبناء المغازي. قال: فالهند؟ قلت: حكماء استغنوا ببلادهم واكتفوا بما يليهم. قال: فالروم؟ قلت: أهل كتاب وتدين، نجاهم الله عن القرب وصيرهم إلى البعد قال: فالأنباط؟ قلت: شرار الخلق وعبيد من غلب.

وقال شيبه بن عثمان: ما أحد أنقر عن صغيرة ولا أركب لكبيرة من أهل العراق لقربهم من النبط.

وقال إسحاق بن طلحة بن أشعث: بعثني عمر بن عبد العزيز إلى العراق فقال أقرهم ولا تستقرأهم وعلمهم ولا تعلم منهم، وحدثهم ولا تستمع حديثهم. قلت: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنهم خالطوا الأنباط ففهم غشهم ومكرهم وخديعتهم.

ولما غلب أردشير على ملك النبط رأى جمالهم وعقولهم. قال: ما أخوفني

أن حدث في حدث أن يعود الملك إلى هؤلاء. ففرض لهم فرضاً وبعث متهم بعموثاً وأغزاهم خراسان. فأهل المرو من النبط، ففيهم شخهم وغدرهم.

وقال الهيثم بن عدي: إنما سموا نبطاً لأنهم استنبطوا المياه وحفروا الأنهار. فمن ذلك: الصراة، ونهر سورا، ونهر أبا.

وقد قيل إن الصراة حفرها أفريدون جشش ونهر أبا حفر أبا بن المصمغان ونهر الملك حفر أقفور شاه بن بلاش، قتله أردشير بن [٢٨ أ] بابكان. ونهر الملك حفره شابور.

وكانت سرّة الدنيا في يد النبط، وذلك أن الفرات ودجلة ينصبان جميعاً من الشام فلم يكن أحد ينتفع بهما إلا النبط. وكان حدّ ملكهم الأنبار إلى عانات إلى كسكر وما والاها من كور دجلة. وملك آل ساسان من المدائن إلى نهر بلخ إلى السند إلى الروم إلى حد البادية.

وقال عبد الملك بن الماجشون: قلت لخالي: أخبرني عن أهل العراق. قال: أهل العراق على عقولهم جلدة رقيقة ما لم تزل عنها فلا بأس بعقولهم. فإذا زالت كشفتهم عن الترك أجمع.

وقال ابن عمر: قال رسول الله (ﷺ): اللهم بارك لنا في مكّتنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله، وفي ()^(١) قال: هناك الزلازل ومن هناك يطلع قرن الشيطان.

ولما ملك النبط الأرض خرجوا إلى الصحراء ومعهم العصي يلقونها إلى السماء ويقولون: قد غلبنا أهل الأرض فانزلوا يا أهل السماء حتى نقاتلكم. فبعث الله عليهم أهل ماه في أربعين ألفاً فقتلهم وملكوا بلادهم مائة عام.

وقال ابن عياش: كان آخر ملوك النبط سنحاريب وكان ملكه ثلاثمائة سنة.

(١) بياض في الأصل.

وكان بعده بخت نصر. وقال غيره: كان ملكهم ثلاثة آلاف سنة. وكان قبل إبراهيم عليه السلام.

وإنما سمو النبط لأنهم أنبطوا الأرض أي احتفروا أنهارها الكبار.

وقال ابن الكلبي: لما هلك عاد قيل ثمود أرم. ثم هلك ثمود قيل لبقايا أرم: أرمان. فهم النبط الأرمانيون.

وقال بعضهم: لما سلب سليمان عليه السلام ملكه، وثبت مَرَدَّة الشياطين على نساء من الإنس فولدن منهم أولاداً كثيرة. فلما رذ الله عليه ملكه، شكوا الناس ذلك النسل إلى سليمان. فأمر الشياطين فعملت له بساطاً طويلاً عريضاً. ثم أمر بذلك النسل فحملوا على البساط ثم أمر العاصف من الريح فحملهم [٢٨ ب] حتى ألغاهم بميسان.

وقال ابن عباس: لو كان الشيطان إنسياً لكان نبطياً.



مركز تحقيقات كتابی ویراثہ اسلامی

القول في مدينة السلام بغداد

قال بعض العلماء: بغداد تسمى بغداد وبغدان^(١). قالوا وهي تسمى مدينة السلام أيضاً. فأما الزوراء فهي مدينة المنصور خاصة. وسميت مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادي السلام.

وقال موسى بن عبد الحميد الشناني: كنت جالساً عند عبد العزيز بن أبي دؤاد فأتاه رجل فقال: من أين أنت؟ قال من بغداد. قال: لا تقل بغداد. فإن بغ صنم وداد عطاء. ولكن قل مدينة السلام. فإن الله هو السلام والمدائن كلها له.

وقالوا: سميت بغداد لأن كسرى أهدي له خصي من المشرق فأقطعه بغداد. وكان لقوم ذلك الخصي صنم بالمشرق يقال له البغ. فقال الخصي: بغداد. يعني ذلك الصنم أعطاه ذلك الموضع.

ويقال إن بغداد كانت سوماً يقصدها تجار الصين بتجاراتهم فيريحون الريح الواسع. وكان اسم ملك الصين بغ. فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا: بغ داد، أي ذلك الريح الذي ربحناه أعطانا الملك. وداد لقطة بالفارسية وهو الإعطاء.

وقال قوم: سُميت مدينة السلام أرادوا أنها مدينة الله. لأن الله هو السلام المؤمن. وقد جرى لها هذا الاسم على ضرب الدنانير والدراهم وما تقع به الأثرية في الكتب ويتبايع به الناس وما يقع فيها من غلات الطساسيج من الحنطة والشعير

(١) ورد اسم بغداد في المخطوطة - وبالذات في هذا الفصل - بالذال (بغداد) وتكرر ذلك كثيراً. وقد آثرنا أن نكتب الاسم بالذال. انظر مقدمة الكتاب.

وما يسمى به القفيز، فيقال قفيز مدينة السلام.

واسمها الأول الزوراء، والزوراء مدينة أبي جعفر. والناس يسمونها بغداد، والخلفاء يسمونها مدينة السلام. ومدينة بغداد بناها أبو جعفر المنصور سنة خمس وأربعين ومائة.

وقال عبيد الله بن إسحاق: بنى أبو جعفر بغداد سنة خمس وأربعين ومائة، وارتفع بناؤها سنة تسع وأربعين.

وقال إبراهيم بن الجنيد: قطن أبو جعفر بغداد سنة تسع وأربعين ومائة. وكان اسمها قبل [٢٩ أ] ذلك بسنة أو ثنتين. وكانت^(١) قديمة فمصرها وأخذ في بناء المدينة، فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، ترك البناء وعاد إلى الكوفة وحول بيوت الأموال والخزائن إليها. فلما انقضى أمر محمد وإبراهيم رجع فاستتم بناءها وبنى سورها القديم سنة سبع وأربعين ومائة. وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة. وقبل ذلك بنى الرصافة في جانب الشرقي للمهدي. وكانت الرصافة تعرف بعسكر المهدي لأنه عسكر به حين شخص إلى الري. فلما قدم من الري نزل الرصافة، وذلك في سنة إحدى وخمسين ومائة.

وقد كان المنصور أمر ببناء قصر للمهدي. وهو المعروف بقصر الوضاح في الشرقية. فبني ونسب إلى الوضاح - والوضاح رجل من أهل الأنبار تولّى النفقة عليه فنسب إليه.

وبنى المنصور مسجدي مدينة السلام، وبنى القنطرة الجديدة على الصراة وابتاع أرض مدينة السلام من أرباب القرى ببادرويا وقطربل ونهر بوق ونهر بين. وأقطعها إلى أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكُتّابه، وجعل مجمع الأسواق

(١) من قوله (وكانت قديمة فمصرها) إلى قوله الآن (فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة) تشبه مادته - وأحياناً ألفاظه - ما هو موجود في فتح البلدان ٢٩٣. ولا ذكر لإبراهيم بن الجنيد لدى البلاذري.

بالكرخ . وأمر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة .

وروي أن رجلاً من أهل الحيرة جاء إلى المثنى بن حارثة الشيباني فقال : ألا أدلك على قرية يأتيها تجار من مدائن كسرى والسواد ويجتمعون بها في كل سنة يوماً ومعهم من الأحوال مما لا يُحد . وهذه أيام سوقهم . فإن أنت أغرت عليهم أصبت فيها مالاً يكون غناء للمسلمين وتقوية على عدوهم .

قال : فأني شيء يقال لهذه القرية ؟

قال : بغداد .

قال : وكم بينها وبين المدائن ؟

قال : بعض يوم .

قال : وكيف لي بها ؟

قال : تأخذ طريق البر حتى تنتهي إلى الخنافس ، فإن أهل الأنبار سيصيرون إليها ويخبرون عنك فيأمنون . ثم تخرج على أهل الأنبار وتأخذهم بالأولى وتسير ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم صباحاً فتغير عليهم وهم غارون .

فخرج من أليس إلى [٢٩ ب] الخنافس ثم عرج حتى رجع إلى الأنبار . فلما أحسّه صاحبها تحصن وهو لا يدري من هو - وذلك ليلاً - فلما عرفه نزل إليه فاطمعه وخوفه واستكتمه وقال : إني أريد أن أغير فابعث معي الأدلاء حتى أغير منها على المدائن . قال : أنا أجيء معك . قال : لا ، ولكن ابعث معي من هو أدل منك . فبعث معهم الأدلاء . حتى إذا كانوا بالمنصف قال لهم المثنى : كم بيننا وبين هذه القرية ؟ قالوا : أربعة فراسخ . فقال لأصحابه : من يتدب للحرس ؟ فانتدب له قوم . فقال : اذكوا حرسكم ونزل . فلما كان في آخر الليل أسرى إليهم وصحبهم وهم في أسواقهم فوضع فيهم السيف ، فقتل وأخذ ما شاء . ثم قال : يا أيها الناس لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل أن يحمله على دابته . وهرب أهل السوق . وملا المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء .

ثم سار حتى وافى الأنبار وذلك في سنة ثلاث عشرة^(١).

قال^(٢): وخرج المنصور منحدرًا إلى جرجرايا ليرتاد منزلاً. ثم صار إلى بغداد ومنها إلى الموصل. ثم عاد إلى موضع بغداد. فقال: هذا موضع معسكر جيد. هذه دجلة يأتينا كل ما في البحر منها، وتأتينا أيضاً فيها الميرة من الجزيرة وأرمينية وما والاها. وهذا الفرات يحمل فيه متاع الشام والرقعة وذلك البلد. فنزل وضرب عسكره على الصراة واختط المدينة ووكل بكل ربع قائداً.

وقال سليمان بن مجالد^(٣): أفسد أهل الكوفة جند المنصور فخرج نحو الجبل يرتاد منزلاً - وطريق الناس يومئذ على المدائن - فخرجنا على سبابط. فتخلف بعض أصحابنا لرمم أصابه. فأقام يعالج عينه. فسأله الطبيب أين يريد أمير المؤمنين قال: يرتاد منزلاً. قال: فأنا نجد في كتاب عندنا أن رجلاً يدعى مقلصاً بيني مدينة بين الصراة ودجلة تدعى الزوراء. فإذا أسسها أتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها وأقبل على إصلاح ذلك الفتق فإذا كاد أن يلتئم أتاه فتق آخر من البصرة هو أعظم عليه من الأول [٣٠] فلا يلبث الفتقان أن يلتئما. ثم يعود إلى بنائها فيتمه. فيعمر عمراً طويلاً ويبقى الملك في عقبه. قال: فأخبرت المنصور بذلك. فقال: الله أكبر! والله هو. لقد لُقت مقلصاً وأنا صبي لخبر كان لي ثم انقطع ذلك اللقب عني.

وقال ابن عياش^(٤): لما أراد المنصور الانتقال من الهاشمية، بعث رواداً يرتادون له موضعاً بيني فيه مدينة، ويكون الموضع واسطاً رافقاً بالعامية والجند. فُتعت له موضع قريب من بارما. وذكر له عنه غذاء وطيب. فخرج إليه بنفسه حتى

(١) إشارة المثنى هذه على بغداد نقلها الطبري (٣: ٤٧٣) عن سيف بن عمر التميمي.

(٢) روى الطبري ٧: ٦١٤ هذه الرواية بدون سند كما فعل ابن الفقيه.

(٣) الرواية في الطبري ٧: ٦١٥ وقد ولي سليمان هذا للمنصور والمهدي ولايات (ابن الفقيه ٣٨ ب) وهو من القادة العسكريين (مروج ٣: ٢٩٧ والطبري ٨: ٩٢).

(٤) هو عبد الله بن عياش المنتوف الهمداني المرهبي الراوي. والرواية من هنا إلى قوله (ابنوا على بركة الله) في الطبري ٧: ٦١٥.

نظر إليه وبات فيه فرآه موضعاً طيباً فقال لجماعة من خاصته منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: هو موضع طيب موافق صالح. قال: صدقتم هو كذلك. ولكنه لا يحتمل الجند والناس. وإنما أريد موضعاً ترتفع به الرعية ويوافقها ولا تغلو عليها فيه الأسعار ولا تشتد فيه المؤونة. فإني إن أقمت في موضع لا يُجلب إليه في البر والبحر، غلت الأسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس. وقد مررت في طريقي بموضع قد اجتمعت فيه هذه الخصال. فأنا راجع إليه وباتت فيه. فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريد لي وللناس.

قال: فأتى موضع بغداد وعبر في موضع قصر السلام ثم صلى العصر وذلك في صيف وحر شديد، قال: وكان في ذلك المكان بيعة. فبات أطيّب مبيت وأقام يومه. فلم يَرَ إلاّ خيراً فقال هذا موضع صالح للبناء. فإن المادة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهار، ولا يحمل الجند والرعية إلاّ مثله. فخط المدينة وقدر البناء ووضع أول لبنة بيده وقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ثم قال: أبتوا على بركة الله.

وذكر سليمان بن مجالد^(١) أن المنصور لما قدم القائد الذي بعث به يرتاد منزلاً - وكان من ثقاته - انصرف [٣٠ ب] راجعاً حتى نزل عند الدير الذي بهذاء القصر المعروف بالخالد. ثم دعا صاحب الدير وأمره بإحضار البطريق - وكان هناك بطريق مقيم وصاحب بغداد وصاحب المخرم وصاحب دير القس وصاحب العتيقة وهؤلاء ثناء بالناحية لكل واحد منهم ضياع حول بغداد - فلما حضروا عنده سألهم عن مواضعهم وكيف هي في الحرّ والبرد والأمطار. فكل واحد منهم قال قولاً يقدر ما عنده. ثم إنه وجّه رجالاً من ثقاته. فبات كل واحد منهم في قرية من القرى القريبة من بغداد، فلما عادوا إليه اتفق قولهم على طيب الموضع وصحة هوائه. فقال لصاحب بغداد وهو الدهقان الذي قرينته قائمة إلى اليوم في المربعة

(١) لدى الطبري ٧: ٦١٦ الرواية عن بشر بن ميمون الشروي وسليمان بن مجالد.

المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي وداره قائمة على بنائها - وكان عاقلاً فهماً - ما الرأي عندك فيما قد عملت عليه من البناء في أحد هذه المواضع؟

فقال: يا أمير المؤمنين! سألتني عن هذه الأمكنة وطبيها، وهي كلها طيبة والاختيار إليك فيها.

فقال له المنصور: دع اختياري وأخبرني عما عندك في مكان منها.

فقال: الذي أراه يا أمير المؤمنين أن تنزل في نفس بغداد. فإنك بين أربعة طساسيج. منها طسوجان في الجانب الغربي، وطسوجان في الجانب الشرقي. فاللذان في الغربي فهما قطربل وبادرويا. وأما اللذان في الشرقي فهما نهر بوق وكلواذى. فإن خرب منها طسوج أو تأخرت عمارته، كان الآخر عامراً. وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة ودجلة. تجيئك الميرة من المغرب في الفرات ومن الشام ومصر وسائر تلك البلدان. وتحمل إليك طرائف الهند والصين والسند والبصرة وواسط في دجلة. وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها في تامراً. وتجيئك الميرة من الروم وآمد وميفارقين وأرزن والثغور الخزرية ومن الجزيرة والموصل وبلد ونصيبين إلى مشارق الشام في دجلة، وأنت بين الأنهار لا يصل [٣١] إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة. فإذا قطعت الجسر وأخربت القنطرة لم يصل إليك. وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور، وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والسواد. وأنت قريب من البر والبحر والجبل.

فازداد المنصور رغبة في الموضع وأمر بالبناء فيه.

وقال له ذلك الدهقان: نعم يا أمير المؤمنين، وها هنا شيء آخر. قال: وما هو؟ قال: إن المدن تحصن بالأسوار والخنادق. وقد رزقك الله سوقاً وخندقاً لم يعمل مثلهما لسائر مدن الشرق والغرب. قال: وما هما؟ قال: دجلة والصراة يكتنفان مدينتك من جانبيها. فقال: صدقت يا دهقان.

قال سليمان بن مجالد^(١): ووجه المنصور في حشر الصنّاع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة، فأحضروا. وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة. فجمعهم وتقدم إليهم أن يشرفوا على البناء وكان فيمن أحضر الحجاج بن أرطاة وأبا حنيفة. ثم أمر بخطط المدينة وحضر الأساسات وضرب اللبن وطبخ الآجر، فبدى بذلك.

وكان أول ابتدائه في عملها سنة خمس وأربعين ومائة.

وكان المنصور^(٢) أراد أبا حنيفة أن يتولّى له شيئاً من أمرها فأبى. وأرادَه على القضاء فأبى أيضاً. فحلف المنصور أن لا بدّ له من أن يتولاه فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل. فولاه عذّ اللبن وأخذ الرجال بالعمل. وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه. فكان أبو حنيفة يتولّى ذلك حتى فرغ من استتمام الحائط الذي يلي الخندق. وكان الفراغ منه سنة تسع وأربعين ومائة.

وكان أبو حنيفة أول من عذّ اللبن بالقصب.

قال: وأمر المنصور^(٣) بإحكام الأساس وأن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً. وأن يكون أعلاه عشرين ذراعاً وأن يجعل في البناء جُوز القصب [٣١ ب] مكان الخشب. فلما بلغ السور مقدار قامة - وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة - اتصل به خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم. فقطع البناء حتى فرغ من أمره وأمر أخيه إبراهيم بن عبد الله.

وقال جابر بن داود: كانت بغداد قديمة، وكانت في أيدي قوم من الدهاقين بعضها منسوب إلى طسوج بادرويا من الجانب الغربي. وكان الجانب الشرقي بعضه إلى طسوج نهر بوق وبعضه إلى كلواذى والفرق ما بين الطسوجين الموضع المعروف بالفارقين حتى مضى منها المنصور.

(١) لدى الطبري ٧: ٦١٨.

(٢) الطبري ٧: ٦١٩.

(٣) الطبري ٧: ٦١٩.

وقال علي بن يقطين: كنت في عسكر أبي جعفر حين صار إلى الصراة يلتمس موضعاً لبناء مدينته. قال: فنزل الدير الذي على الصراة في العتيقة. فما زال على دابته ذاهباً وجائياً منفرداً عن الناس يفكر. قال: وكان في الدير راهب عالم فقال لي: كم يذهب هذا الملك ويحيى؟ قلت: يريد أن يبني مدينة. قال: فما اسمه؟ قلت: عبد الله بن محمد. قال: أبو من؟ قلت: أبو جعفر. قال: يلقب بشيء؟ قلت: المنصور. قال: ليس هو الذي يبنيتها. قلت: ولم؟ قال: لأننا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه قرناً عن قرن، الذي يبني مدينة في هذا المكان يقال له مقلاص. قال: فركبت من وقتي حتى تقدمت منه فقال: ما وراءك؟ قلت: خبر ألقه إليك وأريحك هذا العناء. قال: وما هو؟ قلت: أمير المؤمنين يعلم أن هؤلاء الرهبان معهم علم، وقد أخبرني راهب هذا الدير بكيت وكيت. فلما ذكرت مقلاصاً ضحك واستبشر ونزل عن دابته فسجد وأخذ سوطه فأقبل يذرع به. فقلت في نفسي لحقه اللجاج. ثم دعا المهندسين من وقته فأمرهم بخط الرماد. فقلت له: أظنك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب وتكذيبه. فقال: لا والله ولكني كنت ملقباً بمقلاص، وما ظننت أن أحداً عرف ذلك غيري. فاسمع حديثي بسبب [١٣٢] هذا اللقب: كنا بناحية الشراة في زمان بني أمية على الحال التي تعلم. فكنت ومن كان في مقدار سني من عمومتي واخوتي نتداعى ونتعاشر، فبلغت النوبة إلي يوماً من الأيام وما أملك درهماً واحداً فما سواه، فلم أزل أفكر وأعمل الحيلة إلى أن أصبت غزلاً لداية كانت لي فسرقته ثم وجهت به فبيع واشتري بثمانه ما احتجت إليه وجئت إلى الداية فقلت لها: افعلي كذا واصنعي كذا. قالت: ومن أين لك ما أرى؟ قلت: اقترضت دراهم من بعض أهلي. ففعلت ما أمرتها به. فلما فرغنا من الأكل جلسنا للحديث، طلبت الغزل فلم تجده، فعلمت أنني صاحبه. وكان في تلك الناحية لص يقال له مقلاص شهر بالسرقة. فجاءت إلى باب البيت الذي كنا فيه فدعنتي فلم أخرج إليها لعلمي أنها قد وقفت على ما عملت. فلما ألحت وأنا لا أخرج قالت: اخرج يا مقلاص! الناس يتحرزون من مقلاصهم ومقلاصي معي في البيت. فمزح معي اخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة. ثم لم

أسمع به إلا منك الساعة، وقلت إن الراهب قال لك ذلك. فعلمت أن أمر هذه المدينة سيتم عليّ لصحة ما وقفت عليه.

قال الشروي: أخبرني بعض المشايخ الموالى أن المنصور لما أراد بناء بغداد وسط المكان الذي قدر أن يجعله مدينة وأمر أن يوتد هنالك وتد وأخذ حبلًا فمدّه على المقدار الذي أدار أن تكون استدارتها ثم أمر بطرح الرماد فطرح ثم نقص من مقداره أربعين ذراعاً. ثم أراد خطأ آخر وجعل من الخططين الخندق. وجعل فتحة أربعين ذراعاً ثم عمل السور الذي خلف الفصيل وعرضه من أسفله ثمانية عشر ذراعاً، وعرض أعلاه ثمانية أذرع. وجعل على ذراع منه مما يلي الخندق الشرافات فصار الباقي خمسة أذرع يمشي عليها الناس.

قال حماد التركي: بنى المنصور المدينة مدورة. لأن المدورة لها معان ليست للمربعة، وذلك أن المربعة إذا كان [٣٢ ب] الملك في وسطها كان بعضها أقرب إليه من بعض. والمدورة من حيث مسحت كان أمرها إلى وسطها مستوياً لا يزيد بعضه على بعض. وبنى لها أربعة أبواب فكان إذا جاءها الجاني من المشرق، دخل من باب خراسان. وإذا جاءها من الحجاز، دخل من باب الكوفة، وإذا جاء من المغرب، دخل من باب الشام، وإذا جاء من فارس والأهواز والبصرة وواسط واليمامة والبحرين وعمان، دخل من باب البصرة.

وعمل لها سورين وفصيلين، بين كل باب فصيلان. والسور الداخل أطول من الخارج. وأمر أن لا يبنى إنسان تحت السور شيئاً من المنازل. وأمر أن يبنى في الفصيل الثاني مع السور المنازل، لأن ذلك أحسن للسور. ثم بنى قصره في وسطها، وبنى المسجد الجامع مع القصر وعمل الشوارع على ما أراد، وأقطعها القواد وأنزل فيها خاصته وأهل ثقته. وجعل الطول من باب خراسان إلى باب الكوفة ثمانمائة ذراع. ومن باب الشام إلى باب البصرة ستمائة ذراع. وعدد الطاقات في السور الكبير ثلاثة وخمسون طاقاً سوى الطاق المفتوح. هذا في كل صف. والطاقات الصغار التي تلي الرحبة في كل صف ست طاقات سوى طاق

البايين. وساحة القصر أربعمائة ذراع في مثلها. وساحة المسجد الجامع مائتا ذراع في مثلها.

والذي خط المسجد الحجاج بن أرطاة وجعل حوالي القصر والمسجد رحاباً على تربيع القصر والجامع. وجعل الأبواب الداخلة مزواة ليست على سمت الأبواب الخارجة. فلذلك سميت الزوراء. وبين القصر وبين كل باب من الأبواب مساحة قائمة لا يزيد بعضها على بعض. وكذلك بينه وبين كل ناحية من السور وأساطين الخشب التي في المسجد الجامع كل أسطوانة قطعتين بعقبين (١) والغرى وضبات الحديد إلا خمسة أو ستة عند الشنال (٢) الذي يلي المنارة ثمان في كل واحدة عدة قطع معقبة محكمة.

وقال بعض أهل بغداد (٣): هدمنا قطعة من السور الذي يلي باب المحول فوجدنا لبنة عليها مكتوب بمغرة: وزئها مائة ومببعة عشر رطلاً فوزئها فوجدنا ذلك كما كتب عليها.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي (٤): لما أراد المنصور بناء مدينته شاور أصحابه في ذلك، وكان فيمن شاوره خالد بن برمك فأشار عليه ببنائها. فلما عمل منها صدراً صالحاً احتاج إلى الأجر، فعزم على نقض إيوان كسرى الذي بالمدائن. فاستشار في ذلك أيضاً فأشار عليه جماعة خواصه أن يفعل. وكان فيهم خالد بن برمك فلم يقل شيئاً فقال له: لم لا تكلم يا خالد وتشير بما عندك؟ قال: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ قال: لأنه علم من أعلام الإسلام يستدل به الناظر والوافد والملوك على عظم شأن أربابه وعن سلطانهم، وإن الإسلام قهرهم وأزالهم عنه. وأيضاً فإن فيه مسجداً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: هيهات يا خالد! أبيت إلا التعصب لأصحابك والميل إليهم. وأمر

(١) كلمة مطموسة.

(٢) لعلها: الشباك.

(٣) الطبري ٧: ٦٥٢.

(٤) الطبري ٧: ٦٥٠ (وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال ...).

بنقضه ونقض ما حوله من الأبنية. قال: فنقض شيء من ذلك وحمل أجره إلى بغداد فوجدوا أن النفقة على هدمه وحمله ومؤنته أكثر مما يتفق على الأجر الجديد إذا عمل. فرفع ذلك إلى المنصور فأمر بتركه وأحضر خالداً فعرفه الخبر وقال له ما عندك في هذا؟ فقال: قد كنتُ أشرتُ على أمير المؤمنين أن لا تعرض لشيء من نقضه فلم يفعل، فأما الآن وقد ابتدأ بذلك فما أرى أن يكف عنه حتى يلحقه بقواعده لثلاثين عاماً فإنه عجز عن هدم ما بناه غيره. والهدم أيسر من البناء. فتبسم المنصور وأمر بترك ذلك.

قال: وأمر^(١) المنصور أن تجعل الأسواق في طاقات المدينة إزاء كل باب سوقاً. فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من الروم وافداً من عند الملك فأمر الربيع أن يطوف به المدينة حتى ينظر إليها ويتأملها ويرى سورها وأبوابها [٣٣ ب] وما حولها من العمارة ويصعد السور حتى يمشي عليه من أوله إلى آخره، ويريه قباب الأبواب والطاقات وجميع ذلك. ففعل الربيع ما أمره به. فلما دخل إلى المنصور قال له: كيف رأيت مدينتي؟ قال: رأيت حسناً ومدينة حصينة إلا أن أعداءك معك فيها. قال: ومن هم؟ قال: السوق، يوافي الجاسوس من بعض الأطراف فيدخل لعله ما يشتري فيتجسس الأخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير أن يعلم به. فسكت المنصور. فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوق من المدينة وتقدم إلى إبراهيم بن الحبيش الكوفي وخراش بن المسيب اليماني بذلك. وأمرهما أن يبني الأسواق ناحية الكرخ ويجعلها صفوفاً، لكل سوق صف، وأن يدفعوها إلى الناس. فلما فرغا من ذلك، حوّل السوق من طاقات المدينة ووضع عليهم الغلة على قدر الذرع. فلما كثر الناس ضاقت عليه. فقالوا لإبراهيم بن حبيش وخراش: قد ضاقت علينا هذه الصفوف ونحن نتسع. وتبني لنا أسواقاً من أموالنا ونؤدي عنها الأجرة. فأجيبوا إلى ذلك، فأتسعوا في البناء والأسواق.

وقال الشروي: بل كان سبب إخراج الأسواق عنها أن المنصور حين استتم

(١) لدى الطبري ٧: ٦٥٢ - ٦٥٣ وفيه جواسس بن المسيب اليماني. بدلاً من خراش.

البناء، دعا إليه رسل الملوك الذين كانوا على بابه فقال: كيف ترون مدينتي هذه؟ فقالوا: ما رأينا أحسن تقديراً ولا أحكم بناء ولا أحصن أسواراً منها. فقال: هل ترون فيها عيباً؟ فقال أحدهم: نعم. سوقها في جوفها والجواسيس لا ينكر عليهم مخالطة السوق ومبايعتهم. وقال آخر: ومن عيوبها أيضاً أنه ليس لها نهر يخرقها. وقال آخر: ومن ذلك أنه لا مقبرة لها ولا ميدان فيها.

فأمر المنصور فعمل لها دولاب أجري ماؤه إلى القصر، فكان يخرقها حتى يوافي القصر، وقال هذا يقوم مقام النهر. فلم يزل ساج ذلك النهر والدولاب [٣٤أ] يصب فيه إلى أيام محمد بن عبد الله بن طاهر ثم قلع وعطل.

قال: وأمر بإخراج السوق إلى ناحية الكرخ وباب الشعير وقطعة الربيع وما قرب من ذلك. وعمل ميداناً في الرحبة فقواده وخاصته. وعمل المقبرة المعروفة بمقبرة قريش، وذلك في سنة تسع وخمسين ومائة. وفي هذه السنة بنى قصره الذي يشرع إلى دجلة وسماه الخلد. وأمر بعقد الجسر عند باب الشعير، وجعل النفقة لذلك على يدي حميد بن القاسم الصيرفي^(١).

قال: وكان فراغ المنصور من بناء مدينة السلام ونزوله إليها ونقل الخزائن والدواوين وبيوت الأموال إليها، سنة ست وأربعين ومائة. وكان استتمامه لبناء السور والفراغ من الخندق وأحكام جميع أمر المدينة سنة تسع وأربعين ومائة. ثم شخص في هذه السنة إلى حديثة الموصل لأمر أراده ثم انصرف.

وقال الشروي: لما قدم المهدي من الري وفد إليه أهل الكوفة وأهل الشام وغيرهم من وجوه الناس فهنؤه بمقدمه ولقوا المنصور فهنؤه أيضاً، فأمر المهدي لعامتهم بالجوائز والخلع والحملان.

وقد كان المنصور أمره أن يقيم في الجانب الشرقي من مدينة السلام وأمره ببناء الرصافة، وأن يعمل بها سوراً وخندقاً وبستاناً. فابتدأ بعمل ذلك وجعل النهر مخترقاً لها حتى يدخل المسجد الجامع. فكان الناس يشربون منه يوم الجمعة.

(١) لدى الطبري ٨ : ٥٢ إن ذلك تم عام ١٥٧ هـ.

وقدر شوارعها، فلم تكن في الأحكام والاستواء مثل شوارع الجانب الغربي.

وقال يحيى بن الحسين: كان بناء المهدي كله بالرهوص إلا ما كان يسكنه هو. وكذلك كان بناء موسى الهادي بعده. وكان استتمام بناء المهدي الرصافة والجامع سنة تسع وخمسين ومائة.

وخرج المنصور بعد قدوم المهدي من الري بشهور إلى البردان ليعرض الجند ويسقط من لم يكن من أهل خراسان، فأحكم ما أراد من ذلك وعاد إلى بغداد [٣٤ ب].

وقال عيسى بن المنصور^(١): وجدت في بعض خزائن أبي مبلغ النفقة على مدينة السلام والمسجد الجامع وقصر الذهب والأسواق والفُصلان والخنادق والقباب والأبواب، فكان جميع ذلك أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانون درهماً، يكون من الفلوس مائة ألف وثلاثة وعشرين ألف فليس. وذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بغيراط [إلى خمس حبات]^(٢) والروزجاري بحبتين إلى ثلاث حبات.

وقال أبو سهل بن نوبخت عن جده نوبخت^(٣) قال: أمرني المنصور لما أراد بناء بغداد بأخذ الطالع ففعلت، فإذا الطالع الشمس وهي في القوس. فخبرته بما تدل النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وفقر الناس إلى ما فيها. ثم قلت: وخلة أخرى أسرك بها يا أمير المؤمنين. قال: وما هي؟ قلت: نجد في أدلة النجوم أنه لا يموت فيها خليفة أبداً حتف أنفه. قال: فتبسم ثم قال: الحمد لله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. ولذلك يقول الشاعر:

أعابت في طول من الأرض والعرض كبغداد من دار بها مسكن الخفض

(١) الطبري ٧: ٦٥٥ والمبلغ هناك هو ٤٠٠٠٨٣٨ درهماً.

(٢) تكملة من معجم البلدان (بغداد).

(٣) قال ابن العبري ص ٢١٦ (وكان نوبخت المنجم الفارسي يصحب المنصور، وكان فاضلاً حاذقاً خبيراً باقتران الكواكب وحوادثها).

صَفَا العِيشُ فِي بَغْدَادَ وَاخْضَرَّ عودُهُ وَعَيشُ سِوَاهَا غَيْرُ صَافٍ وَلَا غَضُّ
تَطَوَّلَ بِهَا الأَعْمَارُ أَنْ غَدَاءَهَا مَرِيءٌ. وَبَعْضُ الأَرْضِ أَمْرٌ مِنْ بَعْضِ
[قَضَى رُبُّهَا أَنْ لَا يَمُوتَ خَلِيفَةٌ] بِهَا، إِنَّهُ مَا شَاءَ فِي خَلْقِهِ يَقْضِي^(١)
تَنَامُ بِهَا عَيْنُ الغَرِيبِ وَلَا تَرَى غَرِيباً بِأَرْضِ الشَّامِ يَطْمَعُ فِي الغَمَضِ
فَإِنْ جُزِيتْ بَغْدَادُ مِنْهُمْ بِقَرَضِهَا فَمَا أَسْلَفْتُ إِلَّا الجَمِيلَ مِنَ القَرَضِ
وَأَنْ رَمِيتْ بِالهِجْرِ مِنْهُمْ وَبِالْقِلَى فَمَا أَصْبَحْتُ أَهْلًا لِهَجْرِ وَلَا بُغْضِ

وكان تحول المنصور من الهاشمية إلى بغداد والابتداء ببنائها سنة خمس وأربعين ومائة. وذلك في اليوم العاشر من مرداذماه سنة إحدى وثلاثين ومائة ليزدجرد. وآخر يوم من تموز سنة ألف وثلاثمائة وسبعين للإسكندر. والشمس يومئذ في الأسد [٣٥] ثمان درجات وعشر دقائق وزحل في الحمل درجة وأربعين دقيقة. والمشتري في القوس ست درجات. والزهرة في الجوزاء ثلاثين درجة. وعطارد في الجوزاء أربع وعشرين درجة. والراس في الجدي خمسا وعشرين درجة.

قال: ووكل بالبناء قواده فقسمها بينهم أرباعاً فدفع إلى الربيع الحاجب باب خراسان، وإلى أبي أيوب الخوزي وزيره باب الكوفة، وإلى عبد الملك بن حميد باب البصرة، وإلى ابن رغبان مولى محمد بن مسلمة الفهري باب الشام فبنوها.

قال: وعلى المدينة ثمانية [أبواب]^(٢)، خمسة منها كانت على مدينة في ظهر واسط يقال لها الزندروذ يقال إن الجن بنتها لسليمان بن داود عليه السلام. وإن الأبواب من عمل الشياطين له أيضاً. فنقلها المنصور من هذه المدينة إلى بغداد لَمَّا بناها وهي الأربعة الأبواب الداخلة من كل باب. ومنها باب البصرة الخارج، والباب الخارج من باب خراسان، حمل من الشام، يقال إنه من عمل الفراعنة،

(١) في معجم البلدان (بغداد) إن الشاعر هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي. وجئنا بهذا البيت من ياقوت ليكمل به محلّ الشاهد (عند موت خليفة فيها).

(٢) زيادة يقتضيهما السياق. وعن أبواب بغداد انظر الطبري ٧: ٦٥١.

وهو أقصرها. وباب الكوفة الخارج باب قصر خالد بن عبد الله القسري حمل من الكوفة. وباب الشام الخارج عمل للمنصور ببغداد وهو أضعفها. وكانت الحربية أيام فتنة الحسن بن سهل قبل دخول المأمون إلى بغداد أحرقوه فسقط أحد المصراعين وانصدع فضُب من جانبيه.

وقيل لرجل: كيف رأيت بغداد؟ قال: الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها.

وحدث أحمد بن حميد بن جبلة^(١) قال: حدثني أبي عن جدي جبلة، قال: كانت مدينة أبي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة. فلما أخذها المنصور عوضهم منها عوضاً رضوا به. فأخذ جدي من ذلك حصته.

قال^(٢): وكان شارع باب الأنبار لأهل قرية بباب الشام يسمون الترابية.

قال: وقال حماد التركي^(٣): كان حول مدينة أبي جعفر قبل بنائها قرى فكان إلى جانب باب الشام قرية يقال لها أخطانية على باب درب النورة إلى درب الأقفاس. وكان بعض تخلصها في نفس شارع باب الشام. فلم يزل إلى أن قلع في أيام فتنة المخلوع [٣٥ ب] وكانت هذه القرية التي يقال لها أخطانية لقوم من الدهاقين يقال لهم بنو فروة، وبنو قنورا، منهم مالك بن دينار ويعقوب بن سليمان.

وحدث^(٤) أبو جعفر محمد بن موسى بن الفرات أن القرية التي في مربعة أبي العباس الطوسي، كانت قرية جده من قبل أمه وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زرارى، وكانت القرية يقال لها الوردانية. وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مربعة أبي قرة يقال لها سرقانية^(٥) ولها نخل قائم إلى اليوم مما يلي قنطرة أبي

(١) الطبري ٧: ٦١٩.

(٢) لا يوجد هذا الكلام لدى الطبري.

(٣) الطبري ٧: ٦١٩ وفيه قرية الخطابية وليس أخطانية.

(٤) من هنا إلى قوله (الوردانية) لدى الطبري ٧: ٦٢٠.

(٥) لدى الطبري ٧: ٦٢٠ سرقانية ... مما يلي قنطرة أبي الجون.

الجوز. وأبو الجوز هذا من دهاقين بغداد من أهل هذه القرية والقنطرة منسوبة إليه.

وكانت^(١) قطيعة الربيع مزارع لناس من أهل قرية يقال لها ماوري من رستاق الفروسيج من بادرويا واسمها إلى اليوم معروف في الديوان.

وكان موضع بركة زلزل وما والاها إلى ناحية مسجد الأنبار بين مزارع. وكان النهر الذي يسقي هذه المزارع في موضع باب طاق الحراني إلى باب الكرخ.

وذكر بعض المشايخ قال: رأيت عند باب قطيعة الربيع قبل بنائها كرمًا ومعصرة. وهو المكان الذي بني به خان الطيالة والحوانيت التي يباع فيها الكاغذ الخراساني.

وقال محمد بن موسى بن الفرات الكاتب^(٢): سمعت جدي يقول: كنت في ديواني يوماً، فدخل إلي رجل من دهاقين بادوريا له قدر، فرأيت مخرق الطيلسان. فقلت من خرق طيلسانك؟ فقال: خرق والله في زحمة الناس وتضاغطهم في موضع طالما طردت فيه الظباء والأرانب. قلت: وأين هو؟ قال: الكرخ.

وذكر رجل من ولد الربيع الحاجب عن أبيه أن المنصور أقطع الربيع القطيعة التي يسكنها التجار اليوم وقطيعة الحربي بين السورين في ظهر درب جميل. وأن التجار وغيرهم من مجاوريها اغتصبوا ولد الربيع عليها.

وسويقة غالب وقطيعة الربيع كانتا في القديم قرية تدعى ورثالا. ويقال إن قطيعة الربيع الخارجة إنما كانت إقطاعاً من المهدي للربيع. وإنما أقطعه المنصور القطيعة [٣٦ أ] الداخلة. وقيل إن الذي خارج القطيعة من أصحاب اللبود، ودرب الطيالس إلى التوتة إلى درب الدمشقيين وما وراء ذلك إلى حدود دجلة والعتيقة من ورثالا أيضاً.

(١) من هنا إلى (من بادرويا) لدى الطبري ٧: ٦٢٠ وفيه (قرية يقال لها بناوري من رستاق الفروسيج) وفي ياقوت وتاريخ الخطيب ١: ٨٨ (الفروسيج) أيضاً.

(٢) الطبري ٧: ٦٢٠.

والنهر المعروف بنهر القلائين غربيه من ورثالا وشرقيه من نهر طابق . ونهر طابق إنما هو نهر بابك ، منسوب إلى بابك بن بهرام بن بابك ، وهو قديم ، وبابك هذا هو الذي اتخذ الصقر الذي عليه قصر عيسى بن علي واحتفر هذا النهر . وما كان وراء هذا النهر فهو من رستاق الكرخ . وباب الكرخ منسوب إلى هذا الرستاق لأنه الطريق إليه . ونهر عيسى غربيه من الفروستج ، وشرقيه من رستاق الكرخ وفيه دور المعبدین .

وقنطرة بني زريق ودار البطيخ ودار القطن وقطیعة النصاری إلى قنطرة الشوك من نهر طابق ، وشرقيه وغربيه من قرية ماوری .

ومسجد الواسطيين مع الموضع المعروف بظله ميشويه . - وميشويه رجل من الدهاقين نصراني - إلى أن يخرج إلى الخندق المعروف بخندق الصينيات من باب المحول إلى الياسرية .

وما كان من غربي الشارع فهو من مزارع كانت منسوبة إلى القرية المعروفة ببراثا .

وما كان من شرقيها فمن رستاق الفروستج . وما كان من درب الحجارة وقنطرة العباس شرقياً وغربياً فهو من نهر كرخايا من قرية براثا . وإنما سمي نهر كرخايا لأنه كان يسقي رستاق الفروستج والكرخ . فلما أحدث عيسى بن علي الرحى المعروفة برحى أم جعفر ، قطع نهر كرخايا وجعل سقي رستاق الكرخ من نهر رقیل .

وما كان على الصراة من شرقيها فهو من بادرويا وما كان من غربيها فهو من طسوج قطربل .

قال : ومن حد قنطرة الجديدة وشارع طاق الحراني إلى شارع باب الكرخ ، منسوب إلى القرية المعروفة للعامة مقبرة باب حرب ، ثم مقابر المسيب ثم مقابر باب التبن ثم مقابر الكناسة ثم المقابر التي تلي باب الكوفة [٣٦ ب] .

وأقطع المنصور قواده في أرباض المدينة شوارع تنسب إليهم . فأول ذلك

مما يلي السور من الجانب الغربي ربض حرب بن عبد الملك البلخي، وكان يتولى شرطة جعفر بن أبي جعفر، وجعفر إذ ذاك يتقلد الموصل. وإليه تنسب الحربية. وقتل في سنة سبع وأربعين ومائة. قتله الترك.

ويتصل بربض حرب، ربض ينسب إلى المراوزة ثم ربض الترجمان بن صالح. ثم ربض ينسب إلى عتيك بن هلال الفارسي، وله في الدولة آثار وأخبار، وله في المدينة أيضاً درب ينسب إليه.

ثم مربعة أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي. وكان من النقباء السبعين. ثم يتصل بمربعة أبي العباس الشارع المتصل بباب الشام.

ثم مربعة شبيب بن وأج [المرورودي]^(١). وعن يسارها اقطاع أبي العباس الطوسي وريضة وغلاته ومستقر اقطاعه. وعن يمينها السوق النافذة إلى درب الرؤاسيين والشارع النافذ إلى بستان القس. وهذا البستان قبل أن تبنى بغداد.

ثم المعطف إلى باب الكوفة. وعن يمين هذا المعطف باب الكوفة والسوق المنسوبة إلى عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد الإمام. والمقابر الشارعة بين الطريقين لأهل المدينة.

وهناك الربض المنسوب إلى زهير بن المسيب الضبي، وهو النافذ إلى طريق الأنبار.

وقال محمد بن عطاء الشامي: اقطاع زهير بن المسيب في شارع باب الكوفة ما بين حدّ دار الكندي إلى حدّ سويقة عبد الوهاب بن إبراهيم إلى داخل المقابر. واقطاع القحاطبة من شارع باب الكوفة إلى باب الشام.

وجهار سوق الهيثم منسوب إلى الهيثم بن معاوية، بعض قواد الخراسانية. وممن أقطعه المنصور في الشارع المعروف بدور الصحابة، أبو بكر الهذلي، وله درب هناك ومسجد منسوب إليه.

(١) تكملة من تاريخ الخطيب ١ : ٨٤.

وقال أحمد بن الهيثم بن فراس: كانت دار البطيخ قبل أن ينقل إلى الكرخ في درب يعرف بدرب الأساكفة، وإلى جانبه درب يعرف بدرب الخير، فنقلت من هذا المكان إلى موضعها بالكرخ [٣٧ أ] في أيام المهدي. ودخلت هذه الدروب فيما بعد في الدور التي ابتاعها أحمد بن محمد الطائي وجعلها دوراً له ولحاشيته واصطبلات.

وكانت القطائع التي من جانب الصراة مما يلي باب المحول، منها قطعة لعقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث.

ثم سويقة أبي الورد وهو عمر بن المطرف الخراساني المروزي، وكان يلي المظالم للمهدي وينظر في القصص التي تلقى في البيت الذي سماه بيت العدل في مسجد الرصافة.

ويتصل بسويقة أبي الورد مما يلي الدار المنسوبة إلى الجلودي، قطعة إسحاق الأزرق الشروي مولى محمد بن علي. وهي عن يمين هذه القطيعة.

وعن يسار سويقة أبي الورد، البركة المنسوبة إلى زلزل الضارب. وكان من كرام الناس في أيام المهدي والهادي والرشيدي. وكان في موضع البركة قرية يقال لها شال قنيا إلى قصر الواضح. وكان زلزل غلاماً لعيسى بن جعفر بن المنصور، فحفر هذه البركة وجعلها وقفاً على المسلمين.

وقصر الواضح بناه المنصور للمهدي قبل الرصافة. والمسجد الذي يعرف بالشرقية، والشرقية أيضاً قرية قديمة كانت تسمى بهذا الاسم وكذلك العتيقة وهي كسروية.

والواضح الذي ينسب إليه القصر المعروف بقصر الواضح، رجل من أهل الأنبار تولى النفقة عليه فنسب إليه. وقد قيل إن الواضح رجل من موالي المنصور.

قال: والمنصور الذي بنى القنطرة المعروفة بالجديدة على الصراة مما يلي دور الصحابة وباب الطاق الحراني. قال: والحراني هو إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحراني مولى المنصور. قال: وكان لذكوان أخ يقال له الفضل أعتقه

مروان بن محمد، وأعتق ذكوان علي بن عبد الله.

قال: وكان باب الشعير في القديم مرفأً للسفن التي توفي من الموصل والبصرة. وكان موضع مسجد ابن رغبان مزبلة.

وذكر بعض مشايخ الدهاقين قال: اجتاز بي رجل وأنا عند [٣٧ ب] المزبلة التي صارت مسجد ابن رغبان، وذلك قبل أن تبنى بغداد فوقف عليها ونظر إليها وقال: ليأتين على الناس زمان من طرح في هذا الموضع شيئاً فأحسن أحواله أن يحمل إياه في ثوبه. فضحكت تعجباً من قوله. فما مضت الأيام حتى رأيت الأمر على ما قال.

قال: وكان موضع الخلد ديراً فيه راهب. وإنما اختار المنتصور نزوله وبناء قصره فيه لقلة البق. وكان عذباً طيب الهوام.

وكان موضع الحبس وما والاها إقطاعاً^(١) لعبد الله بن الخزاعي ثم صار بعد ذلك في أيام الرشيد لمحمد بن يحيى بن خالد. ثم صار جميع ذلك لأم جعفر في أيام الرشيد وأيام الأمين.

والمسجد الكبير قبالة الحبس مما يلي السجن الجديد، مسجد عبد الله بن مالك.

ثم ابنت أم جعفر في أيام الأمين القصر المعروف بالفزار وهو القصر الذي أقطعه المتوكل لمحمد بن عبد الله بن طاهر. فأقطعه محمد جماعة من أصحابه وفي قطيعة أم جعفر الزبيدية المنسوبة إليها كان ينزلها موالها وحاشيتها.

ثم يلي الحبس درب سليمان بن أبي جعفر وهو منسوب إليه وفيه كانت داره.

ثم أقطع المنتصور قوماً من أهل خراسان يعرفون بالبغيين، وهم ممن كان في الدولة. وأصلهم من قرية من قرى مرو الرود تعرف ببغ، الموضع المعروف

(١) في الأصل: إقطاع.

بالبغيين . وهذا الموضع أول الدرب المعروف بسوار مما يلي دجلة إلى آخر ربض
البرجلانية .

ثم قطيعة زهير بن محمد وأصحابه إلى جانب القطيعة المعروفة بأبي النجم
وهو أحد قواد المنصور ، وأصله من خراسان ، وكانت أم سلمة بنت أبي النجم هذا
عند أبي مسلم صاحب الدولة .

ويتصل بهذه القطيعة الزهيرية مما يلي باب التبن ، وهو ربض يعرف
بأصحاب زهير بن محمد قائد من أهل أبيورد ، ومع حد سور بغداد إلى باب قطربل
وهو الباب المعروف بالباب الصغير . [٣٨ أ] وزهير صاحب هذه القطيعة أردي من
عرب خراسان .

ويتصل بالزهيرية ربض أبي النجم . ووراء ذلك الخندق الذي عليه القنطرة
النافذة إلى قطيعة أم جعفر . ويتصل بالقطيعة دار إسحاق بن إبراهيم ، وكانت
جزيرة فأقطعها المأمون إسحاق . فأولها يتصل بدار البطيخ وآخرها بمقابر باب
التبن .

ويتصل بباب التبن ربض ~~يُنسب إلى أبي حنيفة~~ أحد قواد المنصور . ثم تتصل
به مربعة الفضل بن سليمان المعروف بالطوسي وهو من أهل أبيورد . وكان مخرجه
في الدولة من طوس فعرف بالطوسي وكان على شرط المنصور .

ثم ربض عثمان بن سهيل وكان على حرس المنصور .

ثم تخرج من مربعة أبي العباس إلى مربعة الفرس وربضهم . وهؤلاء قوم من
الفرس أقطعهم المنصور هذه الناحية فنسبت إليهم .

ويتصل بربض الفرس ، ربض الخوارزمية وهم من جند المنصور . وفي
شارعهم درب يعرف بدرب النجارية .

ثم ربض عمرو بن اسفندياذ .

ثم ربض رشيد . ورشيد مولى المنصور ، وهو أبو داود بن رشيد المحدث
مولى المنصور .

ويتلوه ربض يعرف بسعيد بن حميد وهو نافذ إلى [أن] يخرج إلى طاق مناس.

ويتلوه ربض سعيد بن المسيب المعروف بطاق أبي علي.

وفي طرف ربض زهير قطائع تعرف بالموالي . وهم موالي أم جعفر.

ويتصل بها ربض سليمان بن مجالد مولى المنصور . وقد ولي للمنصور والمهدي ولايات .

ويتصل به ربض حمزة بن مالك بن هيثم الخزاعي .

ثم ربض زراد بن سنان وكان أحد قواد المنصور .

وسويقة الهيثم بن شعبة بن ظفير مولى المنصور .

وقال بعض العلماء بأمور بغداد: المنائر التي في شارع الأنبار بناها كلها طاهر بن الحسين . وذلك أنه كان حصاره الأمين كلما بلغ إلى موضع من ذلك الشارع بني فيه مسجداً أو منارة *مركز توثيق كوثيق بغداد*

ثم يليه ربض حميد بن قحطبة الطائي . وكان أحد النقباء .

ثم ربض نصر بن عبد الله وهو الشارع النافذ إلى دجيل [٣٨ ب] من شارع باب الشام إلى درب السقائين .

وعن يمينه قطائع قوم يعرفون بالسرخسية . وفي قطيعتهم طاقات الروندي^(١) ، وهو أحد الشيعة من السرخسية واسمه محمد بن الحسن . وكان صهراً لعلي بن عيسى بن ماهان على أخته .

وفي الشارع المنسوب إلى أبي حنيفة ، دار عمارة بن حمزة ، وكان أحد البلغاء . وهو من ولد أبي لبابة مولى رسول الله (ﷺ) . ودار عمارة إقطاع من

(١) ياقوت (طاقات الراوندي) وليس الروندي وقال إنه أحد شيعة المنصور .

المنصور. وكانت من قبل أن تبنى بغداد بستاناً لبعض [ال] ملوك. ويتصل بها ربح أبي حنيفة.

ثم ربح إبراهيم بن عثمان بن نهيك. وهو ما بين دار عمارة ومقابر قریش.
ثم طاقات العكي في الشارع النافذ إلى مربعة شبيب بن وأج في ربح يعرف بربض الحرس. والعكي اسمه مقاتل بن حكيم وأصله من الشام ومخرجه من خراسان من مرو. وهو من السبعين. وله قطيعة في المدينة بين باب البصرة وباب الكوفة ودرب ينسب إليه إلى اليوم. ويقال إن أول طاقات بنيت في الربح ببغداد، طاقات العكي، ثم طاقات الغطريف. وهو الغطريف بن عطاء، وكان أخا الخيزران خال موسى الهادي والرشيدي. ثم طاقات أبي سويد، واسمه الجارود مما يلي مقابر باب الشام وقطيعة وربهض هناك.

ويتصل به ربح العلاء بن موسى الخوزجاني مما يلي الدرب المعروف بأبي حية وهو الشارع النافذ إلى درب السقائين.

ثم ربح أبي نعيم موسى صبيح من أهل مرو، من قواد المنصور. وفيه الموضع [الذي] يقال [له] شيرويه. وشيرويه مجوسي من دهاقين بغداد القدماء.

وربح أبي عون في شارع دار الرقيق، واسمه عبد الملك بن زيد، في الدرب النافذ إلى دار عبد الله بن طاهر. وكان أبو عون من موالي المنصور وكان يتولى له مصر ثم عزل عنها.

وقصر عبدويه مما يلي برائنا، منسوب إلى عبدويه الأزدي. وهو من وجوه رجال الدولة. وإنما كان المهدي صير إليه النفقة على هذا القصر فنسب إليه.

وقصر هاني منسوب إلى [٣٩] هاني بن بشير، وكان يتولى للمهدي ديوان الخراج.

والرهينة كانت قطائع لقوم أخذوا رهينة من بعض البلدان في أيام المنصور، فلم يزالوا بها إلى أيام الرشيدي، ثم خرجوا مع طاهر بن الحسين إلى خراسان في أيام المأمون فلم يبق منهم أحد وخربت منازلهم إلى اليوم.

والرهينة متصلة بربض نوح بن فرقد، أحد قواد المنصور. وهو في طرف بغداد مما يلي مسجد طاهر الذي بناء هناك أيام فتنة الأمين.

وصحراء قيراط منسوبة إلى قيراط مولى طاهر بن الحسين. - وكان عيسى وقيراط من أشراف الموالي - وله هناك مسجد يعرف به.

ودويرة مبارك مما يلي شارع باب الأنبار. ومبارك من موالي المنصور. وهناك ربض يعرف بالخوارزمية.

وفي طريق باب الأنبار، ربض سعيد بن حميد بن دعلج. وكان سعيد يتولى شرط المنصور سنة ست وخمسين ومائة. وتولى البصرة بعد ذلك.

وفي طرف باب الأنبار، منارة الحكم. وهو الحكم بن ميمون مولى عامر بن دلجة أحد بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة وعامر بن دلجة ويحيى أخوهما عرقبا جمل عائشة بالبصرة فهانت الحرب.

والعباسية منسوبة إلى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وكان بعض القواد يذكرها ويقول: عزمي أن أستقطعها من أمير المؤمنين. ثم قدم العباس على المنصور فاستقطعها منه فأقطعه إياها وجعل مؤدّي خراجها بمصر. فاتخذ بها العباس زنجاً كانوا ينسبون إليه فيقال زنج العباس. وهو أول من زرع فيها الباقلي. وكان باقلاؤها نهاية، فقال: الباقلي العباسي. وكانت تدعى جزيرة العباس لأنها بين الصراتين. ومن أجل باقلائها وجودته صار الباقلي الرطب في كل موضع يقال له العباسي.

وقال رجل من ولد عمارة بن حمزة: كانت دار عمارة ورحبته ضيقة فأراد أن يستقطع العباسية منه. فسبقه العباس بن محمد فاستقطعها فأقطعه إياها.

ويروى أيضاً أن موسى [٣٩ ب] بن كعب - وكان من أجل قواد المنصور - كان ضيق الدار والرحبة. فزاره العباس بن محمد. فلما نظر إلى ضيق منزله قال: ما لمتزلك في نهاية الضيق والناس في سعة؟ قال: ندمت وقد أقطع أمير المؤمنين الناس منازلهم. وعزمي أن أستقطعه هذه الرحبة التي بين يدي المدينة - يعني

العباسية - فسكت العباس وانصرف من عنده إلى المنصور وقال يا أمير المؤمنين! تقطعني هذه الرحبة التي بين يدي مدينتك، قال: قد فعلت. فانصرف ومعه التوقيع بإقطاعها.

وصار موسى بعد خروجه إلى المنصور، فأعلمه ضيق منزله، وأنه لا قطيعة له وسأله أن يقطعه إياها. فقال له: هل شاورت فيها أحداً قبل أن تسألني؟ قال: لا. إلا أن العباس بن محمد كان عندي اتفاقاً. فأعلمته أنني أريد استقطاعها منك. فتبسم المنصور وقال قد سبقك واستقطعني إياها فأجبتني إلى ذلك فأمسك عنها موسى بن كعب ولم يذكرها.

وذكر بعض المشيخة قال: رأيت السجل بإقطاع العباس وفيه: إنك سألت أمير المؤمنين إقطاعك الساحة التي كانت مضمياً للبن مدينة السلام، فأقطعكها أمير المؤمنين علي ما سألت وضمنت.

وقصر عيسى منسوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله وهو أول قصر بناء الهاشميون ببغداد في أيام المنصور.

وروي أن المنصور زار عيسى بن علي ومعه أربعة آلاف رجل من الجند فتغدى عنده وجميع خاصته، ودفع إلى كل رجل من الجند زنبيل فيه خبز وربع جدي ودجاجة وبيض ولحم بارد وحلوى. فانصرفوا كلهم مسمطين ذلك. فلما أراد المنصور أن ينصرف قال لعيسى: يا أبا العباس لي حاجة. قال: ما هي يا أمير المؤمنين، فأمرك طاعة؟ قال: تهب لي هذا القصر. قال: ما بي ضنّ عنك به، ولكن أكره أن يقول الناس: إن أمير المؤمنين زار عمه فأخرجه من قصره وشرّده وشرّد عياله. وبعد، فإن فيه من حرم أمير المؤمنين ومواليه أربعة آلاف نفس. فإن لم يكن بدّ من أخذه فليأمر لي أمير المؤمنين بفضاء يسعني [٤٠] ويسعهم أضرب فيه مضارب وخيماً أنقلهم إليها إلى أن أبني لهم ما يواريهم. فقال له المنصور: عمّر الله بك منزلك يا عم، وبارك فيه. ثم نهض منصرفاً.

وقنطرة بني زريق منسوبة إلى قوم من دهاقين بغداد كان يقال لهم بنو زريق لهم نسب معروف.

وقنطرة المعبدي منسوبة إلى عبد الله بن محمد المعبدي. وكان له هناك إقطاع. وهو الذي بنى هذه القنطرة على النهر مع رحي اتخذها هناك. وكانت في هذا الدكان فصار بعد ذلك لمحمد بن عبد الملك الزيات وجعلها بستاناً فانقبضت مع ما قبض من أملاكه. اشتراها قوم من الكرخيين وغيرهم.

قال: والنوبختية إقطاع من المنصور لنوبخت لما حكم بأن أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن عليهم السلام، لا يتم.

وهناك درب يعرف بدرب الناووس كان فيه ناووس قديم فنُسب إليه.

وقال أبو زكريا: دخلت على أبي العباس الفضل بن الربيع يوماً فوجدت يعقوب بن المهدي عن يمينه، ومنصور بن المهدي عن يساره، ويعقوب بن أبي الربيع عن يمين يعقوب بن المهدي، وقاسم أخوه عن يسار منصور بن المهدي. فسلمت وأومأ بيده إلى الانصراف. وكان من غلاته إذا أراد أن يتغدى معه أحد من جلسائه أو أهل بيته، أمر غلاماً له يكنى أبا حلبة برده إلى مجلس في داره حتى يحضر غداه ويدعوا به. قال: فخرجت فردني أبو حلبة فدخلت فإذا موسى بن عيسى. فقال لي: أما أنت فقد علمنا أنك رددت إلى الغداء، ولكن الشأن في غيرك. فقلت: أنت الذي لا يقدم عليك أحداً.

قال: وجلسنا حتى حضرا الغداء. فأحضرني وأحضر كتابه - وكانوا أربعة: موسى بن عيسى بن أهرون. وعبد الله بن أبي نعيم الكلبي، وداود بن بسطام، ومحمد بن المختار - فلما أكلنا جاؤا بأطباق الفاكهة فقدموا إلينا طبقاً فيه رطب [٤٠ ب]. فأخذ الفضل منه رطبة فناولها يعقوب بن المهدي وقال له: إن هذا من بستان أبي الذي وهبه له المنصور. فقال له يعقوب: رحم الله أباك، فإني ذكرته أمس وقد اجتزت على الصراة برحي البطريق. فإذا أحسن موضع، وإذا الدور من تحتها والسوق من فوقها وماء غزير حاذ الجرية. فمن البطريق الذي نُسبت هذه

الرحى إليه، أمن موالينا أم من أهل دولتنا أم من العرب؟

قال، فقال الفضل: أنا أحدثك حديثه. لما أفضت الخلافة إلى أبيك رحمه الله، قدم عليه بطريق أنفذه ملك الروم مهتأ له. فأوصلناه إليه وقربناه منه. فقال المهدي للربيع: قل له يتكلم. فقال الربيع لترجمانه ذلك. فقال هو بريء من دينه وإلا فهو حنيف مسلم إن كان قدم لدينار ولا درهم ولا لعرض من أعراض الدنيا. ولا كان قدومه إلا سوقاً إلى وجه الخليفة. وذلك أننا نجد في كتبنا أن الثالث من أهل بيت النبي (ﷺ) يملأها عدلاً كما ملئت جوراً. فجئت اشتياقاً إليه. فقال المهدي للربيع قل للترجمان يقول له: قد سرّني ما قلت ووقع مني حيث أحببت ولك الكرامة ما أقمت، والحباء إذا شخصت، وبلادنا هذه بلاد ريف وطيب فأقم بها ما طابت لك. ثم بعد ذلك فالإذن إليك. وأمر الربيع بإنزاله وإكرامه. فأقام أشهراً ثم خرج يوماً يتنزه بيراناً وما يليها. فلما انصرف اجتاز على الصراة، فلما نظر إلى مكان الأرحاء، وقف ساعة يتأمله فقال له الموكلون: قد أبطأت، فإن كانت لك حاجة فأعلمنا إياها. فقال: شيء فكرت فيه. وانصرف. فلما كان العشي راح إلى الربيع فقال له أقرضني خمسمائة ألف درهم. قال: وما تصنع بها؟ قال: أبني بها لأمير المؤمنين مستغلاً يؤدي في السنة خمسمائة ألف درهم. فقال له الربيع: وحق الماضي صلوات الله عليه، وحياة الباقي أطال الله [٤١] بقاءه لو سألتني أن أهبها لغلامك ما خرجت إلا معه. ولكن هذا الأمر لا بد من إعلام الخليفة إياه. قال: قد علمت أن ذاك كذاك. قال: ودخل الربيع إلى المهدي فأعلمه فقال ادفع إليه خمسمائة ألف وخمسمائة ألف، بل أدفع إليه جميع ما يريد بغير مؤامرة. قال: فدفع ذلك الربيع إليه. فبنى الأرحاء المعروفة بأرحاء البطريق. فأمر المهدي أن تدفع عليها إليه. فكانت تحمل إليه إلى سنة ثلاث وستين ومائة، فإنه مات. فأمر المهدي أن تضم إلى مستغله. قال: وكان اسم البطريق طافات بن الليث بن العيزار بن طريف بن قوق بن مورك. ومورك كان الملك في أيام معاوية.

وقال الخليل بن مالك: كان المنصور قد أمر بعقد ثلاثة جسور: جسر يعبر الناس عليه، وجسر يرجعون فيه، وجسر في الوسط للنساء. وعقد بعد ذلك بباب

البستان جسرين: جسراً له ولولده، وجسراً لخدمه وحشمه.

وعقد الرشيد بعد ذلك عند باب الشماسية جسرين. وكان لأم جعفر جسر عند مشرعة فرج الرخجي بالقرب من سويقة قطوطا. فلم تزل هذه الجسور قائمة إلى أن قتل محمد بن زيده، ثم عطلت إلا الثلاثة المنصورية القديمة التي عند مجلس الشرطة فإنها باقية إلى وقتنا هذا.

قال: وطاق أسماء بالجانب الشرقي منسوب إلى أسماء بنت المنصور. وهذا الطاق كان طاقاً عظيماً، وكان في دارها التي صارت لعلي بن الجهشيار بمشرعة الصخر أقطعه إياها الموفق ثم أقطعها أركوتكين بن أساتكين. وعند طاق أسماء كان مجلس الشعراء. وهناك كانوا يجتمعون في أيام الرشيد.

والموضع المعروف بين القصرين هو قصر أسماء بنت المنصور.

وقصر عبيد الله بن المهدي والخضرية منها يلي باب الطاق منسوبة إلى خضر مولى صالح صاحب المصلى، وفيها تباع الجرار وتعمل المزملات.

وسوق يحيى منسوبة [٤١ ب] إلى يحيى بن خالد البرمكي. وكانت إقطاعاً له من الرشيد، ثم صارت بعد البرامكة لأم جعفر ثم أقطعها المأمون طاهر بن الحسين بعد الفتنة. فهي في أيدي ورثته إلا ما بيع منها.

وسويقة أبي عبيد الله منسوبة إلى عبيد الله وزير المهدي واسمه معاوية بن عمرو.

وشارع الميدان خارج الرصافة وهو شارع مارّ من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء. وفيه قصر أم حبيب بنت الرشيد. وكان هذا القصر ودوره إقطاعاً من المهدي لعباد بن أبي الخصيب ثم صار جميع ذلك للفضل بن الربيع، ثم صار لأم حبيب بنت الرشيد في أيام المأمون، ثم صار بعد ذلك لبنات الخلفاء إلى أن صرن يُجعلن في قصر المهدي بالرصافة.

وسوق العطش بناها شعبة الجرمي للمهدي وحوّل إليها التجار ليخرّب الكرخ. وقال المهدي عند تمام بنائها: سمّتها سوق الريّ. فغلب عليها سوق

العطش. وأولها يتصل بسوقة الحرسي^(١) وداره والإقطاعات التي أقطعه إياها المهدي هناك.

وسوقة العباسية منسوبة إلى العباسة بنت الرشيد. ويقال إن الرشيد فيها أعرس بزييدة ابنة جعفر سنة خمس وستين ومائة. قبل أن تنتقل العباسة إليها ثم دخلت بعد ذلك في أبنية بناها المعتصم.

ودار فرج فوق سوق يحيى. وكان فرج مملوكاً لحمدونة بنت عضيض أم ولد الرشيد، ثم صار ولاؤه للرشيد. وداره إقطاع من الرشيد. ولم يكن على شاطئ دجلة بناء أحكم من بنائها. ثم هدمت فيما هدم من منازل عمر بن فرج لما قبضت.

وكانت دار أحمد بن أبي خالد الأحول لأبي عبيد الله معاوية بن عمرو. وهناك السوقة المنسوبة إليه. وكان أبو خالد الأحول أحد كتاب أبي عبيد الله فاشتراها أحمد بن أبي خالد من ورثة أبي عبيد الله.

ودرب المفضل هو المفضل بن زمام من موالى المهدي.

وسوقة نصر منسوبة إلى نصر بن مالك الخزاعي، إقطاع من المهدي.

ودار الربيع مما يلي المخرم، كانت لمكين الخادم فاشتراها الربيع منه. واتصل خبرها بالمتصور فقال للربيع: أنت تريد عملها بستاناً وتذهب مني بخراجها. فقال: لا والله يا أمير المؤمنين. ولكن كلما ولد لي ابن فتحت له فيها باباً. وهي شارة في شارع الميدان في أيدي ورثة الربيع إلى اليوم.

وسوقة خالد بباب الشماسية منسوبة إلى خالد بن برمك إقطاع من المهدي ثم بنى فيها الفضل قصره المعروف بقصر الطين. وبنى أيضاً فيها جعفر بن يحيى قصرًا آخر.

(١) الصحيح: سعيد الحرشي أحد قادة المهدي العسكريين (ابن الأثير ٦: ٥١ - ٥٢) وفي تاريخ الخطيب ١: ٩٣ الخرمي.

ورحبة يعقوب منسوبة إلى يعقوب بن داود مولى بني سليم، أقطعه إياها المهدي حين استوزره. وذكر بعض المشايخ أنه رأى فيها ازاجاً عتيقاً تشبه السباط كانت قبل بناء بغداد لقوم من دهاقينها.

والمخرم منسوب إلى مخرم بن يزيد بن مخرم بن شريح بن مخرم بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة. كان ينزله أيام نزول العرب السواد في الإسلام فنسب إليه. وقال أبو المنذر: سمعت قوماً من بني الحارث بن كعب يقولون: المخرم إقطاع من عمر بن الخطاب في الإسلام للمخرم بن شريح.

وخان بني زياد منسوب إلى رجل من سواد الكوفة من النبط كان يكنى أبا زياد عمر عمراً طويلاً، لأنه كان ممن وسمه الحجاج. وذلك أن الحجاج وسم النبط على أيديهم ليُعرفوا من سائر الناس. وكان أبو زياد من سواد الكوفة وعاش إلى أيام المنصور. وقال رجل من طيء أنا رأيته بالكوفة في بني عكل في حانوت له يربط البقل^(١)، عليه إزار ورد والوشم على ذراعه. قال: وكان انتقاله من الكوفة مع المنصور لما انتقل إلى بغداد، فنزل في المخرم في شارع النفاطين. فقام الخان وترك بيع البقل وكان تكنى قبل مصيره إلى بغداد أبا زينب ثم تكنى بأبي زياد. ونشأ له ابن فتأدب وفصح فصار إلى همدان فأصاب مالا وتزوج هناك امرأة من العرب، وذلك أنه ادعى أنه عربي. ثم طعن في نسبه عند الرجل الذي [٤٢ ب] تزوج إليه. فقدم الرجل بغداد فسأل عنه فأخبر بقصته ودل على أبيه فصار إليه ووقف عليه. فقال: ما ربيع منك؟ قال بتي. فشهر عليه السيف وحال الناس بينه وبينه وقيل له: لم نفسك لأنك زوجت من لا تعرف.

وكانت الثلاثاء^(٢) قبل بناء بغداد تقوم في يوم معروف من الشهر وهو يوم الثلاثاء. وكان أكثر من يحضرها أهل كلواذى وأهل بغداد فنسبت إلى اليوم الذي كانت تقوم فيه.

(١) نرجع أنها البقل.

(٢) يعني سوق الثلاثاء.

وسويقة حجاج منسوبة إلى الحجاج الوصيف مولى المهدي .

ودار عمارة في طرف شارع المخرم منسوبة إلى عمارة بن أبي الخصيب
مولى روح بن حاتم ، وقيل إنه كان مولى للمنصور . وكان أبو الخصيب أحد من
تولى حجة المنصور .

وقنطرة على نهر المهدي منسوبة إلى بعض بنات المهدي .

وخان وردان^(١) . ذكر أحمد بن إسحاق برصوما قال : حدثني علي بن الحكم
العقيلي قال : كان ابن سنان من قواد المنصور وكان عظيم اللحية جداً . قال فكتب
عبد الله بن عياش المتوفى إلى المنصور يسأله حوائج وكان أحد ما طلب من
الحاجات أن يهب له لحية وردان ليتدفأ بها في الشتاء . فوقع له بقضاء جميع ما
سأل ، ووقع تحت سؤاله لحية وردان : لا ، ولا كرامة . لا أهب لك لحية رجل من
قوادي وجلة أصحابي .

والصالحية إقطاع من المنصور لابنه صالح المعروف بالمسكين .

وقباب الحسين التي خارج بغداد على طريق خراسان منسوبة إلى الحسين بن
قرة الفزاري . وكان قرة ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

عيسى آباد ، منسوبة إلى عيسى بن المهدي . وكان عيسى في حجر مبارك
التركي ، وكانت أمه الخيزران . وهو أخو الهادي والرشيد لأبيهما وأمهما ، وكانت
إقطاعاً له .

حوض هيلانة . زعم قوم أن هيلانة قيمة كانت للمنصور حفرت هذا الحوض
وجعلته للسبيل فنسب إليها .

وباب المحول في الجانب الغربي إقطاع لهيلانة أقطعها إياه المنصور . وقد
قيل إن [٣٤] هيلانة كانت جارية للرشيد وإليها ينسب هذا الحوض . وفيها يقول
الرشيد :

(١) وردان بن سنان .

أفّ للدينيا وللزينة فيها والأثاث

إذ حثا الترب على هيلانة في الحفر حاث

وحوض داود منسوب إلى داود مولى للمهدي وله إقطاع مما يلي سوق العطش. وقد قيل إن داود مولى نصير، ونصير مولى للمهدي. وذكر بعض المشايخ أنه يذكر ما بين سوق يحيى عن يمنة السوق إلى باب الشماسية منابت طرفاء قبل أن يقطع الناس فيها. وأول من أقطع فيها علي بن المهدي وهو ابن رائطة بنت أبي العباس السفاح. ثم أقطع بعده المنصور بن المهدي.

وذكر أحمد بن الحارث الخراز أن بغداد صورت لملك الروم بأرباضها وأسواقها وشوارعها وبساتينها وأنهارها من جميع جانبيها الشرقي والغربي. قال: فكان كثيراً مما يحضر الصورة ويتأملها ويستحسن شارع باب الميدان ويتعجب من حسنه وحسن القصور التي فيه، ويزداد استحسانه لشارع الزرادين وسويقة نصر بن مالك إلى الثلاثة الأبواب والقصور التي في هذا الشارع. وكذلك أيضاً كان يستحسن الأسواق من الخضرية إلى قنطرة بردان. وكان يقول: قد كان يجب على ملك العرب أن يجعل داره في هذا الشارع - ويجعل اصبعه على شارع الزرادين. وكان إذا شرب دعا بالصورة فيشرب على هذه الشوارع التي ذكرناها لحسن أبنيتها وقصورها.

وفصيل أبي العلاء، منسوب إلى سليم أبي العلاء مولى المهدي.

وقال يحيى بن دارية السواق: كان ببغداد في شارع الثلاثة الأبواب ثلاثمائة مقلّى للسويق. وكان في قنطرة بردان وقنطرة ميمونة ورحى عبد الملك وسوق يحيى والمخرم وفي أطراف بغداد سوى الكرخ أكثر من ثلاثمائة مقلّى آخر. وكان سبب كثرة السويق ببغداد أن بغداد كانت في أيام الرشيد وما قبله إلى أيام المأمون [٤٣ ب] عسكرياً لكثرة الناس بها ومصيرهم إليها من كل بلد، وكانت الأرباض محشوة بالناس. وكان اللحم يعز، لأن الأغنام كانت تدخل في أيام الربيع يجلبها الأعراب من هذا الوقت من البرية. ويجلبها التجار في زمان الخريف من ناحية

الجبل . ويتعذر دخولها في الشتاء إلا الشيء اليسير، يجلب من ناحية الكوفة . فكان ربما بيع اللحم ببغداد على ستة أواق . فكثر استعمال الناس للسويق لهذه الحال لأنهم كانوا يأكلونه مع التمر ومع السكر ومع الدبس وغير ذلك . فلذا صار كثيراً .

وقال أحمد بن أبي طاهر^(١) : أخذ الطول من الجانب الشرقي من بغداد للناصر لدين الله عند دخوله مدينة السلام ، فوجد مائتا جبل وخمسون جبلاً . وعرضه مائة جبل وخمسة أحبل . يكون ستة وعشرين ألف جريب ومائتين وخمسين جريباً . ووجد طول الجانب الغربي مائتين وخمسين^(٢) جبلاً . وعرضه سبعين جبلاً . يكون ذلك سبعة عشر ألف جريب وخمسمائة جريب . فجميع ذلك ثلاثة وأربعون ألف جريب وسبعمائة وخمسون .

وقيل لرجل : كيف وجدت بغداد؟ قال : الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها . وأنشد بعضهم في بغداد .

بغدادُ يا دارَ الملوكِ ومُجَنِّي صنوفِ المنى يا مُستَقَرَّ المناجرِ
ويا جَنَّةَ الدنيا ويا مَطْلَبَ الغنى ومنبسط الآمالِ عند المتاجرِ

ووصف بعض الأدباء بغداد فقال : هي سهلية جبلية برية بحرية ، صيدها غزير وخيرها كثير ، طيب هواؤها ، يسر فئاؤها ، دائم رخاؤها . فضلها على سائر البلدان كفضل ماء الأنهار على ماء البحار . فهي كما قال عمارة :

ماذا ببغدادَ من خيرِ أفانينِ ومن منازلٍ للدنيا وللدينِ
تُسمي الرياحُ بها حَسْرَى إذا دَرَجَتْ وَحَرَّشَتْ بين أغصانِ الرياحينِ

وهي محل الخلفاء ومسكن الوزراء ومأوى بني هاشم والأبناء ومقرهم ومفزعهم في الشدائد [٤٤ أ] والرخاء ، الواسعة الدور ، الكثيرة القصور ، الغزيرة

(١) نقل الخطيب (١ : ١١٧) هذا النص عن كتاب ابن أبي طاهر المسمى (بغداد) .

(٢) في الأصل : مائتان وخمسون جبلاً وعرضه سبعون .

الأنهار، المريثة العيون، صحيحة البناء، رحبة الفناء، نزهة الهواء، رفيقة
بالغرباء، مؤاتية لكل من أتاها، مغيثة لمن استغاث بها، قديمة الصحة، طيبة
الثربة، مسكن من تفتى ومعدل من تنسك. بناها المنصور وسكنها المهدي والهادي
والأمين والمأمون. جنة من جنات الدنيا. دجلة في وسطها، والصراة عن يمينها
ونهر الملك أمامها ونهر عيسى مخترق لها ونهر كرخايا يتخلل طرقاتها ونهر
الخندق دائر بها. لها الرومية وكلواذى والقفص وعمى وقطربل والمزرفة وبزوغى
والأجمة والغرك والشماسية.

إذا غضب على جبار عات حُمل إليها. وإذا رضي عنه شُهر بها. مواكبها
قائمة ومناثرها عالية. ونغم مغنياتنا ناعمة. الظرف فيها يُقنيس والشكل منها
يُستوصف. مكان الرئاسة ومقبس السياسة. فهي جنة موقنة وحديقة مشرقة.
وعروس في مجاسدها وكللها وحجابها. شهية المنظر جميلة المخبر. صبيحة
مليحة ظاهرة الوسامة، دمنة التراب، مربعة الجنب، غدقة المشارع، وطية
المضاجع. تروق عيون الناظرين، وتسرّ قلوب المتأملين. ويعيش في أفنيثها
الفقراء والمساكين. مطابقتها وثيقة، وسجونها حريزة. مع كثرة أسواقها واتساع
أرباضها، وفساحة رحابها وامتداد طرقها وسككها.

معشوقة محببة إلى الخلفاء وولاة العهود والوزراء. دار ملكهم ومعدن
صيدهم، ومنتهى غاية لذاتهم، موقرة لغلاتهم مباركة عليهم. شامخة البناء،
عريضة الفناء، فياحة السطوح، نزهة البساتين، كثيرة الأشجار والرياحين. مفزع
كل ملهوف، ومعدن كل تاجر معروف. وحسبك ببلدة قد جمع الله فيها ما فرقه في
غيرها من البلدان من أنواع التجارات وأصناف الصناعات. فهي سلة الدنيا وخزانة
الأرض، معدن العلم وينبوع الحكمة. ليس لها مشتاة كمشتاة الجبال، ولا مصيف
كمصيف عمان، ولا صواعق كصواعق [٤٤ ب] تهامة. ولا دماميل كدماميل
الجزيرة. ولا جرب كجرب الزنج، ولا طواعين كطواعين الشام. ولا يلحق أهلها
ما يلحق أهل البحرين من وجع الطحال. ولا فيها حقى كحقى خير. ولا

رداع^(١) الجحفة. وليس بها ثعابين كثعابين مصر. ولا أفاعي سجستان. ولا عقارب نصيبين. ولا جزارات الأهواز، ولا قتالات شهرزور.

وأهلها ظرفاء فضلاء فيهم الجمال ولباسهم الكمال، فهم كما قال الشاعر:

ما مثلُ بغدادَ في الدنيا ولا الدين	على ثقلِها في كلِّ ما حين
ما بين قطربل فالكرخ نرجسة	تندى ومنبتٌ خيرٌ ونسرين
تحيا النفوسُ برّياها إذا نفّحت	وحرّشت بين أوراق الرياحين
سَقِيًّا لتلك القصورِ الشاهقات وما	تخفي من البقرِ الإنسية العين
تستلُّ دجلةَ فيما بينها فتري	دُهمَ السفينِ تغالى كالبراذين
مناظرٌ ذاتُ أبوابٍ مفتحة	أنيفةٌ بزخارفٍ وتزيين
فيها القصورُ التي تهوي بأجنحة	بالرائرين إلى القومِ المزورين
من كلِّ حَرّاقَةٍ يعلو فقارُها	قصرٌ من الساجِ عالٍ ذي أساطين

وقدم عبد الله بن صالح بن علي بغداد فرأى كثرة الناس بها فقال: ما مرت بطريق من طرق هذه المدينة إلا ظننت أن الناس قد نودي فيهم^(٢).

وقال المنصور لبعضهم: أخبرني عن بغداد. قال: جنة بين حماة وكنة تحسدانها، ودجلة والزاب يتباريان عليها.

وكتب الحسن بن أبي الرعد إلى أبي عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب وهو مقيم بضياعه في سنجار، يشوقه إلى بغداد:

يا مَنْ أقامَ على قُرى سِنجارٍ	واختارها داراً بأكرمِ دارٍ
خَلَفْتَ بغدادَ التي لنسيمِها	أرجُ من النّوارِ والأشجارِ
هي جَنَّةُ الدنيا فكيف تركتها	وقررت أرضاً غيرَ ذاتِ قرارٍ

(١) ردع فلان فهو مردوع: إذا وجع جسده كله، وبه رداع (أساس).

(٢) أي نودي فيهم ليوم القيامة.

أوليسَ فيها ألفُ ألفِ خريدةٍ في وجهها متنزّهُ الأبصارِ
وانظر لقلبِكَ لا بعينِكَ هل ترى كرجالِها في سائرِ الأمصارِ
[٤٥]

من ذا تصادفُهُ هناكَ وعنده طَرَفٌ من الأشعارِ والأخبارِ
معقودةٌ بخلائقِ أدبيةٍ في رقةِ الماءِ الزلالِ الجاريِ
وحدثني بعضُ الأدباءِ قال: حججتُ فرأيتُ على بعضِ الأميالِ [بطريقِ
مكة]^(١) مكتوباً:

أيا بغدادُ يا أسفى عليكِ متى يُقضى الرجوعُ لنا إليكِ
فَنَعْنَا سالمينَ بكلِّ خيرٍ وينعمُ عيشُنَا في جانبِكَ
وقال: ورأيتُ في غرفةٍ بقرميسينَ هذينَ البيتينَ وقد كُتبا في الحائطِ:

ليت شعري عن الذين تَرَكْنَا خَلَفْنَا في العراقِ هل يذكرونَا
أم لعلَّ المدى تطاولَ حتى قَدِمَ العهدُ دوننا فنشُونَا
ولما حجَّ الرشيدَ وبلغ زرودَ التفتَ ناحيةَ العراقِ وقال:

أقولُ وقد جُزْنَا زرودَ عشيةً وكادتُ مطايانا تجوزُ بنا نَجداً
على أهلِ بغدادَ السلامُ فلنني أزيدُ بسيري عن ديارِهِم بُغداً
وقال بعضهم: لو أن الدنيا خربتَ وفرقَ أهلُ [بغداد]^(٢) فيها لعمرِها.

ولما قُلِّدَ عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر بلدَ اليمنَ وعملَ على الخروجِ قال:
أيرحلُ ألفٌ ويظلُّ ألفٌ ونحيا لوعةً ويموتُ قَصْفُ
على بغدادَ دارِ اللهوِ مني سلامٌ ما سجا للعينِ طَرَفُ
وما فارقتهَا لقلبي ولكن تناولني من الحَدَثَانِ صَرَفُ

(١) تكملة من ياقوت (بغداد).

(٢) زيادة يقضيها السياق.

أَلَا رَوْحُ الْأَفْرَجِ قَرِيبُ أَلَا جَارٌ مِنَ الْحَدَثَانِ كَهْفُ
لَعَلَّ زَمَانَنَا سَيَعُودُ يَوْمًا فَيَرْجِعُ أَلْفٌ وَيُسْرُ أَلْفُ

فبلغ هذا الشعر الوزير فأعفاه من التقليد.

وقال بعض الأدباء:

بِبَغْدَادَ يَصِفُو الْعَيْشَ لِلْمَتَعَبِدِ وَلِلْقَارِفِ الْإِلَهِ وَالْمَتَوَرِّدِ
وهي أبيات ما فيها طائل.

وقال الجاحظ: قد رأيت المدن [العظام] ^(١) المذكورة بالإتقان والإحكام،
ببلاد الروم والشامات وغيرها [٤٥ ب]. فلم أرَ مدينةً قط أرفع سمكاً، ولا أجود
استدارة، ولا أحكم سوراً وفصيلاً من مدينة المنصور. كأنما صبت صباً في قالب،
وأفرغت إفراغاً في دريزك ^(٢) وأنشد

يَا حَبَّذاً بِغْدَادُ مِنْ بَلَدٍ يَا لَيْتَنِي أَوْطَيْتُ بِغْدَادَا
لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهَا بَلَدَةً طَيْبَةً صَدْرًا وَإِيرَادَا
إِنْ رَدَّنِي اللَّهُ إِلَى أَهْلِهَا لَمْ أَتَزَوَّدَ لِلنَّوَى زَادَا

وقال الكلبي: سمي المخرم مخرمًا، لأن مخرم بن حزن الحارثي نزله.

وكانت قنطرة البردان لرجل يقال له السري بن الحطم صاحب الحطمية التي
بقر ب بغداد.

والحربية منسوبة إلى حرب بن عبد الله البلخي وكان على شرطة جعفر بن
المنصور وهو يتقلد الموصل.

والزهيرية بقر باب التبن، نسبت إلى زهير بن محمد من أهل أبيورد.

(١) تكملة من الخطيب ١ : ٧٧.

(٢) لم نهتد لمعناها.

وعيسى آباد نسبت إلى عيسى بن المهدي وهو ابن الخيزران وكان في حجر مبارك التركي.

وقصر عبدويه منسوب إلى رجل من الأزد يقال له عبدويه، وكان من وجوه رجال الدولة.

وأقطع المنصور عمارة بن حمزة الناحية المعروفة.

وأقطع ميمون أبا بشر بن ميمون قطيعة عند بستان القس. وطاقات بشر نسبت إلى بشر بن ميمون وهو مولى لعبد الله بن علي.

وأقطع أم عبيدة حاضنة المهدي، وهي مولاة لمحمد بن علي قطيعة منسوبة إليها. وإليها تنسب الطاقات المعروفة بطاقات أم عبيدة بقرب الجسر.

وأقطع منيرة وهي مولاة لمحمد بن علي الموضع المنسوب إليها من الجانب الشرقي.

وأقطع ريسانة قطيعة تقرب من مسجد ابن رغبان بالقرب من باب الشعير.

ودرب مهرويه في الجانب الشرقي، نسب إلى مهرويه الرازي الذي كان مملوكاً فأعتقه المهدي.

ونزل المنصور مدينة السلام منذ يوم بناها إلى آخر خلافته ثم حج منها وتوفي بمكة.

ونزلها بعده [٤٦ أ] المهدي، ثم شخص منها إلى ماسبندان فتوفي هناك. وكان أكثر نزوله إذا كان بمدينة السلام، عيسى آباد حتى بنى فيها أبنية كثيرة. وبها توفي الهادي.

نزلها الرشيد وكان قليل المقام بها، وشخص عنها إلى الرقة فأقام بها مدة ثم سار إلى خراسان فتوفي بطوس.

ونزلها محمد الأمين فقتل بها.

ثم قدمها المأمون من خراسان وأقام بها ثم شخص عنها غازياً فمات بالبدندون ودفن بطرسوس .

ثم نزلها المعتصم مدة من خلافته ، ثم شخص عنها إلى القاطول فنزل قصرأ كان الرشيد بناه . وحفر بها قاطوله الذي سماه أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الأرضين . وكان قد جعله لأرزاق جنده . ثم بنى بالقاطول بناء ودفع ذلك إلى أشناس التركي مولاه . ثم انتقل إلى سرمرى ونقل إليها الناس وبنى مسجداً جامعاً في طرف الأسواق وسماها سرمرى . وأنزل أشناس فيمن ضم إليه من الأتراك والقواد كرخ سرمرى وهو كرخ نيروز . ونزل بعضهم بالدور المعروفة بدور العرباني . وتوفي بسرمرى في سنة سبع وعشرين ومائتين .

وأقام الواثق بسرمرى وبها توفي

واستخلف المتوكل فأقام بالهاروني وبنى به أبنية كثيرة وأقطع الناس في ظهر سرمرى في الحير الذي كان المعتصم احتجزه فاتسع الناس بذلك . وبنى مسجداً جامعاً فأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها . وحتى ينظر إليها من فراسخ . فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول . وأمر بحمل المحدثين من النواحي فحملوا وحدثوا الناس ، فحسنت له بذلك الأحدث . ثم بنى مدينة سماها المتوكلية وعمرها وأقطع الناس بها قطائع وسماها الجعفري في أول سنة ست وأربعين ومائتين . فانتقل إليها الناس عنها إلى سرمرى .

وقال بعض الظرفاء : مجالسة التمارين تورث المخاتلة . ومجالسة البزازين [٤٦ ب] تورث البخل . ومجالسة العطارين تورث التجميش . ومجالسة الحناطين تورث النفاق . ومجالسة أصحاب السقط تورث الورع . ومجالسة النخاسين تورث الإفلاس . ومجالسة أهل فارس تورث الزندقة . ومجالسة أهل الأهواز تورث الغدر . ومجالسة أهل البصرة تورث صغر الهمة . ومجالسة أهل واسط تورث البذالة . ومجالسة أهل الكوفة تورث المروءة والتجمل . ومجالسة أهل بغداد تورث الفتك والظرف واللباقة والنظافة .

وقال عثمان بن أبي شيبة: سمعت أبا الحر السكوني يقول: سمعت ابن عياش يقول وقد ذكرت عنده بغداد فقال: هي دنيا وآخرة.

وقال يزدجرد بن مهبنداد الكسروي: قد تكلم الناس في بلاد همدان وإصبهان والري وسائر الكور الشريفة من بلاد الجبل وخراسان وفخموها شأن مصر خاصة وقالوا بها مقدمين لها على بغداد العراق وسائر الآفاق في كثير من الأقاويل. ونحن مبطلون ذلك على معتقدي مصر خاصة، ومتوصلون إلى التفرقة بين بلدين لا يقومان في عيار، ولا يتوافقان على مقدار. فإذا فعلنا ذلك كان حكم ما لم نذكره من سائر البلدان كالري وإصبهان وسائر كور أرمينية وأذربيجان، حكم مصر المشهورة بخواصها المذكورة بأنواعها، ويستبدل الاختصار بالتطويل، وأمهاث الكلام دون القال والقليل، ونعلم أن الله خلق خلقاً مقسوماً ما بين قنوات مختلفات حارات وباردات، رطبات ويابسات. ثم جعل تعديل الحياة هو أن لا تشاح على الصيف دون الشتاء، وعلى برد الماء دون لطف الهواء. فلو كان الزمان برداً جميعاً أو حرّاً أبداً أو خريفاً دائماً أو ربيعاً سرمداً، لملت الطبيعة زمانها، وثقل عليها منه فنسمها (?) ومكانها. ولولا شدة الجوع وكرب العطش لزال لذة الماء والتلذذ بالغذاء. وكذلك القول في الرقاد والسهر، والحركة والسكون، والحمقام والجماع، والحر والبرد، والرطوبة واليبس، ولو كلف أحدها أكل الخبيص دائماً واللبن دائماً والعسل دائماً، لكلفنا [٤٧ أ] أمراً مربوطاً بمكروه الطبيعة، مقروناً بأنكره وأرداه وأضناه. ولو كان الغذاء واحداً والزمان واحداً والدواء واحداً، لكان الغذاء هو الدواء والربيع هو الشتاء. فقد دللنا بذلك على أن أشرف البلدان مكاناً، وأفضل البقاع زماناً، ما كان منتقلاً بين أقسام الحر والبرد والرطوبة واليبس. ولا خير في زمان يكون ليلاً سرمداً، ونهاراً أبداً.

وسندل على أن المتطاولين بالحد الواجب المتناسب من الزمان بمصر، هم الملتجئون من منائر أرضهم هذه إلى السماء. والمحوجون إلى النوم تحت السقف الواحد أبداً. والماء والهواء هما مع ذلك ركنا حياتنا وخلة لتمام خلقنا. فأیما بقعة الباث فيها الاعتدال، والاعتدال هو الانتقال، والانتقال هو الزوال من حال إلى

حال، حتى تكون دهرًا قطرًا، وليلها ونهارها واحدًا بدائم. نجد مع ذلك الذي ينبغي منه دوام بقائه واتصاله وصفائه، هو ماء نيلهم الأعظم وعزهم الأكبر. فهو الذي لا دوام لمائه ولا اتصال لطيبه وصفائه. فإن مثل الناس بين الهواء بمصر وبين أزمان بغداد المعدلات، وبين نيلها وما فيه من الحوادث الهائلات والعجائب الطارقات، وكثيراً مما لا يطيب استماعه - فضلاً عن مشاهدته - ولولا ما قد جرت لأهله العادات، وبين ماء دجلتنا والفرات وغيث السحاب الربيعيات، وأيام الشتاء المدجنات، وما في السماء من البركات، ميتلوا باطلاً وأضاعوا محصولاً.

وقد زعم كثير من أهل النظر أنه لولا طلسم بمصر لأغرقها النيل والبحر. وأن بلداً لا تقوم أركانه، وثبات أهله وجيرانه إلا بحيلة من المربوبين، لا يؤمن فسادها، وبعاصمة من المخلوقين تشوبها الظنون، وتزول بدونها عُقد اليقين، لعلّ خطر عظيم وغرر جليل.

هذا وليس بين أن ترى ساكنيه عطشى يتشطحون وبين أن يكونوا في السفائن [٤٧ ب] والزوارق يتزاورون، وفي مراكب الطوفان يذهبون ويجيئون فرقا في مواقيت معلومة من الزمان وأحوال معتادة من الأيام.

ومما يزيد بعده بمقادير عقول المصريين، ويجوز لك الدليل على موازين المعدلين بين مصر ومدينة السلام، أن يعلم أن قوماً قد زعموا أن الأحكام لم تكن لتملك على قوم ملكاً، وذلك الملك أنقصهم عقلاً ولا أوضعهم رأياً ولا أسيرهم نهماً ولا أصغرهم علماً، مع تقدم الشهادات لعقول الملوك خاصة. وبالخواص التي تكون مقرونة بهم ومنسوبة إلى قرائحهم، عدل الملك في زمانه أو جاره.

وإذا كان هذا هكذا، ثم وجدنا فرعون قد ملك مصر دون غيرها وغلب عليها دونما سواها (أنا ربكم الأعلى)، فما ظنك بعقول قوم هذا عقل من ملكوه عليهم. ومغرس هذه آثار ثماره، ونتائج أشجاره. ونحن قد فوضنا مصر إلى خمارويه وزدناه من الأقطار إلى حدود الأنبار.

وإذا ذهبنا نقابل المصريين بما ببغداد من الفضائل: وزيراً بوزير وأميراً بأمير

وحكيماً بحكيم وخطيباً بخطيب وبلغاً ببلغ وأديباً بأديب وطيباً بطيب وحاسباً بحاسب و كاتباً بكاتب ومحارباً بمحارب ومضارباً بمضارب ومقاتلاً بمقاتل ومفاضلاً بمفاضل وقاضياً بقاض و فقيهاً ب فقيه حتى يؤول الأمر بنا إلى ذكر أرباب الصناعات الشريفة والمهن اللطيفة، كنا قد تعرضنا إلى ما لا سبيل إلى استيفائه ولا دليل على إحصائه. وإلا فمن أين للمصريين كذي الرأي والغنى والبأس والبلاء والحكم والدعاء والحيلة والدهاء والجود والسخاء والعهد والوفاء والشدة والرخاء، عدو عدائه، وأين إليها ليل من آياته، عبيد الله بن عبد الله بن الطاهر، وكابن الطيب الحكمي وثابت بن قرة الحراني والعباسي المنطقي والمنيقط الناشي والإقليدس الذكي [٤٨ أ] والبرذعي العدلي وأبي صالح السني، إلا أن يظنوا أن لهم أيضاً كالمبرد المشهور أو ثعلب المذكور. ومن لم يزل ولا يزال بها من الفاضلين على الدهور وعلى السنين والشهور

وليس لهم أن يفاخرونا بهرمس في زمانه أو بمثله في زماننا. ولا بأغاثيمون في أواننا هذا، وهم يعلمون أو لا يعلمون أن بابل العراق كانت مركز العلم والعلماء ومكان الحكمة والحكماء. ولكن الملك المظفر لما غلب على ملوك العمران، نقل الحكمة والحكماء إلى بلاد المينا أو نحوها مما قد سلف.

فأما مفاخرة القوم بالديار والمقاصير وسائر الأغذية والتدابير، أو مما يبعداد من سائر الفواكه والثمار وغرائب النخل والأشجار، فظن ما شئت أن تعدّه تجده موجوداً غير مفقود وقريباً غير بعيد. زعم لي مهرويه باغبان^(١) السلطان أنه يعرف بمدينة السلام نيفاً وسبعين نوعاً من التفاح، ثم عذها، فتبسم أخوه شهريار ثم قال: كذا وكذا زيادة على ما قال أخوه بنحو أربعمئة نوع وتسعة أنواع.

وما ظنك ببلد مع جميع ما فيه من غرائب الأشجار وأجناس النخيل والبقول والمزارع والثمار ينبت الأترج والنارنج كما ينبت الزعفران والأقحوان، كما ينبت الفستق واللوز والزعرور والموز والشاهبلوط والجوز والغبيراء والجلوز والسدر

(١) الباغبان: البستاني في اللغة الفارسية.

والحبة الخضراء واللفاح والبندق والبلوط والمقل والسبستان والهلون والرياس
والقوة والمحروث والاشترغاز والراس والانجذان والعنصل والاشقيل والدادي
والبلمخية (؟) والزوبن (؟) وما لا يحصى ولا يلحق من جميع الأشياء .

ولقد حدثني يونس الصيدلاني قال : ما أحصي ما يحمل من العقاقير النابتة
على سواقي الأنهار ببادرويا كالشبرم والسورنجان والبنج والخربق والتربد
والمازريون والثيل والاذخر [٤٨ ب] والأفسنتين والجعدة والفنجمشك والغافت
والمرقد والحنظل ، وأضعاف ما ذكرت من العقاقير التي تدخل في الأدوية .

فإن شئت أن نذكره بالسكر والجيسوان والازاد والخركان والعروسي
والحمران والهيثا والهلين والبردي والمشان والطبرزد والبادنجان والقرثيا والمادبان
والقرشي والبدالي والمعقلي والصيحاني والبهشكر ، وصلنا من ذلك إلى خير كثير
وأمر مشهور .

فأما أنواع الاخبزة والابخصة وأصناف الأشربة والانبذة وسائر الانبجات
والافشرجات وأنواع الارباب والمربيات فغير معلوم لأهل المغرب ولا معدوم في
أفنية بابل وما عملت .

ولا أعلم في الماضين من ملوك الزمان جميعاً ملوكاً دانوا بالفضن بأزمانهم
وانتحلوا القرى إلى الله بالاغراق في التماس اللذات الزمنية في مطاعمهم
ومشاربهم وملابسهم ومناكحهم من أولاد فارس وملوك الأكاسرة ، فإنهم كانوا دون
ملوك الروم والهند وسائر الأطراف ، وأعلم بمواقع الريف وأحذق بتدبير العيش
اللطيف ، وهم كانوا الأئمة في غرائب الغايات والعلماء بأصناف التدابير
والمليذات ، وكانت الأفاضل من ملوك بني ساسان خاصة تفاخر غيرها من الملوك
باستيطان مدائن العراق ، ويتناول تلطف الهواء بها وصحة الماء فيها . هذا من
حكم الخمرة البالية التي كانت تفاخر بها في أعيادها وتعازٍ بخواصها في أيامها ،
وتزعم أنه لولا اعتدال الأرض والماء واتزان مناسبة الماء والهواء ، ما وصلوا من
طعوم شرابهم هذا ، وأنواع ألوانه ونسيمه وروائحها إلى غايات لا سبيل إلى مثلها
إلا نظير لها في شكلها . وإذا كان ذلك لهم في الشراب أن يكون ذلك هو حق

الحكم لها في سائر المنابت والأشجار، وأنواع الأغذية والثمار. ولئن صح ذلك بذلك [٤٩ أ] وهو كذلك، فسيصح أن الغاذيات التي جرت باعتدالها طبائعها، واتصلت لإمداد خلقتنا وغرائزنا خليفة أن تفرد بالخاصيات المعدلات والخصائص المكملات، فليس إسراف الهواء في اللطافة ودوامه إلا كإسرافه في الكثافة واتصالها فيه. والاعتدال إذاً هو الكمال الفاضل والزمان العادل.

وقد ذكرت الجماعة المميزة من المادرائيين أنهم كانوا لا يشمون بنواحي الري وإصبهان وقزوين وزنجان إلى سائر أمهات الجبال من بلاد همذان شيئاً من روائح الصنيع المشوي والقديد، سواء كان ذلك من الثور أو البعير أو الفروج أو العصفور، إلا اختلاساً ونزهماً (؟) وذلك هو إما لكثافة الهواء في نفسه أو لغلظ الغذاء في جنسه.

وإنك والحق لتشهد أن نسمك عندنا روائح خبز المخابز البعيدة فضلاً [عن] الجديدة. فما ظنك بالحيوان المشوي في النور والصنيع المدبر بالقصور؟

وبمثل ذلك حدثني الفطن الذكي واللييب الحسبي، إبراهيم بن أحمد المادرائي عن الهواء بمصر، الذي يمتلئ رائحة المسك الأذفر والكافور والعنبر كما قال غيره.

وقد علمنا أن لأهل قم الشراب الميري، ولأهل إصبهان الشاهجاني، ولأهل الري السدني، ولأهل همذان المرجاني، ولأهل قزوين الدستاني، ولأهل مصر الرساطون العسلي، ولأهل الشام الحلفي. ولكن أين فضائل هذه الأنواع جميعاً لو جمعت في نوع منها من الشراب السوري والعصير البابلي والطبيخ القطريلي والمعتق الصريفييني؟

ثم رجع الكلام إلى نوعه في مصر والمصريين فنقول: فأين طرقات مصر من طرقات بغداد؟ وديارها من ديارها ورحابها من رحابها ودروبها من دروبها. وهي محال الأقدار ومزابل الطقار؟

وحدث إبراهيم بن ياسين وكان مصرياً يجهّز المسك إلى مصر، إنه لا يكاد

يشم في محال مصر شيئاً من المسك الأذفر ولا الكافور والعنبر.

وحدثني في أثر ذلك صديقي السرخسي فقال: إن طبّاخاً [٤٩ ب] لنا أتى بقمامة فرماها إزاء باب دار منزلنا ببغداد فجلست لتأديبه قبالتها ودعوت بالمقارع، إذ أقبل رجل يسعى لشأن كأنما لم يخلق لغيره، فبحث القمامة بيده وأثار منها صوفاً وزجاجاً مكسراً فالتفتفه ومضى مبادراً. ثم أتى آخر في أثره ينحو نحوه فبحث باقيها وأثار منها قشور جوز وقشور (١) فأخذ منها وولى منطلقاً. ثم تلاهما ثالث يقفو أثرهما فأثار القمامة وأخرج ما كان فيها من النوى فأخذها ومضى. ثم أقبل قمام الحنّام فغربلها وتزود ما فيها ثم مضى. ثم أقبل آخر معه فنخل التراب فاستخرج منه شيئاً فأخذه ومضى. ثم جاء أجبر الحراث فكسح باقيها وكان تراباً ورماداً فأخذه ومضى. قال: فأمسكت عن ضرب الغلام وقلت: ذلك تقدير العزيز العليم.

وما حاجتنا وما حاجتك إلى الانتصار بغير العيان والتظاهر على خصمائنا بغير ما هو لنا (٢) في الزمان؟ هؤلاء المادرائون أهلنا وأصحابنا وأخوتنا وأترابنا رؤساء مصر وسواها وكتاب أعمالها وأربابها ذوو القدرة التامة والأمر النافذ والسلطان الظاهر والعز المتظاهر، يتطلع أعظمهم قدراً وأكبرهم أمراً وأعزهم شأناً وأوسعهم سلطاناً إلى قوافل الحاج ووفود المجهزين من بغداد، حتى يستصحب لهم الخفاف الطائفية والنعال السندية والمقاريض الهيثمية والأمشاط الطاهرية والسكاكين الكتابية وكثيراً مما يصنع من الأبنوس والعاج والعام الموجود من العطر والزجاج. فما ظنك بما لا يتهياً حمله ولا يسهل تجهيزه ونقله؟

ولست تجد كبيراً من كبراء الأطراف ولا عظيماً من عظماء ملوك النواحي كملك الديلم والطيلسان وملك السوس ومن وراء آذربيجان وسائر المتغلبين من أولياء الدولة في مشارق الأرض ومغاربها إلا متبجحين بمن يصير إليهم ويلقاهم

(١) كلمة مطموسة.

(٢) في الأصل: ما هو لانا.

من مدينة السلام. كائناً من كان أو يحمل إلى مواطنهم [٥٠ أ] ويغشاهم وينافسون على اصطناعه ويشاحون على ادخاره ويغارون على اقتنائه كما يستقصون على فقدانه ويتحاسدون على وجدانه. وأحسبهم يعنون بعد المجاهدة في ذلك والمبالغة في اطلاب ذلك إلى غير المنفين من الطباخين والمستجهلين من المتطبيين والمستبردين من المغنين والمسترقين من الحناطين. فقد قنع الرئيس الأعظم والملك الأكبر من الجماعة أن يقال هذه مغنية بغدادية وعاملة عراقية وزامرة زربابية وطبالة عتقية وعوادة بناتية أو خريجة^(١) شارية، وزنبق ورحيب ومنعم وعرفان وزاعم وبدعة، وكفاهم من ذلك أن تقول الجارية رأيت بدعة وكلّمت تحفة وسمعت جدوة، وشاهدت طبيباً وأعرف زرباباً. كما كفاهم أن يقولوا: ماشطة طاهرية وخازنة حريمية، وكانت ستي فلانة الفلانية. فتلك عندهم من النعم المعدودات والذخائر المقتصدات.

ثم رجع الكلام إلى ذكر شبيه ما كنا فيه من ذكر المصريين، فلعل القوم أن يفأخرونا بالمعادن ويعازونا بالزبرجد والديبقي، فإن فعلوا، فأخلق بنا أن نقول إن ذلك شيء إن استجاز القوم المعازاة به في المعادن وفي الزبرجد والديبقي، فكانوا قد دلّوا من أنفسهم على ضعف كبير وعجز مشهور. وإلا فإن كان المعدن هو العلة لشرفهم فليس بمأمون زوال الشرف بزوال المعدن. وإن كان شرف المعدن إنما هو شرف لنفسه، كانت كل ذات معدنية ذات شرف بنفسها. وإن كان شرف الذهب شرفاً لنفسه، فلا يكون الرصاص وحجر النار شريفاً لنفسه. وإن كان شرف القوم إنما هو شيء هو لعلتهم وعلة المعدن معاً، وقد وجدنا نصيب أبعدنا من المعدن كنصيب أقربنا منه وأوفر، ولست مع ذلك نجد الحد في ثمن المثقال من الذهب بمصر إلا كالحد في قيمته بأقصى حجر بالنبر والطيلسان.

فأما معازتهم بالقصب والديبقي [٥٠ ب] والملحم والخليجي، فقد قلنا ونقول: إن ذلك هو شيء لنا دونهم. فإنه لو وجب التطاول بذلك علينا لاستجاز

(١) أي أنها تخرجت في العزف والغناء على شارية أو زنبق . . .

الحرّاثون مفاخرة أرباب الضياع، ونساجو الديباج التطاول على لابسيه. وكان
مركب التاج بالدر والياقوت يشارك الملك الأعظم في عزه وسلطانه وفي أقصى من
مكانته من شأنه. حتى كون صائع الإكليل أحق به ممن أمره ونهاه واستأجره
وأعطاه. والدليل على صدقنا، أن أهل مصر لو كانوا إنما يتخذون الدبقي
ويتكلفون صنعة الملحّم والتنيسي لهم ولمن هو منهم وإليهم، لهلك النساجون
ولمات البزازون وسائر من بها من أرباب القراطيس وصناع الشمع والخيش
والكرابيس.

ذلك هو القول في المجهزات جميعاً من خراسان وسائر بلاد الله في جميع
العمران.

ثم لا نجد بغداد عند ذلك إلا كالجوهر القائم بنفسه، والبلدان دونها
كالأعراض التي لا قوام لها إلا بما هو أثبت بها وأغنى عنها. فالدنيا العراق والناس
أهلها. والطاعنون على بغداد هم الطاعنون على اختيار الخلفاء. والطاعنون على
الخلفاء، الطاعنون على الأنبياء، والطاعنون على الأنبياء هم الطاعنون على رب
الأنبياء.

مركز تحقيقات كنجور علوم اسلامی

وحدثني القاضي إسماعيل بن إسحاق، وكفى به محدثاً. ومحمد بن يزيد
وكفى به مخبراً، قال: لقد كنا نلتمس بالبصرة من جيد التمور وأنواع الأرباب
فنجد ببغداد ما لم يُر مثله بأنهار البصرة جميعاً.

وحدثني من لا ارتياب للعقلاء في عقله ولا اشتباه عند الحكماء في فضله
بعلومه وآدابه وأنسابه وإحسانه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر متمثلاً في أثر كلام مر
في غرائب بغداد فقال: تزعم العامة أن رجلاً من مجهزي القطن كان بالشام ثم وقع
إلى كورة مرو من بلاد خراسان وهو لا يظن أن القطن يكون بغير الشام فاحتمل من
كثرته بمرو بما فاض عن عقله واتهم معه فهمه. ثم سأل عن البلدان التي يحتمل
تجهيز ذلك إليها فقبل له بغداد. فقال: وكم في الأرض من [٥١ أ] بغداد. فصدق
عن القصة فقال: أظن أن أهل بغداد يأكلون القطن أو تبنى لهم به المساكن
والجدران. فأقبل يريد العراق لذلك.

[و] أشرف من بلاد الري ونواحيها على ما لم تر عينه مثله من الأقطان أيضاً وتجهيزها، فسأل فكانت القصة سواء. ثم أقبل إلى ملتقى القوافل بقرميسين فأقبلت عليه الأرض بيضاء بالأقطان فازداد حرصاً على مشاهدة بلد يأكل أهله القطن ويشربونه ويبنون به دورهم.

فلما بلغ بغداد، لم يرها بنيت بالقطن ولا مصنوعة منه فقال له: ها أنت ببغداد. قال: فإذا كانت هذه بغدادكم، فأين الدنيا والآخرة؟

وقال المعروف بابن يزيد الرقي ومحمد بن نصر الدلّالان: - وهما شيخان مستوران قد أمّتا - إنا لتركض على حميرنا في حواشي بغداد وأوساطها منذ سبعين سنة لدلالة ما يباع من المنازل والعقارات وسائر العقود والمستغلات في الليل والنهار والغدو والأصال. وإنا لنمرّ في أيامنا بل في الزمان جميعاً ببقاع ولا عهد لنا بها ودور لا معرفة لنا بشيء منها ومسالك لا تحيط بها أوهامنا ولا سلكنها قط. وكثير من الناس يقولون إن جانبي بغداد كالفرسخين، وقد غلطوا في ذلك غلطاً بيناً.

وأشد لكاتب من أهل البندنجيين يذكر فضل بغداد ويذم مصر:

هل غاية من بعد مضر أجورها	للرزق من قذف المحلّ سحيق
لم يأل كم حطت بمصر ركابه	للرزق من ركن لديه وثيق
نادته من أقصى البلاد بذكرها	وتعنته بغد بالتعويق
كم قد جشمت على المكاره دوتها	من كل مشبه الفجاج عميق
وقطعت من عافي الصوى متخوفاً	ما بين هيت إلى محارم فيق
فعريش مصر هناك فالفرما إلى	ثيبها فلديرة فدييق
بحراً وبراً قد سلكتهما إلى	فسطاطها ومحل كل فريق
ورأيت أدنى خيرها من راغب	أنأى لطالبه من العيوق
قلّت منافعها فضج ولانها	وشكا التجار بها كساد السوق

ما إن يرى فيها العريق إذا رأى
 قد فضلوا جهلاً مقطّهم على
 بمصارع لم يبق في أحداها
 إن قال فاعلمهم فغير موفّق
 شيع الضلال وحزب كل منافق
 أخلاق فرعون اللعينة فيهم
 لولا اعتزال فيهم وترقّض
 يا طول شوقي واتصال صبابتي
 ذكر العراق فلم تزل أجفائه
 ونعيم دهر أغفلت أيامها
 وبنهر عيسى أو بشاطيء دجلة
 سقياً لتلك مغانياً ومعارفاً
 ما كان هناء وأبعد داره
 لا يبعدن صريم عزمك بالمنى
 فربما الرجوع إلى العراق وحلها

شيئاً سوى الخيلاء والتبريق
 بيت بمكة لئله عتيق
 منهم صدى بر ولا صديق
 أو قال قائلهم فغير صدوق
 ومصارع للغبي والتنفيق
 والقول بالتشبيه والمخلوق
 من عصبه لدعوت بالتفريق
 ودوام لوعة زفرتي وشهيق
 تهمني عليه بمائها المدفوق
 بالكرخ في قصف وفي تفسيق
 أو بالصراة إلى رحى بطريق
 عمرت بغير البخل والتضييق
 عن أرض مصر ونيلها الممحوق
 ما أنت بالتنيد بالمحقوق
 بمصر فريق بعد جمع فريق^(١)

وقال أحمد بن الطيب^(٢) تلميذ الكندي: مدينة السلام شريفة المكان، كثيرة
 الأهل، واسعة [٥٢ أ] الشكل، بعيدة القطر، جليلة الولاية نبيهة السلطان، ينبوع
 الآداب ومنبت الحكم. يأتيها بُرد الآفاق وخطباء البلاد. ما فعل فيها من خير
 فمشهور وما علن فيها من شر فمستور. منها الفقهاء والقضاة والأمراء والولاة.
 عتاد الخلافة ودار أهل الدعوة. وإن لها لجنساً من السعادة ولأهلها نوعاً من
 الرئاسة، وذلك أنه قلما اجتمع اثنان متشاكلان وكان أحدهما بغدادياً، إلا كان

(١) ورد البيت مضطرباً.

(٢) هو السرخسي ومن مؤلفاته كتاب فضائل بغداد وأخبارها (ابن التديم ٣٢١).

المتقدم في لطيف الفطنة وحسن الحيلة، لئن المعاملة جميل المعاشرة حلو اللفظ
مليح الحركات ظريف الشماثل.

فأما ما ينبغي أن تفهمه من عيبيها وتقف عليه من مذموم أمرها فهو أن بعض
ما عدت محاسنها يعود فيصير عيباً لها وقبيحاً من أمرها. وذلك أن سعتها أفرطت
حتى صارت مساحتها أربعة فراسخ. والذي هذه مساحته إذا كان قريباً معتدلاً يحيط
به حائط طوله ثمانية فراسخ. يكون ذلك أربعة وعشرين ميلاً. وإذا كان هذا هكذا
واحتيج إلى حراسة هذه المدينة واحتاج سلطانها التحصن فيها، فأقل ما يحتاج إليه
من الحفظة وأصحاب المجانيق والعرادات في كل ميل ألف رجل يكون جملتهم
على حسب ذلك أربعة وعشرين ألف رجل. فإذا لم يحفظ هذه المدينة أهلها
متبرعين ذلك أو مضطرين، فأقل ما تحتاج إليه لأرزاق وحفظتها على اختلاف
أحوالهم وقائد وعريف وتابع وما يحتاج إليه لمؤن المدادين في المجانيق
والعرادات ومؤن الموكلين بهم والقوام ومرقة أسلحتهم وما يتصل بذلك من أثمان
الآلات ومرمتها ما يكون لو ضرب بعضهم في بعض على أحسن التقديرات عشرة
دراهم كل يوم. ولكل رجل زهاء مائتي ألف درهم وأربعين ألف درهم في كل
يوم. فإذا أقاموا على ذلك شهراً، احتاج هؤلاء الحفظة دون المقاتلة إلى سبعة ألف
ألف درهم ومائتي ألف درهم. فإن كان المتحصن [٥٢ ب] مختلاً فقد أتى من
مأمنه ودخل عليه في حصنه. ولذلك ما أنفق محمد بن عبد الله بن طاهر في سنة
المستعين والفتنة، زهاء مائة ألف ألف درهم على حفظ السور والمقاتلة. ولقد
دخله خلل وهجم على المدينة من ناحية بغويريا حتى ناحية السور ونقص من
الإحاطة شيء له قدر. فهذا أحد العيوب أيضاً. فإن الخليفة الذي رسم هذه المدينة
التي يحامي عليها من الأطراف الشاسعة والثغور النائية. وإن القطب الذي عليه
المدار والقبّة التي ينفذ منها التدبير لمتوسطها بين أقصى المشرق وأبعد نهاية
المغرب. وكذلك هي في توسط ما بين الشمال والجنوب. وذلك أن كثرة أهلها
تدعو إلى شدة الحاجة، وإلى كثرة الميرة لها. ولذلك ما يحتاج أهلها إلى ميرة من
أقصى ديار مصر. وبينها وبين ذلك مائة وعشرون فرسخاً. ويحتاجون من البعد

موضع في ديار ربيعة وأشنع مكان من أعلى الموصل. وبينهم وبين أدنى تلك المواضع نحو المائة فرسخ. فلو اعترض معترض فقطع ميرة ديار ربيعة والموصل عنهم ثم كان المتحصن أفضل الأئمة عدلاً فضلاً عن أمير أو رئيس لا اضطروا إلى إخراجهم ونفيه عن جوارهم ولا سيما وهم لا يخافون لكثرة عددهم وجليل قدرهم وكثرة السلاح فيهم، وهم مستلثمون فيها. [ولهذا] السبب أيضاً لا يمكن أن يتحصن بها ملك. ألا ترى إلى الملوك الذين دوّخوا البلاد وملكوا العباد، وينوا المدن وحفروا الأنهار وعمروا الأرض وساسوا الملك وقارعوا الملوك، لما اتخذ مدينة جعل السور يحيط بالسكانين وبموضع مزدرعهم كما هو موجود بأرض بابل وبناحية سمرقند وبخارا.

وَأَنْتَ [٥٣ أ] إِذَا مَا سَأَلْتَ عَنِ مَدَن الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَجَدْتَ الْأَمْرَ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ، إِلَّا الْمَدَنَ الْمُحَدَّثَةَ الَّتِي بَتَّهَا الْعَرَبُ فِي الْإِسْلَامِ وَهِيَ الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ وَبَغْدَادُ. وَلَمْ تَوْتَ الْمُلُوكُ الْقَدَمَاءُ مِنْ قِلَّةِ مَعْرِفَةٍ وَلَا مِنْ جَهْلِ بَصَوَابِ التَّدْبِيرِ وَالسِّيَاسَةِ

فَأَمَّا وَاسِطُ وَسْرْمَرِي فَعَسْكَرَانُ. وَذَلِكَ أَنَّ وَاسِطَ بَنَاهَا الْحِجَااجُ مَتَزِلاً لِنَفْسِهِ وَمَعْسَكراً لَجَنْدِ أَهْلِ الشَّامِ، رِبَاً بِهِمْ مِنْ مَجَاوِرَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَعَامِلَتِهِمْ. وَأَهْلُ الْعِرَاقِ حِينَئِذٍ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِي اخْتِيَارِ الْمَوْضِعِ لِأَنَّهُ جَبَلِي سَهْلِي بَرِّي بَحْرِي عَذِبُ الْمَاءِ طِيبُ الْهَوَاءِ، يَوْجَدُ فِيهِ الثَّلَجُ وَالرُّطْبُ، وَالْقَبِيجُ وَالسَّمَكُ. وَإِنَّمَا كَانَتْ وَاسِطُ مَدِينَةِ كَسْكَرٍ وَجَوْجُوْ تَحْضِنُهُ الْمِيَاهُ. وَوَاسِطُ عَلَى حَالٍ أَجْمَلُ مِنْ سَرْمَرِي وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ هَبِيرَةَ تَحْصِنُ بِحِصْنِ وَاسِطٍ وَقَدْ انْتَشَرَتْ الْمَسُودَةُ فِيمَا بَيْنَ أَقْصَى خِرَاسَانَ إِلَى مِصْرَ، وَالْمَنْصُورُ مَقِيمٌ عَلَيْهِ فِي سَادَاتِ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَذَوِي الْبَاسِ وَالنَّجْدَةِ مِنْ أَهْلِهَا، فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ إِعْطَانِهِ إِيَّاهُ الْأَمَانَ وَبَذَلَ جَمِيعَ مَا اشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ.

فَأَمَّا سَرْمَرِي فَإِنَّ الْمَعْتَصِمَ تَنَحَّى إِلَيْهَا عَنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ لِسَبَبَيْنِ أَحَدُهُمَا تَبْعِيدُ لِمَوَالِيهِ الْأَتْرَاكِ عَنْ أَمْنَاءِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ السَّلَامِ. وَالثَّانِي أَنَّ مَا دُونَ عَكْبَرَا

وآخر ديار ربيعة إنما هو منازل الشراة. فأراد أن ينزل في وسط ديارهم فيشد بهم ويدفع عاديتهم.

وسرمرى صاحبة لا سور يحصنها ولا خندق يمنعها ولا ميرة تقرب منها. وإنما يشرب جماعة من فيها من النهر الأعظم. وربما رأيتها إذا اشتد الحر والتهب الهجير واجتذم القيظ والراوية في بعض المواضع في بعض الأوقات بدرهمين وأكثر. هذا في السلم والأمن. فمن حق ما كان مثل هذه من المدن والكور أن يكون سكانها شجعاناً انجاداً أبطالاً يحمون أنفسهم ويدفعون عن [٥٣ ب] حوزتهم معاقلهم السيوف وتجارتهم الحروب. وإلا فإن أناخ عليها مُنيخ واعتمد على من فيها بكلكله ما كان إلا بمنزلة من يحرص برية وينازع بخروج نفسه، وليس هكذا أهل بغداد. لأن لهم آباراً يستعدون ماءها ويستغنون عن نهرهم الأعظم بها.

ولكن من جميل أمر بغداد أن السلطان آمن من أن يغلب عليها رئيس لبعض الآراء، كغلبة الظالمين كثيراً بالشيعة على أهل الكوفة، وذلك أن ببغداد من مخالفي الشيعة من يقرن بالشيعة، وبها من مخالفي المعتزلة من يقرن بالمعتزلة. وبها من مخالفي الخوارج من يقرن بالخوارج. فكل فريق يقاوم ضده ويدفعه عن أن يرثسه. فقد تركوا الرئاسة للسلطان وربحوا تسليط الفناء والتفاني بالحرب. ولكنه ربما عرضت الآفات وهجمتهم، وذلك أنه إذا اتصلت المكارة عليهم ودام فيهم جور الولاية وعملوا من التعنت وطلب الرشى ما لا يحتمله إلا الدليل وذو العدة القليل تهايجوا وفزعوا إلى التطوع فحدث منهم مثل الذي حدث عند خروجهم مع سهل بن سلامة^(١) في أرباض الحربية. فإنه اجتمع لما تطوع ودعا إلى إنكار المنكر، زهاء خمسمائة ألف إنسان، وكما هاجوا عند تأذيتهم بمحمد بن أوس وصعاليكه القادمين مع سليمان بن عبد الله^(٢). فإن الصعاليك لما أسرفوا في الفسق

(١) في تاريخ الطبري ٨: ٥٥١ حوادث ٢٠١ هـ (وفي هذه السنة تجردت المطرعة للنكير على الفساق ببغداد، ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري أبو حاتم من أهل خراسان...) راجع بقية الخبر هناك وفي المنتظم ١٠: ٩٢ - ٩٣.

(٢) هما محمد بن أوس البلخي وسليمان بن عبد الله بن طاهر. انظر أخبارهما لدى الطبري =

والفجور، تهايجوا من جانبي مدينة السلام قاصدين منزل محمد بن أوس. فلقد كنت منصرفاً في ذلك الوقت من جانب الغربي أريد الجانب الشرقي فوقفت موقفاً أتبين فيه من يعدو من الجانب الغربي يريد منزل ابن أوس، واحترست من الإسراف، وظننت أن من عبر إلى أن انصرف بالغنيمة والنهب أكثر من مائتي ألف إنسان. فهذا مما ينبغي أن تعتقده في هذه المدينة.

فأما القطع [٥٤] الذي مدينة السلام منه، فأفضل مواضع الأرض جميعاً في الطيب والغذاء. وذلك أن أطيب حيز الدنيا بعد الأمن والعافية والعز والسلامة والرياسة والشرف، صلاح الماء والهواء. فأفضل أنهار هذا العالم وأعذب ماء وأصح هواء وأكثره خيراً، دجلة والفرات. وذلك أن الفرات يسيل إلى بغداد بجميع الشام وسواحل بحر الروم ومصر وما وراء مصر إلى المغرب، وما بين المغرب ونهاية العمران في الشمال وما يأتي به أيضاً من قطع بحر الشام عرضاً، حتى قرب من جزيرة نبطس وقسطنطينية. لأن الروم والأندلس والخزر والصقالبة والبربر على هذا البحر فهو يقطع عرضاً فيحمل الخزر من شماله إلى جنوبه، ويحمل الأندلس من جنوبه إلى شماله. ولذلك نعجب أن يؤتى بسبي الأندلس في دجلة، والخزر في الفرات.

وهذا البحر من أنطاكية إلى جزائر السعادة ومنه خليج يخرج مما يلي الأندلس حتى يبلغ السوس الأقصى، ويصير من ناحية أنطاكية إلى ناحية قسطنطينية ثم يدور حتى الخزر. وعلى ساحل هذا البحر طرمسوس والمصيصة وأطرابلس وصيدا ويافا وعسقلان والإسكندرية. وعليه من ناحية قصر دمياط والفرما. وفيه قبرس وصقلية. فكلما على هذا البحر أو وصل إليه أو قرب منه فصار في جنوبه، وأريد به العراق مما يلي ديار مضر، فطريقه في الفرات، وكلما كان في شماله وعدل به إلى ناحية ديار ربيعة وبلاد الموصل وأريد به العراق فطريقه في دجلة، ولدجلة أنهار تأتي فكلما قصد به بلاد الموصل من أرمينية وآذربيجان.

والفرات ودجلة جميعاً يتصلان ببحر الحبشة الذي له ذنب مما يلي العراق من ناحية الأبله. والأبله أشد مواضع البحر دخولاً في الشمال، والأبله كأنها راوية لهذا الذنب ويمرّ الماء على شكل مثلث يتسع كلما بعد من الزاوية التي تلي الأبله حتى يهجم على معظم البحر. ولهذا الذنب ساحلان وهما الضفتان يخرجان من الزاوية [٥٤ ب] ويتسع بعدهما كلما طال امتدادهما، فأحد هذين الساحلين يقال له الأهوازي الفارسي، وهو الذي عليه دورق وماهرويان وجناباد وسينيز وسيراف وتيز ومكران والديبل، والساحل الآخر يعرف بالعربي وهو الذي عليه اليمامة وعمان ومهرة والشحر. وهذا البحر متصل بالصين.

فدجلة والفرات يتصلان بالبطائح ويتصلان منهما بالأبله ومن الأبله يركب العراقيون في هذا البحر، فمن هذين النهرين خيرات أكثر الشرق والغرب والشمال والجنوب.

وقال ابن عباس: أوحى الله إلى دانيال الأكبر أن افجر لعبادي نهرين واجعل مفيضهما البحر، فقد أمرت الأرض أن تطيعك. فأخذ خشبة وجعل يجرها في الأرض والماء يتبعه، فكلما مرّ بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ كبير ناشدوه الله فيعيد عنهم، فعواقيل دجلة والفرات من ذلك.

ومبتداً دجلة من أرمينية الرابعة ثم تمر إلى جانب قردى وهي قرية الثمانين التي بناها نوح عليه السلام، ثم تمر بين [باسورين]^(١) ثم تأخذ على بلد والموصل والحديثة والسن وتكرت وسرمرى، تصب في البطيحة حيث يغض الفرات فيجتمعان ويمران بالبصرة ثم الأبله ثم يصيران إلى البحر.

ومخرج دجلة من جبال آمد، ومخرج الفرات من بلد الروم، حتى يصب في دجلة. وبين بغداد وواسط يتشعب شعباً كثيرة إلا أن عموده يمضي حتى يغيب بالكوفة ويصب مما يلي جنبلاء في البطيحة. وليس عمود الذي يصب بالبطيحة يأتي بخير من بحر الحبشة الذي مرقاه الأبله، ولكن بسعته التي تتعرج من عموده^(٢) ويأخذ في

(١) زيادة من ياقوت (دجلة).

(٢) كلمة مطموسة.

نهر الرقيل، ويأتي إلى المحول ونهر عيسى ويصب في دجلة بكرخ بغداد، فما
ركب هذين البحرين أو جاورهما فهم أهل الماء العذب والهواء العدي.

وأخبرني بشيء عجيب تذكره العلماء على وجه الدهر، وذلك أنهم يقولون
إن أقام الغريب ببلد الموصل تبين في [٥٥] بدنه فضل قوة، وإذا أقام الغريب
بالأهواز سنة تبين في بدنه وعقله نقصاً. وإن الغريب إذا أقام بالبيت سنة دام سروره
واتصل فرحه. وما نعرف لجميع ما قلنا سبباً إلا لصحة هواء الموصل وعذوبة
مائها، ولرداءة نسيم الأهواز وتكدر جوه. فأما علة التبت فغير معلومة.

وقال لي علي بن الجهم إنه قد سافر أسفاراً أبعد فيها، مشرقية ومغربية، وأنه
ألزم نفسه العناية يتعرف طيب الهواء وعذوبة الماء. فلم ير موضعاً أجمع للتمام في
ذلك من أرياض مدينة السلام في الجانب الغربي.

وقد ظننت أن علي بن الجهم أفرط في هذا القول بالعصبية لحب الأوطان.
إذ كانت هذه الناحية منزله. ولقد كنت أفكر كثيراً في نزول الملوك المدائن من
أرض الفرات ودجلة، فوقف على أنهم توسطوا مصب الفرات ودجلة.

هذا على أن الإسكندر لما سار في الأرض ودانت له الأمم وبنى المدن
العظام في المشرق والمغرب، رجع إلى المدائن وبنى فيها مدينة وسورها، وهي
إلى هذا الوقت موجودة الأثر، وأقام بها راغباً عن بقاع الأرض جميعاً وعن بلاده
وطناً حتى مات.

وقد كان [بنى] بخراسان العليا سمرقند ومدينة الصغد وبخراسان السفلى مرو
وهراة. ثم بالمغرب الإسكندرية، وبنى بالهند سرنديب. وبناحية إصبهان جي،
وبنى مدناً أخر كثيرة حول الأرض فلم يختار منزلاً إلا المدائن، وإنما سميت
المدائن المدينة العتيقة لأن زاب الملك الذي بعد موسى عليه السلام أنشأها بعد
ثلاثين سنة من ملكه. وحفر الزوابي وكورها وجعل المدينة العظمى المدينة
العتيقة.

يقول العجم: إن الضحاك الملك الذي كان له بزعمهم ثلاثة أفواه وست

أعين بنى مدينة بابل العظيمة. وكان ملكه ألف سنة إلا يوماً واحداً ونصفاً، وهو الذي أسره أفريدون الملك فصيره في جبل دنيابوند. والموسم الذي أسر فيه تعتده [٥٥ ب] المجوس عيداً وهو المهرجان.

وقد بنى بهمن بن اسفنديار همينيا، وبنى شابور بن هرمزد ذو الأكتاف فيروز شابور وهي الأنبار. فأما لم سُميت هذه الناحية من البلاد إيران شهر ومعناه بالعربية بلاد إيران، فهو أن أفريدون قاتل بيوراسف قسم الأقاليم السبعة بين ثلاثة أولاد كانوا له. فدفع إلى إيران هذا القطع فُعُرف به. ولجلالة قدره وبلده حسده أخواه فقتلاه.

فأما أنوشروان بن قباد - وكان من أجل ملوك فارس حزمياً ورأياً وعقلاً - فإنه بنى المدائن وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك ساسان إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فأما الملوك الأول، أعني ملوك النبط وفرعون إبراهيم، فإنهم كانوا نزولاً ببابل. وكذلك بخت نصر الذي تزعم السير أنه أحد من ملك الأرض جميعاً. انصرف بعدما أحدث، يعني إسرائيل ما أحدث إلى بابل.

وكفاك أن الإقليم الرابع أجمع يعرف بإقليم بابل، وحدود هذا الإقليم على ما رواه بعض القدماء - لا على ما ذكره المنجمون - وأصحاب الاثر والنظر في أمور الأقاليم بعروض البلدان ومقادير ساعاتها وارتفاع أنصاف النهار في كل بلد. فإن هؤلاء إذا حصلوا أمر بغداد قالوا: عرض وسط الإقليم الثالث، أي [أن] ^(١) بعده من خط الاستواء ثلاثون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة. وعرض وسط الإقليم الرابع ست وثلاثون درجة وتسع دقائق ^(٢).

فبغداد إذاً عندهم كأنها بين وسطي الإقليمين إلا بقدر بالاثنين والثلاثين الدقيقة التي يزيد بها وسط الإقليم الثالث على الثلاثين الدرجة. وكذلك يقولون إن

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: ستة وثلاثون... وتسعة دقائق

ساعات وسط الإقليم الثالث أربع^(١) عشرة ساعة. وساعات الإقليم الرابع أربع عشرة ساعة وخمس ساعة. فساعات بغداد عندهم كأنها وسط بين ساعات إلا بقدر ما بين النصف الذي مع ساعات الإقليم الرابع وبين الخمس الساعة الذي مع [٥٦ أ] ساعات بغداد على ما يقوله المنجمون المحصلون. فأما ما يقوله أولئك الرهط فإنهم يقولون: إن بغداد من الإقليم الرابع ويقولون إن حدود هذا الإقليم مما يلي أرض الهند، الديبل، ومما يلي أرض الحجاز، الثعلبية، ومما يلي الشام، نصيبين، ومما يلي خراسان، نهر بلخ، فقد دخل فيه ما دون النهر من خراسان والجبال كلها، والعراق ودجلة كلها، لم يعرف إلا بابل. وأنت تعلم أن الناس إنما ينسبون الشيء إلى الأفضل المشهور. فلو أن بابل [لم تكن] كذلك ما نسبوا الإقليم إليها.

وذكر أصحاب السير أن بابل إنما سميت بابل لأن الألسن اختلفت بها وتبلبلت فيها. وأن الملوك والناس اجتمعوا فيها ثم تفرقوا منها.

فأما ذورثيوس^(٢) الحكيم فإنه في صدر كتبه الخمسة التي في المواليذ وابتداء الأعمال هذا القول: إني قد وطئت بلاداً كثيرة حتى أتيت إلى البلاد العامرة ذات الأرباب الكثيرة ومصب الفرات وهي أرض بابل ذات الأبنية المنيفة والقصور المشيدة.

ومع هذا فإن هذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة والمعتدلة. وذلك الموضع الذي ينقسم الزمان أربعة أقسام فلا يخرج فيه من شتاء إلى صيف حتى يمر بنا فصل الربيع، ولا يخرج من صيف إلى شتاء حتى يمر بنا فصل الخريف. وكفى بهذا الإقليم فضيلة أن أكثر أموال المملكة تجبى منه لفضل عمارته وخيره من غير أن يحتاج له من النفقة إلا إلى الجزء اليسير من ارتفاعه. وغيره من الأقاليم ربما احتاج إلى أن ينويه غيره ويقوم به سواه فيكون عالاً مع كزازة أهله وتباعده من الاعتدال

(١) في الأصل: أربعة عشر.

(٢) عن ذورثيوس انظر فهرست ابن النديم ٣٢٨.

ولا سيما السادس والسابع والأول والثاني. فأما الثالث والخامس فلأنهما يقيدان الرابع المتوسط ويكتنفانه وهما يشبهانه في كثرة الخير وقلة المؤونة وحسن الاعتدال. ويقال إن الملك الأعظم والمدير الأكبر ينبغي أن يكون منزله هذا الموضع أعني الإقليم الرابع.

ومن الإقليم الرابع اشتراك دجلة والفرات. فإن بغداد إنما بعدت عن حقيقة قبة [٥٦ ب] الأرض ووسط ما بين المشرق والمغرب وعشرين جزءاً فقط. وهي بالحقيقة وسط ما بين خط الاستواء ونهاية العمارة في الشمال. وذلك أن المنجمين يقدرون نهاية العمارة في الشمال ستة وستين جزءاً عن خط الاستواء. وبعد بغداد عن خط الاستواء، النصف، وهو ثلاثة وثلاثون جزءاً. فالمدير إذا توسط في هذا الموضع كان بعده من أفريقية وبرقة وصنعاء اليمن والشاش وفرغانة وباب الأبواب التي عملها أنوشروان حاجزاً بين أرض الفرس والخزر في البحر الخراسان شبيهاً بالمتقارب^(١). ولو ذهب مدير برقة وأفريقية ومخالف اليمن ومن هو مقيم وراء النهر من خراسان لما انتظم التدبير. وكذلك لو دبرت ممالك بعد خراسان وثمر أرمينية من الإسكندرية والفرما لما صيغ ولا انتظم تدبير.

ولقد كان أحد أسباب انتفاض أمر بني أمية نزولهم الشام. وذلك أنهم اضطروا إلى أن يكاتب عمال خراسان صاحب العراق لقرب المسافة في اتصال الأخبار وإمضاء التدبير. فلما ولّوا نصر بن سيار الليثي خراسان أمر أن يكاتب يزيد بن عمر بن هبيرة. فخاف نصر على مكانه. فكان نصر إذا كتب من خراسان في أمر المسودة لم يمهله يزيد خبره إلى مروان، لأنه كان يحب أن يقتل نصر. ونسي يزيد أن غلبة أبي مسلم على خراسان سبب الغلبة على الجبال، وأن ذلك إذا استحکم لم تكن له همة إلا نزول العراق فلما انطوى عن مروان بيزيد بن عمر، اجتاز نصر بن سيار أفسد وجه التدبير. ولو كان مروان بالعراق مقيماً لم يحتج أن يكون يزيد بينه وبين خراسان متوسطاً.

(١) العبارة غامضة.

ومروان بن محمد كان شيخ [بني] مروان وعصلتهم وشيوخهم وذا التجربة منهم. وكان ذاهناً فطناً وكان لذلك ينسب إلى الزندقة. وإنما سمي مروان الجعدي بالجعد بن درهم، رجل كان يرمي بالزندقة. وكان مؤدب مروان فيقولون إنه هو فتح له بابها وحمله عليها. ولم يزل مروان عاملاً لخلفاء أهله من بني أمية على ثغر أرمينية دهرًا طويلاً يفتح الفتوح ويقارع [٥٧ أ] الأعداء.

ويروى أن المهدي سأل المنصور فقال: كيف كان يا أمير المؤمنين أمر مروان؟ فقال المنصور: لله در مروان. ما كان أسوسه وأعفه وأشجعه، ولكن خانة أمانؤه وطموا الأخبار عنه. ولقد كان نصر بن سيار في ذلك الوقت فارس خراسان، فلم يزل ينصح ويكاتب ابن هبيرة ومروان لا يعلم بما هو فيه. فلما طال ذلك عليه قال شعراً فيه:

أرى تحت الرماد وميض نارٍ وأوشك أن يكون لها ضرامُ
فقلت من التعجب ليت شعري ألقاظ بني أمية أم نيامُ

فلم ينفعه ذلك شيئاً. فما ظن ابن هبيرة نصر بن سيار حتى ذهب الفرع والأصل. وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ومن الأسباب المؤكدة لصلاح موضع بغداد أن المنصور كان أحزم ملك وخليفة ولي منذ عهد معاوية إلى هذا الوقت. وقد جال الأرض فبلغ طنجة وأقام بالبصرة ودخلها غير مرة. وكان نزوله فيها على رجل يقال له أزهر السمان. وقد كان أيضاً ولي كورة من كور الأهواز أيام بني أمية. وكان في أصحاب عبد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لما خرج على بني مروان، وبلغ معه إلى إصبهان. فكان يحج ويجاور بمكة ويدخل الكوفة فيقيم بها أيضاً. وجول بلدان الجزيرة وديار بني ربيعة ومضر وكان مع أبيه وعمومته بالشراسة وكان مع هذا طلبة للأدب والعلوم محباً للسياسة بعيد الهمة. وكان جيد الرأي والتدبير. وتمثل لما قتل أبا مسلم - وأراد بهذا البيت أنه لم يشاور أحداً -:

طوى كشحه عن أهل كل مشورة وبات يناجي نفسه ثم صمما

وهو الذي يقول فيه ابن هرمة وذكر أنه لا يشاور أحداً فيما بهم به :

إذا ما أراد الأمر ناجي ضميره فناجى ضميراً غير مختلف العقل
ولم يشرك الأدين في جل أمره إذا انتقضت بالأضعفين قوى الجبل

[٥٧ ب] وهو الذي قال لعيسى بن موسى لما استرجع حين رأى أبا مسلم على طرف البساط قتيلاً: يا عيسى! لا تسترجع واحمد ربك. فإنك هجمت على نعمة ولم تهجم على مصيبة وتمثل :

وما العجز إلا أن تشاور عاجزاً وما الحزم إلا أن تهيم وتفعل

فبهذا الحزم وهذه التجربة وبعد هذه الهمّة والأسفار الكثيرة ومشاهدة البلدان البعيدة، رأى أن يختار هذا الموضع مدينة ومنزلاً مستقراً. هذا وخراسان تنهض وفي أكتاف الشام جماعة من بني أمية يحاولون طلب الملك. وبالحرمين طالبون يرون أنهم أحق الناس بالملك. ثم لما عزم على بنائها ورآها أهلاً، وكل بها جلة قواده ورؤسائه. فقسمها أرباعاً ودفع كل ربع إلى قائد ووكله ببنائه.

ولقد أمكن المنصور الإشراف على خراسان عند خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن إياه، حتى أخذه أسيراً. كما أمكنه الإشراف على مكة والبصرة عند خلع بني عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام. حتى بلغ من ذلك مراده لتوسط الموضع. ولتوسطه أيضاً أمكنه أن يوجه المهدي إلى الري وطبرستان وجرجان وأن يوجه المهدي بالهادي إلى جرجان. وأن يوجه المهدي بالرشيد إلى صائفة الروم. وأن يمضي الرشيد بنفسه يريد سمرقند. وأن يوجه المأمون لعبد الله بن طاهر إلى مصر، ويشرف على بابك بالجبال. وأن يفتح المعتصم طبرستان وعمورية ويأخذ بابك من البر. ولولا توسط بغداد لكان الأمر أعسر والمطلب أبعد والأخبار أبطأ. والله يفعل ما يشاء.

ومن غريب سعادة بغداد، أنه لم يمت فيها خليفة قط حتف أنفه. وذلك أن المنصور بناها وتوفي ببشر ميمون ودفن بمكة. وتوفي المهدي بالروذراور من عمل الجبل. وتوفي الهادي بعيسى آباد. وتوفي الرشيد بطوس من أرض خراسان. وقُتل

الأمين وحمل رأسه إلى خراسان، فهو في قهندز [٥٨ أ] سمرقند. وتوفي المأمون بالبدندون ودفن بطرسوس. وتوفي المعتصم بصرمري. وقتل المتوكل بصرمري.

وقد أقام بمدينة السلام ثلاثة من الخلفاء عمر كل واحد منهم نيافاً وعشرين سنة، وهم المنصور والرشيد والمأمون. ولم يمت بها منهم أحد.

وقد قيل إن نوبخت اختار لبنائها وقتاً طالعه القوس وصاحبه المشتري. وذكر بطليموس في برج المدينة إليه طالع الوقت، أول البرج الذي فيه القمر في الوقت. قال: وإن جهل ذلك من أمر المدينة، فمعرفة ذلك من طالع الملك الذي ابتناها. والحق أن يكون طالع مدينة السلام وطالع منشئها واحد، وذلك لسعادتهما واتفاق جميل الوصف لهما وفيهما.

وأشدد لدعبل يمدح بغداد ويلم بصرمري:

بغدادُ دارَ الملوكِ كانتِ حتى دهاها الذي دهاها
ما غابَ عنها سرورُ ملكٍ أعارةً بلدةً سواها
ما سرُّ مرئى بصرمري بل هي بؤسٌ لمن رآها
عَجَّلَ رَبِّي لها خراباً برغم أنفِ الذي بناها

شعر:

يا دارُ أقوَتْ وخَفَّ عامِرُها أيامَ تصطادُّنا جاذِرُها
أيامَ نحنُ بِجِيرةٍ خَلِيطِ بنامِ قَبْلِ العِشاءِ سامِرُها
إذ هي مثلُ العروسِ باطنُها دَلُّ يَصِيدُ الهوى وظاهرُها
جَنَّةُ دُنيا ودارُ مغبِطَةٍ قَلٌّ مِنَ النَّائباتِ وإِترُها
كَدَرَةِ البَحْرِ ضَمَّها صَدَفٌ غالى بأغلى البلادِ تاجرُها
دَرَّتْ خَلوفُ ألبانِها لساكِينِها وقَلٌّ معسرُها وعاسِرُها
وافترشتْ بالنعيمِ وانتَفَجَتْ لهمْ بلذاتِها خواصرُها
فالقومُ في روضةٍ أنفِ أشرفَ غِبِّ القطارِ زاهرُها

من غرّه العيش في بُلْهَيْنِيَّةٍ لو أنّ دنيا يدوم غابرُها

[٥٨ ب]

دارُ الملوكِ قَرَّتْ أَسْرَتُها فيها وَقَرَّتْ بِهِم مَنابِرُها
أهلُ القِرَى والنَدَى وأَنْدِيَةٍ المجدِ إذا عُدَّتْ مفاخرُها
أبناءُ دنيا في عَزٍّ مملَكَةٍ عزّاها لهم أكابرُها (٩١)

وقال يزدجرد بن مهبنداد الكسروي: قد أكثر الناس في مدينة السلام إكثاراً لم يحصلوا منه دليلاً، ولا أفادونا به محصولاً، ولم يزيدوا على أن يقولوا بلد ولا تشبه البلدان، وما أعجب الأمر فيه، وأبعد الشأو في تحديد من به من ساكنيه. وأعظم شأنه في الشؤون، وأعسر كون مثله على الدهور والسنين. كما لا يزيدون^(١) على أن يقولوا: فيه مائتا ألف حمام بل الضعف أو كالضعف من ذلك. ومن المساجد كذا ومن الطرز كذا. فإذا أخذوا أو أكثرهم بتحصيل العلم في بدائع البلد وغرائب أنواعه حصلوا على خير قليل وحكم معلول.

ونستفتح القول باتِّباع أعدل الكلام وأبين الأعلام. ولا نقول كالذي قالوه في عدة الحمامات واعتقدوه في كثرة الدور والمساجد والطرازات، إشفاقاً من الإسراف على السامعين. فإننا إذا وجدنا كثيراً من الخاصة والعامة مدعين بعدة الحمامات وإنها مائتا ألف حمام دون ما هو فوقها من الزيادات. ثم قال آخرون بل هي مائة ألف وثلاثون ألف حمام. واقتصر المقلل على مائة ألف وعشرين ألفاً. وهذا قول الشاه بن ميكال وطاهر بن محمد بن عبد الله. وكانا قد وقفا على ذلك من جهاتٍ وقتلاه علماً من أمور صححت لهما ذلك حتى علماه ووقفا عليه وأنقناه.

وقد قال قوم بالزيادة على هذا وقال غيرهم بالنقص فرجعنا عند اختلافهم إلى حدّ رجونا أن يكون عدلاً مفروضاً وحكماً مقبولاً. واقتصرنا من عدد

(١) في الأصل: كما لا يزيدوا.

الحمامات على ستين ألف حمام استظهاراً. وجعلنا العلة في ذلك أن نأخذ بأوسط ما ذكره من اعدادها. وما وجدنا الخاصة أو أكثرهم يدعيه في اعتقاده، وهو مائة وعشرون ألف [٥٩ أ] حمام. وبه قال الشاه وطاهر فاقصرنا على النصف من المائة والعشرين ألفاً لثلا يقبح في التقدير وتنفو عنه الأسماع.

ثم نظرنا بقدر ما تحتاج إليه كل حمام من القوام الذين لا قوام لكمال الحمام بما هو دونهم. فوجدنا كل حمام يحتاج إلى أربعة نفر لا بد لها منهم: صاحب الصندوق والقيم والوقاد وكناس الوقود. وربما أطاف بالحمام الواحد الضعف على هذه العدة. ولكننا ركبنا سنن الاستظهار في هذا المعنى وفي جميع ما تضمننا قصر القول به ليكون معيناً على انتحاله، وأماناً من إبطاله.

فلذا وجدنا عدة الحمامات على ما رتبنا ببغداد وهو ستون ألف حمام، فقد حصل عدد من ذكرناه من القوام وغيرهم ممن لا بد للحمام منهم، مائتا ألف وأربعون ألف قيم وغيره.

ثم وجدنا العيان وجدنا حكماً ثانياً وهو أن نجعل على التقريب استظهاراً لكل حمام حجامين، فيحصل لنا أيضاً من عدة الحجامين مائة ألف وعشرون ألف حجام. فيكون عدة الحجامين وأصحاب الحمامات ثلاثمائة ألف وستين ألف حمامي وحجام.

ثم فرضنا أيضاً بهذا التقريب والممكن المقرون به لكل حمام مائتي منزل قياساً على ترتيب المنازل والحمامات المعدودة بمدينة المنصور. فإننا وجدناه بحق كل حمام بها من المنازل نيفاً على أربعمئة منزل. فاستظهرنا بإسقاط ما هو أكثر من النصف وفرضنا لكل حمام مائتي منزل فاجتمع من ذلك اثنا عشر ألف ألف منزل.

ثم وجدنا المنازل قد يجتمع في الواحد منها عشرون إنساناً وأكثر، وفي غيره إنسانان أو ثلاثة وما هو أقل من ذلك وأكثر. فاحتجنا إلى قسمة عدد يعتدل به العدد. فأسقطنا من العشرين نصفها وزدنا على الثلاثة ضعفها، ثم أمددنا

الاستظهار للحاشيتين معاً. فنقصنا من العشرة سدسها وزدنا على الستة سدسها وجبرنا الحاشيتين ليحصل لنا أشرف نسب الأعداد وما يليق شكله بالحيوان وقسمة العمران وهو الثمانية [٥٩ ب] من الأعداد فإنه نصف قطر المتقبلين بأمر الفروض. فاجتمع لنا في كل منزل ثمانية نفر رجالاً ونساء صغاراً وكباراً. فاجتمع لنا من عدد الجماعة ستة وتسعون ألف ألف إنسان.

وقد قال الناس في أحوال البصرة وتفخيم شأنها أقاويل مختلفة يشبه بعضها بعضاً. ففريق زعم أنها أعظم في مقدارها وأوضع في أقدارها من مدينة السلام. وقال آخرون: بل هي في قدرها سواء. وقالوا: بل هي دونها وأصغر حدّاً من حدها. ولم نرد في اقتصاص أقاويلهم هذه في البصرة تمثيلاً أو تجميلاً بين بغداد وبلد في العالم جميعاً من البلدان سواها، ولا شيئاً بذلك أكثر من تفخيم أمر البصرة وانها من الأمهات العظام ومن المدائن الجليلة من بلدان الإسلام.

ثم وجدنا حالاً من الزمان قد أهل البصرة جميعاً كما أهل الأبله وسائر كور الأهواز وجميع العمران من كور دجلة ودستميسان وكسكر وآجام البريد وما بين هذه المدائن العظام وبين واسط العراق من الأنهار المشحونة بالحيوان الناطق برّاً وبحراً. ثم كان بواسط من أهلها وسوادها وكور الصلح وكور المبارك ومأهولها. وفي حيزها من القرى والبقاع المشحونة بالناس إلى مدائن النهروانات الثلاث، وما هو لكور النهروانات وبازائها من الضياع وسقي جوخا، إلى حدود بادريا وباكسايا وحدود البندنجين وسوادات طريق خراسان إلى بطن المدائن. ثم من كان في الجانب الغربي كمدائن الزوابي وسقي نيل الفرات وقم النيل إلى سوادات الكوفة وباروسما ونهر الملك، ومالابس الصراة إلى حدود جنبلا إلى كثير مما لم نذكره ونحصيه، ولا نعلمه فنستوفيه. فيما بين كل بلد وقراه، وكل قرية ونظائرها ممن لا يحصي عددهم ولا يعلم كنه مددهم إلا خالقهم، مستجيرين بمدينة السلام. فلم يلبثوا فيها ولا أغلوا منها سعراً. فإذا وجدنا هذا الحيوان الناطق [٦٠ أ] الذين هم الناس، قد شغلوا من مساكنهم وأوطانهم مكاناً من الأرض عريضاً، وملأوا منها فناء فسيحاً، قد ورد بهم المقدار وساقتهم الأقدار

مستجيرين محلاً لا تضيق بهم دياره، ولا تمتلئ منهم أقطاره، ولا تغلوا بكثرتهم أسعاره، ولا يتحاكم في أقواتهم تجاره، ولا يعجز عن ميرتهم ممثاره. ولا يحس أهله بالواردين منهم إذا أتوا، ولا الصادرين إذا مضوا.

أفتحسب أيها الإنسان أن بلداً واحداً لا تخيل علينا أقطاره، ولا يذهب عنا مقداره، ولا تشتهه علينا طرقه، ولا فضل في مسالكه، يسع أجراماً فتحركه، وأجساماً فتصرفه. لا مقدار لعددها ولا سبيل إلى إحصائها، ثم لا يكون كثرة الناس فيه، وتحركهم في حواشيه إلا قريباً مما كانوا وشيهاً بما عرفوا. إن هذا لشأن عجيب وأمر ظريف.

وسنأخذ العيار من أخصر وجوه الكلام، ثم نجعل ذلك بين حالين لا يخرجان عن تحصيل الخاصة، كما لا يذهبان عن عقول العامة، يشتمل عليهما البرهان الموصول بحجة العيان.

ونصير إلى ذكر المسجد الجامع في الجانب الغربي بمدينة المنصور فنحصله ذرعاً مكسراً ثم نقسم ذلك على المصلين فيه في آخر جمعة يجمع الناس من الشهر الشريف، أو أولها، بعد أن نعلم أن كل مصل سيشغل مركزاً للصلاة لركوعه وسجوده وقيامه وقعوده ويكون خمسة أشبار في شبر لا تصح الصلاة بما هو دون ذلك من المراكز. ثم نضيف إلى أرياب الصلاة ببغداد الذي سلف منا ذكرهم من أهل البصرة والأبلة وسائر الكور التي عددناها، والمدائن التي ذكرناها وما هو بين ذلك وعن يمينه وشماله ومن خلفه وقدامه. فنجعلهم ضعفاً لمن ضمت بغداد من أهلها الراغبين فيها. وإن كان بالواجب في كثير من الأقاويل أن يكونوا أضعافاً مضاعفة على ما ضمته من أهلها ومساكنها. وقد قلنا إن عدد من ببغداد من الناس رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً ستة وتسعون ألف ألف إنسان. [٦٠ ب] إذا أضعفوا بمن أضيف إليهم مائة واثان وتسعون ألف ألف إنسان ثم سقط من هذه العدة بحق النساء والصبيان والمريض وأهل الذمة. وقد ذكرنا قدر مركز المصلي وأعلمنا أنه خمسة أشبار يضبط بها ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده في شبرين لا تطيب الصلاة في دونها. وقد حصل من ذرع المسجد الجامع الغربي دون رحابه وما زيد فيه مائتا

ذراع في مائتي ذراع، يكون مكسراً أربعين ألف ذراع، وجبرنا رحابه وهي دونه في الذرع فجعلناها في القسمة مثلها فكانت مائتي ذراع في مثلها. فصار جميع ذرع المسجد الغربي في رحابه وبنائه وأركانه وأساطينه. فأسقطنا حصتها من الذرع استظهاراً ثمانين ألف ذراع مكسرة معها من أهل الصلاة بها على ما فرضنا من مركز الصلاة الواجبة من عدد الناس، اثنان وثلاثون ألف إنسان. وهذا حكم القول في المسجد الشرقي منها ونحوه. فيكون إذا جمعنا ما يسع الجانبان ورحابيهما من المصلين على ما ذكرنا أربعة وستين ألف إنسان. وهو جزء واحد من ألف جزء ممن قدرنا أنه يحضر، وهو الثلث من جميع أهل مدينة السلام ومن ذكرنا.

وهذا - يرحمك الله - عدة يستغرقها دون عدة الحجاجين وقوام الحجاج بمدينة السلام كما قد سلف من القول بكثير جداً. فإن الذي قرب البعيد وبسط القريب وجعل الصغير كبيراً والكبير صغيراً هو الذي استودع عقولنا الإقرار بقدرته على توسعة ما لا سبيل إلى اتساعه إلا به، ولا حيلة في حطه وارتفاعه إلا عنه. والله يريكم آياته فاي آيات الله تنكرون؟ أفليس الواجب علينا الإقرار إذا بما لا يدفع الإقرار به من قدرة الله إلا عناداً واعتداءً؟

وإذا اتسع القول بأن الله عز وجل يلطف لخلقه لطفاً يبسط به البعيد ويطوي به القريب، أمكن من ذلك أن الله يبسط لأقرب خلقه إليه وأعز بقاعه عنده أو على ما شاء كما شاء. [٦١].

ولا أرى الواقفين باتساع قدرة الله يجهلون برأي العين قدر مساحة المسجد الحرام بمكة أو يحتجون عن إدراك من نفذ إليه من مشارق الأرض ومغاربها. فإنه يذكر كثير ممن لا يتهم في تمييزه وذكره، كما ليس بظنين في دينه وستره المجتمع، من عدد الحاج في المسجد الحرام ألف ألف وخمسمائة إنسان. وذلك هو الحد في الغاية التي لا مزيد عندهم فيها. وإن الجد في الغاية لا انتقاض معها هو أن يكونوا ستمائة ألف إنسان. وقد وجدنا مساحة المسجد الحرام مع البيت طويلاً وعرضاً ثلاثمائة ذراع في مائتي ذراع يكون ذراعاً مكسراً بستين ألف ذراع. وجعلنا المصلي فيه أن يأخذ من مساحة المسجد استطاراً وتقليلاً ذراعاً في ذراعين يكون

لركوعه وسجوده وقيامه وقعوده . فيكون قدر ما يحتاج إليه الغاية القصوى الذين قلنا انهم ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان من الذرع لما فرضنا ثلاثة آلاف إنسان . وذلك خمس العدد الذي يذكرون .

وهكذا لو عملنا حساب ستمائة ألف إنسان ما كان أيضاً إلا خارجاً عن صورة القياس جميعاً . أفحسبت أيها الواصل بما غاب عنه من حكمة الله والمقرر بالخفي عليه من قدرة الله ، ان القياس أن يسع المسجد الحرام من هم أوسع من أضعافه أضعافاً مضاعفة وهو برأي العين ما وسعوه قط . قد اطردت الآن وجوه الكلام بأن الله عز وجل بلطف لخلقه من لا يحسبون ويصنع لهم من حيث لا يشعرون . ووصلنا من القول إن الله بقدرته يبسط للناس المسجد الجامع بمدينة السلام ليسع من لا يسعهم في رأي العين أضعافه ذراعاً ومساحة .

وإذا أمكن أن يقول إن الله عز وجل يبسط بالزيادة على قدر المساحة ذراعاً واحداً ، جاز أن يقول باعاً . وإذا جاز أن يقول باعاً واحداً جاز أن يقول [٦١ ب] فرسخاً واحداً . وإذا جاز ذلك القول بفراسخ كثيرة . إلا أن الله عز وجل لم يعطنا القدرة على علم ذلك ومعانيه مثله .

وإذا تتابعت الآيات وتناسبت العلامات وتمكنت الدلالات ، رجونا بها زوال الشبهات واستقبال الحقائق الممكنات .

ونقول إنه بالواجب ، متى استجاز أرباب المدائن المشهورة التي ذكرناها ، والبقاع العظام التي أشرنا إليها ، وأحصيناها بمدينة السلام حتى يحلوا بها ويستوطنوا فيها ، أن يضعف عدد المساكن بها وتتضاعف المنازل في حواشيتها وأوساطها للعالم الوارد والداهم الوافد . وقد قلنا إن من الممكن القريب أن يكونوا في عددهم ضعفاً لمن ببغداد من أهلها قياساً صحيحاً وحكماً لازماً ، كما قد قلنا بما رتبناه ونزلنا القول فيه وقرأناه ، أن عدد المنازل ببغداد اثنا عشر ألف ألف منزل ، وجدنا العيان قد أوجدنا أن منزلاً منها لا يكاد يخلو من مصباح ينير فيه ليلاً يتقد بدهن البزر . ثم لا يعسر علينا أن نقول : إن في هذه المنازل ما يوقد فيه أمان عراقي وأرطال من دهن البزر إلى ما هو دون ذلك القدر من الدهن . فإذا ضربنا

قدر ما يُحتاج إليه في كل منزل في كل ليلة من دهن البزر قليله بكثيره وكبيره بصغيره، فرضنا لكل منزل في كل ليلة من دهن البزر أوقيتين بأواق العراق. وقد حصل من عدد المنازل كما قدمنا اثنا عشر ألف ألف منزل سوى ما استظهرنا بإسقاطه من المستجيرين ببغداد عند خراب البصرة وسائر البقاع والمدائن العظام سنين متوالية وأعواماً متتابعة. فحصل المصاييح القناديل حساب لكل منزل في كل ليلة أوقيتين من دهن البزر ألفاً ألف رطل. ثم وجدنا عدد الحمامات - كما قدمنا - ستين ألف حمام، وحصة الحمام الواحد في كل ليلة من دهن البزر، ربع الرطل العراقي. فيكون بحق الحمامات أيضاً في كل ليلة خمسة عشر ألف رطل أيضاً [٦٢] ويكون جميع ذلك ألف ألف رطل وخمسة عشر ألف رطل. ثم أمددنا الاستظهار بمثله من الاستظهار فأسقطنا ما تحتاج إليه الحمامات، عملاً على أن في المنازل ما لا مصباح فيه، وما لا يكون مصباحه بدهن البزر، وهي خمسة عشر ألف رطل بزر. كما استظهرنا بإسقاط ما كان يحتاج إليه أرباب الكور المضافة إلى بغداد عند خراب البصرة. واقتصرنا على ما وجدناه قوياً مبلغاً وهو ألف ألف رطل من الزيت في الليلة الواحدة. يكون ثمنها على سعر زماننا هذا وهو أعدل الأسعار ألف ألف درهم. وفي الشهر الواحد ثلاثين ألف ألف درهم وفي السنة الواحدة ثلاثمائة ألف ألف وستين درهماً. قيمتها عيناً بسعر زماننا اثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف دينار.

ثم نظرنا في باب الزيت وفي قدر ما تحتاج إليه مساكن الخليفة للمصاييح والمطابخ وخبز الرقاق وسائر أنواع الخبز، ومن هو دون الخليفة وخاصته وبطانته وولده وسائر حشمه. ثم ما يحتاج إليه من ذلك أيضاً ولاية اليهود ومن أطاف بهم من خواصهم، ثم الوزراء وسائر الأمراء، ثم القواد ووجوه أرباب السيف، ثم الكتاب وعمالهم، ثم الثناء^(١) وأرباب النعم وسائر الوجوه، ثم وجوه التجار وأرباب الصناعات الكثيرة، ثم من هو أدنى من هذه الطبقات وأنقص من هذه الدرجات صغاراً وكباراً، خواصاً وعواماً. وفي الواحد من الجماعات ممن ذكرنا

(١) الثناء: كبار الشخصيات وذوو النفوذ والثروة.

منازلهم واقتصصنا مراتبهم ممن يحصل في مستقره بمدينة السلام في كل يوم وليلة من الزيت ما لا يحصى جراراً ولا يعدّ رقاقاً. وقد جعلنا تقدير ما يحصى من الزيت ليوم واحد من شهر رمضان، ففرضنا قدر ما يحتاج من الزيت لمطابخ أمير المؤمنين وسائر ما يستعمل فيه الزيت لمثله ومن دونه من الطبقات الفاضلة إلى أن وصلنا إلى من هو في [٦٢ ب] أصغر الطبقات وأيسر الدرجات من الناس ببغداد. فجعلنا لكل منزل منها في كل ليلة من ليالي شهر رمضان أوقيتين من الزيت ليصلح القسمة ويأثلف الكلام. فجعل من ذلك في الليلة الواحدة ألف ألف رطل من الزيت. ثم قسمنا بحق كل حمام عشرة مساجد، ثم زدنا الاستظهار استظهاراً. فأسقطنا النصف من عدد المساجد فحصل لنا لكل حمام خمسة مساجد. فاجتمع لنا من عدد المساجد ثلاثمائة ألف مسجد. وفرضنا لكل مسجد في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من دهن الزيت لمصابيحه - [إذا فرضنا كثير ذلك في قليله وصغيره في كبيره استظهاراً - رطلاً واحداً. أو في المساجد ما يستغرق أرطالاً كثيرة فاجتمع من ذلك في الليلة الواحدة ثلاثمائة ألف رطل زيت.

ثم نظرنا في الإنفاق الممكن - فإنه ليس يعسر أن ينفق الناس في الأعياد العظام والأيام السعيدة بمثل ما رتبنا عليه طبقات الناس في الحاجة إلى الزيت، أن تكون الحاجة إلى ذلك كالحاجة إلى استعمال الصابون. وأن نجعل لكل منزل واحد - وعدد المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل - في كل يوم من أيام شهر رمضان من الصابون رطلاً. فإن أوحشت القول بذلك فأسقط من عدد الديار ما ترى به زوال الشبهة وامتناع الريبة وهو النصف من عدده ليتمكن لك التظاهر بالعيان ويزيد لك ذلك في قوة البرهان. فإن جمعت بك الظنون وحيل بينك وبين مناسبة اليقين، فلك بحق الترخيم من المنازل، الثلاثان ليكون الحاصل لحصتك في اليوم الواحد من ذلك الشهر، أربعة ألف ألف رطل صابون. فيكون حقها من الزيت استظهاراً، ألف ألف رطل. يكون جميع ما ذكرناه في اليوم الواحد واللييلة الواحدة من أيام شهر رمضان [٦٣ أ] لمنازل الملوك والأدنى فالأدنى من الطبقات. ولمصابيح المساجد ثلاثة ألف ألف رطل وثلاثمائة ألف رطل زيت. ويكون ثمنها

بسعر زماننا هذا ورقاً، ثلاثمائة ألف ألف وثلاثين ألف ألف درهم. تكون عيناً ثلاثة ألف ألف وتسعمائة ألف وستين ألف دينار. وفي السنة الواحدة عيناً سبعة وأربعين ألف ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألف دينار.

ومن العام المشترك وما لا اشتباه في حاجة العامة والخاصة إليه البقول المستعملة في كل يوم في كل منزل. فإنها وإن كانت ذوات ألوان عامة وأنواع خاصة. وكان منا من يبتاع منها بالدنانير والكثير من الدراهم، ومنا من لا يصل إلى المبايعة منها بمثل ذلك. ومنها من يغتبط الخاص منها خاصة. ومنا من لا سبيل له إلى أعم العام منها. فإذا خصصنا من أيام السنة لاستعمال العام من البقول يوماً واحداً وجعلناه أول يوم من شهر رمضان أو أول يوم من شوال. ثم جعلنا الناس بين حاشيتين هما الغابتان كالخليفة ارتفاعاً، أو حارس الدرب اتضاعاً، لم نخل منزلاً واحداً من الحاجة إلى بقل بحثين من البقصة في هذا اليوم الذي خصصناه دون سائر الأيام، إن زال الإقرار لأيام السنة جميعاً بذلك - وعدد المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل - فيكون قدر ما يرتفع من أخص الثمان البقول في يوم واحد دونما هذا دونه منها. فلما أسقطناه لخصومه كاللفت والقنيط والسلق والسرمج^(١) والاسفاناخ والبصل وأشباه ذلك، أربعة وعشرون ألف ألف حبة، ومبلغ الحبات خمسمائة ألف درهم. وفي الشهر الواحد خمسة عشر ألف ألف درهم.

وإنما لمستدركون شبيهاً بذلك في باب الأعتاب في أوانها والأرطاب في أزمانها. ويقول إذا حصل لنا على الترتيب المتظاهر والتمثيل المتناسب تقريباً، واستظهاراً من عدد الناس بمدينة السلام ستة وتسعون ألف ألف إنسان. ثم أضفنا إليهم مثلهم في وقت من الزمان من [٦٣ ب] المستجيرين بهم من أهل البصرة والأبلة وكور دجلة وسوار الأهواز والنهروانات والزوابي وسقي جوخا وكثير من أودية الفرات، اجتمع من ذلك قريباً مائة واثنان وتسعون ألف ألف إنسان. ثم وصل بنا إلى ابان الأعتاب في أوسط أوقاتها وأعدل أسعارها. وأقوات الناس من

(١) في المعتمد ٢٢٤: السرمق ويقال له سرمج وهو القطف. وفي لسان العرب: القطف: نبات رخص عريض الورق يطبخ، يقال له بالفارسية سرنك.

الأعنان بمقادير مختلفة جداً، تنقص وتزيد. إلا أنني أرى أن الكبير والصغير والغني والفقير متكافئون في أكل الأعنان حتى لا يتعذر على أحد أن يروح في أوان كثرتها واعتدال أسعارها دون أكله رطلاً من العنب العام. ثم ضربنا بعضاً ببعض وجعلنا قدر ما يأكله كل إنسان منهم من العنب رطلاً واحداً في يوم واحد، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، فقراء وأغنياء. فكان مبلغ ذلك من أرطال العنب في يوم واحد مائة واثنين^(١) وتسعين ألف ألف رطل. فكان مبلغ ما اجتمع من هذه الأرطال على أقرب الأسعار المعتدلة في الأعنان العامة حساب اثني عشر رطلاً بدرهم، ستة عشر ألف ألف درهم. وفي الشهر الواحد أربعمئة وثمانين ألف ألف درهم. ثم استظهرنا بإسقاط الأطفال والأمراض ومن لا يأكل العنب بته، فسقط لهم من عدد الأرطال ستة ألف ألف رطل. فحصل من بعد ذلك عدد الأرطال تسعون ألف ألف رطل عنب.

أفحسبت أيها المعتصم بالعدل والمتفرد بصحة العقل، ان في البعض من ساعات اليوم الواحد واللييلة الواحدة ما يتسع لمن ترى من قاطفي الأعنان ومعبثيها ووزانيها وهم الذين تراهم وترى أن يضعوا من ذلك ما لا بقي به إلا من هو في حكم القياس أضعافهم عدداً. ولكن لله نعم ينعم بها، ورحمة يلطف مقدارها عن مقادير عقول المربوبين وتدبير المدبرين، هو الإقرار له بطوله فيها وقدر على ما بسط علينا منها.

وستعرضك الشكوك فتستريب باليقين الباهر والبرهان المتظاهر. حتى إذا شئت أن لا تنظر بإحدى عينيك [٦٤ أ] وتسمع بالواحدة من أذنيك. علمت أنك إذا رأيت خليفة الله أمير المؤمنين وإمام المسلمين، قد حل بمحل من الأرض كحلولة بسدينة السلام. رص أطاف بأمر المؤمنين من ولادة العهود والأمراء وسائر الولد والوزراء والأتلاحيين بهذه السراتب من الوجوه والرؤساء وأرباب السيوف ووجوه الكتاب وكتابههم وخواسب من حولهم وبهم من أرباب النعم والنماء وأرباب الضياع

(١) في الأصل مائة واثنان.

الموسرين منهم دون المقترين من أفنائهم. ثم وجوه التجار وملوك الصيارف والبزازين والعطارين وأرباب الجواهر النفيسة وأهل الصناعات الشريفة والأغنياء جميعاً من الجماعة دون الفقراء. والموسرين دون المقترين وغير المتجملين المستورين، ومن لا يشبع يده بغير الميسور من الأمر والقصد من الشأن.

وقد قلنا إن ما ببغداد من المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل. فاجعل الآن حاجزاً بين منازل الملوك والأغنياء وسائر الوجوه والكبراء من المتسعين بالنعم المعتصمين بالسعة ومن هو دونهم من الضعفاء والمتجملين أهل القناعة والمستورين لتحسن به ظنوننا ويتمكن عيانه في أوهامنا وعقولنا. وهو أن نفرض لكل عشرة منازل من الطبقات الصغيرة منزلاً واحداً من الطبقات العاليات. فيكون عدد منازل الملوك والرؤساء والوزراء وسائر المتقدمين من الأغنياء العشرين جماعة منازل الناس.

فإن آتيت دون الذي جرت عادتك في الأمر وأقمت عليه من حطيطة الأضعاف وانتحلت الاستظهار ملةً ودينياً ومكنت لنفسك بالظاهر يقيناً، مددنا بذلك إليك يدأ طالما ناولتك البعيد وسهلت لديك الصغير. وجعلنا عدة منازل الضعفاء والخاملين وأهل التجميل والمقتصد أضعاف أضعاف منازل الملوك والأشراف، فيكون إذ ذاك عدد منازل المتقدمين من عدة منازل المتأخرين كنسبة شيء إلى مثله عشرين مرة فيحصل لنا عدد هو نصف العشر من الجميع [٦٤ ب]. وقد قلنا إن عدد المنازل ببغداد اثنا عشر ألف ألف منزل. يكون نصف عشرها ستمائة ألف منزل.

وقد يجوز أن يتفق في الأعياد العظام والأفضل من الأيام في بلاد الإسلام يوم النحر أو يوم الفطر في أوان من الزمان لا تتوالد فيه الأغنام بالعراق بحيث يلبس مدينة السلام إلا غريباً خاصاً وعشيراً شاذاً كشهر خرداد ماه وشهر مرداد ماه^(١). وقد امتنع علينا أن نقول إن مائدة واحدة من المقسومين على أرفع

(١) شهران من أشهر السنة الفارسية. و (ماه) تعني (الشهر) في الفارسية.

الدرجات وأعظم الطبقات من الملوك والرؤساء وسائر الوجوه والأغنياء خلوا من
جدي واحد في ذلك اليوم الواحد الذي قلنا إنه الأعياد الشريفة والأيام السعيدة،
ظناً قريباً وحكماً مصيباً. فيكون إذاً قدر ما يباع في أسواق بغداد من الجداء في
الفطر وفي النحر ستمائة ألف جدي.

أفطننت أيها البخاث المتذكر والنظار المتفكر، أن الله لا يلفظ لإيجاد ما
شاء من خلقه على أجنحة الملائكة المقربين وعلى رؤوس الجن والشياطين. بل لا
نظن أن وكيلاً من وكلاء الوظائف وأميناً من أمناء المطابخ رجع منصرفاً من أحسن
الأسواق وما لا يناسب منها باب الكرخ وباب الطاق في وقت واحد من الزمان
وساعة واحدة من النهار، فاستحل أن يقول لعدم الجداء بالربيع ببغداد، وانني
طلبت جدياً رضيعاً فتعذر عليّ، والتمست مخاليف الدراج في غير أوانها وصغار
الفراريح في دون أبنائها والقبيح والشفائين والصلاصل والوراشين والسمان
والكراكي والطيهوج والقماري والعصافير والدباسي والغربان والعقبان أو الثعالب
والذئاب والضباب والدباب أو القيل والسمور والأرنب والخنزير، وما لا يحصى
عدده ولا يحصل مدده من أنواع ما في البر والبحر وما في البحر من السلاحف
والسرطانات والسقنقور والسورماهي والصير والمارماهي والجري والزاسور وكلب
الماء والجرجور.

وقد تعرضنا من ذلك لما لا سبيل إلى إحصائه ولا حيلة لنا في [٦٥] عدّه
واستيفائه.

ومتى تظن أو ظننت أن عليلاً مات أو يموت بمدينة السلام بفقدان دواء
معروف، أو بحسرة غذاء لطيف وكثيف، فقد ظننت محالاً وأدركت في خللك
باطلاً.

وكذلك أيضاً لا يستطيع أحد أن يقول إن عليلاً أو صحيحاً تاق إلى الأرطاب
في الثاني من الكوانين أو إلى الكمأة في الأول من التشارين، وإلى الخلال في
أيلول، وإلى البسر في القر والطلع في الحر، وإلى الترجس في حزيران والقشاء
والخيار في آذار، فتعذر وجود ذلك عليه.

أو عساك ظننت أن وجود هذا هو شيء للخاص دون العام والغني دون الفقير والكبير دون الصغير، وإن بلداً لا يمتنع فيه وجود غذاء في كل زمان وكل دواء في كل أمان، مجتمّع لك الأنواع مع تفرق الزمان، حتى يناسب بين المتضادات في أزمانها. ويؤلف بين المتنافيات في أمانها لبلد عزيز الشأن عند الله، عظيم النصيب من لطف الله.

زعم لنا جامع بن وهب وهو أحد وجوه المجهزين من الصيادلة أن قدر ما كان فقد بمدينة السلام من أنواع الصيدلة مما كان يأتي من نواحي البحر خاصة عند خراب البصرة وانقطاع سبلها ألف نوع وأربعمائة نوع وثلاثة وسبعين نوعاً معدودة محصلة مبيّنة مفصلة. قال: فقلنا ذلك مع أنواع العطر؟ فقال نعم مع بعض العطر.

فلما رأى تعجبنا من ذلك واستفظاعنا له التفت إلينا فقال: من يذكر منكم أنه ابتاع آساً رطباً في مدة حياته؟ فقلنا جميعاً بلسان واحد: ما نذكر ذلك. فقال: فاعلموا أنه يباع في دار البطيخ في كل يوم من أيام الشتاء والصيف من الآس الرطب بخمسة وعشرين ألف درهم. يكون قدر ذلك في الشهر الواحد ورقاً سبعمائة ألف وخمسين ألف درهم. وفي العام الواحد تسعة آلاف ألف. فإذا كانت هذه الآية في الآس بها وحده، فما ظنك بغيره من سائر الأجناس؟

ثم [٦٥ ب] رجع بنا النظر بعد ذكر الدواء والغذاء إلى شبيه بما كنا فيه من ذكر الجداء وقلنا: إنا إذا كنا قد فرضنا لكل مائدة جدياً، فوصلنا من عدد الجداء إلى ما ذكرنا وهو ستمائة ألف ألف جدي في يوم واحد. فلنفرض الآن استظهاراً لكل ذي مائدة جدياً وأربع دجاجات وأربعة فراخ، فيكون عدد الدجاج والفراخ المستعملة في اليوم الواحد من أيام الأعياد العظام أربعة آلاف ألف وثمانمائة فرخ ودجاجة. يكون ثمن كل دجاجة استظهاراً درهماً واحداً وثمن الفرخين درهماً واحداً. فيكون ثمن الجميع من الدجاج والفراخ في اليوم الواحد أيضاً، ثلاثمائة ألف ألف وستمائة ألف درهم.

وقد وجدني على كل حال حليف الاستظهار فيما ادعيت ومسامحاً لك في

اعتبار ما نحوت. فظن ان شئت مكذباً للعيان وطاعناً على فصول البرهان. إن الأمر الذي ذكرناه، وقمنا بحقه وفصلناه. هو بخلاف ما أصلناه. فاعقد الآن من جمل ذلك على أنصافها وأثلاثها وأرباعها وأسداسها. أفحسبت أنك اعتقدت من ستين ألف حمام على عشرة ألف حمام ليعقد من ستمائة ألف جدي على مائة ألف جدي. ومن كذا على كذا ان الباقي بعد ذلك لا تراه عجباً عجيباً وشأناً غريباً. فكيف والأمر في الأصول كما نقول بكل برهان وبكل دليل.

وسنذهب في نوع آخر من الكلام، فإنك والحق لتشهدان. وإنك لترى في ظاهر العيان، وعلى حكم الأيام والزمان. إن وكيلاً من وكلاء الوظائف لو اعترض جميع ما في باب الطاق وسوق باب الكرخ وسائر الأسواق في غذائه من الغدوات معترضاً بعشرين ألف درهم لا يتباع جميع ما فيها، لما ترك بها مذبوحاً برياً ولا حيواناً بحرياً، كما لا يدع فيها تفاحاً ولا ربحاناً ولا أترجاً ولا رماناً. وإذا شئت مع ذلك من القول أن تعلم الحق عليك وتتناول الصدق إليك فالطف الاشراف [٦٦ أ] على المطايخ للملك الأعظم وعلى ما استودعت من ذلك مجالسه ومواضع موافقه، فإنك تعانيتها مشحونة بما لا تصل إلى معاينة مثله إلا في الأسواق، ولا كصغير ما هنالك بباب الكرخ والطاق. فإن أنت أمددت الحق حقاً وأضفت إلى الصدق صدقاً وجمعت بين ما تراه في مساكن الملك الأعظم ببغداد وبين ما في منازل البطانة وسائر الأهل والولد والحشم وولاية العهد الوزراء وكبار الأمراء وسائر الوجوه والرؤساء وكبار التجار والأغنياء دون المقتصدين والفقراء، وصلت من معاينة ما ترى ان مادبة (٩) إنما هي من باب الكرخ والطاق وسائر الشوارع والأسواق في اليوم الواحد ما لا سبيل إلى معاينة مثله في باب الطاق ولا في شارع وزقاق. وأرى أن الظلم جميعاً مجموع في ذلك، يدفعك من ذلك ما لا يندفع وفي منعك منه ما لا تمتنع.

وسأريك بعين عقلك مثلاً عجيباً. أنت تعبد الله بتكذيبه لولا امتحانه وأسرع مما هو أعجب مما تعجبت منه وستدين الله بالجحود به لولا برهانه وبيانه. فلما متى دعوناك إلى الإقرار بجملته تتباعد عن الإدراك والعقول وتنسب في الظاهر إلى

التمويه والأباطيل فيما استبشعته ثم استيقنته ، هو الحكم فيما استبعدته .

والدليل على ذلك ، إذا وجدت بيوت الشطرنج أربعة وستين بيتاً ثم جعلت في أول بيت منها حبة من الحنطة وفي الثاني حبتين وأضعفت ذلك على نظام التضاعيف حتى تأتني على آخرها بيتاً ، كنت مستدركاً ظناً وترجيحاً وحذراً وتوهماً في ظاهر الحس وباطن النفس أن المجتمع لك من تضاعيف الحبة الواحدة من الحنطة في أبيات الشطرنج [لا] يكون إلا قفيزاً أو بعض القفيز الواحد . فإن ظننت الآن أن المجتمع لك من عدد الحب في ظاهر الحس ظناً وترجيحاً هو قفيز أو عشرة أقفزة فأظننه أكثر . وإن ظننته كراً أو كزين أو عشرة أكرار أو عشرين [٦٦ ب] كراً فأظننه أكثر . وإن ظننته مائة كراً أو خمسمائة كر فأظننه أكثر . وإن ظننته ألف كراً فهو أكثر . وإن توهمته عشرة ألف كراً فهو أكثر . وإن قلت إنه مائة ألف ومائتي ألف كر ، فهو أكثر . وإن قلت إنه مائتا ألف ألف كراً كان أكثر . وإن قلت إنه ثلاثمائة ألف ألف كر كان أكثر وأكثر حتى تصل من أعداد الحنطة إلى عدد هو في ظاهر الحكم أن صاحب هذا العلم لو عدم البرهان عليه لاستحق من كثير من الناس الرجم . أفليس إذا دللنا على صحة ذلك وفصلناه وأشرنا إلى استدراك حقيقته وحصلناه ، كان الحكم فيما دعونا إلى تصديقه وأشرنا إلى تحقيقه في أمر بغداد ، فاستصعب عليك عياره بأكثر مما ذكرنا كان حقاً ؟

والدليل على ذلك أن حبة من حنطة إذا جعلت في بيت من بيوت الشطرنج ثم أضعفت ذلك إلى آخرها بيتاً . ان المجتمع من ذلك الحب الحنطة شيء يفي بقوت ستين ألف ألف إنسان لخمسين ألف سنة ، إذا كان المبتاع منه في كل يوم دائماً بخمسمائة ألف دينار بأعدل الأسعار وأقربها من الرخص . وهو حساب الكر بثلاثين ديناراً . ويكون تقدير ما يقرن في كل يوم من الحنطة من جملة ما يجتمع من الحب فوجدنا مبلغه ثمانين ألف ألف ألف ألف ألف ألف وأربعمائة وست وأربعين ألف ألف ألف ألف ألف ألف وأربعين ألف ألف ألف ألف ألف ألف وثلاثاً وسبعين ألف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف وتسع ألف ألف وخمسمائة وواحدة وخمسين ألفاً وستمائة وخمسة عشرة حبة .

والدليل على بيان ذلك أن السنة ثلاثمائة وستون يوماً. فإذا ضربناها في خمسين ألف سنة، كان مبلغها ثمانية عشر ألف ألف يوم وهو مبلغ أيام خمسين ألف سنة. ثم أردنا أن نضرب عدد هذه الأيام التي هي ثمانية عشر ألف ألف يوم في الخمسمائة دينار التي ذكرنا البيع بها في كل يوم. فبسطنا غزبها^(١) ليكون أظهر عند السامعين. فضربناها في خمسة أصلاً، فكان مبلغه تسعين^(٢) ألف ألف. ثم ضربنا ذلك في مائة. فكان مبلغه تسعة ألف ألف ألف. ثم ضربنا ذلك في ألف فكان مبلغه تسعة ألف ألف ألف ألف. فهو مبلغ ما ذكرنا من جملة ثمن ما اجتمع لنا من تضاعيف حبات الحنطة بالسعر المفروض وهو ثلاثمائة ألف ألف ألف كراً، غير ما استبطنا من الزيادة وهو سبعة ألف ألف ألف كراً وما زاد.

فإن الذي بلغك الإقرار بأن الحبة الواحدة من الحنطة تبلغ بتضاعيفها في اعداد بيوت الشطرنج حتى يكون مبلغها ثلاثمائة ألف ألف ألف كراً وسبعة ألف ألف ألف وما زاد، وإنها قوت لستين ألف ألف إنسان خمسين ألف سنة بعد الإنكار هو الذي يبلغك الإقرار بغرائب بغداد وبدائع مدينة السلام. وإنما تجشمتنا ذكر ذلك لتعلموا أن كثيراً من الأمور تستبعد في الظنون وتستنكر في الأوهام والعقول لولا الاعتداد بأصولها والاتكال على تفصيلها.

وقال أبو بكر بن عياش وذكر بغداد: هي اليوم مصر العرب.

وكان بعضهم يقول: بغداد دار دنيا وآخره.

وتقدير الجوالي ببغداد مائة ألف وثلاثون ألف. وتقدير الادخار. [٦٨ أ] ودور الضرب في كل سنة من الورق ألف ألف وخمسمائة ألف درهم.

قال: ومن عجائب بغداد الدارش واللكا^(٣). فالدارش يتخذ من جانب

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: تسعون.

(٣) في لسان العرب (الدارش: جلد أسود) وفي مادة (لكك) (اللكاء: الجلود المصبوغة باللُّك، وهو صيغ أحمر. قال الراعي النميري يصف رَقَمَ هودج الأعراب:

بأحمر من لُكِّ العراقِ وأصفر)

واللكا من جانب. فمتى عدل بأحدهما عن جانبه الذي يعمل فيه، لم يكن فيه شيء. وقد امتحن هذا غير مرة فما استوى إلا في الموضع الذي رسم فيه. وإن في هذا لعبرة وأعجوبة. فتبارك الله رب العالمين.

ما ذكر في ذم بغداد وكراهة نزولها^(١)

وقد كره قوم من العلماء السكنى ببغداد والمقام بها وعابوها وذكروا أنها دار فتنة لكثرة ما فيها من الفساد ومن أنواع الفجور وشرب الخمر والزنى وكثرة الربى.

وروى أبو عثمان النهدي قال: كنت مع جرير بن عبد الله على قنطرة قطربل فقال: ما يدعى هذا النهر؟ قلت: دجلة. قال: هذا؟ قلت: دجيل. قال: فهذا؟ قلت: الصراة. قال فهذا النخل؟ قلت: قطربل. فركب فرسه ثم أسرع حتى خرج عن القنطرة ثم قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: تبنى مدينة بين دجلة والدجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض. ينزلها الجبار، يخسف بها، فهي أسرع ذهاباً في الأرض من التوت الجديد في الأرض الرخوة.

وقال أبو العالية: يكون خليفة يملك عشرين سنة إلا شهراً ثم لا تسلم عن هلكه العرب. تبنى مدينة بين قرية الخر ودجلة ولها أربعة أبواب مشيدة، وشرقي وغربي وعراقي وشامي. يظهر فيها الفسق يخسف بها. ولبنى حام عليكم نزوة ويحاربونكم حرب الاستئصال. ولبنى قنطورا نزوة مثل ذلك. ثم لا تسأل عن هلكه العرب.

وكان بشر بن الحارث يقول: ما ابتليت بغداد إلا على البلاء. مرة حرق. ومرة غرق. ومرة فتن.

(١) عقد الخطيب البغدادي في تاريخه (١: ٢٧ - ٢٣) فصلاً بعنوان: (ذكر أحاديث رويت في الثلب لبغداد والظعن على أهلها وبيان فسادها...) ومنها ما هو موجود لدى ابن الفقيه.

وقال الهذيل بن بلال عن عطاء. قال خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٦٨ ب] متوجهاً إلى الشام فنزل بقرية يقال لها قطربل ذات نخل وبساتين، فسأل رجلاً من أهلها، فقال: ما اسم هذه القرية؟ قال: قطربل. فقال علي عليه السلام لأصحابه: ارحلوا. وسار عنها فرعاً حتى نزل السيلحين وقال لأصحابه: ضعوا أسلحتكم وأمتعنكم فقد نجوتم من البلاد إن شاء الله. ثم أنشأ يحدثنا عنها فقال: يا لها قرية ما يجمع الله فيها وعلى ما يقتربون. ثم حانت منه نظرة إلى قرية فيها تلّ عظيم فقال: والذي نفسي في يده لتكون تحت هذا التلّ وقعة صلحية يتحدث عنها كل ناج من القتل. آية ذلك إذا شققت فيها الأنهار وبنيت القصور وسندت الدور وكثر الفجور، ولم يتناه أهلها عن منكر. فهناك تحل بهم البلية لما ارتكبوا من الخطية.

وقال أبو صالح الباهلي: قال لي شيخ من أهل الكتاب في أيام مروان بن محمد: هذا أوان ذهب ملك بني أمية. قلت: وما آية ذلك؟ قال: تظهر رايات السود من خراسان فتطوي ملك بني أمية طياً. فلم نلبث إلا قليلاً حتى ظهر أبو مسلم وكان من أمر واحده الدولة ما كان، ثم لقيت ذلك الرجل في وسط أيام أبي مسلم. فقلت: قد صح ما قلت، فأين تكون دار المملكة؟ قال: أرض يقال لها بغداد. تجسّر بها الجسور ويكثر أهلها وتجتمع إليها الأموال.

وخطب أمير المؤمنين رضي الله عنه بالكوفة فقال في خطبة: يا أهل الكوفة! أنتم اليوم بخير. فكيف بكم إذا حشرتم ذات نخل وكرم يجتمع إليها كل برّ وفاجر يقال [لها] بغداد، باغية طاغية. يلي بناءها رجل من ولد بني العباس رخص الشعر يقال له عبد الله تكون خلافته زماناً^(١). ثم ذكر فيها شيئاً، قال: ويخرج رجل لو شئت لأنبأتكم باسمه واسم أبيه. فإذا خرج ذلك الرجل فقل لبني العباس فليحققوا بوادي القرى كما كانوا قديماً.

وقال إسماعيل بن إبراهيم عن إبراهيم بن بشير قال: انصرفنا بعض الصوائف

(١) في الأصل: يقال له عبد الله يكون خلافته رخص الشعر زماناً.

نريد البصرة. فلما صرنا [٦٩ أ] إلى موضع بغداد، - وليس هناك إلا نخل وقرى ودير في موضع العتيقة، وآخر يقابله من موضع الدعالجة والباقي صحراء - وهناك راهب في صومعة. فدنوت منه وحادثته ساعة ثم قلت له: يا راهب! ما أرى لك هاهنا زرعاً ولا ضرعاً. فضحك ثم قال: أخبرني أبي عن جدي - وكان عالماً بالكتب القديمة - ان ملك بني أمية زائل عنهم برجل يخرج من خراسان مجهول النسب، معه خلق قد سودوا ثيابهم. فإذا أزالوا سلطان بني أمية دفعوا الملك إلى رجل من بني العباس فيملكه عدة سنين ثم يهلك، ويقوم آخر مكانه فيبني هاهنا مدينة لا يكون على الأرض مثلها في كثرة الأموال والناس والأسواق. فضحك تعجباً منه. فقال: لا تضحك، فإن عمرت رأيت. فما مث حتى رأيت ما قاله لي.

وقال العتبي^(١): حدثني رجل من أهل البصرة قال: اجتثت في بعض شوارع بغداد يوماً في السحر وقد اشتكت أصوات المؤذنين فأعجبني ذلك وحمدت الله عليه. فإذا هاتف بهتف بي ويقول: ما الذي يعجبك من مدينة فجر الليلة فيها سبعون ألفاً، واقتض من ذلك عشرة آلاف فرج حرام.

وقال إبراهيم بن عينة: كنت مع قيس بن الربيع ببغداد، فلما انتهينا إلى باب البصرة وجزنا القنطرة قال: هذا المكان الذي يخسف به وهو ناحية دور الصحابة وما والى ذلك.

وكان الفضيل بن عياض إذا ذكرت عنده بغداد، قال: أما أسواقها فكافرة وأما أسواقها فلاعنة.

وقال بشر بن الحارث: جاء أبو جعفر إلى هذه البلدة فخطر عليها. وجاء بآبائنا فأسكنهم فيها. وكانوا لا يعلمون. ثم نشأ الأبناء فسألوا وفتشوا ودققوا النظر ثم أقاموا فيها مثلهم كمثل الذين قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة. وإن أراد ربك أن

(١) أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو... توفي عام ٢٢٨ هـ (انظر ترجمته في فهرست ابن النديم ١٣٥).

يغرقهم فما يضيع. أما سمعت بقوله: فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين.

وقال بشر [٦٩ ب]: والله للخروج منها على جهد أحب إلي من المقام فيها على حسن حال.

وقال الفضيل بن عياض: لا تكونن ببغداد مؤذناً.

وقال بشر: ودعت عيسى بن يونس فقال لي: يا بشر! إلى أين تنتقل، إلى تلك القرية السوء؟

وقال بعضهم المتعبد ببغداد كالمتعبد في الحشر.

وأقام ابن المبارك ببغداد أياماً يسيرة، فكان يتصدق كل يوم بدينار.

وكتب بعضهم إلى العتابي يستوطنه ببغداد فكتب إليه: أما بعد، فإنك في بلاد وجدهم بالدنيا وجد من لا يرجو معاداً. قد نصبت لهم الجبابة علم التكاثر فحلبهم الفتن واحكام معان^(١) القرآن فارتب تلك النحلة بالهجران والبس منها جنة الحذر. فإن في جوارهم مشبه لئار الحوص وغبض الشهوات. معايتهم ذم القناعة. بصغير النعم قد أم عنهم الأمل، مكر الله وهل يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون؟

وقال أبو صالح شعيب بن حرب: قلت لسفيان الثوري: لي والدة ببغداد آتتها؟ قال: لا. قلت: فإن آتيتها فحضرت الصلاة أصلي فيها؟ قال: لا، إلا الجمعة ولا يطاع فيها فإنها دار فتنة.

وقال رجل لسفيان: لي قرابة ببغداد ولا بأس به. قال: يقول لرجل يسكن بغداد لا بأس به.

قال أبو الأحوص: سألت سفيان عن الجلب إلى بغداد. فقال: اجلب إليها كل شيء ما خلا الكراع والسلاح.

(١) كذا في الأصل.

وقال بعضهم: إني لأمشي في بغداد، فكأنما أمشي في النار.

وكان ابن إدريس يقول: أخرج عليّ من ذكر حديثي ببغداد.

وقال ابن الربيع: قلت لإبراهيم بن صالح أيام صحبة ابن حنبل: ادعُ الله له.
قال: لا أفعل. قلت: لِمَ؟ قال: هو يسكن بغداد.

وجاء الوليد البغدادي القاص إلى الفضيل بن عياض ووضع يده في يده
وأقبل يسأله والفضل قد أعجب به إلى أن قال له: أين المسكن؟ قال: بغداد.
فانتزع يده من يده ثم قال: يجيء أحدكم يسأل عن ()^(١) [٧٠ أ] كأنه من عمال
الله أو من الدعاة إليه. فإذا قيل له أين المسكن قال: في عُش^(٢) الظلمة.

قال: وكان بعض الصالحين، إذا ذكرت عنده بغداد تمثل:

قُلْ لِمَنْ أَظْهَرَ التَّصَوُّفَ فِي الثَّلَاسِ وَأَمْسَى يُعَدُّ فِي الرُّهَادِ
إِلْزَمِ الثُّغَرَ وَالتَّوَاضُعَ فِيهِ لَيْسَ بِغَدَادٍ مَنْزِلَ الْعُبَادِ
إِنَّ بِغَدَادَ لِلْمَلُوكِ مَحِلًّا وَمُنَاسَخَ لِلْقَارِيَةِ الصِّيَادِ
وسأل المعتصم أبا العينة عن بغداد وكان سيء الرأي فيها فقال: هي يا أمير
المؤمنين كما قال عمارة بن عقيل:

مَا أَنْتِ يَا بَغْدَادُ إِلَّا سَلْحٌ إِذَا اعْتَرَاكِ مَطَسٌ أَوْ نَفْحٌ
وإنْ جَفَفَتْ فَتَرَابٌ بَرْحٌ

[وكما قال آخر]:

هَلْ اللَّهُ مِنْ بَغْدَادَ يَا صَاحِ مُخْرِجِي فَاصْبَحْ لَا تَبْدُو لِعَيْنِي قَصُورُهَا
وَمِيدَانُهَا الْمُذْزِي عَلَيْنَا تَرَابُهُ إِذَا شَحَجَتْ أَبْغَالُهُ وَحَمِيرُهَا
فهي أم الوحول، ومطرح البقول. عذرتها في طرقها، وقذرها في وسطها

(١) كلمة مطموسة.

(٢) في الأصل: في عشر.

يموت أهلها في الصيف حرقاً، وفي الشتاء غرقاً. ألميت فيها مطروح لا يجد من يحمله، والمسكين بها ما يصيب أحداً يصدق عليه. والغريب فيها مسلور والغرب بها أهل^(١) شيوخها^(٢) يتصافعون وشبابها يتأهدون. وصيانتها يؤجرون. ونساؤها يزنون ويساحقون. البغاء منهم غير منكراً، والقرون من رجالهم لا تُستر. وهم مع هذا يتأمنون أمير المؤمنين. وقد قال فيهم الشاعر:

أذمُّ بغدادَ والمقامَ بها من بعد خيرة وتجريب
ما عند أملاكها لمخبط خيرٌ ولا فرجة لمكروب
يحتاجُ باغي النوالِ عندهم إلى ثلاثٍ من بعدِ تشريب
كنوزُ قارونَ أن تكونَ له وعمرُ نوحٍ وصبرُ أيوب
[٧٠ ب]

قومٌ مواعيدُهم مزخرفةٌ بزخرفِ القولِ والأكاذيبِ
خلَّوا سبيلَ العلَى لغيرهم ونافسوا في الفسوقِ والخبوبِ
وقال آخر:

أقمْتُ ببغدادَ مُذْ أشهرٍ وكنْتُ ببغدادَ ذا غيرةٍ
فما إنْ قطعْتُ بها شعرةً وما إنْ فنْتُ بها بعرةً (٢)
وما إنْ ترفقَ لي حاجةً كأنِّي وطيتُ على نثرةٍ
وعاندني الخيرُ مُذْ جنتُها معاندةَ الضرة للضرة
وإنِّي بها عاشقٌ درهماً ومن لي يا صاح بالزهرة
فعجبي بسيري إلى بلدتي كعجبِ الطفيلي بالسفرة
ولو كنتُ ممن يجيدُ الغناء لأحرزتُ مُذْ جنتُها بدرةً (٢)

(١) الجملة غامضة.

(٢) في الأصل: شيوخنا.

فإن رذني اللّهُ من صيفها سليماً إلى ()^(١) البصرة
وعدتُ إليها فعرسي طلاق ثلاثاً وجاريتي حُرّة (٢)

وقال آخر:

لقد طال في بغدادَ ليلي ومَن يَبْتَ ببغدادَ يصبحَ ليلُهُ غيرَ راقِدِ
بلادُ إذا ولّى النهارُ تَفاوَرَتْ براغيثُها من بينِ مثنى وواحدِ
ديازجةُ شهبُ البطونِ كأنّها بغالُ بريدِ أرسلتْ في مَداوِدِ

وقال آخر:

زعم الناس أن ليلك يا بغداد ليل يطيب فيه النسيم
ولعمري ما ذاك إلا لما خالفهم بالنهار منه السموم
وقليل الرخاء ينبع الشدة عند العباد أمر عظيم

وقال آخر:

تَرَحَّلْ فما بغدادُ دارُ إقامةٍ ولا عند من يُرجى ببغدادَ طائلُ
محلُّ أناسٍ سَمْتُهُم في أديمهم وكُلُّهم من حليّةِ المجدِ عاطلُ

وقال بعض الصالحين: ما أحب أن أسكن أحد المصريين على أن أتصدق كل
يوم على مائتي مسكين. فقبل له أي مصريين هما؟ قال: مصر وبغداد.

وقال يعقوب بن إسحاق^(٢): سمعت أبي يقول: سمعت يزيد بن هارون^(٣) -
وسأله رجل أيام الفتنة، فقال: إن أبوي يكرهان أن أخرج عن بغداد. فقال يزيد:
إن أحب أبواك أن يقيما بأرض الشرك أتقيم معهما؟ قال: ثم رأيت [٧١ أ] بعد هذا
القول مقيماً ببغداد.

(١) كلمة مطبوسة.

(٢) هو ابن السكيت المقتول عام ٢٤٤ هـ.

(٣) يزيد بن هارون ابن خالد الواسطي المتوفى عام ٢٠٦ هـ انظر ترجمته في العبر ١: ٢٧٥.

وقال ابن الكلبي: سُميت البردان التي فوق بغداد بأربعة فراسخ برداناً لأن ملوك الفرس كانوا إذا أتوا بالسبي فنقوا شيئاً منه قالوا: برده. أي ذهبوا به إلى القرية البردان فسميت بذلك. قال: وكانت بردان الكوفة لوبرة بن رومانس أخي النعمان بن المنذر لأمه فمات ودفن فيها. ولذلك قال مكحول بن حارية يرثيه:

فما الدنيا بياقيةٍ لحَيٍّ وما حيٌّ على الدنيا بياقٍ
لقد تَرَكَوا على البردانِ قبراً وهمَّوا للتفرِّقِ بانطلاقٍ

قال: وأنشدني الهيثم بن عيسى الكاتب لبعضهم:

كَفَى حَزْناً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنِّي ببغدادٍ قد أعيتُ عليَّ مذهبِي
أصاحبٌ من لا أستلذُّ صحابَه وألفٌ قوماً لستُ فيهمُ براغبٍ
ولم أثو في بغدادَ حباً لأهلِها ولا أن فيها مُستفاداً لطالبٍ
سأرحلُ عنها قالياً لسراتِها وأنزَلُهم تركَ الملوكِ المُجانبِ
فإنَّ الجائِئني النَّائباتُ إليهم فأبْرُ حمارٍ في حِرٍّ أمَّ النوائِبِ

وقال آخر:

إرْكَبْ ببغدادَ وَجَوِّلْ بِهَا واقصِّدْ لمن شئتَ من الناسِ
تجدُهُ مَنْ كان إذا جئتَه مستتراً عنكَ بإفلاسِ
يُدي لك الفقرَ ويطوي الغنى منك ويدنيكَ من الياسِ
يخضعُ في المنطقِ من بُخلِه وقلْبُه كالحجرِ القاسي

وأنشد لمطيع بن إياس:

حَبَّذا عيشُنَا الَّذِي زالَ عنا حينَ نلنا المُنَى ولا حَبَّذا ذا
أينَ هذا من ذاكَ سَقياً لها ولَسْنَا نقولُ سقياً لهذا
زادَ هذا الزمانُ شراً وعِراً عندنَا إذ أَحَلَّنَا ببغدادِ
بلدٌ تمطرُ الترابَ على النسا س كما تمطرُ السماءُ الرذاذاً

فإذا ما أعاد ربي بلاداً من عذابٍ كبعض ما قد أعاداً
خربت عاجلاً كما خرب الله بأعمال أهلها كلواذئ
وقال محبوب بن أبي العشنط النهشلي :

لروضة من رياضي أو طرقي من القرنة جرد غير محروث
يفوح منه إذا مَجَّ الندى أَرَجَّ يَشْفِي الصداغ ويشفى كل ممغوث
أَمَلَا وأحلى لعيني إن مررت به من كرخ بغداد ذي الرمان والتوت
الليل نصفان : نصف للهموم فما أفضي الرقاد. ونصف للبراغيث
أبيت حين تساميني أوائلها أنزو وأخلط تسبيحاً بتغويث
سود مداليج في الظلماء مؤذية وليس ملتئم منها بمشبوث

وقال بعض الكلابيين - وكان ببغداد فأذته البراغيث - :

أصبحتُ سالمٌ البراغيت بعد ما مضت ليلاً مني وقل رقودها
فيا ليت شعري هل ازورن بلدة قليل بها أوباشها وعبيدُها
وهل اسمعن الدهر أصوات ضمير تطالع بالركبان ضعراً خدودها
تراطن حولي كلما ذرئ شارق ببغداد أنباط القرى وعبيدُها
وهل أرين الدهر ناراً بأرضها بنفسي وأهلي أرضها ووقودها

قال عياش بن باغان الرقي : مبتدأ دجلة من تحت حصن في جبل بآمد
وعرضها عند منبعها أقل من عشرة أذرع، ثم تمر بجبال السلسلة. وفي جبال
السلسلة عيون كثيرة يصب في دجلة ثم تخالطها أنهار عظيمة منها الخابور والزرم
وغيرهما من الأنهار. ثم تصب إلى جزيرة ابن عمر التغلبي. وتخالطها أيضاً أنهار
كبار من نواحي [٧٢ أ] أرمينية ثم تصير إلى بلد ثم إلى الموصل. فإذا أجازت
الموصل بسبعة فراسخ، صب إليها الزاب الكبير. ومن تل فافان تحمل فيها السفن

والأطواف. فإذا بلغت السن، صب إليها الزاب الصغير. ثم تخالطها ببغداد أنهار من الفرات منها الصراة ونهر عيسى وغيرهما حتى تصير إلى البطائح.

وروي عن كعب أنه قال: النيل نهر العسل في الجنة، ودجلة نهر اللبن والفرات نهر الخمر، وسيحان نهر الماء وهي التي ذكرها الله في القرآن.

وقال أحمد بن محمد الحاسب^(١): أمر المتوكل بتسهيل أبواب دجلة من الموصل إلى بغداد وقلع الحجارة التي في الطريق لها الأبواب. ف قيل له: يا أمير المؤمنين! إن عمك المأمون قد كان أمر بمثل ما أمرت ف قيل له إن الله جل وعز إنما جعل هذه الصخور وفي هذه المواضع. وإن كان فيها بعض الضرر على المجتازين لما في ذلك من الصلاح لعباده وعمارة بلاده من جهة معاشهم. وذلك أنها ترد حمية الماء عن حافتي دجلة. ومقامها مقام الشكور. ويحتاج إليها أيضاً لينضم الماء ولا يتفرق فيحمل على الأنهار. ولولا هذه الحجارة لفقر الماء دجلة حتى تخط وأضر ذلك بالناس وبطلت العمارة. فأمسك عما كان هم به.

قال: وبأسفل واسط تسكن جربة دجلة وتخف. وهناك تأخذ منها أنهار كسكر ونواحيها. فأما ما يأخذ منها ويسقي الجانب الشرقي، فالقناتان الشتوية والصيفية وهما اللتان عملهما المتوكل لسمرى كانتا تدخلان المسجد الجامع وتتخللان شوارع سامرا. ثم النهر الذي قذره أيضاً وعمل على أن يدخل الخير فلم يتم. وقد كان أنفق عليه سبعمائة ألف دينار. وكان السبب في أنه لم يتم، أن المتوكل قُتل قبل الفراغ منه. وقد حاول المنتصر أن يتمه، فلقصر أيامه لم يستو ذلك.

ثم القاطول الكسروي يسقي [٧٢ ب] النهروان وعليه شاذروان فوقه يسقي رستاق بين النهرين من طسوج بزرجسابور. ثم القاطول المعروف بأبي الجند، يأخذ من دجلة ويصب أسفل الشاذروان الذي أحدثه الرشيد عند عمله ذلك

(١) أحمد بن محمد الحاسب القرصاني (انظر عنه ابن خلكان ٣: ١١٢، ١١٤) حيث ذكر أن عمله هذا قد تم عام ٢٤٧ هـ.

الشاذروان عوضاً لأهل النهروان بسبب ما سَدَّ عنهم الشاذروان.

ثم نهر السلام يأخذ من دجلة ويسقي كلواذئ ونهر بين بزرج سابور ونهر بوق.

وفي الجانب الغربي، النهر المعروف بالإسحافي في مبتدأه من تكريت وهو يسقي العمارات. والقناة القديمة يسقي أيضاً العمارات. ودجيل يسقي قطربل ومسكن.

[بنى الأكاسرة بين المدائن التي على عقبة همذان وقصر شيرين مقبرة آل ساسان. وعقر قوف كانت مقبرة الكيانيين وهم أمة من النبط كانوا ملوكاً بالعراق قبل الفرس]^(١).



مركز تخطيط كنجور عمارات سدي

(١) معجم البلدان ١ : ٨٦٨ (تل عقر قوف).

القول في سر مري

قال الشعبي: كان سام بن نوح له جمال ورواء وعقل ومنظر، وكان يصيف بالقرية التي ابتناها نوح عند خروجه من السفينة ببازيدى وسماها ثمانين، ويشتو بأرض جوخا. وكان ممره من أرض جوخا إلى بازيدى على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي. فيسمى ذلك المكان إلى الآن سام [راه، يعني طريق سام].

وقال إبراهيم بن الجنيد^(١): سمعتهم يفكرون أن سامرا بناها سام بن نوح ودعا أن لا يصيب أهلها سوء. فأراد السفاح أن يبنها فبنى مدينته بالأنبار بحذائها. وأراد المنصور بعدما أسس بغداد وسمع في الرواية ببركة هذه المدينة أن يبنها. فابتدأ بالبناء في البردان ثم بدا له وبنى بغداد. وأراد الرشيد أيضاً بناءها، فبنى بحذائها قصرًا وسماه المبارك وهو بحذاء أثر بناء قديم كان للأكاسرة. ثم بناها المعتصم ونزلها سنة إحدى وعشرين ومائتين.

وروى ليث عن مجاهد قال: حيثما اجتمع المسلمون فهو مصر.

ولم يبن أحد من الخلفاء من الأبنية الجليلة ما بناه المتوكل. فمن ذلك القصر المعروف بالعروس. أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم. والمختار، خمسة ألف ألف درهم. والوحيد، ألفي ألف درهم. والمسننة [٧٣ أ] عشرين ألف ألف درهم. والبرج ثلاثين ألف ألف درهم. والجوسق الإبراهيمي، ألفي ألف درهم. والجعفري المحدث عشرة ألف ألف درهم. والغريب عشرة ألف ألف درهم. والشيدار عشرة ألف ألف درهم. والبرج عشرة ألف ألف درهم. والصبح خمسة

(١) من أفراد بلاط المتوكل. انظر تاريخ الطبري ٩: ١٦٢.

ألف ألف درهم. والملح خمسة ألف ألف. والقصر في بستان الإيتاخية عشرة ألف ألف. والتل علوه وسفله خمسة ألف ألف. والجوسق في ميدان الصخر خمسمائة ألف. والمسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف درهم. وبركوان للمعتر عشرين ألف ألف درهم. والقلائد خمسين ألف دينار، وجعل فيها أبنية بمائة ألف دينار. والفرد في دجلة ألف ألف درهم. والفصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة خمسين ألف ألف درهم. والبهو خمسة وعشرين ألف ألف. واللؤلؤ خمسة ألف ألف درهم. فذلك الجميع مائتا ألف ألف وأربعة وتسعون ألف ألف درهم.

وكان المعتصم والوائق والمتوكل إذا بنى أحدهم بناءً من قصر أو غيره، أمر الشعراء أن يعملوا فيه [شعراً] ^(١). فمن ذلك قول علي بن الجهم في الجعفري الذي بناه المتوكل

وما زلت أسمع أن الملوك تبني على قدر أقدارها
وأعلم أن عقول السرجبال يقضى عليها بأثارها
فلما رأينا الإمام رأينا الخلافة في دارها
بدائع لم ترها فارس وللاروم في طول أعمارها
وللمروم ما شيد الأولون وللفرس آثار أحرارها
وكننا نحس لها نخوة فطامننا نخوة جبارها
وأنشأت تحتج للمسلمين على ملحديها وكفارها
صحوون تسافر فيها العيون إذا ما تجلّت لأبصارها
وقبة ملك كأن النجوم تفضي إليها بأسرارها
تخر الوفود لها سجّداً سجدوا النصراني لكبارها
لها شرفات كأن الربيع كساهما الرياض بأنوارها

(١) تكملة من ياقوت.

نَظَّمْنَ النِّسَانِسَ نَظْمَ الحُلِيِّ أُمُّونُ النِّسَاءِ وَأَبْكَارُهَا
فَهَنَّ كَمَصْطَحِبَاتٍ بِرَزَنَ لِفَضَحِ النِّصَارِيِّ وَأَقْطَارُهَا
فَمَنْ بَيْنَ عَاقِصَةِ شَعْرُهَا وَمُرْسَلَةِ عِقْدِ زُنَّارِهَا
وَأَرْوَقَةَ شَطْرُهَا لِلرَّخَامِ وَلِلتَّبِيرِ أَكْرَمِ أَشْطَارِهَا
إِذَا رَمَقَتْ تَسْتَبِيرُ العِيُونُ مِنْهَا مَنَابِتَ أَشْفَارِهَا
[٧٣ ب]

وَسَطَحُ عَلَى شَاهِقٍ مُشْرِفٍ عَلَيْهِ النِّخِيلُ بِأَثْمَارِهَا
إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ لَهَا أَسْمَعْتُكَ عَزِيفَ الْقِيَانِ بِأَوْتَارِهَا
أَطَاعَتُكَ دَجَلَةٌ فَاسْتَجَدَتْ عَلَيْكَ بِأَغْزَرِ أَنْهَارِهَا
وَفَوَارَةُ نَارُهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَ تَقْصُرُ عَنْ نَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى الْمَزْنِ مَا أَنْزَلَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مَدَارِهَا
لَوْ أَنَّ سَلِيمَانَ أَذَتْ لِسَتَهُ شَيْطَانُهُ بَعْضَ أَخْبَارِهَا
لَا يَقْنُ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ يَقْدُمُهَا فَضْلُ أَخْطَارِهَا
فَلَا زَالَتِ الْأَرْضُ مَعْمُورَةً بِعَمْرِكَ تَأْخِيرُ أَعْمَارِهَا

قال: وحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي^(١)، قال: أنشدني حماد بن إسحاق الموصلي^(٢) لأبيه في الواثق ويصف سرمرى وصيده بها ويذكر النجف ويزعم أنه كتبها عنه كل ذي نعمة وأدب ببغداد، أولهم ابن أبي داود، وفيها عدة ألحان صاغها المغنون:

يَا رَاكِبَ الْعِيسِ لَا تَعْجَلْ بِنَا وَقِفْ نَحْيَ دَاراً لِسُعْدَى ثُمَّ نَنْصَرِفْ
وَابِكِ الْمَعَاهِدَ مِنْ سُعْدَى وَجَارَتِهَا فِي الْبُكَاءِ شِفَاءُ الْهَائِمِ الْكَلْفِ

(١) له ترجمة في تاريخ بيهق ١٥١ - ١٥٤.

(٢) ترجم له ابن النديم ١٥٩.

لا تمنع العين من دمع تجود به
 أشكوا إلى الله يا سعدى جوى كبد
 أهيم جداً بسعدى وهي نصرمني
 أما أنالك أن تنهاك تجربة
 دغ عنك سعدى فسعدى عنك نازحة
 ما أن أرى الناس في سهل ولا جبل
 كأن تربته مسك يفوح به
 حفت ببر وبحر من جوانبها
 وبين ذاك سائين يسبح بها
 وما يزال نسيم من أيامنه
 تلقاك منه قبيل الصبح رائحة
 لو حلّه مدنف يرجو الشفاء به
 [٧٤]

يؤتى الخليفة منه كلما طلعت
 الصيد منه قريب إن هممت به
 من كل أقرن مشوق قوائمه
 وطير ماء ودراج يساوره
 فياله منزلاً طابت مساكنه
 خليفة واثق بالله همته
 ساس البرية فانقادت لطاعته
 أقام فيهم قناة العدل فانتصبت

وقال الحسين بن الضحاك في سرمرى من شعر طويل:

رَحَلْنَا غَرَايِبَ زَيَافَةً
 سَوَانِعُ أَيقِنُ أَنْ لَا قَرَارَ
 فَلَمَّا دَفَعْنِ لِقَاطُولِهَا
 سَكَنَ إِلَى خَيْرِ مَسْكُونَةٍ
 مَبَارَكَةٌ شَادَ بَنِيَانُهَا
 كَأَنَّ بِهَا نَشَرَ كَافُورِهِ
 كَظْهَرِ الْأَدِيمِ إِذَا مَا السَّحَابُ
 مَبْرَأَةٌ مِنْ وَحُولِ الشَّتَاءِ
 فَمَا أَنْ يَزِلَّ بِهَا رَاجِلُ
 يَمْرُؤٌ عَلَى رِجْلَيْهِ أَمْنًا
 بِجَرَعَاءٍ لَا صَيْفُهَا سَاطِعُ
 تَخْرُقُ فِي بَرِّهَا بِحَرِّهَا
 فَلِلضَّبِّ وَالنَّوْنِ فِي بَطْنِهَا
 إِذَا مَا الرِّبِيعُ بِأَنْوَانِهِ
 وَعَمَّمْ أَعْلَامَهَا زَهْرُهُ
 غَدَوْتُ عَلَى الْوَحْشِ مَنْظُومَةٌ
 وَرَحْتُ عَلَيْهَا وَأَسْرَابُهَا
 كَأَنَّ شَوَادِنَ غَزَلَانِهَا
 فَلَا أَيْنَ عَنْ وَطَنِ خَصَّةُ
 وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا [٧٤ ب]:

بِدَجَلَةٍ فِي مَوْجِهَا الْمَلْتَظَمُ
 دُونَ مَبَارَكَةِ الْمُعْتَصَمِ
 وَذَهَبَ قَرَايِرُهَا تَصْطَلِمُ
 تَقَسُّمُهَا رَاغِبٌ مِنْ أُمِّ
 بِخَيْرِ الْمَوَاطِنِ خَيْرُ الْأُمِّ
 لِبَرْدِ ثَرَاهَا وَطِيبِ النَّسَمِ
 صَابَ مَتْنُهَا وَانْسَجَمَ
 إِذَا بِجُورِهِ وَانْتَظَمَ (؟)
 بَغِيثِ سَمَاءٍ وَلَا يَرْتَطِمُ
 نَقِي الشِّرَاكِ نَقِي الْقَدَمِ
 بِنَفْعٍ وَلَا أَخَذَ بِالْكَظَمِ
 فَأَجْدَفَ جَوَادِنُهَا بِالسَّلَمِ
 جَوَارُ وَمَرْتَبِعٌ لِلنَّعَمِ
 كَسَاهَا زَخَارِفُ مَمَّا نَجَمِ
 وَجَلَّلَ قِيَعَانُهَا وَالْأَكَمِ
 رَوَانِعُ فِي نُورِهَا الْمُنْتَظَمِ
 شَوَارِعُ فِي غُذْرِهَا تَزْدَحَمِ
 نَجُومٌ بِأَكْنَافِهَا تَبْتَسِمُ
 عَقِيدُ السَّمَاحِ وَأَسُّ الْكَرَمِ

أَنَّ الْمَصِيفَ بِهَا كَفَصْلِ سِوَاهَا
 وَغَدَوُهَا وَرَوَاحُهَا وَضَحَاهَا

كُلُّ الْبِلَادِ لُسْرَمَرِي شَاهِدُ
 فِيحَاءُ طَابَ مَقِيلُهَا وَمَبِيتُهَا

وإذا الرياح تنفست برباعها
فكأنما سبقت إليك بنفحة
وقال أيضاً:

على سُرمري والمصيف تحية
ألا هل لمشتاق ببغداد رجعة
محلان لقي الله خير عباده
وقولا لبغداد إذا ما تسمت
أفي بعض يوم شف عيني بالقدي
وقال أيضاً:

أخذ بما سمعته يا حادي
جارك يا بغداد من بلاد
فقه السب فبطن السواد
حبيب كل رائح وغاد
هل لي إلى ظلك من معاد
لقلب حران إليك صاد
بقفرة موحشة الأطواد
بعمدة الورد من الورد
وقال فيها أيضاً [٧٥]:

سُرمري أسر من بغداد
حبذا مسرح لها ليس يخلو
ورياض كأنما نشر الزهر عليها مُحجّر الأبراد
واذكر المشرف المظل من التل على الصادرين والوراد

وَإِذَا رَوَّحَ الرِّعَاءُ فَلَا تَنْ دَوَاعِي فَوَاقِدِ الْأَوْلَادِ^(١)
وَقَالَ فِيهَا أَيْضاً:

سَقَى اللَّهُ مَا وَالَى الْمَصِيفَ وَمَا انطوى	عَلَى سُرمَرَى مُسْتَهْلًا مَبَكراً
فَلَمْ أَرِ أَيْاماً تَسْرُ قَصَارُهَا	أَسْرَ مِنْ الْأَيَّامِ فِيهَا وَأَقْصَرَا
بِلَادُ خَلَّتْ مِنْ كُلِّ رَيْبٍ فَلَا تَرَى	بِلَاداً تَوَازِيهَا غِذَاءً وَمَنْظَرَا
أَصَبَ بِمَشْتَاهَا وَلَيْسَ مَصِيفُهَا	وَرَقَّةٌ فَصْلِيهَا إِذَا الْأَفْقُ أَسْفَرَا
كَأَنَّ حَصَاهَا بَثٌّ فِي عَرَصَاتِهَا	فَرَائِدُ مَرْجَانٍ وَدُرٌّ مُسَطَّرَا
تَرِيكَ إِذَا الْوَسْمِيُّ جَادَ مَتُونُهَا	وَعَادَ عَلَيْهِنَ الْوَلِيُّ فَاْمَطَّرَا
رِياضاً نَحَارُ الْعَيْنُ فِي جَنَابَاتِهَا	إِذَا صَفَّرَ الْأَرْضَ الرَّبِيعُ وَحَمَّرَا
كَأَنَّ بِهَا فِي كُلِّ فَجٍّ سَلَكَنُهَا	نَمَارِقُ زُرِّيَابٍ وَوَشْيٌ مَحْبَّرَا
تَرَاعَى بِهَا عُفْرُ الظَّبَاءِ سَوَاكِنَا	أَوَامِنٌ فِي أَكْنَافِهَا أَنْ تُنْقَرَا
سَكَنَ إِلَى جَارٍ حِمَاهُنَّ رَافَةُ	فَمَدَّ حَمِيٍّ مِنْ دُونِهِنَّ وَخَيَّرَا
كَفَاهُنَّ رَوْعَاتِ الطَّرَادِ ذِمَامُهُ	فَمَا تَعْرِفُ الطَّرَادَ إِلَّا تَذَكَّرَا
يَهَادِينَ بِالْحِيرِينَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ	خَدَائِقَ جَنَاتٍ وَمَاءً مُفَجَّرَا
كَأَنَّ مَرَايِجَ السَّجَالِ خِلَالُهَا	نَجُومٌ تَهَادَى مِنْجَدَاتٍ وَعُورَا
تَرَاهُنَّ مِنْ فَرْطِ الْمَرَاكِ شَوَامِخَا	مِنْ الْعَجَبِ مَا يَمْشِينَ إِلَّا تَبَخَّرَا
فَلَا بَرَحَتْ دَارُ الْإِمَامِ بِغِبْطَةٍ	وَلَا زَالَ شَانِيهَا بِأَصْلَدِ أَوْعَرَا
تَخَيَّرَهَا دُونَ الْبَقَاعِ مُوَفَّقُ	أَصَابَ طَرِيقَ الرُّشْدِ فِيمَا تَخَيَّرَا

[٧٥ ب] وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ قَدْ انْتَقَلَ مِنْ سُرْمَرَى إِلَى الْجَعْفَرِيِّ وَانْتَقَلَ مَعَهُ عَامَةً
أَهْلُ سُرْمَرَى حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَخْلُو. فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ:

إِنَّ الْحَقِيقَةَ غَيْرُ مَا تَكُونُهُمْ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ أَيَّ أَمْرٍ تَعَزُّمُ

(١) فِي يَاقُوتَ (رَوَاعِي فَرَاغِد) وَلَا مَعْنَى لَهَا.

أتكُونُ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ تَأْخِرُوا عَنْ حَفْظِهِمْ أَمْ فِي الَّذِينَ تَقْدُمُوا
 لَا تَقْعَدَنَّ تِلْكَ نَفْسُكَ حِينَ لَا يَجْدِي عَلَيْكَ تَأْسُفٌ وَتَنْدَمُ
 أَضْحَتْ قِفَاراً سُرْمَرِيَّ مَا بِهَا إِلَّا لَمَنْقَطُوعٌ بِهِ مَتْلُومُ
 تَبْكِي بِظَاهِرٍ وَحُشَّةٍ وَكَأَنَّهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ تَبْكِي بَعِيْنٍ تَسْجُمُ
 كَانَتْ تَظَلُّمُ كُلِّ أَرْضٍ مَرَّةً عَنْهَا، فَصَارَتْ بَعْدُ وَهِيَ تَظَلُّمُ
 رَحَلَ الْإِمَامُ فَأَصْبَحَتْ وَكَأَنَّهَا عَرَصَاتُ مَكَّةَ حِينَ يَمْضِي الْمَوْسَمُ
 وَكَأَنَّهَا تِلْكَ الشَّوَارِعُ بَعْضُ مَا أَخْلَتْ إِيَّادُ مِنَ الْبِلَادِ وَجَرَهُمُ
 كَانَتْ مُرَاداً لِلْعَيُونِ فَأَصْبَحَتْ عِظَّةً وَمَعْتَبِراً لِمَنْ يَسُوْشُمُ
 وَكَأَنَّ مَسْجِدَهَا الْمَشِيْدَ بِنَاقَةٍ رُبْعَ أَحَالٍ وَمَنْزِلَ مَسْوَقِهِمُ
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِسُوقِهَا لَمْ تَنْهَ عَنْ سَكَنِ الطَّرِيقِ وَلَمْ تَجْزُ مِنْ يَزْحَمُ
 وَتَرَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ كَأَنَّهُمْ خَلْفُ أَقَامٍ وَغَابَ عَنْهُ الْقَيْمُ
 فَارْحَلْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَحْتَلُّهَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِنْ ذَلِكَ أَحْزَمُ
 وَأَنْزِلْ مَجَاوِرَةً بِأَكْرَمِ مَنْزِلٍ وَتَيْمَمِ الْجِهَةَ الَّتِي يَتِيَمُ
 أَرْضٌ تَسَالَمَ صَيْفُهَا وَشَتَاؤُهَا فَالْجِسْمُ بَيْنَهُمَا يَصْحُ وَيَسْلَمُ
 وَصَفَتْ مَشَارِبُهَا وَرَقَّ أَوَارُهَا وَالتَّدْ بَرْدَ نَسِيْمِهَا الْمُتَنَسِّمُ
 سَهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ لَا تَجْنُوِي حَرّاً وَلَا قَرّاً وَلَا تَسْتُوْخِمُ

[١٧٦] ويقال إن المعتصم ملك ثمانين سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام.
 وكان ملكه في سنة ثمان عشرة ومائتين. وكان له من الفتوح ثمانية. وبنى ثمانية
 قصور. وولد له ثمانية ذكور وثمانين إناث وخلف في بيت المال ثمانمائة ألف دينار
 وثمانية ألف ألف درهم.

فمن القصور، الجوسق والقيد المللي وقصر الجص وقصر القصور وعمورية
 وقصر المطامير والقصر السمانى والقصر الخاقاني.

والفتوح: الزط والمحمرة وبابك وعمورية والمازيار وجعفر الكردي
والحسن بن خيلويه والحواف بمصر.

وكتب عبد الله بن المعتز إلى بعض إخوانه يذكر سرمرى بعد خرابها ويذم
بغداد وأهلها: كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها، وأقعد جدرانها.
فشاهد اليأس فيها ينطق، وحبل الرجاء فيها يقصر. فكان عمرانها بطوى، وكان
خرابها يُنشر. قد وكلت إلى الهجر نواحيها وحُث باقيها إلى فانيها. وتمزقت بأهلها
الديار، فما يجب فيها حق جوار. فالظاعن عنها ممحو الأثر، والمقيم بها على
طرف سفر. نهاره إرجاف، وسروره أحلام. ليس له زاد فيرحل، ولا مرعى فيربع.
فحالها تصف للعيون الشكوى، وتسير إلى ذم الدنيا. بعدما كانت بالمرأى جنة
الأرض وقرار الملك، تفيض بالجنود أقطارها، عليهم أودية السيوف وغلائل
الحديد. كأن رماحهم قرون الوعول، ودروعهم زبد السيول. على خيل تاكل
الأرض بحوافرها، وتمد بالنقع ستائرهما. قد نشرت في وجوهها غرر كأنها
صحائف البرق، وأمسكها تحجيل كأمورة اللجين. وفُرطت عذراً كالشنوف. في
جيش تتلقف الأعداء أوائله ولم تنهض أواخره. قد صب عليه دمار الصبر، وهبت
له ريح النصر. يصرفه ملك يملأ العين جمالاً والقلوب جلالاً. لا تختلف مخيلته
ولا تنقض [٧٦ ب] مريته. ولا يخطيء بسهم الرأي غرض الصواب، ولا يقطع
بمطايا اللهو سفر الشباب. قابضاً بيد السياسة على أقطار ملك لا ينتشر حبله، ولا
تتشظى عصاه، ولا تطفئ جمرته في سن شباب لم يجن مأثماً، وشيب لم يراهق
هرماً. قد فرش مهاد عدله، وخفض جناح رحمته. راجماً بالعواقب [الظنون] (١).
لا يطيش عن قلب فاضل الحزم بعد العزم. ساعياً على الحق يعمل به. عارفاً بالله
يقصد إليه. مقرأً للحلم ويبدله. قادراً على العقاب ويعدل فيه. إذ الناس في دهر
غافل قد اطمأنت بهم سيرة لينة الحواشي خشة المرام، تطير بها أجنحة السرور،
ويهب فيها نسيم الحبور. فالأطراق على مسرة والنظر إلى مبرة. قبل أن تخب مطايا

(١) تكملة من ياقوت (سامراء).

الغير، وتسفر وجوه الحذر، وما زال الدهر مليئاً بالنوائب، طارقاً بالعجائب، يؤمن
يومه ويغدر غده.

على أنها وإن جفيت، معشوقة السكنى، رحيبة المشوى، كوكبها يقظان،
وجوها عريان، وحصاها جوهر ونسيمها معطر. [وتراها مسك أذفر، ويومها غداة
وليلها سحر^(١)] وطعامها هنيء، وشرابها مريء، وتاجرها مالك، وفقيرها فاتك،
لا كبغدادكم الوسخة السماء، الومدة الهواء، جوها نار، وأرضها خبار. وماؤها
حميم وتراها مرجين، وحيطانها نزوز، وتشرينها تموز. فكم في شمسها من
محترق، وفي ظلها من عرق. ضيقة الديار، قاسية الجوار. ساطعة الدخان، قليلة
الضيغان. أهلها ذئاب، وكلامهم سباب. وسائلهم محروم، ومالهم مكتوم. لا
يجوز إنفاقه، ولا يحل خناقه. وحشوشهم مسايل، وطرقهم مزابل. وحيطانهم
اخصاص، وبيوتهم أفاص. ولكل مكروه أجل، وللبقاع دول. والدهر يسير
بالمقيم، ويخرج البؤس بالنعيم. وبعد اللجاجة انتهاء والهم إلى فرجة. ولكل
سائلة قرار. وبالله أستمعن وهو محمود على كل حال.

وفي خراب سرمرى يقول ابن المعتز

غَدَتْ سُرْمَرِي فِي الْعَفَاءِ كَأَنَّهَا	قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
وَأَصْبَحَ أَهْلُوهَا شَبِيهًا بِحَالِهَا	لَمَّا نَسَجْتُهُمْ مِنْ جَنُوبٍ وَشِمَالِ
إِذَا مَا أَمَرُوْهُمْ مِنْهُمْ شَكَا سَوْءَ حَالِهِ	يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

[٧٧].

(١) تكملة من ياقوت (سامراء).

**القول في السواد وصفته
وأعلام حدوده وكوره وطاسيجه
وسبب مساحة الأرض
وتقدير خراجها وطوله وعرضه**

قال المدائني: السواد عشر كور، وهو من لدن القادسية إلى أول حدّ الجبل دون حلوان.

والسواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماداً مع الماء إلى ساحل البحر إلى بلاد عبادان من شرقي دجلة. هذا طوله.

فأما عرضه: فحد منقطع الجبل من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بأرض العذيب. فهذه حدود السواد وعليها وضع الخراج.

وقال الأصمعي: السواد سوادان. فسواد البصرة، الأهواز ودستميستان وفارس. وسواد الكوفة، كسكر إلى الزاب وحلوان إلى القادسية.

وقال أبو معشر: إن الكلدانيين هم الذين كانوا يتزلون بابل في الزمان الأول. ويقال: إن أول من سكنها وعمرها، نوح عليه السلام. وذلك أنه نزلها بعقب الطوفان. فصار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الرفاء. فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح وملكوا عليهم ملوكاً وابتنوا بها المدائن واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كسكر، ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة. وموضعهم هو الذي يقال له السواد. وكانت ملوكهم تنزل بابل.

وكان الكلدانيون جنودهم . فلم تزل مملكتهم قائمة إلى أن قتل دار آخر ملوكهم .
ثم قتل منهم خلقاً فذلتوا وانقطع ملكهم .

وذكر ابن الكلبي : ان مدينة بابل كانت اثني عشر فرسخاً في مثل ذلك . وكان بابها مما يلي الكوفة . وكان الفرات يجري ببابل حتى صرفه بخت نصر إلى موضعه الآن مخافة أن يهدم عليه سور المدينة لأنه كان يجري معه .

قال : ومدينة بابل بناها بيوراسب واشتق اسمها من اسم المشتري . لأن بابل باللسان البابلي الأول اسم للمشتري . ولما بناها جمع فيها كل من قدر عليه من العلماء وبنى لهم اثني عشر قصراً على عدد [٧٧ ب] البروج وسماها بأسمائهم . فلم تزل عامرة حتى خرج الاسكندر فأخربها .

وقال الله عز وجل ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ . فروي عن الأعمش قال : كان مجاهد لا يسمع بشيء من الأعاجيب إلا مضى حتى ينظر إليه . وانه صار إلى حضرموت حتى نظر إلى بني برهوت ، وأتى بابل فلقية رجل من رؤساء أهلها كان عارفاً به . فلما لقية أكبره وقال له : أبا الحجاج ما تصنع هاهنا؟ قال حاجة لي إلى رأس الجالوت ، أحب أن تدخلني إليه وتعرفه من أنا . فأدخله إليه وعرفه محله وموضعه وقال : له حاجة إليك . قال وما حاجتك؟ قال : تأمر بعض اليهود أن يريني هاروت وماروت . فامتنع عليه طويلاً ثم قال له : أخشى أن لا تتماسك . قال : أرجو أن لا يكون إلا ما تحب . فأرسل إلى رجل من اليهود فقال : اذهب بهذا فأدخله إلى هاروت وماروت . فقال له اليهودي : كيف تجد قلبك؟ قال : ما شئت . فانطلق به إلى مكان غامض في الصحراء ، وإذا صخرة عظيمة . فتكلم عليها كلاماً ذكر أنه من التوراة ، فأقبلت تهتز . ثم رفعها وأزالها عن مكانها . وكانت لا يقلها مائة رجل . وإذا تحتها شبيه بالسرب . فقال له اليهودي : تعلق بي وانظر أن لا تذكر الله . فنزل معه مجاهد ، فلم يزل يهوي به حتى صارا إلى فضاء عظيم . وإذا هما مثل الجبلين العظيمين ، منكوسان على رؤوسهما وعليهما الحديد من أعناقهما إلى أقدامهما مصفدين . فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر الله عز وجل . فاضطربا اضطراباً شديداً حتى كادا أن يقطعا ما عليهما من

الحديد، وخر اليهودي ومجاهد على وجوههما وقتاً طويلاً ثم أفاقا. فقال اليهودي لمجاهد: ألم أتقدم إليك أن لا تذكر الله؟ كدنا والله أن نهلك ولا نقدر على الخروج. فتعلق به مجاهد، فلم يزل يصعد به حتى خرجا إلى الأرض.

ويقال إن عمر بن الخطاب سأل دهقان الفلوجة عن عجائب بلادهم فقال: كان بها [عجائب] ^(١) بجميع مدنها في كل مدينة أعجوبة ليست في [٧٨ أ] الأخرى. فكان في المدينة التي ينزلها الملك بيت فيه صورة الأرض كلها برسائيقها وقراها وأنهارها. فمضى التوى بحمل الخراج أو غيره أهل بلد من جميع البلدان، خرق أنهارهم فغرقتهم وأتلفت زروعهم وجميع ما في بلادهم حتى يرجعوا عما هموا به. ثم يسد بأصبعه تلك الأنهار فتسد في بلادهم.

وفي المدينة الثانية حوض عظيم. فإذا جمعهم الملك لحضور مائده، حمل كل رجل ممن يحضر من منزله شرباً يختاره ثم صبه في ذلك الحوض. فإذا جلسوا على الشرب شرب كل واحد شربه الذي حمله من منزله.

وفي المدينة الثالثة طبل معلق على بابها فإذا غاب من أهلها إنسان وخفي أمره على أهله، وأحبوا أن يعلموا أحيى أم ميت، صربوا ذلك الطبل. فإن سمعوا له صوتاً، فإن الرجل حي. وإن لم يسمعوا صوتاً فإن الرجل قد مات.

وفي المدينة الرابعة مرآة من حديد، فإذا غاب الرجل عن أهله فأحبوا أن يعرفوا خبره على صحته، أتوا تلك المرأة فنظروا فيها فيرونه على الحال التي هو فيها.

وفي المدينة الخامسة أوزة من نحاس على عمود من نحاس منصوب على باب المدينة فإذا دخلها جاسوس صوتت الأوزة بصوت يسمعه سائر أهل المدينة فيعلمون أن قد دخلها جاسوس.

وفي المدينة السادسة قاضيان جالسان على الماء. فإذا تقدم إليهما الخصمان وجلسا بين أيديهما غاص المبتل منهما في الماء وثبت المحق.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وفي المدينة السابعة شجرة من نحاس ضخمة كثيرة الغصون لا تظل ساقها.
فإذا جلس تحتها واحد أظلمت إلى ألف نفس، فإنها تظلمهم كلهم. فإذا زادوا على
ألف صاروا كلهم في الشمس.

وقال يزيد بن عمر الفارسي: كانت ملوك الفرس تعد السواد اثني عشر استانا
وتحسبه ستين طسوجاً وتفسير الاستان إجارة وترجمة الطسوج: ناحية. وكان
الملك من ملوكهم إذا غني بحيز من الأرض عبره وسماه باسمه.

وكانوا ينزلون [٧٨ ب] السواد لما جمع الله في أرضه من مرافق الخيرات
وما يوجد فيها من غضارة العيش وخصب المحل وطيب المستقر، ولما ينصب
إليها من مواد الأطراف ومنافعها وسعة ميرها من أطعمتها وأدواتها وأمتعتها
وعطرها ولطيف صناعاتها. وكانوا يشبهون السواد بالقلب وسائر الدنيا بالبدن،
ولذلك سموه: دل إيران شهر، أي قلب إيران شهر. وإيران شهر: الإقليم المتوسط
لجميع الأقاليم. وإنما سموه بذلك لأن الآراء تشعب عن أهله بصحة الفكر
والروية كما تشعب من القلب بدقائق العلوم ولطائف الآداب والأحكام الكتابية.
فأما ما حولها من البلاد فأهلها يستعملون أطرافهم بالمباشرة والعلاج. وخصب
بلاد إيران شهر بسهولة. لا عوائق فيها ولا شوايق تشينها ولا مفاوز موحشة ولا
براري منقطعة عن تواصل العمارة والأنهار المطردة في رسائيقها وبين قراها. مع
قلة جبالها وآكامها وتكاثف عمارتها وكثرة أصناف غلاتها وثمارها. والتفاف
أشجارها وعدوية مائها وصفو هوائها وطيب تربتها مع اعتدال طيبتها وتوسط
مزاجها وكثرة أجناس الصيد في ظلال شجرها وبين عشبها، وخلال زهرتها. من
طائر [بجناح] وماش على ظلف وسابح في البحر. آمنه مما ينال البلدان من غارات
الأعداء وبوائق المخالفين. مع ما خصت به من الرافدين دجلة والفرات. إذ هما
مآذان لا ينقطعان شتاء ولا صيفاً على بعد منابعهما ونزوح مبتدأهما. [فإنه]^(١) لا
ينتفع منهما بكثير عمارة حتى يدخلها فيسيح ماؤهما في جنباتها وينبطح بين

(١) تكملة من ياقوت (السواد).

رسايقها، فتأخذ صفوه وعذوبته وترسل كدره وأجنه [إلى البحر]^(١). هذا قليل من كثير وصفها ويسير من نعت جليلها.

قالوا: وأول طول السواد على ما حدثه ملوك فارس من قرية تعرف بالعلث على حد طسوج بزر جسابور من شرقي دجلة. وقرية في غربي دجلة مقابلتها تجري على حد طسوج مسكن. بينهما عرض دجلة إلى آخر الكورة المعروفة [١٧٩] ببهمن أردشير. وهي فرات البصرة إلى جزيرة منها متصلة بالبحر تعرف بميان رودان. وهو مائة فرسخ وخمسة وعشرون فرسخاً، وعرضه من عقبه حلوان إلى أن ينتهي إلى العذيب. وذلك ثمانون فرسخاً يكون جملة ذلك مكسراً عشرة ألف فرسخ. والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسل. يكون بالذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع وهو مائة وخمسون أشلاً. يكون ذلك في مثله اثنين وعشرين ألفاً وخمسمائة جريب. هذا لكل فرسخ. فإذا ضربت في عشرة آلاف، بلغت مائتي ألف ألف وعشرين ألف جريب. يسقط منها بالتخمين، آكامها وآجامها وسباخها ومجاري أنهارها ومواضع مدنها وقراها ومدنى ما بين طرقها الثلاث. فيبقى مائة ألف ألف وخمسون ألف ألف جريب. يرواح منها النصف ويعمر النصف على ما فيها من الكرم والنخل والشجر والعمارة الدائمة المتصلة، فيقع التخمين بالتقريب على كل جريب، قيمة ما يلزمه للخراج درهمان وذلك أقل من العشر على أن يضرب بعض ما يوجد فيها من أصناف الغلات ببعض سوى خراج أهل الذمة وسوى الصدقة. فإن ذلك لا يدخل في الخراج. فيبلغ ذلك مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم مثاقيل.

وكانت غلات السواد تجري على المقاسمة في أيام ملوك فارس إلى أن ملك قباد بن فيروز فإنه مسح وجعل على أهله الخراج. وكان السبب في ذلك أنه خرج ذات يوم متصيداً فانفرد من أصحابه في اتباع صيد طرده حتى وغل في شجر ملتف وغاب الصيد الذي تبعه عن بصره. فقصد إلى رابية يتشرف عليها، فإذا تحت الرابية قرية كبيرة. ونظر إلى بستان قريب منه فيه نخل ورمان وغير ذلك من أصناف

(١) تكملة من ياقوت (السواد)

الشجر، وإذا امرأة واقفة على تنور تخبز ومعها صبي لها كلما غفلت عنه مضى إلى شجرة رمان مثمر ليتناول من رمانها وهي تمنعه من [٧٩ ب] ذلك ولا تتركه يأخذ شيئاً منه. فلم تزل كذلك حتى فرغت من خبزها وجميع ما هي والصبي فيه بمشهد من الملك. فلما لحقه أصحابه ووزراؤه قص^(١) عليهم ما رأى من المرأة والصبي ووجه إليها من سألها عن السبب الذي لأجله منعت ولدها أن يتناول شيئاً من الرمان. فقالت: إن للملك فيه حصة ولم يأتنا المستأدون^(٢) بعد لقبضها وهي أمانة في أعناقنا لا يجوز أن نخونها ولا نتناول من جميع ما تحت أيدينا شيئاً حتى يأخذ الملك حقه. فلما سمع قباد قولها أدركته الرقة عليها وعلى الرعية وقال لوزرائه: إن الرعية في شدة شديدة وسوء حال بما في أيديهم من غلاتهم لأنهم ممنوعون من الانتفاع بشيء من ذلك حتى يرد عليهم من يأخذ حقنا منهم. فهل عندكم حيلة نفرج بها عنهم ما هم فيه؟ فقال بعض وزرائه: نعم. يأمر الملك بالمساحة عليهم ويلزم كل جريب من كل صنف بقدر ما يخص الملك من الغلة ليؤدوا ذلك إليه، ويطلق أيديهم في غلاتهم. ويكون ذلك على قرب مخارج المير وبعدها من الممتارين. فأمر قباد بمساحة السواد والزم الرعية الخراج بعد حطيطة النفقة والمؤونة على العمارة والنفقة على كربي الأنهار وسقاية الماء وإصلاح البريدات وإن جميع ذلك على بيت المال. فبلغ خراج السواد في تلك السنة مائة ألف ألف وخمسين ألف درهم مثاقيل. فحسنت أحوال الناس ودعوا للملك بطول البقاء لما نالهم من العدل والرفاهية.

وكان^(٣) أول ما يعد من السواد، كورة استان خسروشاد فيروز، وهي كورة حلوان، خمسة طساسيج: طسوج فيروز قباد. طسوج الجبل. طسوج تامرا. طسوج أربل. طسوج خانقين الشرقي.

سقي دجلة وتامرا:

(١) في الأصل: قبض.

(٢) في ياقوت (السواد) المأدون.

(٣) يبدأ من هنا التظايق مع ما لدى ابن خردادبه ص ٦

كورة استان شادهرمز، سبعة طساسيج: طسوج بزر جسابور. طسوج نهر بوق. طسوج [٨٠] كلواذئ ونهر بين. طسوج جازر. طسوج المدينة العتيقة. طسوج راذان الأعلى والأسفل.

كورة استان قباد: ثمانية طساسيج: طسوج روستقباد. طسوج مهرود. طسوج سلسل. طسوج جلولا وجللتا^(١). طسوج الذنين. طسوج البندنجين. طسوج براز الروز. طسوج الدسكرة والرسائق^(٢).

كورة استان بازيجان^(٣): خمسة طساسيج: طسوج النهروان الأعلى. طسوج النهروان الأوسط. طسوج بادريا. طسوج باكسايا^(٤). سقي دجلة والفرات:

كورة استان شاذ شاپور - وهي كسكر - أربعة طساسيج: طسوج الزندروود. طسوج البربون^(٥). طسوج الاستان. طسوج الجواذر.

كورة استان شاذ بهمن - وهي كورة دجلة - أربعة طساسيج: طسوج بهمن أردشير. طسوج ميسان. طسوج دستويسان وهو الأبلّة. قال غيلان بن سلمة الثقفي:

ظَلْتُ تَحِيدُ مِنَ الدَّجَاجِ وَصَوْتِهِ وَصَرِيفِ بَابِ بِالْأُبْلَةِ مُغْلَقِ
وَطُسُوجِ ابْرِ قَبَادِ.

وخراج كور دجلة ثمانية ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم.
سقي الفرات ودجيل:

كورة استان الكاليا، أربعة طساسيج: طسوج فيروز شاپور وهو الأنبار. وطسوج مسكن. قال ابن قيس الرقيات:

-
- (١) في الأصل: جلولا وجلولا.
 - (٢) ابن خردادبه ٦: الرستاقين.
 - (٣) ابن خردادبه ٦: بازيجان خسرو.
 - (٤) هنا أربعة طساسيج بينما هي لدى ابن خردادبه إضافة إلى ما ذكر أعلاه: طسوج النهروان الأسفل. طسوج اسكاف بني جنيد ونحوها. طسوج بادريا. طسوج باكسايا.
 - (٥) كذا في الأصل وهي لدى ابن خردادبه: الشرثور.

إن الرزية يوم مسكن والمصيبة والفجيرة .

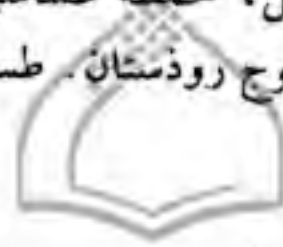
وطسوج قطربل . وطسوج بادوريا .

كورة استان أردشير بابكان، خمسة طساسيج : طسوج بهر سير . طسوج الرومقان . طسوج كوثر^(١) . طسوج نهر درقيط . طسوج نهر جوير .

كور استان رونق ماسيان^(٢) - وهي الزواحي - ثلاثة طساسيج : طسوج الزاب الأعلى . طسوج الزاب الأوسط . طسوج الزاب الأسفل^(٣) .

كورة بهقباد الأوسط، أربعة طساسيج : طسوج الحبة [٨٠ ب] والبدة . طسوج سورا و برسيما . طسوج باروسيما . طسوج الملك .

كورة استان بهقباد الأسفل، خمسة طساسيج : طسوج تستر . طسوج فرات بادقلي . طسوج السيلحين . طسوج رودستان . طسوج هرمز جرد^(٤) .



مركز تحقيق و نشر علوم اسلامی

(١) ابن خرداذبه ٨ : كوئي .

(٢) ابن خرداذبه ٨ : كورة استان به ذير ماسقان .

(٣) يوجد لدى ابن خرداذبه هنا : كورة استان بهقباد الأعلى وهي ستة طساسيج : طسوج بابل ، طسوج خطرنية ، طسوج الفلوجة العليا ، طسوج الفلوجة السفلى ، طسوج النهرين ، طسوج عين التمر .

(٤) توجد بعض الاختلافات مع ما هو موجود لدى ابن خرداذبه .

تقدير السواد^(١)

الجانب الغربي ، سقي دجلة والفرات :

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البیادر	كمية الحنطة	كمية الشعير	الورق
الأنبار	٥	٢٥٠	٢٣٠٠ كز	١٤٠٠ كز	٣٥٠٠٠٠
قطربل	١٠	٢٢٠	٢٠٠٠ كز	١٠٠٠ كر	٣٠٠٠٠٠ درهم
مسكن	٦	١٥٠	٣٠٠٠ كز	١٠٠٠ كر	١٥٠٠٠٠ درهم
بادوريا	١٠	٤٢٠	٣٥٠٠ كز	٢٠٠٠ كز	١٠٠٠٠٠ درهم
بهرسير	١٠	١٤٠	١٧٠٠ كر	١٧٠٠ كر	١٥٠٠٠٠ درهم
الرومقان	١٠	٢٤٠	١٣٠٠ كر	٣٠٥٠ كر	٥٠٠٠٤٠ درهم
كوئی	٩	٢١٠	٣٠٠٠ كر	٢٠٠٠ كر	١٥٠٠٠٠ درهم
نهر درقيط	٨	١٢٥	٢٠٠٠ كر	١٠٠٠ كر	٢٠٠٠٠٠ درهم
نهر جوبر	١٠	٢٢٦	٢٧٠٠ كر	١٠٠٠ كر	١٥٠٠٠٠ درهم
كورة الزواهي					
٣ طساسيج	١٢	٢٤٤	١٤٠٠ كر	٧٢٠٠ كر	١٠٠٠٠٠٠ درهم
بابل وخطرنية	١٢	٣٧٠٠	٣٠٠٠ كر	٥٠٠٠ كر	٣٥٠٠٠٠ درهم
الفلوجة العليا	١٥	٢٤٠	٥٠٠ كر	٥٠٠ كر	٧٠٠٠٠ درهم
الفلوجة السفلى	٦	٩٢	٢٠٠٠ كر	٣٠٠٠ كر	١٨٠٠٠٠ درهم
طسوج النهرين	٣	١٨١	٣٠٠ كر	٤٠٠ كر	٤٥٠٠٠ درهم
عين التمر	٣	١٤	٣٠٠ كر	٤٠٠ كر	٤٥٠٠٠ درهم
العجة والبدهاء	٨	٧١	١٢٠٠ كر	١٦٠٠ كر	١٥٠٠٠٠ درهم
سوراء وبرسيما	١٠	٢٥٠	٧٠٠ كر	١٤٠٠ كر	١٠٠٠٠٠ درهم

(١) توجد قائمة تقدير السواد هذه بكاملها لدى ابن خردادبه ٨ - ١٤ وقد رسمناها بهيئة جداول تسهيلاً للمطالعة وهي في الأصل ليست كذلك .

نشير إلى وجود بعض الاختلافات في أرقام كميات المحاصيل بين ابن الفقيه وابن خردادبه لعل سببها سهو النساخ . إضافة إلى اختلافات في طساسيج الجانب الشرقي .

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البیادر	كمية الحنطة	كمية الشعير	الورق
باروسما ونهر الملك	١٠	٦٦٤	١٥٠٠ كر	٤٥٠٠ كر	٢٥٠٠٠٠ درهم
السببان والموقوف: ضیاع جمعت من عدة طساسیج وصیرت ضیعة واحدة. فهي أعظم قدراً من طسوجین وتقديرأ ل عشرة منها.	١٠	٢٧١	٢٠٠٠ كر	١٥٠٠ كر	٩٠٠٠٠٠ درهم
فرات بادقلى السیلحین وفيه الخورتق وطیزتاباذ روزمستان وهرمزجرد نستر					
ایغار یقطین من عدة طساسیج سقي دجلة والفرات: کور کسکر ومنها: نهر الصلة وبرقة والریان وكان یرتفع من خراجها وسائر أبواب مالها سبعون ألف درهم	٧	١٦٣	١٢٥٠ كر	الشعیر والأرز ١٠٠٠ كر	٣٠٠٠٠٠ درهم
					٢٠٤٨٤٠ درهم

الجانب الشرقي :

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	كمية الحنطة	كمية الشعير	الورق
بزر جسابور	٩	٢٦٠	٢٥٠٠ كر	٢٠٠٠ كر	٣٠٠٠٠٠ درهم
الراذانين	١٦	٣٦٢	٤٨٠٠ كر	١٠٠٠ كر	١٠٠٠٠٠ درهم
طسوجا كلواذئ					
ونهرين	٣	٣٤	١٦٠٠ كر	١٥٠٠ كر	١٠٣٠ درهم
[٨٢]					
طسوجا جازر					
والمدينة العتيقة	٧	١١٨	١٠٠٠ كر	١٥٠٠ كر	١٧٠٠٠٠ درهم
طسوجا مهرود					
وسلسل			٢٠٠٠ كر	٢٥٠٠ كر	٢٥٠٠٠٠ درهم
جلولاء وجلولاء	٥	٦٦	١٠٠٠ كر	١٠٠٠ كر	١٠٠٠٠٠ درهم
الذنبين	٤	٢٣٠	٧٠٠ كر	١٣٠٠ كر	٤٠٠٠٠ درهم
الدمسكرة والرساتيق	٧	٤٤	٢٠٠٠ كر	٢٠٠٠ كر	٧٠٠٠٠ درهم
براز الروز	٧	٨٦	٣٠٠٠ كر	٥٠٠٠ كر	١٢٠٠٠٠ درهم
البندنيجين	٥	٥٤	٦٠٠ كر	٥٠٠ كر	١٠٠٠٠٠ درهم
النهروانات	٢١	٣٨٠			
أ - النهروان الأعلى			٢٧٠٠ كر	١٨٠٠ كر	٣٥٠٠٠٠ درهم
ب - النهروان الأوسط			١٠٠٠ كر	٥٠٠ كر	١٠٠٠٠٠ درهم
ج - النهروان الأسفل			١٠٠٠ كر	١١٠٠ كر	١٥٠٠٠٠ درهم
بادرايا وباكسايا			٤٧٠٠ كر	٥٠٠٠ كر	٣٣٠٠٠٠ درهم

[٨٢ ب]

كور استان شاد فيروز. وهي حلوان ووظيفتها مع الجابارقة
وغيرهم من الأكراد [من الورق] ألف ألف وثمانمائة ألف

درهم^(١).

وكانت هيت وعانات مضافة إلى طسوج الأنبار. فلما ملك أنوشروان بلغه أن طوائف من الأعراب يعبرون على ما قرب من السواد إلى البادية. فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بالليس^(٢) كان شابور ذو الأكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية. وأمر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر. وبني عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية عن السواد. فخرجت هيت وعانات بسبب ذلك السور عن طسوج شادفيروزان، لأن عانات كانت قرى مضمومة إلى هيت.

ووجد في بعض كتب الفرس أن ملوك الأرض قسموا الأرض أربعة أجزاء فجزء منها مغارب الهند وأرض الترك إلى مشارق الروم. وجزء منها الروم ومغاربها وأرض القبط والبربر. وجزء منها أرض السودان وهو بين أرض البربر إلى الهند. وجزء منها من نهر بلخ إلى آذربيجان وأرمينية القادسية وإلى الفرات ثم برية العرب إلى عمان وإلى كرمان وأرض طبرستان وإلى كابل وطخارستان، وهي الأرض التي سميتها الفرس بلاد الخاضعين. وهذا الجزء هو صفوة الأرض ووسطها لا يلحقه عيب ولا يناله تقصير. ولذلك اعتدلت ألوان أهله واقتدرت أجسامهم، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة، وسواد الحبشة والزنج، وغلظ الترك، ودمامة الصين. واجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار، وكل^(٣) ما اعتدلوا في الحلية كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بمحاسن الأمور وشريف الأخلاق.

ولم تزل طساسيج [٨٣] السواد على العدة التي ذكرنا حتى قدم الحجاج بن يوسف والياً على العراق، وكان كاتبه القادم معه والمتولي لأمره، صالح بن عبد الرحمن. فقال له الحجاج: التمس كاتباً ناصحاً من الفرس عالماً بكتابتهم يعمل الحساب. فوجد رجلاً يقال له زاذا نفروخ بن بيري فقلده أمر الديوان. فلم يكن

(١) إلى هنا ينتهي التطابق بين ابن الفقيه وابن خردادبه وما بين عضادتين هو من ابن خردادبه.

(٢) ياقوت ١ : ٥٩٥ (مادة عانة): ألوس.

(٣) يبدو أن صوابها: وكما.

صالح وأصحابه يهتدون إلى العمل . وكان زاذانفروخ وكتابه يعملون الحساب بالفارسية ، فشكا صالح ذلك إلى الحجاج وعرفه أنه في غير شيء مع زاذانفروخ . فأمر الحجاج زاذانفروخ أن يتجشم له نقل الدواوين من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي ، ففعل ذلك وميز النواحي وكور الكور . فرسم طساسيج السواد . فكان ما رسم من ذلك أن جعل السواد عشر كور . كل كورة استان وطساسيجه ستون طسوجاً . وقد ذكرنا ذلك في موضعه . فلما فعل هذا ونقله إلى العربية ، تصرف صالح وأصحابه فيه ووقفوا عليه .

وكان بناحية كسكر مدينة عظيمة كثيرة الأهل ، فخرج أهلها في الزمن الأول حذراً من الطاعون إلى بعض المواضع ، فهلكوا كلهم وخربت وبقي فيها بيت أصنامهم ، فبنته النصارى عمراً وسمته بنين . ورسوم هذه المدينة وآثار سورها ثابت إلى اليوم ولم يدرس .



ومن ذلك خسروشابور وساباط بناهما شابور .

ومن ذلك شهرباد وهي مدينة إبراهيم الخليل عليه السلام . وكانت مدينة عظيمة جليلة القدر راقبة البحر . فنضب البحر عنها وانحبس ماؤه ، فبطلت . وموضع مجراه وسمته معروف إلى اليوم .

قال : وكانت بالقرب منها أيضاً مدينة كبيرة جليلة تسمى شالها . فخربتها إياد لأنها كانت تغير عليها . ويقال إن إياداً وغيرهم من العرب غلبوا عليها وملكوها في أيام سابور وخلعوا [٨٣ ب] طاعته ونابدوه الحرب ، وانتصروا بملك الروم وأطمعوه في مملكة فارس فأمدّهم بمراكب في البحر فيها مقاتلة ، واتصل الخبر بسابور فرحل إليها وأقام عليها حتى فتحها فقتل فيها مائتي ألف رجل وأخربها وجمع النساء والذراري والمشايخ فأسكنهم مدينة بناها يقال لها الهفة ونهى الرعية عن مخالطتهم ومناكحتهم . وتقدم أن لا تدخل العرب من البدو إلى الحضرة فمن دخل بغير جواز قتل .

قال : وكل من سخط عليه ملوك فارس نفته إلى هذه المدينة ووسمها بالنفي

واللعن . وسمتها النبط هفاطرناني . وآثار سورها بينة لم تُدرس . وكان بقربها أيضاً عدة مدن منها دورى الزندورد . وفيها اللبس ومنها دار سابور والهكة والهعة التي بناها سابور وجعلها لمن يُنفى .

ويقال : إن حدّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهر وان إلى أن يصب في البحر . وان المبارك وعبدسي والمدار . وتعا وميسان ودستميسان وآجام البريد من كسكر . وان العرب فرقها حيث مضرت البصرة وكذلك اسكاف العليا والسفلى ونفر وسمر ويهندف وقرقوب . كل هذا منها .

وقال المدائني : أول من مسح الأرض ووضع الدواوين وحدّ حدود الخراج والوظائف ، قباد . فصير ديوان الخراج بحلوان وسماه ديوان العدل . فكان كل شيء يجبي في مملكة الفرس من السواد مائة ألف ألف درهم مثاقيل . وذلك أن الملك كان يأخذ نصف الخراج ويترك النصف للناس فتصلح أحوالهم . إلى أن كانت أيام قباد فإنه جبي السواد مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف مثاقيل .

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمسح السواد وطوله من العث في الجانب الشرقي ومن حربي في الجانب الغربي ماداً إلى عبادان^(١) . وهو مائة وعشرون فرسخاً ، وعرضه [٨٤] من عقبة حلوان إلى العذيب ، وهو ثمانون فرسخاً . فكان ذلك بعد أن أخرج عنه الجبال والأودية والأنهار ومواضع المدن والقرى ، ستة وثلاثين ألف ألف جريب . فوضع على جريب الحنطة أربعة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمن ، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم . وعلى جريب الكرم والرطاب ستة دراهم . وختم الجزية على ستمائة ألف إنسان ، وجعلها طبقات : الطبقة العالية ، ثمانية وأربعون درهماً . والوسطى أربعة عشرون درهماً . والسفلى اثنا عشر درهماً . فجبي السواد مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف درهم .

(١) في الاحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء ص ٢٠٤ (أوله في شرقي دجلة : العث - وعن غربيها حربي - ثم يمتد إلى آخر أعمال البصرة من جزيرة عبادان) .

وجباه عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم.
وجباه الحجاج بن يوسف على غشمه وظلمه وعسفه وخرقه ثمانية عشر ألف ألف.
فقط: وأسلف الفلاحين للعمارة ألفي ألف. فحصل له ستة عشر ألف ألف. ومنع
أهل السواد لما شكوا إليه خراب بلدهم من ذبح البقر لتكثر العمارة، فقال الشاعر:
شكونا إليه خراب السواد فحرم جهلاً لحوم البقر

وكان خراج العراق أيام زياد مائة ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف
درهم. وأيام عبيد الله بن زياد أكثر منه أيام زياد بعشرين ألف ألف. وكان في أيام
ابن هبيرة مائة ألف ألف سوى طعام الجند وأرزاق الفعلة الذين يكونون في
العسكر.

وأحصى كسرى ابرويز خراج مملكته في ستة ثماني عشرة من ملكه، أربع مائة
ألف ألف وعشرون ألف ألف درهم. ثم زاد خراجه بعد ذلك.

وذكر بعض كتاب الفرس: إن العراق كان يجبي في أيام أنوشروان^(١) ستمائة
ألف ألف مثقال. وزعم أنه جبي في آخر أيام ابرويز تسعمائة ألف ألف مثقال وترك
في أيدي الناس [٨٤ ب] كلهم من جميع غلاتهم مائة ألف ألف. فهلك الناس
حتى أن الجارية النفيسة كانت تباع بدرهم.

وجبي بعض أمراء خراسان خراسان ثمانية وعشرين ألف ألف مثقال.

وجبي الجنيد بن عبد الرحمن أرض الهند خمسة وعشرين ألف ألف مثقال.

وكانت جباية البصرة خمسة وسبعين ألف ألف درهم.

وأرض الكوفة خمسة وعشرين ألف ألف درهم.

وكان يوسف بن عمر الثقفي يحمل من خراج العراق ما بين ستين ألف ألف
وسبعين ألف ألف. ويحتسب بعتاء من قبله من جند الشام ستة عشر ألف ألف

(١) المعلومات المتعلقة بجباية السواد أعلاه موجودة لدى ابن خردادبه ١٤ - ١٥ باستثناء
المعلومات المتعلقة بجبايته على عهد زياد وابن عبيد الله وابن هبيرة.

وفي نفقة البريد أربعة ألف ألف وفي الطراز ألفي ألف. وفي الطراز ألفي ألف. ويبقى في بيت المال للأحداث والبواقي عشرة ألف ألف درهم.

وقال المدائني: كانت ميسان ودستميستان في ديوان حلوان من تعديل قباد تؤدي أربعة ألف ألف. وأبر قباد تسعة ألف ألف. وكان يؤخذ من البر والشعير والأرز الخمس ولا يؤخذ من سائر الحبوب شيء. وكان يؤخذ من كل أربع وعشرين نخلة درهم. ومن كل سبعة عشر فارسي درهم.

وقال بعض الجلساء سمعت المعتز يقول لأحمد بن إسرائيل: يا أحمد! كم خراج الروم؟ فقال: يا أمير المؤمنين! خرجنا مع جدك المعتصم في غزاته. فلما توسطنا بلد الروم، صار إلينا بسيل الخرشني وكان على خراج الروم. فسأله محمد بن عبد الملك عن مبلغ خراج بلدهم، فقال: خمسمائة قنطار وكذا قنطار. قال: فحسبنا ذلك، فإذا هو أقل من ثلاثة ألف ألف دينار. فقال المعتصم: اكتب إلى ملك الروم اني سألت صاحبك عن خراج أرضك فذكر أنه كذا وكذا، وأخس ناحية في مملكتي خراجها أكثر من خراج أرضك، فكيف تنابذني وهذا ارتفاع بلدك؟ فضحك المعتز وقال: من يلومني على حب أحمد بن إسرائيل، ما سألته قط عن شيء إلا جاءني بقصة.

وقال عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان: قال السواد ألف ألف ألف درهم [٨٥ أ] ما نقص مما في يد السلطان منه، فهو في يد الرعية. وما نقص من يد الرعية فهو في بيت مال السلطان.

وقال الهيثم بن عدي: لم يكن بفارس كورة أهلها أقوى من أهل كورتين: كورة سهلية وكورة جبلية. أما السهلية فكسكر وأما الجبلية فإصبهان. وكان خراج كل واحدة منهما اثني عشر ألف ألف مثقال.

ولم يكن بالعراق كورة مثل جوخي. كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم حتى صرفت دجلة عن جوخي فخرت وأصابهم بعد ذلك طاعون شيرويه فأتى

عليهم . ولم يزل السواد في ادبار منذ كان طاعون شيرويه . ولم تزل فارس في ادبار منذ كان ذلك الطاعون .

وكان المعروف بأبي الوزير الكاتب عمل تقديراً للدنيا وعرضه على يحيى بن خالد البرمكي في خلافة الهادي سنة سبعين ومائة . قال : أثمان الغلات بالسواد ستة وثمانين ألف ألف وسبعمائة ألف وثمانين ألف درهم .

ومن أبواب المال به أيضاً أربعة ألف ألف وثمانمائة ألف درهم ومن الحل البحرانية مائتا حلة . ومن الطين الأسود الأنباري ما يفرق في الدواوين مائتان وأربعون حملاً .

كسكر ، من الورق أحد عشر ألف ألف وستمائة ألف درهم .

كور دجلة : من الورق عشرون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم .

حلوان أربعة ألف ألف وثمانمائة درهم .

الأهواز خمسة وعشرون ألف ألف درهم . ومن صنوف السكر ثلاثمائة ألف

رطل .

فارس : سبعة وعشرون ألف ألف درهم . ومن ماء الورد ثلاثمائة ألف

قارورة . ومن ماء الزبيب والمية وغير ذلك من الأشربة عشرون ومائة ألف رطل .

ومن السفرجل مائة ألف سفرجلة . ومن الرمان مثل ذلك . ومن الزبيب الفارسي

بالكر الهاشمي سبعة أكرار . ومن السكنجيين ، خمسة ألف رطل . ومن الطين

السيرافي خمسة ألف رطل .

كرمان : من الورق ، أربعة ألف ألف ومائتا ألف درهم . ومن الثياب البمية

والخبيصية [٨٥ ب] وتسعون ألف دينار^(١) .

فلسطين : ثلاثمائة ألف ومستون ألف دينار .

ومن جميع أجناد الشام : من الزيت خمسمائة ألف رطل . ومن التفاح ، مائتا

(١) إما أن يكون هنا قطع في الحديث أو أن الواو زائدة .

ألف تفاحة. ومن التين، عشرة ألف متاً. ومن الخروب، ثلاثون ألف رطل.

مصر سوى تنيس ودمياط والأشمونين فإن مال هذه الكورة مصروف إلى شري الخيل والنفقة على الطرز ثلاثة ألف ألف وتسعمائة ألف وأربعون ألف دينار. ومن أنواع الثياب الدبقي والقصب وغير ذلك عشرون ألف ثوب.

الاسكندرية: ألف ألف وثمانمائة ألف درهم.

برقة: ألف ألف درهم.

أفريقية: ثلاثة عشر ألف ألف درهم. ومن البسط الكبار خمسمائة بساط. ومن الزيت مائة ألف مائة ألف رطل.

مكة والمدينة: ثلاثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار. ومن التمر الصيحاني، ألف رطل. ومن الصاح^(١) خمسين رطلاً. السمن والعين ثمانمائة وسبعون ألف دينار. ومن العنبر ثمانون رطلاً. ومن أصناف الحلل وغيرها من الثياب أربعة ألف ثوب. ومن الورق خمسة ألف رطل. ومن الزبيب خمسمائة قفيز.

اليمامة والبحرين وعمان وسيراف: من الورق ثلاثة ألف ألف درهم. ومن الثياب الصحارية، خمسمائة ثوب ومن التمر اليماني^(٢) مائتا ألف رطل.

حوالي الكوفة والبصرة ومدينة السلام وما بين الماصرين^(٣): من الورق، ألف ألف وثلاثمائة ألف وسبعون ألف درهم.

ولم يثبت في هذا التقدير قزوين لأنها تفرقت في الكور.

(١) كذا في الأصل بدون تنقيط. أما الصيحاني فهو ضرب من تمر المدينة أسود صلب الممضغة

(لسان العرب، صبح).

(٢) لعلها: اليمامي.

(٣) لعلها: ما بين الماصرين.

القول في الأهواز

قال المغيرة بن سليمان: أرض الأهواز نحاس تثبت الذهب، وأرض البصرة تثبت النحاس.

قال ابن المقفع: أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وتستتر. ولا يدري من بنى سور السوس وتستتر والأبلة.

وقال ابن المنذر: السوس من بناء سام بن نوح. فأما تستر فبعض الناس [٨٦ أ] يجعلها من الأهواز، ومنهم من يجعلها من أرض البصرة.

وقال ابن عون مولى المسور: حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد اختصم إليه أهل الكوفة وأهل البصرة في تستر [وكانوا] حضروا فتحها. فقال أهل الكوفة: من أرضنا. وقال أهل البصرة: بل من أرضنا. فجعلها عمر من أرض البصرة.

والأهواز هي سوق الأهواز ورامهرمز وايدج وعسكر مكرم وتستتر وجنديسابور والسوس وسُرق ونهر تيرى ومناذر^(١).

وخراج الأهواز ثلاثون ألف ألف درهم. وكانت الفرس تقسط على خوزستان - وهي الأهواز - خمسين ألف ألف درهم مثاقيل.

وبنى سابور بالأهواز مدينتين، سمى أحدهما باسم الله تعالى، والأخرى باسم نفسه وجمعهما باسم واحد وهي هرمزدارشير. وسمتها العرب سوق الأهواز.

(١) ابن خردادبه ٤٢ (وسرق - وهي دورق - ونهر تيرى ومناذر الكبرى ومناذر الصغرى).

وبنى جنديسابور وكانت غيضة. فمرّ بها واكار الحرث [بحرث] أرضاً بالقرب منها. فقال له سابور: إني أريد أن أبني في هذا الموضع مدينة. فقال الاكار وكان شيخاً كبيراً وكان اسمه بيل يعجب من قول: إن جاء مني كاتباً جاء في هذا الموضع مدينة^(١). فقال شابور: والله ما يتولى بناءها والنفقة عليها غيرك. ثم أمر بحمل الشيخ، فحُمل وأمر بحلق رأسه ولحيته كي لا يشتغل عن التعليم، وضمّ إليه معلماً وأخذه بتعليمه. وأمر بقطع الخشب من الغيضة، فقطع.

ومهر الشيخ في الكتابة وحذقها وعرف جميع أمورها في سنة. فلما بلغ من ذلك غاية ما يحتاج إليه أدخله المعلم إلى سابور وعزّفه أمره وأنه قد بلغ النهاية في الكتابة. فضحك شابور وقال له: يا بيل! تعلمت الكتابة؟ قال: نعم. قال: اذهب. فقد قلدتك نفقات المدينة. وأمره أن يقوم على القلعة. فبنى جنديسابور.

فلما فرغ منها، نظر إلى بعض جوانبها يكره عليه من السيل. فنقضه وبناءه بالأجر والكلس وبنى باقيها باللبن. فأهل الأهواز يسمون جنديسابور بيلاباد. باسم الشيخ الذي تولى بناءها والنفقة عليها.

وفي ملك سابور بن اردشير ظهر ماني [٨٦ ب] صاحب الزنادقة. فدعا شابور إلى مذهبه فما زال يسوّفه ويماطله حتى استخرج ما عنده فوجده داعية للشيطان. فأمر به فسلخ جلده وحشي تبناً وعُلّق على باب مدينة جنديسابور. فالباب إلى الساعة يسمى باب الماني. والزنادقة تحج إليه وتعظم ذلك الموضع.

ويقال إن معنى نيسابور وسابور خواست وجنديسابور، إن أصحاب نيسابور لما فقدوه لقول المنجمين له أنك تشقى سبع سنين، خرج هارباً يسبح في الأرض. وخرج أصحابه يطلبونه فبلغوا نيسابور فطلبوه هناك فلم يجدوه فقالوا: ليست سابور أي ليس سابور. ثم وقع إلى سابور خواست فقالوا: سابور خواست. أي طلب سابور هناك. ثم وقعوا عليه بجنديسابور فقالوا: وندذ سابور أي وجد الملك. وبنى اردشير مدينة سوق الأهواز.

(١) كذا وردت العبارة في الأصل.

قال الهيثم بن عدي: اردشير خوره حفر المسرقان ودجيل وأنهار خوزستان السبع وهي سُرَق ورامهرمز من سوق الأهواز والشوش وجنديسابور ومناذر ونهر تيرى.

ويقال: لا بناء بالحجارة ولا أبهى من شاذروان تستر، لأنه بالصخر وأعمدة الحديد وملاط الرصاص.

ومخرج دجيل الأهواز من أرض إصبهان ويصب في بحر الشرقي.

وقالوا: من أقام بالأهواز حولاً ثم تفقد عقله وجد النقصان فيه بيتاً. فأما قصبة الأهواز فنقلت كل من نزلها من بني هاشم وأشراف الناس إلى طبيعتها. ولا بدّ للهاشمي قبيح الوجه كان أم حسناً من أن يكون لوجهه وشمائله طبع به من جميع قريش وجميع العرب. فلقد كادت الأهواز أن تنقل ذلك وتبدله ولقد تحيقت^(١). وأدخلت الضيم عليه وبيت أثرها عليه. فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس؟

ولفساد عقولهم ولؤم طبع بلادهم، لا تراهم مع تلك الأموال الكثيرة والضياع النفيسة يحبون من البنين والبنات ما يحبه أوساط أهل الأمصار في الثروة واليسار، وإن طال ذلك والعمال منبهة كما يعلم الناس.

وقد يكتسب الرجل من غيرهم [٨٧ أ] المويل اليسير فلا يرضى لولده [حتى يفرض] له المؤدبين والحرص له على الأدب بالخطر النفس فيما يقدر عليه. والخوزي بخلاف ذلك كله. فإنه إذا ترعرع ولده وكبر وعقل شغله بالغبية وأبلاه بالأسفار والكسب. فهو من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى أخرى. وليست في الأرض صناعة مذكورة ولا أدب شريف ولا مذهب محمود لهم في شيء منه نصيب وإن خسؤ وقل ودق وجل. ولم ير فيها وجنة حمراء لصبي ولا صبية ولا دماً ظاهراً ولا قريباً [من ذلك] وهي فتالة للغرباء وعلى أن حمتها خاصة ليست إلى الغريب بأسرع

(١) في الأصل: لحقيقة ولا معنى لها. وفي الحيوان تحيقت (بالخاء) والصواب ما أثبتناه. وفي أساس البلاغة (تحيقت الشيء: أخذت من حافته وتنقصته. وتحيفتهم السنة).

منها إلى القريب. ووباؤها وحماتها في وقت انكشاف الوباء ونزوع الحمى من جميع [البلدان]. وكل محموم في الأرض فإن حماتها لا تنزع عنه ولا تفارقه وفي بدنه منها بقية. فإذا نزعته فقد وجد في نفسه منها البراءة إلى أن تعود بما يجتمع في بدنه من الأخلاط الرديئة. وليست كذلك الأهواز، لأنها تعاود من نزعته عنه من غير حدث لأنهم ليس يؤتون من قبل التخمر وللإكثار من الأكل وإنما يؤتون من عين البلدة. وكذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعي في جبلها الطاعن^(١) في منازلها المطل عليها والجرارات في بيوتها ومقابرها. ولو كان في العالم شيء هو شر من الأفاعي والجرارات لما قصرت قصبة الأهواز عن توليده وتلقيحه. ومن بليتها أن من ورائها سبخاً ومنافع مياه غليظة وفيها أنهار تشقها مسابيل كنفهم ومياه أمطارهم ومتوضأتهم. فإذا طلعت الشمس فطال مقامها وطالت مقابلتها لذلك الجبل قبل بالصخرية التي فيه تلك الجرارات. فإذا امتلأت ببساً وحرّاً وعادت جمرة واحدة، قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السبخ والآنهار. فإذا التقى عليهم ما انجر من تلك السبخ وما قذفه ذلك الجبل، ففسد الهواء، ففسد بفساده كل شيء يشتمل عليه ذلك الهواء.

مركز تحقيق تكوير علوم اسلامی

وخبر إبراهيم بن العباس بن محمد^(٢) عن مشيخة من أهل الأهواز عن القوابل انهن ربما قبلن الطفل المولود فيجدنه في تلك الساعة محموماً [٨٧ ب] يعرفون ذلك ويتحدثون به^(٣).

ولقد أخبرني به زيد بن محمد وكان صدوقاً وكان أقام بالأهواز حولاً وحري

(١) في الأصل: الطاعي ولا معنى له. والطاعن أي الداخل (لسان العرب) إذ أراد القول إن منازل الأهواز داخلية في جبلها. ومن الممكن أن تكون الطاعن وهو نفس المعنى. وقد مر بنا آنفاً أن بيت الإمام علي كان طاعناً في مسجد رسول الله (ﷺ).

(٢) هو الصولي (ابن النديم ١٣٦ وابن خلكان ١: ٤٤) وقد نقل معلومة الحمى التي في الأطفال، ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٢٢٠.

(٣) إلى هنا يتوقف ابن الفقيه عن النقل من حيوان الجاحظ ٤: ١٤٠ - ١٤٣ الذي بدأ من قوله (فأما قصبة الأهواز فنقلت . . .).

شدة حرّها وكثرة هوامها وحياتها وجراراتها بأمر فضيع^(١). ثم قال: وكيف لا يكون كذلك وطعام أهلها الأرض وهم يخبزون في كل يوم. فيُقدّر أنه يُسَجَّر بها في كل يوم خمسون ألف تنور. فما ظنك ببلد إذا اجتمع فيه حرّ الهواء ويخار هذه النيران؟ وحلف بالله عزّ وجلّ أنه عزم مراراً أن يغرق نفسه في المسرقان لما كان يلقي من الكرب وشدة الحرّ والسموم.

ويقول أهل الأهواز إن جبلهم إنما هو من غُثاء الطوفان تحجّر. وهو حجر يثبت ويزيد في كل وقت.

قالوا: ولنا السكر وأنواع التمر. وهم أحذق الأمة في إيجاد أنواع السكر. ولهم الخزّ السوسي والديباج التستري. وكل طيب يحمل إلى الأهواز فإنه يستحيل وتذهب رائحته ويبطل حتى لا ينتفع منه بكثير شيء.

والأهواز افتتحها أبو موسى الأشعري في ولاية عمر بن الخطاب رضي [الله] عنهما. وآخر مدينة افتتحت من الأهواز السوس. فلما افتتحها وأخذ المدينة وسبى الذرية وظفر بالخزائن. فبينما هو يحصي ما فيها كان في قلعتها نحو من ثلاثمائة خزانة. فرأى خزانة منها وعليها ستر عليه الدهن. فأمر خزان القلعة أن يفتحوه. فجعلوا يبكون ويحلفون أنه ليس فيه شيء من الذهب والفضة. فجعل أبو موسى لا يزيده ذلك إلا حرصاً على فتحه، حتى همّ بكسر الباب. فلما رأى الخزان ذلك قالوا له نحن نصدقك عما فيه. قال: قولوا. قالوا: فيه جسد دانيال. قال: وكيف علمتم ذلك؟ قالوا: أصابنا القحط سبع سنين متوالية حتى أشرفنا على الهلاك. وكان هذا الجسد عندنا وقوم من النصارى يستسقون به إذا أجذبوا. فيسقون ويخصبون. فأتيناهم وطلبنا إليهم أن يعيروننا فأبوا علينا فرهناهم خمسين أهل بيت منا على أن نستسقي به في عامنا ذلك ونرده. فدفعوه إلينا. فلما امتسقينا به سُقينا وأخصبنا فتعلقنا به وحبسناه عن أصحابه ورغبنا فيه فهو عندنا نستسقي به في الجذب. فأمر أبو موسى بفتح الباب. فإذا في البيت سرير عليه رجل ميت واضع

(١) في الأصل: قطيع.

[٨٨ أ] مرفقه على ركبته اليمنى، فكتب إلى عمر يعلمه فتح المدينة ويقص عليه خبر دانيال عليه السلام، فسأل عمر رضي الله عنه من بحضرته من المسلمين فأخبروه أنه نبي وأن بخت نصر لما غزا بيت المقدس وسبى أهله، كان دانيال ممن سبى، ونقل إلى أرض بابل فلم يزل بها حتى مات. فكتب عمر إلى أبي موسى يخبره بالذي انتهى إليه من أمره وأمره بأن يحنطه ويكفنه ويدفنه من غير أن يغسله. ويكون دفنه إياه في جوف الليل حتى يكون الله تعالى هو الذي يبعثه كما يبعث خلقه. فلما انتهى إليه كتاب عمر إلى أبي موسى، عمد إلى نهر من أنهار السوس فأمر بسكره فسكر، ثم حفر لدانيال في جوف النهر ثم عمد إليه فحنطه وكفنه وحمله وأربعة من المسلمين في جوف الليل فقبه في ذلك النهر ثم أجرى عليه الماء فلم يعلم أحد موضع قبره إلى يومنا هذا.

ويقال إنه أخذ خاتماً كان في أصبعه وكذلك يقال أيضاً إنه وجد معه كتب فيها أخبار الملاحم وما يكون من الفتن وانها صارت إلى كعب الأحبار.

وعسكر مكرم: نسبت إلى مكرم بن [معز الحارث]^(١) أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير. وكان الحجاج بن يوسف وجه المحاربة خوزاد بن بارس حين عصى ولحق بالإيدج وتحصن في قلعة تعرف به. فلما طال عليه الحصار نزل مستخفياً ليلحق بعبد الملك بن مروان. فظفر به مكرم ومعه درتان في قلنسوته. فأخذه وبعث به إلى الحجاج. وكانت هناك قرية قديمة فيها مكرم. ولم يزل يبيي ويزيد حتى جعلها مدينة وسماها عسكر مكرم.

وقال الثوري: الأهواز تسمى بالفارسية هوز مسير. وإنما كان اسمها الأخواز فغيرها الناس فقالوا الأهواز. وأنشد لأعرابي:

لا ترجعني إلى الأخواز ثانية وقمعان الذي في جانب السوق
ونهر بَط الذي أمسى يؤرقني فيه البعوض بلسب غير تشفيقي

(١) بياض في الأصل وأكملناه من ياقوت (عسكر مكرم) وقصة حصار خوزاد هذا موجودة في فتوح البلدان ٣٧٦ وفيه (مكرم بن الفرز).

ونهر بط كان عنده مراح للبط فقالت العامة نهر بط، كما قالوا دار بطبخ.
وقالوا: بل كان يسمى نهر نبط. وذلك انه كان لامرأة نبطية فخفف وقيل نهر
بط^(١).

وأهل الأهواز ألأم الناس وأبخلهم. وهم أصبر خلق على الغربة والتنقل في
البلدان. وحسبك أنك لا تدخل بلداً من سائر البلدان ولا إقليماً من جميع الأقاليم
إلا وجدت في تلك المدينة صنفاً من الخوز لشحهم وحرصهم على جمع المال.

وذكر الأصمعي قال: الخوز هم الفعلة وهم الذين بنوا الصرح واسمهم
مشتق من الخنزير. ذهب إلى أن اسمه بالفارسية خو، فجعلته العرب خوز وإلى
هذا ذهبوا.

وقال آخرون: معنى قولهم خوزي أي زعيمهم زي الخنزير. وروى أبو خيرة
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ليس في ولد آدم شر من الخوز ولم يكن
منهم نبي قط ولا نجيب.

وقال عبد الله بن سلام: خلق الله الخيل عشرة أجزاء تسعة في الخوز وجزء
في سائر الخلق.

وقال علي رضي الله عنه فيما روي عنه: على مقدمة الدجال رجل خوزي
يقال له مهران.

وقال عمر رضي الله عنه: إن عشت إلى قابل لأبيعن الخوز ولأجعلن أثمانهم
في بيت المال.

وفي خبر آخر: من كان جاره خوزياً واحتاج إلى ثمنه، فليبعه.

وكتب كسرى إلى بعض عماله: ان ابعت إلي بشر طعام مع شر الناس على

(١) هذا المقطع في فتح البلدان ٣٧٦ وفيه أن النهر لامرأة تسمى البطنة فنسب إليها.
أما الشعر الذي أورده قبل هذا المقطع فهو في البلاذري أيضاً مع بيت ثالث ٣٧٦. وما سبأتي
من قول الأصمعي في الخوز فهو في الحيوان ٤ : ٦٨.

شر الدواب . فبعث إليه برأس سمكة مألحة مع خوزي على حمار .

وقال أبو وائل : كخرجنا مع ابن مسعود إلى قرية بالقادسية فجاءه رجل من الأنباط في حاجة . فالتفت عبد الله إلى أصحابه فقال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : تاركوا الترك ما تركوكم ولا تجاوروا الأنباط في بلادهم ، وإذا رأيتموهم قد أظهروا إسلامهم وقرأوا القرآن وتمكنوا في المربع واحتبوا في المجالس وراجعوا الرجال في كلامهم ، فالهرب الهرب . ولا تناكحوا الخوز فإن لهم أعراقاً تدعوا إلى غير الوفاء .



مركز بحوث التاريخ الإسلامي

القول في فارس

حدثنا أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل، حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا بشر بن محمد بن أبان عن داود بن المخير عن الصلت [٨٩] بن دينار عن عبد الله بن أبي مليكة قال: قال رسول الله (ﷺ): أهل فارس عصبتنا وبيروى عن أنس بن مالك قال: إن الله خير بين خلقه، فخيرته من العرب قریش وخيرته من العجم فارس.

وبيروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: أسعد الناس بالإسلام أهل فارس. وأشقى العرب به بهراء وتغلب.

مركز تحقيقات كوفية بيروت

وقال ابن لهيعة: فارس والروم قریش العجم.

وقال في قوله عز وجل ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس﴾. قال: الناس إذ ذاك فارس والروم. وفي قوله ﴿يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ قال: فارس.

ولما هدم ابن الزبير البيت، قال اطلبوا من العرب من بينه. فلم يجدوا. فقال استعينوا بأهل فارس فإنهم ولد إبراهيم. ولن يرفع البيت إلا ولد إبراهيم.

وقال رسول الله (ﷺ): أبعد الناس من الإسلام الروم، ولو كان معلقاً بالشرية لتناولته فارس. يعني الإسلام.

[قال وذكر النبي (ﷺ) كسرى أنوشروان فقال: ويل أمه، ما أعمق سلمه لو كان مسلماً.]

وروي عن ابن عباس في قول الله عز وجل «ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد» قال: أهل فارس.

وقال عليه السلام: لا تسبوا فارس فإنهم عصبتنا. وقال (عليه السلام): إن لله جنداً في أهل فارس إذا غضب على قوم انتقم بهم^(١).

وقال الشعبي: أول من استنبط الأنهار العظام أنوشروان ومادة الملك واستصلح الرعية بعده مثله.

وكان أنوشروان إذا أقرض، يقدم الفارسي على رجلين من الديلم وعلى خمسة من الترك وعلى عشرة من الروم وعلى خمسة عشر من العرب وعلى الثلاثين من الهند. لأنهم كانوا أشجع ممن ذكرنا قلوباً وأعزهم نفراً وأعظمهم ملكاً وأكثرهم عدداً وأوسعهم بلداً وأخصبهم جناباً وأشدهم قلوباً وأرجحهم عقولاً وأحسنهم تدبيراً وأصحهم جواباً وأطلقهم السنأ.

وقال أبو البختري: بلغنا أن إسحاق بن إبراهيم ولد ابنأ يقال له نفيس: فولد لنفيس، العيص، قبائل من فارس منهم أهل اصطخر وشابور وأردشير. والدليل على ذلك قول جرير:

منابر ملك كلها مضرية يصلي علينا من أعرناه منبرا
وابناء إسحاق اللبوث إذا ارتدوا [حمائل موت لابسين السنورا]^(٢)
إذا انتسبوا عدوا الصبيد منهم وكسرى، وعدوا الهرمزان وقيصرا

وكان إدريس بن عمران يقول: أهل اصطخر أكرم الناس احساباً، ملوك أبناء الأنبياء.

وقال أردشير [٨٩ ب]: الأرض أربعة أجزاء، فجزء منها أرض الترك ما بين مغارب الهند إلى مشارق الروم. وجزء منها أرض المغرب، ما بين مغارب الروم

(١) ما بين العبادتين موجود في مختصر البلدان فقط.

(٢) بياض في الأصل أكملناه من ابن الأثير ١: ١٦٤.

إلى القبط والبرابر. وجزء منها أرض كور السواد، ما بين البرابر إلى الهند. والجزء الرابع هذه الأرض التي تنسب إلى فارس ما بين نهر بلخ إلى منقطع آذربيجان وأرمينية الفارسية إلى الفرات. ثم برية العرب إلى عمان ومكران وإلى كابل وطخارستان. فكان هذا الجزء صفوة الأرض. وهو من الأرضين بمنزلة الرأس والسرة والسنام والبطن. أما الرأس، فإن ملوك أقطار الأرض مذ كان ابرج بن افريدون، كانت دائنة لملوكنا يسمونهم أملاك الأرض ويهدون لهم صفايا ما في أرضهم.

وأما السرة، فإن أرضنا وضعت من الأرضين موضع السرة من الجسد في البسطة والكرم وفيما جمع لنا مما نرثسهم به. فأعطينا فروسية الترك وفطنة الهند وصناعة الروم، وأعطينا في كل شيء من ذلك الزيادة على ما أعطوا، وأصفيانا ما حرموا بأدب الدين في أدب الملك. وأعطينا إلى مسام سيماء مشرعة في صورنا وألواننا وشعورنا كما شوهت سائر الأمم بصنوف الشهرة من لون السواد وشدة الجمودة والسبوضة وصغر العيون وقلة اللحم. فأعطينا الأوساط من المحاسن والشعور والألوان والصور والأجسام.

وأما السنام، فإن أرضنا على صغرها عند بقية الأرضين هي أكثر منافع والين عيشاً من جميع ما سواها.

وأما البطن، فإن الأرضين كلها تجلب إليها منافعها من علمها ورفقها وأطعمتها وأدويتها وأمتعتها وعطرها كما تجبى الأطعمة والأشربة إلى البطن.

وقال الواقدي: شاور عمر بن الخطاب رضي الله عنه الهرمزان في فارس وإصبهان وآذربيجان. فقال الهرمزان: إن إصبهان وآذربيجان الجناحان. فإن قطعت الجناحين، بقي الرأس. وإن قطعت الرأس وقع الجناحان، فابداً بالرأس.

وكان أول من جمع فارس وملكها، أردشير بن بابك بن ساسان. وهو أحد ملوك الطوائف وكان على اصطخر، وهو من أولاد [٩٠ أ] الملوك المتقدمين قبل ملوك الطوائف. فرأى أنه وارث ملكهم فكتب إلى من بقربه من ملوك فارس ومن

نأى عنه من ملوك الطوائف يخبرهم بالذي أجمع عليه من الطلب بالملك لما فيه من صلاح أمور الرعية وإقامة الدين والسنة. فمنهم من أقر له بالطاعة، ومنهم من لم يقر له حتى قدم عليه، ومنهم من عصاه فصار عاقبة أمره إلى القتل والهلاك. حتى استوسق له ملكه. وهو الذي افتتح الحضرة. وكان ملك السواد متحصناً فيه وكانت العرب تسميه الساطرون. وفيه يقول أبو داود:

وأرى الموت قد تدلى من الحضرة على رب أهله الساطرون
وقد أتينا بخبره فيما تقدم.

وهو أول من وضع السكك وحذف أذنان دواب البرد وبنى مدينة جور بفارس وكان موضعها صحراء. فمر بها أردشير فأمر ببنائها وسماها أردشير خرة. وسمتها العرب جور. وهي مبنية على صورة دارابجرد. ونصب فيها بيت نار.

وبنى مدينة رام أردشير وبهمن أردشير خرة وهي فرات البصرة. واستاراباذ وهي كرخ ميسان وهي من كور دجلة. ومدينة سوق الأهواز. وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر.

وقالوا: سموا فارس بفارس بن طهومرث وهو الذي تنسب الفرس إليه، لأنهم من ولده. وكان ملكاً عادلاً متحنناً محتاطاً على أهل عصره. وكان له عشرة بنين منهم: جَمْ وشيراز واصطخر وفسا وجَنَابَا وكسكر وكَلَوَاذِي وقرقيسيا وعقرقوف [ودارابجرد]. فأقطع كل واحد منهم البلد الذي سمي به ونُسب إليه. وإنما كانوا قبل ذلك يسكنون الخيام. ويقال إن ملكه كان ثلاثمائة سنة.

ومن مدينة سوق الأهواز إلى مدينة أَرَجَان أول عمل فارس من هذا الوجه واحد وثلاثون فرسخاً. وأرجان بناها قباد بن فيروز لأنه لما استرجع الملك من أخيه جاماسف غزا الروم فافتتح مدينتين من مدن الجزيرة مما كانت في أيدي الروم تدعى واحدة آمد والأخرى ميافارقين. وأمر فبنيت فيما بين حد فارس والأهواز مدينة وسماها ابرقباد، وهي التي تسمى أرجان. وأسكن فيها سبي [٩٠ ب] همدان

وكورها كورة وضم إليها رساتيقها من كور رام هرمز وكورة سابور وكورة اردشير خرة وكورة إصبهان .

وبنى أيضاً مدينة حلوان مما يلي الماهات . وبنى مدينة يقال لها قباد خرة .

وكور أيضاً كورة أخرى بأرض ميسان وسماها شادقباد، وهي التي تسمى أستان العالي . ووضع لها أربعة طساسيج : طسوج فيروز شابور وهي الأنبار وكان منها هيت وعانات فأفردها يزيد بن معاوية^(١) في أيامه إلى الجزيرة . وطسوج بادوريا وطسوج قطربل وطسوج مسكن .

وكور أيضاً كورة بهقباد الأعلى ووضع لها ستة طساسيج : طسوجي النهرين وطسوج عين التمر والفلوجتين العليا والسفلى وطسوجي بابل وخطرنية .

وكور أيضاً بهقباد الأوسط ووضع لها أربعة طساسيج : طسوج سورا . وطسوج باروسما والجبه والبداة . وطسوج نهر الملك .

وكور أيضاً بهقباد الأسفل ووضع لها خمسة طساسيج : فرات بادقلى والسيلحين . وطسوج الحيرة وطسوج تيسر وطسوج هرمز جرد .

وفرق كورة إصبهان على شقين : شق جي وشق التيمرة .

وأمر فبنيت مدينة شهرزور وهي بأرض به . وفيما بين جرجان وإيران شهر مدينة أسماها شهر قباد .

وبأرجان قنطرة كسروية طويلة أكثر من ثلاثمائة ذراع مبنية بالحجارة على وادي أرجان .

قال : وأخبرني محمد بن أحمد الأصبهاني قال : بأرجان كهف في جبل ينبع منه ماء يشبه بالعرق من حجارتها فيكون منه هذا المومياي الأبيض الجيد . وعلى هذا الكهف باب حديد وحَفَظَة ويغلق ويختم بخاتم السلطان وقاضي البلد إلى يوم من السنة يفتح فيه . ويجتمع القاضي وشيوخ البلد حتى يفتح بحضرتهم ويدخل إليه

(١) لدئى ياقوت (فيروز سابور) : معاوية بن أبي سفيان .

رجل عريان ثقة. فيجتمع ما قد اجتمع من المومياي ويجعله في قارورة، ويكون مقدار ذلك مائة مثقال أو دونها. ثم يخرج ويختتم الباب بعد قفله إلى السنة الأخرى. وبوجه بما يجتمع منه إلى السلطان. وخاصيته لكل كسر أو صدع في العظم. يسقى الإنسان الذي انكسر شيء من عظامه مثل العدسة فينحط أول ما يشربه [٩١ أ] إلى موضع الكسر فيجبره ويصلحه لوقته.

ومن أرجان إلى النوبندجان ستة^(١) فرسخاً. وفيها شعب بوان الموصوف بالحسن والنزاهة وكثرة الشجر وتدفق المياه وهو موضع من أحسن ما يعرف. فيه شجر الجوز والزيتون وجميع الفواكه النابتة في الصخر. وروي عن المبرد أنه قال: قرأت على شجرة في شعب بوان هذه الأبيات:

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة
على شعب بوان أفاق من الكرب
والهاء بطن كالحريرة مئة
ومطرّد يجري من البارد العذب
وطيب ثمار في رياض أريضة
على قُرب أغصان جناها على قُرب
فبالله يا ربح الجنوب تحملي
إلى أرض بغداد سلام فتى صب
وإذا أسفل منه مكتوب:

ليت شعري عن الذين تركنا
خلقنا بالعراق هل يذكروننا
أم لعل المدى تطاول حتى
قدم العهد بعدنا فنسوننا
وذكر بعض أهل الأدب أنه قرأ على شجرة دلب تظل عيناً حسنة بشعب بوان هذه الأبيات:

متى تبغني في شعب بوان تلقني
لدى العين مشدود الركاب إلى الدلب
وأعطي وإخواني الفتوة حقها
بما شئت من جيد وما شئت من لغب
يسدير علينا الكاس من لو رأيت
بعينك ما لمت المحب على الحب

(١) في الأصل: وعشرين.

وكتب أحمد بن الضحاك الفلكي^(١) إلى صديق يصف شعب بوان: كتبتُ إليك من شعب بوان وله عندي يد بيضاء مذكورة، ومنة غراء مشهورة بما أولانيه من منظر أعدى على الأحزان، وأقال من صروف الزمان. وسرح طرفي في جداول تطرد بماء معين منسكب، أرق من دموع العشاق، حررتها لوعة الفراق. وأبرد من ثغور الأحباب، عند الالتثام. كأنها حين [٩١ ب] جرى أذيها يترقرق، وتدافع تيارها يتدفق. وارتجح حبابها يتكسر في خلال زهر ورياض ترتو بعندق تولد قصب لجين في صفائح عقيان، وسموط درّ بين زبرجد ومرجان. أثر على حكمة صانعه شهيد، وعلم على لطف خالقه دليل. إلى ظل سجسج أحوى، وخضل ألمى. قد غنت عليه أغصان فينانة وقُضِب غيدانة. تشورت لها القدود المهفهفة خجلاً، وتقيلتها الخصور المرهقة تشبهاً. يستقيدها النسيم فتنقاد، ويعدل بها فتنعدل. فمن متورد يروق منظره، ومرنج يتهدل مشره. مشتركة فيه حمرة نضج الشمار، بنفحة نسيم النوار. وقد أقمْتُ به يوماً لخيالك منادماً ولشوقك مسامراً. وشربتُ لك تذكّاراً. وإذا تفضل الله بإتمام السلامة إلى أن أوافي شيراز، كتبتُ إليك من خبري بما تقف عليه إن شاء الله.

مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

ومن النوبندجان إلى شيراز نيف وعشرون فرسخاً.

وهي^(٢) من كورة أردشير خرة ورساتيقها: جور والخبر والصيحهكان والبرجان والكهرجان والخواروستان وكير وسينيز وسيراف والرويحان وكام فيروز وكازرون وكران وابزر وتوج.

ومن سوق الأهواز إلى الدورق في الماء ثمانية عشر فرسخاً، وعلى الظهر أربعة وعشرون فرسخاً.

(١) طبقاً للسمعاني في الأنساب ٤ : ٣٩٩ فإن الجد الأكبر لعائلة الفلكي من همذان واسمه أبو بكر أحمد بن الحسن بن القاسم الحاسب الفلكي الهمداني وكان جامعاً لسائر العلوم وخاصة علم الحساب.

(٢) وهي: مدينة شيراز. والنص من هنا موجود لدى ابن خردادبه من ص ٤٤ حتى ٤٧ وهو هنا ينتهي عند (زم الحسن بن صالح يسمى السوران من شيراز على سبعة فراسخ).

كورة سابور ومدينتها النوبندجان ورسايقها: الخشن والكيمارج وكازرون
وخرّه وبندرهمان ودشت بارين والهنديجان والدرخوند وتنوك والجواندان والميدان
والمذار وماهان والجنيد والرامجان والشاهجان ومور ودادين وخمايجان السفلى
وخمايجان العليا وتيرمردان وجنجان والسياء مص وانبوران.

كورة اصطخر والمدينة ورسايقها: مدينة البيضاء وبهران وأسار وإيرج
ومائين وخبر اصطخر ونيرز وأبرقوبه والبرانجان والميان روذان والكاسكان والهزار.
ومن شيراز إلى مدينة فسا ثلاثون فرسخاً. ومن مدينة فسا إلى مدينة داربجرد
ثمانية عشر فرسخاً ورسايقها: كرم وجهرم ونيريز والفستجان والابجرد والانديان
وجويم وفرج ويارم وطسان.

كورة أرجان ورسايقها: قاش وریشهز والسلجان والبحار وفرزن^(١).
ومن شيراز إلى مدينة [٩٢] جور عشرون فرسخاً وبين شيراز وسابور
عشرون فرسخاً. وبين شيراز واصطخر اثنا عشر فرسخاً.
زموم^(٢) الأكراد بفارس وتفسير الزموم محال الأكراد. قال صاحب كتاب
المسالك والممالك وهو عبد الله بن محمد بن خرداذبه: هي أربعة زموم: زم
الحسين بن جيلويه ويسمى البازنجان، وهو من شيراز على أربعة عشر فرسخاً. وزم
ازدم بن جوانانه من شيراز على ستة وعشرين فرسخاً. وزم القاسم بن شهریار
ويسمى الكوريان، من شيراز على خمسين فرسخاً. وزم الحسين بن صالح يسمى
السوران من شيراز على سبعة فراسخ.

وقال المدائني: كانت اصطخر تجبى ستة عشر ألف ألف درهم. وسابور

(١) كذا في الأصل ولدى ابن خرداذبه ٤٧: والملجان وفرزك.

(٢) في الأصل: زم ورموم. وفي المختصر زم وزموم وهو الصواب وفي ياقوت بالراء أيضاً
وكذلك في فارس نامه (١٦٨، ١٣٧). وفي مفاتيح العلوم ١٢٣ (زموم الأكراد: محالهم،
واحداهم).

أربعة عشر ألف ألف درهم. وأردشير خرة ثمانية عشر ألف ألف درهم. ودارابجرد ثمانية عشر ألف ألف درهم.

وكانت أرجان بعضها إلى إصبهان وبعضها إلى اصطخر وبعضها إلى رام هرمز. فصيرت في الإسلام كورة واحدة.

فصارت فارس خمس كور وهي اصطخر وشابور وأردشيرخره ودارابجرد وفسا وأرجان. وفارس مائة وخمسون في فرسخاً في مثلها.

وافتححت عنوة على بدي أبي موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص رضي الله عنهما.

ويقال إن نمرود إبراهيم عليه السلام من اصطخر. ويقال بل كان من قرية يقال لها أبرقويه.

وخراج فارس ثلاثة وثلاثون ألف ألف درهم بالكفاية. وذكر الفضل بن مروان^(١) أنه قبلها بخمسة وثلاثين ألف ألف درهم بالكفاية على أنه لا مؤونة على السلطان. وجباها الحجاج بن يوسف والأهواز ثمانية عشر ألف ألف درهم. وكان عمرو بن الليث يجبي من خراجها إحدى وثلاثين ألف ألف درهم، ومن ضياعها تسعة عشر ألف ألف درهم، فجميعه خمسون ألف ألف درهم. ويحمل إلى السلطان في كل سنة خمسة عشر ألف ألف درهم. وجباها الناصر في سنة ثمان وسبعين ومائتين ستين ألف ألف درهم. وكانت الفرس قسطن على كور فارس أربعين ألف ألف مثاقيل.

(١) قال ابن خردادبه ٤٨ (وخبرني الفضل بن مروان أنه قبلها . . .) والفضل هو وزير المعتصم، وقد بلغ حداً في وزارته (ان صار صاحب الخلافة وصارت الدواوين كلها تحت يديه، وكثر الأموال) ثم إن المعتصم غضب عليه وحسبه وصادره (الطبري ٩ : ١٨ - ٢١). ثم ولي ديوان الخراج على عهد المتوكل وعزل عنه عام ٢٣٣ هـ (الطبري ٩ : ١٦٢) ويبدو أنه أعيد إلى هذا المنصب في عهد المستعين، إذ أنه عُزل عنه عام ٢٤٩ (الطبري ٩ : ٢٦٤). توفي عام ٢٥٠ هـ (ابن الأثير ٧ : ١٣٥).

ومن المعجائب بفارس شجرة تفاح بشيراز، نصف التفاحة حلو في نهاية
الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة. وليس بفارس كلها من هذا النوع إلا
هذه الشجرة الواحدة.

ولهم سابور وفيها الأدهان الكثيرة ومن [٩٢ ب] دخلها لم يزل يشم ريحاً
طيبة حتى يخرج منها، وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبساتينها.

ولهم جور وبها يعمل الماورد الجوري وهو النهاية من الماورد.

ولهم الثياب السينيزية^(١) والجنابية والنوزية والسابورية. وهم أحلق الناس
باتخاذ المرايا والمجامع وغير ذلك من الآلات الحديد.

وقال الأصمعي: حشوش الدنيا ثلاثة: عمان والأبلة وسيراف.



مركز تجميع الكتب والوثائق
بمكة المكرمة

(١) في الأصل: السينزية. والصواب ما أثبتناه. وسينيز من كور بلاد فارس (أحسن التقاسيم
٣٢٦ ط بيروت) قال ابن البلخي ١٤٩ إنها مدينة على ساحل البحر فيها قلعة، تقع بين
مهرويان وجنابا، تنسج فيها الثياب الكتان يقال للرقيق منها السينيزي.

القول في كرمان

قال ابن الكلبي: سميت كرمان بكرمان بن فلوج من بني ليطي بن يافث بن نوح عليه السلام. ويقال إن بعض ملوك الفرس أخذ قوماً فلاسفة^(١) فحبسهم وقال: لا يدخل إليكم إلا الخبز وحده وخبروهم في إدام واحد. فاخترتوا الأترج. فقليل لهم: كيف اخترتم الأترج دون غيره؟ قالوا: لأن قشره الظاهر طيب فنشمه. وأما داخله ففاكهة. وأما حماضه فأدم، وأما حبه فدهن. فأمر بهم فاسكنوا كرمان. وكان ماؤها لا يخرج إلا على خمسين ذراعاً. فهندسوه حتى أظهروه على وجه الأرض. ثم غرسوا بها الأشجار فالتفت كرمان كلها بالشجر. فعرف الملك ذلك فقال: اسكنوهم الجبال فاسكنوها، فعملوا القوارات وأظهروا الماء على رؤوس الجبال فقال الملك: اسكنوهم. فعملوا في السجن الكيمياء. وقالوا: هذا علم لا نخرجه إلى أحد. وعملوا منه ما علموا أنه يكفيهم مدة أعمارهم ثم أحرقوا كتبهم وانقطع علم الكيمياء.

وقال بعض علماء الفرس: كانت الأكاسرة تجبي السواد مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم سوى ثلاثين ألف ألف من الوضائع لموائد الملوك. وكانوا يجبون فارس أربعين ألف ألف. وكانوا يجبون كرمان ستين ألف ألف لسعتها. وهي ثمانون ومائة فرسخ في مثلها. وكانت كلها عامرة. وبلغ من عمارتها أن القناة تجري من مسيرة خمس ليال. وكانت كرمان ذات أشجار وعيون وأنهار. ومن شيراز إلى مدينة السيرجان، مدينة كرمان، أربعة وستون فرسخاً.

(١) في الأصل: فلاسفة!

وكرمان خمسة وأربعون منبراً صغيراً وكباراً. ومن مدنها: القفص والبارز والمراح^(١) والبلوص [٩٣] وجيرفت - وهي من أعظم مدنها - والسيرجان وبها تنزل الولاة، وهزوركنند ولافت وهي الرباط وقلعة بني عبد الله. إلا أن قصبتي البلد جيرفت والسيرجان.

قال: وبكرمان مدينة يقال لها دمندان، وهي مدينة كبيرة واسعة وبها أكثر معادن كرمان، بها معادن الحديد والنحاس والذهب والفضة والنوشادر والصفير ومعدنه بجبل يقال له دنباوند، مرتفع شاهق، ارتفاعه ثلاثة فراسخ. وهذا الجبل بالقرب من مدينة يقال لها خواش. على سبعة فراسخ من المدينة. وفي هذا الجبل كهف عظيم يُسمع من داخله دويٌّ وخرير مثل خرير الماء، ويرتفع منه بخار مثل الدخان، فليتنصق حواليه. فإذا كثف وكثر، خرج إليه أهل تلك الناحية، فيقلع في كل شهر أو شهرين. وقد وكل السلطان به قوماً، حتى إذا اجتمع سائره أخذ السلطان منه الخمس وأخذ أهل البلد باقيه فاقسموه بينهم على سهام قد تراضوا [بها] فهو النوشادر الذي يحمل إلى سائر الآفاق.

وبها مدينة يقال لها خبيص، لم تمطر داخلها قط وتمطر خارجها. فربما أخرج الإنسان يده من السور فيصيبها المطر ولا تقطر داخلها قطرة.

وبها خشب لا تحرقه الناس، يلقي فيها ويترك الوقت الطويل ثم يخرج منها وهو صحيح ما احترق. والنصارى يسمونه الخشب ويؤمنون أنه من الخشب الذي صلب عليه - بقولهم - المسيح عليه السلام. وكان مع بعض الرهبان صليب من هذا الخشب، فافتنى به خلقاً من الناس، وذلك أنه كان يلقيه في النار ساعات من النهار ثم يخرجها عنها ولم تعمل فيه شيئاً. فلم يزل على ذلك حتى فطن له رجل من أهل هذه المدينة. فأتى بقطعة خشبة كانت معه ففعل بها كفعل الراهب فبطل ما كان يمحرق.

وقال المأمون: لو أخذ الطحلب فجفف في الظل وطرح في النار لم يحترق.

(١) ابن خردادبه ٤٩: المراح.

وطائر يعرف بالسمندل^(١) يدخل النار فيتمرغ فيها ثم يخرج منها كما دخل لم تحترق من ريشه ولا واحدة. وذكر طعياث الحكيم في كتاب الحيوان: إن بالشرق طائراً يقال له بنجس في مدينة يقال لها مدينة الشمس وليس له أنثى ولا شكل يشبهه. وأهل تلك المدينة يعبدون الشمس ويسجدون [٩٣ ب] لها عند طلوعها. وتسمى المدينة اغفظوس. وهذا الطائر يكون بها ويعرف في غيرها. فإذا أراد الله بإذنه فيجمع بمنقاره شيئاً كثيراً من عيدان الدارصيني. ثم لا يزال يضرب تلك العيدان بجناحيه مكباً على ذلك لا يفر، حتى تشتعل ناراً. فإذا علا لهبها قذف نفسه فيها حتى يحترق وتأكله النار فيصير رماداً. فإذا كان بعد أيام يعرفون عددها، تُصور من ذلك الرماد دودة كبيرة فلا تزال تكبر حتى تصبح مثل الفرخ ثم ينبت الله له جناحين^(٢) وریشاً وتعود صورة ذلك الطائر لا يغادر منه شيئاً. وأهل هذه المدينة يذكرون أن ذلك يكون في كل خمسمائة سنة.

وفي بعض مدن خراسان هوة عظيمة في جبل فيها نار تنقد ولا تطفأ شتاء ولا صيفاً. وفي هذه الهوة جردان كبار بيض تحترق النار في دخولها وخروجها، فإذا كانت خارجة من الهوة ونظرت إلى إنسان بادرت فتأخضت النار مخترة للهوة إلى مواضعها لا تؤذيها النار ولا تحرقها.

ومن كرمان إلى سجستان مائة وثمانون فرسخاً. ولها من المدن^(٣): زالق

(١) حيوان من الضفدعيات المذبذبة زعم القدماء أنه يدخل النار ولا يحترق. ويرى الأب الكرمللي أن العرب كانوا يطلقون لفظة السمندل وأخواتها على هذا الحيوان المسمى Salamandre وعلى الطائر المعروف بالفنقس phoenix لأنه كان يدخل النار حسب زعمهم ولا يحترق. وعلى الحجر المعروف بحجر الفتيل Asbestos، لأنه لا يحترق. انظر معجم الحيوان ٢١٣ - ٢١٤. وفي طبائع الحيوان (الورقة ١٣١ أ). (السمندل ويقال له سالامندرا: هو حيوان يتولد في معدن النوشادر، شبيه بالفار الكبير. وخاصيته أنه يدخل في النار العظيمة ويلعب ويبقى فيها إلى أن يحمر مثل الجمرة ثم يخرج إلى أن يعود إليه لونه).

(٢) في الأصل جناحان.

(٣) مدن سجستان لدى ابن خرداذبه ٥٠ وفيه: روست بدلاً من بست، وباسورد بدلاً من ناشروذ.

وكركويه وهيسوم وزرنج وبست وناشروذ والقرنين وبها أثر مربوط فرس رستم المعروف بالشديد ونهرها المعروف بالهندمند. يقول أهل سجستان أنه ينصب إليه مياه ألف نهر فلا تظهر فيه زيادة. وينشق منه ألف نهر ولا يرى فيه نقصان.

وفي شرط أهل سجستان على المسلمين أن لا يقتل من بلدهم قنفذ ولا يصاد. وذلك أن كل بيت ليس فيه قنفذ هو كثير الأفاعي. والقنافذ تأكل الأفاعي. ولولا ذلك لانت عليهم. والقنافذ بسجستان مثل التمس بمصر. فلولاها لانت الشعابين على أهل مصر.

ومن مدنها الرخج وبلاد الداور، وهي مملكة رستم الشديد ملكه إياها كيكاس.

وبين مدينة سجستان إلى مدينة هراة ثمانون فرسخاً.

ومن شيراز إلى نيسابور مائة وعشرون فرسخاً.

ومن شيراز إلى داربجرد سبعة وأربعون فرسخاً.

ومن اصطخر إلى السيرجان، مدينة كرمان تسعة وخمسون فرسخاً.

ومن كرمان إلى حدّ عمل فارس ستة عشر فرسخاً [٩٤].

ومن جيرفت إلى بم عشرون فرسخاً.

ومن جيرفت إلى أول عمل مكران واحد وأربعون فرسخاً.

ومن أول عمل مكران إلى المنصورة ومولتان السند ثلاثمائة وثمانية وخمسون فرسخاً.

ومن زرنج مدينة سجستان إلى المولتان مسيرة شهرين.

القول في الجبل

ويسمى هذا الصقع بلاد البهلويين وهي همذان وماسبندان ومهرجانقلق - وهي الصيمرة - وقم وماء البصرة وماء الكوفة وقرميسين وما يُنسب إلى الجبل . وليس منه : الري وإصبهان وقومس وطبرستان وجرجان وسجستان وكرمان ومكران وقزوين والديلم والطيلسان والبير .

القول في قرميسين :

قال أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي : لما ظفر قتيبة بن مسلم بفيروز بن كسرى يزدجرد حيث افتتح خراسان أخذ ابنته شاه آفريد^(١) ومعهما سبط مختوم فوجه بها إلى الحجاج . فحملها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك . فولدت له يزيد الناقص . وفض الحجاج السبط فإذا فيه كتاب بالفارسية . فدعا زادانفروخ بن بيري الكسكري فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله المصور ، ميز قباذ بن فيروز إقليمه ووزن المياه والترب ليبي لنفسه مدينة ينزلها فوجد أنزه بقاع إقليمه بعد أن بدأ بالعراق التي هي سرّة الأقاليم ثلاثة عشر موضعاً : المدائن والسوس وجنديسابور وتسستر وسابور وإصبهان والري وبلخ وسمرقند وباورد ويطن بنهاوند - يعني رودراور - وماسبندان ومهرجانقلق وتل ماسير .

ووجد أبرد بقاع إقليمه سبعة مواضع : قاليقلا وأردبيل وهمذان وقزوين وجوالق وخوارزم ومرو .

(١) في مختصر البلدان شاهفرند وكذلك في تاريخ قم ٩١ الذي نقل هذه الواقعة عن ابن الفقيه . إلا أن أصل مخطوط البلدان نص على ما هو أعلاه .

ووجد أوباً بقاع إقليمه ستة مواضع: البندنجين وبطن ماستون - وهو شابور خواست - وجرجان والخوار وبرذعة وزنجان.

ووجد أقحط بقاع إقليمه ثمانية مواضع: ميسان وبادرايا ودستميستان والكلتانية وباكسايا وماسبندان والري وإصبهان.

ووجد أبخل أهل إقليمه تسعة مواضع: خراسان وإصبهان وأردبيل وماسبندان وبادرايا وباكسايا واصطخر وشيراز وفسا.

وأخصب بقاع إقليمه عشرة مواضع أرمينية وآذربيجان وجور ومكران وكرمان ودستبي [٩٤ ب] وماء الكوفة وماء البصرة وأرجان ودورق.

ووجد أجمل بقاع إقليمه عشرة مواضع: الحيرة والمدائن وكلواذئ وسابور واصطخر وجنابا والري وإصبهان وقم والنشوى.

ووجد أعقل سبعة مواضع: عكبرا وقطربل وعقرقوف والري وإصبهان وماسبندان ومهرجانتقدق.

وافطن أهل إقليمه ستة مواضع: إسكاف العليا وإسكاف السفلى ونفّر وسمرّ وكسكر وعبدسي.

ووجد أحسد أهل إقليمه خمسة مواضع: جرجرايا وحلوان وسحاران^(١) وهمذان وماسبندان.

ووجد أعلم أهل إقليمه بالسلح أربعة مواضع: همذان وحلوان وإصبهان وشهرزور.

ووجد أخف مياه إقليمه عشرة مواضع: دجلة والفرات وجنديسابور وماسبندان وبلخ وسمرقند وقزوين وماسورا وهي عين بقرميسين وماء ذات المطامير وماء ملّجان قرية الثلج بماسبندان.

(١) كذا في الأصل. وفي مختصر البلدان: سحاران. ولعلها سيسجان وهي من كور أرمينية الأولى (ابن خردادبه ١٢٢).

ووجد أمكر أهل إقليمه أحد عشر موضعاً: خراسان وإصبهان والري وهمدان وأرمينية وآذربيجان وماسبندان ومهرجانتقذ ونستر والمذار وأرتوى.

ووجد أسرى فواكه إقليمه سبعة مواضع: المدائن وسابور وأرجان والري ونهاوند وماسبندان وحلوان الجبل.

ووجد أقل أهل إقليمه نظراً في العواقب أهل ثمانية مواضع: البندنجين وماسبندان ومهرجانتقذ وأردشيرخره ورامهرمز وأرمينية وآذربيجان وطخرود^(١)، قرية من قرى قم خرج منهم في وقت موافاة العرب أربعة ألف رجل مع كل رجل خادم وسائس وخباز وطباخ إلى نهاوند ليقاتلوا العرب ويمنعوهم من المقام. فقتلوا كلهم بالاسفيذهان فلم يفلت منهم إلا رجل واحد.

ووجد أسفل أهل إقليمه أهل ستة مواضع: البندنجين وبادرايا وباكسايا وبهندف وقهقور - بطن بماسبندان - وجرود - بطن بنهاوند -.

ولم يجد ما بين المدائن إلى نهر بلخ بقعة على الجادة أنزه ولا أعذب ماء ولا نسيماً من قرميسين إلى عقبة همذان. فأنشأ قرميسين [٩٥ أ] وبني لنفسه بناء معمداً على ألف كرم. فقرميسين كلمة فارسية معناها كرمانشاهان.

وبني الأكاسرة من المدائن إلى عقبة همذان وقصر شيرين مقبرة آل ساسان وبعقرفوف مقبرة الكيانيين.

ثم نقل قباذ الأشراف من فارس وخراسان وكذلك أهل الجمال والأدب والفروسية فأسكنهم حافتي دجلة وأنزل أصحاب الصناعات بطن جوخي وأنزل من كان من وجوه الناس الذين هم دون الأشراف، النهروانات.

(١) في تاريخ قم ٨٣ ورد ذكر واقعة الأربعة آلاف هؤلاء من غير إشارة إلى المصدر الذي استقى المؤلف منه.

وأنزل الحاكة والحجامين بادرايا وباكسابا، وأنزل التجار الأهواز، وأنزل
الأطباء سيري^(١) قرية بماسبندان.

فلما ميز قباذ إقليمه وعرف أهل بقاعه مسح البلاد ووقف على الحدود وعدد
الفراسخ، اختار النزول بالمدائن ليقرّب من الروم. وأخذ في بنائها. وابتدأ بعمل
قصر ليسكنه. فكان كلما رفع من حائطه شيئاً هبت ريح عظيم فتقلعه. فلما رأى
ذلك وجّه إلى بليناس المطلبم فأحضره من بلده وأمره أن يطلسم مواضع آفات
إقليمه، وقال له: ابدأ بالمدائن. وجعل له على كل طلسم بعمله أربعة ألف درهم.
فاتخذ له في موضع الإيوان مكان وسط القصر طلسماً كبيراً وجعل حوله أحد عشر
طلسماً. فأما الكبير فللريح التي كانت تقتلع الحائط فسكنت وتمّ البناء. وطلسم
للعقارب فقلّت بها. وآخر للحمي، وآخر للجرات وآخر للسباع وآخر للبراغيث
وآخر لاجتماع كلمة أهلها، وآخر ليطيع أهلها ملوكهم ما بقوا، وآخر لملوك
الأقاليم أن يهابوا ملك العراق ولا يخالفوه وآخر لتعفّ نساؤهم عن الفجور وآخر
لتزكو غلاتهم وثمارهم. وجعل على يمين كل طلسم منها وشماله وقدامه وورائه
كنزاً بينه وبينه أربعون ذراعاً. ثم طلسمها وكنوزها أن تخفى عن الناس فخفيت.

ويقال إنه ما بُني بالآجر والجص بنية أبهى ولا أجل ولا أحكم ولا أعلى سقفاً
ولا أكثر ذراعاً من إيوان كسرى بالمدائن. وفيه يقول البحري من شعر طويل:

وكان الإيوان من عجب الصنعة جرب في جنب أرضه جلس

[٩٥ ب]

مشمخر تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدر
ليس يُدرى أصنع إنسٍ لجنٍ سكنوه أم صنع جنّ لإنسٍ

قال: وأنشدني ابن الحاجب لنفسه يصف الإيوان:

إن خائنني زمن فمن هذا الذي لم تستبحه خيانة الأزمان

(١) في مختصر البلدان: السيروان.

أخنى على عاد وأهلك تبعاً
وأزال ملك الفرس بعد ثبوته
آثارهم تنبيك عن أخبارهم
هل سمعت أذنك مثل حديثهم
قصر يكاد برّد حسن بنائه
تعلو له شُرف كأن شخوصها
حقّت به كحفوف وقد أحرقوا
وكأنها في وسط كل دُجّة
أو فتية شربوا فائر فيهم
وضعوا الأكفّ على الحضور ورفّعوا
مصطفة كبسات نعش في ذرى
الفت مجاورة السموك سموكه
فكأنما بين السماك وبينه
صور من الأساد في جنباته
أسد على فرس الرجال قديمة
ومعسكران لكل حزب منهما
جيشان لو وقع التناجز منهما
لولا وقوع البأس من حركاتهم
لبسوا من الألوان أصفر فاقعاً
ومورّد في خضرة فكأنه

وسطا بقدرته على النعمان
وهوى بكسراها أنوشروان
نطقاً وليس مغيباً كعميان
أو عاينت عيناك كالإيوان؟
عند التأمل أعين العميان
بيض الحمام في ذرى الأغصان
بحريم بيت الله ذي الأركان
نار تشب لعابد الرهبان
فعل الشراب مخيلة النشوان
فوق الرؤوس أكلّة المرجان
عالي السموك موثق البنيان
وترفعت عن يذبل وأبان
شمر فمساك ينيان بتحيان
ما ان لها أجس سوى الجدران
لو انها كانت من الحيوان
رجل أمام مواقف الفرسان
لم يبق من جمعيهما رجلان
لظننت أنهما سيقنتلان
فأناء ناصع بأحمر قان
زهر تكنف حافتي بستان

[٩٦] ثم رجع بنا القول في قرميسين وذكر عجائبها.

قال أبو المنذر: طلسمات إيران شهر غير ظاهرة، وعند كل طلسم منها علامة
إما صخرة وإما تمثال. وجميع ذلك من كل طلسم على أربعين ذراعاً.

قال: ولما انتهى بليناس إلى طرازستان وعمل بإزاء القنطرة طلسماً للفرق
فسلم أهلها منه. وآخر خلف القنطرة فاستتم بناؤها. وآخر عن يمينها، فجرى الماء
الذي عندها. وآخر عن يسارها فسلمت من السحر. وعمل بالبندنجين طلسماً
للفرق فأمّنوا. وآخر للقيارة - عين القبر - حتى نضبت. لولا ذلك ما أمكن أحد أن
يشرب من الماء الذي هناك. وكذلك عمل آخر للنفاطة حتى انصرف شعب النفط
إلى جهة أخرى عن الماء.

وعمل عن يسار البندنجين طلسماً للزناير وآخر للذبة فقلت وكانت أكثر
الأرض ذبة^(١) وزناير.

وعمل بقرية من قرى ماسيندان تسمى تومان، طلسماً لأجمة كانت هناك لا
يسلكها أحد في الشتاء إلا غرق في طينها.

وعمل في هذه القرية أيضاً طلسماً لجمّة كانت هناك ماؤها شديد الحر،
كانت تظهر في الشتاء وينقطع ماؤها في الصيف. فلما طلسمها جرى ماؤها شتاء
وصيفاً ولم ينقطع في وقت من أوقات السنة.

ومن عجائب قرميسين أن الهواء لم يكن يهب فيها في الصيف ليلاً ولا نهاراً.
فشكا قباذ إلى بليناس ذلك، فعمل لها طلسماً حتى هب الهواء بها على ما يهب في
غيرها.

وطلسم أيضاً قرية بالقرب منها يقال لها كركان. وكانت تقوم بها سوق في
كل عام فيتلف فيها خلق كثير بالعقارب. فقلت للعقارب فيها وخف عن أهلها ما
كانوا يلقون منها. ويقال إنه لا يوجد منها عقرب. وإن وجد لم يضر. ومن أخذ
من ترابها وطين بها حيطان داره في أي بلد كان، لم ير في داره عقرباً. ومن أخذ
منه عند لسعة العقرب إياه وشربه، عوفي لوقته. ومن أخذ منه شيئاً وأخذ العقارب
بيده لم يخشها.

(١) في المنجد (الدباب: جمعه أذبة وذبان وذبة. ويُطلق الذباب عند العرب على الزناير
والنحل والبعوض).

ومن عجائبها وهو أحد عجائب الدنيا، صورة شبديز^(١). وهو في قرية يقال لها جانان ومصوره فنطوس بن سنمار. وسنمار هو الذي [٩٦ ب] بنى الخورنق بالكوفة. وكان سبب صورته في هذه القرية أنه كان أزكى الدواب وأعظمها خلقاً وأظهرها خلقاً وأصبرها على طول الركض. وكان ملك الهند أهدها إلى برويز الملك. فكان لا يبول ولا يروث ما دام عليه سرجه ولجامه ولا ينخر ولا يزبد. وكانت استدارة حافره ستة أشبار.

[فاتفق أن شبديز اشتكى وزادت شكواه، وعرف أبرويز ذلك وقال: لئن أخبرني أحد بموته لأقتله. فلما مات شبديز خاف صاحب خيله أن يسأله عنه فلا يجد بداً من أخباره بموته فيقتله. فجاء إلى البهلبيد مغنيه - ولم يكن فيما تقدم من الأزمان ولا ما تأخر أحذق منه بالضرب بالعود والغناء -، قالوا: كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد من قبله: فرسه شبديز وسريته شيرين ومغنيه بهلبند. وقال: اعلم أن شبديز قد نفق ومات. وقد عرفت ما أوعده به الملك من أخبره بموته، فاحتل لي حيلة ولك كذا وكذا. فوعده الحيلة.

فلما حضر بين يدي الملك غناه غناء ورعى فيه عن القصة إلى أن فطن الملك وقال له: ويحك! مات شبديز؟ فقال: الملك يقوله. فقال له: زه. ما أحسن ما تخلصت وخلصت غيرك. وجزع عليه جزعاً عظيماً^(٢). فأمر فنطوس بن سنمار بتصويره. فلما فرغ منه أعلم برويز بذلك. فجاء حتى وقف عليه ونظر إليه واستعبر باكياً عند تأمله إياه وقال: لشد ما نعى هذا التمثال إلينا أنفسنا وذكرنا ما نصير إليه من فساد حالنا. ولئن كان في الظاهر أمر من أمور الدنيا يخلو من أمور الآخرة، إن فيه لدليلاً على الإقرار بموت جسدنا وانهدام بدننا وطموس صورتنا ودرس أثرنا

(١) شبديز هو فرس الملك الفارسي كسرى أبرويز. وهو منحوت في جبل قرب الطريق الواصل بين سنندج وكرمانشاه بإيران. وفيه تحت كسرى أبرويز وهو يمتطي جواده المسمى شبديز. إضافة إلى منحوتات أخرى تشكل أهمية كبيرة في معرفة تاريخ الساسانيين.

(٢) ما بين العضادتين نقلناه عن ياقوت (شبداز) الذي قال إنه نقل هذه المادة عن ابن الفقيه. وهو غير موجود لا في مختصر البلدان ولا في النسخة الأصل، وأوردناه لأن المعنى لا يتم إلا به.

للبلبي الذي لا بد منه . مع الإقرار باليأس من البقاء الذي لا سبيل إليه أن يبقى من جمال صورتنا ومثال بدننا إلا رسماً يتجدد به من أمرنا من الباقيين بعدنا مع ما يدرس من آثارنا وذكرنا .

فمن خطر بباله هذا فلينظر إلى ما أمرنا به من هذا التمثال ، وليستيقن بدروس رسمه وذهاب بهجته وإلا فالهلاك غالب على أمره . وقد أحدث لنا وقوفنا على هذا التمثال ذكراً لما يصير إليه حالنا ، وتوهّمنا وقوف الواقفين عليه بعدنا حتى كأننا بعضهم ومشاهدون لهم أو من حضر ذلك منهم من ذكر الحالتين اللتين اختلفتا بصاحبه من الحياة وصحة البدن ونفاذ الأمر وما حار إلى ذلك محارة .

ومن عجائب هذا التمثال أنه لم ير مثل صورته صورة ولم يقف عليه أحد منذ صُور ، من أهل الفكر اللطيف والنظر الدقيق إلا استراب بصورته وعجب منها وأطال الفكر فيها . حتى لقد سمعت كثيراً من هذا الصنف يحلفون أو يقاربون اليمين أنها ليست من صنعة العباد ولا تصوير المخلوقين .

وسمعت رجلاً من كبار المعتزلة ومناظريهم^(١) يحلف بالإيمان المغلظة أنه ليس من صنعة العباد ، وإن لله عز وجل فيه بحبيشة سنوف يظهرها يوماً ما .

وسمعت بعض الفقهاء العلماء يقول [٩٧ أ] : لو أن رجلاً خرج من فرغانة القصوى وآخر من السوس الأبعد ، قاصدين إلى شبيذ حتى ينظرا إليه ما عُنفا على ذلك .

وأنت إذا فكرت في أمر صورة شبيذ هذه وجدتها كما ذكر هذا المعتزلي . فإنه إن كان من صنعة آدميين ، فقد أعطي ما لم يُعط أحد من العالمين . فأى شيء أعجب وأظرف أو أشد امتناعاً من أنه سُخرت له الحجارة كما يريد ، ففي الموضع الذي يحتاج إليه أن يكون أسود ، أسود . وفي الموضع الذي يحتاج إليه أن يكون أحمر ، أحمر . وكذلك البياض وسائر الألوان . فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقال لي أبو علي محمد بن هارون بن زياد - وكان حكيماً فيلسوفاً - وقد

(١) في الأصل : ونظار بهم .

تجارينا ذكر شديز فوصلنا إلى هذا الفصل : ما يكون أن تكون حَجَرَة واحدة احتفر فيها هذه الألوان في المواضع التي احتيج إليها . ولكنه لما فرغ من الصورة صبغها بما احتاج إليه من الأصباغ . ثم دهنها بعد ذلك بدهن كان يقف عليه . يوهم أن ذلك الألوان خلقة في الحجر غير معالجة بشيء من الأشياء .

قال : وأنشدني أبو محمد العبدى الهمداني لنفسه

مَنْ نَظَرَ مَعْبِرَ أَبْصَرَتْ	مَقْلُتُهُ صُورَةُ شَبْدِيزِ
تَأْمَلَ الدُّنْيَا وَأَثَارَهَا	فِي مَلِكِ الدُّنْيَا أَبْرُويزِ
يُوقِنُ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَأْتِلِي	بُلْجِقُ مَوْجُوداً بِمَهْزُوزِ
أَبْعَدَ كَسْرِي أَعْتَاضَ عَنْ مُلْكِهِ	بَخْطَ رَسْمٍ ثُمَّ مَرْمُوزِ
يُنْبَسِطُ ذُو مُلْكٍ عَلَى عِشَّةٍ	رَأْسِي يُعَانِيهَا بِنُوفِيزِ
خَلَّ عَنْ الدُّنْيَا فَلَا طَائِلَ	فِيهَا الَّذِي لَسِي وَتَمِيزِ
نَعْمَى وَبِؤْسَى أَعْقَبَتْ هَذِهِ	نَيْكُ، فَذُو الْعَمَزِ كَمَفْرُوزِ

وأنشدني الحسين بن أبي سرح لأبي عمران الكسروي :

وَهُمْ نَقَرُوا شَبْدِيزَ فِي الصَّخْرِ عِبْرَةً	وَرَاكِبُهُ بِرُوزِ كَالْبَدْرِ طَالِعُ
عَلَيْهِ بِهَاءُ الْمَلِكِ وَالْوَفْدُ عُكْفُ	يَخَالُ بِهِ فَجَرٌ مِنَ الْأَفْقِ سَاطِعُ
تَلَا حُظُّهُ شِيرِينُ وَاللَّحْظُ فَاتِنُ	وَنَعَطُو بِكَفِّ حَسَّتْهَا الْأَشَاجِعُ
يَدُومُ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ شَخْصُهُ	وَيُلْفَى قَوِيمَ الْجِسْمِ وَاللُّونُ نَاصِعُ

وقال آخر :

شَبْدِيزُ مَنَحُوتٌ صَخْرٍ بَعْدَ بَهْجَتِهِ	لِلنَّاطِرِينَ فَلَا جَرِيٍّ وَلَا خَبَبُ
--	---

[٩٧ ب]

عَلَيْهِ بِرُوزُ مِثْلُ الْبَدْرِ مُنْتَصِباً	لِلنَّاطِرِينَ فَلَا يُجْدِي وَلَا يَهَبُ
وَرَبِمَا فَاضَ لِلْعَافِينَ مِنْ يَدِهِ	سَحَابٌ وَذُقُّهَا الْمَرْجَانُ وَالذَّهَبُ

فلا تزال مَدَى الأَيامِ صورتهُ تَحِرُّ شوقاً إليها العجم والعربُ

وقال أبو الحسن العجلي في صورة شبديز:

أَبَاحَ لِلطَّرَفِ الشُّهَادَ وَالسَّهَرُ	وَوَكَّلَ الْجَفْنَ بِمَاءِ مُنْهَمَرُ
طِيفُ سَرَى وَهَنًا لِرَيَا فَظْهَرُ	بَا حَبْذَا الطَّارِقُ فِي وَجْهِ السَّحَرُ
فِي اللَّيْلِ يَبْدُو وَالتَّهَارُ يَسْتَبَرُ	تِلْكَ الَّتِي تُزْرِي بِشَمْسٍ وَقَمَرُ
وَعُرَّةٌ زَاهِرَةٌ تَغْشَى الْقَمَرُ	حَالَ بَهَاهَا الْجَمَالَ فَقَطَرُ
شَبَّهْتُهَا حِينَ تَبَدَّتْ فِي حُفَرُ	شِيرِينَ فِي حُسْنِ اعْتِدَالٍ وَقَدَرُ
كَأَنَّمَا تَنْفُثُ سِخْرًا مُسْتَمَرُ	تَكَادُ تَسْبِي نَاطِرَاهَا مَن نَّظَرُ
بَطُورَةٍ مُشْرِقَةٍ مِنَ الطُّرَرُ	وَحَاجِبٍ خُطَّ بِمِسْكِ فَشَطَرُ
وَشَاهِدٍ عَقْرَبٍ فِي الْخَدِّ الْفَضِيرُ	مَا أَنْ بَعْدَ مِنْ نُدْبٍ وَلَا أَثَرُ
لَوْلَا الَّذِي مِنْ أَنْفِ شِيرِينَ كُبُرُ	ثَلَبْتُ يَدَا أَمْرِهِ وَالْمَوْتِ مَرُ
لَقَدْ أَتَى بِفَعْلِهِ إِحْدَى الْكِبَرُ	مَا كَانَ أَقْوَى قَلْبِهِ حِينَ جَسَرُ
وَيْلَ أُمِّهِ لَقَدْ نَعَاطَى فَعَقَرُ	فَجَاءَهُ أَمْرُ الْأَمِيرِ فَعَجَبَرُ
وَعَمَّرَ الْبَهْوَ وَقَدْ كَانَ دَثَرُ	وَهِيَ كَهَاتِيكَ وَلَكِنْ مِنْ حَجَرُ
كَسَرَى وَشِيرِينَ وَشَيْخُ ذُو كِبَرُ	عَلَيْهِمُ التَّيْجَانُ مِنْ فَوْقِ الْوَقَرُ
تَسْقِيهِمُ شِيرِينَ رَاحًا بِقَدَرُ	فِي الْبَهْوِ وَالْبَهْوُ عَلَيْهِ مُحْتَجَرُ
يَحْتَنُّهُمْ مَدَجَّجٌ عَلَى ظَهَرُ	مَنْصَلَتْ حَرْبُهُ ذَاتُ شَرَرُ
كَأَنَّمَا يَطْرُدُ مَهْدُوبَ الْوَبَرُ	أَوِ الشَّبِيهَاتِ يَعِيرَانِ الْبَقَرُ
لَا أَلْزَامَ أَنْسِيَاءَ وَلَا الطَّرْفُ أَغْرُ	عَادَتُهُ صَيْدُ الظُّبَاءِ وَالْعُقَرُ
وَالثَّرْسُ فِي يَمْنَاهُ لَمَّا يَسْتَبَرُ	شَاكِي السَّلَاحِ كَالْكَمِيِّ الْمُنْكَدَرُ
كَأَنَّمَا الدَّرْعُ عَلَيْهِ قَدْ سُمِرُ	وَعَنْ يَمِينِ الْبَهْوِ نَهْرٌ قَدْ زَخَرُ
فِيهِ صَنُوفُ الصَّيْدِ مِنْ بَحْرِ وَبَرُ	وَالْقُلُوكُ وَالنُّونُ فِيهِ مُشْمِرُ
وَفَارِسٌ عَنِ الشَّمَالِ مُسْتَبِرُ	تَكَادُ أَنْ تَنْبُضَ يَمْنَاهُ الْوَقَرُ

ومنهم فوق الحصان قد سكر
وفوق عقد البهو عند المختبر
والشرفات فوق همامات الحزر
في الطاق بان بالحديد والدسز
ثلاثة من عاقر ومعتز
وعقد طيقان ونهر محتفز
يدفعه من نهر إلى نهر
فيه لمن غمر وعظ وعبر
شرفت كسرت وأنكرت ما ذكر (٢)

تكفه شمسته من حر وقر (١)
خلقان مكتوبان في خلق البشر
والملكان صعدا كما أمر
وفي التماثيل على الماء بقز
بحنهم منازع فيه طمر
وصاحب النهر على الماء خطز
فانظر فهذا وصف مامنه ظهر
بنايتها السيد ذو الوجه الأغر
من شرف الملك القديم والخطز

قال: وأنشدني أبو نصر، رجل من أهل قصر اللصوص يذكر شبديز والبناء
الذي بقصر اللصوص:

يسا طالبي غرر الأماكن
وسألوا السحاب تجودها
وتزور شبديز الملوك
واها لشيرين التي
فمضى على غلوائه
واها لمعصمها المليح
في كفها الورق الممسك
وزجاجة تدع الحكيم إذا انتشى في زبي ماجن
انعظمت حين رأيتها
فسقى رباع الكسروية بالجبال وبالمدائن

حيوا السديار يبرز ماهن
وتبخ في تلك الأماكن
وتنشي نحو المساكن
قرعت فؤادك بالمحاسن
لا يستكين ولا يسداهن
وللسوالف والمغابن
والمطيب والمداهن
واحتاج مني كل ساكن

دَانِ يَسِفُّ رَبَابُهُ وَتَنَالُهُ أَيْدِي الْحَوَاضِنِ

وقال بعض الشعراء في شبديز وقد اجتاز بموضعه رجل من الملوك
فاستحسن المكان وشرب هناك ثم أمر أن يخلق وجه شبديز وشيرين بالزعفران
ففعل ذلك:

كَادَ شَبْدِيزُ أَنْ يُحْمِجَ لَمَّا خُلِقَ الْوَجْهُ مِنْهُ بِالزَّعْفَرَانِ [٩٨ ب]

وَكَانَ الْهُمَامَ كَسْرَى وَشِيرِينَ مَعَ الشَّيْخِ مُوبِذِ الْمُوْبِذَانِ
مَنْ خَلَقَ قَدْ ضَمَخَوْهُ جَمِيعاً أَصْبَحُوا فِي مَطَارِقِ الْأَرْجَوَانِ

وأنشد لأحمد بن محمد^(١):

بُوسْتَانُ طَاقٍ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلَهُ	وَفِيهِ تَصَاوِيرُ مِنَ الصَّخْرِ مُخَكَّمُ
وَبُرُوزُ فِيهِ وَالْمَرَاذِبُ حَوْلَهُ	وَشِيرِينَ تَسْقِيهِمْ وَشَيْخُ مَزْمَزُ
وَبِهَرَامُ جَوْرِ وَالْمَقَابِلُ مُثَلِّلُ	وَشُرُوزُ فِيهِمْ قَاعِدُ مَتَعَّمُ
وُخْرِينَ قَدْ أَجْرَى وَأَوْمَى بِسَرْعِهِ	إِلَى طَفْلَةٍ حَسَّانَةٍ لَا تَكَلَّمُ
وَمُوبِذُهُمْ فِي الطَّاقِ صُورٌ عِبْرَةٌ	وَهَرِيدُهُمْ بِالْجَهْلِ وَالْجَوْرِ يَحْكُمُ
وَكَثُّ يَحُوزُ الْمَاءَ فِي النَّهْرِ وَاقِفُ	لِيَقْسَمَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَيْسَ يَظْلَمُ
وَاسْرَابُ عَيْنٍ وَالْكَلابُ تَحُوشُهَا	وَطَرْفُ عَلَيْهِ الْمَرْزَبَانُ الْمَكْرُمُ
وَصُورٌ فِيهِ كُلُّ وَحْشٍ وَطَائِرٍ	مِنَ الطَّيْرِ وَالْعَنْقَاءِ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ
وَأَسَدٌ وَصِيرَانٌ وَشَاةٌ وَأَعْنَزُ	وَحَيْتَانُ بَحْرِ فِي السَّفِينِ تُعَوِّمُ
وَمَادِبٌ مِنْ ذَرٍّ وَنَمْلٍ وَعَقْرَبٍ	وَفِيلٌ وَقَيْالٍ عَلَيْهِ يُدْمِمُ
وَقَبْجٌ وَدِرَاجٌ وَظَبْيٌ وَأَرْنَبُ	وَبَازٌ وَصَقْرٌ قَدْ يَصِيدُ وَقَشْعَمُ
وَمَكْتَبُ صَبِيانٍ وَتَأْدِيبُ غُلَمَةٍ	وَشَيْخٌ عَدِيمٌ قِيلَ هَذَا مَعْلَمُ

(١) انفراد المختصر بذكر هذه القطعة.

وَصُورٌ فَطُوسٌ عَلَى الطَّاقِ نَفْسِهِ عَلَيْهِ جَنَاحَا طَائِرٍ لَا يَحُومُ
فَسَبْحَانِ رَبِّ سَحَرِ الصَّخْرَ عُنُوءَ فَصُورٌ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ مُقْسُومُ
لَقَدْ أَبْدَعَ الرُّومِيُّ فِي الطَّاقِ بَدْعَهُ أَقْرَأَ لَهُ بِالْحِذْقِ عُزْبٌ وَأَعْجُمُ

وبقرميسين الدكان الذي اجتمع عليه جماعة من ملوك الأرض منهم فغفور
ملك الصين وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وقيصر ملك الروم عند كسرى
أبرويز. وهو دكان من حجارة مربع مائة ذراع في مثلها من حجارة مهندمة مسمرة
بمسامير الحديد، ولا يتبين فيه ما بين الحجرين فلا يشك من رآه أنه قطعة واحدة.
وأنشد لأحمد بن محمد فيه :

بَيْنَ الْقَنَاطِرِ وَالِدَكَانِ أُنْبِيَةٌ فَاقَتْ عَلَى كُلِّ آثَارٍ وَبَنِيَانِ
دَكَانُ صَخْرٍ عَلَى تَلٍّ بَنُوهُ فَمَا تُشَدِّدِي لِحْنٍ بَنُوهُ أُمٌّ لِلْإِنْسَانِ
لَأَنهَا صَخْرَةٌ مَلَسَا مَلَمَلَمَةً عَجِيبَةُ الشَّانِ فِيهَا كُلُّ أَلْوَانِ
قَدْ هَنْدَسُوهُ فَأَوْفُوهُ عَلَى عَمَدٍ وَهَنْدَسُوهُ فَمَا يَخْفَى عَلَى جَانِ
قَالُوا بَأْسَ مَلُوكِ الْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ عِنْدَ أَبْرُويزِ بْنِ سَاسَانِ
ويقصر اللصوص بناء عجيب وأساطين محكمة.

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق^(١) : رأيت الحسين بن أبي سرح في المنام
بعد موته وكأنني أسأله أن يملي عليّ خبر شبديز ومن صورته وكيف صور فقال :
اكتب، استأنسوا بملامس الصخور، ولم يستوقفوا عن صفات الأمور. وصوروا
الجواري الأبقار، في الصخور الكبار، كأن لم يسمعوا بجنة ولا نار.

(١) هو والد مؤلف هذا الكتاب.

في أبنية البلدان وخواصها وعجائبها

قال بطليموس: إن اختلاف الأمم في ألوانهم وأخلاقهم وأجسامهم وطبائعهم وجميع حالاتهم من ثلاثة وجوه:

واحد: من بعد الأرض من خط الاستواء. وهو مثل البلاد وانحرافها عن الخط يمئة أو يسرة.

الثاني: من قبل طبائع البروج المحاذية لسمت تلك البلاد والغالبية على طبائعها.

والثالث: بعد البلاد من مدار الشمس وقربها منه.

فأما الأرض العامرة في ربع الأرض الشمالي، فما كان منها متيامناً وهو ما بين تغير الربيع إلى تغير الصيف، وهو الذي محاذيها من البروج ما بين الحمل إلى السرطان. فإذا توسطت الشمس وسط السماء كانت على سمت رؤوسهم فأحرقتهم. فلذلك صارت أجسادهم سوداً وشعورهم قططا وجثتهم ذابلة، وطبائعهم حارة وعامة أشكالهم متوحشة لشدة حر أرضهم. وهم الحبشة والزنج والنوبة وأنواع السودان. وليس يكون ذلك فيهم وحدهم، ولكنه يكون في الهواء المحيط بهم، وكذلك يفسد دواب أرضهم وشجرهم في جميع ذلك تحرقه أرضهم.

وأما ما كان متيامناً^(١) [٩٩] من الأرض فلتباعد سمت رؤوسهم عن مدار الشمس وحرارتها ومدار البروج، كان مكانهم بارداً تنالهم كثرة الرطوبة. وتكون

(١) يبدو أنها (متياسراً).

ألوانهم بيضاً وشعورهم سبطة وأجسادهم عظاماً وطبائعهم إلى البرد وشكلهم متوحش لشدة برد أرضهم. وشتاؤهم شديد مفرط البرد، وشجرهم عظام ودوابهم على مثل هواء أرضهم. وهم الترك.

وأما ما كان من الذين سمت رؤوسهم تحت السرطان ومن سمت رؤوسهم تحت الدينة^(١) فلأن الشمس لا تستوي على رؤوسهم، ولأنهم لم يميلوا إليها جداً، فلذلك هواؤهم حسن التمزيج وموضعهم معتدل، ليس فيه برد شديد ولا حر شديد. وألوانهم وأجسامهم وسط، وطبائعهم معتزجة ومراتبهم في جميع حالاتهم متقاربة.

ومن كان من هؤلاء متيامناً فعامتهم أهل ذكاء وفطنة ودقة نظر وعلم بالنجوم وغير ذلك من العلوم، لقرب سمت رؤوسهم من مدار الكواكب الجارية والبروج. فمن أجل ذلك تنازعهم نفوسهم إلى طلب علم النجوم والآداب. ومن كان مشرقاً فهم مذكوون وأنفسهم شديدة وهم أهل تنافس في الشرف والزيادة. لأن المشرق فيه طبيعة الشمس.

ومن يعزف منهم مغرباً، فإنهم مؤثثون وأجسامهم لينّة وعامة أعمالهم خفية. لأن المغرب للقمر أو لدونته من مهلك من المغرب. فلذلك جعل المغرب مؤثثاً ليناً.

والشمال خلاف المشرق.

وفي هذه الأقسام قسّم مختلفة في الشبه والطبائع والأدب على نحو ما يحيط به من الهواء الحار والبارد والممتزج وذلك ينقص ويزيد في كل كوكب ومكان على نحو ارتفاع الأرض وانخفاضها. والدليل على ذلك، أن بعض الناس صاروا نواتية وهم أصحاب السفن البحرية لقرب أرضهم من البحر. وصار آخرون أهل دعة وذلك لخصب بلادهم وكثرة خيرهم. وكذلك موافقة الأقاليم للبروج التي عليها في الطبائع. فإن طبائع كل إقليم على مثل طبائع البروج التي تتولاها.

(١) كذا في الأصل.

وقسمت [٩٩ ب] الأرض العامرة على أربعة أجزاء :

فأول الأجزاء : أورس ، وهي بين الشمال والدبور ويوافقها من مثلثات البروج التي لها ما بين الشمال والدبور وهي مثلثة : الحمل والأسد والقوس ويدبرها المشتري والمريخ . وجميع ما في هذا الربع من الأمم : بريطانيه وعليا وجرمانية وانوليه وصقلية ووطنيا . وهم أعزاء غير خاضعين ، يحسنون أخذ السلاح والعمل به ، وهم أصحاب زي ولباس ، يحبون مجامعة الذكران ويغارون عليهم ولا يرون ذلك شيناً ولا مائماً . وأنفسهم مذكرة وليست لهم غيرة على النساء ، ويهون عليهم الجماع .

والربع الثاني هو الذي من الجنوب والصبا . ولهم المثلثات : الثور والعذراء والجدي . ووالي تدبيرهم : الزهرة وزحل مشرقين . وطبائع هذه الكواكب على نحو طبائع الذي يدبرهم . فإنهم يسجدون لها ويسمون الزهرة انيس ، والزحل ييسون ، وفيه كهنة يخبرون عن الأشياء قبل أن تحدث . ويعظمون أمهاتهم وأخواتهم وجميع الإناث لتدبير الزهرة وزحل إياهم . وفيهم الورع ، لأن الزهرة طبيعتها الورع . وبلادهم حارة ويحبون المجامعة والرقص واللهو والمجون من أجل الزهرة أيضاً . ولا يجامعون الذكران ، وينكحون أمهاتهم ويولدونهم ويرون أن ذلك تعظيم لهم . وأنفسهم عظيمة . وهم أشداء مقاتلون لتشريق زحل . ونصيب هذا الربع من وسط الأرض : أروميا وقيلسوسينا وتوريا وحلبايا . وهذه البلدان من الشمال والدبور . وهو الحمل والأسد والقوس . ووالي تدبيرهم المشتري والمريخ والشمس وعطارد . ولذلك صاروا أهل تدبير وصناعة وتجارة وعقل وسخاء . وكتابة . وفيهم غش وخبث .

وأما الربع الثالث :

فمنها : أرمينية الأولى والثانية والثالثة والرابعة . والبلدان التي بين الشمال والصبا . وهو أحد (١) التي يقال لها الجامع . وواليها من المثلثات التي بين

(١) كلمة مطموسة .

الشمال والصبأ وهي الجوزاء والميزان والدلو [١٠٠ أ] وأصحاب تدبيرها زحل والمشتري مشرقين، فلذلك صار الذين في هذه الكور يسجدون للشمس والمشتري وهم يشبهون المجوس وعبادتهم وآدابهم حسنة. ولهم ملاحاة وقبول. ماضين للحق، مقتصدين في مجامعة النساء. ويحبون البر والصلة. وعامة ذلك من تشريق زحل والمشتري.

فأما الربع الرابع الذي بين الحوت والميزان واليه من المثلثات: السرطان والعقرب والحوت. ومدبرهم من الكواكب: المريخ والزهرة مغربين. فأسماء الأمم التي في هذا الربع: قونية وميدنية وأفريقية ومورطلينا وطنجة ومراميه. فلذلك أهل هذه البلاد يملكون رجلاً وامراً. فأما الرجل فيملك الرجال، والمرأة تملك النساء. ويحبون مجامعة الإناث وعامة نكاحهم زنى. ويحبون الزينة والمال، ويتزينون بزي النساء من أجل الزهرة. وهم أهل غش وسحر وجرأة [في القاء] أنفسهم في المهلكة من أجل المريخ وولايتة إياهم.

ونصيب هذا الربع من وسط الأرض وسقى وتمريقى والبرط السفلى واطرز المغرب ومارتها والحبشة والاسطون وهم ما بين الشمال والصبأ.

ولهم من المثلثات: التومين والميزان والدلو. ومدبرهم من الكواكب: زحل والمشتري وعطارد. وهذه الكور قريبة من مدار الكواكب الخمسة الجارية إذا كانت مغربة. ولذلك هم أهل تدين وتعظيم الآلهة. يعرفون حقها ويحبون النياحة. ولهم آداب كبيرة مختلفة وأديان متفرقة. وإذا ملكوا كانوا أذلاء جبناء صابرين. وإذا ملكوا كانوا أهل طيب أنف وسعة كثيرة. وخلقهم على نحو طبيعة أرضهم. وعامة ذكرانهم ضعفاء مؤثنون يتركون الجماع من حيث ينبغي ويأتون النساء من حيث لا ينبغي لتقريب الزهرة.

وذكروا أن الأرض والماء وسائر الطبائع كرية. وأن استدارة الأرض كلها وجبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل. وأن قطرها وعمقها وعرضها سبعة آلاف وستة وثلاثين. وأنهم استدركوا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينتين هما على خط الاستواء مثل مدينة تدمر [١٠٠ ب] والرقعة، فوجدوا ارتفاع

القطب في مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزءاً وثلاثاً. وارتفاع القطب في مدينة التدمر، أربعة وثلاثين، بينهما زيادة جزء وثلاث. ثم مسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وعشرين ميلاً. فعلموا أن لكل جزء وثلاث، جزءاً من أجزاء الفلك الأعظم. فالظاهر من الفلك سبعة وستون^(١) ميلاً من الأرض، والفلك ثلاثمائة وستون جزءاً على ما اتفق عليه علماء الروم والهند وبابل. وإنما قسموه هكذا، لأنهم وجدوا الفلك قد اقسمته البروج الاثنا عشر، ووجدوا الشمس تقطع كل برج منها في شهر وتقطع البروج في ثلاثمائة وستين يوماً. فبهذه القسمة والمقاييس استدركوا علم الساعات والكسوفين. وبها استخرجوا الآلات والاصطرلابات وعليها وضعوا كتبهم.

وقالوا أيضاً: الفلك مستدير، واستدلوا بذلك لأنه يدور على محورين وقطبين، اللذين هما القطب الشمالي والجنوبي.

فأما أهل البلدان التي مالت إلى ناحية الشمال، فإنهم يرون القطب الشمالي وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي ولا الكواكب القريبة منه. ولذلك صار سهيل^(٢) لا يرى بناحية خراسان ويرى في العراق أياماً في السنة. فأما في البلدان الجنوبية فإنه يرى فيها السنة كلها. فمضى مال إلى الناحية الجنوب، غاب عنه القطب الشمالي والكواكب التي تقاربه. وهذه الكواكب التي هي قريبة من القطب تدور حوله دوراناً مستديراً مستويّاً يرى بالعيان مثل الشمس فإنها بالصيف تطلع من وسط المشرق ثم تصعد في الفلك صعوداً مستويّاً، ثم تهبط على مثال ذلك الدور، ثم تغيب تحت الأرض. فتدور هناك مثلما تدور هاهنا حتى تطلع.

وزعموا أن البحر أيضاً كروي مدور. وبرهان ذلك أنك إذا لججت فيه غابت عنك الأرض والجبال شيئاً بعد شيء حتى خفي ذلك كله، ولا ترى شيئاً من شوامخ الجبال. فإذا أقبلت نحو الساحل، ظهرت [١٠١ أ] لك قلال الجبال وأجسامها شيئاً

(١) في الأصل: وستين.

(٢) في الأصل: سهيل.

بعد شيء . فإذا قربت من الساحل ، ظهرت الأرض والأشجار . والأرض قسمان : أحدهما مسكون والآخر غير مسكون . والمسكون منه قسمان : أحدهما مفرط الحر وهو جهة اليمين لأن الشمس تقرب منه فيلتهب هواؤه . والآخر جهة الشمال وهو مفرط البرد لبعده الشمس منه .

فكل مدينة موضوعة في جهة المشرق فهي أشد اعتدالاً وأقل اسقاماً . لأن الشمس تصفي تلك المياه التي تجري فيها .

والمدن الموضوعة بإزاء المغرب ، تكثر أمراض أهلها لأن مياههم كدرة متغيرة ، وهواؤهم غليظ ، لأنه يُبقي تلك الرطوبات فيه فتغلظ مياههم .

والمدن الموضوعة على جهة الجنوب تكون مياهها حارة كدرة متغيرة مالحة لينة تسخن في الصيف وتبرد في الشتاء . وأبدان أهلها رطبة لينة لما يتحلب إليها عن الرطوبات من أرضهم . وتكثر نساؤهم الإسقاط بسبب الرطوبات ولا يقدر أن يكثروا من الطعام والشراب لضعف رؤوسهم . لأن كثرة ذلك تغمّ أدمغتهم وتغيرها . وقلما تعرض لهم الحميات الحارة .

والمدن الموضوعة في جهة الشمال على إزائه فإن مياهها فاسدة رطبة ثقيلة النضج . وأهلها أقوياء أشداء عراض الصدور دقاق السوق رؤوسهم صحيحة يابسة وأعمارهم طويلة لصحة أبدانهم وكثرة فضول الرؤوس . وتكون أخلاقهم وحشية . ويقل حمل نساؤهم ، لكنهن لا يُسْقِطن لبرد الماء وييسه ويلدن بشدة وصعوبة وتتسع لذلك صدورهن . وإنما رقت سوقهن لارتفاع الحرارة عنها . ويكثرون الأكل ولا يكثرون الشراب .

قال : وسكان ناحية الجنوب سود جماد دقاق الكعوب كحل العيون سود الشعور خفاف اللحوم . فيهم الحفظ والذكاء والبر والطرب والحرص والسرقة .

وسكان ناحية الصبا أقرب شياً بأهل ناحية الجنوب وهم دونهم فيما وصفت . وسكان ناحية الدبور أقرب شياً بأهل ناحية الجنوب وهم دونهم .

وأهل المغرب مختلفون في هيئاتهم ، فأما سكان سواحل البحر منهم فقريب

شبههم من سكان ناحية الجنوب . وسكان ناحية النصباء قريب شبههم بناحية الشمال .
وأهل [١٠١ ب] الهند ممتزجون لأن بلادهم من بلاد الشمال والجنوب .
ولذلك حسنت أخلاقهم وأجسامهم ووجوههم واعتدلت . وكذلك من كانت محلته
بين الشمال والجنوب وهم أعدل مزاجاً وأحسن عقولاً .

وأهل مصر أهل غفلة وقلة فطنة .

والبربر الفطنة فيهم فاشية ، وليس فيهم كبر ولا لهم مكر .

والروم أهل صلف وتكلف .

وأهل الشام أهل غفلة وسلامة .

وأهل الحجاز أهل معازف ولهو ومداعبة وتأنيث .

وأهل العراق أهل فطنة وغدر .

وأهل الهند أهل غفلة وشجاعة ولين .

وأهل الصين أهل طلب وخفة وجبن وحذق بالصناعات .

وأهل اليمن أهل غفلة وخفة ولين .

وأهل خراسان أهل غفلة وبخل وحرص وشجاعة .

وقال بقراط في كتاب الأهوية والأبدان : إن ما كان من الأمصار مقابل شرق
الشمس . فرياحه سليمة وماؤه عذب وأهله قلماً يضرهم تغير الهواء . وكان يقول :
المياه التي تنبع من مواضع مشرقة ومن تلاع وروابي ، أفضل المياه وأصحها ، وهي
عذبة . وبلدها أصح البلاد ، لا يحتاج إلى كثرة مزج الشراب ، ولا سيما الشرقي
الصيفي . لأنها تكون براءة طيبة الريح اضطراباً .

وقال فسطوس في كتاب الفلاحة : أصلح مواضع البنيان أن يكون على تل أو
كبش^(١) وثيق ليكون مطلاً . وأحق ما جعلت إليه أبواب المنازل وأفتيتها وكواها ،

(١) الكبش : الغار في أصل الجبل (المنجد) .

المشرق واستقباله الصبا. فإن في ذلك صلاح الأبدان لسرعة طلوع الشمس ومَرَّها عليهم. وأن تُوسع البيوت ويُرفع سمكها وتكون أبوابها إلى المشرق. لأن ربح الجنوب أشدَّ حرًا وأثقل وأسقم.

وأصح البلدان ما كانت على رؤوس الجبال والأماكن التي تواجه مهب الصبا. وما كان في قعور وأغوار ومواجهة لريح الجنوب أو الدبور، فهي مواضع رديئة مولدة للأمراض.

والصواب أن تتخذ الدور بين الماء والمشرق وأن تكون شرقية، والبساتين غربية. ومن قرب منزله من النهر كان أقل أنية ممن [١٠٢ أ] بعد عنه. وقالوا: لتكن دوركم شرقية وضياعكم غربية. وقال ابن كلدة: جميع خصال الدار، أن تكون على طريق نافذ وماؤها يخرج، وليس عليها متشرف، وحدودها لها، وتكون بين الماء والسوق. وتصلح أفنتها لحط الرجال وبلى الطين وموقف الدواب. وإن كان لها بابان فذلك أمثل.

وكان إياس بن معاوية يقول: شرقي كل بلد خير وأفضل من غربيه.

وكان يقال: الجار ثم الدار، كما الرفيق قبل الطريق.

وقال يحيى بن خالد: دار الرجل دنياه. فينبغي أن يتنوّق في دهليزه فإنه وجه داره ومنزل ضيفه ومجلس صديقه إلى أن يؤذن له. ومستراح خدمه وموضع مؤدب ولده ومنتهى حدّ المستأذن.

ولما قدم موسى بن جعفر على المهدي، كلّمه في ردّ فدك. فقال له: أنا ناظر في ذلك، ولكن أين حدودها؟ قال: أما الأول فعريش مصر. والثاني: دومة الجندل. والثالث: أحد، والرابع: سيف البحر. فقال المهدي: هذه الدنيا كلها. فقال موسى بن جعفر: هذا كان في أيدي اليهود، فأفأه الله على رسوله (ﷺ) ^(١).

(١) توجد رواية أخرى لهذا الخبر في بحار الأنوار ٤٨ : ١٤٤ وفيه أن هذه المسألة جرت بين هارون الرشيد وموسى بن جعفر - الإمام السابع للشيعة الاثني عشرية - وأما الحدود =

وكان على رجل من ثقب ذين فطولب به . فقال له الحسن البصري : بغ أرضك واقض ذنبك وأرخ نفسك . فقال : يا أبا سعيد ! إنا أهل بيت لا نبيع التراب حتى نصل إلى التراب .

وقال عيسى بن بشر الكوفي : أردت شراء دار فسألت جعفر بن محمد رضي الله عنه ^(١) عن ذلك ، فقال : اشتريها . فإن الدار مكرمة .

وفي بعض الخبر قال : من قدم بلداً فأخذ من ترابه وجعله في مائه وشربه ، عوفي من وبائه .

وقال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ودار قوراء وفرس مرتبط بالفناء .

وقيل لرجل بنى داراً وأعظم النفقة عليها : ما أشد ما مرّ عليك في بناء هذه الدار ؟ قال : أشد ذلك جمعاً قائماً ، الفعلة . وأسهل الأمور النفقة .

وقال بعضهم : سعة الدار تزيد في عقل الرجل ، كما أن ضيقها ينقص من عقله . وذلك أن الرجل إذا كان ضيق المسكن قد دخل إليه داخل قصف عقله عند حرمه مخافة أن تبدو منهن عورة أو يظهر منهن ما لا يحب ظهوره . فإذا كان واسع المسكن [١٠٢ ب] فجميع عقله معه .

وذكر بهبود بن القردمان أنه لما فرغ من بناء الدار التي بنيت لأنوشروان بالمدينة العتيقة أعلم بذلك فأمر المنجمين باختيار يوم ليستقل إليها فيه . ففعلوا ذلك . فلما دخلها وقد نصب سريريه وسدلت ستوره وهىء له تاجه . فلما استوى

= فهي : الأول : عدن . والثاني : سمرقند . والثالث : أفريقية . والرابع : سيف البحر مما يلي الجزر (لعلها الخزر) وأرمينية .

ثم ذكر بعد ذلك الرواية التي ذكرها ابن الفقيه .

(١) هو الإمام جعفر الصادق (ع) . أما عيسى بن بشر فقد روى عنه علي بن حسان الواسطي القصير المعروف بالعمس الذي روى عن الإمام الصادق أيضاً . انظر : جامع الرواة ١ : ٥٦٦ و ٦٤٩ .

على السرير ورأى بهاءها وحسنها وجلالة فرشها وآلتها، استعبر عند ذلك باكياً لخطرة خطرت بباله من ذكر الموت وقال: إذا كان سرور الدنيا الذي يمنعه فناؤه وكثرة ما ينوبه من العاهات، فكيف بسرور الآخرة مع بقاءه وخلوصه من كل مكروه؟ وإن في هذا لعبرة ينبغي أن لا تسقط على ذي حجب فيرفض الكثير الفاني القليل الباقي^(١). وما أحسبنا إلا ونجد أشرفنا من الدنيا فيما رفضنا من مخفوض مخايلها وأشخصنا الأبصار إلى ما تطأطأ من أعلام غرورها. ونحن أحرى أن نوجه ذلك جهته، فيكون غفراناً لما بلغته الدنيا فينا من نهمتها.

ثم قال: أيها الناس! إن الذي بلغنا منه بأقصى قدرتنا لا يمتنع من الخراب والبلى بتوزيعنا إياه وفقده إيانا، وإن مداه قليل الغناء عند طول الأجل منا.

ثم نادى مناديه أن الملك يعزم على كل من حضر إلا قام فأخبر بعيب أن عرفه في بناء الملك فأحجم الناس جميعاً عن ذلك. فقام رجل ذميم المنظر رث الهيئة فقال: إن الملك قد عزم علينا بما عزم علينا. فلو لا التأثم من عزمه لكان موضوعاً عاماً ما أمر به. فلذلك تستحيين أن تقول ما وافقنا وخالفه. ومن عيوب بنائه، أنه بني في غيطة من الأرض لا تقع عليه العيون حتى تقرب منه. وأولى المواضع ببناء المدن والدور، المشرف من الأرض لتعلو على ما حولها، وتنظر [ها] الوفود من بُعد. ومنها: أن منزل نساؤه أعلى منازلها. وذلك دليل في الطيرة على أن أمر النساء سيعلو على أمور الرجال. ومنها: أن حق صحن الدار أن يعمر بالخدم والحاشية وكثرة من يدخل ويخرج. وهذا الصحن يفضل عن حاشية الملك وخواصه ويتسع عنهم. وأخرى لم أشأ ذكرها. فإن يكن الملك قد عرفها [١٠٣ أ] وإلا فليعطني من ذكرها. فقال له أنوشروان: كأنك تقول إنني لم أنفق فيما عملت من هذا درهماً من بيوت أموالنا، وإنما عملت ذلك مما أفاءت علينا أطراف الأستة ونحور الخيل من أموال أهل حربنا وأعداء أهل ملتنا المكتنفين لحوزتنا. قال: لئن قال الملك ذلك فما أفاد رسماً إلا بإتلاف رأس من رؤوس أساورته ولا عوض

(١) الصواب فيما يبدو هو: فيرفض الكثير الباقي للقليل الفاني.

منهم بما خطر بهم فيه وعرضهم له . فهذا الذي عندي من عيوب هذا البناء .

فقام رجل آخر فقال : قد سمعت مقالة هذا في عيب ما عاب في بناء الملك . وأنا أقول مثل قوله عن فضل طاعته منه ، ورضا منه عنه . فقد بلغ غاية الاسخاط للذي رضاه خلاف رضاها . وإن كان الملك أباه بجهاله بما فيه ، فليس بأصغر الخطأين ولا أقلهما فيما ألزمه من وزره . بل لو كان ذلك على معرفة فيما لا يشك فيه من التقصير عن شكره لكان الملك هو الجاني على نفسه . وأشد من هذا وأفحش ، إن الملك عسى أن يقول : إني إنما أردت بما شيدت من هذا البناء إعزاز الدين وتفخيم أمره . فليُنظر ، فإن كان شيء من أمر الدنيا موافقاً لأمر الدين ، فقد صدق في ظنه . وكذلك العائب له . وإلا فالعيب في ذلك لازم له دون غيره .

وقام آخر فقال : قد سمعت أيها الملك ما قالوا وسبقاني به . وأشد منه وأعيب أن كان خاصة الملك وأحباؤه لم يجهلوا هذا وأغضوا عليه فلم يؤد أحد منهم إليه شيئاً من حقه في تبيينه له أو جهلوه ولم يعرفوه . فكل أحد أغنى له وأفصح منهم له وأحق بالموضع الذي وضعهم به . ثم أطرق الناس . فقال الملك خافضاً صوته : قد علمنا أن أم الفواحش لم تكن تسوغنا ما هُجينا به من مجلسنا هذا حتى يكذره علينا من طمع في ذلك من وانها^(١) فقد لزمته الخبرة والخطأ . ثم سأل عن النفر المتكلمين فإذا هم قوم متظلمون : اثنان من أهل تستر والآخر من أهل أردشير خرة . فأمر بإنصافهم .

وأنشد أبي لمحمد بن القاسم بن يحيى المرتجى في بناء دار [١٠٣ ب]

أَتَمَّهَا اللَّهُ مِنْ دَارٍ وَأَكْمَلَهَا	وَبِالْأَمَانِ مِنَ الْآفَاتِ ظَلَّلَهَا
لِلَّهِ مَا هِيَ أَبْهَاهَا وَأَبْلَهَا	لِلَّهِ مَا هِيَ أَحْلَاهَا وَأَشْكَلَهَا
هَذَا تَلَوَّلُوهَا قَبْلَ التَّمَامِ فَلَوْ	تَمَّتْ حَمَتُ كُلِّ ذِي طَرْفٍ تَأْمَلَهَا
اللَّهُ جَلَّلَهَا نُوراً وَجَمَّلَهَا	وَبِالْحُسَيْنِ فَتَى الْإِقْضَالِ فَضَّلَهَا
سَبْحَانَ خَالِقِهِ سَبْحَانَ خَالِقِهَا	سَبْحَانَ مَنْ مِنْهُ بِالتَّشْرِيفِ سَرَبَلَهَا

(١) كذا في الأصل .

لَمْ يَبْقَ فِي الدَّوْرِ بَلْ فِي الْأَرْضِ مِنْ حَسَنِ إِلَّا وَأَصْبَحَ مَجْمُوعاً بِهَا وَلَهَا
 فَالْحَسَنُ خَارِجُهَا وَالْحَسَنُ دَاخِلُهَا
 لَوْ كُتِلَتْ صُورَةٌ مِنْ حَسْنِهَا بَشَرًا
 كَأَنَّهَا غَادَةُ أَهْدَتْ لِمَالِكِهَا
 حَبَا أَعَالِيهَا مِنْ عَشْجِدٍ بِدَعَا
 مَا يَبْصُرُ الْمَرْءُ فِيهَا بِدَعَا بَعْدَتْ
 كَأَنَّهَا دُرَّةٌ بِيضَاءُ أَبْرَزَهَا
 كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ زَهْرَاءُ نَاضِرَةٌ
 كَأَنَّهَا جَنَّةُ الْفَرْدُوسِ أَنْزَلَهَا
 لَمْ يَقْضِ فِي مَصْرٍ أَنْ تَبْدُو مُحَاسِنُهَا
 فِي بَقْعَةٍ حَرَّةٍ كَالْمَسْكِ تَرَبَّتْهَا
 لَقَدْ حَبَا دَارَهُ مِنْهُ وَخَوَّلَهَا
 لَمْ يَبْنِهَا وَيَوْشَعُ بَابَ مَدْخَلِهَا
 فَلَنْ يَسَاوِيَهُ حَرٌّ بَعْدَ بَعْدِلُهُ
 حَتَّى تُسَاوِيَهَا دَارٌ فَتَعْدِلُهَا^(١)
 إِلَيْهِ ذُو الْعَرْشِ إِكْرَامًا لِيَنْزِلَهَا
 إِلَّا لِيُؤْمِنَهَا مِنْ أَنْ يَزْلَزَلَهَا
 فَلَمْ يَكُنْ لِسَوَى حَرٍّ لِيَجْعَلَهَا
 فَتَى يَرَى الْأَرْضَ نَزْرًا أَنْ يُخَوَّلَهَا
 إِلَّا لِيَقْصِدَهَا الرَّاجِي وَيَدْخُلَهَا
 حَتَّى تُسَاوِيَهَا دَارٌ فَتَعْدِلُهَا^(١)

[١٠٤ أ] وقد ()^(٢) قوم البناء وذمروه ورووا في ذلك أخباراً كثيرة أنا ذاكر

بعضها إن شاء الله :

رووا أن النبي (ﷺ) قال : ما أنفق الرجل من نفقة ، إلا كان خلفها على الله عز وجل ضامناً لذلك ، إلا ما كان في بنيان أو معصية .

وقال عليه السلام : إذا أراد الله بعبد هوناً ، أنفق ماله في البنيان .

(١) في المخطوطة : فلن يساويه حتى تعدله . وفي المختصر : فلن يساويه حر ليعدله . وكلاهما مضطرب . فاقترحنا كتابته على الشكل أعلاه .

(٢) كلمة مطموسة .

وقال عبد الله بن زحر: من كسب مالاً حراماً، بعث الله عليه منتصرات من الأرض.

وقال مروان لأبي هريرة: اكتب لنا شيئاً نذكرك به، فقال: تبون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، وتجمعون ما لا تأكلون، قال: اكتب لنا غير هذا، قال: ما عندي غيره.

وقال الله عز وجل في ذم البناء «أنبون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون».

ودخل النبي (ﷺ) المسجد فإذا هو بعبد الله بن رواحة وأبي الدرداء بمسحاته، فقال: ما هذا؟ قال: أردنا أن نمسحه ثم نسأل في الأنصار فبنيته مثل المسجد الذي بالشام، فقال عليه السلام: خشيات وثمام وظلة كظلة موسى، والأمر أعجل من ذلك.

وقال إسحاق بن سويد: كانت المساجد بالقصب مدّة، ثم صارت بالرهص حيناً، ثم صارت باللبن زمناً، ثم صارت بالآجر، فكان أصحاب القصب خير من أصحاب الرهص^(١)، وأصحاب الرهص خير أصحاب اللبن، وأصحاب اللبن خير من أصحاب الآجر.

وقيل للمسيح: لو اتخذت بيتاً جديداً، قال: يكفيني خلقان من كان قبلنا.

وقال حذيفة لسلمان: ألا تبني لك بيتاً؟ فكانه كره ذلك، فقال حذيفة: رويداً حتى أخبرك أنني أبني لك بيتاً إذا اضطجعت فكان رأسك من هذا الجانب ورجلك من الجانب الآخر، وإذا قمت أصاب رأسك سقفه، قال: كأنك كنت في نفسي.

ولما بنى معاوية الخضراء قال لأبي^(٢) ذر: كيف ترى هذا البناء؟ قال: إن

(١) الرهص: الطين الذي يجعل بعضه على بعض فيبنى به (المعجم الوسيط).

(٢) في المخطوطة: لأبي هريرة، وفي المختصر: لأبي ذر. والأمر مناسب لأبي ذر لما عرف عنه =

كنت بنيت من مال الله، فإنك من الخائنين. وإن كنت بنيت من مالك فإنك من المسرفين.

وكان الثوري يقول: ما أنفقت درهماً قط في بناء.

وبلغ عمر أن رجلاً من عماله يقال [١٠٤ ب] له هارون جصص بيته. فكتب إليه: إلى هارون بن أم هارون وبيته المجصص.

وبنى ابن مسعود [بيتاً]، فقال له عمار: بنيت شديداً وتأمل بعيداً وتموت قريباً.

وبنى رجل بناءً عالياً فقال له بعض الزهاد: نزلت حيث رحل الناس وأنشد:
أبعد عادي ترجون الخلود وهل يبقى على الدهر بيت الله المدر
إلى الفراق وإن طالت سلامتهم يصير كل بني أم وإن كثروا
وبنى رجل داراً فقال للحسن البصري: كيف ترى هذا البناء؟ قال: أما أهل الأرض فغروك، وأما أهل السماء فمفتوك.

وقال الحسن لرجل بنى بيتاً عالياً: سمعت إلى رزق الله فجعلته في رأس قصر جبار.

وقال المدائني: لما بنى عبيد الله بن زياد البيضاء بالبصرة أمر وكلاءه أن لا يمنعوا أحداً دخولها وأن يحفظوا كلاماً إن تكلم به إنسان. فدخلها أعرابي - وكان فيها تصاوير - فتأملها ثم قال: لا يتفجع بها صاحبها، ولا يلبث فيها إلا قليلاً. فأثي به ابن زياد وأخبر بمقالته. فقال له: لم قلت هذا؟ قال: لأنني رأيت أسداً كالبحاً وكلباً نابحاً وكبشاً ناطحاً. فكان الأمر على ما قال. لم يسكنها إلا بسيراً حتى أخرجه أهل البصرة إلى الشام ولم يعد إليها.

وفي خبر آخر: أنه لما بنى البيضاء أمر أصحابه أن يسمعوا ما يقول الناس. فجاءوه برجل فقبل له: إنه قرأ - وهو ينظر إليها - «أتبنون بكل ربيع آية تعبتون

= من شدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (انظر مثلاً ابن الأثير ٣: ١١٣ - ١١٤).

وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون». فقال: ما دعاك إليّ هذا؟ قال: آية من كتاب عرضت لي. فقال: والله لأعملنّ بك بالآية الثالثة: «وإذا بطشتم، بطشتم جبارين». ثم أمر فبني عليه ركن من أركان القصر.

وأنشد لبعضهم

يا أيّها الباني بناءً يقنى
هل أنت محتالٌ فباني حصناً؟
مَنْ حَدَّثَ الدهرَ يكنُ مُحِبّاً
أم للخرابِ يا ضعيفُ يُبنى؟
إن كنتَ لا تبقى فليَمْ تَعْنَى
يكفيكَ بيتٌ أن يكونَ كُنّا
[١٠٥ أ]

أما ترى الدهرَ الذي قد أخنى
على بني آدمَ كيفَ أفنى؟
السلفَ الماضينَ قرناً قرناً
فلم يذرْ منهم أباً ولا أبنّا

وقال بعض الشعراء وقد نظر إلى قصور آل طاهر بالشاذياخ وقد خربت^(١):

وكان الشاذياخ قصوراً ملك
فزال الملكُ عن ذاك المُنَاخِ
وكانتْ دورُهم للهوِ وقفاً
فصارت للنوائح والصُراخِ
فمِنَ الشرقِ باكيةٌ عليكم
وعينُ الغربِ تُسعدُ بانتضاخِ
كذاك يكونُ من صحبِ التراخي
فذاك الدهرُ يعقبُهُ التراخي

وقال ()^(٢) في ذلك:

فإن يمسَّ وخشاً بابُهُ فلربما
تَزاحمُ أفواجاً لديه الركائبُ
يُحيُّونَ بَسَّاماً كأنَّ جينهُ
هلالٌ بدا وأنجابَ عنه السحائبُ
وما غائبٌ من غابٍ يُرجى إبابُهُ
ولكنَّ من قد ضمَّه القبرُ غائبُ

(١) في المختصر (قال محمد بن حبيب الضبي في دور آل طاهر).

(٢) كلمة مطموسة.

وقال آخر في ذلك^(١) :

فتلك قصورُ الشاذياخِ بلاقعٍ خرابٌ يبابٌ والميمانُ مزارعُ
وأضحت خلاءً شاذمهراً وأصبحت معطلةً في الأرضِ تلك المصانعُ
وغنى مغنى الدهرِ في آلِ طاهرٍ بما هو رأي العينِ في الناسِ رائِعُ
عفا الملكُ من أولادِ طاهرٍ مثلما عفا جشمُ من أهلهِ فمثالِعُ
وأيامهم كانت لديهم ودائعاً فازهقهم دهرٌ فرَّد الودائعُ

وقال آخر في البرامكة :

أوحش النوبهارُ من بعدِ جعفرُ ولقد كان بالبرامكِ يعمرُ
قل ليحيى ابن الكهانةِ والسيحرُ وابن النجومِ عن قتلِ جعفرُ
أنسيْتُ المقدارَ أم زاعَتِ الشمسُ عن الوقتِ حين قُمت نُقدْرُ
كيف لم تسحرِ السيوفُ فلا تعملُ في جعفرٍ كما كنتَ تسحرُ؟
إن يحيى بن خالدٍ وبنيه أصبحوا فكرةً لمن يتفكرُ

وقال آخر منهم :

مررتُ على رُبُعِ ليحيى بن خالدٍ وباطنةُ يشكو الخرابَ وظاهرةُ
فكادتُ مغانيهٍ تقولُ من البلى لسائلها عن أهلها مات عامرةُ

وقال آخر

مررتُ على دارٍ لظميةاءٍ باللوى ودارٍ لليلى إنهن قفارُ
فقلت لها يا دارُ غيركِ البلى وعصرانٍ ليلٌ مرةً ونهارُ
فقلت نعم أفنى القرونَ التي مضتُ وأنت ستفنى والشبابُ معارُ
لئن طلن أيامٌ بحزوى لقد أتت عليَّ ليالٍ بالعقيقِ قِصارُ

(١) في المختصر، جاءت هذه القصيدة بعد الخاتبة التي قال إنها لمحمد بن حبيب الضبي، ثم قال عن هذه أنها له أيضاً.

[١٠٥ ب] ومر بعض الكتاب بالدمكرة فرأى ما فيها من البنيان والمصانع والقصور وخان الأجر وحبس كسرى والمدينة فقال^(١):

يا مَنْ يَأْمُ إِلَى بَغْدَادَ مُجْتَهِداً أَرَحَ مَطْيِكَ بَيْنَ الْحَبْسِ وَالْحَانِ
بَيْنَ الْقَنَاظِرِ وَالْدَسَاكِرِ وَالْقُرَى فَمَحَلٌّ كَسْرَاهَا أَنْوَشِرَوَانِ
تَبْيِيكَ آثَارُ الْمُلُوكِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ذَوِي بَأْسٍ ذَوِي سُلْطَانِ
وَلَقَدْ عَجِبْتُ وَفِي الزَّمَانِ عَجَائِبُ مَا عَايَنْتُ عَيْنَايَ فِي الْإِيوَانِ
إِيوَانُ كَسْرَى شَاهِقٌ شُرْفَاتُهُ عَالِي الذَّرَى مُسْتَوْتِقُ الْحِيطَانِ
مَعَا أَنْ بِهِ إِلَّا الصَّدَى وَحَمَائِمُ مَخْضَرَةٌ تَدْعُو عَلَى الْأَغْصَانِ
بَعْدَ النَوَاعِمِ وَالْأَوَانِسِ بُدِّلَتْ هَاماً وَعُقْبَاناً مَعَ الْغُرَبَانِ
وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الْأَنْبَسِ فَمَا تَرَى إِلَّا الْعَزِيفَ بِهَا مِنَ الْجَنَانِ

وقال يحيى بن معاذ: اصرف طرفك في القصور المشيدة والحصون الممردة الأركان، الشاهقة الجدران، وانظر إلى الأبواب المترفة العجيبة البنيان. كيف قد نظمت بكيد المحتالين وإتفاق المشرفين ومهارة السابزين^(٢). عريضة القواعد، محكمة الوسائد، منيفة الذرى، صعبة المرتقى، للطير في جوانبها وكور، وللقطر في معالمها ندوب. قد أنافت على الأبنية^(٣) () وتناولت على الهضاب بارتفاعها. وأحكمها عاملوها وجردوا فكرهم فيها ويزنوا ذخائرهم فيها وأزاحوا علل مشيديها، وبلغوا أقصى الأمل منها. وجعلوها عدة للدهر وحصناً للزمن. فلا ينالهم فيها عناء. ولا ظفر محاول. فيها العيون الجارية والقباب العالية والحجر السامية. والخرد النواعم والأبكار الفواتن يجرون في عرصاتها الذبول، يسطع منهن ذكي المسك ويعبق العنبر. ترى باطن حيطانها كالو^(٤) ذابلة تبرق بماء

(١) انفرد المختصر بذكره هذه القصيدة.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) كلمة مطموسة.

(٤) كذا في الأصل.

الطراة. قد مثل فيها التصاور من الطير والسباع والبهائم والبسنا^(١) المرشلات
الشعور الفاتنات الثغور. إذا تأملها الناظر نوهمها تنطق باللسنة الابتهاج. فكانت
لهم مساكن مدة من الدهر، يكلفون بعمارته، ويفنون في فنون نعمتها، ويرتعون
في صحون عرصتها. حتى إذا قصدتهم العزم بانتزاع^(٢) ما في أيديهم من عوارف
النعم، وصبحتهم المثل بخواطف التكبر. فأسلمتهم إلى مدة الفناء ونزعتهن من
البقاء. فعادت القصور خللاء لا أنيس فيها ولا ديار بها. قد أخذ الخراب في
أطرافها. واستحالت إلى تحير القصد محاربتها. وتنكرت له الأيام مترجمة عما
تؤول إليه عواقب أمرها. فللرباح فيها هتيف، وللجن بها عزيف. تصفقا هوج
الأعاصير، وتنبت في أغراضها أسهم الدمار. يوقد رمتها عين البلى. وتناولتها يد
الفناء. يحار الطرف في حجراتها، وتعجب الأفكار من عرصاتها. لا أنيس فيها ولا
أحد يخبر عنها، ولا عالم ينبئك عن أهلها، ولا يحدثك عن سكانها. يرتاع قلبك
إذا دخلتها، وتخفق جوانحك متى تأملتها ويسرهن اعتبارك [١٠٦] نقوش
طيقانها وأصباغ حيطانها بعدما كانت قرة عين الناظرين، عادت عبرة للمتأملين.
وكذلك فعل الله عز وجل بالعباد وآثاره في البلاد

قال: وكان السبب في بناء قصر شيرين - وهو أحد عجائب الدنيا - أن أبرويز
أمر أن يبنى له باغ^(٣) فرسخين في فرسخين. وأن يحصل فيه من كل صيد حتى
يتناسل جميعه. ووكل بذلك ألف رجل، وأجرى على كل رجل من كل يوم خمسة
أرغفة [من الخبز]^(٤) ورطلين لحماً ودورق خمر. فأقاموا في عمله وما أمر أن
يجعل فيه من الصيد سبع سنين حتى فرغوا من جميع ذلك. فلما تم واستحكم
صاروا إلى القلهد المغتي وسألوه أن يخبر الملك بفراغهم مما أمرهم به. فقال:
افعل. ثم عمل صوتاً وغناء به بين يدي الملك، وسماه باغ نخجيران أي باغ

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: انتزاع.

(٣) باغ: هو البستان في الفارسية.

(٤) تكملة من ياقوت (قصر شيرين).

الصيد. فطرب الملك عليه وأمر للصناع بعمال فجعلوه للفهلبد. فلما سكر أبرويز قال لشيرين: سليتني حاجة. قالت: حاجتي أن تصير في هذا الباغ نهري من حجارة تجري فيهما الخمر^(١)، وتبني لي بينهما قصرأ لم بين في مملكتك مثله. فأجابها إلى ذلك. وكان السكر قد عمل فيه، فأنسي ما سأله ولم تجسر على أن تذكره. فقالت للفهلبد: ذكره حاجتي وإليك علي أن أهب لك ضيعتي بإصبهان. فأجابها إلى ذلك وعمل صوتاً أذكره فيه ما وعد شيرين وغناه إياه. فقال: أذكرتني ما كنت قد أنسيته. وأمر ببناء النهرين والقصر. فبني ذلك. ووفت شيرين للفهلبد بضمائها. فنقل عياله إلى هناك. فلذلك صار من يتمي إليه بإصبهان.

قال بعض أهل الأدب: قرأت على قصر خراب في المفاوز هذه الأبيات

يا باني القصر كم أنفقت من مال على بنائك والينا بالي (٢)
أطمعت نفسك في سكناه مجتهداً فصار منك وممن يقتني خالي
وعاد بعدك قصرأ لا أنيس به لم يبق منه سوى رسم وأطلال
هذا دليل على توحيد خالفنا أرضاً (٣) (٢) وينقل من حال إلى حال
[١٠٦ ب] قال: وقرئ على حائط شيرين (٣):

يا ذا الذي غرّه الدنيا وبهجتها وحسن زهرة أنوار البساتين
والدور تخربها طوراً وتعمرها باللبن والجص والآجر والطين
والمال تكثره حرصاً وتمنعه عن الحقوق التي فيها لمسكين
أما رأيت صروف الدهر ما صنعت بالقصر قصر أبرويز وشيرين
أما نظرت إلى إحكام صنعتيه كأنه قطعة من طور سينين
قد صار قفراً خلاء ما به أحد إلا النعام مع الوحشية العيين

(١) في المختصر: الخمر واللين.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) انفرد المختصر بهذه القصيدة.

من بعد ما كان أبرويزُ أشحنها
وكلُّ ليثٍ شجاعٍ باسلٍ بطلٍ
وكلُّ رعبوبةٍ بيضاءَ بهكّنةٍ
وبالعجائبِ من ألوانِ زهرتها
لم يبقَ من رسمِها إلا تلؤلؤها
سبحانَ من خلق الدنيا ودبرها
بالدارعينَ وكُتّابِ الدواوينِ
كمثلِ خريتها أو مثلِ شروينِ
تحكي بنغمتها صوتَ السوراشيينِ
من بين وردٍ وخيرىٍ ونسرينِ
أو ربّع دارٍ عَفَتْ من طورِ عيدينِ
وأنشأ الخلقَ من ماءٍ ومن طينِ

ومرّ معاوية بوادي القرى فتلا هذه الآية **﴿وَأَتْرَكُونَهَا هَاهُنَا آمَنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾** ثم قال: نزلت هذه الآية في أهل هذه البلدة وهي بلاد عاد، فأين العيون؟ فجاءنا رجل وقال: صدق الله في قوله. أنجب أن أستخرج العيون؟ قال نعم. فاستخرج ثمانين عيناً. وعرف معاوية ذلك فقال: الله أصدق من معاوية.

وقال محمد بن عينة المهلبى: البئر التي بالمعاوية هي بئر عاد، لا يقل ماؤها ولو وردها سائر أهل الأرض. وإياها عني أبو النجم العجلي بقوله:
من نحت عادٍ في الزمان الأولي

وذكر الكلبي قال: بينا قوم من كلب يعرفون ببني حماد الله بن كنانة على ما لهم وقد نحروا جزوراً ومعهم زهير بن جناب الكلبي، إذ أقبل رجل من بقايا عاد يقال له عبيد بن مسهر وكان أعظم الناس جسماً حتى وقف عليهم فهالهم لما نظروا إليه. فقالوا: دونك الركاء فشرب جميعه. ثم وقع نائماً. فأقام في نومه سبعة أيام، وهرب القوم فرعاً وقد ثبت زهير، فلما استيقظ قال: أين قومك؟ قلتُ: هربوا من رهبتك. فقال: أما لينفعنك ذلك. قم اركب معي. فركب معه فدلّه على مياه كانت لعاد مندفة، ولم يكن أحد يعرفها غيره. منها الدمقانة^(١) وأثرى ونكب ورج والحالة وغير ذلك. ثم قال عبيد لزهير: أخبرني عن ربحكم. قال: زفzf تسقط

(١) في ياقوت الدمعانة.

الورق. قال فأخبرني عن مطركم. قال: يزيل العود ويقلب الحجر. قال: بحسب ريحكم يكون مطركم.

قال: والعرب تزعم أن بني زهير بن جناب أقوم العرب مياهاً. وهي التي أوقف إياهم عليها عبيد بن مسهر العادي.

ولبني غاضرة مياه تعرف بلينة يقال إنها ثلاثمئة عين. ويزعم أهل السير أن سليمان بن داود عليهما السلام، خرج من بيت المقدس يريد الشام فلما صار إلى هذا الموضع الذي يقال له لينة - وهي أرض خشنة - عطش الناس، ولحق أهل العسكر أمر عظيم من ذلك. ووجه سليمان [١٠٧] عليه السلام جماعة يطلبون الماء، ونزل في ذلك الموضع لعطش الناس. قال: فيينا هو كذلك إذ نظر إلى شيطان يضحك ويستغرب في الضحك. فغاط سليمان وأمر بقتله. فقال: لم تقتلني يا نبي الله؟ قال: لضحكك والناس مشرفون على الموت. فقال: إنما أضحك لعطشهم وهم على لجة بحر. قال سليمان: وكيف ذلك؟ قال: مرهم أن يحفروا. فإن الماء على ذراع. فأمرهم بذلك، فحفروا وأنبطوا الماء. وكان رجل قد حفر حفيرة لنفسه. فلما طال على ذلك الدهر، يدفن عامتها وبقي نميرها ما ذكرنا. وفيها يقول مضر السدي.

لمن الديار غشيتها بالأنميد فصفاً لينة كالحمام اللبدي

ويقال: إنه لم يمت قوم عطشاً إلا على ماء.

ومات قوم من العطش الشجى في أيام الحجاج - والشجى منزل من منازل طريق مكة من ناحية البصرة - فاتصل خبرهم بالحجاج فقال: إني أظنهم دعوا الله حين بلغ بهم الجهد، فاحفروا في مكانهم الذي كانوا فيه، فلعل الله أن يسقي الناس. فقال رجل من جلسائه: قد قال الشاعر:

ترأت له بين اللوى وعنيزة وبين الشجى مما أحال على الوادي

ما ترأت له إلا على ماء. فأمر الحجاج عبيدة السلمي أن يحفر بالشجى بئراً. فحفر فأنبط ماء لا يتروح.

وكانت الفلاسفة تقول: أفضل مستنبط المياه ما كان محاطاً بشعاب الأودية.
وأمثل منازل السفر ما اتخذ على مجامع الطرق. وأمثل الغيث ما أمرع.

وقال بعض العرب: إن الله عز وجل أخفى ماءً يارم والبديعة ونعمان وعنلان
لعباده المؤمنين. وهذه المياه كلها.

وقال المنصور يوماً لجلسائه - وقد تذاكروا البر والبحر -: عدّوا أربعة عشر
مرحلة من أي موضع شتتم، فإنكم لا تبلغون آخر العدد حتى تصلوا إلى البحر، إن
شتتم شرقاً وإن شتتم غرباً.

وقال السدي: الجبل الذي تطلع الشمس من ورائه، ارتفاعه في السماء
ثمانون^(١) فرسخاً.

وقال [١٠٧ ب] المروزي^(٢): قرأت على المأمون جواب أرسطاطاليس أستاذ
الاسكندر إلى الاسكندر فيما أعلمه من فتحه البلدان وجمعه الأموال التي يتعذر عليه
حملها، وعجبه من بيت ذهب ظهر له بالهند. فأجابه: إني رأيتك تعجب من عمل
عملته أيدي الآدميين، وتترك التعجب من هذا السقف الرفيع الذي هو فوقك وتزيين
من زينة الكواكب ونصبه على الحكمة البالغة. فأما البلدان التي افتتحناها، فليكن
ملكك إياها بالتودد إلى أهلها. ولا تملكها عليهم بالقهر والبغضاء. فإن طاعة
المودة أحمدُ بدءاً وعاقبة من طاعة القهر والاستكراه. وأما الأموال، فليكن حملك
إياها في جلد ثور. ففهم عنه الاسكندر ما رمز به إليه في هذه اللقطة ودفن في كل
بلد شيئاً من الأموال، وأثبت مواضع الكنوز في جلد ثور مدبوغ وحمله إلى الروم.
فهو إلى اليوم باقي في خزانة الملك. فربما أمر بإخراجه وانتساخ مواضع منه، وأنفذ
قوماً من أصحابه وكتبها لهم فاستخرجوها. وأكثر ذلك في الجبال والمواضع التي
يخفى أمرها.

(١) في الأصل: ثمانين.

(٢) يوجد اثنان باسم (أبي يحيى المروزي) أحدهما طبيب مشهور بمدينة السلام والآخر طبيب
وعالم بالهندسة (ابن النديم ٣٢٢).

واجتاز رجل من بني تميم برجل منهم وهو يغرس فسبلاً. وكان الغارس شيخاً. فقال له: كم أتى عليك من السنين أيها الشيخ؟ قال: قد جاوزت السبعين^(١). قال: فمثلك يعمل ما أرى؟ فأنشأ الشيخ يقول

إغرس فسبلاً وتَمُّ عنه فسوف ترى يوماً فسيلك إن عُمِّرت عِيدانا
فالعرق يسري إذا ما نام صاحبه وليس يسري إذا ما كان يقظانا

نغرس يا أخا تميم ما ترى. فإن عشنا أكلنا من تمره. وإن متنا خلفناه الأولاد. قال: إنك لبعيد الأمل. قال: إي والله. إني لبعيد الأمل، خائف لقرب الأجل. ولست ممن يفرط في عمران دار لا يدري لعله سيطول مقامه فيها. ومنها يتزود إلى الدار التي لا يدري متى يصير إليها. ولو أن من كان قبلنا أخذوا بمثل رأيك ما خلف الوالد لولده شيئاً ولا ورث شيئاً حيّاً.

قال التميمي: فأنصرفت عنه وغبرت برهة من الدهر ثم مررت بذلك المكان. فرأيت نخلاً عالياً مثمراً وآخر دونه. وإذا فتیان وأحداث، فقعدت إليهم وقلت: [١٠٨ أ]: من غرس هذا النخل؟ قالوا: ذلك الشيخ. فأتيته فسلمت عليه ثم قلت: أتعرفني؟ فتأملني ثم قال: أحسبك صاحبنا المعنف لنا على غرس ما ترى. قلت: أنا والله هو وأنشدته بيته. فعانقني وأقبل يحدثني وقال: إن الله فاعل ما يشاء. فلا يكونن خوفك ماحقاً لرجائك ولا بأسك غالباً لطمعك. وإذا الفتیان بنوه وبنو بنيه. فأقمت في ضيافته أياماً وانصرفت.

وقال بعضهم: قرأت على باب قصر خراب^(٢):

كم قد توارث هذا القصر من مَلِك فمات والوارث الباقي على أثر

قال: وقرأت على باب مدينة خراب:

كم من مدائن بالآفاق خالية أمست خراباً وذاق الموت بانيها

(١) في المختصر: الستين.

(٢) المختصر: على قصر بالعقيق.

وقال بعضهم: مررت في ريبض أبي يزيد الشروي وقد خرب. وإذا على باب^(١) قصره مكتوب:

أَفْنَى جَمِيعَهُمْ وَخَرَّبَ دَوْرَهُمْ مَلِكٌ تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ عَزِيزُ
وَقَرِئَ عَلَى بَابِ قَصْرٍ:

نَزَلَ الْمَوْتُ مَنْزِلًا سَلَبَ الْقَوْمَ وَارْتَحَلَ

وقال صالح المري: دخلت قصرًا بالبصرة وقد باد أهله فرأيت في بعض مجالسه مكتوباً ﴿فَتَلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وإذا في الجانب الآخر ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَذْكُرٍ﴾. وفي الجانب الآخر ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتَلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وفي الرابع ﴿فَتَلَكَ بَيْوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾.

وقرئ على حائط بيعة بالحيرة: بنيت هذه البيعة والملك عمرو بن المنذر بن الشقيقة، على يدي عمرو بن حيان. فالإله يغفر له خطيئته ويقبل نقلته إلى دار الحق. وأسفل من ذلك مكتوب: *في ريبض أبي يزيد الشروي*

رَأَيْنَا (٢) بِالْإِنْسَانِ جَمًّا وَلَا تُنْجِي مِنَ الدَّهْرِ الْحُدُودُ
وَلَا تُنْجِي مِنَ الْأَجَالِ أَرْضُ نَحَلُ بِهَا وَلَا قَصْرٌ مَشِيدُ

وحدثنا بعض إخواننا أنه قرأ على باب قصر أشناس بسرمرى:

هَذَا مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ فِي ظُلِّ عَيْشٍ خَصِيبٍ مَالُهُ خَطَرُ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ صُرُوفُ الدَّهْرِ فَانْتَقَلُوا إِلَى الْقُبُورِ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ

وقرئ على حائط قصر عادي: [١٠٨ ب]

يَمُوتُ الَّذِي يَبْنِي وَيَبْقَى بِنَاؤُهُ أَلَسْتَ تَرَى بِاللَّهِ فِي ذَاكَ عِبْرَةً

(١) المختصر: على باب مسجد.

(٢) كلمة مطموسة.

فيا غافلاً عن حينه أين من بنى
رمت بهم الأيام في عرصه البلى
وما زال هذا الموت يغشى ديارهم
فأجلاهم عنها سريعاً فأصبحت

وقرىء على باب قصر :

ما حال من قد عمل القصورا
ثم غدا في رميمه مقبورا
حتى يرى من قبره محشورا
وإما قرير العين أو مشورا

وعلى آخر :

يا من يشيد للخراب بناءه
وذكر رجل من الصوفية أنه قرأ على باب قصر في بعض السواحل مكتوباً :
كم كان يعمر هذا القصر من ملك
دارت عليه المنايا في تقلبها
فصار مأواه بعد العز في الشرب

قال : ودخلت قصرأ فرأيت قصرأ حسناً كثير المجالس . فبينما أنا أدوره إذ
دخلت مجلساً ما رأيت أحسن منه وفيه قبر عليه مكتوب :

ولما بنيت القصر أملت نفعه
فلما استوى والناس بُوأْتُ كارهأ
كذلك كان الدهر يفعل قبلنا
ولكن تجاهلنا وحذنا عن الأمر

قال : ورأيت في مجلس آخر مكتوباً :

جار الزمان علينا بعد غبطتنا
فلم يغادر لنا في القصر إنسانا
وصار مأوى لوحش الأرض تسكنه
أفناه رب زمان ثم أفنانا

ولو لم يفدك هذا الكتاب من الأخبار العجيبة والأشعار الظريفة والأمور الغريبة، لكان فيما يفيدك من أخبار البلدان وعجائب الكور والأمصار بلاغاً ومقنعاً. فكيف وقد أفادك [١٠٩] علم الماضين وأخبار الأولين. وذلك علم المعنيين. ووقفك على الطريقين وأرشدك إلى الأمرين جميعاً: حكمة بالغة وموعظة موجزة. تعرفت منه أخبار الماضين، وأبينة من قد سلف من الأولين. وفي هذا الخبر الذي أثبتته هاهنا عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر، ودليل على وحدانية الله تعالى، ومخبر عن آياته وقدرته. فصفتُ ذهنك وفرغ قلبك وأقبل عليه بسمك وتفكر فيه، وفيما تضمنته من الأعجوبة. فإن فيه عبرة لأولي الألباب.

قال عبد الرحمن بن محمد بن نصر: سمعت أحمد بن الحسن يذكر عن علي بن عاصم عن أبيه قال: كان الخضر عليه السلام يأتي شاباً زاهداً من بني إسرائيل فيحدثه كما يأتي الرجل أخاه وصديقه. وكان الشاب خيراً فاضلاً. فبلغ ذلك ملك بني إسرائيل، فأرسل إلى الشام فدعاه وقال: بلغني أن الخضر يأتيك فيحدثك كما يحدث الرجل أخاه. قال الفتى: نعم. قال: فإذا جاء فاتتني به. قال: كيف آتيك به أيها الملك؟ قال: والله لتأتيني به أو لاقتلك. قال: أجهد. ثم انصرف الفتى.

فلما كان بعد أيام، أتاه الخضر عليه السلام فقال له: إن ملك بني إسرائيل قال لي كذا وكذا. قال الخضر: انطلق بنا إليه. فانطلقا حتى دخلا عليه. فوقف الخضر فقال له الملك: أنت الخضر؟ قال: نعم. فأعظمه وبجله ثم قال له: حدثني بأعجب ما رأيت في الدنيا. فقال: أعجب ما رأيت، أني مررت بمدينة منك هذه، وهي مدينة لم أرَ على وجه الأرض مثلها حسناً وجمالاً وكثرة أهل وأسواق وعمارة، فدنوت من بعض البوابين فقلت: متى بنيت هذه المدينة ومن الذي بناها؟ فقال لي: ما يذكر أحد من الناس متى بُنيت ولا من بناها. فتركته ومضيت. وعبرت عنها خمسمائة عام. ثم اجتزت بها فإذا هي تلول وخرابات ولم أرَ أحداً أسأله عنها. فعلوتُ بعض تلك التلول، فإذا أنا براع يرعى غنماً فنزلت إليه وسألته عن المدينة ومتى خربت. فقال: ما نعلم أنه كانت هاهنا مدينة قط، ولا نعرف غير

هذه التلول والخرابات، ولا يُدرى أي شيء أمرها. فتركته ومضيت. وعبرت
خمسائة عام، ثم مررتُ بها [١٠٩ ب] فإذا موضعها بحر وقد زالت تلك التلول
والخرابات فصارت كلها فيه. وإذا بجماعة يغوصون فيخرجون اللؤلؤ من قراره.
فدنوت من بعضهم وقلت: مُدُّكم صار هذا البحر هاهنا؟ فضحك ثم قال: سبحان
الله. ما زال هذا البحر وهذا المكان منذ كانت الدنيا. فمضيت وغبت خمسائة عام
ثم اجتزت بالموضع فإذا ذاك البحر قد غاض ماؤه وفي مكانه غيضة ملتفة بالقصب
والبردي وبين ذلك القصب والبردي منافع ماء فيها سمك كثير وصيادون يصيدون
ذلك السمك في زواريق صغار. فقلت لبعضهم: أكان هاهنا بحر؟ قال: لا. ما
كان هاهنا إلا هذه الآجام وهذه المياه لا غير ذلك. فانصرفت. وعبرت خمسائة
عام ثم اجتزت بالمكان فإذا رمال متصلة بينها حمى. وإذا [هي] أكثر بلاد الله
ظباءً. فالتمت أن أرى إنساناً، فلم أرَ إلا رجلاً يصيد تلك الظباء بحباله له.
فدنوت منه وسألته عن تلك الآجام، فقال: واللَّهِ ما نعرف ولا آباؤنا وأجدادنا هذا
البلد إلا على ما تراه، وما كانت فيه أجمة ولا شجر ومستنقع قط. فانصرفت
متعجباً. وعبرت خمسائة عام ثم اجتزت به فإذا هو جبل وعرف وفيه كهوف يخرج
منه الدخان. فلم أرَ أحداً أسأله عنها إلى أن رأيت رجلاً متعسفاً فقصدته وسألته
عن تلك الرمال فقال: ما نعرف الموضع إلا على ما ترى. فتركته ومضيت. وغبت
خمسائة عام ثم عدت فإذا مدينتك هذه في تلك المواضع. وإذا هي أحسن ما يراه
الناس من قصورها ودورها وحدائقها وأسواقها. فدنوت من بعض البوابين وسألته
عنها ومُدُّكم بُنيت فقال: يا هذا! ما نعرف هذه المدينة إلا كما تراها، ولا حدثنا
أحد من أولينا أنه يعرف ما فيها. فهذا أعجب شيء رأيته فيما أطوفه من البلدان
وأخترقه من المفاوز والقفار.

فوئب الملك عن سريره فسجد للخضر. فقال له: ارفع رأسك واسجد للذي
خلقني وخلقك. فقال: أريد أن أصحبك وأخلي ما أنا فيه من الملك. فقال: لا
تقدر على ذلك. لأنني اليوم هاهنا وغداً بيت المقدس وبعد غد بمكة. ولكن إن
أردت العبادة فاصحب هذا الفتى وكن معه.

قال: فترك [١١٠ أ] الملك مملكته وخرج هو والشاب يسبحان في الأرض.

وأنشد لبعضهم [في] الزمان:

وَلَرُبَّ حِصْنٍ قَدْ تَخَرَّمَ أَهْلُهُ	رَبُّ الزَّمَانِ فَبِأُتُهُ مَسْدُودُ
عَدَتْ الْمُنُونُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ	وَالْقَوْمُ فِيهِ آمَنُونَ هَجُودُ
فَتَفَرَّقَتْ أَجْيَادُهُمْ وَجَنُودُهُمْ	عَنْهُمْ فَكُلُّهُمْ هُنَاكَ شَدِيدُ
لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُمْ وَإِنْ سَلَّحَهُمْ	مُنِيرٌ بِفَنَائِهِمْ مَوْجُودُ
مَنْ نَسَجَ دَاوُدَ النَّبِيَّ أَعْدَاهَا	لِلْحَرْبِ يَوْمَ أَعْدَاهَا دَاوُدُ
لَوْ أَنَّهُمْ سُئِلُوا الْقِتَالَ لَقَاتَلُوا	وَلَيْلَ مِنْهُمْ فِيهِمْ الْمَجْهُودُ
فَابْتَزَّهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ نَفْسَهُمْ	قَبْرًا وَإِنْ حَمَاتَهُمْ لَشَهُودُ
حَلَّوْا بَطُونَ الْأَرْضِ بَعْدَ ظَهْوِهَا	وَمَضَى بِهِمْ سَفَرٌ هُنَاكَ بَعِيدُ
صَارَتْ نِسَاؤُهُمْ حَلَائِلَ غَيْرِهِمْ	خَلَقْتَ عَلَيْهِمْ سِفْلَةً وَعَبِيدُ
فَأَسْمِعْ وَأَبْصِرْ أَيْنَ عَادَ أَصْحَابُ	أَخْلَتْ مَنَازِلَهَا وَأَيْنَ ثَمُودُ
أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا فَأَصْبَحَ مَا بَنَوْا	فِيهِ الْأَفْرُورُ أَوْ شِيدُ ^(١)

وقال خالد بن عمير بن الخباب السلمي: كنا مع مسلمة بن عبد الملك في غزوة قسطنطينية فخرج إلينا في بعض الأيام رجل من الروم يدعو إلى المبارزة فخرجت إليه فلم أرَ فارساً كان مثله. تجاوزنا عامة يومنا فلم يظفر واحد منا بصاحبه. ثم تداعينا إلى المصارعة، فصارعت منه أشد الناس. فصرعني وجلس على صدري ليذبحني - وكان رسن دابته مشدوداً في عاتقه - وانه ليعالجني للذبح إذ حاصت دابته حيصة جرته عني ووقع من على صدري وبادرت إليه وجلست على صدره فنفست به عن القتل، وأخذته أميراً وجئت به إلى مسلمة فسأله فلم يجبه بحرف وكان أجسم الرجال وأعظمهم. فأراد أن يبعث إلى هشام وهو يومئذ [١١٠ ب] بحرّان. فقلت: دلني الوفاة به. قال: إنك لأحق الناس بذلك. فبعث

(١) عجز البيت مضطرب.

به معي، فأقبلت أكلمه وهو لا يكلمني حتى انتهينا إلى موضع من ديار مضر يعرف
بالجريش وتل محرى فقال لي: ما يقال لهذا المكان؟ قلت: الجريش وتل محرى.
فقال:

ثوى بين الجريش وتل محرى فوارس من نمارة غير ميل
فلا جزعون إن ضراء نابت ولا فرحون بالخير القليل

فإذا هو أفصح الناس. ثم سكت فكلّمناه وهو لا يجيبنا. فلما صرنا إلى
الرها قال: دعوني أصلي في بيعتها. قلنا دونك فصلي. فلما صرنا إلى حران قال:
أما إنها أول مدينة بنيت بعد بابل. ثم قال: دعوني أستمح في حمامها وأطلي.
فتركناه. فخرج إلينا كأنه برطيل فضة بياضاً وعظماً. فأدخلته إلى هشام وأخبرته
جميع قصته. فقال له من أنت؟ قال: رجل من إباد ثم أحد بني حذافة. فقال له:
أراك غريباً، لك جمال وفصاحة فأسلم تحقن دمك. قال: إن لي ببلاد الروم
أولاداً. فقال: ونفك أولادك ونحسن عطاءك. قال: ما كنت لأرجع عن ديني.
فأقبل به وأدبر فأبى. فقال دونك فاضرب عنقه. فضربت عنقه.

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

القول في همذان

قال أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي: سميت همذان بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام. وهمذان وإصبهان أخوان، بنى أحدهما إصبهان والآخر همذان. فسميت كل مدينة منهما باسم بانيها. وسميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي. ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام. وإنما هي نوح أوند. أي أنها من بناء نوح وهي أعتق مدينة بالجيل.

قال: وقرأ عليّ بعض النصاري كتاباً بالسريانية فيه أخبار الملوك والبلدان، فترجمه لي وذكر أن الذي بنى همذان ملك يقال له كرميس بن حليمون. وذكر بعض الفرس أن اسم همذان مقلوب. إنما هو ناذمه ومعناه المحبوبة.

وروي عن شعبة قال: الجبال عسكر وهمذان معمعتها وهي أعذبها ماء وأطيبها هواء.

وقال ربيعة بن [١١١ أ] عثمان: كان فتح همذان في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان الذي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة أربع وعشرين من الهجرة.

وفي خبر آخر قال: وجه المغيرة بن شعبة^(١) - وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر عنها - جرير بن عبد الله البجلي إلى همذان في سنة ثلاث وعشرين، فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فذهبت. فقال احتسبها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله.

(١) من هنا إلى قوله (في آخر سنة ثلاث وعشرين) في فتوح البلدان ٣٠٦.

وجرى أمر همذان على مثل صلح نهاوند وذلك في آخر سنة ثلاث وعشرين .

وقال بعض علماء الفرس : كانت همذان أكبر مدينة بالجبل وكانت أربعة فراسخ في مثلها . وكان طولها من الجبل إلى قرية يقال لها زينوباد . وكان صنف الفاخرائيين بها وصنف الصيارفة بسيجاباد^(١) .

وكان القصر الخراب الذي بسيجاباد تكون فيه الخزائن والأموال . وكان صنف البزازين بقرية يقال لها بريشقان^(٢) . فيقال إن بخت نصر لما غلب على الأرض وأخرب بيت المقدس ، بعث إليها قائداً يقال له صقلاب في خمسمائة ألف رجل . فأناخ عليها وأقام يحارب أهلها مدة وهو لا يقدر عليها . فلما أعيته الحيلة فيها وعزم على الانصراف استشار أصحابه . فقالوا له : الرأي أن تكتب إلى بخت نصر تعلمه أمرك وتستأذنه في الانصراف . فكتب إليه : أما بعد ، فإني وردت على مدينة حصينة كثيرة الأهل منيعة واسعة الأنهار ملتفة الأشجار كثيرة المقاتلة . وقد رمت فتحها فلم أقدر عليها . وقد ضجر أصحابي المقام وضائق عليهم الميرة والعلوفة . فإن أذن لي الملك بالانصراف ، انصرف .

فلما ورد الكتاب على بخت نصر كتب إليه : أما بعد ، فقد فهمت كتابك وقد رأيت أن تصوّر لي المدينة بجبالها وعيونها وطرقها وقراها ومنبع مياهها وتنفذ إليّ ذلك حتى يأتيك أمري .

ففعل صقلاب ما أمر به . وصور له المدينة وأنفذ الصورة إليه وهو يبابل . فلما وقف عليها جمع الحكماء وقال : أجيلوا الرأي في هذه الصورة وانظروا من أين تفتح هذه المدينة . فأجمعوا على أن تُسدّ عيونها [١١١ ب] حولاً ثم يفتح السد ويرسل على المدينة فإنها تغرق . فكتب بخت نصر إلى صقلاب بذلك وأمره بما قاله الحكماء . ففعل ذلك . فلما كان عند الحول فتح الماء وأرسله على المدينة فهدم سورها وغرق أكثرها ودخلها صقلاب ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وأقام بها

(١) في ياقوت : سنجاباد ، وفيه أيضاً سبجاباد .

(٢) في ياقوت : برشيقان ٤ : ٩٨١ .

فوقع في أصحابه الطاعون فمات عامتهم حتى لم يبق منهم إلا القليل . ودفنوا في أحواض من خزف فقبورهم معروفة إلى وقتنا هذا في المحال والسكك .

ولم تزل همدان خراباً حتى كانت حرب دارا بن دارا والإسكندر . فإن دارا استشار أصحابه في أمره لما أظله الإسكندر ، فأشاروا عليه بمحاربته بعد أن يحرز حرمه وأمواله وخزائنه بمكان منيع لا يوصل إليه ويتجرّد هو للقتال . فقال : انظروا موضعاً حريزاً حصيناً لذلك . فقالوا له : إن من وراء الماهين جبلاً لا ترام ، وهي شبيهة بالسد . وهناك رسم مدينة عتيقة قد خربت وباد وهلك أهلها وحولها جبال شامخة يقال لها همدان : فالرأي للملك أن يبعث إليها من يأمره ببنائها وإحكامها وأن يجعل في وسطها حصناً يكون للحرم والخزائن والعيال والأموال ، وتبنى حول الحصن دور لعيال القواد والخاصة والمرازية . ثم يوكل بالمدينة اثنا عشر ألف رجل من خاصة الملك وثقافته يحمونها ويقاتلون عنها متى رامها أحد . فأمر ببناء همدان وبنى في وسطها قصرًا عظيمًا مشرفاً له ثلاثة أوجه وسماه ساروق وجعل فيه ألف مخبأ لخزائنه وأمواله وأغلق عليه ثمانية أبواب حديد ، كل باب في ارتفاع اثني عشر ذراعاً . ثم أمر بأهله وولده وخزائنه فحولوا إليها وأسكنوها . وجعل في وسط القصر قصرًا آخر صيّر فيه خواص حرمه وأحرز أمواله في تلك المخايء . ووكل بالمدينة اثني عشر ألف رجل وجعلهم حرساً عليها .

وذكر بعض مشايخ همدان أنها أعتق مدينة بالجبل واستدلوا على ذلك من بقية بناء قديم باقٍ إلى اليوم . وهو طاق عظيم شاهق لا يدرى من بناه وللعمامة فيه أخبار عامية يذكرون [١١٢ أ] أنهم وجدوا في هذا الطاق حجراً مكتوب عليه : من اصطخر غدونا وفي هذا الطاق قلنا وبالشام مبيتنا . ويزعمون أن بعض أصحاب سليمان بن داود كتبه . وإن سليمان بن داود عليه السلام اجتاز بهذا المكان فرأى غراباً ساقطاً عليه . ويقال إن الغراب يعيش ألف سنة . فقال له سليمان : خبرني خبر هذا الطاق ومن بناه . فقال : أنا هاهنا منذ ستمائة سنة ، وأقام أبي قبلي هاهنا ألف سنة وجدتي قبل ذلك بألف سنة ، وهو على حالته كذا وجدناه ما تغيّر منه

شنيء^(١).

وأخبر بعض أصحاب الأخبار أنهم وجدوا في بعض المخابىء التي في القصر المعروف بساروق، رقعة فيها كتابة بالفارسية فترجمت فكانت: وظف الملك على أهل مرو لبناء هذه المدينة من الطين كذا وكذا ألف وقر.

قال: وإذا تفقدت طين المدينة ونظرت إلى أبنيتها القديمة رأيت الطين مختلفاً ما بين أبيض وأحمر وأسود وغير ذلك.

وزعموا أن الملوك كانت توظف على رعاياها حمل الطين في وقت والماء في وقت والآجر والحجارة في وقت إلى ما يبنيه من المدن ليعرفوا بذلك سمعهم وطاعتهم.

وعن بعض أهل همذان قال: قدمت على جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه فقال لي: من أين أنت؟ قلت: من الجبل. قال: من أي مدينة؟ قلت: من مدينة همذان. قال: أتعرف جبلها الذي يقال له راوند؟ قلت: جعلني الله فداك إنما يقال له أروند. قال: نعم. أما إن فيه عين من عيون الجنة.

قال: فأهل البلد يرون أنها الحمة التي على قلة الجبل. وذلك أن ماءها يخرج في وقت من أوقات السنة معلوم، ومنبعه من شق في صخرة. وهو ماء عذب شديد البرد يشرب منه الواحد في اليوم واللييلة مائة رطل وأكثر ولا يرتوي لكثرة ما يشرب منه، بل ينفعه. فإذا تجاوزت أيامه المعدودة التي يخرج فيها، ذهب إلى وقته من العام المقبل لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً في خروجه وانقطاعه.

وقال محمد بن بشار بذكر أروند في شعر طويل [١١٢ ب]:

ولقد أقولُ تيامني وتشاءمي	وتواصلي ديماً على همذان
بلد نبات الزعفران ترابهُ	وشرابهُ عسل بماء قنان
سقياً لأوجه من سقيت لذكرهم	ماء الجوى بزجاجة الأحزان

(١) الواقعة موجودة في المختصر بصورة مختصرة.

كَادَ الْفُؤَادُ بِطَيْرٍ مِمَّا شَفَّهُ
فَكَسَا الرِّيعُ بِلَادَ أَهْلِكَ رَوْضَةً
حَتَّى تَعَانَقَ مِنْ خُزَامَاكَ الذَّرَى
وَإِذَا تَبَجَّسَتْ الثَّلُوجُ تَبَجَّسَتْ
مَتَسَلِّسِلِينَ عَلَى مَذَائِبِ تَلْعَةٍ
وَقَالَ أَيْضاً

شَوْقاً بِأَجْنَحَةٍ مِنَ الْحَقَّقَانِ
تَفْتَرُّ عَنْ ثَقَلٍ وَعَنْ حَوَذَانِ
بِالْجِلْهَتَيْنِ شَقَائِقُ النِّعْمَانِ
عَنْ كَوْنِ شَيْمٍ وَعَنْ حَيَوَانِ
تَشْفُو الْجِدَاءُ بِهَا مَعَ الْحُمْلَانِ

تَزَيَّنَتْ الدُّنْيَا وَطَابَتْ جَنَائِهَا
وَأَمْرَعَتْ الْقِيَعَانُ وَاخْضَرَّ نَبْتُهَا
وَجَاءَتْ جُنُودٌ مِنْ قَرَى الْهِنْدِ لَمْ تَكُنْ
مَسُورَةً دُغِجَ الْعَيُونِ كَأَنَّمَا
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ نَلَّذَهُ
إِذَا اسْتَقْبَلَ الصِّيفُ الرِّيعَ وَأَعْشَبَتْ
وَهَاجَ عَلَيْهِمُ بِالْعِرَاقِ وَأَرْضِهِ
سَقَّتَكَ ذُرَى أَرُونَدَ مِنْ سَيْحِ ذَائِبٍ
تَرَى الْمَاءَ مُسْتَنّاً عَلَى ظَهْرِ صَخْرَةٍ
كَأَنَّ بِهَا شَوْباً مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي
فِي سَاقِي كَاسِي أَصْبِحَانِي مُدَامَةً
مَكَلَّلَةً بِالنُّورِ تَحْكِي مَضَاحِكاً
كَأَنَّ عُرُوسَ الْحَيِّ بَنَّتْ خِلَالَهَا
تَهَاوَيْلَ مِنْ حَمَرٍ وَصُفْرِ كَأَنَّهَا
وَقَالَ أَيْضاً [١١٣]:

وَنَاحَ عَلَى أَغْصَانِهَا وَرَشَائِهَا
وَقَامَ عَلَى الْوَزْنِ السَّوَاءِ زَمَائِهَا
لِقَاتِي إِلَّا حِينَ يَأْتِي أَوَائِهَا^(١)
لَفَاتِ بَنَاتِ الْهِنْدِ يَحْكِي لِسَانُهَا
مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا فَوْقَهُ مَمَازِينُهَا
شَمَارِيخُ مِنْ أَرُونَدَ شَمَّ قِنَائِهَا
هَوَاجِرُ بِشَوِي أَهْلَهَا لَهْبَائِهَا
مِنَ الثَّلَجِ أَنْهَاراً عَذَاباً رَعَائِهَا
يَنَابِيعَ يَزْهِي حُسْنُهَا وَاسْتِنَائِهَا
يَفِيضُ عَلَى سُكَّانِهَا حَيَوَائِهَا
عَلَى رَوْضَةٍ يَشْفِي الْمَحَبَّ جَنَائِهَا
شَقَائِقُهَا فِي غَايَةِ الْحَسَنِ بَائِهَا
فَلَائِدَ يَاقُوتِ زَهَامَا اقْتِرَائِهَا
نَيَا الْعَذَارَى ضَاحِكاً أَفْحَوَائِهَا

(١) هي الطيور المهاجرة.

سَقِيًّا لظُلُوكِ يَا أَرُونْدُ مِنْ جَبَلٍ وَإِنْ رَمِينَاكَ بِالْهَجْرَانِ وَالْمَلِ
هَلْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا كَلَّفْتَنِي حِجْجًا مِنْ حَبِّ مَائِكَ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَلِ
لَا زِلْتَ تُكْسِي عَلَى الْأَنْوَارِ أَرْدِيَّةً مِنْ نَاضِرٍ أُنْقَى أَوْ نَاعِمٍ خَصِلِ
حَتَّى تَزُورَ الْعِذَارَى كُلَّ شَارِقَةٍ أَفِيَاءَ سَفْحِكَ يَسْتَصِينُ ذَا الْغَزْلِ
وَأَنْتِ فِي حُلِّ وَالْجَوْ فِي حُلِّ وَالْبَيْضُ فِي حُلِّ وَالرَّوْضُ فِي حُلِّ

وقالوا: أطيب البلدان ما طاب هواؤه وعذب ماؤه وكثر كلاه. والماء مزاج الروح وصفي النفس وقوام الأبدان الناطق وغير الناطق بمجانسته لها ومعادلته إياها. ومن فضيلته أن كل شراب وإن رق وصفا وعذب وحلا فليس بعوض عنه ولا مغن عنه، بل بطيب بمزاجه ويعذب بمخالطته حتى يجري في العروق بلطفاته، وينساب في المفاصل برقته. مع خاصيته في ريّ الظمأ وإطفائه ضرام نار الحشا. ولولاه ما عرف فضل البستان على الجنان، ولكان وغيره سبباً. ولقد جعلته العرب مثلاً فقال القطامي:

فَهَنْ يَنْبِذَنْ مِنْ قَوْلٍ يُصَيِّرُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الثَّلَاةِ الصَّادِي
وقال آخر:

أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدِي عِذَابُ كَأَنَّمَا مَقَّتْكَ بِهَا سُعْدِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدَا

وذكر أبو جعفر محبرة النديم^(١) أنه حمل للموفق عند خروجه إلى الجبل من ماء دجلة ألف خماسية^(٢). فلما وافى همدان، وُصف له ماؤها فشرب منه واستطابه وترك ماء دجلة، وجعله شرابه.

وطلب^(٣) الشعبي على مائدة قتيبة بن مسلم - وقد قيل غيره - ماء، فلم يدر

(١) محبرة النديم واسمه محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري من ندماء المعتضد العباسي (ابن النديم ٦٦).

(٢) في المختصر: خمسية.

(٣) يبدأ من هنا نقل المؤلف بصورة مختصرة قليلاً لمادة موجودة في حيوان الجاحظ ٥: ١٣٧ =

اللبن يريد أم العسل أم الماء. فقبل له: أي الأشربة تريد؟ فقال: أعزها مفقوداً وأهونها موجوداً. فقال قتيبة: اسقوه ماء.

وكان أبو العتاهية عند بعض الملوك فشرب منهم رجل ماء وقال:

بركة الماء وطابا

فقال أبو العتاهية:

حبذا الماء شربا

وقال الله عز وجل مقحماً لأمر الماء ﴿أنهار﴾ [١١٣ ب] من ماء غير آسن. ألا ترى أنه لم يذكره بغير السلامة من التغيير، إذ كان [الماء] متى كان خالصاً لم يحتاج أن يشرب بشيء. غريب في خلقته من الصفاء والعذوبة والبرد والطيب والحسن. قال عدي بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وفي قول الله عز وجل ﴿ثم لنسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال: عن الماء البارد في الصيف وعن الحار في الشتاء.

وقالوا في النظر إلى الماء الدائم والجاري ما قالوا.

وجاء في الأثر: من كان به مرض فليأخذ درهماً حلالاً وليشتر عسلاً ثم ليشربه بماء السماء، فإنه يبرأ بإذن الله.

والريف هو الماء عند العرب.

وما ظنك بشراب إذا ملح وخبث^(١) أثمر العنبر وولد الدر، وإذا صفا وطاب أحيا الأنفس. وقال الله عز وجل ﴿قيل لها ادخلي الصرح. فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها﴾. لأن الزجاج أكثر ما يخرج به أن يقال كأنه الماء الجاري.

١٤٨. وبيت القطامي المذكور آنفاً هو أيضاً من الحيوان. وما بين عضادتين في هذه المادة هو تصويبات أو إضافات من كتاب الجاحظ وضعناها في حالة الضرورة فقط.

(١) في الأصل: خشب.

وقال الله تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾.

ويقال إنه ليس شيء إلا وفيه ماء أو قد أصابه ماء أو قد خلق من ماء.
والنطفة تسمى ماء والماء يسمى نطفة.

وقال الله عز وجل ﴿وكان عرشه على الماء﴾. وقال ابن عباس: السماء

موج.

وقال الله تعالى ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب
الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك
الخروج﴾.

وحين اجتهدوا في تسمية امرأة بالجمال والحسن والصفاء والبياض قالوا:
ابنة ماء السماء. وقالوا: المنذر بن ماء السماء. ويقولون: لونه له طلاوة وماء.
وفلان ليس في وجهه ماء. وردني فلان ووجهي بمائه. قال الشاعر:

ماء الحياء بجول في وجناته

ووصف الراجز جملاً كريماً فقال:

أراك في ماء المَهاري منقع

وقالت أم فروة في صفة الماء:

وما ماء مزين أي ماء تقوله
تحدّر من غُر طوال الذوائب
بمنعرج أو بطن واد تحدّبت
عليه رياح الصيف من كل جانب

[١١٤]

نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ فَمَا أَنْ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعَائِبٍ^(١)

والابيضان: الماء واللبن. والأسودان التمر والماء. وسواد العراق، ماؤه

(١) في الحيوان بعده بيت رابع وبغيره لا يكمل المعنى.

بأطيب ممن يقصر الطرف دونه تقى الله واستحياء بعض العواقب

الكثير . والماء إذا كان له عمق اشتد سواده في العين . وقال العكلي في صفة ماء :

عَاوِدُهُ مِنْ ذَكَرٍ سَلَمَى عُوْدُهُ	وَاللَّيْلُ دَاجٍ مَطْلَعِخِمٌ اسْوَدُهُ
فَبِتُّ لَيْلِي سَاهِرًا مَا أَرْقَدُهُ	مَرْتَفَعًا أَوْ قَائِمًا مَا أَقْعَدُهُ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَوَلَّى كَبِدُهُ	وَانْكَبَّ لِلْغُورِ انْكِبَابًا فَرَقَدُهُ
وَحَثَّهُ حَادٍ كَمِشِي يَطْرُدُهُ	أَغْرُ أَجْلَى مُغْرِبٌ مَجْرُدُهُ
أَصْبَحَ بِالْقَلْبِ جَوَى مَا يَبْرُدُهُ	مَاءُ غَمَامٍ فِي الرِّصَافِ مِقْلَدُهُ
زَلَّ بِهِ عَنْ رَأْسٍ نَيْقٍ صَدَدُهُ	عَنْ ظَهْرِ صَفْوَانٍ مَزَلٌ مِجْسَدُهُ
[حَتَّى إِذَا السَّيْلُ تَنَاهَى مَدَدُهُ	وَشَكَّدَ الْمَاءَ الَّذِي يَشْكُدُهُ]
بَيْنَ نُعَامَى وَدَبُورٍ تُلْهِدُهُ	كَيْلُ نَسِيمٍ مِنْ صَبَا تَسْتُورَدُهُ
كَسَاتِمَا يَشْهَدُهُ أَوْ يَفْقَدُهُ	فَهُوَ شَفَاءُ الصَّادِ مِمَّا يَعْمَدُهُ

وقال جرير :

لَوْ شِئْتُ قَدْ نَقَعَ الْفَوَازُ بِشَرْبِي ^{بِجَنَّةِ الْحَوَائِمِ} لَا يَجِدَنَّ مَقِيلًا
بِالْعَذَبِ فِي وَسْطِ الْفَلَاةِ مَقِيلُهُ فَصَرُّ الْأَبَاطِحِ لَا يَزَالُ ظَلِيلًا

قالوا: وفي الماء، إن أطيب شراب عمل وركب مثل الجلاب والسكنجيين والبنفسج وغير ذلك مما يشرب من الانبجات والاقشرجات^(١) فإن تمام لذته وغاية طعمه أن يجرع شاربهُ بعد شربه إياه جرْعاً من الماء يغسل بها فمه ويطيب بها نفسه . فهو في هذا الموضع كالخَلَّةِ والحمض جميعاً، وهو تسويغ الطعام في المريء . وهو الموصل للغذاء في الأعضاء . فالماء يشرب صرفاً وممزوجاً والأشربة لا تشرب صرفاً ولا ينتفع بها إلا بممازجته . وهو بعدُ ظهور الأبدان وغسول الأدران . وقالوا: هو كالماء الذي يظهر كل شيء ولا ينجسه شيء . ولذلك قال النبي (ﷺ): الماء لا ينجسه [١١٤ ب] شيء إلا ما ظهر في طعمه

(١) الانبجات: المربيات التي تُصنع بالعسل بحيث يمكن القول ان كلمة المربيات ترادف الانبجات (فرهنگ معین) ويبدو أن الاقشرجات من هذا الصنف أيضاً.

ورريحه^(١).

ومنه يكون الثلج والثلج يجمع الحسن في العين والكرم في البياض والصفاء وحسن الوقع من النفس. ومن فضل الجبل^(٢) على العراق أنك لو قلت لمريض قد نقه من علته ببغداد في أيام حزيران وتموز وبناحية الكوفة والبصرة: ما تشتهي؟ لقال: أشتهي شربة ماء بارد أو قطعة ثلج أو جليد. وقد أقسموا بالماء. قال الشاعر:

غضبي فلا والله يا أهلها لا أشرب البارد أو ترضى

وسمى الله عز وجل أصل الماء غيثاً بعد أن قال «وكان عرشه على الماء». وقال «وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حياً ونباتاً وجنات ألفافاً».

ومن الماء زمزم وهو شفاء للأدواء. ومنه ما يكون دواء من الأدوية الغليظة كالحَمَات^(٣).

وبهمذان حَمَات كثيرة نافعة من الأدوية الغليظة مثل النقرس والجرب والرياح المستصعبة وغير ذلك فيضعها منقعة نائمة. منها ماء حَمَة أروند ولويذان وحمَة سارقين^(٤). وحمَة دار نبهان وماء آست وعبد الله آباد وماء بذين وماء سامين^(٥) وغير ذلك.

وقالوا: أحسن الأشياء: صفو هواء وعذوبة ماء وخضرة كلاء.

وقالوا: أفضل المياه ماء السماء إذا أخذ في ثوب نظيف. ثم ما وقع على جبل فاجتمع على صخرة. ثم ماء الغدران العظام. ثم الماء المستنقع في الصحارى إذا لم يكن فيه عشب. ثم ماء القناة ثم ماء الحوض الكثير العمق. ثم ماء العيون

(١) في الحيوان ٥: ١٤٦ ورد: (وقال النبي ﷺ) في بئر رومة: الماء لا ينجسه شيء. فقط.

(٢) فضل الجبل غير موجودة في الحيوان ويبدو أنها من إضافات ابن الفقيه.

(٣) إلى هنا يتوقف عن الاقتباس من الجاحظ.

(٤) في المختصر: دارفين.

(٥) في المختصر: سامير.

وما ينحدر من الجبال والماء الجاري النقي جيد من كل شيء. وهو جيد للحمى والزكي وجيد للمزاج والبلغم.

وقالوا: لولا أن ماء همدان متفرق وهي أنهار كثيرة، في أقطارها، لكان إذا اجتمع ماؤها مثل دجلة والفرات.

وقال تبادوس^(١): الماء حياة كل شيء وهلاك كل شيء وغضارة كل شيء وكاسف بال كل شيء. فأما قوله حياة كل شيء، فبه يحيا الإنسان الذي لم يخلق الله أشرف صنعة منه، والنبات والشجر وكل مأكول من الثمر وغيره. وهو غضارة هذه الأشياء ونضرتها. وأما كسوف بال كل شيء، فإذا أخذ منه الماء تغيرت نضرته وذاك كسوف باله. وأما هلاك كل شيء، فإن الفرق منه وكثرة شربه تورث الأدواء كما أن الاقتصاد فيه يذهب كل داء.

وماء السماء إذا أخذ في شيء انتهى وصحفي [١١٥ أ] وشرب منه صاحب السل واليرقان نفعهما. وإذا أخذ منه في جلم قبل أن يقع إلى الأرض وشربه من أراد الذكاء زاد في حفظه وذكائه.

وإن أخذ ماء السماء وخلط مع العسل والمصطكى وشرب نفع من البهق. وماء البرد إذا أخذ وألقي على قصب فارسي محرق واستيك به نفع من الحفر والقلع وأذهب بذلك وصلب الأسنان.

وماء الثلج إذا أخذ مع عرق إنسان ثم سقي به من الكزاز سكن فيه. وإذا أخذ مع لبن الإبل وسقي من به خفقان الفؤاد سكنه. وإن خلط به زبد البحر ثم طلي به على الجرب، ذهب به. وإن أخذ مع رماد الزيتون فطلي بهما البهق الأسود نفعه.

وإن أخذ ماء البثر أول ما ينبع ثم شربه من سقي السم، كان نافعا له، وإن أخذ أيضاً ثم فُت في خبز من حنطة حديثة وجعل فيه قند وأكله من به وجع الفؤاد نفعه. وأول ما يظهر من العين عند حفرها فهو نافع من الجنوب والوسواس.

(١) لعله ثيودورس. وهو من العلماء اليونانيين له مؤلفات في الجغرافيا والهندسة (ابن النديم ٣٢٨).

وإن ظهرت عين في سبخة فطرح فيها الاسفيل^(١) المشوي وأصل الكبد كان دواء للمجدومين . والعيون الكبرى تنفع من الجرب .

وماء البحر إذا أخذ مع السنبل المدقوق و ()^(٢) ودلك به اللسان قطع البخر وطيب رائحة الفم .

وأشدد لأبي صالح الحذاء من شعر طويل كتب به إلى ابنه - وكان غائباً -
بذكر له طيب هواء همدان وحسنها ونزهتها وعذوبة مائها ويشوقه إليها :

فأرحل إلينا رحلة تنجلي	من غيابات لمحزون
فقد هدت سورة أيامنا	وانسلخت أيام شريم
وجاءنا الشهر الذي صفت	فيه عفاريت الشياطين
وطاب للسارين وجه السرى	في طرق الري وقزون
والدمر في تقويم ساعاته	كدرهم أبيض موزون
هذا وبنيت الكرم قد اكملت	عدتها في القار والطين
عذراء باقوتها أبرزت	نخطب من خذر الدهاقين
قوم تراهم ترى أنهم	تجار عطر في الدكاكين
والطير قد حنت إلى عشها	بكل ألوان التزاوين
قد أقبلت واردة أرضنا	يقدمها سرب الشفانين
من بعد أن أنعمها عجمة	غنت بلحن غير ملحن

[١١٥ ب]

ترنمت في الجو قمرئها ترى بترجيع الرواشين

(١) نرجح أن الكلمة هي اسفيل وهو من النباتات الطبية ويقال له بصل الغنصل ويصل الغار وذرة الحبش ويقال له اسفيل واسفال . انظر عن خواصه ومنافعه (المعتمد ٣٤١) و (الأبنية عن حقائق الأدوية ٣٨ و ٥٢) .

(٢) كلمة غير مقروءة .

والسورقُ من ذكرِ فواخيتها
تبكي على فُرقةِ ألفتها
وقد بدا أروندُ يدي لنا
تزيّنَتْ عُمرُهُ إقباله
وانحسرتْ منه رؤوسُ الرّبي
والقُبُجُ من حافاتِه أوردتْ
وللظبسا سربٌ إذا أبلتْ
والشاةُ تشغوا بين حُملاتها
والماءُ يجري من متون الصفا
نسيمها عند هبوبِ الصبا
واللّه يسقي الرّيّ غيثاً به
إنّ لهم من فرطِ شكري بما
أجر الألى صانوا إمام الهدى
فهاكها مكنونةً صفتها
أبكارُ ألفاظٍ وما بكرُ ما
تمت ثمانينَ وتأريخها

وقال آخر:

تذكرتُ أرونداً وطيبَ نسيمه
سقى اللّه أرونداً ومن في جواره
وأيامنا إذ نحنُ في الدارِ جيرةُ

وقال آخر:

تعدّها خضرُ الوراشين
شجواً بدمعٍ غيرِ مهتون
من سفحه كلّ التحاسين
يسوئيه أحسنَ تزيين
عن ناضِرٍ أخضرٍ مشحون
فراخها خوفَ الشواهدين
من فجّه كالخردِ العيين
قد أينت كبدُ السراحين
على الحزامي والرياحين
أطيبُ من نفحةِ نسرين
من كان من سگان رامين
صانوك أجراً غيرَ ممنون
اعني علياً يومَ صفين
حلياً لعرضٍ لك مكنون
يهدى من الألفاظِ كالعُيون
في سنةِ الإحدى وتسعين

فقلتُ بقلبٍ للفراقِ سليم
ومن حلّه من ظاعنٍ ومقيم
وإذ دهرنا بالوصلِ غيرُ ذميم^(١)

(١) في المختصر، عجز البيت هو: نظوف برع للوصال قديم.

سَقْباً لَأُرَوِّدَ مَا أَهْنَى الْمَصِيفَ بِهِ
وَتَرْبَةً كَسَحِيقِ الْمِسْكِ نَكْهَتَهَا
وَقَالَ آخَرُ:

قَالُوا تَرَى النِّيلَ فِي مَصْرِ فَتَأَلَّفَهُ
فَقُلْتُ أَحْسَنُ مِنْ نِيلٍ بِمَصْرِكُمْ
فِي جَانِبِهِ رِيَاضُ الزَّهْرِ زَيْنَتُهَا
تَرَى الْحُزَامِي يُنَازِعِي الْأَقْحَوَانَ بِهَا
وَأُنْشِدُ لَوْهَبَ الْهَمْدَانِي:

الْقَى الرِّبْعُ عَلَى أُرْوَدِنَا خَلَعاً
خُضْراً وَخِلَعَتُهُ الْبَيْضَاءُ قَدْ خَلَعَا
[١١٦]

كَسَاهُ ثَوْباً مِنَ السَّوَارِ تَسْجُهُ
مَلَاءَهُ نَسْجَتُهَا دِيمَةً قَلْبَهَا
لَهَا رَقَائِقُ حُسْنٍ لَيْسَ يَفْهَمُهَا
صَفَرٌ وَخَضِرٌ وَحُمْرٌ لَيْسَ يَشْبَهُ ذَا
لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرٌ رَجَعُ نَفْمَتِهِ
تَرَى حَدَائِقَهَا كَالْبَيْضِ لَامِعَةً
إِذَا بَكَتْ مُزْنَةٌ مِنْ فَوْقِهَا ضَحَكَتْ
طَوْرٌ مَنِيْفٌ عَلَيْهِ شَمْلَةٌ نَسَجَتْ
إِذَا الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَرَّ أَذْيَلَهُ
فَانْظُرْ إِلَى بَطْنِ أُرْوَدَ الْبَهِيِّ تَرَى

أَيْدِي الرُّبَى رَوْضُهَا خَفِضاً وَمَرْتَفَعاً^(١)
بَدَائِعُ جَمَّةٌ قَدْ فَاقَتْ الْبَدْعَا
مَاذَا جَوَاهِرُهَا إِلَّا الَّذِي صَنَعَا
هَذَا وَلَا ذَاكَ هَذَا عِنْدَمَا طَلَعَا
فِي الرُّوْضِ تَرْجِيْعُ نَشْوَانٍ إِذَا سَجَعَا
بَيْنَ الْأَقَاحِي قَضَاءٌ فِي الرِّيَاضِ مَعَا
شَقَائِقُ أَخْرَجَتْ مِنْ سِمِطِهَا خِلَعَا
خَضِرَاءَ فَارْتَفَعَتْ فِيهِ كَمَا ارْتَفَعَا
حَسِبْتَهُ سَوْقَ عَطْرِ بَيْنَهَا وَضَعَا
بَاباً إِلَيْهِ مِنَ الْفَرْدَوْسِ قَدْ شَرَعَا

(١) عَجَزَ الْبَيْتُ فِي الْمَخْتَصَرِ هُوَ: حَدَائِقُ نَضَعُ مِنْ فَاقِعٍ لَمْعَا.

واسمع إذا قرقرت قمرية طرباً
والشاغيات بها تدعو هوالعها
من لم يكن في ذرى أروند معتكفاً
ويقال إن أكثر الجبال ماؤها من أسفلها إلا أروند فإن ماءه في أعلاه ومنابعه
في ذروته.

وأنشد لبعضهم في أروند:

أودى الشتاء وهاج كل مفرد
عكفت على أروند كل سحابة
تبكي مدامعها ويضحك ثغر لها
همت بما حملت فألبت الربى
من كل أخضر كالحرير وفاقع
شملت عصابة نوره هام الثرى
صارت غبوناً للزبي لما بكت
وكانها قمر وقد طلعت لها
حسنت فحسنت الثرى بدائع
شربت من الوشمي أول صوبه
وكانما لبس البقاع معصراً
نفت الصبا عنه القذى بنسيمها

وَيَدَتْ مَعَالِمُ لِلرَّبِيعِ الْأَغْيَدِ
سُودَاءَ مَظْلَمَةٍ كُلُّونِ الْأَثْمِدِ
عَنْ شَرْقِ كَالْكُوكَبِ الْمَتَوَقِّدِ
مَنْ نَسَجَهَا حُلَلاً وَإِنْ لَمْ تُعْقِدِ
غُضُلٌ وَأَحْمَرٌ سَاطِعٌ وَمُورِدِ
فَتَعَمَّمَتْ مِنْهَا هِضَابُ الْقَذْفِدِ
فِيهَا السَّحَابُ بِأَعْيُنٍ لَمْ تَجْمِدِ
شَمْسُ الضُّحَى مِنْ جَوْهَرٍ مُتَبَدِّدِ
خَسِرَتْ مَأْوِيَّ لِلشَّتَاءِ الْأَنْكِدِ
وَمِنْ الرُّزَالِ الْبَارِدِ الْمَتَطَرِّدِ
مِنْهَا وَوَشَحَ صَدْرَهُ بِمُورِدِ
فَكَأَنَّهُ لِمَعَانٍ مَتْنٍ مَهْنِدِ

[١١٦ ب] وكانوا يقولون: شتاء بغداد، وربيع همدان ومصيف أصفهان
وخريف الري^(١).

وقالت الحكماء: أحسن الأرض مخلوقة، الري ولها السن

(١) في المختصر: خريف همدان وربيع الري.

والسريان^(١). وأحسنها مصنوعة، نيسابور ولها حسن الآبار. ومرو ولها الذريق
والماجان، ودمشق ولها الغوطة والواديان. ونصيبين ولها هرماس. والصيمرة ولها
ما يهوى الحصنان. والبصرة ولها النهران. وفارس ولها شعب بؤان. وشهر زور
ولها المستشرف. وبقرحى ولها من هاهنا بستان ومن هاهنا بستان. والمدائن ولها
دجلة. والسوس وتستر وهما بين أربعة أنهار: دجيل والمسرغان وماهينان ونرويان.
وبلخ ونهاوند وأصفهان.

وقال أبو الوفاء الهمداني في إقبال همدان ومتنزهاتها في شعر طويل:

رَبَّانُ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ كَأَنِّي	غَصْنُ أَمَالْتُهُ الصَّبَا فَتَأَوَّدَا
أَرْمِي بَعِينِي الرِّيَاضَ وَأَجْتَنِي	مَنْ حُلِيهِنَّ لَأَلْتَأَ وَزَبْرَجْدَا
مَا يَبِينُ أَعْلَى مَعْوَجِينَ وَدُونَهَا	مَتَصَوِّباً طَوَّراً وَطَوَّراً مُضْعِدَا
وَإِذَا عَلَوْتُ إِلَى بَقَاعِ سَنَنْس	وَأَبْحَتَ عَيْنِيكَ الْمَرَادَ الْأَبْعَدَا
عَايَنْتَ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ حَلَّ النَّدَى	وَسَأَلَهُ مَنْ نَسَجَهُ أَنْ يَنْفَدَا
زَهْرَاءُ قَدْ زَهَتْ الرِّيَاضُ بِنُورِهِ	لَمَّا غَدَا عَلَى ^(٢) الرَّبْنَى مُتَسَرِّدَا
حَمْرَاءُ نَاصِعَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعَةٌ	وَمَزْعَفْرَاءُ فِي لَوْنِهِ وَمُورَّدَا
يَفْتَرُّ مَبْتَسِماً كَأَنَّ وَمِضْضَهُ	شَرَرُ أَطَارِثُهُ الصَّبَا فَتَوَقَّدَا
وَإِذَا الْغَزَالَةُ حَلَّ عَقْدَ خِمَارِهَا	أَهْدَتْ لَهُ مِنْهَا نَدَى مُتَجَدِّدَا
نُورٌ تُنِيرُ لَهُ الرِّيَاضُ وَتَغْتَدِي	تَبْدُو لَهُ أَسْرَارُهُنَّ إِذَا بَدَا
وَتَرَى الْجَنَانَ قَدْ اكْتَسَبْنَ نَضَارَةً	وَجَلِينَ دُرّاً فِي الْغُصُونِ مُنْضَدَا

وقال أيضاً [١١٧]:

يَا لَيْلَالِي تَرْمِينِي بِأَسْهُمِهَا	وَمَالَهَا تِرَةً عِنْدِي وَلَا ثَارُ
إِذَا اصْطَفَيْتُ خَلِيلاً أَوْ أَخَائِقَةً	لَا تَنْشِي مِنْهُ أَوْ تَنَائِي بِهِ الدَّارُ

(١) في المقدسي: سر وبهزان.

(٢) الوزن مضطرب ويمكن أن يستقيم إذا وضعت (فوق) مكان (على).

يا أيها المغتدي نحو الجبال له
 إقبر السلام على أروند من جبل
 واخصص أماكن فيه كنت أعهدُها
 وأربع بمرتبع كنا نلوذ به
 بسفح مرجانة المحسود ساكنها
 وشعب قرود فيه كل موقفة
 فسفح ترمين فالدكان مجتمع
 مستشرف فيه للأبصار متسع
 وفيه للقلب والأسماع ما طلبا
 يجيب الحائتها منا إذا هزجت
 تلك البلاد التي تحيا النفوس بها
 أرض يتعم أهلها إذا نعموا
 فيما هناك بُانات وأوطار
 يهيجني نحوه شوق وتذكار
 فيهر مني علامات وأثار
 قد أينعت فيه بالذات أشجار
 روض أريض وماء ثم موار
 وفيه للهو أشجار وأنهار
 فحيته كلما حلتها أمطار
 يرونا زهر فيه وأنوار
 من السرور إذا غردن أطيوار
 وغردت طرباً عود ومزمار
 لا ما تلهب في حافات النار
 بأن نكئهم في الأرض آبار

مجاراة عبد القاهر والحسين بن أبي سرح

في مدح همذان والعراق وذمهما

وكان عبد القاهر بن حمزة الواسطي والحسين بن أبي سرح كثيراً ما يلتقيان
 فيتجاربان الآداب ويتذاكران العلوم. وكان عبد القاهر لا يزال يذم الجبل وهواءه
 وأهله وشتاءه، لأنه رجل من أهل العراق. وكان ابن أبي سرح مخالفاً له، كثير
 الذم للعراق والطعن على أهله. فالتقيا يوماً عند محمد بن إسحاق الفقيه^(١). وكان
 يوماً شاتياً صادق البرد كثير الثلج. وكان البرد قد بلغ إلى عبد القاهر. فلما دخل
 وسلم قال: لعن الله الجبل ولعن ساكنيه وخص الله همذان من اللعن [١١٧ ب]
 بأوفره وأكثره. فما أكره هواءها وأشد بردها وأذاها وأكثر مؤونتها وأقل خيرها. قد

(١) هو والد مؤلف الكتاب.

سلط الله عليها الزمهرير الذي يعذب به أهل جهنم، مع ما يحتاج الإنسان منها إليه من الدثار والمؤمن المجحفه.

فجوهكم يا أهل همذان متشفقة، وأنوفكم سائلة، وأطرافكم خضرة، وثيابكم متسخة وروائحكم قذرة، ولحاكم دخانية^(١)، وسبلكم منقطعة، والفقر عليكم ظاهر والمستور في بلدكم مهتوك. لأن شتاءكم يهدم الحيطان ويبرز الحصان ويفسد الطرق ويشعث الآطام. فطرقكم وحلة تنهافت فيها الدواب، وتقذر فيها الثياب وتتحطم الإبل وتنخسف فيها الآبار وتغيض المياه، وتكف السطوح ونهيج الرياح العواصف، وتكون فيها الزلازل والخسوف والرعود والبروق والثلوج والدَّمَق. فتقطع عند ذلك السبل ويكثر الموت وتضيق المعاش. فالناس في جبلكم هذا سائر أيام الشتاء يتوقعون العذاب ويخافون السخطة والعقاب، ثم يسمونه العدو المحاصر والكَلْب الكَلْب. ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله: إنه قد أظلمكم الشتاء وهو العدو المحاصر، فاستعدوا له الفراء واستنعلوا الحذاء. وقد قال الشاعر:

إذا جاء الشتاء فأدثوني في فدان الشيخ يهدمه الشتاء

فالشتاء يهدم الحيطان، فكيف الأبدان، لا سيما شتاؤكم الملعون؟

ثم فيكم أخلاق الفرس وجفاء العلوج وبخل أهل أصفهان ووقاحة أهل الري وفدامة أهل نهاوند وغلظ طبع أهل همذان. على أن بلدكم هذا أشد البلدان برداً وأكثرها ثلجاً وأضيقتها طرقاً وأوعرها مسلكاً وأفقرها أهلاً.

وكان يقال: إن أبرد البلدان ثلاثة: برذعة وقاليقلا وخوارزم. وهذا قول من لم يدخل بلدكم ولم يشاهد شتاءكم. وقد حدثني أبو جعفر محمد بن إسحاق المكتَّب قال: لما قدم عبد الله بن المبارك همذان، أوقدت بين يديه، فكان إذا سخن باطن كفه أصاب ظاهرها البرد. وإذا سخن ظاهرها أصاب باطنها البرد، فقال:

(١) تأتي بعد هذا في آثار البلاد ٤٨٤: وألواتهم باذنجانية.

أقول لها ونحن على صلاء أما للنار عندك حرٌّ نار
لئن خُيِّرْتُ في البلدان يوماً فما همذان عندي بالخيار

ثم التفت إلى ابن أبي سرح وقال: يا أبا عبد الله! وهذا والدك يقول:

النارُ في همذان يبردُ حرُّها والبردُ في همذان داءٌ مُسِقِّمُ
والفقرُ يكتُمُ في بلادٍ غيرها والفقرُ في همذان ما لا يكتُمُ
قد قال كسرى حين أبصرَ تلكم همذان، فانصرفوا فتلك جهنمُ

والدليل على هذا أن الأكاسرة كانت لا تدخل همذان، لأن بناءهم متصل من المدائن إلى أرميدخت من أسد آباد ولم يجوزوا عقبه أسد آباد.

وبلغنا أن كسرى أبرويز همَّ بدخول همذان. فلما بلغ موضعاً يقال له دوزخ دَرِه ومعناه بالعربية باب جهنم أو كهف جهنم، قال لبعض وزرائه: ما يسمي هذا المكان؟ فعرفه. فقال: انصرفوا. لا حاجة لنا في دخول مدينة فيها ذكر جهنم.

وقال شاعرهم وهو وهب بن شاذان الهمذاني:

أما آن من همذان الرحيلُ من البلدة الحزنَةِ الجامدة
فما في البلاد ولا أهلها من الخير من خصلة واحدة
يشيبُ الشباب ولم يهرموا بها من ضبايتها الراكدة
سألْتهم أين أقصى الشناء ومستقبلُ السنة الواردة
فقالوا إلى الجمرة المتهى فقد سقطت جمرة جامدة
وقال أيضاً:

يومٌ من الزمهرير مَرُورُ عليه جُبُّ الضباب مَرُورُ
كأنما حشَوْ جَوْهٍ إِرُّ وأرضه وجهها قواريرُ
وشمسُه حرَّةٌ مخدرة نلبث حين حُمِّ مقدورُ
تُخال بالوجه من ضبايتها إذ أخذت جِلْدَةَ زنسابيرُ

يسرى البصيرُ الحديدُ نظرأته منها لأجفانه سعاديرُ

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً فقال: من أين أنت؟ فقال: من همدان. قال: أما إنها مدينة هم وأذى، تجمد قلوب أهلها كما يجمد ماؤها. وقال شاعرهم أيضاً محمد بن بشار يذم بلدكم ويذكر شدة برده وغلظ طبع أهله وما يحتاجون إليه من المؤن المجحفة الغليظة [١١٨ أ]:

أتتك أماراتُ الشتاء ودلائله	ووافاك من بردِ الخريفِ أوائله
فأصبحتُ محزوناً ودمعي كأنه	جمانٌ على الخدين ينثر هامله
أمامي صيفٌ رعانيه ^(١)	وتيسه رحيبُ جوزة ومجاهله
إذا البردُ رذاهُ رداء كأنه	ملاءٌ عليه قد تنوَّق غاسله
وهبت له ريحُ الصبا ثم أعقبته	جنوباً وهبت بعد ذاك شمائله
وجدتُ فؤادي طائراً من حذاره	وقلبي كئيباً ما تكفُّ بلبله

وقال آخر:

أنا الزمانُ ببردِ الشتاء	وسال به سئلُه مكفهراً
وهبت سيولُ شمالِ الرياح	فكزُ الفقيرُ لها واقشعراً
يقرب من رأسه منكبيه	ويغدو إلى ناره مُشمئراً
وأحجرتِ الكلبُ هوجُ الرياح	وصرَّ بأذنيه للبردِ صراً
وفارقتِ الوحشُ أوطانها	إلى كلِّ غورٍ يقهِن ^(٢) شراً
وكزُ الولاة على من يكونُ	فلم يجد المرء منهم مَقراً
وشحَّ البخيلُ على ماله	وزَوَى له حاجيه وهراً

وقيل لأعرابي دخل همدان ثم انصرف إلى البادية: كيف رأيت همدان؟

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: فلفهن.

فقال: أما نهارها فرقاص وأما ليلهم فحمال. يعني أنهم بالنهار يرقصون لتدفأ أرجلهم، وبالليل حمالون لكثرة دنارهم.

ورقع أعرابي إلى همذان في الربيع فاستطاب الزمان وأنس بالأشجار والأنهار. فلما جاء الشتاء، ورد عليه ما لم يعهده من البرد والأذى فقال:

بهمذان شقيت أموري عند انقضاء الصيف والحرور
جاءت بشر شر من عقور ورمت الآفاق بالهرير
والثلج مقرون بزمهرير لولا شعار العافر النزور
أم الكبير وأبو الصغير لم يذف إنسان من التخصير

ولقد سمعت شيخاً من علمائكم وذوي المعرفة منكم أنه يقول: يربح أهل همذان إذا كان يوم في الشتاء صافياً له شخص حارة، مائة ألف درهم، لأنهم لا يحتاجون فيه إلى الوقود. وقيمته في همذان ورسايقها في كل يوم مائة ألف درهم.

وقيل لابنة الحسن: أيما أشد الشتاء أم الصيف؟ فقالت: من يجعل الأذى كالزمانة.

وقيل لأعرابي: ما غاية البرد عندكم؟ فقال: إذا كانت السماء نقية والأرض ندية والريح شامية فلا تسأل عن أهل البرية.

وقد جاء في الخبر أن همذان تخرب لقلة الحطب.

ودخل أعرابي همذان. فلما رأى هواءها وسمع كلام أهلها، ذكر بلاده وقال:

وكيف أجيب داعيكم ودوني جبال الثلج مشرقه الرعان
بلاد شكلها من غير شكل وألئها مخالفة لساني
وأسماء النساء بها زنان وأقرب بالزنان من الزواني

ودخل بعض الأعراب الجبل في الشتاء فجعل أنفه

يرغم^(١). فرفع يده ووجاه فقال: لا والذي جلّ وعلا، ما رأيت عضواً أنتن منك. إذا جمّد كل شيء فأنت تذبّ، وإذا ذاب كل شيء فأنت تجمّد. أبيت إلاّ خلافاً. وقال شاعركم وهو أحمد بن بشار^(٢)

لقد أتى همدان البرد فانطلق^(٣) وارحل على شغبٍ شملٍ غير متفقٍ
 بلسن اعتياض الفتى أرض الجبال له من العراق وباب الرزق لم يضق
 أما الملوكة فقد أودت سرانهم والغابرون بها في شيمة السوقي
 ولا مقام على عيش ثرقة أيدي الخطوب وشر العيش ذو الرنق
 قد كنت أذكر شيئاً من محاسنها أيام لي فنن كاس من الوريق
 فالיום لا بد من نعتي مساوئها كما يغصن بها الشاوي على شرق
 لا خير فيها ولا في أن تقيم بها ولا تقلبت بين التير والورق
 أرض يمدب أهلوها ثمانية من الشهور كما عذبت بالرهق
 تبلى حياتك ما تمنى بنافعة إلا كما انتفع المجروض بالرمق
 فإن رضيت بثلاث العمر فارض به على شرائط من يقنع بها يبق
 إذا زوى البقل حاجت في بلادهم من جزيانهم نشافة العرق
 تبشر الناس بالبلوى وتنذرهم ما لا يُداوى بلبس الدرع والدرق
 تلقهم في عجاج لا تقوم لها قوائم الفيل قبل الماقط الشبق
 لا يملك المرء فيها كور عمتيه حتى تطيرها من فرط محترق
 فإن تكلم لاقتة بمسكنة ملء الخياشيم والأفواه والحدق
 فعندها ذهبت ألوانهم جزعاً واستقبلوا الجمع واستولوا على العلق
 حتى تفاجئهم شهباء معضلة تستوعب الناس في سربالها اليق

(١) يرغم: يسيل المخاط منه (اللسان).

(٢) لدى ياقوت وأثار البلاد جاء مرة أحمد وأخرى محمد.

(٣) في الأصل: لقد أن من همدان السير فانطلق. وما ذكرناه هو من أثار البلاد ص ٤٨٥ أوفق.

حَظُّبُ بِهَا غَيْرُ هَيْنٍ مِنْ خَطْوِبِهِمْ
 أَمَا الْغَنِيُّ فَمَحْصُورٌ يَكَابِدُهَا
 يَقُولُ أَطْبِقْ وَأَسْبِلْ يَا غَلَامُ
 وَأَوْقِدُوا بَتْنَانِيرَ تَذَكَّرْهُمْ
 وَالْمَحْلِقُونَ بِهَا سَبْحَانَ رَبِّهِمْ
 تَسْدُ أَبْوَابُهُمْ بِالثَّلْجِ فَهُوَ لَهُمْ
 وَالْأَرْضُ تُصْبِحُ وَالدُّنْيَا لَهَا طَبَقٌ
 حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمْتَ بَرْدًا غَدَا طَبَقٌ
 يَنْهَلُ مِنْهَا عَلَيْهِمْ دَائِبًا دِيمًا
 صَبَغُ الثِّيَابِ إِذَا حُلَّ الشِّتَاءُ بِهَا
 وَالذُّثْبُ لَيْسَ إِذَا أَمْسَى بِمَحْتَشَمٍ
 فَوَيْلٌ مَنْ كَانَ فِي حَيْطَانِهِ قَصْرٌ
 يَدْعُو الثُّبُورَ عَلَى صَبِيَانِهِ فَرَقًا
 وَصَاحِبُ النَّسِكِ مَا تَهْدَا فَرَانِضُهُ
 أَمَا الصَّلَاةُ فَوَدُّعُهَا سَوَى طَلَلٍ
 تَمْسِي وَتُصْبِحُ وَالشَّيْطَانُ فِي قَرْنٍ
 وَالْمَاءُ كَالثَّلْجِ وَالْأَنْهَارُ جَامِدَةٌ
 حَتَّى كَأَنَّ قُرُونَ الْعُقْرِ نَاتِيَةٌ
 وَالنَّاسُ بِيضُ اللَّحَى نَهْمِي أَنْوْفُهُمْ
 تَسْعِينَ يَوْمًا وَعَشْرًا أَكَلَمْتُ مَائَةً
 كَأَنَّهُمْ عَسْكَرٌ هَاجَ الْحَرِيقُ بِهِمْ
 كَأَنَّهُمْ حِينَ أَفْضَوْا فِي ثِيَابِهِمْ
 فَمَا تَرَى بَعْدَهَا يَلْقَوْنَ مِنْ عَذَابٍ

كَالخَنِقِ مَا مِنْهُ مِنْ مَلْجَأٍ لِمَخْتَنِقِ
 طَوَّلَ الشِّتَاءُ مَعَ الْبَرْبُوعِ فِي نَفْقِ
 وَأَرْخَ السِّتَرَ وَاعْجَلْ بَرْدَ الْبَابِ وَانْدَفِقِ
 نَارَ الْجَحِيمِ بِهَا مَنْ يَصُلِّ بِحَتْرِ
 مَاذَا يَقَاسُونَ طَوَّلَ اللَّيْلِ مَنْ أَرَقِ
 دُونَ الرِّتَاجِ رِتَاجٌ غَيْرُ مَنْطَبِقِ
 تَحَارُّ فِيهِ عَيُونُ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ
 مِنَ الضُّبَابِ فَقَدْ أَوْفَى عَلَى طَبَقِ
 بِالزَّمْهَرِيرِ عَذَابًا صُبَّ مِنْ أَفْقِ
 صَبِغَ الْمَآتِمِ لِلْحَتَائَةِ الْفُنُقِ
 مَنْ أَنْ يَخَالِطَ أَهْلَ الدَّارِ وَالشَّقِ
 وَلَمْ يَخْصُرْ رِتَاجَ الْبَابِ بِالْغَلَقِ
 يَمُودُ الْعِشَاءُ وَيَدْعُوهُ مِنَ الْفِرَقِ
 وَالْمُسْتَفِثُ بِشَرِّ الْخَمْرِ فِي عَرَقِ
 أَقْوَى وَأَقْفَرُ مِنْ سَلْمَى بِذِي الْعَمَقِ
 مُسْتَمِيكًا مِنْ حَبَالِ الدِّينِ بِالرَّمَقِ
 وَالْأَرْضُ أَضْرَاسُهَا تَلْقَاكَ بِالذَّبَقِ
 تَحْتَ الْمَوَاطِيءِ وَالْأَقْدَامِ فِي الطَّرِيقِ
 فَوْقَ الشَّوَارِبِ كَالْمَصْدُومِ ذِي الْبَلَقِ
 يَدْعُونَ لَيْلَةً مَثَتْ لَيْلَةَ السَّدَقِ
 فَهُمْ يَمُوجُونَ وَالضُّوْضَاءُ فِي فَرَقِ
 خَلْفَ الْغُرَابِيلِ أَوْهَامًا مِنَ الْخَرَقِ
 مِنَ الْوَحُولِ الَّتِي طُمَّتْ عَلَى اللَّثَقِ

والمشي شهرين بالميزان قد زهقت
فكل غاد بها أو رائح عجل
قوم غذاؤهم الألبان مذكّلوا
لا يعبق الطيب في أضداد نسوتهم
فهم غلاظ جفاة في طباعهم
أفنيّت عمري بها حولين من قدر
نفوسهم فرقا من خشية الزلّ
يمشي على أهلها غضبان ذا حنق
فما لهم غيرها من مطعم أرني
ولا جلودهم تبلّ من عرق
إلا تعلّة منسوب إلى الحمق
لم أقو منها على دفع ولم أطي

فلما بلغ عبد القاهر هذا المكان، التفت إليه ابن أبي سرح فقال: لقد أكثرت في المقال وأسرفت في الذم وأطلت القلت وطولت الخطبة. ولولا ما أجزت إليه من سوء المقال وكثرة الهذيان لكنا عن مجاوبتك بمعزل وعن محاورتك في شغل. فمهما كان فينا - يا أبا علي - أكرمك الله - وفي هوائنا وأرضنا وبلدنا وصقعنا.

فليس فينا جفاء النبط وعجرفية أهل [١١٩] السواد، وأخلاق الخوز، وغدر أهل الكوفة، ودقة نظر أهل البصرة، وبخل أهل الأهواز، وسوء معاشرة أهل بغداد وشدة حيلهم، وجفاء أهل الجزيرة، وغباوة أهل الشام.

وأهل الجبل قد سلموا من شدة حرّ البصرة، ومن كثرة ذباب بغداد، ومن بقّ البطائح، وبراغيث الكوفة، وتغير هواء مصر، ومن جرارات الأهواز وسماثمها، ومن عقارب نصيبين، وثعابين مصر، ومن أفاعي سجستان.

وهل الخصب والخير والنعمة والدعة والأكل والشرب إلا في الشتاء الذي تغيب فيه الهوام وتنحجر الحشرات ويموت الذباب ويهلك البعوض ويبرد الماء ويصفو الجوّ ويطيب فيه العناق، ويظهر فيه الفرش والكسوة والنعمة والملوكية والسرو^(١) والخرمية.

وإذا ميزت الأقاليم صقعا صقعا وبلداً بلداً وكورة كورة وطسوجاً طسوجاً، علمت أنه لا يخلو بلد من البلدان ولا إقليم من الأقاليم في شرق الأرض وغربها

(١) في المختصر: المروعة.

وبرها وبحرها وسهلها وجبلها من حرّ وبرد أربعة أشهر . ولذلك قال أبو دلف :

إنني امرؤ كسرويّ الفعّالِ أصيفُ الجبالَ وأشتو العراقا
والبسُ للحربِ أثوابها وأعتنقُ الدارعينَ اعتناقا

فاختار بفضل رأيه وجودة تمييزه أن يصيف الجبال ليسلم من سمائم العراق
وذبابه وهوائه وحشراتِه وسخونة مائه وهوائه . واختار أن يشتو بالعراق ليسلم من
زمهرير الجبال وكثرة أنديتها ووحولها وثلوجها . وقد قال أيضاً في غير هذا
المعنى . بل في ضده لسبب دعاه إلى ذلك :

ألم ترَ حينَ حالَ الزمانِ أصيفُ العراقَ وأشتو الجبالا
سمومُ المصيفِ وبردُ الشتاءِ حنانيكَ حالاً أزالئكَ حالاً
فصبراً على حَدَثِ النَّائبِ فإنَّ الخطوبَ تذلُّ الرِّجالا^(١)

والسبب الذي لأجله قال هذه الأبيات أنه لما قال القافية التي كتبناها قبلها
اتصلت بعبد الله بن طاهر - وكان سيء الرأي بأبي دلف - فقال :

ألم ترَ أنا جَلَّينا العُتاقَ إلى أرضِ بابلَ قُبَا عِناقا
[١١٩ ب]

فما زلنَ يعسِفَنَ بالدارعينَ طوراً حَزوناً وطوراً رفاقا
إلى أن وردنَ بأدوائها قلوبَ رجالٍ أرادوا النِّفاقا
وأنتَ أبَا دَلْفٍ ناعِمٌ تصيفُ الجبالَ وتشتو العراقا

فلما وقف أبو دلف على هذه الأبيات ألقى على نفسه أن لا يصيف إلا ببغداد
ولا يشتو إلا بالجبل .

فإذا صحَّ لك ما قلنا وتبين ما حكينا ، ثم ميّزت وتفكرت ونظرت وأنصفت .
علمتَ أن البرد أصلح من الحرّ . لأنك إذا أضفت البرد وهو الجبال إلى ما يقاسيه

(١) في المختصر ، العجز هو : تأتي الحوادث إلا انتقالا .

أهل عمان وأهل البصرة وسيراف ويغداد من أذى السمائم من الهواء الكدر الغليظ
والماء السخن الزعاق وكثرة الذباب والجمالان والخنافس والحيات والعقارب
والجذارات والنمل والبعوض والبق والجرجس وغير ذلك مما يطول ذكره، علمت
أن العيش عيشنا والنعمة نعمتنا.

وملوك الجبل لا يعدون العيش عيشاً والنعمة نعمة إلا في أيام الشتاء. لأنهم
يفرشون من الفراش أسراء ويلبسون من الثياب أحسنها وأدفاها. ويلبسون الثعالب
البيض والسود والحمرة والفنك والسمور والقائم والحواصل والوشق والدلق والفراء
اليمانية. ويفرشون الخز الرقم والأرمي المحفور والميسانى والقطوع والديباج
والمرعز والسوسنجر.

ولهم المضارب والأبنية والستارات والسرادقات والقباب التركية وأثواب عدن
وثياب نيسابور ومرو وأصفهان، والنعمة عندنا في الشتاء أظهر والخير أكثر.

ولولا الشتاء وثلجه وبرده وريحه ومطره لما نبت لنا في الصيف زرع ولا ذر
ضرع ولا أخضر شجر ولا اجتني ثمر. ولذلك قال الشاعر:

لولا الشتاء ولولا قبح منظره لما بدا من ربيع منظر حسن

وفي الشتاء يستلذ الملوك شرب المدام لطول الليل وقلة الهوام. والشراب
صديق النفس وحياة الأبدان والسبب إلى الزيادة في الأعمار وصحة الأجسام،
وباعث الحرارة الغريزية ومرطب الأعضاء اليابسة وطارد الهم والفكر، والزائد في
ارتفاع الهممة. وله اتخذت القصور [١٢٠ أ] المشيدة والمجالس المنجدة والنمازق
الممهدة، هذا في الشتاء.

فإذا جاء الربيع، فلنا الأقباء الحسنة والرياض الخضرة والجنان المتصلة
والمياه المطردة والأرواح الطيبة والمواضع النزهة.

ثم لنا من الأنوار والزهر في الرياض والغدران ما لا يكون في بلادكم ولا
يعرف عندكم. حتى لقد جهد ملوككم وكتابكم وذوو النعمة منكم أن يفرسوه في
بساتينهم وجناتهم، فلم يستو ذاك لهم ولا أفلح عندهم. من ذلك: الزعفران

والزردلال والجاولال والكيسنج والسحالة والكركيس والنستر والندير والسوسن آزاد وغير ذلك من الأنوار الجبلية التي لا تكون إلا في بلادنا.

ومما هو لنا دونكم وينبت في بلادنا لا بلادكم، الريباس وهو من أنفع ما يؤكل. ويقال إنه يقوم مقام السكنجيين.

ولنا أنواع من الفواكه ليست لكم. وإذا حمل إليكم شيء منها تفتخرون به وتتهادونه، منها: الكمثرى النهاوندي والصيني والتفاح الشبيري.

ولنا أيضاً أشياء تتخذ من الألبان ليست لكم. بل هي مستطرف عندكم. منها اللور وشيران وأنواع الشوارير والكشك المعمول باللبن.

وإذا دخل الكاتب أو العامل همدان ثم انصرف عنها إلى بلدة وسئل عما فيها قال: إذا كان خبزك من حنطة أزناو مع خبز المهروان ولحم الشرايين، فلا تسأل عن شيء آخر.

وحسبك فضيلة بشيء، ينادى على الخبز بالحرمين: مكة والمدينة. في أيام الموسم والناس مجتمعون من كل فج عميق: المهرواني، المهرواني.

ولقد دخل بها المعتضد، فوصف له ما يتخذ بها من الألبان فأكل منه واستطابه. فلما انصرف إلى العراق، أمر أن يحمل إليه منه. فكان يوجه به مع الفرانقيين^(١) وأصحاب البرد.

ولما ميز قباد إقليم بلده، وجد أنزه بقاعه ثلاثة عشر موضعاً: المدائن والسوس وجنديسابور ونستر وسابور وإصبهان والري وبلخ وسمرقند وباورد وماسبندان ومهرجانقلق وتل ماشير وبطناً بنهاوند تسمى روذراور. وهي ثلاثة فراسخ فيها ثلاثة وتسعون قرية متصلة مع جنان ملتفة وأنهار مطردة. نباتها الزعفران وأشجارها جميع الفواكه: العنب والرمان والجوز واللوز والتفاح والكمثرى وغير ذلك.

(١) ما نسميهم اليوم بسعاة البريد.

ولقد قال بعض الدمشقيين ممن قد جال الآفاق ودار البلدان: دخلت غوطة دمشق وأبلة البصرة واسكندرية مصر وصنعاء اليمن. ورأيت خورنق الكوفة والبرية المسماة خد العذراء وحافني دجلة والفرات وبغداد وباب الطاق وباب [١٢٠ ب] الكرخ مع سائر الأسواق.

وشاهدت شبديز قرميسين وزرنروذ إصبهان وجنديسابور الأهواز.

ودخلت شاپور فارس، ونظرت إلى شعب بوان وماجان مرو وسريان الري ومستشرف باكرخي. وشاهدت سمرقند والصغد وبلخ. فما رأيت بلداً أطيّب ولا أعذب ماءً ولا أكثر خيراً من إقبال همذان. وما ظنك ببلد حشيشه الريحان والزعفران وشرابه العسل والسمنان وثمره العنب والرمان. قال الشاعر:

بَلَدُ نَبَاتِ الزَّعْفَرَانِ تَرَابُهُ وَشَرَابُهُ عَسَلٌ بِمَاءِ قِنَانِ

قال: فلما بلغ ابن أبي سرح هذا المكان قال له صاحب المنزل: يا أبا عبد الله! وأفرطت وقلت في الجبل عاله وعليه. وهذا وقت ضيق وقد حضرت الصلاة. والصواب قطع هذه المفاخرة وترك هذه المناظرة.

فقال: قد قطعت ذلك، وإن عاد عدنا. ثم قام وهو يقول:

إِنْ عَادَتِ الْعُقُوبُ عُذْنَا لَهَا وَكَانَتِ النُّعْلُ لَهَا حَاضِرَةً

وقال بعض الشعراء^(١):

وبالقوس لما حلت الشمس أظلمت	وأطبق أروند على همذان
وهبت رياح الزمهرير فأحرقت	بها كل ذي جنس من الحيوان
فما أن ترى شيئاً بها غير جامد	مع النقط والنقاط والقطران
ترى الناس بين السوق والدور جمداً	عذاهم من الترداد والجولان
فطرقهم والدور مطموسة بهم	يزيدهم طمساً وليس بفان

(١) انفرد المختصر بهذه القطعة.

تَرَى الطَّيْرَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَعْلَقاً
وَتَجْمَدُ بَيْنَ الْحَائِطَيْنِ كِلَابُهُم
وَلَيْسَ يَبْقَى مِنْ بَرْدِهَا جِلْدٌ ثَلَبِ
وَلَا جِلْدٌ سَمُورٍ وَلَا الْفَنَكُ الَّذِي
وَلَيْسَ يَبْقِيهِمْ مِنْهُ لَفْحُ جَهَنَّمَ
أَمَّا مَهْرَباً مِنْ ذَا الْعَذَارِ فَقَدْ وَهَتْ
إِلَى الْكَرَجِ الْحَسَنَاءِ دَارِ أَمِيرِنَا
مَبَارَكَةٌ حُقَّتْ بِخَصْبٍ وَنَعْمَةٍ
فَأَهْلُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالْفَضْلِ أَهْلُهَا
وَمَا لَهُمْ بِالزَّمَمِ مَدْبُوعٌ بَغِيرِ تَوَانِي
يُوقَى بِهِ الْمَقْرُورُ حَرَّ عُمانِ
وَمَا لَهُمْ بِالشَّوْكِ عِوَانِ
عِطَامِي وَلَا تَشْعُرْ بِهِ الْقَدَمَانِ
فَنُوسُهَا حَفْدًا بِكُلِّ لِسَانٍ
بِمَاءِ عَيْنٍ عَذْبَةٍ وَجَنَانِ
وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْمَشْرِقَيْنِ مُدَانِ

ذكر حب الأوطان

ولولا اختلاف شهوات الناس لما اختاروا من الأسماء إلا أحسنها ومن
البلدان إلا أغذاها ومن الأمصار إلا أوسطها.
ولو كانوا كذلك لتناحروا على البلدان الغنية ولتقاتلوا على الأمصار
المتوسطة، ولما وسعتهم بلاد ولا تم بينهم صلح.

إلا أن رضاهم بأوطانهم، واغتيالهم بمساقط رؤوسهم مانع لهم. والقناعة
ببلدانهم وإن كانت الطبيعة مجبولة عليه. وكيف لا يكونون كذلك وأنت لو حوّلت
ساكني الآجام إلى الفياضي، وساكني السهل إلى الجبال، وساكني الجبال إلى
السهل والبحار، وساكني أهل العمدة إلى المدر، لأذاب قلوبهم وأخنى عليهم فرط
النزاع. بل لو نقلت أهل القفار إلى العمران وحوّلت من في جزائر البحار إلى
المدن، لم تجددهم راضين بذلك ولا قانعين. بل كنت تجددهم يحنون إلى أوطانهم
ويتذكرون بلدانهم.

وقد قيل في الأمثال: عمّر الله البلدان بحب الأوطان الرجال.

وقال عبد الله بن الزبير: ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم.

وقال معاوية في قوم من أهل اليمن رجعوا إلى بلادهم بعد أن أنزلهم من الشام منزلاً خصياً وفرض لهم في شرف العطاء: هؤلاء (١) أوطانهم بقطيعة أنفسهم.

وقد قال الله تعالى: «ولو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم». فقرن الضنّ منهم بالأوطان إلى الضنّ [١٢٠ ب] منهم بالأنفس.

وَرُؤِجَت أَعْرَابِيَّةٌ فِي الْحَضَرِ وَأُسْكَنْتَ قَصْرًا. فَحَنَّتْ إِلَى الْبَدْوِ وَقَالَتْ:

لِلْبُسِّ عِبَاءٌ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ
وَيَسْتُ تَخْفَقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفِ
وَبَكْرٌ تَتَّبِعُ الْأَضْعَانُ نَضُوءُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلِ رُؤُوفِ
وَكَلْبٌ يَنْبِجُ الْأَضْيَافَ لَيْلًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دِيكَ عِيُوفِ

ويناحية الجنوب جزيرة يقال لها تاران، ينزلها قوم يقال لهم بنو خذّان^(٢)، معاشهم صيد السمك وليس لهم ماء عذب ولا زرع ولا شجر. وبيوتهم من السفن المنكسرة وعظام السمك. يستطعمون الخبز ويستعذبون الماء ممن يجتاز بهم في الدهر الطويل. وربما أقاموا السنين الكثيرة لا يمرّ بهم إنسان. فإذا قيل لهم: أي شيء مقامكم في هذا البلد؟ قالوا: اليطن، اليطن. يريدون الوطن.

وكذلك قالوا: من لطف النفس أن تكون إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقفة.

وقال بعض الحكماء: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك. إذ كان غذاؤك منهما و غذاؤهما منه.

(١) كلمة مطموسة.

(٢) ياقوت: بنو جذّان.

وقالوا: أرض الرجل ظنره وداره مهده. وأحب البلدان بالتوق إليه بلد منحك حليبه رضاعة.

وقال آخر: إذا كان السبع يحن إلى أوطانه. فالإنسان أولى بالحنين إلى مكانه.

وقال بقراط: فطرة الإنسان معجونة بحب الوطن.

وكان أيضاً يقول: يغذى كل عليل بأطعمة أرضه. فإن النفس تتطلع إلى غذائها.

وقال الشاعر:

تَحِنُّ قُلُوصِي مِنْ غَدَاةٍ إِلَى نَجْدٍ وَلَمْ يُنْسَهَا أَوْطَانُهَا قَدَمُ الْعَهْدِ
وَقَدْ هَجْتُ نَضْباً مِنْ تَذَكُّرِ مَا مَضَى وَأَخَذَ بِنِي لَوْ كَانَ هَذَا الْهَوَى يَغْذِي
وَذَكَّرْتَنِي قَوْمًا أَحْبُّ إِلَيْهِمْ وَاشْتَاقَهُمْ فِي الْقَرَبِ مِنْهُمْ وَفِي الْبَعْدِ
أَوْلَيْكَ قَوْمٌ لَوْ لَجَأْتُ إِلَيْهِمْ لَكُنْتُ مَكَانَ السِّيفِ مِنْ وَسْطِ الْيَدِ
ودخل بعض الأعراب الحضرة فاشتاق إلى البلد وقال:

لَعَمْرِي لَنُورُ الْأَقْحَوَانِ بِحَائِلٍ وَتَوَرُّ الْخُزَامِيُّ فِي آلاءِ وَعَرْفَجٍ
[١٢١ ب]

أَحَبُّ إِلَيْنَا يَا حَمِيدُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ الْوَرْدِ وَالْخَيْرِي وَدَهْنِ الْبَنْفَسِجِ
وَأَكْلُ يَرَابِيعٍ وَضَبٌ وَأَرْنَبٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَمَانِي وَتَدْرُجِ
وَنَصُّ الْقِلَاصِ الصُّهْبِ تَدْمِيْ أَنْوْفُهَا يَجُبْنَ بِنَا مَا بَيْنَ قَوْ فَمَنْعِجِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَفِينٍ بِدَجَلَةٍ وَدَرْبِ مَتَى مَا يَظْلَمُ اللَّيْلُ يَرْتَجِ

وقدم خالد بن فريص الهجيمي الأهواز، فلما رأى حرها وأذاها لحق إلى بلده وقال:

نَظَرْتُ وَقَدْ حَالَ الْقُرَى دُونَ مَنْظَرِي وَقَدْ عُمِّمَتْ أَجْبَالُهَا بِالْعِيَاطِلِ

المحفة بَرَقِ أم شبا النار شَبَّها
وما نفحة من خالص المسك عُلِيَتْ
إذا ما خُزَّامها جرى في فروعها
وقال آخر:

خليلي قوما واشرفا القَصْرَ فانظرا
وإني لأخشى إن علوانه علوة
بأعيننا هل تؤنسان لنا نجدا؟
ونشرف بأن نزداد ويحكمنا وجدا
وقال آخر:

ألا أيها الركب المحثون هل لكم
فقالوا نعم، تلك الطلول كعبيها
فقلت: بلى، إن الفؤاد يهيجُه
بأهل العقيق والمنازل من علم؟
تلمح. وما يُغني سؤالك عن علم
تذكر أوطان الأحبّة والحرم

وشكا قوم من أهل خَضِرَة^(١) - وهي على ثلاث مراحل من المدينة. وكان
اسمها عقرة فسمّاها النبي خَضِرَة - إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وباء
أرضهم فقالوا: لو تركتموها. فقالوا: معاشنا ومعاش آبائنا ووطننا. فسأل عمر
رضي الله عنه الحارث بن كلدة. فقال الحارث: البلاد الويبة ذات الأدغال
والبعوض عس الأوباء. ولكن ليخرج أهلها منها إلى ما يقاربهم من الأرض
[١٢٢] العذية إلى تربيعة النجم وليأكلوا البصل والكراث ويباكرُوا السمن العربي
فيشربوه وليشمُوا الطيب ولا يمشون حفاة. ولا ينامون بالنهار. فلإني أرجو أن
يسلموا. قال: فأمرهم عمر بذلك وأنشد:

أقول وفوق البحر تحتي سفينة
ألا أيها الركب الذين دَلِيلُهُمْ
أَلْمَسُوا بأهل الأبرقين فسَلَمُوا
تميل على الأعطاف كل مميل
سهل اليماني دون كل دليل
وذاك لأهل الأبرقين قليل

(١) في ياقوت خَضِرَة (انظر هذه المادة).

بأهلِي أَهْلُ الْإِبْرَقِينَ وَجِيرَةٌ سَأَجُزُّهُمْ لَا عَنْ قَلِي فَأُطِيلُ
أَلَا هَلْ إِلَى سِرْحِ الْفَتْ ظِلَالَهُ وَنَكْلِيمِ أَهْلِ الْإِبْرَقِينَ سَبِيلُ؟

وقال الفضل بن إسحاق^(١): لقيت أعرابياً فقلت: ممن الرجل؟ فقال: من بني أسد. قال: فمن أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية. قلت: فأين مسكنك؟ قال: مساقط الحمى، حمى ضرية بأرض [لعمرك الله] ما نريد بها بدلاً، ولا عنها حولا. قد نفحتها العدوات وحفتها الفلوات. فلا يملولح ترابها ولا يمعرجتابها. ليس لها أذى ولا قذى [ولا عك ولا موم] ولا حتى. فنحن فيها بأرفه عيش وأوسعه. قلت: وما طعامكم؟ قال: يخ. يخ. عيشنا والله عيش تعلل جاذبه (؟) وطعامنا أطيب طعام وأهنأه وأمرأه: الفت والهيبد والفطس والصلب والعنكف [والظهر] والعلهز والذآنين [والطرايث] والعراجين والحسلة والضباب. وربما أكلنا القد واشتوينا الجلد. فما نرى أن أحداً أخضب منا. فالحمد لله على ما يسط من الرزق ورزق من حسن الدعة. أو ما سمعت يقول قائلنا وقد كان عالماً ببلدائد العيش وطيبه:

إِذَا مَا أَصَبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مَذِيقَةً وَخَمْسَ تَمِيرَاتٍ صَغَارٍ كَوَانِزِ
فَتَحْنُ مَلُوكُ النَّاسِ شَرْقاً وَمَغْرِباً وَنَحْنُ أَسْوَدُ النَّاسِ عِنْدَ الْهَزَاهِرِ
وَكَمْ مَتَمَّنْ عَيْشَةً لَا يَنَالُهَا وَلَوْ نَالَهُ أَضْحَى بِهِ جَذَ فَائِزِ

[١٢٢ ب] الفت: نبات أسود. والعنكث: نبت. والذآنين. والحسل: ولد الضب.

وقال بعضهم: من أمارات العاقل الفه لإخوانه وحنينه إلى أوطانه.

(١) في ياقوت (ضرية): (وحدث أبو الفتح بن جني في كتاب النوادر الممتعة: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن القاسم المالكي قراءة عليه قال: أنبأنا أبو بكر بن دريد، أنبأنا أبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني قالاً: حدثنا الأصمعي عن المفضل بن إسحاق أو قال بعض المشيخة، قال: لقيت أعرابياً . . .).

وقال أعرابي وقد سئل عن بلده: كيف لا أشتاق إلى رملة كنت رضيع غمامها وربيب طعامها.

وقالوا: السرور لزوم الأوطان وتألف الجيران ومنادمة الإخوان.
وأنشدني صديق لي:

كفى حَزْناً أَنِّي ببغدادَ نازلٌ وقلبي بأكنافِ الحجازِ رهينُ
إذا عن ركبٍ للحجازِ استفزّني إلى مَنْ بأكنافِ الحجازِ حنينُ
وتالله ما فارقْتُهُم قالياً لهم ولكن ما يُقضَى فسوف يكونُ
وقال آخر:

بأكنافِ الحجازِ هوئى دفينُ يورقُني وقد هَدَّتِ العيونُ
أحرُّ إلى الحجازِ وماكنيه حينَ الإلفِ فارقهُ القرينُ
وابكي حين يهدأ كل خلقٍ بكاءً يسنّ زفرته أنينُ
وما جارٍ مؤتلفان إلا متفرّق بين جمعٍهما المنونُ
وأنشد لأبي هلال الأسدي:

أشاقك الشمائلُ والجنوبُ ومن علو الرياح لها هبوبُ
أتك بنفحةٍ من شبح نجيدٍ تضوُّعُ والعرار بها مشوبُ
ومن بستان إبراهيم غثت حمائمٌ تحتها فنّ رطيبُ
فقلت لها وقيت سهامَ رام ورُقَطَ الریش^(١) مطعمها القلوبُ
كما هيجت ذا طربٍ حزيناً^(٢) إلى أوطانه فبكى الغريبُ

وقالوا: إذا أردت أن تعلم وفاء الرجل ودوام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه.

(١) في الأصل ورقط الركن، وفي ياقوت (النير).

(٢) في ياقوت: طرب ووجد.

وقالوا: أكرم الخيل أجزعها من السوط، وأكرس الصبيان أشدهم بغضاً
لكتاب، وأكرم الصبايا أشدها ولهاً إلى أولادها. وأكرم الإبل أشدها حنيئاً إلى
[١٢٣] أعطانها، وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهااتها. وخير الناس أحب الناس
للناس. وأفضل الممالك، الصغار لأنهم أسرع طاعة وأسرع قبولاً.

وروي عن حليف بن جعفر الربيعي^(١) قال: أردت الخروج إلى أخوالي
بخراسان. فقلت: والله لا خرجت حتى أجذب لي على سيدي [عهداً]^(٢). فدخل.
فوالله ما كان بين دخوله وخروجه إلا لمحة لامح، فدخلت وسلمت فرد السلام
ورحب. فبأبي هو وأمي. ما رأيت أحداً أنس إلى أوليائه ومحبيه وشيعته منه.
فضاحكني سروراً منه بي. ثم قال: ما جاء بك يا حليف؟ قلت: بأبي أنت وأمي،
لاني أردت الخروج إلى خراسان لزيارة أخوالي. واني جئت مستشيراً فأشز علي،
وأوجز وأطل، فأنت أولى متي بنفسي، لعلني أتعظ بموعظتك ووصيتك، أن
تداركني عند آناء الليل والنهار فتنجيني من الموبقات وترد عني المعضلات. فقال
عليه السلام: أما إنك لتجاوز النهر الأغر والبلدة الملعونة، شرارها شرار الخلق،
وخيارها كالتمر المعلق فوق عراجين التخل أما الناظر لا يناله من بعد. هيهات لا
يدركه إلا بفراق التراقي.

فإذا جاوزتها فلا تأسفن عليها. هذه بغداد. يوشك أن يبعث الله فيها غلاماً
منا أهل البيت^(٣) ولن يؤمن من أهلها إلا القليل.

أما إنك ستجاوزها إلى بلد تقطع دونه آكاماً وأودية حتى تبلغ مدينة يقال لها
حلوان، شرارها كالذر وخيارها كالدر. يدفع الله من شرارها بخيارها.

أما إنك ستجاوز منها عقبة كؤوداً تشرف على مدينة يقال لها همذان،
شرارها شرار الخلق وخيارها كالشمس بين الغيم، إذا غابت لم يعرف مكانها وإذا

(١) لم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) زيادة يقتضيهما السياق.

(٣) في الأصل: أهل البلد.

طلعت اهتدي إليها لحسنها. أولياء الله في شواحق جبالها.

هل رأيت يا حليف طالب خير إلا ناله؟ وهل رأيت مجانباً للشر إلا أقصي عنه؟ كل حزب بما لديهم فرحون. كل نفس بما كسبت رهينة. ألم تر يا حليف أعمى يمشي على ظهر طريق مستقيم؟ ألم تر أعجم ينطق بالحق؟ قال حليف: بلى. قال: تلك يكشفها النور. يهدي الله لنوره من يشاء [١٢٣ ب] ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون.

أما إنك ستجاوز منها جبلاً وأودية حتى تشرف على مدينة يقال لها الري. إذا ذكرت القرى فنسيها الله ولا ذكرها. فإن بها مصارع الأخيار. والله لأهلها - إلا بعضهم - أشد حنقاً علينا من كفر بني إسرائيل على موسى عليه السلام. يقتل فيها رجالنا ويستحل بها شتمنا. أفلهم فينا ثار فيقيدونا بثأرهم؟ أم لهم قبلنا حق فيطالبونا بحقهم. منعوا حق الله من مال الله قسراً ومنعونا خمس الله فلم ننازعهم. أفحكم الجاهلية يبغون؟ الله بيننا وبينهم عند إقامة الميزان الذي لا يُبْخَسُ فيه حق المحققين عند جحود المبطلين. فوالله لا تزال تلك العصابة على هذا حتى يبعث الله عليهم نقماً منا أهل البيت يقومون لا خلاق لهم تقتل فيها رجالهم وتفنئ أموالهم وتُسبى ذراريهم ويتواتر الشر عليهم. سمعت جدي صلى الله عليه وآله عليه بآثره عن النبي (ﷺ) أنه قال: هيهات هيهات معاشر الأمة! لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم. فعندها يدعو حياركم فلا يستجاب لهم. [هاتوا برهاناً]^(١) ويحكم كبرهائنا. فإن لم تأتوا ببرهان فقولوا صدقت. فإن الله لا يستحي من الحق. وإن الله عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً.

ويحك يا حليف فهذه الري فلا تسكنها، ودار البلاء فلا تلجها. وإذا قاربتها فحذ عنها فإنها مصرع البلاء.

أما إنك ستجاوز منها أودية حتى تشرف على مدينة مدت إليها أعناقها

(١) زيادة يقتضيها السياق.

الشياطين من الجن والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. أولئك أهل نيسابور. أنساك الله ولا ذكرك الاعتذار. وإن أعلام بيض^(١). سيميت بها قلوب الفجار كما يذوب الملح في الماء. فعند ذلك فليسكنها الأبرار من أوليائنا.

صحبك الله يا حليف حيثما توجهت.

وقال ابن عياش: كانت الفرس تقسّط على آذربيجان وطبرستان ودبawند وقرميسين ومهرجانقذق [١٢٤ أ] وقومس وحلوان والري وهمذان. ولم تكن إصبهان تدخل في هذا التقسيط ثلاثين ألف درهم.

وقبل عبيد الله بن سليمان في سنة أربع وثمانين [ومائتين من الثمانين] بمائة وسبعين ألف دينار بالكفاية على أن لا مؤونة على السلطان. وهي أربعة وعشرون رستاقياً منها: همذان. فراوار. وقهبايه وأثارمرج وشنسار وشرابة العليا وشرابة الميانج والاسفيدحان وقجر وأنانجر وأرغبر والمقازة والأجم والأعلم وأزنارد وسمين رود وسردرود، ومهروان واسفندباد وكوزدره ساوة. وكان منها نسا وسلقانوود وخرقان. ثم نقلت إلى قزوین وهي سبعمائة وستين قرية. وعملها من باب الكرج إلى سيسر طولاً. وعرضها من عقبة أسدآباد إلى ساوة^(٢).

وحدث زياد بن عبد الرحمن البلخي عن أشباخ من أهل سيسر، أنها سُميت بهذا الاسم لأنها في انخفاض من الأرض بين رؤوس أكام ثلاثين. فقبل ثلاثون رأساً. وكانت سيسر تدعى صدخانيه لكثرة عيونها ومنايعها. ولم تزل وما والاها مراعي لمواشي الأكراد وغيرهم حتى أنفذ المهدي إليها مولى له يعرف بسليمان بن قيراط - وأبوه صاحب الصحراء التي تسمى صحراء قيراط ببغداد - ومعه شريك له اسمه سلام ويعرف بالطيفوري - وكان طيفور مولى المنصور فوجه للمهدي - ثم إن الصعاليك والدغار انتشروا بالجبل وجعلوا هذه الناحية لهم ملجأ. فكانوا يقطعون ويأوون إليها، فلا يُطلبون لأنها من حدّ همذان إلى الدينور وآذربيجان. فكتب

(١) كذا في الأصل.

(٢) تقارن أسماء هذه القرى مع ما في معجم البلدان (همذان).

سليمان بن قيراط وشريكه إلى المهدي يعرفانه ما قد اجتمع في أيديهم من الأغنام والمواشي والدواب التي في المروج والحيطان. فوجه إليهما جيشاً وأمرهما ببناء حصن بأويان إليه مع الأغنام والمواشي والدواب. فبنا مدينة سيرر وحصنها وأسكنها الناس. ثم ضمّ السلطان إليها رستاقاً من الدينور يُقال له ما ينمرج ورستاقاً آخر يقال له الجوزمة من آذربيجان من كورة برزة [١٢٤ ب] وولاها عاملاً مفرداً. فلم يزل على ذلك إلى أيام الرشيد. فإن الصعاليك كثروا بهذه الناحية وزاد أمرهم. وكان حصن سيرر قد تشعث. فعرف الرشيد ذلك. فأمر ببناءها وتحصينها ورتب فيها ألف رجل [من أصحاب خاقان الحارثي السفدي - وفيها اليوم قوم من أولادهم]^(١). فلما كان في آخر أيام الرشيد تغلب مرة بن أبي مرة العجلي عليها، فحاول عثمان الأودي مغالبتها فلم يقدر عليه [وعلى ما كان في يده من آذربيجان]^(٢). ولم يزل مرة بن أبي مرة يؤدي الخراج عن سيرر في أيام الأمين على مقاطعة معلومة إلى أن وقعت الفتنة فمنع ما قوطع عليه. فلما استقر الأمر للمأمون أخذت من مرة وأخرجت عن يده وجعلت في ضياع الخلافة.

ومن العجائب التي بهمذان بهمذان *بهرت حقيقتا كاپور سار عامر اسدي*

أسد من حجر على باب المدينة يقال إنه طلسم للبرد من عمل بليناس صاحب الطلسمات حين وجهه قباد الأكبر لما أراد أن يطلسم آفات البلاد. ويقال إن الفارس كان يفرق بفرسه في الثلج بهمذان لكثرة ثلوجها وبردها. [فعمل بها الأسد وهي صورة أسد عظيم من حجارة بحذاء أروند جبلها المطلق عليها]^(٣) قلّ ثلجها وصلح أمرها.

وعمل أيضاً على يمين الأسد طلسماً للحيات فقلّت. وآخر للمقارب فنقصت وآخر للغرق فأمنوه. وآخر للبراغيث فهي قليلة جداً بهمذان.

(١) زيادة من المختصر.

(٢) زيادة من المختصر.

(٣) زيادة من المختصر.

ولمّا عمل بليناس هذه الطلسمات بهمذان استهان به أهلها ولم يلتفتوا إليه فاتخذ على جبلهم الذي يقال له أروند طلسماً مشرفاً على المدينة للجفاء والغلظ فهم أجفأ الناس وأغلظهم طبعاً. وعمل آخر للغدر، فهم أغدر الناس. ولذلك حوّلت الملوك الخزائن عنها خوفاً من غدر أهلها.

واتخذ طلسماً آخر للحروب والعساكر لتكثر بها فليست تخلو من عسكر أو حرب.

قال: وأنشدني محمد بن أحمد المعروف بابن الحاجب لنفسه في الأسد الذي على باب همذان:

ألا أيها الليث الطويل مقامه على نوب الأيام والحدّثان
أقمت فما تنوي البراح بحيلهم كأنك بواب على همذان
أطالب دحل أنت من عند أهلها ابن لي بحق واقع ببيان
أراك على الأيام تزداد جده كأنك منها أخذ بامان

[١٢٥]

أقبلك كان الدهر أم كنت قبله فنعلم، أم رُيتمما بلبان؟
وهل أنتما ضدان كل تفرّدت به نبة أم أنتما أخوان؟
بقيت فما تنفي وأفنيت عالماً سطا بهم موت بكل مكان
فلو كنت ذا نطق جلست محدثاً فحدثنا عن أهل كل زمان
ولو كنت ذا روح تطالب ماكلأ لأفنيت أكلاً سائر الحيوان
اجئبت شر الموت أم أنت منظر وإليس حتى يُبعث الثقلان؟
فلا هَرماً تخشى ولا الموت تنفي بمضرب سيف أو شباة سنان
وعما قليل سوف تلحق من مضى وجسمك أبقي من حرا وأبان

وأنشدني أبو محمد عبد الله بن محمد بن زنجويه يذكر فيها الأسد وكل
صورة مشهورة في الأرض^(١):

وَحَمَائِمُ فَوْقَ الْغُصُونِ نَوَاحٍ	أَأَرِقتَ لِلْبَرْقِ اللَّمُوعِ اللَّائِحِ
فَظَلِلْتَ تَرْعَى كُلَّ نَجْمٍ لَائِحٍ	أَمْ شَاقَكَ الطَّيْفُ الْمُلِمُ بَيْنَهُ
مُذْ كَانَ عَنْ هَمَّذَانَ لَيْسَ بِنَازِحٍ	أَمْ قَدْ ذَهَلْتَ بَلَيْثٍ غَابٍ رَائِحٍ
يَتَغَيُّ الْوُثُوبَ عَلَى الْغَزَالِ السَّانِحِ	مُوفٍ عَلَى صَمِّ الصُّخُورِ كَأَنَّهُ
بَسَرْدُ الشِّتَاءِ بِزَمَهْرِيرٍ لَا فِجِ	فِي الصَّيْفِ تُخْرِقُهُ السَّمُومُ وَبَعْدَهَا
خِلْتُ الْهَرِيرَ بِمِثْلِ تُرْسِ الرَامِحِ	وَإِذَا الرِّيَّاحُ عَصَفْنَ مِنْ أَرْوُثِنَا
لَقِيَ الزَّمَاهِرَ بِالْمِجَنِّ الْكَالِحِ	وَإِذَا الرُّعُودُ تَابَعَتْ بِسَحَابَةٍ
وَتَنَفَّسَتْ أَنْوَارُهُ بِرَوَائِحِ	وَإِذَا الرِّبْعُ تَتَابَعَتْ أَنْوَاثُهُ
وَمُحْيِيًا أَرْوُثًا فَعَلَّ مَصَافِحِ	أَلْفَيْتُهُ مُتَبَسِّمًا لَتَسِيحِهَا
أَنْتَى الدُّهُورَ وَكُلَّ أَمْرٍ فَادِحِ	لَوْ كَانَ يَفْهَمُ عَنْكَ تَحَبُّرٌ بِالَّذِي
وَنَجَّائِهِ قَضَدُ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ	وَلَقَالَ إِنَّ الْمَرَّةَ يُثَقِّدُهُ الثَّقَى
فَعَلَّ الطِّمْرُ الْكِسْرَ وَي الْقَارِحِ	تَمْضِي الدُّهُورُ وَمَا يَرُومُ فَرِيَسَةً
يَعْلُوهُ بِرُؤْيُزٍ بِحُسْنٍ وَاضِحِ	شَبْدِيزَ إِذْ هُوَ وَاقِفٌ فِي طَاقِهِ
يَوْمَ الْهَيَّاجِ وَلَا الطِّمْرُ بِسَابِحِ	مَا إِنْ تَرَاهُ عَلَيْهِ فِي غُلُوانِهِ
وَالْبَيْثُ عَنْ هَمَّذَانَ لَيْسَ بِبَارِحِ	بَرْوِيزُ عَنْ شَبْدِيزَ لَيْسَ بِبَارِحِ
فِي الْحُسْنِ أَشْبَهَتَا بَيْنَتِي ضَارِحِ	وَكَذَا بَتَدْمُرَ صُورَتَانِ تَعَانَقَا
صَبْرًا عَلَى صَرْفِ الزَّمَانِ الْكَادِحِ	لَا يَسْأَمَانِ مِنَ الْقِيَامِ وَطَالِ مَا
بِالْعَيْنِ عَذْبًا كَالْفُرَاتِ السَّائِحِ	وَبِأَرْضِ عَادٍ فَارَسٌ يَنْقِيهِمِ
تِلْكَ الْحِيَاضُ تَجَفُّ عَيْنُ الرَامِحِ	فَإِذَا انْقَضَى الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَطَفَّحَتْ

(١) انفرد المختصر بذكر هذه القصيدة وشاعرها.

وبأرض وادي الرَّمْلِ بين مَهَامِهِ
 طرفٌ هنالك باسِطٌ بيمينه
 وبفارسٍ سابورُ صُورَ عِبْرَةٍ
 خُذْهَا إِلَيْكَ وَقُلْ مَقَالَةٌ عَادِلٍ
 قد كنتُ قلتُ قصيدةً سوَّغْتُهَا
 سِنِيَّةً فجعلتها حَائِثَةً
 فإذا أُبَيَّتْ جعلتها ضَادِيَّةً
 من جَوْهَرِيَّةٍ ما تُجِنُّ جَوَانِحِي^(١)

وقد كان المكتفي همّ بنقل الأسد من باب همدان إلى بغداد، وذلك أنه نظر إليه فاستحسنه وكتب إلى عامل البلد [محمد بن محمد] يأمره بذلك. فأجمع وجوه أهل الناحية وقالوا: هذا طلسم لبلدنا من آفات كثيرة ولا يجوز قلعه فيهلك البلد. فكتب العامل بذلك إلى الوزير وقد كان كتب إليه أن قدّر النفقة عليه فإننا نوجه لحمله الفيلة تحمله على عجل. فلما ورد كتابه على السلطان بانتقاض أهل البلد من ذلك وفي الكتاب أيضاً أنه لا يستوي حمله، للجبال والعقاب التي في الطريق لا سيما في الحدود. فأجابه أن أضرب عن حمله.

والعامة تزعم أن الأسد مما عملته الجن لسليمان بن داود عليهما السلام. وعلى جبل نهاوند طلسمان وهما صورة ثور وسمكة من ثلج لا يذوبان شتاء ولا صيفاً وهما ظاهران مشهوران يراهما الناس. ويقال إنهما للماء حتى لا يقل بنهاوند ما في ذلك الجبل. فأما ذلك الجبل فينقسم نصفين: نصف يأخذ إلى نهاوند ونصف يأخذ في الغرب حتى يسقي رستاقاً يعرف برستاق الأشر.

وبنهاوند قصب تتخذ منه ذريعة وهي هذا الحنوط، فما دام بنهاوند وشيء من رساتيقها فهو والخشب بمنزلة واحدة لا رائحة له. فإذا حمل منها وجاوز العقبة [١٢٥ ب] التي يقال لها عقبة الركاب، فاحت رائحته وزالت الخشبية عنه.

(١) من المختصر.

وقد ذكر مثل هذا عن التفاح الشامي وأنه يحمل من الشام وليست له رائحة . ولا يزال كذلك يتخذ في الفرات فإذا انحدر فاحت رائحته وذكت . وهي شيء صحيح لا يمارى فيه اثنان من أمر الذريرة وأمر التفاح .

وبنهاوند موضع يقال له وازواز البلاعة [في رستاق الاسفيدهان]^(١) فيه حجر فيه ثقب يكون فتحه أكثر من شبر يفور منه الماء في كل يوم مرة أو مرتين . فيخرج وله صوت عظيم وخرير هائل فيسقي أرضين كثيرة ، ثم يتراجع حتى يدخل ذلك الثقب وينقطع . وذكر ابن الكلبي أن هذا الحجر مطلسم بسبب الماء لا يخرج إلا وقت الحاجة ثم يفور حين يستغنى عنه .

ويقال إن الأكار يجيء إليه وقت الحاجة ومعه المرّ فيقف بإزاء الثقب ثم ينقره بالمرّ دفعة أو دفعتين فيفور الماء بدويّ شديد . فإذا سقى ما يريد وبلغ منه حاجته ، تراجع إلى الثقب وغار قمه إلى وقت الحاجة إليه .

قال : وهذا مشهور بالناحية ينظر إليه كل من أحب ذلك وأراد .

وبنهاوند أيضاً أعجوبة مشهورة وهي صخرة عظيمة في جبلهم يقال لها كلان . فمن غاب له غائب أو أبق له أبق أو كان له عليل أو شرق منه شيء جاء إلى الصخرة ونام عندها . فإنه يرى أي هذه الأمور أراد على الصورة التي هو عليها من الخير وغيره .

ويوجد على حافتي نهرها طين أسود للختم ، وهو أجود ما يكون من الطين وأشدّه سواداً وتعلكاً . يزعم أهل الناحية أن السراطين تخرجه من جوف النهر وتلقيه على حافته ويقولون إنهم لو حفروا في قرار النهر وجوانبه مائة ذراع وأكثر ما وجدوا منه شيئاً إلا ما تخرجه السراطين .

وحدثني رجل من أهل الأدب قال : رأيت بنهاوند فتى من الكتاب وهو شبيه بالساهي فقلت له : ما حالك ؟ فقال :

(١) من المختصر .

يا طول ليلي بنهاوند
فمرة أخذ في مُنية
ومرة أشدو بصوت إذا
قد جال هذا الدهر في جولة
مفكراً في البس والوجد
لا تجلب الخير ولا تجدي
غنيته صدع لي كبدي
فصرت منها بروجرد
[١٢٦]

كأنني في خانها مُصحف
الحمد لله على كل ما
مستوحش في كف مرتد
قدّر من قلبي ومن بعدي

وفي رستاق من رساتيق نهاوند قرية يقال لها كنجواست على تل لها صورة
فرش من الحشيش الأخضر يراه الناس في الشتاء والصيف ناضر الخضرة لا يتغير
يقال انها طلسم للكلأ فهي أكثر بلاد الله حشيشاً.

وبهمذان صخرة عظيمة في موضع يقال له تبنان^(١) من دار نبهان. وهذه
الصخرة في سفح جبل وقد نقر فيها طاقان مرتفعان يكونان على قامتين وبسطة من
الأرض يقال [له] نبشت خزايا. قد نقر في كل واحد من هذين الطاقين مثل
الألواح في كل واحد منها عشرون سطراً منقورة مكتوبة بكتابة تعرف بالكشتج.
فيقال إن الاسكندر اجتاز بهمذان ونظر إلى هذه الصخرة وحسناها وارتفاعها
وملاستها في سفح هذا الجبل، فأمر بنقر الطاقين فيها وكتب ما هو مكتوب.

وقد ذكر جماعة من علماء الناحية أنهم لا يعلمون من عمل الطاقين وكتب
الكتابة لأنها قديمة. وإن الاسكندر اجتاز بالموضع ونظر إلى الصخرة وما عليها من
الكتابة فاستحسن ذلك. وأمر بقراءة ما على اللوح فقرأت وكانت: الصدق ميزان
الله الذي يدور عليه العدل. والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور. وهما
يتعالبان^(٢) ويتعاقبان ويتعاوران في العباد والبلاد. فإذا رجع الصدق بالكذب رجع

(١) المختصر: تبنابر.

(٢) المختصر: يتعانقان.

العدل بالجور. وإذا حال الكذب بالصدق، مال الجور بالعدل. فأطبقت الأرض ذنوباً. فقولوا الصدق ولو بمقياس شعرة، فإنه نور من نور الله. واجتنبوا الكذب ولو بمقياس شعرة فإنه عدة من عدد الشيطان. واصدقوا من صدقكم يولد الصدق صدقاً. ولا تكذبوا من كذبكم فيولد الكذب كذباً. فإن لهما من طوائفهما وجنسهما لقاحاً ولهن حليباً. فحلب الصدق ولقاحه لمن تمسك به النجاة. وحلب الكذب ولقاحه لمن تمسك به الهلكة. وثمرة ذاك داء. وثمرة هذا دواء.

فكونوا أيها الحكماء صديقين تمتلئ أفواهكم نوراً، ولا تكونوا كذابين فتغلب على ألسنتكم اللعنة. فإني افتتحت بالله كلاماً كنت به صادقاً فمشيت على الماء وافتتحت [١٢٦ ب] بالشيطان كلاماً كنت به كاذباً فهويت في الظلمة. فجعلت توبتي من تلك الكذبة عظمي في هذه الصخرة لينعظ بي متعظ ويأخذ عن تجربتي آخذ. فخذوا هذه الحكمة الناطقة عن هذه الصخرة الصامته.

لأوقفت أنا وعبد الله بن محمد بن زنجويه بن مهران وهو من بَنكِ دهاقنة همذان وأصحاب ساروق وحصنها، فقرأت عليه خبر الاسكندر فأنشدني لنفسه:

قَدْكَ عَنِ الْقَهْوَةِ وَالْمَكْشُورِ	لَسْتُ مَعَ الشَّيْبِ بِمَعْذُورِ
تَقْدِمَةُ الْمَوْتِ مَشِيبٌ فَهَلْ	أَنْتَ عَنِ الْلَّهْوِ بِمَرْجُورِ
كَمْ لَكَ يَا عَاقِلٌ مِنْ عِبْرَةٍ	لَوْ نَقَعَ الْحَذَرُ لِمَخْذُورِ
كِتَابَةٌ فِي سَفْحِ أَرْوُثِدْنَا	فِي صَخْرَةٍ مِنْ عَهْدِ سَابُورِ
الصِّدْقُ مِيزَانُ الْجَوَادِ الَّذِي	بِالْيُسْرِ يَأْتِي بَعْدَ مَغْشُورِ
وَالْمَيْنُ مِكْيَالُ اللَّعِينِ الَّذِي	أَخْرَجَنَا مِنْ مَعْدِنِ الْخُورِ
يَا أَيُّهَا النَّاطِقُ صِدْقاً لَقَدْ	مُلِيَ بِهِ فُوكَ مِنَ الثُّورِ
وَأَيُّهَا الشَّاهِدُ زُوراً لَقَدْ	هَوَيْتَ فِي هُوَةِ دُرْدُورِ
إِنِّي افْتَحْتُ الْقَوْلَ بِاللَّهِ كَيْ	أَمْشِيَ عَلَى سَاحِلِ مَفْخُورِ
فَظَلْتُ فَوْقَ الْمَاءِ وَالْبَحْرِ لِي	وَالْمَوْجُ فِي طَاعَةِ مَأْمُورِ
وَقُلْتُ بِالشَّيْطَانِ قَوْلاً بِهِ	ظَلَلْتُ فِي ظُلْمَةِ دَيْجُورِ

كَفَّاكَ أَنِّي تَائِبٌ وَاعْظُ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ عَنِ الرُّورِ
خُذْ هَذِهِ الْحِكْمَةَ عَنْ صَخْرَةٍ تَبْقَى إِلَى النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ^(١)

وقال بعض الحكماء: وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجساماً وأعظم من أجسامهم أحلاماً. وأشدَّ قوة وأشدَّ بقوتهم امتحاناً. وأطول أعماراً وأطول بأعمارهم للأمور اختباراً.

فكان صاحب الدين منهم أبلغ في أمر الدين علماً وعملاً من صاحب الدين منا. وكان صاحب الدنيا كذلك. ووجدناهم لم يرضوا بما قُلِّدوا به من الفضل حتى أشركونا معهم بأنفسهم فيما ابتغوا من علم الآخرة والأولى. فكتبوا به الكتب الباقية وكتبوا بها التجارب والفتن وبلغ اهتمامهم بذلك أن الرجل منهم كان يفتح له باب من العلم وكلمة من الصواب وهو بالبلد غير المأهول فيكتبه في صخرة من جبل وعلى باب قصر خراب، ضناً منه بذلك وكراهية أن يسقط ذلك الباب وتشذ تلك الكلمة على من يأتي بعدهم.

فكتبوا الكتب الباقية من العلم وكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد المشفق على الولد البار. وكانوا يعمدون إلى المواضع المشهورة والأماكن المعروفة التي هي أجدر أن تبقى على وجه الدهر وتبعد من الرؤوس فيجعلون منها الشيء من الحكم والباب من العلم كما كتبوا على قبة غمدان وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى سوارى الاسكندرية وعلى إيوان الحضرة وعلى الأبلق الفرد وعلى الهرمين وعلى باب الرها وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى صخرة همذان.

المملحة بفراهان:

قالوا: ومن عجائب همذان الملاحاة التي برستاق يقال لها فراهان. وهي بحيرة تكون أربعة فراسخ في مثلها. فإذا كانت أيام الخريف واستغنى أهل تلك

(١) ما بين عضادتين من المختصر.

الرساتيق عن المياه للزراعة، صوّبت سائر المياه إلى هذه البحيرة، فلا تزال تصب إليها سائر الخريف والشتاء، فإذا كان وقت الربيع واحتاج الناس إلى الماء، قُطع عنها فصار [١٢٧ أ] ماؤها كله ملحاً. فيأخذ الناس ويحمله الأكراد الجابارقة وغيرهم إلى البلدان فيباع.

وزعم ابن الكلبي أن بليناس طلسم هذه البحيرة أن يكون ملحاً ما لم يُحظر عليها ويمنع الناس. فمتى حُظر عليها ومنع الناس منها، نشفت الماء أولاً ولم يكن فيها شيء من الملح.

وفي هذا الرستاق قرية يقال لها الفردجان وكان فيها بيت نار عتيق. وهي أحد النيران التي غلت فيها المجوس مثل آذخره، ونار جم الشيد وهي الأولى ونار ماجشنسف وهي نار كيخسرو. لأن المجوس غلت في هذه النيران غلواً لا تضبطه العقول فقالوا: كان مع زردشت ملك يشهد له عند كشتاسف أنه رسول ثم عاد ناراً.

وأما نار جم الشيد فهي نار آذخره، كانت بخوارزم فنقلها أنوشروان إلى الكاريان [في ناحية فارس] (١). فلما ملكت العرب تخوفت المجوس أن تطفأ فصيروها جزأين: جزء بالكاريان وجزء حمل إلى فسا. لأنهم قالوا إن طفئت واحدة بقيت الأخرى.

وأما آذربجشنسف، نار كيخسرو. فإنها كانت ببرزة من آذربيجان، فنظر أنوشروان في ذلك وفكر فنقلها إلى الشيز لأنها كانت عظيمة عندهم.

وفي زمزمة المجوس (٢): إن نار آذربجشنسف يُؤكل بها ملك بالبركة،

(١) تكملة من تاريخ قم ٨٨.

(٢) في تاريخ قم ٨٩ الذي نقل خبر هذه النيران عن ابن الفقيه: في كتاب المجوس. وفي غرر الأمثال ٨٨ أ (الزمزمة: ترنم المجوسي عند الأكل وهو تلاوة كتاب زند وأستاذ علي وجه لا يفهمه غيره).

قلت: الصواب: زند وأقستا.

وبالبركة ملك بجبل يقال له سبلان ملك. وإن هؤلاء الأملاك الثلاثة مأمورون بتأييد أصحاب الجيوش.

فقال أنوشروان: لا يمكنني أن أنقل نار آدرجشنسف والبركة إلى سبلان فأجمعهن ثلاثتهن. فإذا فاتني هذا فلاني أنقل آدرجشنسف إلى هذه البركة ليتعاون الملكان.

وأما نار زردشت فهي بناحية نيسابور ولم نحول، وهي أحد الأصول من نيرانهم.

ومما غلت فيه المجوس أيضاً، نار آدرجشنسف وهي النار التي بالفراهان. قال المتوكلي: فحدثني بعض المجوس ممن رآها أن مزدق^(١) لما غلب على قباد قال: ينبغي أن تبطل النيران كلها إلا الثلاث الأوائل وتنقل هذه إليهن. ففعل. فذكر أن نار آدرجشنسف خرجت حتى صارت إلى ماجشنسف بأذربيجان فاختلطت معها فكانوا إذا أضرموها ظهرت نار آدرجشنسف حمراء وظهرت ماجشنسف بيضاء إذا دسموها بالشحم. فلما قتل مزدق ردّ الناس النيران [١٢٧ ب] إلى أماكنها فافتقدوها بأذربيجان. فلم يزالوا يقتفون أثرها حتى وقفوا على أنها رجعت إلى الفردجان. فلم تزل في هذا البيت في هذه القرية إلى سنة اثنين وثمانين ومائتين فإنه صار إليها أبزون^(٢) التركي - وكان يتولى قم - فنصب على سور القرية المجانيق والمرادات حتى افتتحها وأخرب سورها وهدم البيت وأطفأ النار وحمل الكانون إلى قم فبطلت النار منذ يومئذ.

وزردشت^(٣) شدد عليهم بالوعيد لما رأى من برد بلادهم. ولذلك أمرهم بعبادة النيران، لأن أهل الكلام يزعمون أن زردشت جاء من بلخ فادعى الوحي وأنه

(١) المقصود مزدق. أما المتوكلي راوي هذا الخبر فقد قال ياقوت (سورستان): (ذكر زردشت بن آذر خور ويعرف بمحمد المتوكلي) ثم نقل عنه مادة جغرافية تتعلق بسورستان العراق ولغتها السريانية.

(٢) في المختصر: برون. وفي تاريخ قم ٨٩: بيرون.

(٣) من هنا وإلى قوله (إن ذلك أزجر لهم) في الحيوان للجاحظ ٥: ٦٧.

نزل عليه الوحي على جبل يقال له سبلان، وانه حين رأى سكان تلك الناحية الباردة لا يعرفون إلا الأذى بالبرد ولا يضربون المثل إلا به ولا يتوعدون إلا به حتى يقول الرجل لعبد إذا أذنب ذنباً عظيماً: لئن عدت إلى مثل هذا لأنزعن ثيابك ولاقيمنك في الريح ولأطرحنك في الثلج.

فلما رأى أن موضع البرد عندهم هذا الموقع، جعل الوعيد بتضاعيفه. ويظن أن ذلك أزجر لهم.

وقال عبد الله بن زياد^(١): كان سبب عبادة النار عند المجوس أنه لما ولد المسيح عليه السلام، رأى الملك الذي كان في وقته للفرس - وقد قيل إنه كان أردشير - كان يرقى نعشاً ثم أحرق نجمه. فهاهنا ذلك وجزع منه، وسأل عن القصة فبلغه خبر المسيح، فأهدى إليه هدية فيها صبرٌ وعسل مع ثلاثة رجال من أهل فارس. فانطلقوا إلى الشام حتى لقوه ودفعوا إليه الهدية، فقبلها. ثم إن المسيح أهدى إلى ملك الفرس ثلاثة أقراص من خبز شعير قرباناً مع الرسل وأوصاهم بوصية. فخرجوا من الشام يريدون بلد فارس. فبينما هم في الطريق إذ قال واحد منهم: لو أكل كل واحد منا قرصاً من هذه الأقراص فكان يفوز بالفضل الذي فيها، فإن هذا الرجل - يعني المسيح - لم يكن يوجه إلى الملك هذه الأقراص إلا لفضل عظيم فيها. فتتابع اثنان على ذلك وأكلا قرصيهما. وأبى الثالث أن يفعل. فقالا له: إننا نخاف على أنفسنا من الملك أن وقف على فعلنا. فلما [١٢٨ أ] أن تأكل قرصك وإما أن نقتلك. قال فلاني آكله. وأوهمهم ذلك ثم دفنه. وانطلقوا حتى صاروا إلى صاحبهم فقال لهم: ما الذي قال لكم؟ فعرفوه ما أوصاهم به. قال: فأي شيء وجه معكم؟ قالوا: لم يوجه معنا شيئاً. فقال: كذبتُم. ما كان ليردكم بغير شيء. أصدقوني، ما الذي صنعتُم بما أعطاكم؟ فصدقوه عن الأمر، وعرفه الذي لم يأكل القرص ما فعل به ووصف له المكان الذي دفنه فيه. فقال: انطلق بنا حتى تقفنا على الموضع الذي دفنته فيه. فانطلق والملك معه. فلما صاروا إلى

(١) هو عبد الله بن زياد المدني (الحيوان ٤ : ١٨ ، ١٩). ولهذه الواقعة ذكر مختصر في مروج الذهب ٢ : ٢٤٦.

الموضع أوقفه عليه. فأمر أن يحفر المكان ويستخرج القرص، ففعلوا ذلك. فهاجت في وجوههم نار عظيمة منعتهم من استخراجها. فحاولوا ذلك غير مرة وهي تمنعهم. فقال أردشير: بهذه النار أرسلكم. فمن يومئذ عظمت فارسُ النار وعبدتها.

ورأينا جماعة من علماء المجوس يدفعون هذا ولا يعترفون به ويزعمون أن تعظيم النار قبل مولد المسيح بالدهر الطويل.

وقال الجاحظ^(١): من المواضع التي عظمت النار لها، أن الله عز وجل جعلها لبني إسرائيل في موضع امتحان إخلاصهم وتعترف صدق نياتهم. فكانوا يتقربون بالقربان، فمن كان منهم مخلصاً، نزلت نار من قبل السماء حتى تحيط بقربانه فتأكله. ومن لم تأكل النار قربانه، قضوا على صاحبه أنه مذموم القلب فاسد النية.

فهذا باب مما عظم الله به شأن النار في صدور الناس. ومنه قول الله عز وجل ﴿وهل أتاك حديث موسى: إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنستُ ناراً لعلني آتيكم منها بقبس أو أجِدُ على النار هدىً. فلما أتاهم بآياتي يا موسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنيك بالوادي المقدس طوى﴾.

وقال في موضع آخر ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾.

والنار من أكبر الماعون^(٢) [وأعظم المرافق] ولو لم يكن فيها إلا أن الله جل وعز جعلها الزاجرة على المعاصي لكان ذلك مما يزيد في قدرها وفي نباهة ذكرها وقال ﴿أفأرأيتم النار التي تورون؟ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن

(١) من هنا يبدأ ابن الفقيه بالاعتباس - باختصار أحياناً - من الحيوان للجاحظ (٥: ٦٧ وما بعدها و ٤: ٤٦١ وما بعدها). وما وضعناه بين عضادتين هو من الجاحظ لإكمال المعنى فقط، وإلا فحديث الجاحظ عن النار طويل جداً.

(٢) الماعون: ما ينتفع به.

[١٢٨ ب] جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين ﴿١﴾. وقِفْ عند هذا القول. فإن كنت مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم النعمة آخرًا، ثم قوِّم مقادير النعم وتصاريقها.

وقد علمنا أن الله عز وجل قد عذب الأمم بالغرق والرياح والحاصب والصواعق والخسف وغير ذلك، ولم يبعث عليهم ناراً، كما بعث عليهم ماء وريحاً وأحجاراً. وجعل النار من عقاب الآخرة. ونهى أن يحرق بها شيء من الحيوان والهوام [وقال: لا تعذبوا بعذاب الله]. فقد عظمها كما ترى.

وقال عز وجل ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٢﴾. فجعل الشواظ والنحاس وهما النار والدخان من الآية. فلذلك قال عليُّ نسق الآية ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

ونار أخرى وهي نار إبراهيم عليه السلام التي ألقي فيها فجعلها الله عز وجل عليه برداً وسلاماً.

ونار أخرى وهي النار التي كانوا [يستمطرون بها] في الجاهلية فإنهم كانوا إذا تابعت عليهم الأزمات واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذناها السلع والعُشر المشدود في أذنان البقر [وأشعلوا فيها النيران] وضجوا بالبكاء والدعاء والتضرع. فكانوا يرون ذلك من أسباب السُّقيا لهم. ولذلك قال الشاعر^(١):

لا درء در رجالی خراب سَعِيهِمْ يستمطرون لدى الأزمات بالعُشْرِ
أجاعلُ أنت بَيَقُوراً مُسَلَّعَةً ذريعة لك بين الله والمطرِ

ونار أخرى كانوا يوقدونها عند التحالف والتعاقد، فيذكرون منافعها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافعها على الذي ينقض العهد ويخيس العقد. وربما دنوا من النار حتى تكاد تحرقهم. ويهولون بذلك على من يخافون غدره. وقال الكميت:

(١) في الحيوان ٤: ٤٦٨ قال إنه للمؤرل الطائي.

كما شبَّ نارَ الحالفين المهوّل^(١)

ونار أخرى بوقدونها خلف المسافر الذي لا يرون أن يعود من سفره.

ونار أخرى وهي نار الحرّتين، وهي نار خالد بن سنان أحد بني مخزوم من بني قطيعة بن عبس - وكان يقال نبي - ولم يكن في بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام نبي قبله. وهو الذي [١٢٩ أ] أطفأ نار الحرّة وكانت ببلاد بني عبس حرّة تسطع بالنهار دخاناً وتتقد بالليل ناراً، وربما ندرت منها العنق^(٢) فأنت على كل شيء تناله.

وكان أهل تلك الأرض منها في بلاء عظيم حتى بعث الله خالد بن سنان فساقها بعصاه حتى أدخلها بئراً كانت بالحرّة، ثم اقتحم معها البشر حتى غيّبها ثم خرج. وقد ذكرنا أخباره في كتاب العجائب.

والمتكلمون يدفعون أمر خالد ويقولون كان أعرابياً وبَرّياً من أهل شرح وناظرة، ولم يبعث الله نبياً قط من العرب الذين ينزلون البادية ويسكنون بيوت الوبر. وإنما يبعثهم من القرى وساكني المدر. قال لخليد عيين العبدى:

وأيّ نبيّ كان في غير قومٍ وهل كان حكمُ الله إلا مع النخل

وأهل الكتاب يزعمون أن الله أوصاهم بالنار وقال (لا تطفثوا النار من بيوتي). فلذلك لا تجد الكنائس وجميع بيوت العبادة تخلو من نار موقدة في سرج وقناديل ليلاً ونهاراً. وأما المجوس فإنهم لم يرضوا بمصاييح أهل الكتاب حتى اتخذوا للنيران البيوت والسدنة ووقفوا عليها الغلات الكثيرة. وهم يقدمون النار في التعظيم على الماء ويقدمون الماء في التعظيم على الأرض ولا يكادون يذكرون الهواء.

(١) في الحيوان ٤ : ٤٧١.

كهولة ما أوقد المحلفو
(٢) العنق: لسان اللهب الصادر عن النار.

وما زالت السدنة تحتال للناس من جهة النيران بأنواع الحيل كاحتيال رهبان كنيسة القيامة ببيت المقدس بقولهم إنهم في بعض الأعياد يطفئون سائر القناديل التي في البيعة، وإن ناراً تنزل من السماء حتى تلهب قنديلاً قد جعلوه لذلك، وإن النار التي تلهبه تكون مضيئة ليست لها حرارة، فكلما ألهب منها قنديل آخر أخذت في الاحمرار والحرارة حتى تعود إلى الطبع.

وكما قالت المجوس في آذر جوي وشق حين بنوا الكانون على قنارة ونفاطة.

ونيران آخر منها: نار البرق ونار الجباحب وهي اليراعة. واليراعة دودة خضراء تكون في آخر الربيع تطير بالليل كأنها شرارة نار، فإن أخذها أخذ وجعلها في يده ونظر إليها [كانت] ^(١) كأنها نار. وأهل القرى يجعلونها على جباههم يلعبون بذلك. وهي بالنهار دودة خضراء.

ويقال إن بطلاً أراد السلطان معاقبته، فأقامه في ماء بعض النهار [١٢٩ ب] وكانت ليلة باردة كثيرة الثلج، فنظر إلى مصباح في القرية فوضع عينيه عليه، ولم يزل في الحياة حتى خمد المصباح. فلما لحق المصباح مات الرجل من وقته، وكانت حياته بنظره إلى النار.

وذكر الله عز وجل فضل النار في عدة مواضع من كتابه، من ذلك قوله ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾. فجعلها أعظم من الماعون معونة وأخفها مؤونة. والماعون الأكبر الماء والنار ثم الكلاً والملح.

والوجه الآخر من الامتنان بالنار قوله ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس...﴾ الآية. وليس يريد أن إحراق العباد بالنار من والآية ونعمائه، ولكن أراد بالوعيد الصادق، إذ كان في غاية الزجر فهو من النعم السابغة والآلاء العظام. وكذلك القول في خلق جهنم إنه نعمة عظيمة ومنة جليلة، إذ كان زاجراً عن نفسه ناهياً، وإلى الجنة داعياً.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

ثم بالنار يعيش أصل الأرض من وجوه، فمن ذلك صنيع الشمس في البرد والماء والأرض. ولأنها صلاح جميع الحيوان عند حاجتها إلى دفع عادية البرد، ثم سراجهم الذي يستصبحون وبضياته يميزون الأمور.

وفي الأرض عيون قار وعيون زئبق وعيون نفط وكبريت، ومعادن ذهب وفضة وورصاص ونحاس وحديد. فلولا ما في بطن الأرض من أجزاء النار، ما ذاب في قعرها جامد ولما انسبك في معادنها شيء من الجواهر، ولما كان لقواها جامع ولخبثها مفرق^(١).

ثم رجع بنا القول إلى ذكر البلدان.

قالوا: وفي بعض رساتيق همدان عيون ماء تنبع، فإذا جرى من مكانه وزال عن موضعه تحجر وصار صخراً تبنى به الأبنية.

وقيل أيضاً إن الشب اليماني إنما هو ماء يقطر من كهوف في جبال باليمن، فإذا وقع إلى الأرض استحجر وصار شبةً وحمل إلى سائر البلدان. وكذلك النوشاذر ومعدنه كهف بكرمان. وزعموا أنه بخار يتكاثف في ذلك الكهف، فإذا اجتمع خرج إليه السلطان وأهل البلد فجمعوه وأخذ السلطان حصّة منه وسلّم الباقي إلى أهل البلد فتوزّعوه على رسوم قد تراضوا بها.

ذكر ما خصّ الله تعالى كل بلدة

بشيء من الأمتعة دون غيرها

وقال بعض العلماء: لولا أن الله عز وجل بلطفه خصّ كل بلد من البلدان وأعطى كل إقليم من الأقاليم شيئاً قد منعه غيره، [١٣٠ أ] لبطلت التجارات

(١) في الحيوان ٥: ١٠٢ (لمتقاربها جامع ولمختلفها مفرق) وإلى هنا يتوقف ابن الفقيه عن الاقتباس من الجاحظ.

وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر إنسان ولتركوا التهادي فيما بينهم ولذهب الشري والبيع والأخذ والإعطاء. إلا أن الله جلّ وتقدس أعطى كل صقع نوعاً من الخيرات لم يعطه الصقع الآخر ليسافر هذا إلى بلد هذا، فيحمل متاع أرضه. وهذا إلى مدينة هذا فيحمل عجائب مدينته.

وقيل في قول الله عزّ وجلّ ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أنه أراد بها جعله في بلد دون بلد، مثل الكاغذ بسمرقند والقرطاس بمصر.

ولذلك خصّ بلاد الهند بأنواع الطيب والجواهر واليواقيت وأشباه اليواقيت وغير ذلك من الأحجار المثمنة. ولهم أصناف الطيب كالعود والعنبر والكافور والقرنفل والخولنجان والدارصيني وغير ذلك من أنواع الطيب. ولهم الصندل والتوتياء والهليلج وأنواع كثيرة لو ذكرناها لظال بها الخطب ولخرج الكتاب من الغرض الذي قصدناه. ولهم القشّاء والخيزران واليقم والصندل الأحمر والأبيض، ولهم الساج والفلفل. وفي بلادهم الطواويس والفيلة والكركدن.

وقد خصّ الله أهل الصين بإحكام الصناعات وأعطاهم منها ما لم يعط أحداً، فلهم الحرير الصيني والغضائر الصيني والسروج الصيني وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المثقنة العمل. ولهم أيضاً مسك إلا أنه ليس بجيد. وقالوا إنما يتغير في البحر لطول المسافة.

ثم الروم وما قد خصهم الله به من العلوم والآداب وما قد أعطوا من الهندسة والفلسفة والحدق بالأبنية والمصانع واتخاذ الحصون وعقد القناطر والجسور وعمل الكيمياء والكساء الرومي والفرفير والبزبون. وفي بلادهم الميعة والمصطكى.

ثم النوبة وما قد حصّوا به من جودة الرمي وما قد انفرد به بلدهم من العجائب. ولهم الخيل العجيبة والنجب التي تسبق الخيل. ولهم الكلاب التي تقاتل الأسد.

وكذلك البجة وفي بلادهم معدن الزبرجد ومعدن الذهب، وزيتهم زي العرب كأنهم من رجال اليمن.

ولأهل المغرب البغال البربرية [١٣٠ ب] والجواري الأندلسيات والنمور الزنجية.

ثم ما قد خُصَّ به أهل مصر، من النيل وعجائب ما فيه من طرائف السمك والتماسيح، ولهم السمك الرعاد إذا وقع في شبكة الصياد ارتعدت يده ولم يملك من أمره شيئاً حتى يخلي هذا النوع من شبكته.

ولهم السقنقور وخاصيته في الجماع لا تدفع. ولهم الثياب الدبيقية والشطوية، والأردية التي تكاد سلوكها تختفي عمن نظر إليها. ويقال إن نساجيها أوسخ الناس وأقذرهم، وهم يأكلون الأطعمة الكريهة الروائح من السموك المملحة واللحوم الغثة ولا يغسلون أيديهم وتنتن روائحهم. وإذا قطعوا الثوب بعدما قد ناله من وسخهم ودرن أبدانهم ما لا يوصف، وجد في نهاية الحسن وطيب الرائحة.

وكذلك أيضاً نساجي الديباج بستر وحاقة الخبز بالسوس على ما وصفنا من القدر والتنن والرائحة الكريهة والوسخ، وتخرج الثياب من أيديهم وهم ينسجون هذه الثياب التي تخفى دقة من الحسن والرائحة بغير أنوار ولا تغير. وهذه خاصيته يشكل أمرها على سائر من تفقدها وأراد الوقوف على العلة فيها.

ولهم أيضاً ضروب أخر من الثياب، منها المسير. وهم أحذق الناس بعمل ثياب الصوف والأكسية.

ولهم البغال المصرية والحمر المزيّسة والثياب التنيسية والاسكندرية.

ولأهل اليمن الحلل اليمانية والثياب السعيدية والبرد العذيبية. والعذنية. وفي بلادهم الورد والكندر. ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية. وفي بلادهم القرودة والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب.

ثم العراق وسط الأرض وخزانة السلطان ودار المملكة.

وما قد أعطي أهل الكوفة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من أنواع الثياب

والأمتعة والتمور، فإن فيها من أنواع التمور والقسوب ما قد عُدّ مثله بالبصرة والأهواز وبغداد والحجاز.

فمن تمورهم الهيرون والنرسيان والقسب العنبري والآزاد وغير ذلك.

ثم قل في عجائب بغداد التي قد اجتمع فيها ما هو مفرّق في جميع أقاليم الأرض من أنواع [١٣١ أ] التجارات والصناعات. فلهم الذي لا يشركهم فيه أحد: الثياب المروية والملحم والقيراطي وغير ذلك. ولههم أنواع الزجاج المحكم من الأقداح والاقحاف المخروطة والمجرودة التي تُختار على البلور لرقتها وشفاء جوهرها. ولههم الدارشي واللكاء^(١) وفيهما أعجوبة لا يوقف عليهما ولا يُدرى ما العلة فيها. وذلك أن اللكاء إن عُمِل في الجانب الذي يعمل فيه الدارشي لم يستو بنفسه ولا يكون منه شيء. وكذلك الدارشي أيضاً إن عُمِل في الجانب الذي يعمل فيه اللكاء انفسد. وقد عُمِل ذلك غير مرة فكان كما قلنا في الفساد.

ومثل هذه أشياء كثيرة منها القراطيس التي تُعمل بمصر فإنها لا تستوي إلا بمصر دون غيرها من سائر البلدان. وقد نقل صناعاتها المعتصم من مصر إلى سمرقند، فما استوى لهم منها إلا شيء رديء ولا يُحرز المكاتبه فيه.

وكذلك أيضاً البطيخ الناعوري، فإنه لا يكون جيداً إلا في ضيعة من ضياع الموصل تعرف بالناعور. وقد حرص المعتضد على أن يستوي ببغداد وحمل مع بذره تراباً من تربته وماء من العين التي تسقيه فلم يفلح. فسأل عن العلة في ذلك، فقيل: التربة. قال: قد حملنا منها. قيل: فالماء. قال: قد أمرنا بحمله في السفن المقيرة فحمل ولم ينجب. قيل: فهو الموضع. قال: هذا لا حيلة لنا فيه.

ثم ما قد خُصت به كور دجلة والسواد وميسان ودستميستان من عمل الستور والبسط.

وقد خُصت البصرة من بين البلدان بكثرة النخيل وأنواع الأرطاب والتمور.

(١) ذكرنا الدارشي واللكاء فيما مضى.

وذكر بعضهم^(١) أن جماعة من أهل المعرفة بالنخل أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون نخل اليمامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان والكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والأهواز وأعمالها، فإذا هي ثلاثمائة وثمانون ضرباً من مُغِلٍّ معروف وخارجي موصوف وبديع غريب ومثمن شهير.

ثم الأهواز وما قد خُصوا به وأعطوا من أنواع السكر وكثرة التمور.

وما بالسوس من جنديسابور من أنواع ثياب الخز والديباج وغير ذلك من أصناف الإبريسم [١٣١ ب] والقز.

ثم الجبل وعجائبه وما قد أعطي أهله من أصناف الفواكه الشتوية والعجائب البديعة. هذا إلى طيب بلدانه وكثرة مياهه وأطراد أنهاره ونضارة أشجاره، وما يتخذ فيه من الألبان والشوابير التي يستعز بها ملوك العراق ويستظرفونها ويستهدونها.

ولأهل همدان خاصة حلق باتخاذ المرايا والملاحق والمجامر والطبول وغير ذلك من الحديد المذهب الذي قد فاقوا وفاتوا باتخاذ سائر أهل الأرض.

ولأهل الري المسير والمسير والخزير. ولهم أشياء يتخذونها من الخشب يفوقون بها سائر الناس، ومنها الأمشاط والخفاف والممالح والمغارف. ولهم الأكسية البيض الطرازية.

ثم بغداد الثانية، أعني إصبهان وما قد أعطي أهلها من طيب الهواء وعدوبة الماء وكثرة الصناعات وأنواع الخير. ولهم الثياب المروية والعنابية والمفحمة والحلل الإبريسمية المنسوجة وغير المنسوجة. والثياب السعيدية^(٢).

(١) في المختصر ٢٥٣: (وذكر الجاحظ أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين والأهواز وما بها أيام المعتصم وإذا ثلاثمائة وستون ضرباً).

وهذه المعلومة ليست في كتاب الحيوان الذي دأب ابن الفقيه على الاقتباس منه، وربما كانت من مؤلف آخر للجاحظ.

(٢) (والثياب السعيدية) انفرد المختصر بذكرها.

ثم فارس وكورها وبلدانها ورساتيقيها وما قد خُصوا به من اتخاذ الآلات
الظرفية من الحديد، حتى قال بعض الحكماء وقد نظر إلى أشياء ظرفية عند بعض
الملوك من آلات فارس الحديدية: لقد ألان الله لهؤلاء القوم الحديد وسخره لهم
حتى لقد عملوا ما أرادوا.

وهم أحذق الناس بعمل المجامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيف وعمل
الدروع والجواشن.

ولهم الثياب الجنابية^(١) والسينيزية وغير ذلك.

ولأهل سجستان عمل المشارب السجزية وآلات الشبه والصففر ولهم
الجعاب.

ولأهل طبرستان والديلم وقزوین وزنجان من عمل الأكسية الرومانية والآملية
واتخاذ الشستانك^(٢) والمناديل وغير ذلك من أنواع ثياب القطن والصوف ما ليس
لأحد.

ولأهل فارس أيضاً الماوردة الجوزي والطين السيرافي والأدهان السابورية
والثياب الكازرونية.

ولأهل نيسابور الثياب الملحمة والظاهرية، ولهم الفالح والنواخح^(٣) وأشياء
عجيبة من الثياب ليس لأحد إلا لهم.

ولأهل مرو الملحمة والثياب المروية.

وبهراة فواكه ليس في البلدان [١٣٢ أ] شيء مثلها. ولهم الزبيب الكشمهاني
ثلاثة ألوان: أحمر وأصفر وأخضر.

وبها بطيخ يقدد ويحمل إلى بغداد. وقد كان من يحمل من بطيخها إلى

(١) في المختصر: الجبائية.

(٢) من كلمة شستجه المعربة عن الفارسية وتعني المنديل، انظر: دستور الاخوان ٢: ٩١٦.

(٣) كذا وردت هاتان الكلمتان في الأصل. وهما في المختصر (التاخنج والراختج).

الخلفاء لشدة حلاوته . فكان يحمل في قدور نحاس .

ولهم الأستر غاز والرياس والهلون .

وبخراسان الفوشنة والكلليكان والرخيين والملين . وبها معدن الفيروزج واللازورد . ولهم البنجهير ، معدن الفضة . ولهم الحزم القوجية والخيل البخارية . ولهم الركب المروية ولهم الاشكر والخلنج ولهم الختو .

وبالتبت ، المسك التبتى والدرق التبتية . وزعموا أن كل من دخلها لم يزل ضاحكاً مسروراً .

وباليمن العقيق والبجاذي والجزع وغير ذلك .

وبأرمينية : الفرش الأرميني والبسط والستور . فسبحان من أعطى كل بلد نوعاً من الخيرات وجنساً من الصناعات ولولا ذلك ما جمعت المملوك من الصفائح اليمانية والقضب الهندية ، والرماح البلوصية ، والأسنة الخزرية ، والأعمدة الهروية ، واللجم الحاربنديّة ، والشعور الصبلية^(١) ، والشهاري الأبرازبنديّة ، والبغال الأرمينية ، والحمير المرسية ، والثياب السعيدية ، والكيش الشاشية ، والأوتار التركية ، والجعاب السجزية ، والدرق المغربية ، وادبحت^(٢) الأندلسية ، والدرر العمانية ، واليواقيت السرنديبية ، والكتان المصرية ، والملحم الخراسانية ، والوشي الكوفية .

واعلم أن ببلاد المغرب ومصر وبلاد الجبل وخراسان عجائب لا تكون غيرها . مثل : منارة الاسكندرية ، وعمود عين الشمس ، والهرمين ، وجسر أزنة ، وقنطرة سنجة ، وكنيسة الرها ، والأبلق الفرد ، والمشقر ، وغمدان ، وبرهوت ، وبلهوت ، ومدينة الحضرة ، وأبنية تدمر ، وعجائب فامية ، والفرس الذي في أقصى المغرب ، وما يذكر عن مدينة الصفر ، ويُحدّث عن قبة الرصاص ، وإيوان المدائن ، وتخت شبديز ، وأسد همذان ، والسمكة والثور بنهاوند ، وأبنية اصطخر ، وعجائب

(١) كذا في الأصل .

(٢) كذا في الأصل .

رومية، والتمساح، والرغاد، والسقنقور، وذات الحوافر وغير ذلك من العجائب التي لا تُحصى [١٣٢ ب] فتبارك الله أحسن الخالقين.

منارة ذات الحوافر

وكان سبب بناء ذات الحوافر بهمدان وهي منارة عالية في رستاق يقال له ونجر بقرية يقال لها أسفجين.

وكان السبب في بنائها، أن شابور بن أردشير قال له منجموه إن ملكك هذا سيزول وإنك ستسقى أعواماً كثيرة حتى تبلغ إلى حد الفقر والمسكنة، ثم يعود إليك الملك. قال: وما علامة رجوعه؟ قالوا: إذا أكلت من خبز الذهب على مائدة حديد، فذاك علامة رجوع ملكك. فاختر أن يكون ذلك في شببيتك أو في كبرك. قال فاختر أن يكون في شببته. وحدوا له في ذلك حداً، فلما بلغ الحد اعتزل ملكه ترفعه أرض وتخفضه أخرى إلى أن صار إلى هذه القرية، فتنكر وأجر نفسه من عظيم القرية. وكان معه جراب فيه تاجه وثيابه، فأودعه الرجل الذي آجره نفسه. فكان يحرق له نهاراً ويسقي زرعاً ليلاً، فإذا فرغ من سقي الزرع طرد الوحش عن الزرع حتى يصبح. فبقي على ذلك سنة. فرأى الرجل منه حذقاً ونشاطاً وأمانة في كل ما يأمره به. فرغب فيه الرجل واسترجعه فزوجه بعض بناته. فلما حولها إليه كان شابور يعتزلها ولا يقربها. فلما أتى لذلك شهر، شكت إلى أبيها فاختمها منه.

[وبقي شابور يعمل عنده. فلما كان بعد حول آخر سألته أن يتزوج ابنته الوسطى ووصف له جمالها وكمالها وعقلها فتزوجها. فلما حولها إليه كان شابور أيضاً معتزلاً لها ولا يقربها. فلما تم لها شهر سألها أبوها عن حالها مع زوجها فاختمها منه^(١).

فلما كان حول آخر وهو الثالث، سألته أن يتزوج ابنته الصغيرة. ووصف له جمالها وعقلها وكمالها. فتزوجها، فلما حولت إليه، كان شابور معتزلاً لها لا

(١) ما بين عضادتين تكملة من ياقوت.

يقربها. فلما تم لها شهر، سألها أبوها عن حالها مع زوجها فأخبرته بأنها معه في أنعم عيش وأسره.

قال: ولما رأى شابور صبرها عليه وحسن خدمتها له، دنا منها فعلمت منه وولدت له ابناً.

فلما أتى على شابور أربع سنين، أحب الله أن يرده ملكه عليه. فاتفق أن كان في القرية عرس اجتمع فيه رجالهم ونساؤهم. وكانت امرأة شابور تحمل طعامه إليه في كل يوم. ففي ذلك اليوم اشتغلت عنه إلى بعد العصر لم تحمل إليه شيئاً ولا أصلحت له شيئاً. فلما كان بعد العصر ذكرته فبادرت إلى منزلها وطلبت شيئاً تحمله إليه فلم تجد إلا رقيقاً واحداً من جاورس^(١)، فحملته إليه وأدنته منه وهو يسقي الزرع وبينها وبينه ساقية ماء. فلما وصلت إليه لم تقدر على عبور الساقية. فمدت إليها سابور [١٣٣ أ] المر^(٢) الذي كان يعمل به، فجعلت الرقيق عليه. فلما وضعه بين يديه وكسره وجده شديد الصفرة ورآه على الحديد فذكر قول المنجمين - وكانوا قد حدّدوا له الوقت - فتأملته فإذا هو قد انقضى. فقال للمرأة: اعلمي أيتها المرأة أنني سابور، وقصّ عليها قصته ثم اغتسل في النهر وأخرج شعره من الرباط الذي كان قد ربطه عليه وقال لامرأته: قد تمّ أمري وزال شقائي. وصار إلى منزله وأمرها أن تخرج إليه الجراب الذي فيه تاجه وثيابه، فأخرجته إليه فلبس التاج وثياب الملك. فلما رآه أبو الجارية كفر له وسجد بين يديه وحيّاه بتحية الملك.

قال: وكان سابور قد عهد إلى وزرائه وعرفهم ما قد امتحن به من الشقاء وذهاب الملك وأن مدة ذلك كذا وكذا سنة، وبيّن لهم الموضع الذي بوافونه إليه عند انقضاء شقائه وزوال البلاء عنه وأعلمهم الساعة التي يقصدونه فيها. فأخذ مفرقة كانت معه ودفعها إلى أبي الجارية وقال له: علّق هذه على باب القرية واصعد السور وانظر ما ترى. ففعل ذلك وصبر ساعة ثم نزل فقال: أرى أيها الملك

(١) معرب كاورس، وهو الدخن بالعربية. (الصيدنة ١٦٩).

(٢) المر: المسحاة.

خيلاً كثيرة يتبع بعضها بعضاً. فلم يكن أسرع من أن وافى الخيل شواطيط^(١). فكان الفارس إذا رأى مقرعة سابور، نزل عن دابته وسجد له، حتى اجتمع خلق من أصحابه ووزرائه، فجلس لهم ودخلوا إليه وحيّوه بتحية الملك. فلما كان بعد أيام جلس يحدث وزراءه فقال له بعضهم: سعدت أيها الملك وعمرت عمراً طويلاً، أخبرنا ما الذي أفدته في طول هذه المدة؟ قال: ما استفدت إلا بقرة واحدة. ثم أحضرها إليهم وقال: ها هي. فمن أراد إكرامي فليكرمها. فأقبل الوزراء والأساورة يلقون عليها ما عليهم من الثياب والحلي وما معهم من الدراهم والدنانير حتى اجتمع من ذلك ما لا يحصى كثرة. ثم قال لأبي الجارية: دونك جميع هذا المال فخذة لابنتك.

وقال له وزير آخر: أيها الملك المظفر، فما أشد شيء مرّ عليك وأصعبه؟ قال: طرد الوحش بالليل عن الزرع، فإنها كانت تُعيني وتسهرني وتبلغ مني [١٣٣ ب] فمن أراد سروري فليصطد لي منها ما قدر عليه لأبني من حوافرها بنية يبقئ ذكراها على سائر الدهر ومرّ الليالي والأيام.

فتفرق القوم في صيدها. فصادوا منها ما لا يبلغه العدد. فكان يأمر بقلع حوافرها أولاً أولاً حتى اجتمع من ذلك مثل النمل العظيم. فأحضر البنائين وأمرهم أن يبنوا من ذلك منارة عظيمة يكون ارتفاعها خمسين^(٢) ذراعاً في استدارة ثلاثين ذراعاً، وأن يجعلوها مصمتة بالكلس والحجارة، ثم تتركب الحوافر حولها نظماً من أسفلها إلى أعلاها مسمرة بالمسامير الحديد. ففعل ذلك فصارت كأنها منارة من حوافر.

فلما فرغ صانعها من بنائها جلس سابور يتأملها فاستحسنها واستظرفها وقال للذي بناها - وهو عليها ما نزل عنها بعد -: هل كنت تقدر على بناء أحسن منها؟ قال: نعم. قال: فهل بنيت مثلها لأحد؟ قال: لا. قال: فإن أمرك بعض الملوك

(١) أي أفواجاً.

(٢) في الأصل: خمسون. وفي المختصر ٢٥٠ أن ارتفاع المنارة ٣٠ ذراعاً وعرضها ٢٠ ذراعاً.

بناء أحسن منها، هل في استطاعتك ذلك؟ قال: نعم. قال: والله لأتركَنَّك لا تبني لأحد مثلها ولا دونها ولا أحسن منها. ثم تركه عليها وانصرف هو وأصحابه سائرين.

وكانت هذه البني قد بناها في فلاة ليس بقربها أحد، وإنما عمرت القرية التي فيها بعد ذلك. فقال: أيها الملك، قد كنت أرجو منك الحباء والكرامة. فإن كنت لا بدّ قاتلي فلي حاجة ما على الملك فيها مشقة. قال: وما هي؟ قال: يأمر الملك أن أعطي خشباً لأعمل لنفسي مكاناً أكون فيه حتى يأتيني الموت لئلا تمزقني العقبان والنسور وسائر طيور الجو وجوارحه. قال: أعطوه ما سأل. فأعطي خشباً - وكانت معه آلة النجارة - فعمل لنفسه أجنحة من خشب جعلها مثل الريش وضمّ بعضها إلى بعض. فلما كان في بعض الليالي - وكانت ليلة ذات ريح - شدّها على نفسه [وبسطها حتى]^(١) دخل الريح فيها فحملته حتى ألقت به إلى الأرض صحيحاً لم يصبه شيء. وهرب فلم يُقدر عليه. واتصل خبره بسابور فقال: قاتله الله! ما كان أحكمه وأصنع كفيه.

قال: فالمنارة قائمة في هذه القرية إلى يومنا هذا مشهورة المكان. ولشعراء همذان وغيرهم [١٣٤ أ] فيها أشعار لم نكتب شيئاً منها لركاكتها وقلة الجيد فيها. وفي ذلك يقول بعضهم^(٢):

رأيت بناء الناس في كل بلدة فلم أرَ بتياناً كذات الحوافرِ
بناء عجيبياً لم يرَ الناس مثله ولا سمعوه في الدهورِ الغوايرِ

ناووس الظبية وقصر بهرام جور

وعلى فراسخ يسيرة من همذان ناووس الظبية وقصر بهرام جور بقرية يقال لها جوهشته. والقصر كله حجر واحد منقور بيوته ومجالسه وخزائنه وغرفته وشرفه

(١) تكملة من ياقوت (منارة الحوافر).

(٢) هذان البيتان وردا في المختصر فقط.

وسائر حيطانه . فإن كان مبنياً من حجارة مهندمة قد لُوحك بينها حتى صارت كأنها حجر واحد ، لا يتبين منها مجمع حجرين ولا ملتقى صخرتين . فهذا عجب وأمر حسن جداً . وإن كان حجراً واحداً . فكيف نقرت بيوته وخزائنه وممراته ودهاليزه وشرفات سوره . وهذا أعجب وأعظم من أن يكون من حجارة شتى لأنه عظيم جداً كبير المجالس والخزائن والغرف .

وفي مواضع منه كتابة بالفارسية يقرأها من كان يعرف الخط الفارسي . وهي أخبار ملوكهم وشيء من سيرهم وتديبرهم . وفي كل ركن من أركانه صورة جارية عليها كتابة .

وعلى مقدار نصف فرسخ من هذا القصر ، ناووس الظبية ، وهو على تل مشرف وحوله عيون كثيرة وأنهار غزيرة .

وكان السبب في أمره أن بهرام جور خرج متصيداً ومعه جارية كانت من أحظى جواربه عنده وأقربهن من قلبه ^(١) . فلما فرغ من صيده نزل على هذا التل فتغدى وقعد يشرب مع الجارية . فلما أخذ فيه الشراب قال لها : تشهي عليّ شيئاً أبلغك إياه . فنظرت إلى سرب ظباء . فقالت الجارية : إن تجعل بعض ذكورة هذه الظباء مثل الإناث ، وتجعل بعض إناثه مثل الذكورة ، وترمي ظبية من ظبائه فتصل ظلّفها مع أذنّها . فورد على بهرام أمر بقي فيه متحيراً ثم قال : إن لم أفعل ذلك عيّرني الملوك وغيرهم من سائر الناس وقالوا امرأة تشهّاها شيئاً ثم لم يقدر عليه . ثم أخذ الجلاحق ورمى الظبية ببندقة فأصاب أذنّها ، فرفعت ظلّفها لتحك أذنّها فانترع سهماً فخاط به أذنّها مع ظلّفها . ثم ركب فرسه إلى السرب فأقبل يرمي [١٣٤ ب] الذكور ذوات القرون بنشّاب له ذو شاخين فيقتلع القرون بذلك ، ويرمي الإناث متعمداً رؤوسها فتنبت سهامه فيها فتصير كأنها قرون . فلما بلغ من ذلك ما أرادت الجارية انصرف فذبح الجارية ودفنها مع الظبية وبنى عليهما ناووساً من

(١) في تاريخ غرر السير ٥٤٢ أن اسمها آزادوار الصنّاجة وإن بهرام جور قد رمى بها إلى الأرض وأوطأها ناقة فاندقت وقبل إنها ماتت ، ولم يذبحها كما قال ابن الفقيه .

حجارة وكتب عليه الخبر [وقال: إنما قتلت الجارية لأنها قصدت تعجيزي وكادت تفضحني]^(١). وهذا الناووس إلى وقتنا هذا معروف مشهور يسمى بناووس الظبية. أنشدني بعضهم فيه^(٢):

عَجِبْتُ لِبَهْرَامٍ وَمَنْ ذَاتَ ظَبِيَّةٍ تَجُوبُ وَتَعْدُو بَيْنَ قَفْرِ السَّبَاسِبِ
وَبَهْرَامٍ مَعَ حَوْرَاءَ عَيْنٍ كَأَنَّهَا أَيَا الشَّمْسِ أَضْبَتْ بَيْنَ عُشْبِ الْمَغَارِبِ
فَقَالَتْ لَهُ الْحَوْرَاءُ دُونَكَ فَأَرْمِهَا وَصَكَ بِهِمْ مِنْ سِهَامِ الشَّصَائِبِ
مَجَامِعَ أَذْنَيْهَا وَأَسْفَلَ ظِلْفَيْهَا فَلَا عُذْرَ إِنْ خَالَفَتْ يَابْنَ الْأَشَاهِبِ
فَأَرْسَلَ سِهَاماً صَكَ مِنْهَا الَّذِي بَغَتْ وَقَامَ إِلَيْهَا مُغْضَباً بِالْقَوَاضِبِ

وقال آخر في طويلة له:

وَلَا أَرَى مَلِكاً تَجْبُو الْمُلُوكُ لَهُ بِالسُّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالْمَعْمُورِ بِالصِّينِ
وَلَا أَرَى أَرْدَشِيرَ الْفَارَسِيِّ وَلَا كَنْزِي شَهْنَشَاءَ إِذْ يَلْهُو بِشِيرِينَ
إِذْ قَالَتِ الْقَيْنَةُ الْوَرَهَاءُ إِذْ نَظَرَتْ إِلَى غِرَارِ تِلْغَاغِي رَبِّرَبِّ الْعَيْنِ
مَا دُونَ جَمْعِكَ ظِلْفَيْهَا بِنَافِذَةٍ سَكَا إِلَى قَرْنِهِ بِهْرَامٍ يُرْضِينِي
فَدَعَّرَ الْمَلِكُ وَارْتَجَّتْ فَرَائِضُهُ مِنْ قَوْلِ صَنَاجِدَةٍ قَالَتْ بَتَهْجِينَ
فَرَاصِدَ الظُّبْيِ حَتَّى حَكَّ سَامِعَهُ مِنْهُ بِظُلْفٍ عَلَى قَرْنٍ وَأُذُنَيْنِ
فَسَكَ ظِلْفَيْهِ بِالْمِذْرَى وَسَامِعَهُ بِذِي غِرَارٍ طَرِيرِ النَّضْلِ مَسْنُونِ

[وقال عبد الرحمن بن الأزهري]^(٣): سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يدعو ويقول: اللهم لا تدركني أبناء الهمذانيات والاصطخريات، وعدد قرى من قرى فارس الذين معهم قلوب المعجم والسنة العرب.

(١) تكملة من آثار البلاد ٤٦٥.

(٢) انفراد المختصر بهذه القطعة.

(٣) من المختصر فقط.

وذكر بعض أهل العلم أن همدان هذه التي ذكرها عمر رضي الله عنه هي قرية من قرى اصطخر وليست همدان الجبل.

وفي الخبر، أن همدان لا تخرب إلا بستانك الخيل.

ويروى عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكى عليه السماء والأرض إلا أربعة أماكن: دمشق وال...^(١) وهران وبلخ.

وروي عن كعب أنه قال: نجد في الكتب أن الأرض كلها تخرب قبل الشام بأربعين سنة. فمكة تخربها الحبشة، والمدينة، الجوع. والبصرة، الفرق. والكوفة، الترك. والجبال، الصواعق. وخراسان بأنواع العذاب.

فمدينة بلخ^(٢) تصيبها رجفة ورعدة ثم يغلب عليها الماء فيهلك أهلها.

وأما مدينة الخلم^(٣) فتصيحها رجفة تجعل عاليها سافلها.

وأما الترمذ فإن أهلها يفنيهم الطاعون.

وأما الصغانيان وباشجورد^(٤) فيقتنون بقتل من عدو يغلب عليهم.

وأما سمرقند فتغلب عليها بنو قنطوراء^(٥) بن كركر فيقتلون أهلها قتلاً ذريعاً . وكذلك الشاش وفرغانة واسبيج وخاب وخوارزم . فتصير جميع هذه المدن خراباً يباباً كلها كأنها جوف حمار .

وأما بخارا فهي أرض الجبابة يصيب أهلها نحو ما أصاب خوارزم ثم يموتون جوعاً وعطشاً.

(١) الكلمة معطووسة.

(٢) في البدء والتاريخ ١٠٤ (ويلخ يصيها رجة وهذه فيغلب عليها الماء فتهلك).

(٣) الخلم: بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ من بلخ. وهي بلاد للعرب نزلها الأسد وبنو تميم وقيس أيام الفتوح (معجم البلدان ٢: ٤٦٥).

(٤) في الأصل: واشجره.

(٥) في البدء والتاريخ ٤ : ١٠٤ فيطورا.

وأما مرو فيغلب على أهلها الرمل .
 وأما الهراة فتمطر حيات يكون بها فناء أهلها .
 وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد [١٣٥] وبرق وظلم فيهلك أكثرهم .
 وأما الري فيغلب عليها الديلم [والطبرية] .
 وأما آذربيجان وأرمينية فيهلكون بالجيوش والصواعق والحروب ، ويلقون من
 الشدائد ما لا يلقاه غيرهم .
 وأما حلوان فتهلك بهلاك بغداد من رياح عواصف وأمطار عظيمة .
 وأما الكوفة فيهلكها السفلياني .
 وأما مصر فيهلكها رجل يقال له ناجية من بني جهينة . فويل لأهلها وأهل
 دمشق وأهل أفريقية وأهل الرملة منه ، ويحاول دخول بيت المقدس فيمنعه الله منه .
 وأما سجستان فرياح تعصف عليهم أباماً ثم تجيئهم ظلمة عظيمة تتبعها هوة
 عالية تتصدع لها جبالها وقلوبهم فيختلف عامتهم بذلك .
 وأما كرمان وإصبهان وفارس فيتلغهم الجراد وجور السلطان .
 وخراب السند من قبل الهند .
 وخراب التبت من قبل الصين . [وخراب خراسان من قبل التبت]^(١) .
 وخراب الشام من ملحمة كبيرة تحل بها . وعند خرابها تفتح القسطنطينية على
 يد رجل من أهل بيت رسول الله (ﷺ) .
 وخراب الأندلس من قبل الزنج^(٢) .
 وقد قيل إن خراب مصر من انقطاع النيل .

(١) في المختصر فقط .

(٢) في البدء والتاريخ ٤ : ١٠٤ : الريح .

وخراب همذان من الديلم^(١)، يدخلونها فيخربونها فلا همذان
بعدها.
والله أعلم.



(١) في البدء والتاريخ: الديلم والطبرية.

القول في نهاوند

قال أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي: سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي. ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام، وإنما اسمها نوح أوند، فحُففت، وقيل نهاوند. وهي أعتق مدينة في الجبل.

قال: كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين. ويقال إن حذيفة حاصر نهاوند فكان يقاتل أهلها. فقاتلهم يوماً قتالاً شديداً. فأتبع سماك بن عبيد العبيسي رجلاً منهم ليقتله فلما رقهه ألقى سلاحه واستسلم، فأخذه أسيراً. فأقبل يتكلم بالفارسية، فأحضروا ترجماناً فقال: يقول: اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصالحه على المدينة وأؤدي إليه [١٣٥ ب] الجزية وأعطيكم أنت ما شئت فقد مننت عليّ إذ لم تقتلني. فقال له ما اسمك؟ قال: دينار.

فانطلقوا به إلى حذيفة فصالحه على الخراج والجزية من أهل نهاوند على أموالهم وأنفسهم وذرائعهم وسميت نهاوند يومئذ ماء دينار^(١).

وقال المبارك بن سعيد عن أبيه قال: نهاوند فتوح أهل الكوفة، والدينور من فتوح أهل البصرة. فلما كثر الناس بالكوفة احتاجوا إلى أن يزدادوا من النواحي التي قد صولح على خراجها، فصُيرت لهم الدينور، وعوّض أهل البصرة نهاوند لأنها قرية من إصبهان، فصار فضل ما بين خراج الدينور ونهاوند لأهل الكوفة، فسميت نهاوند ماء البصرة والدينور ماء الكوفة [وذلك في أيام معاوية بن أبي سفيان]^(٢).

(١) واقعة فتح نهاوند بهذا الشكل موجودة في فتوح البلدان ٣٠٣.

(٢) ما بين عضادتين من المختصر فقط.

وعلى جبل نهاوند طلسمان^(١) وهما صورة سمكة وثور من ثلج، لا يذوبان في شتاء ولا صيف. يقال إنهما للماء لثلا يقلّ بنهاوند. فمأوهما نصفان: إليها، والنصف الآخر إلى دينور واليستر^(٢).



(١) في الأصل طلسمين.

(٢) لدى ياقوت (٤ : ٨٢٧) الذي نقل مادة نهاوند عن ابن الفقيه: (رستاق يقال له الأستر).

القول في إصبهان

وأما إصبهان فقال ابن الكلبي: سميت أصفهان بأصفهان بن الفلوج بن سام بن نوح.

وحدث ابن عيينة قال: سمعت ابن شبرمة يقول له: يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة. فحدثت بهذا الحديث محمد بن موسى بن الوزير، قال: نوم ليلة بإصبهان خير من دواء سنتين.

ويروى عن سعيد بن المسيب أنه قال: لو لم أكن من قريش لأحببت أن أكون من فارس ثم من إصبهان^(١).

[وقال الكلبي: وكان جد أبي دلف، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي يعالج العطر ويجلب الغنم. فقدم الجبل في عدة من أهله فنزلوا قرية من قرى همذان، فأثروا واتخذوا الضياع. ووثب إدريس بن معقل على رجل من التجار كان عليه مال فخنقه وأخذ ماله. فحمل إلى الكوفة وحبس بها في ولاية يوسف بن عمر الثقفي العراقي، في زمن هشام بن عبد الملك. ثم إن عيسى بن إدريس نزل الكرج، وغلب عليها وبنى حصنها، وقويت حال أبي دلف وعظم شأنه عند السلطان، فكبر الحصن وزاد فيه وسماها الكرج. فقبل كرج أبي دلف. فالكرج اليوم مصر من الأمصار. وكانت من قبل من رستاق إصبهان. فهي اليوم مفردة برأسها تسمى الإيغارين]^(٢).

(١) في طبقات المحدثين بأصفهان ١: ٣٠. . . . ان أكون من أهل فارس أو من إصبهان.

(٢) ما بين عضادتين في فتوح البلدان ٣١٠ وانفرد به مختصر البلدان.

ولما ارتحلت اليهود من بيت المقدس هاربين من بخت نصر، حملوا معهم من تراب بيت المقدس ومائه فكانوا لا ينزلون منزلاً ولا يدخلون مدينة إلا وزنوا ماءها وترابها. فما زالوا حتى دخلوا أرض إصبهان، فنزلوا ووزنوا الماء والطين الذي في ذلك المكان فكان مثل الذي معهم من تراب بيت المقدس ومائه. فعندها اطمأنوا وأخذوا في الأبنية والعمارات وتوالدوا وتناسلوا وسمي المكان بعد ذلك باليهودية وفيه يعرف إلى هذا الوقت.

فأما مدينة إصبهان فاسمها جَيّ وبنّاها الاسكندر على مَجَرِّ حَيّة [١٣٦ أ].
فالبناء قائم إلى يومنا هذا معوج.

ويقال إنه كان بنى سورها مراراً كثيرة، مربعاً ومدوراً فكان إذا فرغ منه تساقط وغيره من أبنية البلد. فآلى على نفسه أن لا يبرح أو يبنّيها. فرأى في بعض الأيام حية قد جاءت فدارت حول السور مسرعة ثم انصرفت. فأمر أن يرسم السور على مجرّها. ففعل ذلك فثبت البناء ولم يقع.

وإصبهان من فتوح أبي موسى الأشعري في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال الشعبي: لما انهزم يزيدجرد من المدائن صار إلى نهاوند. فلما انهزم منها انتخب من عسكريه ألف أسوار وألف خباز وألف طبّاخ وألف صاحب حلواء^(١) ثم مضى حتى نزل مرو. فلما قُتل بها صارت الأساورة إلى بلخ، فأهلها أشجع أهل خراسان. وصار الطبّاخون إلى هراة. فأهلها أحذق الناس بالوان الطبخ. وأقام الخبازون بمرو فأهلها أجود الناس خبزاً، ولهم ضروب منه لا توجد في غير بلدهم. وصار صاحب الحلوى إلى إصبهان، فهم أحذق الناس باتخاذ الحلوى.

وقال الهيثم بن عدي: لم يكن بفارس أقوى من أهل كورتين: واحدة سهلية وأخرى جبلية. أما السهلية فكسكر، وأما الجبلية فإصبهان. وكان خراج كل كورة

(١) في المختصر: وألف صنّاجة. والأسوار: كلمة يطلقها الإيرانيون القدماء على البطل الشجاع الحر (فرهنگ معین).

اثني عشر ألف ألف مثقال . وكانت مساحة إصبهان ثمانين فرسخاً في مثلها . وهي ستة عشر رستاقاً في كل رستاق ثلاثمائة وستون قرية قديمة سوى المحدثه . وهي جي وماريين ، والنجان ، والبراءان ، وبرخوار ، ورويدشت ، وأردستان ، وكروان ، وبرزاريد ، وفريدين ، وقهستان ، وقامدار ، وجرم كاسان والتمرة الكبرى والتمرة الصغرى ، ومكاهن الداخلة .

قال : وخراج إصبهان وقم ستة عشر ألف ألف درهم بالكفاية على أنه لا مؤونة على السلطان . وكان [١٣٦ ب] كيكائوس الملك ملك عليها جودرز في زمن الفرس .

قُم

ويقال : إن الذي بنى مدينة قم ، قمسار بن لهراسف .

وروى أبو موسى الأشعري قال : سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتنة وإظهار السيف . فقال : أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل . فإذا اضطربت خراسان ووقعت الحرب بين جرجان وطبرستان فأسلم المواضع يومئذ قسبة قم ، تلك التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأماً وجداً وجدة وعماً وعممة ، تلك التي تسمى الزهراء ؛ بها قدم جبريل يوم نزل إلى قوم لوط . وهو الموضع الذي ينبع منه الماء الذي من شرب منه أمن من الداء العضال . ومن ذلك الماء عجن المسيح الطير الذي يعمل منه كهيئة الطير . ومنه يغتسل المهدي ^(١) . وخرج كبش إبراهيم عليه السلام ، وعصا موسى وخاتم سليمان عليهم السلام .

هي أعظم المدن شأناً وأكبرها سلطاناً ، فيها الأمن والخصب والعز والسطوة والظفر وصحة الأهل وطيب الهواء .

ويقيم من الرساتيق والطاسيج : طسوج لنجروذ ، وطسوج رودبار ، وطسوج

(١) في المختصر (الرضا) بدلاً من (المهدي) .

ابرشتيجان، وطسوج سجاران، وطسوج سراج، وطسوج وراكروذ.

رستاق الجبل، رستاق ساوه. رستاق جَرَيّ [وسيا، وسوميلادجرد] وغير ما ذكرنا من الطساسيج والرساتيق. [وأخبرني محمد بن أبي مريم قال:]

مبلغ خراج قم ومما في ذلك من الاحتسابات وما على آل عجل ومن في ناحيتهم وعلى أهل الأطراف من الورق: ثلاثة آلاف ألف ومائتا ألف وعشرون ألف وثلاثون درهماً.

[وما على الضياع المنقولة إلى هذه الكورة: مائتا ألف وعشرون ألفاً وثلاثمائة وثلاثون درهماً]. فجميع ذلك ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً وثلاثمائة وثلاثون درهماً. [قيمتها على صرف سبعة عشر بدينار: مائتا ألف وألفان وخمسمائة وتسعة وأربعون ديناراً]^(١).

ولما أمر قباد بليناس بأن يطلسم آفات بلاده، مضى إلى قم فاتخذ آباراً بإزاء ملاحظتها إلى جانب شجرة الملاحة طلسماً ليوم جريان عين الملاحة ولا ينقطع ما لم يُحظر عليه. فإن حُظر أو مُنع الناس حُفّ ولم يجري وهذه العين يتجري ماؤها، كلما بعد عنها جمد وصار ملحاً، فجاء يأخذه أهل تلك البلاد.

وعمل فيها طلسماً آخر ليخفي معدن ذهب وفضة كانا هناك، لأن الفلاحين كانوا يشتغلون بهما عن أعمالهم.

وعمل طلسماً آخر للحيات والعقارب، وكان أهلها يلقون من ذلك أذى شديداً، فأنحازت إلى جبل بالقرب منها فما يقدر أحد إلى هذا الوقت يجتاز فيه من كثرة الحيات والعقارب.

ثم مضى إلى فراهان وفيها سبخة تبتلع البعير بحمله والفرس براكبه. فاتخذ حولها طلسمين فاستراح المجتازون فيها من الغرق.

(١) في المختصر فقط كل ما مرّ مما هو بين عضادتين

ولما ملك ظهمورث بنى بأرض إصبهان في رستاق ماريين ورويدشت.

وفي ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام أقحط الناس ولم يمطروا سبع سنين . فاتصل بفيزوز أن رجلاً مات في قرية [جوانق] من بعض الرساتيق ، فخشى أن يكون مات جوعاً . فأنفذ نقيه إلى دار ذلك الرجل ففتشها ووجد فيها ثلاثة جرابي كبار مملوءة حنطة فأخبر الملك بذلك ، فأعطاه أربعة آلاف درهم وقال : الحمد لله الذي قطع المطر عن أهل مملكتي سبع سنين ولم يمت إنسان منهم جوعاً .

[وكانت جوانق ماهية ، وكانت لقوم لهم أخطار ، فسألوا فيروز أن يصير جوانق إلى إصبهان ففعل ذلك] ^(١) . ثم مطر الناس ماءً فروردين وروزآبان فصبوا الماء بعضهم على بعض فصارت سنة إلى اليوم في الصب بعضهم على بعض في ماه وهمذان وإصبهان والدينور وهذه الناحية

وواد بها [يسمى] زرن رود يخرج من قرية يقال لها بناكان يمر بقرية يقال لها در ثم إلى قرية يقال لها دنه . وتصيب إلى هذه القرية مياه كثيرة ، فيكثر الماء هناك ويعظم أمره ويسقي الرساتيق والقرى ثم يغور في رمل [في آخرها] ويخرج بكرمان على ستين فرسخاً من الموضع الذي يغور فيه فيسقي أرض كرمان ثم يصب في البحر الشرقي . وكانت معرفتهم بهذا الماء الذي يغور في الرمل وهو الذي يخرج بكرمان . فاستدلوا بذلك على ما ذكرنا .

ولبعضهم في عذوبة ماء إصبهان :

لست آسى من إصبهان على شيء سوى ماؤها الرحيق الزلال
ونسيم الصبا ومشرق الريح وجو صاف على كل حال
ولها الزعفران والعسل الماذي والصفائف تحت الجلال

وقال آخر [١٣٧ ب] :

لست آسى بإصبهان لشيء أنا أبكي عليه عند رحيلي

(١) من المختصر.

غير ماء يكون بالمسجد الجا مع صاف مروقي مبدول
وقال بعضهم: رأيت في غرفة ببعض الخانات التي في طريق إصبهان
مكتوباً:

قُبِحَ السالكون في طلب الرِّزِّ زقٍ على ايسذج إلى اصبهان
ليت من زارها فعاد إليها قد رماه الإله بالخدلان

ويقال إن بليناس لما أراد دخول إصبهان ليطلسم آفات مدينتها، اجتاز ببعض
رساتيقها وقد أضرّ الماء بزروع أهله، فشكوا ذلك إليه، فاتخذ لهم طلسماً في
جوف بشر إذا احتاجوا إلى الماء فاضت بماء غزير. فإذا استغنوا منه، تراجع إلى
البشر وغار فيها حتى يحتاجوا إليه فيخرج.

ثم اتخذ بإصبهان طلسماً للهوام فقلت:

واتخذ بروذ دشت طلسماً ليتضرب ماؤهم في الصيف ويفيض عليهم في الشتاء
فيضرّ بهم ويؤذيهم. وذلك أنهم أغضبوه.

وعمل طلسمين أحدهما تحت باب من أبواب المدينة، والآخر إلى جانب
شجرة بينها وبين المدينة فرسخ. فإذا فتح ذلك الباب وقع الوباء في أهل المدينة،
وإذا قطع غصن من أغصان تلك الشجرة ارتفع الوباء.

وعمل طلسماً للفجور وفساد النساء، فليس الزنى ببلد من البلدان أظهر منه
بها. وإنما دعاه إلى ذلك أن أهلها أفسدوا غلامه. ثم لم يقنع بذلك حتى عمل على
طرقهم وهي سبع طرق، سبع طلسمات للخوف، فطرقهم مخوفة أبداً.

ويقال: لم يُبنَ بالحصّ والآجر بناء أبهى من إيوان كسرى الذي بالمدائن،
ولا بالحجارة أحسن من قصر شيرين. وبازر ميدخت أيضاً بناء عجيب. ولا بني
باللبن والطين أبهى ولا أحسن ولا أعجب من بناء بإصبهان في رستاق من رساتيقها
يقال له نيمور.

وبإصبهان قرية يقال لها انياجن، عند أهلها خرزة [خضراء آسمانجونية]

يزعمون أنها طلسم للبرد. فإذا كان أيام الربيع وخافوا على [١٣٨ أ] زروعهم وثمارهم البرد، أخرجوا تلك الخرزة ونصبوها على قناة في موضع معروف عندهم فيسمع من جوفها دوي كدوي الرياح. فيقال إن البرد ليجيء في صحاريهم وفي الغامر من أراضيهم، ولا يصيب العامر من أرضهم وزروعهم شيء. وزعموا أن الخرزة آسمانجونية تضرب إلى خضرة^(١).

وقال زياد بن رباح: دخل رجل على الحسن البصري فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل إصبهان. قال: الهرب ثم الهرب من بين يهودي ومجوسي وآكل ربي.

وأنشد لمتصور بن باذان:

فما أنا من مدينة أهل جيٍّ ولا من قرية القوم اليهود
وما أنا عن رجالهم براضٍ ولا لنسائهم بالمستزيد
ويقال: لو فُتِّش نسب رجل فيها من التجار والتاء لم يكن بدّ من أن تجد في أصله ونسبه حائكاً أو يهودياً^(٢).
وذكر بعض من قد جال في البلدان وشاهد المدن أنه لم يرَ مدينة أكثر من زان ولا زانية من أهل إصبهان.

[وأنشد أبو محمد العبدى لنفسه^(٣)]:

لَمَنْ طَلَّلَ تَعَاجِمَ عَنْ جَوَابِي لَقَدْ فَصَحَتْ دُمُوعُكَ بِأَنْسِكَابِ
قَلْبِ الْعَبْرَاتِ إِنَّ دَمًا وَدَمْعًا يَصُوبُ بِرَبْعِهِمْ فَمَنْ الصَّوَابِ

(١) في ذكر أخبار إصبهان ١: ٣٢: «من خواص إصبهان، خرزات في قرى معينة يقاسمان ورويدشت. إذا غشيتهم سحابة بيرد، أخرجوا تلك الخرز وعلقوها من أطراف حصونها فتتقش السحابة عنها وعن صحرائها من ساعتها. وتسمى هذه الخرزة ببلغتهم مهره نذرك». وانظر: محاسن أصفهان ص ١٦.

(٢) لدى ياقوت (إصبهان) عزى هذا القول لمتصور بن باذان.

(٣) هذه القطعة في المختصر فقط.

أَلَمْ يَخْزُوكَ مِنْ وَلَعَانٍ دَهْرٍ تَعُثُّهُ بِأَطْلَالِ الرُّبَابِ
لَيْسَالِي مَنْ أَحَبُّ إِذِ اللَّيَالِي بُقْرِبَهُمْ كَأَيَّامِ الشَّبَابِ
فَأَبْدَلَنِي التَّوَكُّيَ مِنْ حُسْنِ لَيْلِي لَيْسَالِي مِثْلَ أَيَّامِ الْكِلَابِ
عَلَى بَلَدٍ أَصْبَهَانَ وَسَاكِنِيهَا لَعَائِنُ وَالذَّمَارُ عَلَى الْكِلابِ
وَلَا صَبَّ الصَّبَا يَوْمًا إِلَيْهَا لَيْشَحَبَ ذَيْلَ غَادِيَةِ السَّحَابِ
أَحَاوَلُ دَهْرَهَا بِالسَّيْفِ طَوْرًا وَطَوْرًا بِالْبَلَاغَةِ وَالْحِسَابِ
فَلَا فِي ذَاكَ يُفْلِحُ قَدْحُ تُجَحِّجِ وَلَا فِي ذَيْنِ يُغْنِمُ بَاكْتِسَابِ
وَكَيْفَ يَنَالُ مِثْلِي التُّجَحِّجُ فِيهَا وَقَدْ شَحِنْتُ بِأَوْلَادِ الْقَحَابِ

وفي بعض الخبر أن الدجال يخرج من إصبهان. وفي الحديث أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة أهبط بالهند على جبل سرنديب، وأهبطت حواء بجدة وإبليس [اللعين] بميسان والحبة بإصبهان.

وزعم بعض أصحاب الأخبار أنه لم ير في مدن الجبل مدينة أعذب ماء ولا أقل هواماً ولا أطيب هواء ولا أصح تربة من إصبهان.

وذكروا أن الحنطة وسائر الحبوب ربما أقامت في البيوت والأهراء سنة وأكثر فلا تتغير ولا تفسد، وكذلك أيضاً جميع الفواكه والمأكولات ولا تغير فيها القدور المطبوخة ولو أقامت أياماً كثيرة.

فأما الميت فإنه يبقى في قبره المدة الطويلة والسنين الكثيرة لا يبلى، لصحة التربة وطيب الندر.

ولههم الثياب العتابي والسعيدى والوشى وأنواع الثياب القطنية والملحم وغير ذلك. والملح الإصبهاني موصوف في جميع بلدان الدنيا وكذلك الأشتان. والله أعلم بالصواب [١٣٨ ب].

القول في الري والديناوند

قال ابن الكلبي: سميت الري بروي من بني بيلان بن إصبهان بن فلوج بن سام. قال: وكان في موضع المدينة بستان. فخرجت بنت روي يوماً إليه فإذا هي بدراجة تأكل تيناً فقالت: بورأنجير، يعني أن الدراجة تأكل تيناً. فاسم المدينة في القديم بورأنجير. ويغيرونه أهل الري فيقولون بهزويد.

وقال لوط بن يحيى^(١): كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمار بن ياسر - وهو عامله على الكوفة - بعد شهرين من فتح نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري ويسبى في ثمانية آلاف، ففعل. وسار عروة لذلك. فجمعت له الديلم، وأمدّهم أهل الري، وقتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم واجتاحهم.

وقال جعفر بن محمد الرازي^(٢): لما قدم المهدي الري في خلافة المنصور، بنى مدينة الري التي بها الناس اليوم وجعل حولها خندقاً وبنى فيها مسجداً جامعاً. وجرى ذلك على يد عامر بن الخصيب، وكتب اسمه على حائطها. وتمم عليه سنة ثمان وخمسين ومائة وجعل لها فصلاً يطيف به فارقين آخر وسمّاها المحمدية. فأهل الري يدعون المدينة الداخلة: المدينة. ويسمون الفصيل: المدينة الخارجة. والحصن المعروف بالزنبدي في داخل المدينة المعروفة بالمحمدية. وقد كان

(١) البلاذري: فتوح ٣١٣.

(٢) هو جعفر بن محمد الجرجاني الرازي الخواري، أبو عبد الله. (مجمع الرجال ٢: ٣٦) وروايته عن قدوم المهدي إلى الري لدى البلاذري ٣١٥.

المهدي أمر بمرمته ونزله أيام مقامه بالري، وهو مطلق على المسجد الجامع ودار الإمارة.

ويقال إن الذي تولى مرمته وإصلاحه ميسرة التغلبي - وكان من وجوه قواد المهدي - ثم جعل بعد ذلك سجنًا ثم خرب. فعمره رافع بن هرثمة في سنة ثمان وسبعين ومائتين ثم خربه أهل الري بعد خروج رافع عنها.

قال^(١): وبالري أهل بيت يعرفون بآل الحريش لهم روضة وأبنية حسنة. وكان نزولهم الري بعد بناء المدينة المحدثه.

قال: وكانت الري تدعى في الجاهلية أزاری. فيقال إنه خسف بها، وهي على اثني [١٣٩ أ] عشر فرسخاً من موضع الري اليوم على طريق الخوار بين المحمدية وهاشمية الري. وفيها أبنية قائمة إلى اليوم تدل على أنها كانت مدينة عظيمة.

وهناك أيضاً خراب في رستاق من رستاق الري يقال له البهزان بينه وبين الري ستة فراسخ، يقال إن الري هناك كانت. وحدثني من رأى أثر الحوانيت والأسواق بها.

ولا يزال الحرّاثون ومن عرفها يجدون قطع الذهب وربما وجدوا اللؤلؤ والبواقيت وغير ذلك من هذا النوع.

والري العتيقة المعروفة قد خربت أيضاً. وكان المهدي في حياة المنصور حيث وجهه إلى خراسان، نزل في موضع منها يقال له السيروان وبني فيها أبنية حسنة بعضها قائم إلى هذا الوقت.

وفي قلعة الفرخان بالري يقول الغطمش الضبي وكان ديوانه هناك فكان لا يعدم في كل يوم أن يصاح بالنفير:

(١) ما يزال القول للرازي وهو في فتوح البلدان ٣١٥.

على الجوسق الملعون بالري لا بُني على رأسه داعي المنية يلمع^(١)
وبالري مات محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة [وعنه أخذوا الفقه]^(٢).
ودخلها سعيد بن جبير فلقبه الضحاك وكتب عنه التفسير.

وكان عمرو بن معديكرب الزبيدي غزا الري فلما انصرف توفي فدفن فوق
روزه وقوسنة بموضع يسمى كرمانشاه.

وبها مات الحجاج بن أرطاة النخعي سنة ثمان وأربعين ومائة. وكان شخص
إليها مع المهدي.

وبها توفي الكسائي المقرئ واسمه علي بن حمزة، وكان شخص إليها مع
الرشيد وهو يريد خراسان.

وبها مات محمد وأحمد ابنا خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني. وكان موت
أحمد بها في ولاية موسى بن بغا سنة سبع وخمسين ومائتين، وموت أخيه محمد
في أيام المعتضد والمكتفي مقيم بالري في سنة إحدى وثمانين ومائتين. وكان
محمد بن خالد في الوقت الذي اتخذ المعتضد الأتراك، وأخذ الجند والقواد أن
يلبس السيوف بمعاليق ويترك الحمائل إلى الأيزون من الري، ولا يطاء بساط خليفة
ولا يخدم السلطان والأتراك دولة. واحتجب عن الناس. ويقال إنه لبس برقعاً
فأغمضت الخلفاء له عن ذلك لجلالته وعظيم خطره.

فلم يزل [١٣٩ ب] على ذلك مستراً إلى أيام الموفق. فلما قلد أحمد بن
عبد العزيز حرباً رافع وصار المكتفي إلى الري، لقيه محمد بن خالد وأقام مديدة
ثم مات.

ولم تزل وظيفة الري اثني عشر ألف ألف درهم حتى اجتاز بها المأمون
منصرفه عن خراسان يريد مدينة السلام فلقبه أهلها وشكوا إليه أمرهم وغلظ

(١) فتوح البلدان ٣١٦.

(٢) من المختصر فقط.

وظيفتهم، فأسقط منها ألفي ألف درهم وسجل بذلك لأهلها.

وقال بعض العلماء: مكتوب في التوراة: الري باب من أبواب الأرض وإليها متجر الخلق.

قال أبو جعفر الجمال: قلت ليحيى بن حديش: سمعت ملك بن مغول يقول: نعم دار الدنيا والآخرة الري. قال: نعم.

وقال الأصمعي: الري عروس الدنيا وإليها متجر الناس وهو أحد بلدان الأرض.

وقال أحمد بن إسحاق^(١): الري طيبة الهواء عجيبة البناء، بلد التجار ومأوى الفجار، وهي عروس الأرض وسكة الدنيا وواسطة خراسان وجرجان والعراق وطبرستان. ولذلك قال بعض العلماء: أحسن الأرض المخلوقة الري ولها السر والسربان، وأحسنها مصنوعة جرجان وإليها تقع تجارات أرمينية وأذربيجان والخزر وبلاد بروجان، لأن تجار البحر يسافرون من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق فيحملون الديباج والخز [الفائق]^(٢) من فرنجة إلى الفرما، ثم يركبون إلى القلزم فيحملون ذلك الديباج إلى الصين، ويحملون [الدارصيني والماميران]. ومتاع الصين كله حتى يصيرون إلى القلزم ثم يتحولون إلى الفرما. وهم [التجار] اليهود الذين يقال لهم الراذانية، يتكلمون بالفارسية والرومية والعربية والإفرنجية. ويخرجون من الفرما يبيعون المسك والعود وجميع ما معهم من ملك فرنجة. وربما حملوا أمتعتهم إلى قسطنطينية، وربما حملوا الرقيق الأندلسي من إفرنجة إلى أنطاكية، ثم يصيرون إلى بغداد ثم إلى الأبله.

وأما تجار الصقالبة فإنهم يحملون جلود الخز والشعالب من أقصى صقلية فيجوز [ون] إلى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم، ثم يجوزون إلى خليج

(١) أحمد بن إسحاق الرازي من أصحاب الإمام الهادي (ع) (٢١٣ - ٢٥٤ هـ) (جامع الرواة ١:

٤١) وانظر مجمع الرجال ١: ٩٥.

(٢) من المختصر.

الخزر فيعشرهم صاحب الخزر، ثم يصيرون إلى بحر خراسان في هذا البحر الذي يقال له بحر الصقالبة، فربما [١٤٠] أخرجوا بجرجان فباعوا جميع ما عندهم ليحمل جميع ذلك إلى الري.

ثم أعجب من هذا، أن جميع ما بلغ إلى طبرستان من ناحية الديلم والجبل والبربر والطيلسان من الرقيق وسائر الأمتعة فإنما هو إلى الري لجلالته وكبرها وكثرة تجارتها.

وكان عبيد الله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبي وقاص ولاية الري أن يخرج على الجيش الذي وجهه لقتال الحسين رضي الله عنه. فأقبل يميل بين الخروج وولاية الري أو القمود:

أترك ملك الري والريّ رغبتني
وفي قتله النار التي ليس دونها
أم أرجع مذموماً بقتل حسين
حجاب، وملك الري قره عيني
[وقال ابن كربويه الرازي^(١)، وكان أحد أصحاب الحسين بن أحمد العلوي
بقروين:

يا مئنة هيّجت شوقي وأحزاني
إني أعيدك بالأجفان يا سكاني
لا تبعدينني فبعد الدار أضناني
أن تتركيني أحاً شجواً وأشجان
إذا بُعدت يكاد الشوق يقتلني
يا جفوة من حبيب أفرحت كبدي
دامي الجفون نجيل الجسم محترق
أمسى بقروين سلوباً عزيزته
مقسماً بين أشجان وأحزان

(١) لا نعلم من يكون ابن كربويه، إلا أن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل الارقط المعروف بالكوكبي ظهر بقروين وزنجان وتغلب عليها وطردها آل طاهر وذلك في عام ٢٥١ هـ (وقد أثار عام ٢٥٢ هـ على الري ومعه حستان صاحب الديلم فقتلوا وسلبوا) (الطبري ٩: ٣٧٢ و ٣٧٨) وانظر التدوين ٢: ٤٤١.

أقول يومَ تلاقينا وقد سَجَعَتْ
الآن أعلمُ أن الغصنَ لي غصصُ
وقمتُ تخفضُني أرضُ وترفعُني
ما لي أنادي فيأبى أن يُجيبَ فتى
يا نفسِ لا تجزعي من ذاك واشتِمي
أنا الذي غَرَّه بيتانِ قالهما
لا يمتنعُكَ خفضُ العيشِ في بلدٍ
تلقى بكلِّ بلادٍ أنتَ ساكنها
حتى تركتُ لذيذَ العيشِ في بلدي
وشاقتني نحوَ قزوينِ متى بطلت
فيها لها حَسرةٌ إذ عَرَّ مطلبُها
أنا التذيرُ لكم يا قومِ فاستمعوا
للموتِ بالرَّئي خيرٌ للمُقيمِ بها
أتى لها كجنانٍ في شوارعِها
أو كالمدينةِ شطَّاءُ وشارعُها
وهاتِ كالسَّربانِ اليومَ مُرتبعا
أنهارُها أربعُ مخسوفةٌ زهْرُ
وشارعُ الشَّرِّ يُمناه ويُسرتهُ
وقصُرُ إسحاقَ من فولادٍ مُنحدرًا
وكم برودةٌ من مُنتَشِرٍ حَسَنِ
وكم بناهك من دارٍ كلفتُ بها
وشادينَ غَنجٍ كالبذرِ صورتهُ
يا ربي صلِّ علىكَ اللهُ من بلدٍ

حمامتانِ على غصنينِ من بانٍ
وإنما البانُ بينَ عاجلٍ دانٍ
أخرى وهَدَّ مسيرُ الليلِ أركانِي
لو كان بالرَّئي لبَّاني وقدَّاني
ثوبَ العزاءِ فإن الغائبَ الجاني
مُضللٌ ما لهُ في جهلهُ ثانٍ
نُزوعُ نفسٍ إلى أهلي وأوطانٍ
أهلاً بأهلي وجيراناً بجيرانٍ
فناءَ دارِي عن أهلي وإخوانِي
نكتُ رُقادي وأذرتُ دمعَ أجفاني
لم تُبقِ مني على رُوحٍ وجُثمانٍ
منِي مَقالةٌ تُصيحُ غيرَ خَوانٍ
مضى الحَياءُ بقزوينِ وزُجَّانٍ
يُطْفَخُن في كلِّ بُستانٍ ومَيدانٍ
من المُصلَّى إلى صحراءِ أزدانٍ
من بابِ حَرْبٍ إلى ساحاتِ عَفانٍ
تُحارُ فيهنَّ عَيْنا كلِّ إنسانٍ
مُحَقَّقانِ بأنهارٍ وأغصانِ
على الشِّراكِ إلى دَرْبِ الفَليسانِ
إلى المَضيقِ بها من بابِ باطانٍ
وظبيَّةٌ تَرْتعي في سَفحِ غُدرانٍ
يَميسُ في حُللٍ تلهو بفَتَّانٍ
ولا أغَبَّكَ دارُ (؟) القطرِ هَتَّانٍ

حَيَّ الدِّيارَ بِها والسَّاكِنينَ بِها من النِّساءِ ومن شِيبِ وشُبَّانِ
إِلَّا بَقايا بَغاةِ الأرضِ قد جحدوا دينَ المَهِيمِ من كُفْرٍ وعدوانِ
كَم حَلٍّ عَرَضَةً نَصْرابادِ قاطِبَةً من ابنِ زانِبَةٍ مُحضٍ وكَشْخانِ
وَكَم بِسَكَةٍ ساسانِ إذا ذُكروا من ابنِ فاجِرَةٍ نَصٍّ وقَرنانِ
هَمُّ الأَلَى مَنعوني قُرْبَ دارِهِم ويَاعدوني عَن أَهلي وخِلائي
وشرَّدوني عَن صَحبِي وعن وَلَدِي حَتَّى لَجأتُ إلى أَجْبالِ قِصرانِ]

وخراج الري عشرة ألف ألف درهم بالكفاية. ومن الري إلى قزوین ذات
اليسار سبعة وعشرون فرسخاً. ومن قزوین إلى أبهر اثنا عشر فرسخاً. ومن أبهر
إلى زنجان خمسة عشر فرسخاً.

وروي عن الصادق رضي الله عنه أنه قال: الري وقزوین وساة ملعونات
مشؤمات.

وقال إسحاق بن سليمان^(١): ما رأيت بلداً أرفع للخسيس من الري.
وفي أخبار أهل البيت قالوا: إن الري كانت منابت الشوم وستعود منابت
الشوم.

وفي خبر آخر: الري ملعونة وتربتها تربة ديلمية وهي على بحر عجاج تأبى
أن تقول الحق.

وروي محمد بن الريان^(٢) عن إسماعيل الرازي قال: قال لي الحسن بن

(١) إسحاق بن سليمان الرازي الكوفي الأصل المتوفى عام ١٩٩ هـ (العبر ١: ٢٥٧) وترجم له
ابن حجر في تهذيب التهذيب (١: ٢٠٥) ترجمة مطولة وقال إنه «إسحاق بن سليمان الرازي،
أبو يحيى العبدي: كوفي نزل الري».

(٢) محمد بن الريان بن الصلت. من أصحاب الإمام الهادي (٢١٣ - ٢٥٤). انظر: جامع الرواة
٢: ١١٣) ورجال الكشي ٥٤٦. ورجال النجاشي ٣٧٠ وفيه «محمد بن الريان بن الصلت
الأشعري: له مسائل لأبي الحسن العسكري عليه السلام». فهو قد أدرك الإمام
العسكري (٢٣٢ - ٢٦٠ هـ) أيضاً. أما الحسن بن علي بن فضال، فهو أبو محمد بن عمر بن =

علي بن فضال: تعرف الدولاب؟ قلت: نعم، أعرفه. قال تعرف شجرة تسمى آزاذا؟ قلت: لا. قال: فروى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: إذا اتصلت حيطان المدينة بحيطان الدولاب فعندها توقعوا بلاء القوم، ثم تلا قول الله عز وجل «وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً». قال: الري.

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد رضي الله عنه: ويل للري من جناحيها. قيل وأي شيء جناحها^(١)؟ [١٤٠ ب] قال: طبرستان أحد جناحيها.

وعن محمد الرازي^(٢) عن أبيه عن جده أبي إسماعيل، وكان نساجاً، فاتخذ ثوباً وجوده وقصره وحج فأتى أبا عبد الله^(٣) ووضع بين يديه، فأخذه ونظر إليه ونشره وقال: هذا محكم العمل. فقال أبو إسماعيل أنا نسجته يا سيدي بيدي. فقال له أبو عبد الله: فأنت نساج؟ قال: نعم. [فقال]: مرحباً بنساجنا، من أين أنت؟ قال: من أهل الري. قال: أتعرف التل الأحمر؟ قال: لا. قال: هو ناء عن المدينة عند الباب الحديد لا يسلك إلا عند ارتفاع النهار. أما إن ذلك الموضع سيعمر. ثم قال: أتعرف كناسة الدواب؟ قلت: نعم. قال: فتعرف جبل الطين الأسود؟ قال: لا. قال: الجبل الذي يقال له جبل ليلا. قلت: نعم أعرفه. قال: فتعرف باب المدينة الحديدي وسورها؟ قلت: نعم. قال: عنده مصارع القوم، يقتل من صحابة [بني] العباس وشيعتهم ثمانون ألفاً منهم ثمانون [ممن] يصلح للمخلافة. فقلت له: جعلت فداك، ألك حاجة؟ قال: حاجتي أن تدع هذا العمل. قلت: فأأي شيء أعمل؟ [قال]: كن صيقلاً فقلت له: على كبر السن كيف أعمل؟

= أئمن الزاهد العابد المتوفى سنة ٢٢٤ هـ كما في رجال النجاشي الذي ترجم له ترجمة مطولة (انظر ٣٤ - ٣٦) وذكر مؤلفاته.

(١) في الأصل: جناحيها.

(٢) هو محمد بن إسماعيل الرازي.

(٣) هو الإمام جعفر الصادق (ع).

(٤) زيادة يقتضيه السياق.

قال: سهل الله عليك تعلمه ونور قلبك وبشره عليك.

قال: فقدمت الري فتعلمته في شهر. فكان يُروى عنه الحديث: عن أبي إسماعيل الصيقل عن أبي عبد الله.

وكان الرشيد يقول: الدنيا أربعة^(١) منازل، قد نزلت منها ثلاثة. أحدها دمشق والآخر الرقة والثالث الري والرابع سمرقند وأرجو أن أنزله. ولم أر في هذه البلاد الثلاثة التي نزلتها موضعاً هو أحسن من السربان لأنه شارع يشق مدينة الري في وسطه نهر، فهو حسن. عن جانبه جميعاً أشجار ملتفة متصلة وفيما بينها أسواق.

R وخطب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يوماً فقال في خطبته:

أحمدوا الله الذي أحصاكم عدداً ووظف لكم مدداً في قرارة الدنيا، فإنكم مفارقوها ومنقطعون عنها ومحاسبون بما عملتم فيها. لا تخدعنكم بقاي^(٢) لذاتها فإنها ثقل مطلبها، رنق شربها. غرور حائل وشبح [١٤١ أ] مائل وسنان قاتل، تعزّ مستدبرها وتصرع مستفيدا بغرور شهوتها ومولق لذتها وحبل مدتها، حتى إذا انس ناقدتها وقرّ شاردتها، قنصته بأجلها، فتفلته إلى صنك المضجع ووحشة المرجع ومجاورة الأموات ومفارقة الأوقات. فهم لا يرجعون ولا يؤذن لهم فيعتذرون. قد ارتهنت الرقاب بسالف الاكتساب، وأحصيت الآثار، وقد خاب من حمل ظلماً. فيا لها أمثالاً كافية ومواعظ شافية لو صادفت أذنأ واعية وقلوباً زاكية وألباباً حازمة وآراء عازمة.

ثم قال: كيف بهم إذا خرج المشرقي، وتحرك المغربي، وحارب السجزي، وتحرك الهجري، وثار الحسيني، وغضب الحسيني، وقام العلوي، وبويع الأموي، وخرج الأرمني، وماج الديلم، وضج الطبري، وقدم الهاشمي، ووافى المصري،

(١) في الأصل: أربع.

(٢) المقصود: بقاء.

وظفر الخراساني، وكفر الكلبي، وبويع الزنجي، ونقض التركي، وغلب الرومي،
وخرج القحطاني.

عندها يخرج الروم في ألف ألف ويزيدون. ويهرب الهاشمي من الزوراء
وينزلها الخراساني. فالويل لهم من المظفر العلوي، والويل لأهل البصرة والأبلة
والأهواز وواسط من المظفر العلوي أيضاً. يقتل بالبصرة مائة ألف ويزيدون،
وبواسط مثل ذلك، وهو السقاح.

وويل للرافقة وقرقيسيا من كلب وقيس. والويل كل الويل للزوراء من
السفياني، يقتل في كل يوم واحد مائة ألف أو يزيدون، واليوم الثاني مثل ذلك،
واليوم الثالث مثل ذلك في صعيد واحد، لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولهم
عذاب أليم.

والويل لأهل الكوفة من السفياني، والويل لأهل يثرب من الأبقع، سيبقر
بطون النساء ويقتل النفس الزكية.

والويل لأهل مكة من الأصهب ومن صاحب مصر يقتلهم بغير عدد حتى
يجري الدماء في وادي العرقات.

والويل لأهل نسطاط مصر من فرعون الثاني وهو السفياني، كيف يقتل
النساء ولا يرحم الصبيان والإماء.

والبلية العظمى بصخر الري، يقتل في ذلك الموضع ستون ألفاً إلى الباب.

والويل لأهل قزوین من الديلم، يقتل الرجال وتسبى النساء والذراري.

والويل لهمذان من جانب طبرستان، والويل للري من صاحب الديلم والويل
لهم من صاحب إصبهان. في كلام طويل.

وبعث الحجاج إلى وفد كانوا قدموا عليه من الديلم فعرض عليهم الإسلام أو
الجزية فأبوا أن يفعلوا شيئاً من ذلك. فأمر أن يصور لهم بلدهم سهله وجبله وعقابه
وغياضه فصورت له. فدعا من قبله من الديلم فقال إن بلادكم قد صورت لي

ورأيت فيها مطمعاً فاعترفوا بما دعوتكم إليه قبل أن أغزيكم الجنود فأخرب البلاد وأقتل المقاتلة وأسبي الذرية. قالوا: أرنا هذه الصورة التي أطمعتك في بلادنا فأحضرها حتى نظروا إليها. فقالوا: قد صدقك من صَوَّرها غير أنه لم يصور لك الرجال الذين يمنعون هذه العقاب والثنايا، وستعلم ذلك لو تكلفته.

فأغزاهم الجنود وعليهم ابنه محمد بن الحجاج فلم يصنع شيئاً غير أنه بنى مسجداً لأهل قزوين ونصب فيه منبراً [وهو مسجد التوث الذي على باب دار قوم يعرفون بالجنيدية. وحكي أن عمال خالد بن عبد الله القسري لعنوا علي بن أبي طالب على المنبر فقام حبش بن عبد الله وهو من موالي الجنيد أو بني عمه فاخترط سيفه وارتفع به إلى العامل فقتله وقال: لا نحتملكم على لعن علي بن أبي طالب. فانقطع بعد ذلك اللعن عنه رضوان الله عليه^(١)].

وقال محمد بن زياد المدحجي: رأيت في مسجد قزوين لوحاً مكتوباً مما أمر به محمد بن الحجاج الثقفي. وأنشد جعفر بن عمر بن عبد العزيز:

هل تعرفُ الأبطالُ من مريمَ بين سواسٍ فلوئى يرثم
ف ذاتِ أكنافٍ فقيعاً بها فجزع فيدفر وافٍ الاحرم (٢)
ما لي وللريِّ وأكنافها يا قومُ بين الترك والديلم
أرضُ بها الأعجمُ ذو منطقي والمرءُ ذو المنطق كالأعجم

ولما ميَّز قباذ إقليمه، وجد أنزه بقاعه بعد أن بدأ بالعراق التي هي سرّة الدنيا والأقاليم، ثلاثة عشر موضعاً: المدائن، والسوس، وجنديسابور، وتستر، وسابور، وبلخ، وسمرقند، وباورد، وبطن بنهاوند تسمى رودراور، وماسبندان، ومهرجانقذق، وتل ماسير، وإصبهان والري. وأسرى فواكه إقليمه سبعة مواضع: المدائن، وسابور، وارجان، ونهاوند، وماسبندان [١٤٢ أ] وحلوان، والري. وأوباً بقاع إقليمه ستة مواضع: البنديجين، وسابور خواست، وبرذعة، وزنجان، وجرجان، والخوار - بطن الري -.

(١) ما بين عضادتين في المختصر فقط.

والري سبعة عشر رستاقي منها: [الخوار] ودنباوند، وويمه، وشلمبه [هذه التي فيها المنابر]^(١).

وفي كتاب الطلسمات: إن قباذ وجه بليناس الرومي إلى الري فاتخذ بها طلسماً للغرق فأمنوه، وذلك أنها على بحر عجاج. واستطابها بليناس فعزم^(٢) على المقام بها فأذاه أهلها فاتخذ بها طلسماً للنزول فليس يجتاز بها أحد من خراسان إلا نزلها.

وعمل طلسماً آخر للغلاء فهي أبدأ غالية السعر.

ثم كتب بليناس إلى قباذ يخبره بما قد عمل من الطلسمات في بلاده ويستأذنه في المصير إلى خراسان. فكتب إليه قباذ: إن قباذ الأكبر قد طلسم ما وراء الري إلى بلخ وجرجان وسجستان [مائتين وخمسين طلسماً]^(٣) وليس هناك شيء فأقبل إلينا.

[وقال الشاعر:

الريّ أعلى بلدة أسعّارا
تدعُ الغريب محيراً في سوقها
في كل يوم ينغي لغدائه
وبها أناس شرّ ناس باعة
ميسوا بكل قبّحة قراهم
لا يصدّقون وصدق قول فيهم
إن جنت تسألهم لتسقى شربة
فلقد لبسنا العار حتى ما لنا

لا درهماً تبقي ولا ديناراً
قد ناه ينظر هائماً خوّاراً
أن كان يملك للغدا قنطاراً
لا يخفّون من الغريب جواراً
أذهى وأخبث من تحلى العاراً
عاراً وكلّ يغيض الأبراراً
قالوا إليك تجب الأشراراً
إلا الفضائح ملبساً وإزاراً^(٤)

(١) ما بين عضادتين في المختصر فقط.

(٢) في الأصل: فعلم على المقام.

(٣) في المختصر فقط.

(٤) في المختصر فقط.

وفي أخبار فريدون على رواية الفرس : لما أقبل بالبيوراسف من المغرب نحو المشرق ليسجنه [بدنباوند] مرّ بكورة إصبهان - وقد طوى فريدون أياماً لم يذق طعاماً - فطلب قوماً يمسكونه عليه ريشاً بتغدي. فجمع الملك عالماً من الناس فلم يقدروا على إمساكه، فأدار سلاسله على جبل من جبال إصبهان وأوثقه بأساطين وسكك من حديد قوية. وتوثق منه حتى ظن أنه قد أحكم ما أراد. حتى إذا جلس على غذائه، اجتذب البيوراسف سلاسله مع تلك الأساطين والسكك واحتمل الجبل بحره بسحره ثم طار به في الهواء، فتبعه فريدون فما لحقه إلا بالمدينة المعروفة ببزورند وهي الري. فلما لحقه قمعه بمقمة من حديد كانت في يده فسقط مغشياً عليه ورسا ذلك الجبل المنقول من إصبهان بمدينة الري. فهو الآن جبلها المظلل عليها. فلمن فريدون ذلك الجبل ودعا الله أن لا ينبت عليه شيئاً في شتاء ولا صيف وأن لا يثبت عليه ثلج ولا تسرح عليه سارحة تؤمّه ولا أهلية ولا يأتي إليه حيوان. فأجاب الله دعاءه. فهو كذلك [١٤٢ ب] إلى يوم التناد.

ثم قاده من الري نحو محبسه على طريق الخوار، فوافاه وهو يقوده إصبهيد جرجان - وكان رجلاً ذا أيدٍ وإطشٍ - فسار معه أياماً وعرضت لأفريدون حاجة فلم يثق بأحد يمسكه عليه فقال الأصبهيد: أيها الملك، أنا أمسكه عليك. فقال: أخاف أن لا تقوى فتعطب على يده. فقال: أرجو أن يعينني الله عليه بقدرته. وناولته أفريدون سلاسله وساربه، فلم يلتوي عليه، ومرّ يحجل في قيوده.

فلما غاب أفريدون (١) فلما أطلالا المجاذبة دخلت رجلاه إلى ركبته في الأرض، فخذ في ذلك المكان أخذوداً عظيماً جرى فيه بعد ذلك الماء فصار نهراً عظيماً، وهو اليوم يعرف بوادي خوار، يعرفه أهل تلك الناحية ويسمونه بهندروود.

وطعنه أفريدون وقمعه بمقمة واحدة من يد الأصبهيد وبارك عليه وزاد في مرتبته وسماه بهند جرجان وخراسان اصبهيد.

(١) كلمة مطموسة. ويمكن أن تكون: جاذبه السلسلة.

ثم حمّله إلى كورة دنباوند فسجنه هناك في جبل يسمى جبال الحدادين في قرية اسمها قرية الحدادين أيضاً. ووكل به أرمائيل ومثل بين يديه في القلة صورة أفريدون وطلسم عليه طلسماً وبنى حوله حوانيت رتب فيها قوماً حدادين يضربون مطارقهم نواذب على سنداناتهم ليلاً ونهاراً شتاءً وصيفاً لا يفترون عن ذلك. وجعله في كهف عظيم في جوف القلة وأثقله بالحديد وجعل على باب الكهف عدة أبواب حديد وأسقط عن سكان هذه القرية الخراج والعشر وجميع النواذب، فليست عليهم مؤونة إلا ضرب هذه المطارق على سندانات خالية، ويتكلمون على ضربهم بكلام موزون ويهمسون به عند ضربها لئلا يقطع البيوراسف سلسله وأغلّاله فيقال إنه يلحس أغلّاله دائماً ليلاً ونهاراً فتدق عن لحسه، فإذا ضرب^(١) هؤلاء بالمطارق عادت إلى حالها في الغلظ والوثاقة. ويقال إن الطلسم الذي يمنعه من قطع السلاسل بعد لحسه إياها فهو معمول في ضرب هؤلاء الحدادين بمطارقهم.

ومضى أفريدون - بعد أن حبسه في الكهف واستوثق منه - منصرفاً إلى دار مملكته [١٤٣ أ] ووكل أرمائيل بحفظ البيوراسف وطعامه. فكان يذبح له في كل يوم رجلين فيغذي بأدمغتهما حبّيه اللتين على كتفيه أحواماً.

ثم إن أرمائيل تحوّب من ذبح الناس فنلطف في استنقاذهم واحتساب الأجر في إطلاقهم من القتل، فمضى إلى قرية من قرى دنباوند تسمى مندان فبنى على جبلها أبنية جليلة وقصوراً عظيمة وجعل فيها بساتين وعيوناً تجري في صحون تلك الدور والبساتين، وبنى في بعض تلك القصور بيتاً بخشب الساج والابنوس وصور فيه جميع الصور، فلم يكن لأحد في ناحية المشرق، بناء أشرف منه ارتفاعاً وحسناً ودقة نقوش وكثرة عمل وتزاويق وتصاوير وتمائيل.

فما زال ذلك البنيان قائماً حتى استنزل المهدي بن المصمغان من القلعة المعروفة بالهيرين - وكان قد أعطاه الأمان - فلما جاء به إلى الري أمر بضرب عنقه. فلما استخلف الرشيد وصار إلى الري أخبر بمكان ذلك البنيان فصار إليه

(١) في الأصل: فإذا ضربوا.

حتى وقف عليه وأمر بنقضه وحمله إلى مدينة السلام.

وكان أرمائيل نازلاً في قصوره وأبنته التي بناها فإذا جاؤه بالأسارى من الآفاق ليدبحهم ويأخذ أدمغتهم فيغذي الحيتين، أعتق في كل يوم أسيراً وذبح مكانه كبشاً وخلط دماغه بدماع المقتول وغذا به الحيتين أعواماً كثيرة. ثم بدا له في الذبح فكان إذا جاؤه بالأسارى أعتقهم وأسكنهم الجبل الغربي من قرية ميندان^(١).

فبقي على ذلك من حاله ثلاثين عاماً يعتق في كل عام سبعمائة وثلاثين إنساناً - وقرية ميندان على جبلين بينهما واد فيه ماء عذب غزير لا ينقطع شتاء ولا صيفاً، وعلى حافتي الوادي عيون تنصب إليه وشجر مشمر - فكان كلما أعتق أسيراً أعطاه داراً وأسكنه الجبل الغربي وأمره أن يزرع لنفسه ما يريد ويبني ما يشاء. فكانوا يفعلون ذلك. وقبض الله لأرمائيل مطلسماً^(٢) لم به فقال: أنا اطلسم الطعام الذي يتغذى به هذا الملعون فيكون يتغلغل في جوفه ويرتفع [١٤٣ ب] إلى صدره ويجري في لهواته فيشبع منه ولا يحتاج إلى غيره أبداً ويجازيك الملك على ذلك. ما الذي تجازيني عليه؟ قال: سل ما أحييت. قال: إذا أنتك رئاسة الناحية أشركتني فيها معك وفي نعمتك وعقدت بيتاً قرابة لا تنقطع. فضمن أرمائيل له ذلك وطلسم مأكول الملعون ومشروبه في جوفه، فهو يتغلغل في صدره إلى بلوغ مدة [أيامه]^(٢).

فلما كان بعد ثلاثين حولاً من مملكة أفريدون أنفذ إلى أرمائيل رسولاً يأتيه بخبر البيوراسف. فلما وافاه أنزله أرمائيل معه في قصره. فسأله الرسول عما صنع فأخبره خبر المعتقين من الذبح وإنزاله إياهم الجبل الغربي. ولما أمسى أمر المعتقين أن يوقد كل واحد منهم على باب الموضع الذي هو فيه ناراً ففعلوا. فقال الرسول: ما هذا؟ قال: هؤلاء المعتقون من الذبح. فقال الرسول بالفارسية: وس

(١) هذه الوقائع وما يليها ذات صلة بأسطورة الملك الظالم بيوراسف أو الضحاك وهي من القصص التي رواها الفردوسي في الشاهنامه (١: ٣٠ - ٣٧) ولا تختلف عما هي عليه هنا إلا في بعض التفاصيل.

(٢) من المختصر.

مانا كي ته آزاد كردي؟ أي: كم من أهل بيت قد أعتقتهم؟ وتناهى الخبر إلى أفریدون فسرّ به سروراً شديداً ومضى نحو جبل دنهاوند فوقف عليه فلما تقرر عند فعل أرماتیل شرفه ورفع درجته وسماه المصمغان وأقطعه مدينة دنهاوند برساتيقها وقراها وعقد له تاجاً وأقعدته على سرير ذهب. فهم آل المصمغان المعروفون إلى يومنا هذا بتلك الناحية.

وكان أفریدون سجن البيوراسف في النصف من ماء مهر وروز مهر، فلما أصبح جعله عيد المهرجان.

ويقال إن طول أفریدون تسعة أرماع - والرمح بياعه ثلاثة أبوع - وعرض عجزه ثلاثة أرماع، وعرض صدره أربعة أرماع، ووسطه رمحان^(١).

وقال محمد بن إبراهيم بن نافع: كنت مقيماً بطبرستان في خدمة موسى بن حفص الطبري^(٢) أيام خلافة المأمون إذ ورد علينا قائد من قواد المأمون في مائة وخمسين فارساً ومعه كتاب المأمون إلى موسى بن حفص يأمره بالشخص معه إلى موضع البيوراسف [بقرية الحدادة في سنة ٢١٧] حتى يقف عليه ويتفحص عن خبره ويكتب إليه بصحة الأمر [١٤٤هـ] فيه.

قال: فوافينا قرية الحدادين، فلما قربنا من الجبل الذي هو فيه، إذا نحن بدويّة في عظم البغال. فلما رأنا صعدت في الجبل. قال: وإذا طيور بيض كبار أكبر من النعام في خلق الفصلان. وإذا قلة الجبل مغطاة بالثلج، وإذا دود وعظام مثل الجدوع تنحط من ذلك الثلج، فإذا انفصلت الدودة عن الثلج وانحدرت إلى القرار وانسابت على الحجارة انفقأت فسال من جوفها مثل الساقية. فإذا كان ذلك

(١) في الأصل: رمحين.

(٢) ولي طبرستان والرويان ودهناوند عام ٢١٧ هـ ثم توفي عام ٢١١ هـ (الطبري ٨: ٥٩٦، ٦١٨). وعليه فإن العمر لم يمتد به حتى عام ٢١٧ لينفذ رغبة المأمون المزعومة. نعم يمكن أن يكون ابنه هو المقصود حيث ولي طبرستان بعد وفاة أبيه وظل فيها ست سنوات (تاريخ طبرستان ٢١١). أما محمد بن إبراهيم فهو العلوي الذي ذكره الطبري في تاريخه (٩: ٢٧٣) ضمن حوادث تتعلق بطبرستان جرت عام ٢٥٠ هـ.

نهضت تلك الطيور إلى جلود هذا الدود فأكلتها.

فلم تزل العسكر في القرية أياماً يرومون الوصول إلى موضع البيوراسف ولا يهتدون لموضع الجبل في الصعود. فبينما هم كذلك إذ أتاهم شيخ قد نيف على مائة سنة فسائلهم عما قدموا له، فعرفوه الخبر، وإذا على الجبل حوانيت كثيرة فيها قوم من الحدادين حول تلك القلعة عليهم نوايب يضربون مطارقهم على سنداناتهم ساعة بعد ساعة ويتكلمون عليها بكلام يهيجون به موزون عند ضربهم، لا يفترون ليلاً ولا نهاراً. فسألوا الشيخ عن الخبر، فقال لهم: هذه الحوانيت وضرب هؤلاء على السندانات، طلسم على البيوراسف لئلا ينحل عن وثاقه، وإنه لذائب بلحس سلاسله وأغلاله، فإذا ضربت هذه المطارق عادت أغلاله وسلاسله إلى ما كانت عليه من الغلظ. فإن أحببتم الوقوف على صحة هذا الحيوان المحبوس في هذه القلعة حتى لا يتخالجكم فيه ريب أريتكم برهان ذلك. فقال له القائد: ما جئت لغير هذا الذي وصفت. فأحضر الشيخ سلماً مخروطاً محكماً من الصرم وسككاً من سكك الحديد وجمع شباب القرية حتى صعد منهم من صعد على تلك السلم من قرار القلعة إلى مقدار مائة ذراع في الجبل ثم أراهم في الجانب الشرقي من القلعة عند مطلع الشمس جوبة عظيمة وعليها أسكفة باب حديد عليه مسامير من حديد مذهبة مكتوب عليها [١٤٤ ب] بالفارسية ما أنفق على كل مسمار وفوق الأسكفة كتابة تخبر أن على القلعة سبعة أبواب من حديد، على كل باب أربعة أقفال قد كتب على بعض المسامير: لهذا الحيوان أمد يجري إلى غايته ونهاية لا يعدوها، فلا يعرض خلق لفتح شيء منها فيهجم من هذا الملعون على ما لا يقوم له أهل الأرض ولا حيلة لأحد عما يريد.

فقال القائد^(١): ويحكم حيوان منذ آلاف من السنين يبقى بغير قوت؟ فقال الشيخ: طعامه القديم الذي تغدئ به مطلسم في جوفه، فهو يتغلغل في صدره ويرتفع إلى لهواته حتى تمتلأ منه، وقد منع من إخراجِه. فذلك غذاؤه. فانصرفوا

(١) في المختصر: فقال موسى بن حفص.

ولم يجدوا شيئاً وكتب بخبره إلى المأمون فكتب أن لا تعرض له .

وعن رجل من كلب قال : كان الضحاك أشد الناس غيرةً ، فركب يوماً إلى الصيد فجاء أفريدون في خيله فدخل داره واحتوى عليه وعلى نسائه . وبلغ ذلك الضحاك فوافى منزله . فلما نظر إلى أفريدون في داره مع نسائه أدركته الغيرة فغشي عليه وسقط عن دابته . ووثب أفريدون فأوثقه ثم تتبع عماله فأخذهم وغلب على ملكه وذلك ما مهر وروز مهر ، فصيره يوم المهرجان . فقالت الأعاجم مهران لقتل من كان يذبح في كل يوم واتخذوه عيداً . وأخذ المصمغان وقال : إنك كنت شرّ عماله وكنت صاحب الذبح ، فأذبحك كما كنت تذبح الناس . فقال : إن لي بلاء . قال : وما هو ؟ قال : كان يأمرني بذبح اثنين في كل يوم فكنت أذبح واحداً وأعتق الآخر . قال : وكيف نعلم صحة ما ذكرت ؟ قال : اركب معي حتى أريك إياهم . فركب معه وسار حتى أشرف على جبال الديلم والشور فنظر إلى عالم قد توالدوا وتناسلوا . فقال : هؤلاء كلهم عتقائي . فقال أفريدون : وس ما ناكبي ته آزاد كردي ؟ كم من أهل بيت اعتقتهم ؟ اذهب فقد ملكتك عليهم . فأعطاه مملكة دنباوند . فلم يزل الضحاك [١٤٥ أ] عنده موثقاً ستة أشهر ثم قتله يوم النيروز فقالت الأعاجم : امروز نوروزي اي استقبلنا الدهر بيوم جديد . فاتخذوه عيداً .

وعن القاسم بن سلمان^(١) قال : أبجد وهوز وحطي كلمن وسعقص وقرشت نخذ ضظغ ، كانوا ملوكاً جبابة ففكر قرشت يوماً فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ، فجعله الله أردها ، فله سبعة رؤوس^(٢) . فهو الذي بدنباوند محبوس .

وزعم بعض أهل العلم : إن المحبوس بجبل دنباوند صخر الجنّي الذي أخذ خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لما رده الله عزّ وجلّ على سليمان ملكه ، حبس صخراً في جبل دنباوند .

(١) في الأصل : ابن سليمان . والتصحيح من الطبري ١ : ١٩٥ الذي ذكر هذه الرواية أيضاً .
(٢) في الأصل : سبع . وكلمة أردها هي الأساس الذي حوّرت منه كلمة الضحاك الذي أشرنا إليه فيما سبق - وهي بالفارسية تعني الأفعى ذات الرؤوس السبعة - وهو الحاكم الظالم المسجون في جبل دنباوند (أي دماوند) .

ولأبي تمام من شعر طويل يمدح به الافشين ويقول إنه مثل أفريدون وأن بابك الخرمي مثل الضحاك:

ما نال ما قد نال فرعون ولا هامن في الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك في سطواته بالمالمين وأنت أفريدون

وقال علي بن ربن كاتب المازيار: وجهنا جماعة من أهل طبرستان^(١) إلى جبل دنباوند - وهو جبل عظيم شاهق في الهواء يرى من رأس مائة فرسخ وعلى رأسه أبداً مثل السحاب المتراكم لا ينحسر عنه في الصيف ولا في الشتاء، ويخرج من أسفله نهر مائه أصفر كبريتي تزعم جهال الفرس أنه بول البيوراسف - فذكروا أنهم صعدوا إلى رأسه خمسة أيام وخمس ليال فوجدوا نفس قلته تكاد تكون مائة جريب مساحة^(٢). على أن الناظر ينظر إليها من أسفل الجبل مثل رأس القبة المخروطة. قالوا: وجدنا عليها رملاً تغيب فيه الأقدام، وانهم لم يروا عليها دابة ولا أثراً لشيء. وإن سائر ما يطير في الجو لا يبلغها، وإن البرد فيها شديد والريح عظيمة الهبوب والمصوف، وانهم عذبوا في قلنها سبعين كورة^(٣) [يخرج]^(٤) منها الدخان الكبريتي، وأنه كان معهم رجل من أهل تلك الناحية فعرفهم أن ذلك الدخان تنفس البيوراسف. ورأوا حول كل ثقب من تلك الكوى كبريتاً أصفر [١٤٥ ب] كأنه الذهب وحملوا معهم شيئاً منه حتى نظرنا إليه. وزعموا أنهم رأوا الجبال حوله مثل التلال، وأنهم رأوا البحر مثل النهر الصغير، وبين البحر وهذا الجبل نحو عشرين فرسخاً.

(١) في المختصر: جماعة من الديالمة والطبرية.

(٢) في المختصر ٣٠ جريباً.

(٣) في المختصر: ٣٠ نقبة.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

القول في قزوين وأبهر وزنجان

قال بكر بن الهيثم: كان حصن قزوين يسمى بالفارسية كشوين [ومعناه الحدّ المحفوظ]^(١). قال وبينه وبين الديلم جبل كانت ملوك فارس تجعل فيه رابطة من الأساورة يدفعون الديلم إذا لم تكن بينهم هدنة، ويحفظون بلدهم من اللصوص.

[ويقال: إنهم نزلوا قرية يقال لها سسين فقالوا: جش اين. ثم دخلوا قرية يقال لها فاسقين فقالوا: بس اين. ثم دخلوا قرية سروين، فأندر صاحب الجيش قال: سروين]^(٢).

قال: وكانت دستي مقسومة بين الري وهمدان. فقسم منها يدعى دستي الرازي وهو مقدار تسعين قرية، منها ما قد حازه السلطان [أعزه الله]^(٣) في هذا الوقت واستخلصه لنفسه. ومنها ما هو في الري، قوم تغلبوا عليه.

قال وكان سبب [حيزه]^(٤) دخول اذكونكين بن ساتكين التركي قزوين وتغلبه عليها في سنة ست وستين ومائتين، وأسر محمد بن الفضل بن محمد بن سنان العجلي رئيس قزوين وكبيرها، أنه تقلد البلد، فلما صار إليه أظهر العدل والنصفة

(١) في المختصر فقط. وبكر بن الهيثم هو شيخ من شيوخ البلاذري. انظر: فتوح البلدان في كثير من صفحاته. أما الأخبار الموجودة هنا، فيوجد بعضها في فتوح البلدان ٣١٧ وما بعدها. وقد افتتحها البلاذري بقوله: (حدثني عدة من أهل قزوين وبكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الري).

(٢) في المختصر فقط.

(٣) في المختصر فقط.

(٤) في المختصر فقط.

أياماً ثم أزالها عن ذلك وقبض على جماعة من وجوه البلدان وأخذ ضياعهم وأموالهم.

وقسم منها يدعى الهمذاني. وكان عامل همذان في وقت افتتاح الخراج ينفذ خليفته إلى قرية من قرى دسبى يقال لها اسفئقان^(١) فيجبي خراجها ويحمله إلى همذان. فما زال الأمر كذلك حتى كورت قزوين وزنجان.

[وكان العدل بقزوين من جهة طاهر بن الحسين، والجور بهمذان من قبل موالي المعتصم بالله أمير المؤمنين، فتظلم رجل يقال له محمد بن ميسرة من رجل آخر من أهل قزوين يدعى أحمد بن النضر بن سعيد، فوجه وفده إلى نيسابور يسأل الكتاب في نقل رستاق نسا وسيقانروذ إلى قزوين. فكتب صاحب خراسان بذلك فنقلت إلى قزوين]^(٢).

قال: ولما زال ملك العجم وفتحت البلدان، ولي المغيرة بن شعبة الكوفة وولي جرير بن عبد الله همذان وولي البراء بن عازب قزوين، وأمر أن يغزو الديلم. وكان مغزاهم قبل ذلك من دسبى. فسار البراء بن عازب ومعه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر، فأقام على حصنها - وهو حصن منيع بناء شابور ذو الأكتاف. [١٤٦ أ] - وشابور أيضاً بنى مدينة قزوين، ويقال إنه بنى حصن أبهر على عيون سدها بجلود البقر والصوف واتخذ عليها دكة ثم بنى الحصن عليها -.

قال: ولما نزل عليه البراء، قاتله أهل الحصن أياماً ثم طلبوا الأمان فآمنهم على مثل ما آمن حذيفة بن اليمان أهل نهاوند.

ثم سار إلى قزوين فأتاح عليها، فطلبوا الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر من الشرائط فقبلوا جميع ذلك إلا الجزية فإنهم نفروا منها. فقال: لا بدّ منها.

(١) في الأصل: التقيان. والتصحيح من التدوين ١ : ٤٧.

(٢) النص مضطرب في المخطوطة لذلك أثّرنا نقله من المختصر، ومعلوماته تتفق مع ما في التدوين ١ : ٤٧.

فلما رأوا ذلك أسلموا^(١) وأقاموا بمكانهم فصارت أرضهم عشيرة.

فرتب البراء فيهم خمسمائة رجل من المسلمين منهم: طلحة بن خويلد الأسدي وميسرة العائذي وجماعة من بني تغلب [على دستي وقزوين، فتنازلوا هناك فأولادهم وأولاد أولادهم إلى اليوم فيها، قد توارثوا الضياع - وكانت قبالة من السلطان في أيديهم الخمسين السنة والأقل والأكثر - إذ كانت^(٢) أرضين وضياعاً لاحق فيها لأحد. فعمروها وأجروا أنهارها وحفروا آبارها فسموا ثنائها. وكان نزولهم على ما نزل عليه أساورة البصرة على أن يكونوا مع من شاؤا. وصار جماعة منهم إلى الكوفة وحالفوا زهرة بن حوية، فسموا حمراء الديلم، وأقام أكثرهم بمكانهم فهم هناك إلى وقتنا هذا.

قال: وأنشدني رجل من أهل قزوين لجد أبيه - وكان ممن قدم مع البراء بن عازب لقتال الديلم -:

قد تعلم الديلم من تحارب
لما أتى في جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين خائب
فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباب

ثم غزى البراء الديلم حتى أدوا الجزية. وغزا الجبل والبير والطيلسان وفتح زنجان عنوة.

وولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية الكوفة [لعثمان بن عفان، فغزا الديلم مما يلي قزوين، وغزا آذربيجان وجيلان وموقان والبير وطيلسان]^(٣) ثم انصرف.

(١) من هنا يبدأ النص في التطابق مع فتوح البلدان ٣١٧.

(٢) في المختصر فقط.

(٣) في المختصر فقط. والخبر في التدوين ١: ٤٧ ويبدأ هكذا: (في كتاب أبي عبد الله القاضي وغيره....).

وولي سعيد بن العاص بن أمية بعد الوليد، فغزا الديلم ومصر وقزوين فصارت مغزى أهل الكوفة.

وكان موسى الهادي لما صار إلى الري أتى قزوين وأمر ببناء مدينة إزاءها فهي تعرف بمدينة موسى. وابتاع أرضاً تدعى رستم اباد فجعلها وقفاً على مصالح المدينة. وكان عمرو الرومي يتولاها، ثم تولاها من بعده محمد بن عمرو. وكان مبارك التركي بنى حصناً بها وسماه المباركية وبه قوم من مواليه.

وحدث محمد بن هارون الإصبهاني^(١) قال: اجتاز الرشيد بهمذان وهو يريد [١٤٦ ب] خراسان، فاعترضه أهل قزوين وأخبروه بمكانهم من بلد العدو وعنائهم في مجاهدتهم وسألوه النظر لهم وتخفيف ما يلزمهم من عشر غلاتهم في القصبة، فسار إلى قزوين ودخلها وبنى مسجد جامعها واسمه إلى اليوم مكتوب على بابه في لوح حجر. وابتاع بها حوانيت ومستغلات وأوقفها على مصالح المدينة وعمارة قبتها وسورها فهي تنفق عليها وبنى منها ما استمرم بخلتها إلى هذا الوقت.

قال: وصعد في بعض الأيام القبة التي على باب المدينة وهي عالية جداً، فأشرف على الأسواق، ووقع النفير في ذلك الوقت، فنظر إلى أهلها وقد أغلقوا حوانيتهم وأخذوا سيوفهم وتراسهم وجميع أسلحتهم وخرجوا على راياتهم وساروا نحو العدو. فاستحسن ذلك منهم وأشفق عليهم وقال: هؤلاء قوم مجاهدون يجب أن ننظر لهم. فاستشار خواصه في ذلك، فكل واحد منهم أشار بما عنده فقال هو: أصلح ما يعمل بهؤلاء أن يحط عنهم الخراج وتجعل لهم وظيفة القصبة. فجعلها عشرة آلاف درهم في كل سنة مقاطعة.

وكان القاسم بن الرشيد^(٢) ولي جرجان وطبرستان وقزوين، فألجأ إليه أهل

(١) الإصبهاني هذا شيخ من شيوخ البلاذري حيث قال في فتوح البلدان ٣١٩ (حدثني محمد بن هارون الإصبهاني).

(٢) يتطابق مع ما في فتوح البلدان ٣١٩.

زنجان ضياعهم تعزراً به ودفعاً لمكروه الصعاليك وظلم العمال عنهم وكتبوا له عليها الأشربة^(١) وصاروا له فلاحين.

وكان القاقزان عشرياً لأن أهله أسلموا عليه وأحيوه بعد الإسلام، فآلجأوه أيضاً إلى القاسم على أن جعلوا له عشراً ثانياً سوى عشر بيت المال فصار في الضياع أيضاً.

ولم تزل دسئلي على قسميها: بعضها إلى الري وبعضها إلى همدان إلى أن سعى رجل من ساكني قزوین من بني تمیم يقال له حنظلة بن خالد ويكنى أبا مالك، في أمرها، حتى صيرت كلها إلى قزوین. فسمعه رجل من أهل قزوین وهو يقول: كورتها وأنا أبو مالك. فقال له بل ألفتها وأنت أبو هالك^(٢).

وقد روت الحشوية في فضائلها أخباراً كثيرة لا يصححها الثقة والحفاظ [وأنا أوردتها هنا]^(٣) لتكون فائدة في الكتاب.

قال أبو مجالد الصنعاني: قزوین وعسقلان العروسان [١٤٧ أ] شهداؤهما تزف إلى الله يوم القيامة.

٢ وروي عن أبي هريرة [وابن عباس]^(٤) قال: سمنا عند رسول الله (ﷺ) يوماً فرفع بصره إلى السماء كأنه يتوقع شيئاً ثم بكى حتى جرت دموعه على خده وجعلت نقطر من أطراف لحبته وهو يقول: رحم الله إخواني بقزوین - ثلاث مرات - قلنا: يا رسول الله، من إخوانك بقزوین الذين رقت لذكركم وترحمت عليهم، وما قزوین هذه؟ قال: هي مدينة من أرض الديلم وستفتح عليكم ويكون بها رباط.

(١) في الأصل: الأشربة. والتصحيح من فتوح البلدان.

(٢) إلى هنا يتهي التتابع مع البلاذري.

(٣) زيادة يقتضيه السياق.

(٤) في المختصر فقط.

فمن أدرك ذلك فليأخذ نصيبه من فضل رباطها، فإنه يستشهد فيها قوم يعدلون
شهداء بدر^(١). R.

قال الحسن في قوله عز وجل ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ قال: الديلم.
R وقال عمار بن عبد الله^(٢): سألت أبا عبد الله رضي الله عنه عن قتال الديلم
فقال: ومن أحق بالقتال منهم؟ هم الذين قال الله تعالى ﴿قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار﴾. R.

وعن مجاهد في قول الله تعالى ﴿قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم﴾ قال:
الروم والديلم.

وبعث الحجاج إلى وفد الديلم فكانوا قد جاؤهم فأرادهم على أن يسلموا
فأبوا. فطالبهم بالجزية فامتنعوا فأمر أن يصور له بلدهم، سهله وجبله وعقابه
وغياضه وأنهاره وطرقه وبناته، فصور له ذلك. فقال لهم: إن بلادكم قد صورت لي
بطرقها وعقابها وأنهارها وجبالها وسهولها، وقد رأيت فيها مطعماً، فأقرؤا لي بما
دعوتكم إليه وإلا أغزيتكم الجنود فأخربت بلدكم وقتلت رجالكم وسبيت الذراري
والنساء. فقالوا: أرنا الصورة التي أطمعتك فيها وفي بلدنا. فدعا بالصورة، فلما
نظروا إليها قالوا: قد صدقك الذي صورها لك غير أنه لم يصور الرجال الذين
يمنعون هذه العقاب والجبال والطرق. وستعلم حقيقة ذلك لو قصدت البلد. فلم
يلتفت إلى قولهم وأنفذ إليهم عسكرياً عليه ابنه محمد بن الحجاج، فلم يصنع شيئاً
وانصرف إلى قزوین فبنى بها مسجداً ونصب فيها منبراً.

قال محمد بن زياد المذحجي: رأيت في مسجد قزوین لوحاً فيه مكتوب:
مما [١٤٧ ب] أمر به محمد بن الحجاج.

-
- (١) الحديث في التدوين ١ : ١٩ ويختلف قليلاً عما هو عليه هنا.
(٢) نرجع أنه عمار السجستاني بقرينة روايته عن أبي عبد الله وهو الإمام الصادق (ع). (انظر رجال الكشي ٣٤٢).
(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وهذا المسجد الذي بناه محمد بن الحجاج هو المسجد الذي على باب دار بني الجنيد، وكان يسمى مسجد التوث^(١). فلم يزل قائماً إلى أن بني للرشيد مسجدها الجامع.

وحكى قوم من مشايخ أهل قزوين أنهم لحقوا عمال خالد بن عبد الله القسري وهم ينالون من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر قزوين، وأن رجلاً من عبد القيس [حبش بن عبد الله وهو من موالي الجنيد أو بني عمه]^(٢) يسمع ذلك يوماً، فاخترط سيفه ورقى إلى الذي على المنبر وقد نال منه، فقتله وقال: [لا نحتملك على لعن علي بن أبي طالب]^(٣) فانقطع من ذلك [إلى] اليوم.

R وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: ستفتح عليكم الآفاق وتفتح عليكم مدينة لها قزوين، من رابط فيها أربعين ليلة كان له في الجنة عمود من ذهب أحمر له سبعون ألف مصراع من ذهب، في كل باب منها زوجة من الحور العين^(٤).

ولما أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسير إلى صفين قال: من أحب منكم أن يخرج معنا في وجهنا هذا وإلا فليأت قزوين فإنها باب من أبواب الجنة^(١) قال فخرج الربيع بن خثيم إليها في أربعة آلاف. فلم يزل مقيماً بها حتى انقضى أمر صفين.

R وروى أن النبي (ﷺ) قال: والذي نفسي بيده ليقاتلن قوم بقزوين لو أقسموا على الله لأبرأ أقسامهم.

٣٠ وروى أن النبي (ﷺ) قال: مثل قزوين في الأرض مثل جنة عدن في الجنان. R

(١) في الأصل: الثور. وفي المختصر: التوث وهو الصواب ويتفق مع ما في التدوين ١: ٥٤.

(٢) من المختصر.

(٣) من المختصر.

(٤) راجع عن هذا الحديث في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١: ٤٦٣.

وروي أن سعيد بن جبیر قدم قزوين وهو متوارٍ من الحجاج فبات بها ليلة ثم خرج منها وقال: ليجتهد عباد المسجد أن يدركوا مثل ليلتي هذه.



مرکز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

القول في طبرستان

قال: البير والطيلسان والطالقان وخراسان - إلا أهل خوارزم - من ولد
اشتق بن إبراهيم عليه السلام. والكوفان والخزر والشور والاقليس من الديلم وهم
بنو كماشج بن يافث بن نوح عليه السلام. وسميت جبالهم على أسمائهم إلا
الإيلام - جنس من الديلم - فإنهم من ولد بابل بن ضبة بن أد، وموقان وجبالها
وهم أهل طبرستان من ولد كماشج بن يافث بن نوح عليه السلام [١٤٨] قال:
وحدثني أبو حامد أحمد بن جعفر المستملي^(١) [قال] حدثني عبد الله بن عمرو بن
بشير البلخي [قال] حدثني أبي. قال: اجتمع في حبوس كسرى خلق كثير لم ير أن
يقتلهم، فشاور فيهم فقبل: غريبهم. فقال: انظروا موضعاً أحبسهم فيه. فطلبوا
ونقبوا البلاد فوقعوا على جبل طبرستان، فأخبروه بذلك، فوجه بهم إلى ذلك الجبل
وخلأهم فيه وأخذ عليهم الباب - وهو يومئذ جبل لا ساكن فيه - ثم تركهم حولاً.
فلما كان بعد الحول، وجه إليهم من يقف على خبرهم. فأشرف عليهم رسوله
وكلمهم فإذا هم أحياء فسألهم: ما الذي تريدون؟ - وكان الجبل أشبأ كثير الشجر -
فقالوا: طبرها، طبرها. أي نريد فؤساً نقطع بها الشجر ونتخذ بيوتاً. فأخبر كسرى
بذلك، فأمر أن يُبعث إليهم ما طلبوا. ثم أمهلهم حولاً آخر ثم أرسل إليهم فسألهم
عن حالهم - فوجدتهم قد اتخذوا بيوتاً - فقالوا: زنان، زنان. أي نريد نساء. فأخبر
بذلك. فأتى بمن في حبوسه من النساء فبعث بهن إليهم، فتناسلوا. فعرب الناس
هذه الكلمة فقالوا: طبرستان. وإنما هي طبر زنان أي الفؤوس والنساء.

ومدينة طبرستان آمل [وبها منزلة الولاية] - وهي أكبر مدنها - ثم ممطير،

(١) عن أبو حامد المستملي. انظر مقدمة الكتاب.

وبينها وبين آمل ستة فراسخ. ثم ترنجة^(١) وهي من ممطير على ستة فراسخ. ثم سارية، ثم طميس - وهي من سارية على ستة عشر فرسخاً - هذا آخر حد طبرستان من ناحية خراسان وجرجان.

ومن ناحية الديلم على خمسة فراسخ مدينة يقال لها ناتل فإذا جرت ناتل فثالوس وهي ثغر الجبل. هذه مدن السهل.

فأما مدن الجبل منها فمدينة يقال لها الكلار وهي أيضاً ثغر الجبل. ثم تليها مدينة صغيرة يقال لها سعيد اباد فيها منبر. ثم الرويان وهي أكبر مدن الجبل. ثم في الجبل من ناحية حدود خراسان مدينة يقال لها تمار وشرز ودهستان. فإذا جرت الأزر وقعت في جبال ونداد هرمز. فإذا جرت هذه الجبال، وقعت في جبال شروين وهي مملكة ابن قارن. ثم الديلم ثم جيلان.

فلم تزل طبرستان في يد ولد العباس يجبون خراجها ويولون أعمالها إلى أن كانت سنة ثمان وأربعين ومائتين، فخرجت من أيديهم ودخلها [١٤٨ ب] العلوية في هذه السنة.

وقال البلاذري^(٢): كور طبرستان ثمان كور: سارية وبها منزل العامل. وإنما صارت منزل العامل في أيام الطاهرية، وقبل ذلك كان منزل العامل بآمل. وجعلها أيضاً الحسن بن زيد ومحمد بن زيد العلوي دار مقامهما.

ومن رساتيق آمل: آرم خاست الأعلى وآرم خاست الأسفل، والميروان والاصهبذ ونامية وطميس.

وبين سارية وشلنبة على طريق الجبال، ثلاثون فرسخاً، وعامتها من جرجان وبعضها من خراسان.

وبين سارية ونامية والميروان عشرة فراسخ.

(١) في الأصل: تركجيد. وفي المختصر: ترنجة. وهو الصواب، يؤيده ما في تاريخ طبرستان ٧٣.

(٢) لم نجد هذا القول في فنوح البلدان.

وبين سارية والبحر ثلاثة فراسخ.

وبين أمل وسارية ثمانية عشر فرسخاً.

وبين أمل والري اثنا عشر فرسخاً.

وبين أمل وشالوس وهي إلى ناحية جيلان، عشرون فرسخاً.

وبين الجبال والرويان اثنا عشر فرسخاً.

ومن مدن الرويان: شالوس، والأرز، والشرز، وونداشورج، ثم جيلان.

وطول طبرستان من جرجان إلى الرويان ستة وثلاثون فرسخاً، وعرضها عشرون فرسخاً، في يدي السكن من ذلك ستة وثلاثون فرسخاً في عرض ستة عشر فرسخاً والعرض من الجبل إلى البحر.

وأول من دفعت إليه السفوح، شروين [بن سهراب]^(١) وكانت قبل ذلك في أيدي الجند الذين كانوا ينزلون المسالح وغيرهم من المسلمين فأخرجها من أيدي المسلمين وأنزلت فيها قواد التجوية وأبناءؤهم فلم تزل في أيديهم إلى أن قدم الحرشي فطردهم عنها، وأراد مسحها وخرج فعسكر في مصلى أمل ووجه المساح، فخرجوا عليهم وقتلوا القائد الموجه معه ثم كتب^(٢) إلى الرشيد في ذلك. فقام الرشيد بنفسه إلى الري ودعا بنداد هرمز وشيرون. فخرج بنداد هرمز عن السفوح وسلمها وضياعه التي في السهل وصار إلى الرشيد في الأمان، فصيره أصهبذ خراسان، ووجه عبدالله بن مالك الخزاعي فحازها وردّها إلى القواد وأصحاب المسالح. فلما ولي المأمون أخذها منهم [١٤٩ أ] وردّها إلى أصحابه.

والمسالح فيما بين أول طبرستان إلى حدّ الديلم، إحدى وثلاثون مسلحة ما بين المائتين إلى ألفي رجل.

وأول مدن طبرستان مما يلي جرجان، طميش وهي على حدّ جرجان وعليها

(١) إضافة من ياقوت (شروين) الذي نصّ على أنه نقل مادته من ابن الفقيه

(٢) في الأصل: (لم تكتب). ولا معنى لها.

درب عظيم ليس يقدر أحد من أهل طبرستان أن يخرج منها إلى جرجان إلا في ذلك
الدرب لأنه حائط ممدود من الجبل إلى جوف البحر من آجر وجص . وكان كسرى
أنوشروان بناء ليحول بين الترك وبين الغارة على طبرستان .

وفي طميس خلق كثير من الناس ومسجد جماعة ومنبر وقائد مرتب في ألفي
رجل .

وبعدها في السهل مدينة المهروان وفيها أيضاً منبر ومسجد وقائد في ألف
رجل .

وبعدها قصبة سارية، وفيها منبر ومسجد . وخارج المدينة ألف جريب أرض
لبنداد هرمزد على باب مدينة سارية مما كان ابتاعه من الصوافي في أيام بيعت .
فكان الذي تولى بيعها مهاجر بن يزيد والي طبرستان .

وبعدها مدينة أمل وفيها قائد في ألفي رجل وفيها يعمل الفرش الطبري،
وفيها خلق كثير من الناس وبها منبر ومسجد .

وبعدها ممطير فيها منبر ومسجد . وبين ممطير وأمل رساتيق وقرى وعمارة
كثيرة .

وزعم أن الرويان ليست من طبرستان وإنما هي كورة مفردة برأسها، وبلاد
واسعة تحيط بها جبال عظيمة وممالك كثيرة وأنهار مطردة وبساتين متسقة وعمارات
متصلة . وكانت فيما مضى من مملكة الديلم فافتتحها عمر بن العلاء صاحب
الجوسق^(١) بالري وبنى فيها مدينة وجعل لها منبراً .

وفيما بين جبال الرويان والديلم رساتيق وقرى . يخرج من
القرية ما بين أربعمئة إلى ألف رجل، ويخرج من جميعها أكثر من خمسين
ألف مقاتل . وخراجها على ما وظف عليها الرشيد أربعمئة ألف وخمسون ألف
درهم .

(١) في الأصل: الجيوش .

وفي بلاد الرويان مدينة يقال لها كجو^(١) بها مستقر الوالي .

وجبال الرويان متصلة بجبال الري وضباعها، ويدخل إليها مما يلي الري .
وبين مدينة الري وشالوس ثمانية فراسخ .

وعلى حدّ من حدود الديلم مدينة يقال [١٤٩ ب] لها شالوس أيضاً في نحر العدو . وفيها منبر ومسجد ، وبإزائها مقابل كجو مدينة يقال لها الكبيرة وفيها أيضاً منبر .

ومن مدينة شالوس إلى مدينة محدثة في بلاد الديلم يقال لها الطالقان فيها مسجد ومنبر ، أربعة عشر فرسخاً .

وسفوح هذا الجبل متصلة بالبحر ، فيها المستأمنة الذين استأمنوا إلى عمرو بن العلاء ، وفيها قوم لهم ديانة قد بنوا المساجد وتزوج إليهم أهل شالوس وهم يغزون مع ولاية طبرستان الديلم ويدلون على عوراتهم .

وينت هذه المدينة في أيام العامون وأنفق عليها ألف ألف درهم ، ووكّل بحفظها عباد بن أثرب ، فضمّ إليه طائفة من العرب وهم إلى اليوم بها قبائل ، منهم آل عباد وأهل موسى والشعبانية . ووراء هؤلاء قوم من الديلم لم يعطوا طاعة قط ، وقراهم وجبالهم متصلة بجبال أرمينية ولباب الأبواب .

ثم القرية التي تجتمع فيها الولاية ومنها يغزون الديلم يقال لها مزن وكان مستقر بنداسفجان أخي بنداد هرمزد بها .

وكان المازيار بن قارن لما فرغ من قتل عمومته وأكابر ولد بنداسفجان وقوادهم ، لم يمكنه قتل ولد شروين بن سهراب لكثرة مالهم ورجالهم ، ولأن مستقرهم من جبال طبرستان مما يلي بلاد قومس . وكان بين جبال شروين وجبال

(١) في المختصر : كجه وكذا في ياقوت وقد وردت في تاريخ طبرستان باسم : كجو (انظر فهرست الكتاب ٣٢٧) .

بنداد هرمزد وبنداسفجان، دروب ومضايق ممتنعة، وفي تلك الدروب تسلك القوافل للتجارات إلى طبرستان.

فأظهر المازيار لولد شروين من البر والإكرام والحيل بما أنسوا به واطمأنوا إليه. وكان إذا قدم عليه القادم منهم برّه ووصله وحمله وكساه.

ثم إنه أظهر غزو الديلم وذكر أنه يقيم على بلدهم حتى يفتحه. وبني المساجد في مدنه وعمل بفریم منبراً ومكث على ذلك سنة أو نحوها ثم كتب إلى عامل خراسان يسأله أن يبعث إليه بألفي بعير لحمل السلاح ولغيره لغزو الديلم، فلم يشك أنه مُجمع على ذلك. وكتب إلى ولد شروين يسألهم أن يخرجوا معه. وأمر بإخراج منبر إلى آرم وأمر الناس أن يجتمعوا فاجتمعوا وحضر ولد شروين، فخطبهم الفقيه. فلما فرغ [١٥٠] [من الخطبة] أمره بالانصراف إلى سارية، وأمر من حضر من ولد شروين وغيرهم أن يحضروا منزله فحضروا مستبشرين، فلما صاروا إلى منزله وحضر طعامه، أمر بأخذ سلاحهم وقتلهم جميعاً. وترك الخروج إلى الديلم، ثم وجه في هذا الوقت بالسري قائد في عشرين ألف رجل ودفع إليهم المرور والمعاول وأمر القائد أن يسير حتى ينتهي إلى الديلم وقال: أما أن تخرجوا إلى طاعتي أو تدفعون إلي رهائنكم وإلا قتلتم وقلعت منازلكم.

فأعطوه الطاعة ودفعوا إليه الرهائن، ثم أمر أولئك المستأمنة أن يخرج منهم عشرة آلاف رجل فيخربوا مدينة الرثاسة ففعلوا ذلك.

وهؤلاء المستأمنة في رستاق عظيم يقال له مزن. وإلى هذا الموضع كان انتهى عمرو بن العلاء. ومنه كانت تغزو ولاية طبرستان الديلم. وهم يتصلون بالديلم وقزوين والباب الأبواب وبلاد بابك.

وهؤلاء المستأمنة ان رأوا للمسلمين قوة كانوا معهم، وإن رأوا للعدو قوة كانوا معهم.

وبعد هذا الموضع جبل يتصل بقزوين وبلاد بابك يكون نحواً من عشرين

فرسحاً إلى حيث انتهى الولاة وعرفاء الديلم . وما وراء ذلك لم يوصل إليه فيخبر عنه .

وكانت طبرستان في الحصانة والمنعة على ما هي عليه ، وكانت ملوك فارس توليها رجالاً ويسمونه الأصبهيد ، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الإسلام وافتتحت الممالك المتصلة بطبرستان ، فكان صاحب طبرستان يصلح على الشيء اليسير ، فيقبل منه لصعوبة المسلك إليها وخشونتها حتى ولي عثمان بن عفان سعيد بن العاص بن أمية الكوفة سنة ٢٩ ، فكتب مرزبان طوس إليه وإلى عبد الله بن عامر بن كرز وهو على البصرة يدعوهم إلى خراسان على أن يملك عليها أيهما غلب وظفر ، فسبق ابن عامر وخرج سعيد فغزا طبرستان ومعه في غزاته الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ففتح سعيد من طبرستان طميش ونامية وصالح ملك جرجان على مائتي ألف درهم بغلّة وافية فكان يؤديها إلى غزاة المسلمين ، وافتتح أيضاً من طبرستان الرويان ودنباوند ، وأعطاه أهل الجبال مالا ، ثم ولي معاوية فولّى طبرستان مصقلة بن هبيرة بن شبل ، فتوغّل بمن معه في بلاد طبرستان ، فلما جاوز المضائق أخذها العدو عليهم ودهدوها الصخور على رؤوسهم فهلكوا أجمعين وهلك مصقلة فضرب الناس به المثل ، فقالوا : حتى يرجع مصقلة من طبرستان .

ثم إن عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان ولي محمد ابن الأشعث الكندي طبرستان فصالحهم وعقد لهم عقداً ، ثم أمهلوه حتى دخل وأخذ عليه المضيق وقتل ابنه أبو بكر وفضخوه ثم نجا ، فكان المسلمون يغزون ذلك الثغر وهم حذرون من التوغّل في أرض العدو .

ثم ولي يزيد بن المهلب خراسان وسار يريد طبرستان ، فاستجاش اصبهيد الديلم وقاتله يزيد ، ثم إنه صالحه على أربعة آلاف ألف درهم وسبع مائة ألف درهم مثاقيل في كل سنة وأربع مائة وقر زعفران ، وإن يخرجوا أربع مائة رجل على رأس كل رجل ترس وجام فضة ونمرقة حرير وفتح يزيد الرويان ودنباوند على مال وثياب وآنية .

ولم يزل أهل^(١) طبرستان يؤدون هذا الصلح مرة ويمتنعون أخرى ويحاربون ويسالمون. فلما كان أيام مروان بن محمد، غدروا ونقضوا ومنعوا ما كانوا يحملونه. فلما صارت الخلافة إلى بني العباس [استخلف أبو العباس أمير المؤمنين، فوجه إليهم عامله فصالحوه ثم إنهم غدروا أيضاً ونقضوا وقتلوا المسلمين في خلافة المنصور] فوجه إليهم خازم بن خزيمة التميمي وروح بن حاتم ومعهما مرزوق أبو الخصيب. فسألهما مرزوق حين ضاق عليهما الأمر وصعب أن يضرباه ويحلقا رأسه ولحيته ليوقع الحيلة على الاصبهيد. ففعلوا ذلك وهرب بمواطاة منهما إلى الاصبهيد فقال له: إن هذين الرجلين استغشاني. فإنهما لما أشرتا عليهما أن لا يقصدا بلدك وعرفتكما صعوبة وخشونة طرقه وعقابه ففعلوا بي ما ترى. فإن قبلت انقطاعي إليك وأنزلتني المنزل التي استحقها منك دللتك على عورات العرب وكنت يداً معك عليهم، وإن لم تقبل نصحي واتهمتني انصرفت عنك إلى غيرك من الملوك.

فقبله الاصبهيد وأحسن إليه واستخضه وأظهر الثقة به والمشاورة له. فكان يريه أنه له ناصح ومشفق عليه. فلما اطلع على أموره وعوراته كتب إلى خازم وروح بما احتاجا إلى معرفته واحتال لباب القلعة حتى فتحه وأدخل المسلمين إليها فملكوها.

وكان عمرو بن العلاء جزاراً من أهل الري فجمع جمعاً وقاتل الديلم فأبلى بلاء حسناً فأوفده [جهور بن مرار العجلي] إلى المنصور فقوده [وجيشه] وجعل له منزله. وتراقت به الأمور حتى ولي طبرستان واستشهد في خلافة المهدي.

وافتح محمد بن موسى بن حفص بن عمرو بن العلاء ومازيار بن قارن جبال شروين من طبرستان، وهي من أمتع الجبال وأصعبها وأكثرها شجراً وغياضاً. وكان فتحهما إياها في أيام المأمون. فقلد المأمون عند ذلك مازيار، طبرستان والرويان ودنباوند وسماء محمداً وجعل له مرتبة الاصفهيد. فلم يزل والياً عليها حتى توفي

(١) وجد نقص في المخطوطة فأكملناه من المختصر ومن البلاذري ٣٢٣ ويقع هنا فيما بين العضادين.

المأمون واستخلف المعتصم، فأقره عليها ولم يعزله عنها. فأقام على الطاعة مدة ثم غدر وخالف وذلك [١٥٠ ب] بعد ست سنين [وأشهر] من خلافة المعتصم. فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر - وهو عامله على خراسان والري وقومس وجرجان - يأمره بمحاربته. فوجه إليه عبد الله، الحسن بن الحسين [عقه] في جماعة من رجال خراسان. ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب في خلق من جند الحضرة، فلما قصدته العساكر، خرج إلى الحسن بن الحسين بغير عهد ولا عقد، فأخذه وحمله إلى سرمرى في سنة خمس وعشرين ومائتين فضرب بالسياط بين يدي المعتصم حتى مات وصلب في سنة خمس وعشرين ومائتين مع بابك على العقبة التي بحضرة مجلس الشرطة. وافتتحت طبرستان وتقلدها عبد الله بن طاهر، وطاهر بن عبد الله بعده^(١).

وكان صاحبها قبل ذلك في أيام المنصور وبعدها، إذا أحسن من عامل خراسان بضعف لم يعطه الطاعة ولم يعطه الصلح الذي فوزق عليه. فلما قتل المنصور أبا مسلم وفعل تلك الأفعال، هابه اصهبذ خراسان وكتب إليه بالطاعة ووجه رسوله بالهدايا فقبل المنصور ذلك منه وبرر رسوله والطفه وأقام بالحضرة ي كاتب صاحبه بما يحتاج إلى علمه.

وكان الاصبهذ يوجه بالهدايا والالطاف في النيروز والمهرجان. وطالت أيام المنصور على الاصبهذ فكتب إلى رسوله بالانصراف إليه وأمسك أن يبعث بما كان به من الهدايا. فلما خالف عبد الرحمن بن عبد الجبار على المنصور وجه إليه أبا عون القائد ومعه أبو الخصيب. فلما ظفرا بعبد الجبار وأسراه، كتب المنصور إلى أبي الخصيب بولايته قومس وجرجان وطبرستان ويكون دخوله من طريق جرجان. وكتب إلى أبي عون أن يسير إلى طبرستان ويكون دخوله من طريق قومس.

وكان الاصبهذ في مدينة يقال لها الاصبهذان بينها وبين البحر أقل من

(١) من قوله (ولم يزل أهل طبرستان) حتى هنا موجود عند ابن خرداذبه حيث التطابق يكون حرفياً في أغلب الأحيان. وقد أكملنا بعض النقص ووضعتها بين عضادتين اعتماداً على ابن خرداذبه.

ميلين، فبلغه خبر [دخول] الجيش، فهرب إلى الجبل، إلى موضع يقال له الطاق. وهذا الموضع كان في القديم [١٥١ أ] خزانة لملوك الفرس. وكان أول من انخذه خزانة، منوجهر، وهو نقب في موضع من جبل صعب السلوك لا يجوزه إلا الراجل بجهد. وهذا النقب شبيه بالباب الصغير. فإذا دخله الإنسان مشى فيه نحواً من ميل في ظلمة شديدة. ثم يخرج إلى موضع واسع شبيه بالمدينة قد أحاطت بها الجبال من كل جانب، وهي جبال لا يمكن أحد الصعود إلى أقلها ارتفاعاً، ولو استوى له ذلك ما قدر على النزول.

وفي هذه^(١) الرحبة الواسعة مغائر وكهوف لا يلحق أمد بعضها، وفي وسطها عين غزيرة الماء تنبع من صخرة ويغور ماؤها في صخرة أخرى، بينهما نحو عشرة أذرع، ولا يعرف أحد لما بعد هذا موضعاً.

وكان في أيام ملوك الفرس، يحفظ هذا النقب رجلان معهما سلم من جبل يدلونه من الموضع إذا أراد أحدهما النزول في الدهر الطويل. وعندهما جميع ما يحتاجان إليه لسنين كثيرة.

فلم يزل الأمر في هذا النقب وفي هذه الخزانة على ما ذكرنا إلى أن ملك العرب، فحاولوا الصعود إليها فتعذر ذلك، ولم يقدروا عليه إلى أن ولي المازيار طبرستان، فقصد هذا المكان وأقام عليه دهرأ حتى استوى صعود رجل من أصحابه إليه. فلما صار إليه دلى حبلاً وأصعد قوماً فيهم المازيار حتى وقف على ما في تلك الكهوف والمغائر من الأموال والسلاح والكنوز، فوكل بجميع ذلك قتيماً من ثقاته وانصرف. فكان الموضع في يده إلى أن أسر ونزل الموكّلون به أو ماتوا، وانقطع السبيل إليه إلى هذه الغاية.

وذكر سليمان بن عبد الله أن إلى جانب هذا الطاق شبيهاً بالدكان، وأنه إن صار إليه إنسان فلطخه بعذرة أو بشيء من سائر الأقدار، ارتفعت في الوقت سحابة عظيمة فمطرت عليه حتى تغسله وتنظفه وتزيل ذلك القذر عنه. وإن ذلك شهر في

(١) في الأصل: هذا.

البلد يعرفه أهله ولا يتمارى فيه اثنان من أهل تلك الناحية في صحته، وانه لا يبقى عليه شيء من الأقدار صيفاً ولا شتاءً [١٥١ ب].

قال: ولما هرب الاصبهيد إلى الطاق وجّه أبو الخصيب في أثره قواداً وجنداً، فلما أخبر بهم هرب إلى الديلم وعاش بعد هروبه سنة ثم مات.

وأقام أبو الخصيب في البلد ووضع على أهله الخراج والجزية وجعل مقامه بسارية وبنى بها مسجداً جامعاً وجعل فيه منبراً، وكذلك بآمل أيضاً.

وكانت ولايته سنتين^(١) وستة أشهر.

ثم ولي أبو العباس الطوسي.

ثم أبو خزيمة، سنتين.

ثم روح بن حاتم، سنتين وستة أشهر.

ثم خالد بن برمك، خمس سنين [وعمل بها العجائب وظفر بخزائن ملوك فارس في الطاق وبنت المصمغان]^(٢).

ثم عمرو بن العلاء، أربع سنين.

ثم سعيد بن دعلج، سنتين.

ثم عمرو بن العلاء ثانية، سنتين.

ثم تميم بن سنان، ثلاث سنين.

ثم يزيد بن سويد، سنة وأربعة أشهر.

ثم سعيد الحرشي، ستة أشهر.

ثم مقاتل بن صالح، سنة.

ثم سلم بن نافع، ستة أشهر.

ثم جرير بن سنان، أربع سنين وأربعة أشهر.

(١) في المختصر: سنة.

(٢) من المختصر.

- ثم سليمان بن داود، أربعة أشهر.
- ثم هاني بن هاني، سنتين.
- ثم حميد بن قحطبة، سنة وستة أشهر.
- ثم مقاتل بن صالح أيضاً ثانية، ستة أشهر.
- ثم إبراهيم بن عثمان ستة أشهر.
- ثم سعيد بن سلم، ستة أشهر.
- ثم الجنيد بن دعلج، ستة أشهر.
- ثم حماد بن عبد العزيز ستة أشهر.
- ثم المشني بن الحجاج بن عبد الملك بن القعقاع، ستة أشهر.
- ثم يحيى بن معاذ، تسعة أشهر.
- ثم موسى بن يحيى، تسعة أشهر.
- ثم عبد الله بن حازم، سنة وستة أشهر.
- ثم سعيد الجوهري، سنة.
- ثم مهرويه، سنتين.
- ثم عبد الله بن الحرمي، ثلاث أربع سنين.
- ثم عبد الله بن مالك، أربع سنين.
- ثم موسى بن جعفر، سنتين.
- ثم عبد الله بن سعيد، سنتين.
- ثم عبد الله بن أبي سعد، سنة.
- ثم محمد بن أخيه، سنة.
- ثم موسى بن حفص، أربع سنين.
- ثم محمد بن موسى، سنتين.
- ثم طاهر بن الحسين.

ثم عبد الله بن طاهر.

ثم طاهر بن عبد الله [١٥٢ أ].

ثم محمد بن طاهر. وكان خليفته عليها سليمان بن عبد الله بن طاهر. فخرج عليه الحسن بن زيد العلوي الحسيني في سنة تسع وأربعين ومائتين. فأخرجه عنها وغلب عليها إلى أن مات وقام مكانه أخوه محمد بن زيد^(١).

وذكر أبو يزيد بن أبي عتاب^(٢) قال: رأيت فيما يرى النائم ستة ثمان وأربعين ومائتين وأنا بمدينة الري، وقد بتنا على فكر من الاختلاف بين القائلين بالسيف وبين أصحاب الإمامة. فقال القائل منا: قد قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: الخير بالسيف والخير مع السيف. فأجابه مجيب: والدين بالسيف، وقد أمر الله عز وجل نبيه (ﷺ) أن يقيم الدين بالسيف. ثم تفرقنا. فلما كان الليل وأخذت مضجعي من النوم، رأيت في منامي كأن قائل يقول:

هذا ابنُ زيدٍ أناكم ثائراً حرداً يقيم بالسيف ديناً واهي العمَدِ
يشورُ بالشرقِ في شعبانٍ منتصباً سيفَ النبيِّ صفى الواحدِ الصمَدِ
يفتحُ السهلَ والأجبالَ مقتحماتاً من الكَلارِ إلى جرجانَ فالجَلَدِ
وأُملاً ثم سألوساً وغيرهما إلى الجزائرِ من رومانَ فالبلدِ
[ويصرفُ الخيلَ عنها بعدَ ثالثةٍ من السنينَ إلى الزوراءِ بالعمَدِ]
[فيهدمُ السورَ منها ثم ينهبها ويقصدُ الثغرَ من قزوينَ بالحردِ]
ويملكُ القطرَ من حَرشاءَ ساكنِهِ ما لاح في الجوِّ نجمٌ آخرَ الأبدِ

قال: فورد محمد بن رستم الكلاري ومحمد بن شهریار الروياني^(٣)، [من آل معدان] الري في سنة خمسين ومائتين - وكانا يريان السيف - فتطلبيا رجلاً من

(١) في المختصر إنه غلب عليها عام ٢٥٠ هـ وبقي إلى أن مات في ٢٧١ هـ.

(٢) في المختصر: غياث.

(٣) عن الكلاري والروياني انظر تاريخ طبرستان ٢٣٦، ٢٣٧ و٢٨١ وابن الأثير ٧: ١٣١.

العلوية يجعلانه شيخاً مقيماً بطبرستان ليدفعاً جور سليمان بن عبد الله . فما زالوا يطلبان ويلتزمان حتى وقع اختيارهما على الحسن بن زيد الحسيني رضي الله عنه فبايعاه في شهر رمضان من هذه السنة، وخرجوا يوم الاثنين لسبع بقين من شهر رمضان سنة خمسين ومائتين نحو طبرستان . فخطب الحسن بن زيد يوم الفطر بالكلاز والرويان ثم أخرج بعد مُدِيدة يسيرة سليمان بن عبد الله [١٥٢ ب] عن البلد لسوء سيرته .

واضطرب أمر آل طاهر بخراسان . واعتل الحسن بن زيد، فلما حضرته الوفاة، جعل الأمر من بعده لأخيه محمد بن زيد، فلم يزل عليها حتى دخلت سنة أربع وثمانين، وكان المعتضد كتب إلى عمرو بن الليث الصفار يأمره بالمصير إلى خراسان وأن يطلب رافع بن هرثمة الذي بلغه من معه إلى محمد بن زيد وأنه على أن يبيض^(١) . فصار إلى خراسان ولقي رافع بن هرثمة فأوقع به وهزمه وأخذه قريباً من خوارزم فقتله وحمل رأسه إلى مدينة السلام وصفت خراسان للصفار .

فلما كان في سنة خمس وثمانين ومائتين، كتب المعتضد إلى الصفار يأمره بطلب إسماعيل بن أحمد ويقول في كتابه أن قد وليتك [ما] إليه من العمل . وكتب إلى إسماعيل بمثل ذلك . فسار كل منهما إلى صاحبه والتقوا بناحية نسا وابتوردا فقتل بينهما خلق كثير وانصرف كل منهما إلى بلده . حتى إذا دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين سار إسماعيل بن أحمد نحو الصفار وعبر النهر يريد - والصفار في زهاء مائة ألف رجل مقيم بمدينة بلخ - فنزل إسماعيل على باب المدينة وحاصره فيها . فلما أجهدته الحصار وضائق عليه وعلى أصحابه الميرة والعلوفة، خرج إليه، فلما التقيا انهزمت خيل الصفار، وأخذ الصفار أسيراً مع جماعة من وجوه قواده فحمله إلى مدينة سمرقند وحبس هناك [ثم بُعث إلى بغداد] .

واتصل الخبر بمحمد بن زيد وهو بطبرستان، فطمع في جرجان وسار نحوها ونزل عليها . فرد إليه إسماعيل رجلاً من قواده يعرف بمحمد بن هارون فواقعه على

(١) كذا في الأصل .

باب مدينة جرجان فهزمه وقتل خلقاً من أصحابه، ووجد محمد بن زيد قتيلاً وأسر ابنه زيد، [وذلك يوم الجمعة لخمس خلون من شوال سنة ٢٨٧] ^(١)، ولم يرد أصحابه من الهزيمة شيء حتى وافوا طبرستان فلما اجتمعوا بها تشاوروا واتفق رأيهم على أن يجعلوا الأمر للمهدي بن زيد بن محمد - وهو يومئذ صبي لم يبلغ [١٥٣ أ] وعملوا أن يفعلوا ذلك يوم الجمعة ونادوا في الناس أن يجتمعوا للبيعة. وكان في القواد رجل ^(٢) يعرف بالزرد قد طابقتهم على ما أجمعوا عليه. فلما قربوا من باب المسجد، نشر الزرد أعلاماً سوداً ووضع في أصحاب محمد بن زيد السيف فقتل منهم خلقاً وخطب للمعتضد بالله على منابر طبرستان وذلك في ذي القعدة سنة سبع وثمانين ومائتين.

فكان بين أول ولايتهم إلى أن خرجت عنهم سبع وعشرون ^(٣) سنة.

قالوا: ومن عجائب طبرستان دوية سوداء برّاقة تظهر في أيام العنب فقط وتكون في عناقه قدرها دون الخنصر طولاً وفوق الخيط الدقيق جسماً، فيها خطوط بيض يسميها الناس ذات ألف قائمة، ولها قوائم دقاق قصار نابذة على بطنها في صفوف فإذا تحركت فكانت أمواج [تضطرب] وتذكر النساء أن من شربت منها شيئاً منعها عن الحمل.

ويطبرستان أيضاً دابة في عظم الثعلب لها شعر كشعر الدلق وجناحان لاصقان بها كأجنحة الخفاش ولها أنياب وطعامها الثمر تطير من شجرة إلى شجرة كما يطير الطائر.

قال: وأخبرني سليمان بن يحيى أنه رأى ثعلباً حُمِلَ من خراسان إلى المتوكل، له جناحان يطير بهما.

قال علي بن ربن ^(٤) كاتب المازيار كان بطبرستان طائر يسمونه كنكر يظهر

(١) من المختصر.

(٢) في الأصل: رجلاً.

(٣) في الأصل: وعشرين. وفي المختصر إن المدة كانت ٣٨ سنة.

(٤) في الأصل: زين، وفي ياقوت (٣: ٥٠٧) (طبرستان): علي بن رزين. والصواب ما أثبتناه.

أيام الربيع، فإذا ظهر تبعه جنس من العصافير موشاة الريش، فيخدمه كل يوم. واحد منها نهاره أجمع، يجيئه بالغذاء ويزقه به. فإذا كان في آخر النهار وثب على ذلك العصفور^(١) فأكله. حتى إذا أصبح وصاح، جاءه آخر من تلك العصافير فكان معه على ما ذكرنا، فإذا أمسى أكله. فلا يزال على هذا مدة أيام الربيع. فإذا زال الربيع، فقدَّ هو وسائر أشكاله، وكذلك أيضاً ذلك الجنس من العصافير فلا يرى شيء من الجميع إلى قابل في ذلك الوقت. وهو طائر في قدر الفاخنة وذنبه مثل ذنب البيغاء وفي منسره تعقيف.

وقد يفعل هذا البوم أيضاً في الجمال فإنهن يتعلقن بغصن من أغصان الشجر ثم يصوتن [١٥٣ ب] صوتاً تعرفه العصافير - وفي طبع العصافير معاداة البوم - فإذا سمعن ذلك الصوت اجتمعن ولا يزلن يرفرفن على البوم، فكلما أمكنه شيء منهن وثب فأخذ ومن لا يبرحن من الترفرف عليه حتى يأخذ منهن ما يريد. فإذا اكتفى طار.

قال: ووجه المنصور خالد بن برمك إلى طبرستان لمحاربة الاصبهيد والمصمغان. وكانت الأكاسرة أيام هربهم من العراق إلى مرو وقتل يزدجرد، أودعوا جبل طبرستان نفيس أموالهم لصعوبته وشدة مسلكه وصيروا ذلك في القلاع. فلما وافى خالد بن برمك الجبل وملك قلاعه، وجد فيها من الجواهر والتيجان والمناطق والسيوف المكللة بالدر والياقوت والزمرد ما لا قيمة له، وظفر من ذلك أهل البلد شيء كثير، فعظم ذلك وكبر خالد في نفوسهم، لأنه فتح هذا الفتح الجليل ما كانوا بصورونه على تراسهم ويصورون المجانيق التي كان يرميهم بها.

فأما الاصبهيد لما دام الحصار عليه شرب السم وسقاه جميع حرمه فمات وماتوا.

وأما المصمغان فخرج معه نساؤه وسائر حرمه إلى خالد وجلس وأجلسهم

(١) في الأصل: وثب عليه العصفور. والتصحيح من ياقوت.

حوله على التراب. فرق له خالد وأجلسه على البساط وبعث به وسائر حرمه وبناته إلى المنصور. وكان له عدة بنات - وأمه بنت الاصبهذ - فصارت واحدة منهن إلى إسماعيل بن علي وأخرى إلى المهدي وأخرى إلى العباس بن محمد، فولدت له إبراهيم بن العباس. وكانت شكلة أم إبراهيم بن المهدي [فصارت إلى عبد الصمد بن علي]^(١) ثم صارت إلى المهدي فولدت له إبراهيم.

وكان يسار بين يدي خالد وهو بطبرستان بعدة ألوية وهو الذي بنى المنصورة واتخذ بها سوقاً ومسجداً جامعاً.



مركز تحقیقات کتب ویراثہ اسلامی

(١) من المختصر.

القول في أذربيجان

قال ابن المقفع^(١): أذربيجان أذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح، ويقال أذرباذ بن بيوراسف، وافتتحها المغيرة بن شعبة في سنة ٢٢ عنوة، ووضع عليها الخراج.

وأخبرني وإقْدُ أن العرب لما نزلت أذربيجان نزلت إليها عشائرها من المصريين والشاميين، وغلب كلُّ قوم على ما أمكنهم، فصار أهلها مزارعين لهم، فكانت ورثانُ منطرة، فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وأحيا أرضها وحصنها فصارت ضيعةً، ثم قبضت عن بني أمية، فصارت لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور، وكان الورداني من موالها، وكانت برزند قرية فعسكر بها الأفشين أيام محاربتة بابك فحصنها وبناها، وكانت المِراغة تدعى أقراهروذ، وكانت موضع متمرغ لدواب مروان بن محمد والي أرمينية ودواب أصحابه، فكانوا يسمونها قرية المِراغة، ثم حذف الناس قرية فقالوا المِراغة، وكان أهلها ألجوها إلى مروان فقبضت مع ضياع بني أمية، وصارت لبعض بنات الرشيد، فلما عاث الوجداء الأزدي وصدقة بن علي مولى الأزد وأفسدوا، وتلى خزيمة بن خازم أرمينية وأذربيجان في خلافة الرشيد، فبنى سورها وحصنها ومصرها وأنزلها جنداً كثيفاً، فلما ظهر بابك بأرمينية لجأ الناس إليها فنزلوها وتحصنوا بها؛ وأما مرند فكانت قرية صغيرة فحصنها أبو البَيْعِث، ثم حصنها البَيْعِث، ثم من بعده محمد ابنه، وبنى بها قصرأ.

(١) لابن المقفع كتاب اسمه (ربيع الدنيا) ينقل عنه گردیزی في تاريخه. فربما كان هو الذي ينقل عنه ابن الفقيه هنا.

وأما أَرَمِيَّة فمدينة قديمة يزعم المجوس أن زَرَدُشت صاحبهم منها، وكان
صَدَاقَةُ بن عليّ مولى الأزد غلب عليها وبنى بها قصوراً، وأما تَبْرِيز فنزلها الرُّوَاد
الأزديّ ثم الوَجْناء بن الرُّوَاد، وبنوا بها وحصّنها بسور فنزلها الناس معه، وأما
المَيّانج وجيلبايا فمنازل الهمدانيّين، وأما كورة بَرزّة فللأوْدِيّين، وأما نَرِيز فكانت
قرية لها قصر قديم متشعث، فنزلها مُرّ بن عمرو الموصليّ الطائيّ، فبنى بها
وسكنها وولده، فصاروا يتولّونه دون عامل آذربيجان، وأما سَراة ففيها جماعة من
كندة من ولد مَنْ كان مع الأشعث بن قيس.

وروى مكحول الشاميّ قال: أسرع الأرض خراباً أرمينية، قيل: وما يخرّبها؟
قال: سَنابك الخيل كاني أنظر إلى خلاخيل نساء قيس تضطرب فدار فيها الخيل.

وحدّ آذربيجان من حدّ بَرزْدَعَة إلى حدّ زَنْجان، ومن مدنها: بَرَكْري،
وَسَلَمَاس، ومُوقان، وخُويّ، وورثان، واليَلَقان، والمَراغة، ونَرِيز، وتَبْرِيز،
ويَتصل الحدّ الثاني من الجانب الشرقيّ ببلاد الديلم، والطَرَم، وجِيلان، ومن
مدنهم: بَرزّة، وسابَرْخاست، والخُونج، والمَيّانج، ومَرَنْد، وخُويّ وكُولسَره،
وبَرزَنْد، وكانت خراباً فمدّنها الأَفْشِين ونزلها، والطريق من بَرزَنْد إلى وَرثان وهي
آخر عمل آذربيجان اثنا عشر فرسخاً، ومنها: جَنْزّة، وجَابِرَوَان، وأَرَمِيَّة مدينة
زَرَدُشت، والشيز وبها بيت نار آذرْجُشْتَس، وهو عظيم القدر عند المجوس،
ورستاق السَلَق، ورستاق سِنْدَبَايا، والبَدّ، ورستاق ماينهرج، ورساتيق أَرَم،
وخراج آذربيجان ألفا ألف درهم، وورثان آخر عمل آذربيجان من ذلك الوجه.

القول في أرمينية

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي: سميت أرمينية بأرميني بن كنعاني وهو ابن يونان بن يافث.

وحدّ أرمينية من بَرْدَعَة إلى الباب والأبواب، وإلى حدّ الروم من ذلك الوجه، وإلى جبل القَبْق ومُلك السَّرِير ومُلك اللَّكْز.

ومن آخر عمل آذربيجان وهو ورثان إلى أوّل عمل أرمينية ثمان سكك، ومن بَرْدَعَة إلى تَقْلِيس عشر سكك، وأرمينية الأولى هي السَّيْجَان، وأَرَّان، وتَقْلِيس.

وافتحها حبيب بن مَسْلَمَة ومنها بَرْدَعَة وبناها قباذ الأكبر، وبنى الباب والأبواب وبناها قصوراً، وإنما سميت أبواباً لأنها بُنيت على طُرُق في الجبل، وهي ثلثمائة وستون قصراً إلى باب اللان مائة قصر، وعشرة قصور في أيدي المسلمين إلى أرض طَبَرَسَرَان، وباقي القصور في أرض فيلان. وصاحب السرير إلى باب اللان^(١).

ومن أرمينية الأولى: البَيْلَقَان وقَبْلَة وشَرْوَان، وأرمينية الثانية: جُرْزَان وصُغْدَبِيل وباب فَيْرُوز قَبَاذ واللَّكْز، وأرمينية الثالثة: البُسْفَرْجَان ودَبِيل وسِرَاج طَيْر وبَغْرَوْنَد والنَّشَوِي، وأرمينية الرابعة: وفيها قبر صَفْوَان بن المَعْطَل السَّلَمِي صاحب رسول الله (ﷺ) بينها وبين حصن زياد، عليه شجرة لا يُعْرَف ما هي، حملها يشبه اللوز وطعمه أطيب من الشهد، شُمْشَاط، وخِلَاط، وقَالِقَلَا، وأَرْجِيش،

(١) يورد المؤلف بعد هذا وباختصار قصة فتح أرمينية. ولما كنا مستغل خبر فتحها بعد قليل اعتماداً على ياقوت الذي صرح أنه نقلها عن ابن الفقيه فلا داعي لذكر المختصر.

وباجنيس، وكانت كور أران والسيجان في مملكة الحزر.

وفي قصة موسى: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ قَالَ: الصخرة صخرة شروان والبحر بحر جيلان والقرية باجروان.

وبنى قباد مدينة البيلقان أيضاً، ومدينة برذعة، ومدينة قبلة، وبني سد اللبن، وبني علي سد اللبن ثلثمائة وستين مدينة، خربت بعد بناء الباب والأبواب ثم ملك بعده ابنه كسرى أنوشروان فبنى مدينة الشابران، ومدينة مسقط، ومدينة كركرة، ثم بنى مدينة الباب والأبواب، وإنما سُميت أبواباً لأنها بُنيت على طُرُق في الجبل، وبني بأرض أران أبواب شكى، وأبواب الدودانية، وهم أمة يزعمون أنهم من بني دودان بن أسد بن خزيمه، وبني الدُرزُوقية وهي اثنا عشر باباً، كل باب منها فيه قصر من حجارة، وبني بأرض جُززان مدينة يقال لها سُغْدَبِيل، وأنزلها قوماً من السغد وأبناء فارس، وجعلها مسلحة؛ وبني باب اللان، وباب سَمْسَخِي، وبني قلعة الجَرْدَمَان، وقلعة شَمْسُلْدِي، وبني بَلَنْجَر وسَمَنْدَر وخَزَرَان، وشَكِي، وفتح جميع البلاد ما كان في أيدي الروم، وعمر مدينة دَبِيل وحصنها، وبني مدينة التَشَوِي وهي مدينة كورة البُسْفَرَجَان، وبني حصن ونص وقلاعاً بأرض السيسجان منها قلعة الكلاب وشاهبوش وأسناها من سِيَّاسِيَجِيَّة ذوي البأس والنجدة، وبني الحائط بينه وبين الحزر بالصخر والرصاص وعرضه ثلثمائة ذراع، حتى ألحقه برؤوس الجبال، ثم قاده في البحر وجعل عليه أبواب حديد، فكان يحرسه مائة رجل بعد أن كان يحتاج إلى خمسين ألف رجل.

وفي أخبار الفرس أن أنوشروان لما فرغ من سد ثغر بَلَنْجَر، وقَدَّ الفند في البحر وأحكمه، سُرَّ بذلك سروراً شديداً، فأمر أن ينصب له على الفند سرير من ذهب، ثم رقي إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا ربَّ الأرباب ألهمني سدَّ هذا الثغر وقمع العدو، فلك الحمد فأحسنْ مثويتي، وردَّ غريبي إلى وطني، ثم ركع وسجد، ثم استوى واستلقى على فراشه، وأغفى إغفاءةً، فطلع طالع من البحر سدَّ الأفق لطوله، وارتفعت معه غمامة سترت الضوء، وأهوى نحو الفند فبادر الأساورة إلى قسيهم، وانتبه الملك فزعاً فقال: ما شأنكم؟ ف قيل له فقال: أمسكوا

عن سلاحكم فلم يكن الله جلّ وعزّ ليُلهمني الشخوص عن وطني اثني عشر حولاً حتى أسدّ ثغراً يكون مرفقاً لعباده وراحة لأهل إقليمه، ثم يسلط عليّ بهيمة من بهائم البحر، فتتخى الأساورة وأقبل الطالع نحو الفند حتى علاه ثم قال: أيّها الملك أنا ساكن من سكّان هذا البحر، وقد رأيت هذا الثغر مسدوداً سبع مرّات، وخراباً سبع مرّات، وأوحى الله جلّ وعزّ إلينا معاشر سكّان البحر أن ملكاً عصره عصرك وصورته صورتك يبعثه الله لسدّ هذا الثغر، فيسدّه إلى الأبد، وأنت ذلك الملك، فأحسن الله مثوبتك، وعلى البرّ معونتك، وأطال مدّتك، وسكّن يوم الفرع الأكبر روعتك، ثم غاص في البحر. وكذلك بنى مدينة شروان، فأما بلنجّر داخل أرض الخزّر فبناها بلنجّر بن يافث.

ولما فرغ أنوشروان من الفند الذي في البحر سأل عن ذلك البحر فقيل: أيّها الملك هذا البحر يسمّى بكردييل، وهو ثلثمائة فرسخ في مثله، وبيننا وبين بيضاء الخزّر مسيرة أربعة أشهر على هذا الساحل، ومن بيضاء الخزّر إلى السدّ الذي سدّه أسفنديار بالحديد مسيرة شهرين، قال أنوشروان: لا بدّ من الوقوف عليه، قالوا: فليس إليه طريق يُسلك، وفيه موضع يقال له دهبان شير، وفيه دُرْدُور^(١) لا يُطْمَع فيه، ولا في سلوكه، ولا تنجو سفينة منه، فقال: لا بدّ من ركوبه والإشراف على هذا الدردور والنظر إلى هذا السدّ، فقالوا: أيّها الملك اتّق الله في نفسك ومن معك، فأبى وقال: إن الذي نجاني من الخارج علينا من البحر لقادر أن ينجينا من دردوره، فهَيَّئْتُ له سفن وركب معه عدّة من الرّهّاد والعُباد، ولجّجوا في البحر أيتاماً، حتى إذا وافوا موضع الدردور بقوا متحيرين لا يرون علماً يجعلوه مناراً لهم، ولا جبلاً يقيموه إمارَةً لِمُنْصَرَفِهِمْ، فرجعوا على الملك باللوم؛ فقال أنوشروان: أخلصوا لله نياتكم واضرعوا إليه وابتهلوا إلى الله عزّ وجلّ، ونذر أنوشروان لئن نجاه الله ليصدّقنّ خراج سبع سنين في أهل الفاقة من مملكته، فبينما هم كذلك إذ رُفِعَتْ لهم جزيرة تعلوه الأمواج وفوق الجزيرة تمثال أسد في عظم

(١) الدُرْدُور: موضع في وسط البحر يجيش ماؤه لا تكاد تسلم منه السفينة. وقال الجوهري: الدردور: الماء الذي يدور، ويخاف منه الغرق. لسان العرب (در).

جبل، يدخل الماء في مؤخره، وينحط من فيه إلى ذلك الدردور، فبينما هم كذلك إذ بعث الله جلّ وعزّ بقرش - سمكة أعظم من الثنين - ينساب على الماء، فطفرت في فم الأسد وسكن الدردور ونفذت السفن حتى وصل إلى ما أراد، وانصرف إلى جرجان وقضى نذره.

وذكر أحمد بن واضح الأصبهاني أنه أطال المقام ببلاد أرمينية، وأنه كتب لعدة من ملوكها وعمّالها، وأنه لم ير بلداً أكثر خيراً، ولا أعظم حيواناً منها، وذكر أن عدة ممالكها مائة وثلاث عشرة مملكة، منها: مملكة صاحب السرير بين اللان وباب الأبواب، وليس إليها إلا مسلکان: مسلک إلى بلاد الخزر، ومسلک إلى بلاد أرمينية، وهي ثمانية عشر ألف قرية، وأران أول مملكة بأرمينية فيها أربعة آلاف قرية، وأكثرها قرى صاحب السرير.

وباب الأبواب أفواه شعاب في جبل القبق، فيها حصون كثيرة منها: باب صول، وباب اللان، وباب الشايران، وباب لازقة، وباب بارقة، وباب سمسجن، وباب صاحب السرير، وباب قیلانشاه، وباب طارونان، وباب طبرسران شاه، وباب إيران شاه.

وكان السبب في بناء باب الأبواب على ما حدّث به أبو العباس الطوسي^(١) قال: هاجت الخزر مرة في أيام المنصور فقال لنا: أتدرون كيف بناء أنوشروان الحائط الذي يقال له الباب؟ قلنا: لا. قال: كانت الخزر تغير في سلطان فارس حتى تبلغ همذان والموصل. فلما ملك أنوشروان بعث إلى ملكهم فخطب إليه ابنته على أن يزوجه إياها ويعطيه هو أيضاً ابنته ويتوادعا ثم يتفرغا لأعدائهما. فلما أجابه إلى ذلك، عمد أنوشروان إلى جارية من جواريه نفيسه فوجه بها إلى ملك الخزر على أنها ابنته وحمل معها ما يحمل مع بنات الملوك. وأهدى خاقان إلى أنوشروان ابنته. فلما وصلت إليه كتب إلى ملك الخزر: لو التقينا فأوجبتنا المودة

(١) من شخصيات البلاط العباسي واسمه الفضل بن سليمان كان من حاشية المنصور ثم ولي خراسان للرشد (ابن الأثير ٥: ٥٠٣ و ٦: ٢١٥) توفي عام ١٧١ (الطبري ٨: ٢٣٥).

بيننا. فأجابه إلى ذلك وواعده إلى موضع سماء.

ثم التقيا فأقاما أياماً. ثم إن أنوشروان أمر قائداً من قواده أن يختار ثلاثمائة رجل من أشداء أصحابه، فإذا هذأت العيون أغار في عسكر الخزر. فحرق وعقر ورجع إلى العسكر في خفاء. ففعل.

فلما أصبح بعث إليه خاقان: ما هذا؟ بيّت عسكري البارحة؟

فبعث إليه أنوشروان: لم تؤت من قبلنا فابحث وانظر. ففعل، فلم يقف على شيء. ثم أمهله أياماً وعاد لمثلها حتى فعل ثلاث مرات، وفي كلها يعتذر ويسأله البحث فيبحث فلا يقف على شيء. فلما أثقل ذلك على خاقان، دعا قائداً من قواده وأمره بمثل ما أمر به أنوشروان. فلما فعل، أرسل إليه أنوشروان: ما هذا؟ استبيح عسكري الليلة وفعل بي وصنع. فأرسل إليه خاقان: ما أسرع ما ضجرت! قد فعل هذا بعسكري ثلاث مرات، وإنما فعل بك أنت مرة واحدة.

فبعث إليه أنوشروان: هذا عمل قوم يريدون أن يفسدوا فيما بيننا، وعندني رأي لو قبلته رأيت ما تحب. قال: وما هو؟ قال: تدعني أن أبني حائطاً بيني وبينك وأجعل عليه باباً فلا يدخل بلدك إلا من تحب ولا يدخل بلدي إلا من أحب. فأجابه إلى ذلك وانصرف خاقان إلى مملكته.

وأقام أنوشروان يبني الحائط بالصخر والرصاص وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع وعلوه حتى ألحقه برؤوس الجبال ثم قاده في البحر. فيقال إنه نفخ الزقاق وبني عليها فأقبلت تنزل والبناء يصعد حتى استقرت الزقاق على الأرض، ثم رفع البناء حتى استوى مع الذي على الأرض في عرضه وارتفاعه. وجعل عليه باباً من حديد ووكل به مائة رجل يحرسونه بعد أن كان يحتاج إلى مائة ألف رجل. ثم نصب سريره على الفند الذي صنعه على البحر وسجد سروراً بما هياه الله على يده ثم استلقى على ظهره وقال: الآن حين استرحت.

ووصف بعضهم هذا السد الذي بناه أنوشروان فقال: إنه جعل طرفاً منه في البحر فأحكمه إلى حيث لا يتهياً سلوكه. وهو مبني بالحجارة المنقورة المربعة

المهندمة لا يقل أصغرهما خمسون رجلاً وقد أحكمت بالمسامير والرصاص . وجعل في هذه السبعة فراسخ ، سبعة مسالك على كل مسلك مدينة . ورُتب فيها قوم من المقاتلة من الفرس يقال لهم الانشاستكين .

وكان على أرمينية وظائف رجال لحراسة ذلك السور ، مقدار ما يسير عليه عشرون رجلاً بخيلهم لا يتزاحمون .

وذكر أن بمدينة الباب على باب الجهاد فوق الحائط اسطوانتين من حجر على كل اسطوانة تمثال أسد من حجارة بيض ، وأسفل منهما حجرين على كل حجر تمثال لبؤتين ، وبقرب الباب صورة رجل من حجر وبين رجله صورة ثعلب في فمه عنقود عنب ، وإلى جانب المدينة صهريج معقود له درجة تنزل إلى الصهريج منها إذا قل ماؤه ، وعلى جني الدرجة أيضاً صورتا أسد من حجارة يقولون إنهما طلسمان للسور .

وأما حديثها أيام الفتوح فإن سلمان بن ربيعة الباهلي غزاها في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتجاوز الحصنين وبلغ ولقيه خاقان ملك الخزر في جيشه خلف نهر بلنجر فاستشهد سلمان بن ربيعة وأصحابه . وكانوا أربعة آلاف - فقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يذكر سلمان بن ربيعة وقتيبة بن مسلم الباهليين يفتخر بهما :

وإن لنا قبرين : قبر بلنجر وقبر بصين أستان يا لك من قبر
فهذا الذي بالصين عمّت فتوحه وهذا الذي يُسقى به سبل القطر^(١)

(١) ما بين عضادتين من معجم البلدان (باب الأبواب) ويأتي بعد بيني الشعر أعلاه ما يلي (يريد أن الترك أو الخزر لما قتلوا سلمان بن ربيعة وأصحابه كانوا يبصرون في كل ليلة نوراً عظيماً على موضع مصارعهم ، فيقال إنهم دفنوا سلمان بن ربيعة وجعلوه في تابوت وسيروه إلى بيت عبادتهم ، فإذا أجذبوا أو أقحطوا ، أخرجوا التابوت وكشفوا عنه فيقرون) . ولا ندرى هل ان هذا التعليق من ابن الفقيه أم من ياقوت . وفي فتوح البلدان ١٩٩ رواية تختلف في تفصيلاتها في أمر أنوشروان وبناء السد عما هو هنا .

وقالِيقلاً امرأة بنت مدينة قالِيقلاً فُسِّبَت إليها، ومعنى ذلك إحسان قالي،
وأما بُحيرة الطَّريخ فلم تزل مباحة حتى ولي محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة
وأرمينية فحوى صيدها، ثم صارت لمروان بن محمد فقبضت عنه.

وفتح حبيب بن مسلمة لعثمان بن عفان من أرمينية مدناً كثيرة، وولى
عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلي من قبل معاوية، ثم وليها ابنه عبد
العزيز، فبنى مدينة دَيبِل إلى مدينة بَرْذَعَة ومدناً كثيرة، ففتح حبيب بن مسلمة
لعثمان بن عفان من أرمينية: جُراح، وكَسْفَر، وكِسَال، وشُخَّان، وسَمْسَخِي،
والجَزْدَمَان، وكسفى بيس، وشوشيت، وبازكيت صلحاً، على أن يؤدوا أتاوة عن
رؤوسهم وأراضيهم، وصالح الصَّارِية، وأهل قَلَزَجِيَت والدُّودَانِيَّة على أتاوة.

وكانت شَمُكُور مدينة قديمة فوجَّه إليها سَلَمَان بن ربيعة من فتحها، فلم تزل
مَسْكُونَة حتى أخرجها السَّاورْدِيَّة^(١)، قوم تجمَّعوا أيام انصراف يزيد بن أسيد^(٢) عن
أرمينية، فغلظ أمرهم وكثرت نوابجهم، ثم إن بغا مولى المعتصم بالله عمرها
وحصنها ونقل إليها التجار وسمَّاهَا المَتَوَكِّلِيَّة^(٣). وفتح سَلَمَان بن ربيعة مدينة
الْبَيْلَقَان صلحاً، ووجَّه خيله ففتحت سَيْسَر، والسَّقْوَان، وأوْذ، والمَصْرِيَان،
والمَهْرَجْلِيَان، وهي رساتيق غامرة وفتح غيرها من أَرَّان؛ ودعا أكراد البلاسجان
إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقرَّ بعضهم بالجزية وأدَّى بعضهم الصدقة؛ ثم سار
سَلَمَان إلى مجمع الكُرِّ والرَّسْم خلف بَرْذِيح، فعبر الكُرَّ ففتح قَبْلَة وصالحه شَكْن
والْقَمِيَّسَرَان، وخَيْزَان، وملك شَرْوَان، وسائر ملوك الجبال، وأهل مَسْقَط
والشَّابْرَان، ومدينة الباب، ثم أغلقت هذه بعده، ولقيه خاقان في خيوله خلف نهر

(١) لدى ياقوت (شمكور): الساوردية وفي البلاذري ٢٠٦: الساوردية.

(٢) لدى الطبري ٨: ١٤٢ حوادث ١٦٢ هـ (فيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من باب قالِيقلاً فغنم
وفتح ثلاثة حصون وأصاب سبياً كثيراً وأسرى). وخبر فتح شمكور موجود في البلاذري
٢٠٦.

(٣) في ياقوت (شمكور) (إن بغا مولى المعتصم عمرها في سنة ٢٠٦ هـ وهو والي أرمينية
وأذربيجان وشمشاط وسمهاها المتوكلية) وهو يتفق مع ما لدى البلاذري ٢٠٦.

بلنجر، فقتل (رحمه الله) في أربعة آلاف من المسلمين، وكان سلمان أول من استقضى بالكوفة أقام أربعين يوماً لا يأتيه خصم، وقد روي عن عمر بن الخطاب.

قالوا: ولما فتح حبيب ما فتح من أرض أرمينية كتب بذلك إلى عثمان، فوافاه كتاب نعي سلمان فهم بأن يوليّه، ثم رأى أن يجعله غازياً لشغور الشام والجزيرة، فولّى ثغر أرمينية حذيفة بن اليمان العنسيّ ثم عزله، وسار حبيب راجعاً إلى الشام، فكان يغزو الروم ونزل حمص فنقله معاوية إلى دمشق فتوفي بها. وولّى أرمينية المغيرة بن شعبة ثم عزله، وولّى القاسم بن ربيعة الثقفيّ، وولّى الأشعث بن قيس لعلّي بن أبي طالب أرمينية وأذربيجان، ثم وليها غير واحد إلى أن وليها مروان بن محمد، ففتح بلاد الخزر وأمعن فيهم.

ثم جاءت الدولة العباسيّة فولّى أبو جعفر الجزيرة وأرمينية في خلافة أخيه أبي العباس، ثم استخلف وولّى يزيد بن أسيد السلمي، وفتح باب اللان ورثب فيه رابطة من أهل الديوان، ودوّخ الصنارية حتى أدوا الخراج، ثم إن أهل أرمينية استعصوا في ولاية الحسن بن قحطبة الطائي بعد عزل يزيد بن أسيد، فبعث المنصور بالأمداد وعليهم عامر بن إسماعيل، فأوقع الحسن بموشايل وكان رئيسهم، وفرّق جمعه واستتب له الأمر وهو الذي سب إليه نهر الحسن بالبيلقان، وباع الحسن ببرذعة والضياع المعروفة بالحسنيّة، ثم ولي بعد الحسن عثمان بن عمارة، ثم رّوح بن حاتم المهلبّي، ثم خزّيمة بن خازم، ثم يزيد بن مزّيد الشيبانيّ، ثم عبيد الله بن المهديّ، ثم الفضل بن يحيى، ثم سعيد بن سلم، ثم محمد بن يزيد بن مزّيد، وكان خزّيمة أشدّهم ولاية، وهو الذي سنّ المساحة بدّيل ونشوى، ولم يكن قبل ذلك. ثم وليهم خالد بن يزيد بن مزيد في ولاية المأمون، ثم ولّى المعتصم بالله الحسن بن عليّ الباذغيسيّ المعروف بالمأمونيّ الذي واصل بطارقة أرمينية ولان لهم حتى خرجوا عليه، ثم لم يزل يتولّى أرمينية عمّالاً كانوا يرضون اليسير من أهلها، حتى ولّى المتوكّل فبعث إليها يوسف بن محمد بن يوسف المروزيّ لستين من خلافته^(١).

وقالوا: أعظم حيوان أرمينية الشاء، والثيران، والكلاب، وبراذينها صغار،

(١) ما ورد أعلاه عن فتوح أرمينية موجود لدى البلاذري ١٩٧ وما بعدها حتى ٢١٣.

وكذلك جمالها صفار. تكاد صدورها تصيب الأرض تشبه إبل الترك.

وجبل القَبْقُ فيه اثنان وسبعون لساناً، كلُّ إنسان لا يعرف لغة صاحبه إلا بترجمان، وطوله خمس مائة فرسخ، وهو متصل ببلاد الروم إلى حدِّ الحَزْر واللان، ويتصل ببلاد الصقالبة، وفيه أيضاً جنس من الصقالبة والباقون أرمن. وقالوا: إن هذا الجبل جبل العَرَج الذي بين المدينة ومَكَّة، يمضي إلى الشام ويتصل بلُبنان من حمص: وسنير من دمشق، ثم يمضي فيتصل بجبال أنطاكية والمضيصة، ويسمى هناك اللُكَّام، ثم يتصل بجبال مَلْطِيَّة وشَمَشَاط وقاليقلا إلى بحر الخزر، وفيه الباب والأبواب ويسمى هناك القَبْق.

[أخبرني أبو الهيجا اليمامي وكان أحد بُرْد الآفاق وكان صدوقاً فيما يحكي: إن بقاليقلا بيعة للنصارى وفيها بيت لهم كبير تكون فيه مصاحفهم وصلبانهم^(١)، فإذا كان ليلة الشعانين يخرج من موضع من البيت تراب أبيض إلى الصباح، فإذا كان الصباح انضمَّ موضعه إلى قابل من ذلك الوقت، فيأخذه الرهبان فيدفعونه إلى الناس وخاصيته للسموم والعقارب والحيات يداف منه وزن دائق بماء ويشربه الملدوغ والمسلوع فيسكن على المكان. وفيه أعجوبة أخرى وذلك أنه إن بيع هذا التراب وأخذ عليه شيء من عرض الدنيا لم ينتفع صاحبه ولم يُبرئه من وجعه.

ومن عجائب أرمينية: بُحيرة خَلَاط فإنها عشرة أشهر لا يرى فيها ضفدع ولا سرطان ولا سمكة، ثم يظهر السمك بعد ذلك شهرين وسمكه كله مُسْتَرَاث^(٢).

وقال أبو المنذر: اتَّخَذَ الطَّلسمات كُوش بن حام بن نوح، والضحاك ذو الحِشَّين، وذو القرنين، ويوسف بن يعقوب، وموسى بن عمران، وحُلُوان العمليقي، وبليناس الرومي وقانبوس.

وحدُّ آذربيجان إلى الرَّسِّ والكُرِّ بأرمينية، ومخرج الرِّس من قاليقلا، ويمرُّ بأَرَّان فيصبُّ فيه نهر أَرَّان، ثم يمرُّ بورَّثان، ويمرُّ بالمجمع فيجتمع هو والكُرُّ

(١) من ياقوت (قاليقلا) الذي صرح بنقله هذه المادة عن ابن الفقيه.

(٢) في ياقوت (خَلَاط) نسب هذه المعلومة إلى ابن الكلبي.

وبيتھما مدينة البيلقان، ويمران جميعاً فيصبتان في بحر جرجان. والرسّ وإد عجيب، وفيه أنواع من السمك، وفيه يكون الشورماهي ولا يكون إلا في هذا الوادي، ويجيء في كلّ سنة في وقت معلوم، كمثّل أصناف حيتان البحر وقواطع السمك، فإنها تجيء في أوقات معلومة كالاستور، والجراف، والبرستوج، فإن هذه الأنواع تأتي البصرة من أقاصي البحار تستعذب الماء في ذلك الإبان، ألا إن البرستوج يُقبل إليهم من الزنج يستعذب الماء من دجلة البصرة، يعرف ذلك جميع البحرية، وهم يزعمون أن الذي بين البصرة وعمان أبعد ما بين البصرة والزنج، وإنما غلط الناس فزعموا أن الصين أبعد لأن بحر الزنج حفيرة واحدة عميقة واسعة، وأمواجه عظام، ولذلك البحر ريح تهبّ قويّة؛ ومن عمان إلى جهة الزنج شهران، فلما كان البحر عميقاً والريح قويّة والأمواج عظيمة والخيرات ببلاد الزنج قليلة، وكان الشراع لا تحطّ وكان سيّره مع الوتر، ولم يكن مع القوس ولا يعرفون الكنب والمكا، صارت الأيام التي تسير فيها قسمة الزنج أقرب؛ فالبرستوج يقطع أمواج البحر، ويسبح من الزنج إلى البصرة، ثم يعود ما فضل عن صيد الناس إلى بلاده، فتبارك الله أحسن الخالقين؛ وإنما عُرف الشورماهي في هذا النهر من بين السمك لطيبه ولذّته وكثرة دسمة ورطوبة لحمه.

قالوا: ولنا الممّ الكثير وهو الثرنجيين، ولنا القرمز الذي ليس يُشركنا فيه أحد، وهي دودة حمراء تظهر أيّام الربيع، فتلتقط ثم تطبخ ويصنع بها الصوف؛ والأشق دابة تكون بأرمينية شبه السّور، لينة المفاصل ويّرة الجلد، ويبلغ الثور جُملةً وأنيابها جيّدة للمحبة، تؤخذ أنيابها ومخاليبها فتجفّف وتسقى من تحبّ فإنه يحبّك حبّاً شديداً. ولنا الفوة الكثيرة، وبها معدن الزبيق والقلقند والقلقطار والأسرب، ولهم الثيران الأرمينية، والشاه بلوط، والخلنج الكثير، ويتخذون منه عجائب، وتقطع هذه من غبضة ملتفة بناحية برذعة، كثيرة الشجر والنبات تتصل بالخزر وتمزّ إلى ناحية خوارزم تسمّى غبضة الرحمان.

وتقرير أرمينية ألفا ألف وثلاثة وثلاثون ألفاً وتسع مائة وخمسة وثمانون درهماً.

وخارج الباب ملك سور واللّكز، وملك اللان، وملك فيلان، وملك المسقط، وصاحب السرير، ومدينة سمندر، ومن جرجان إلى خليج الخزر إذا كانت الرياح طيبة ثمانية أيام، والخزر كلهم يهود وإنما هودت من قريب^(١)؛ ومن بلاد الخزر إلى موضع السدّ شهران قال الله جلّ وعزّ في سورة الكهف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْتَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكْنُا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا فَاتَّبَعَ سَبِيًّا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ - إلى قوله - : ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أراضيتهم فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا شيئاً يابساً إلا احتملوه. فقال: ما مكّني فيه ربّي خيرٌ فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً، قالوا: ما الذي تريد؟ قال: زبر الحديد - يعني قطع الحديد - ثم أمر بالحديد فضرب منه لبناً عظاماً، وأذاب النحاس، ثم جعل يملأه اللبن النحاس وبني به الفجّ وسوّاه مع قلتي الجبل، فلما فرغ منه أمر بالنحاس فأذيب وأفرغ عليه من فوقه فصار شبيهاً بالمُصمت، فلما فرغ منه جاز تلك الأرض فقطعها في أربعة أشهر منصرفاً.

وفي الخبر: أنه لما انتهى إلى موضع السدّ اجتمع إليه خلق كثير، فقالوا له: يا أيّها الملك المظفر إن خلف هذا الجبل أمماً لا يحصيهم إلا الله جلّ وعزّ، وقد أخبروا علينا بلادنا وزروعنا. قال: وما صفتهم؟ قالوا: هم قوم قصار صلح عراض الوجوه. قال: وكم صنف هم؟ قالوا: هم أمم كثيرة لا يحصيهم إلا الله. قال: وما أساميهم؟ قالوا: أما من قرب منا فهم سث قبائل: ياجوج، وماجوج، وتاويل، وتاريس، ومثسك، وكماري؛ وكلّ قبيلة من هؤلاء مثل جميع أهل الأرض؛ فأما من كان في البعد منا فإننا لا نعرف قبائلهم، وليس لهم إلينا منفذ إلا من هذا

(١) حدث اعتناق الخزر لليهودية في عام ٧٤٠ للميلاد (إمبراطورية الخزر وميراثها ص ٤٢) أي عام ١٢٣ للهجرة.

الوجه. وهذا الفج، فهل نجعل لك خرجاً على أن تسدّه عليهم وتكفيئنا أمرهم.
قال: فما طعامهم؟ قالوا: يقذف البحر إليهم في كل عام سمكتين مسيرة عشرة أيام
كل سمكة منهما. قال: فبني هذا السدّ وفي الخبر قال: السدّ طريقة حمراء من
نحاس، وطريقة سوداء من حديد، ويأجوج ومأجوج أربع وعشرون قبيلة، فكانت
قبيلة منهم في الغزو وهم التُّرك، فردم ذو القرنين السدّ على ثلاث وعشرين قبيلة.

قال مقاتل بن سليمان: وإنما سئوا الترك لأنهم تركوا خلف الردم، قالوا:
وإذا نزل عيسى (عليه السلام) وقتل الدجال الملعون ظهر يأجوج ومأجوج فيقوم عيسى في
المسلمين خطيباً، فيحمد الله ويشني عليه ويقول: اللهم انصر القليل في طاعتك
على الكثير في معصيتك، فينصر الله المؤمنين عليهم؛ وفي خبر عن وهب بن منبه
قال: هم قوم طول، أحدهم مثل نصف الرجل المربع متناً، لهم مخاليب في
مواضع الأظفار في أيدينا، ولهم أضراس وأنياب كالسباع، ولهم آذان عظام
يفترشون الاحدى ويلتحفون بالأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف
أجله، وذلك أنه لا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، وكذلك الرجال
منهم، وهم يُرزقون الثنين في الربيع ويستمطرونه لحينه، كما يُستمطر الغيث
لحينه، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الذئب، ويتسافدون حيث ما
التقوا كتسافد البهائم، ولما عاين ذو القرنين ذلك منهم انصرف إلى ما بين
الصدفَين، فقام ما بينهما وهو منقطع أرض الترك ممّا يلي المشرق، فوجد بُعداً ما
بينهما فرسخاً وهو ثلاثة أميال، فحفر له أساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه
ميلاً، وجعل حشوه زبر الحديد أمثال الصخور، وطينه النحاس يذاب فيصَّبُ عليه،
فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرّفه بزبر الحديد والنحاس
المذاب، وجعل خلاله عرقاً من نحاس أصفر، فكانه بُرد مجرّ من صفرة النحاس
وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه انصرف راجعاً. وقال ابن عباس:
الأرض ستة أجزاء: فيأجوج ومأجوج منها خمسة أجزاء، وسائر الخلق في جزء
واحد. وقال المعلّى بن هلال الكوفي: كنت بالمضيضة فسمعتهم يتحدثون أن
البحر ربما مكث أياماً وليالي لا يصفق أمواجه، ويُسمع له دويٌّ شديد، فيقولون:

ما هذا إلا شيء قد آذى دواب البحر فهي تضح إلى الله تعالى، قال: فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر، ثم تقبل أخرى وأخرى حتى عد سبع سحاب، ثم ترتفع إلى جانب آخر تنهزم تتبعها التي تليها، والرياح تصفقها ثم يرتفعن جميعاً في السماء، وقد أخرجن شيئاً يرون أنه التين حتى يغيب عنا ونحن نراه ورأسه في السحاب وذنبه يضطرب، فيطرحه إلى يأجوج ومأجوج فيسكن البحر لذلك.

وقال المنصوري: إن السحاب الموكل بالتين يخطفه حيث ما وجده كما يخطف حجر المغناطيس الحديد، حتى صار لا يطلع رأسه خوفاً من السحاب، ولا يخرج رأسه إلا في الفرد إذا صحت السماء، وربما احتمله السحاب فانفلت منه ووقع في البحر، فتجيء السحابة بهذه ورعد وبرق فتدخل في البحر فتستخرجه ثانية، فربما مر في طريقه بالشجرة العادية فيقتلعها والصخرة العظيمة فيرفعها، وكان في بعض زمان حكيم يقال له بقراطيس فشا الموت في قرى هناك ففحص عنه بقراطيس هذا فإذا بتين قد أخرج السحاب وانفلت منه. فوقع وتتن، فأبلغ ذلك إلى أهل القرى فذهب بقراطيس فجمع الدراهم وجبى أهل القرى، واشترى بها ملحاً فألقاه عليه حتى سكن ذلك التين، وأسلم الله أهل البلاد، قال بقراطيس: فذهبت إليه لأنظر ما هو فوجدت طوله فرسخين وعرضه أذرع كثيرة، وجسمه مستدير ولونه مثل لون النمر، مفلس كفلوس السمك، وله جناحان عظيمان كأجنحة السمك بالقرب من رأسه الذي يتشعب منه الرؤوس، وهذا الرأس على خلقة رأس الإنسان مثل التل العظيم، وله أذنان طويلتان عريضتان كأذان الفيل، ويتشعب من ذلك الرأس ستة أعناق، طول العنق عشرة أذرع، على كل عنق رأس شبيه برأس الحية.

وحدث سلام الترجمان^(١) أن الواصل بالله لما رأى في منامه كأن السد الذي

(١) قال المقدسي في أحسن التقاسيم ٢٧٧ (ط بيروت): (قرأت في كتاب ابن خرداذبه وغيره في قصة هذا السد على نسق واحد. واللفظ والإسناد لابن خرداذبه لأنه كان وزير الخليفة وأقدر على ودائع علوم خزانة أمير المؤمنين مع أنه يقول: حدثني سلام المترجم).

بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج قد انفتح، فطلب رجلاً يخرج به إلى
الموضع فيستخير خبره.

فقال اشناس^(١): ما هاهنا أحد يصلح إلا سلام الترجمان - وكان يتكلم
بثلاثين لساناً -

قال: فدعا بي الوراق وقال: أريد أن تخرج إلى السد حتى تعينه وتجيئني
بخبره. وضم إليّ خمسين رجلاً شباب أقوياء ووصلني بخمسة آلاف دينار،
وأعطاني ديني عشرة آلاف درهم. وأمر فأعطي كل رجل من الخمسين ألف درهم
ورزق سنة، وأمر أن يهيأ للرجال اللبايد وتغشى بالأديم واستعمل لهم
الكستبانات^(٢) بالفراء والركب الخشب وأعطاني ماتني بغل لحمل الزاد والماء.

فشخصنا من سر من رأى بكتاب من الوراق بالله إلى إسحاق بن إسماعيل
صاحب أرمينية وهو بتفليس في انفاذنا. وكتب لنا إسحاق إلى صاحب السرير.
وكتب لنا صاحب السرير إلى ملك اللان إلى فيلان شاه. وكتب لنا فيلان شاه إلى
طرخان ملك الخزر.

فأقمنا عند ملك الخزر يوماً وليلة حتى وجه معنا خمسة أدلاء فسرنا من عنده
سنة وعشرين يوماً، فأنتهينا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة. وكنا قد تزودنا قبل
دخولها خلاً نشمه من الرائحة المنكرة. فسرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا إلى مدن
خراب فسرنا فيها عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يوماً.
فسألنا عن حال تلك المدن فخبّرنا أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها
فخربوها.

ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعبة منه المد وفي تلك

(١) اشناس التركي أحد القادة العسكريين للمعتصم والوراق الذي كان يجله حتى أنه توجه بهتاج
والبسه وشاحين بالجواهر. توفي عام ٢٣٠ هـ. (انظر الطبري ٩ : ١٢٤ والمنتظم ١١ : ٧٩،
١٥٥).

(٢) لم نهتد إلى معناها.

الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية، مسلمون يقرأون القرآن لهم كتابات ومساجد فسألونا من أين أقبلنا، فأخبرناهم إننا رسل أمير المؤمنين. فأقبلوا يتعجبون ويقولون أمير المؤمنين! فنقول نعم. فقالوا: شيخ هو أم شاب؟ فقلنا شاب. فعجبوا أيضاً فقالوا: أين يكون؟ فقلنا بالعراق في مدينة يقال لها سرّ من رأى. فقالوا: ما سمعنا بهذا قط.

وبين كل حصن من تلك الحصون إلى الحصن الآخر فرسخ إلى فرسخين أقل وأكثر.

ثم صرنا إلى مدينة يقال لها إبكة، تربيعها عشرة فراسخ ولها أبواب حديد يرسل الأبواب من فوقها وفيها مزارع وأرجاء داخل المدينة وهي التي كان ينزلها ذو القرنين بعسكره. بينها وبين السدّ مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين السدّ حصون وقرى حتى تصير إلى السدّ في اليوم الثالث. وهو جبل مستدير ذكروا أن يأجوج ومأجوج فيه وهما صنفان، ذكروا أن يأجوج أطول من مأجوج. ويكون طول أحدهم ما بين ذراع إلى ذراع ونصف وأقل وأكثر.

ثم صرنا إلى جبل عال عليه حصن والسدّ الذي بناه ذو القرنين هو فجّ بين جبلين عرضه مائتا ذراع وهو الطريق الذي يخرجون منه فيتفرقون في الأرض. فحفر أساسه ثلاثين ذراعاً إلى أسفل وبناه بالحديد والنحاس حتى ساقه إلى وجه الأرض ثم رفع عضادتين مما يلي الجبل من جنبي الفجّ، عرض كل عضادة خمس وعشرون ذراعاً ونصفاً في ذراع ونصف في سمك أربع أصابع، ودروند حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً قد ركب على العضادتين على كل واحدة بمقدار عشر أذرع في عرض خمس أذرع وفوق الدروند بناء بذلك اللبن الحديد في النحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مدّ البصر يكون البناء فوق الدروند نحواً من ستين ذراعاً، وفوق ذلك. شرف حديد في طرف كل شرفة قرنتان تنشي كل واحدة منهما على الأخرى، طول كل شرفة خمس أذرع في عرض أربع أذرع، وعليه سبع وثلاثون شرفة. وإذا باب حديد بمصراعين معلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمس وسبعين ذراعاً في ثخن خمس أذرع وقائمتاهما في

دَوَّارَةٌ عَلَى قَدَرِ الدَّرُونْدِ، لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ وَلَا مِنَ الْجَبَلِ رِيحٌ كَأَنَّهُ خُلِقَ خَلْقَةً.

وَعَلَى الْبَابِ قِفْلٌ طَوْلُهُ سَبْعُ أَذْرُعٍ فِي غَلْظِ بَاعٍ فِي الْإِسْتِدَارَةِ. وَالْقِفْلُ لَا يَحْتَضِنُهُ رَجُلَانِ. وَارْتِفَاعُ الْقِفْلِ مِنَ الْأَرْضِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعاً وَفَوْقَ الْقِفْلِ بِقَدَرِ خَمْسِ أَذْرُعٍ غَلَقٌ طَوْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ طَوْلِ الْقِفْلِ وَقَفِيزَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ذِرَاعَانِ، وَعَلَى الْغَلَقِ مِفْتَاحٌ مَعْلُوقٌ طَوْلُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ وَلَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ دَنْدَانِكَةً^(١)، كُلُّ دَنْدَانِكَةٍ فِي صِفَةِ دَسْتِجِ الْهَوَاوِينِ، وَاسْتِدَارَةُ الْمِفْتَاحِ أَرْبَعَةُ أَشْبَارٍ مَعْلُوقٌ فِي سِلْسِلَةٍ مَلْحُومَةٍ بِالْبَابِ طَوْلُهَا ثَمَانِي أَذْرُعٍ فِي اسْتِدَارَةِ أَرْبَعَةِ أَشْبَارٍ. وَالْحَلْقَةُ الَّتِي فِيهَا السِّلْسِلَةُ مِثْلُ حَلْقَةِ الْمَنْجَنِيْقِ. وَعَتَبَةُ الْبَابِ عَرْضُهَا عَشْرُ أَذْرُعٍ فِي بَسْطِ مِائَةِ ذِرَاعٍ سِوَى مَا تَحْتَ الْعِضَادَتَيْنِ، وَالظَّاهِرُ مِنْهَا خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَهَذِهِ الذِّرَاعُ كُلُّهَا بِالذِّرَاعِ السُّودَاءِ.

وَمَعَ الْبَابِ حَصْنَانِ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَتِي ذِرَاعٍ فِي مِائَتِي ذِرَاعٍ وَعَلَى بَابِ هَذَيْنِ الْحَصْنَيْنِ شَجَرَتَانِ وَبَيْنَ الْحَصْنَيْنِ عَيْنٌ عَذْبَةٌ، وَفِي أَحَدِ الْحَصْنَيْنِ آلَةُ الْبِنَاءِ الَّتِي بَنَى بِهَا السَّدَّ مِنَ الْقُدُورِ الْحَدِيدِ وَالْمِغَارِفِ الْحَدِيدِ، عَلَى كُلِّ دِيكَدَانٍ^(٢) أَرْبَعُ قُدُورٍ مِثْلُ قُدُورِ الصَّابُونِ. وَهَنَّاكَ بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّبَنِ الْحَدِيدِ قَدْ التَّرَّقَّ بِعِضِهِ بَعْضُ مِنَ الصَّدَأِ.

وَرِئِيسُ تِلْكَ الْحَصُونِ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسَ. وَهَمَّ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ الْبَابَ كَمَا يَتَوَارَثُ الْخُلَفَاءُ الْخِلَافَةَ. يَجِيءُ رَاكِباً وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ عَلَى عُنُقِ كُلِّ رَجُلٍ مَرْزَبَةٌ، وَمَعَ الْبَابِ دَرَجَةٌ، فَيَصْعَدُ عَلَى أَعْلَى الدَّرَجَةِ فَيَضْرِبُ الْقِفْلَ ضَرْبَةً فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَيَسْمَعُ لَهُمْ جَلْبَةً مِثْلُ كَوْرِ الزَّنَائِيرِ ثُمَّ يَخْمَدُونَ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الظُّهْرِ ضَرْبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى وَيَصْغِي بِأُذُنِهِ إِلَى الْبَابِ فَتَكُونُ جَلْبَتُهُمْ فِي الثَّانِيَةِ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلَةِ ثُمَّ يَخْمَدُونَ. فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ ضَرْبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَضْجُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَقْعَدُ إِلَى مَغِيبِ الشَّمْسِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ.

(١) مَصْفَرٌ كَلِمَةُ دَنْدَانٌ وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ تَعْنِي السِّنَّ. وَهِيَ هُنَا تَعْنِي الْأَسْنَانَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَمْتَدُّ عَلَى طَوْلِ الْمِفْتَاحِ. أَمَّا دَسْتِجُ الْهَوَاوِينِ، فَهِيَ الْمِدْقَةُ. وَالدَّرُونْدُ الَّتِي مَرَّتْ قَبْلَ قَلِيلٍ فِيهِ - كَمَا فِي كِتَابِ السَّامِيِّ فِي الْأَسَامِيِّ ٥٣١ - : مِغْلَاقُ الْبَابِ.

(٢) الْأَثَافِي الَّتِي تَنْصَبُ لِيُوضَعَ الْقَدَرُ عَلَيْهَا.

الغرضُ في قرع القفل أن يسمع مَنْ وراء الباب فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً.

وبالقرب من هذا الموضع حصن كبير يكون عشرة فراسخ في عشرة فراسخ، تكسیره مائة فرسخ.

قال سلام: فقلت لمن كان بالحضرة من أهل الحصون: هل عاب من هذا الباب شيء قط؟ قالوا: ما فيه إلا هذا الشق، والشق كان بالعرض مثل الخيط دقيق. فقلت: تخشون عليه شيئاً؟ فقالوا: لا، إن هذا الباب ثخنه خمسة^(١) أذرع بذراع الاسكندر يكون ذراعاً ونصفاً بالأسود، كل ذراع واحدة من ذراع الاسكندر.

قال: فدنوت وأخرجت من خُفي سكيناً فحككت موضع الشق فأخرج منه مقدار نصف درهم وأشدّه في منديل لأريه الوائق بالله.

وعلى فرد مصراع الباب الأيمن في أعلاه مكتوب بالحديد باللسان الأول «فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً».

وننظر إلى البناية وأكثره مخطط مساف أصفر من نحاس وساف أسود من حديد، وفي الجبل محفور الموضع الذي صُب فيه الأبواب وموضع القدور التي كان يخلط فيها النحاس والموضع الذي كان يُغلى فيه الرصاص والنحاس وقدور شبيهة بالصفير لكل قدر ثلاث عرى فيها السلاسل والكلايب التي كان يمدّ بها النحاس إلى فوق السور.

وسألنا مَنْ هناك؟ هل رأيتم من ياجوج وماجوج أحداً؟ فذكروا أنهم رأوا مرة عدداً فوق الجبل فهبت ريح سوداء فآلفتهم إلى جانبهم، وكان مقدار الرجل في رأي العين شبراً ونصفاً.

والجبل من الخارج ليس له متن ولا سفح ولا عليه نبات ولا حشيش ولا شجرة ولا غير ذلك وهو جبل مسلتطح قائم أملس أبيض.

(١) في الأصل: خمس.

فلما انصرفنا أخذ الأدلاء بنا ناحية خراسان، وكان الملك يسمى اللب، ثم خرجنا من ذلك الموضع وصرنا إلى موضع يقال له طبانوين وهو صاحب الخراج فأقمنا عندهم أياماً وسرنا من ذلك الموضع حتى وردنا سمرقند في ثمانية أشهر، ووردنا إلى اسبيشاب وعبرنا نهر بلخ ثم صرنا إلى شروسة وإلى بخارا وإلى ترمذ ثم وصلنا نيسابور ومات من الرجال الذين كانوا معنا ومن مرض منهم في الذهاب اثنان وعشرون رجلاً. من مات منهم دُفن في ثيابه ومن مرض خلفناه مريضاً في بعض القرى. ومات في المرجع أربعة عشر رجلاً.

فوردنا نيسابور ونحن أربعة عشر رجلاً - وكان أصحاب الحصون زودونا ما كفانا - ثم صرنا إلى عبد الله بن طاهر فوصلني بثمانية آلاف درهم ووصل كل رجل معي بخمسة مائة درهم. وأجرى للفارس خمسة دراهم وللراجل ثلاثة دراهم في كل يوم إلى الري. ولم يسلم من البغال التي كانت معنا إلا ثلاثة وعشرون بغلاً.

ووردنا سرّ من رأى فدخلت على الواثق فأخبرته بالقصة وأريته الحديد الذي كنت حككته من الباب. فحمد الله وأمر بصدقة يُصدق بها وأعطى الرجال كل رجل ألف دينار. وكان وصولنا إلى البلد في ستة عشر شهراً ورجعنا في اثني عشر شهراً وأيام^(١).

(١) كان دي خويه قد ترك فراغاً حين بدأ بقصة سلام الترجمان في طبعه لمختصر البلدان. ويبدو أنه لم يجد فائدة في كتابتها لأنها موجودة في المسالك والمعالك الذي طبعه هو ضمن مسلسل المكتبة الجغرافية. وقد أثّرنا نحن كتابتها هنا فنقلناها عن ابن خرداذبه فهو المصدر الأول لكل من روى تلك الرحلة. (انظر المسالك والمعالك ١٦٢ - ١٧٠).

القول في خراسان

قال دغفل: خرج خراسان وهبط ابننا عالج بن سام بن نوح لما تبلبلت الألسن، فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه - يريد أن هبطل نزل في البلد المعروف ببلد الهياطلة وهو وراء النهر، ونزل خراسان في قلعته المعروفة بخراسان دون النهر -.

وروي عن شريك [١٥٤ أ] بن عبد الله قال: خراسان كنانة الله، إذا غضب على قوم رماهم من كنانته.

وفي حديث آخر قال: ما خرجت من خراسان راية في جاهلية ولا إسلام فردت حتى تبلغ منهاها.

وحدثني أبو عبد الله الحسين بن أسأدويه [قال] حدثني أبو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين. قال: قال أبو عبد الله محمد بن مرزوق الهاشمي. حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال: حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لم يتزوج إبراهيم على سارة حتى ماتت، فتزوج بعدها امرأة من العرب العاربة يقال لها قنطورا بنت مقطير. فولدت له مدين ومداين. وهو مدين ونیشان وشوح. فأمر إبراهيم أن يضم إليه من [ولد إسماعيل وإسحاق ومدين ونيسان، ويخرج عنه مدين وأشتق وصرج. فقالوا له: يا أبانا، كيف تستجير أن تترك عندك إسماعيل وإسحاق ومدين ونيسان في الأمن والدعة وتخرجنا نحن عنك إلى الغربة] ^(١) والوحشة والوحدة؟ فقال بذلك أمرت.

(١) ما بين عضادتين تكملة من ابن الفقيه نفسه الذي سيكرر هذه الواقعة ضمن الفصل المخصص للترك، مع اختلافات طفيفة في كتابة بعض الأسماء.

ثم إن إبراهيم عليه السلام رحمهم فعلمهم اسماً من أسماء الله تعالى، فكانوا يستنصرون به على الأعداء ويستسقون في الجدوب. ونزلوا موضع خراسان فتناسلوا هناك وكثروا.

وسمعت بهم الخزر - وهم من بني يافث بن نوح - ووقفوا على ما معهم من أسماء الله تعالى، فقالوا: ينبغي لمن علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض أو يكون ملك الأرض ورجبوا في مصاهرتهم، فزوجههم وعلموهم الأسماء.

وقال الشعبي: كاني بهذا العلم وقد تحول إلى خراسان.

وقال: قرأت في كتاب حرب جوذرز وپيران، أن پيران كتب إلى جوذرز في رسالة طويلة: من پيران بن وسحان^(١) خليفه افراسياب ملك الترك من نسل طوس، إلى جوذرز بن جشواذان^(٢) من أهل بيت الكيان حافظ ثغور الأوثان. إني بعون الله أكافئك على سنة الوقار ورسائل السلم أيها الحكيم المتوج من السماء عقل الحكماء. قد مر ما كتبت إليك أن أباك^(٣) كيخسرو الطلب يؤثر سياوش. فإن افراسياب قسم الأرض وفصل الحدود كما فصلت قديماً أيام منوچهر وسير الترك عن قرى أريان ونزل غرجستان العظيمة الكثيرة العدد، والطاقان الحصينة الكثيرة الجبل والمراعي مجمع [١٥٤ ب] عساكر الثغور قديماً، وهراة الجمة الأموال وجشسدن دارات^(٤)؟ العامرة الكلية، وآمل وسط النهر، والترمد الممرعة المذكورة بالغناء والأموال، وبخارا التي وضع أفریدون بهابيت النار وأنزلهما الأسد المذكور، وبلغ العظيمة المنيرة الأنيفة المشهورة بالأعز المؤيدين^(٥)، ذات الجبال العالية

(١) غير منقوطة في الأصل. والصواب أن اسم هذا البطل الأسطوري هو: پيران ويسه پيران

(فرهنگ اساطير ص ١٤٣ مادة پيران) و (بيست مقاله ١ : ٧٨) وفي تاريخ غرر السیر ص ١٩٩

پيران بن وسكان.

(٢) في الشاهنامه (١ : ٢٥٣) جوذرز بن كشواذ.

(٣) في الأصل: أبوك.

(٤) لم نهتد إلى تصحيحها ولعل (دارات) هي (داراب ابجرد).

(٥) كذا.

والسهول العامرة التي تقول الكيانية إنها من بلد أريان في ناحية المشرق إلى السغد. وفي ناحية الحري من برية خوارزم إلى مصب بهروز في البحر من مساكن قبائل الترك وأرمينية المحصنة العظيمة سرّة أريان لا ينحسر ثلجها عن جبالها ولا ماؤها عن أنهارها، ولا تخلو أرضها من الثمار الكثيرة الكريمة والزروع العميمة، وآذربيجان العامرة الزاهرة ذات العيون الكثيرة في شواهد جبالها ومستوى أرضها. في كلام له طويل.

أويروي أن رسول الله (ﷺ) قال: تفتح أمتي أرضاً يقال لها خراسان عند نهرها الملعون، أوله رخاء وآخره بلاء.

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(١): أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة، ولم يزالوا في أكثر ملك العجم لقاحاً، لا يؤدون اتاوة ولا خراجاً. وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ ثم نزلوا بابل ثم نزل أردشير بن بابك فارس فصارت دار ملكهم، وصارت بخراسان ملوك الهياطلة. وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس، وكان غزاهم فكادوه بمكيذة في طريقه حتى سلك معطشة مهلكة، ثم خرجوا إليه فأسروه. فسألهم أن يمتنوا عليه وعلى من أسر معه من أصحابه وأعطاهم موثقاً من الله وعهداً مؤكداً أن لا يغزوهم أبداً ولا يجوز حدودهم، ونصب حجراً بينه وبينهم صيره الحد الذي حلف عليه، وأشهد على ذلك الله تعالى ومن حضره من أهله وخاصيته وأساورته. فمتنوا عليه وأطلقوه ومن أراد ممن أسر معه.

فلما عاد إلى مملكته، دخلته الأنفة والحمية مما أصابه وعاد لغزوههم ناكثاً الأيمان غادراً بدمته، وجعل الحجر الذي [١٥٥ أ] كان نصبه وجعله الحد الذي حلف أنه لا يجوزه محمولاً أمامه في مسيره يتأول فيه أنه لا يتقدمه ولا يجوزه. فلما صار إلى بلدهم ناشدوه الله وأذكروه به، فأبى إلا لجأجأ ونكث فواقعوه وقتلوه وحماته وكماته واستباحوا عسكره فلم يفلت منهم إلا الشريد.

(١) هو الدينوري.

وهم قتلوا كسرى بن قباد بن هرمزد.

فهذه حال خراسان قبل الإسلام. ثم أتى الله بالإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدّهم إليه مسارعة منّا من الله عليهم وتفضلاً وإحساناً منه عليهم. فأسلموا طوعاً ودخلوا فيه أفواجاً وصالحوا عن بلادهم صلحاً. فنخفت خراجهم وقلّت نوائبهم، ولم يجر عليهم مباء ولم يسقط فيما بينهم وبين المسلمين دم.

ولما رأى الله عزّ وجلّ سيرة بني أمية بعد عمر بن عبد العزيز وظلمهم العباد وإخراهم البلاد واستثثارهم بالفيء، وعكوفهم على المعازف والملاهي واللذات، وإعراضهم عما أوجب الله عليهم فيما قلّدهم، ابتعث جلوداً من أهل خراسان جمعهم من أقطارها كما يجمع قزح الخريف وألبسهم الهيبة ونزع من قلوبهم الرحمة، فساروا نحوهم كقطع الليل المظلم قد اتخذوا لبس السواد وأطالوا الشعور وشدّوا المآزر دون النساء حتى انتزعوا ملك بني أمية من أكبر ملوكهم سنّاً، وأشدّهم حنكة، وأحزمهم رأياً، وأكثرهم عادة وعديداً، وأعقلهم كاتباً ووزيراً، وسلموه إلى بني العباس.

مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

وقد كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لدعائه حين أراد توجيههم إلى الأمصار^(١): أما الكوفة وسوادها، هناك شيعة علي وولده. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ. [تقول كنّ عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل]^(٢). وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصاري. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم. وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. ولكن عليكم بأهل خراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك [١٥٥ ب] صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدم عليها فساد

(١) النص في عيون الأخبار ١: ٢٠٤ - ٢٠٥ وهو لدى الجاحظ في رسالة مناقب الترك (ص ٤٨٠ من مجموعة رسائل الجاحظ: الرسائل السياسية).

(٢) في المختصر فقط.

وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحي وشوارب وأصوات
هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة.

وبعد، فإني أتفاءل إلى المشرق إلى مطلع سراج الأرض ومصباح الخلق.

فلما بلغ الله إرادته من بني أمية وبني العباس، أقام أهل خراسان مع خلفائهم
على أسكن ريع وأحسن دعة وأشد طاعة وأكثر تعظيماً لسلطان وأحمد سيرة في
رعيته، تترين عندهم بالحسن ويستتر منهم بالقبح، إلى أن كان من قضاء الله ورأى
خلفاؤنا الاستبدال بهم وتصيير التدبير لغيرهم. ولا نذكر ما جرى بعد ذلك والله
المستعان.

وقال قحطبة بن شبيب لأهل خراسان: قال محمد بن علي بن عبد الله: يأي
الله أن يكون شيعتنا إلا أهل خراسان. لا تُنصر إلا بهم ولا ينصرون إلا بنا. انه
يخرج من خراسان سبعون ألف سيف مشهور، قلوبهم كزبر الحديد وأسماؤهم
الكنى وأنسابهم القرى، يطيلون شعورهم كالغيلان، جمعابهم قصرت كعابهم.
يطوون ملك بني أمية طياً ويزقون الملك إلينا زقاً. وأنشد لعصابة الجرجرائي:

الدارُ داران: إيوانٌ وغمدانُ والملكُ مُلكان: ساسانٌ وقحطانُ
والناسُ فارسٌ والإقليمُ بابلٌ والإسلامُ مكةٌ والدينُ خراسانُ
والجانبانِ العتيدانِ اللذانِ خُشيانِ منها بخارا وبلخُ الشا وارانُ
قد ميّزَ الناسَ أفواجاً ورثبهم فمرزبانٌ ويطريسقٌ ودهقانُ

ولخراسان طيب الهواء، وعدوبة الماء، وصحة التربة، وعدوبة الشمة
واحكام الصنعة ونعم الخلق وطول القامة وحسن الوجوه، وفراة المركب من
البراذين والإبل والشهاري والحمير، وجودة السلاح والدروع والثياب.

وهم أهل التجارب وأصبرهم على البؤس وأقلهم تنعماً وخفضاً. [فأهل
خراسان جنة للمسلمين دون الترك^(١) وهم يشخون فيهم القتل والأسر وبهم يُدفع

(١) في المختصر فقط.

إليه^(١) [١٥٦ أ] عن المسلمين ومعرتهم وكيدهم.

وقد جاء في الحديث: تاركوا الترك ما تاركوكم.

وجاء عن النبي (ﷺ) فيها ما لا أعلم أنه جاء مثله في شيء من البلاد إلا في الحرمين في الأرض المقدسة.

وقال: الترك أشد العدو بأساً وأغلظهم أكباداً.

وروي عن بريدة أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): يا بريدة، إنه ستبعث من بعدي بعوث. فإذا بُعثت فكن في بعث المشرق، ثم كن في بعث خراسان. ثم كن في أرض يقال لها مرو. فإذا أتيتها فانزل مدينتها. فإنه بناها ذو القرنين وصلى فيها عُزير. أنهارها تجري عليها بالبركة، على كل نقب^(٢) منها ملك شاهر سيفه يدفع عن أهلها سوء إلى يوم القيامة. فقدمها بريدة ومات بها.

وقد جهد الطاعن على أهل خراسان أن يدعي عليهم البخل ودقة النظر ويشنع بمثل قول ثمامة^(٣): إن الديك في كل بلد يلفظ ما يأكله في فمه للدجاجة بعدما قد حصل، إلا ديكه مرو فإنها تسلب الدجاجة ما في مناقيرها من الحب.

وهذا كذب بين ظاهر للعيان لا يقدم على مثله إلا الوقاع البهات الذي لا يتوقى الفضوح والعار. وما ديكه مرو إلا كالديكة في جميع الأرض. ولأهل خراسان أجواد مبزون لا يجارون ولا يبلغ شأوهم، منهم: البرامكة لا نعلم أن أحداً قرب من السلطان قريبهم فأعطى عطاءهم وصنع صنعمهم واعتقد بيوت الأموال

(١) كذا في الأصل ولعلها: الهم.

(٢) في المختصر: نهر.

(٣) ذم ثمامة بن أشرس هذا لأهل مرو في الحيوان ٢: ١٤٩. وهو من كبار المعتزلة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون وكان ذا نوادر وملح. قال الجاحظ في شأنه: «ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه. وكان لفظه في وزن وإشارته ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك» البيان والتبيين ١: ٦١. وعن ثمامة انظر ميزان الاعتدال ١: ٣٧٢.

وخزائن الخلفاء مثل اعتقادهم . ومن المشهور عنهم أنه لم يكن لخالد بن برمك صنعة ولا متحرم إلا بني له داراً على قدر كفايته ثم وقف على أولاده ما يعينهم أبداً . ولم يكن لأحد منهم إلا من جارية وهبها له .

ومن أهل خراسان القحاطبة وعلي بن هشام وعبد الله بن طاهر ، وخبر عنه بعض قواده أنه فرّق في مقام واحد ألف ألف دينار . وهذا يكثر أن يملك فضلاً عن أن يُوهب .

وأخبار البرامكة وهؤلاء الذين ذكرنا بعدهم فأكثر من أن تلحق أو تُعدّ أو توصف^(١) .

وممن سخت حاله وسمحت نفسه مما ملك ، عبد الله بن المبارك [١٥٦ ب] كان يفرق ماله على إخوانه ويؤثرهم بذخائره ويكسوهم الثياب المرتفعة ويحملهم على الدواب الفرهة ويلبس هو ثوباً بعشرة دراهم ، ويعطي صاحب الحمام ديناراً وللحمامي ديناراً .

فأما الأمة التي سبق أولها وعفا آخرها فأهل فارس . كانوا في سالف الدهر أعظم الأمم ملكاً ، وأكثرهم أموالاً ، وأشدّهم شوكة . وكانت الملوك في جميع الأطراف والأقاليم تعترف لهم بذلك ، وتعظم ملكهم وتغتنم منه أن يهاديهم . وكانت العرب تدعوهم الأحرار وبني الأحرار ، لأنهم كانوا يسبون ولا يسبون ويستخدمون ولا يُستخدمون . ثم أتى الله بالإسلام فكانوا كنار خمدت وكرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فتبدد جمعهم ومجت^(٢) قلوبهم ، ومزقوا كل ممزق ، فلم يبق في الإسلام منهم نبيه يُذكر ولا شريف يشهر إلا أن يكون عبد الله بن المقفع والفضل بن سهل .

وأهل خراسان دخلوا في الإسلام رغبة وطوعاً ، ثم هم أحسن الناس تقية

(١) في الأصل : يلحق أو يعد أو يوصف .

(٢) كذا في الأصل .

وأشدهم بالدين تمسكاً، فمنهم المحدثون والنبيل المشهورون والعلماء المتقدمون والعباد المجتهدون.

فإن قال قائل: كيف تدفع فارس عن حسن التقية مع قول النبي (ﷺ): لو كان الإيمان معلقاً^(١) بالثريا لئالته رجال من فارس؟ قلنا له: في هذا القول دليل على رغبة الموصوفين في الدين ومسارعتهم إليه وتمسكهم بسنن النبي (ﷺ) فيه. وإنما هو كقولك: لو كنت في أقاصي البلاد لزررتك، فزيد: لتجشمت الوصول إليك رغبة في لقائك. وخبر رسول الله (ﷺ) من الأمر يكون فيما بعد إنما هو عن الله عز وجل. ولا خلف لقول الله ولا تبديل. فإذا نحن تطلبنا مصداق هذا القول في أهل فارس لم نجد أولاً ولا آخرأ، إلا أن أول أمرهم في الإسلام على ما قد علمت من شدة العداوة للمسلمين ومحاربتهم إياهم حتى قهروا وهزموا وطلبوا ومزقوا، ولم تجد لهم [١٥٧] بعد ذلك رجالاً برعوا في العلم وعرفوا بالحفظ للأثر والتفقه في الدين والاجتهاد في العبادة إلا أن تجد من ذلك الشيء اليسير والنبيل المغمور.

فإن قال قائل: كان رسول الله (ﷺ) جعله في أهل فارس فكيف جعلته في أهل خراسان؟ قلنا: إن فارس وخراسان كانتا عند العرب شيئاً واحداً إلا أنهما يتحاذاً ويتصلان، لأن لسان أهل خراسان وفارس بالفارسية، فهم يسمون جميعاً الفرس. وكذلك المتكلمون بالعربية عند من لا يفصح من الأعاجم، عرب جميعاً. قال الشاعر يذكر بلاد فارس:

ففي بلدة لم تصل عكل بها طنباً	ولا خباء، ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا الاتلاد من يمن	لكنها لبني الأحرار أوطان
أرض يبني بها كسرى مساكنه	فما بها من بني اللخناء إنسان

وروى أبو الجلد عمر بن جيلان قال: الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف

(١) في الأصل: معلق. أما التقية الواردة هنا فقد نقل صاحب لسان العرب (وقي) عن ابن الأعرابي قوله: الثَّقا والثَّقبة والثَّقوى والإتقاء: كله بمعنى واحد.

فرسخ. فملك السودان، اثنا عشر ألف فرسخ. وملك الروم، ثمانية آلاف فرسخ. وملك فارس، ألفا فرسخ. وأرض العرب ألفا فرسخ^(١). فذكر [فارس] ولم يذكر خراسان، وهي أوسع منها، لأنه جعل المشرق كله من فارس وكذلك الروم. ولم يذكر ما يحاذيها من بلاد العجم جعله كله للروم.

وفي الحديث أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: غلبتنا هذه الحمراء - يعني العجم - فقال علي رضي الله عنه: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول ليضربنكم بالسيوف على دين الله إذا غيرتم وبدلتم كما ضربتموهم عليه. [١٥٧ ب].

فإذا نحن طلبنا مصداق ذلك في العجم وجدناه في أهل خراسان، لأنهم هم الذين ضاربوا بالسيوف العرب وأهل الشام غضباً لدين الله وإنكاراً لسيرة بني أمية حتى ابتزواهم الملك ونقلوه عن الشام إلى العراق.

[وروى زيد بن أبي زياد عن إبراهيم بن علقمة]^(٢) عن عبد الله بن مسعود أن النبي (ﷺ) قال: إن أهل بيتي يلقون من بعدى بلاءً ونطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق ومعهم رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فيُتصرون، فيُعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملؤها جوراً. فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج.

وقرأت في الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال: بحق أقول لكم، ليأتين قوم من المشرق فينكبون بني إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلوات الله عليهم في ملكوت السماء، ويخرج بنو المسكونة إلى الظلمة البرانية حيث يكون البكاء وصرير الأسنان^(٣).

(١) في الأصل: ملك فارس ألف. وأرض العرب ألف. ولا يستقيم مع قوله إن الدنيا (٢٤) ألف فرسخ. وعند ياقوت ١: ١٦ أن مساحة الدنيا (٢٧) ألف فرسخ.

(٢) عن هذا الحديث، انظر مقدمة الكتاب.

(٣) الذي في الإنجيل هو رؤيا يوحنا اللاهوتي وليس السيد المسيح (ع) انظر (رؤيا ١٦: ١٢ - ١٣).

ومما يزيد ما قلناه في فارس وضوحاً ان النبي (ﷺ) كان بعث خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى وكتب إليه كتاباً بدأ فيه بنفسه. فلما قرأه كسرى غضب ومزقه وبعث إليه بتراب. فقال النبي (ﷺ): مزق كتابي. أما انه سيمزق دينه وأمته وملكه، وبعث إليّ تراباً. أما إنكم ستملكون أرضه.

فكيف يكون البقية الحسنة لمن أعلمنا رسول الله (ﷺ) أنهم سيُمزقون؟ لا جرم إنهم قد حملوا ودرسوا مدارس إلى يومنا هذا.

[وهم]^(١) أبخع الناس بطاعة سلطان، وأصبرهم على الظلم وأثقلهم خراجاً وأذلهم نفوساً.

وذكر جماعة من مشايخهم أنهم لم يعرفوا عدلاً قط، وإن سيرتهم^(٢) عمر بن عبد العزيز شملت البلاد كلها غير بلادهم، فإن عامله الذي أنفذه إليهم هلك في سيره نحوهم.

ويزعم قوم من أهل السواد أنهم من أبناء أشراف فارس. وربما قال بعضهم إنهم قوافل خراسان. وإنما كانوا قاتل الله قد [١٥٨] أسبغ عليهم بالعرب النعمة وظاهر لهم الكرامة وأثقب لهم العز وأبدلهم بها (٣) حالاً لا ينكرها غير^(٤) منقوص أو حاسد كفور. لأن السواد فتحتة العرب عنوة، والإمام مخير في العنوة بين القتل والرق والفدية والمن، فاخترأوا خير الأمور لهم وحققوا دماءهم ومثوا عليهم وأقرؤا الأموال في أيديهم.

ثم جاوروا السلطان من بني العباس وأولياءه من أهل خراسان، فاستخلصهم

= (١٦) النص الذي يتحدث عن معركة هرمجدون. فلعله هو المقصود من خلال قرينة (الملوك الذين من مشرق الشمس).

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) كلمة مطموسة. وقبلها (أثقب لهم العز) غير واضحة المعنى.

(٤) في الأصل: لا ينكرها إلا غير...

لأموره وجعلهم موضع سرّه واتخذ منهم الكتّاب والوزراء والأصحاب والندماء
فصاروا به أسعد من يبذل في التمهيد المهجة والمال.

وهؤلاء الذين ذكرناهم، هم المشهورون من الناس. فأما من خفي أمره
ودخل في جملة الناس فلا حاجة بنا أن نقص عليه ولا نذكر أوله وآخره، فنجعله
خصماً وهو مسلم، ويفتح له بالمثل أولئك الطاعنون على العرب. وقد قال
الأول:

كفاني نقصاً أن أجرّ عداوةً بقولٍ أرى في غيره متوسماً
وذكر علي بن محمد المدائني^(١) أن أول فتوح خراسان الطبيين وهما بابا
خراسان. فتحهما عبد الله بن بديل بن ورقاء في ولاية عثمان بن عفان. وإياهما
عنى مالك بن الربيع:

لعمري لئن غالت خراسانُ هامتي لقد كنتُ عن بابي خراسانَ نائياً
دعاني الهوى من أهلٍ وُدِّي ولُحمتي بسدي الطبيين فالتفتُ ورائياً
[ومن الري إلى دامغان ثمّان فرسخاً] ومن دامغان إلى نيسابور مثل
ذلك^(٢). فكان من الري إلى نيسابور مائة وستون فرسخاً. ولنيسابور قهندز وهي
أحد كور خراسان الجليّة، ولها من المدن: زام، وباخرز، وجوين، وبيهق، [ولها
اثنا عشر رستاقاً، في كل رستاق مائة وستون قرية]^(٣).

ومن نيسابور إلى سرخس أربعون^(٤) فرسخاً. ومن سرخس إلى مرو مدينة
خراسان ثلاثون^(٥) فرسخاً وتسمى مرو الشاهجان. قال:

(١) للمدائني كتاب اسمه: فتوح خراسان (ابن النديم ١١٥).

(٢) في المختصر فقط.

(٣) في المختصر فقط. وقهندز تعني الحصن أو القلعة في وسط المدينة (معجم البلدان ٤: ٢١٠).

(٤) في الأصل: أربعين.

(٥) في الأصل: ثلاثين.

وأزرت مرو من أي السرايا وأبقت عبرة للغابرينا

وسميت مرو الشاهجان لأنها كانت للملك. ومعنى هذه الكلمة أنها روح الملك [١٥٨ ب] لأن الشاه، الملك. والجان، الروح. ف قيل مزح الروح.

وسميت مرو الروذ لأنه لم يكن بها بناء. فبعث إليها كسرى ناساً من أهل السواد عليهم رجل يقال له بهرامية، فبنوها وسكنوها.

ولما غلب أردشير على ملك النبط فرأى جمالهم وعقولهم قال: ما أخوفني إن حدث بي حدث أن يعود الملك إلى هؤلاء. ففرض لهم فرضاً وبعث منهم بعموثاً وأغزاهم خراسان وفرّقهم في البلاد، إلا من لبست عليه منهم مؤونة^(١) من أهل الذلة. فأهل مرو من النبط.

وعن قتادة في قول الله تعالى «لتنذر أم القرى ومن حولها». قال: أم القرى بالحجاز، مكة. وبخراسان، مرو.

ولما ملك طهمورث بنى قهندز مرو وبنى مدينة بابل ومدينة ابراهيم - وهي بأرض قوم موسى - وبنى مدينة بالهند في رأس جبل يقال له أوق.

وأمرت خمانى بنت أردشير بن اسفنديار لما ملكت ببناء الحائط الذي حول مرو.

ويقال إن طهمورث لما بنى قهندز مرو، بناء ألف رجل وأقام لهم سوقاً فيها الطعام والشراب. فكان إذا أمسى الرجل أعطي درهماً فاشترى طعامه وجميع ما يحتاج إليه، فتعود الألف درهم إليه. فلم يخرج في البناء إلا الألف درهم.

وكان بمرو بيت كبير يقال له كي مرزيان. فإذا ارتفع عن الأرض مقدار قامة، كان محمولاً إلى السقف على أربعة صور. وفي جوانبه رجلان وامرأتان. وكانت فيه صورة عجيبة لا يدرى ما هي. فجاء قوم فادعوا أنه لهم وأن أباهم بناء، فنقضوه وأبلغوا بما فيه من الخشب وما كان في صورهِ من الذهب. وكان بيتاً

(١) في الأصل: مؤدية.

عجيب الصنعة، فأصابته مرو وقراها في السنة التي هُدم فيها جوائح عظام. فزعم أهل مرو أنه كان طلسماً للعمران، وأنه لما [زال]^(١) نال البلاد ما نالهم.

ووقد على بعض الخلفاء رجل من أهل خراسان له عقل ومعرفة، فقال: أخبرني من أصدق أهل خراسان؟ قال: أهل بخارا. قال: فمن أوسعهم بذلاً للخبز [والملاح]^(٢)؟ قال: أهل الجوزجان. قال: فمن أحسنهم [١٥٩ أ] ضيافة؟ قال: أهل سمرقند. قال: فمن أدقهم نظراً؟ قال: أهل مرو. قال: فمن أسوأهم طاعة وأذهبهم بنفسه؟ قال: أهل خوارزم. قال: فمن أحسنهم فطنة وأبعدهم غوراً؟ قال: أهل مرو الروذ. قال: فمن أصحهم^(٣) عقولاً؟ قال: أهل طوس إن رضي أهل نسا. قال: فمن أكثرهم جدلاً وشغباً؟ قال: أهل سرخس. قال: فمن أضعفهم رأياً وتديراً؟ قال: أهل نيسابور. قال: فمن أقلهم غيرة؟ قال: أهل هراة. قال: فمن أجهلهم بالمخالقة؟ قال: أهل بوشنج وبادهش. قال: فمن أرماهم؟ قال: أهل خوارزم. قال: فمن أبخلهم؟ قال: أهل مرو. وأنشد:

مياسير مرو من وجود لضيغكم بكرشي فقد أمسى نظيراً لحاتم
ومن رش باب الدار منهم بعثرفي فقد كملت فيه خصال المكارم
يسمون بطن الشاة طاووس غرسهم وعند طبيخ اللحم ضرب الجماجم
فلا قدس الرحمن أرضاً وبلدة طواويسهم فيها بطون البهائم

وكان المأمون يقول: استوى الشريف والوضيع من أهل مرو في ثلاثة أشياء: البطيخ البارنك والماء البارد بغير الثلج [يعني ماء اليخ]^(٤) والقطن اللين.

وبمرو، الرزق والماجان: نهران كبيران حسان منهما سقي أكثر ضياعهم ورساتيقهم. وأنشد لعلي بن الجهم:

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في المختصر فقط.

(٣) في الأصل: أصدقهم والصواب ما نقلناه من المختصر.

(٤) من المختصر. واليخ هو الثلج بالفارسية.

جاوَزَ النهرين والنهرِوانا اجلولا يؤم أم حُلوانا؟
 ما أَظُنُّ النَّوَى يسوِّغُهُ القَر بٌ ولم تمخضِ المطيُّ البِطانا
 نشطت عَقْلُهَا هبوبُ الر يح خرقاء تخبطُ البلدانَا
 أوردتنا حُلوانَ ظهراً وقرميسينَ ليلاً وصَبَحَتْ هَمَّذانا
 انظرَتنا إذا مررنا بمرو ووردنا الرزِيقَ والمَاجانا
 أن نحيتي ديارَ جَهمٍ وإدريسَ ونسألَ الإخوانا

[١٥٩ ب] قال وحدثني أحمد بن جعفر. حدثني أبو حفص عمر بن مدرك^(١)، قال كنت عند أبي إسحاق الطالقاني يوماً بمرو على الرزيق في المسجد الجامع فقال أبو إسحاق: كنا يوماً عند ابن المبارك، فانهار القهندر فتناثرت منه جماجم، فتصدعت جمجمة وتناثرت أسنانها، فوزنا سنين منها، فكان في كل واحدة منهما منوان بأربعة أرطال. فأتي ابن المبارك بهما، فأقبل يوزنهما بيده ساعة ثم قال:

أُتِيتَ بِسَنَيْنِ قَدْرُمَيْتَا من الحُصْنِ لما أثاروا الدفينا
 على وزنِ منوينٍ إحداهما ينوءُ به الكفُّ شيئاً رزينا
 ثلاثونَ أخرى على قَدْرِها تباركتُ يا أحسنَ الخالقينا
 فماذا يقومُ لأنفواها وما كان يملأُ تلكَ البطونا
 إذا ما تذكرتُ أجسامَهم تصاغرتِ النفسُ حتى تهونا
 وكلُّ على ذاك لاقى الردى وبادوا جميعاً فهم خامدونا

وقال إبراهيم بن الشعاس الطالقاني: قدمتُ على عبد الله المبارك من سمرقند إلى مرو، فأخذ بيدي فأخرجني فأطاف بي حول سور مدينة مرو. ثم قال لي: يا

(١) هو أحمد بن جعفر المستعلي (انظر مقدمة الكتاب). أما أبو حفص عمر بن مدرك فقد وصفه الخطيب البغدادي في تاريخه (١١: ٢١١) بالقاص الرازي ويقال البلخي وقال (وأراه بلخياً، سكن الري وقدم بغداد وحدث بها . . .) وانظر ميزان الاعتدال ٣: ٢٢٣.

إبراهيم. أتعرف من بنى هذه المدينة؟ قلت: لا أدري يا أبا عبد الرحمن. قال: فمدينة مثل هذه لا يعرف بانيها، وسفيان بن سعيد الثوري مات وليس له كفن واسمه حي إلى يوم القيامة.

قال معاذ الترمذي: أربعة من أصحاب رسول الله (ﷺ) ماتوا بمرور وحواليها: بريدة الأسلمي وبريدة بن الخصيب وحكم الغفاري وقثم بن العباس بن عبد المطلب.

وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع^(١).

فالربع الأول: إيران شهر، وهي نيسابور، وقهستان، والطبسين وهرقة، وبوشنج، وباذغيس، وطوس - واسمها طابران -.

والربع الثاني: مرو الشاهجان، وسرخس، ونسا، وباورد، ومرو الروذ، والطارقان [١٦٠ أ] وخوارزم [وزم]^(٢) وآمل - وهما على نهر بلخ - وبخارا.

والربع الثالث: - وهو غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ -: الفارياب، والجوزجان، وطخارستان العليا، وهي الطالقان، والحُتل وهي وخش، والقواديان^(٣) وخست وأندرابة، والباميان، وبغلان، ووالج وهي مدينة مزاحم بن بسطام، ورستاق بَنَك، وبذخشان وهي مدخل الناس إلى التبت - ومن أندرابة مدخل الناس إلى كابل - والترمذ وهي في شرق بلخ، والصفانيان، وزم، وطخارستان السفلى، وخلم وسمنجان.

والربع الرابع: ما وراء النهر بخارا، والشاش، والطراربند، والسغد وهو كس ونسف، والروسيان، واشروسنة، وسنام قلعة المقنّع، وفرغانة، وسمرقند،

(١) التقسيم الآتي موجود لدى ياقوت ٢: ٤٠٩ (خراسان) وقد نسب إلى البلاذري أيضاً، ترى هل نقله عن ابن الفقيه أم عن أحد كتب البلاذري، مع أن أغلب ما لدى ياقوت عن مادة خراسان موجود لدى ابن الفقيه؟

(٢) في المختصر فقط.

(٣) في المختصر فقط.

[والشم، وأباركت، وبنكت، والترك] ^(١).

ولسمرقند أربعة أبواب: باب كبير. وباب الصين وباب أسروشنة وباب الحديد. وبين سمرقند وأسروشنة نيف وعشرون ^(٢) فرسخاً. وخجندة متيامنة عن أسروشنة إلى الجبل والهاميان إلى ناحية كابل.

ومن مرو طريقان: أحدهما إلى الشاش، والآخر إلى بلخ وطخارستان. فمن مرو إلى مدينة بلخ مائة وستة وعشرون فرسخاً، وهي اثنان وعشرون منزلاً قال الأحوص:

تجى له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وما سقى والنيل
ويقال إن لهراسف بنى مدينة بلخ وعمرها وخرب مدينة بيت المقدس وشرّد
من كان بها من اليهود.

وقال الضحاك: أسرع الأرض خراباً من المشرق، بلخ.

ويقال إن الاسكندر بنى بلخ وقيل إنه مات [فيها] وقد قاتل ملوكاً كثيرة وقهرهم وغلبهم غلبات مشهورة وهزم جنوداً ذات قوة ووطيء بلداناً كثيرة وكانت مدة عمره اثنين وثلاثين سنة وسبعة أشهر لم يسترح في شيء منها.

ويقال إنه ملك الأرض كلها ودانت [له] ^(٣) سائر ملوكها. وبنى ثلاث ^(٤) عشرة مدينة وسفي كلها الاسكندرية. وبعضها قائم إلى اليوم. وقد غيرت بعض [١٦٠ ب] أسمائها.

منها الاسكندرية التي بناها على اسم فرسه فقليوس وتفسيره. رأس الثور. ومنها الاسكندرية التي في باورنقوس. ومنها الاسكندرية التي تدعى المحصنة. ومنها الاسكندرية التي بناها في الهند. ومنها الاسكندرية التي في جاليقوس.

(١) في المختصر فقط.

(٢) في الأصل: وعشرين.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل: ثلاثة.

ومنها الاسكندرية التي في بلاد السقوياسيس . ومنها الاسكندرية التي على شاطئ
النهر الأعظم . ومنها الاسكندرية التي بأرض بابل . ومنها الاسكندرية التي في بلاد
السغد وهي سمرقند . ومنها الاسكندرية التي تدعى مرغيلوس وهي مرو . ومنها
الاسكندرية التي في مجاري الأنهار بالهند . ومنها الاسكندرية العظمى التي في بلاد
مصر . ومنها الاسكندرية التي سميت كوش وهي بلخ .

فهذه مدائنه التي بناها ، ومات ببابل مسموماً .

وببلخ ، النوبهار . وهو من بناء البرامكة . قال عمر بن الأزرق الكرمانى :
كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببليخ قبل ملوك الطوائف . وكان دينهم
عبادة الأوثان . فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وما كانت قريش ومن والاهما من
العرب تدين به . فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام . ونصبوا حوله
الأصنام وزينوه بالدباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة .

وتفسير النوبهار : الجديد . وكانت سنتهم إذا بنوا بناءً حسناً أو عقدوا طاقاً
شريفاً أن يكللوه بالريحان ، يتوخون بذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت . فلما
بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما ظهر من الريحان . وكان البهار - فسني نوبهار .

وكانت المعجم تعظمه وتحج إليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على
قبته الأعلام . وكانوا يسمون قبته الأستن . وكانت مائة ذراع في مثلها ، وارتفاعها
فوق المائة ذراع بأروقة مستديرة حولها . وكان حول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة
يسكنها خدامه [١٦١ أ] وقوامه وسدنته . وكان على كل أهل مقصورة من تلك
المقاصر ، خدمة يوم ثم لا يعودون إلى الخدمة حولاً .

ويقال إن الريح كانت ربما حملت الحرير من العنم الذي فوق القبة فتلقاها
بالترمد ، وبينهما اثنا عشر فرسخاً .

وكانوا يسمون السادن الأكبر برمكاً لأنهم شبهوا البيت بمكة وقالوا : سادته
برمكة . فكان كل من ولي منهم السدانة يسمى برمكاً .

وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين

وتحج إلى هذا البيت . وكانت ستهم إذا هم وافوه أن يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا
برمك .

وكانوا قد جعلوا للبرمك ما حول النوبهار من الأرضين سبعة فراسخ في
مثلها . وسائر أهل ذلك الرستاق عبيد له يحكم فيهم بما يريد .

وكانوا قد صيروا للبيت وقوفاً كثيرة وضياءً عظيمة سوى ما يحمل إليه من
الهدايا التي تتجاوز كل حد . وسائر أموال ذلك مصروفة إلى البرمك الذي يكون
عليه .

فلم يزل برمك بعد برمك إلى أن افتتحت خراسان أيام عثمان بن عفان رضي
الله عنه . وقد صارت السدانة إلى برمك أبي خالد بن برمك ، فسار إلى عثمان بن
عفان مع دهاقين كانوا ضمنوا مالاً في البلد . ثم إنه رغب في الإسلام فأسلم وسمي
عبد الله ورجع إلى ولده وأهله وبلده فأنكروا عليه إسلامه وجعلوا بعض ولده مكانه
برمكاً . فكتب إليه نيزك طرخان - وهو أحد الملوك بعظم ما أتاه من الإسلام ويدعوه
إلى الرجوع في دين آبائه . فأجابه برمك : إني إنما دخلت في هذا الدين اختياراً له
وعلماً بفضله من غير رهبة ولا خوف ، ولم أكن لأرجع إلى دين بادي العوار مهتك
الأسرار . فغضب نيزك وزحف إلى برمك في جمع كثيف . فكتب إليه برمك : قد
عرفت حبي للسلامة واني ان استجرت الملوك عليك أنجدوني ، فاصرف عني أعتة
خيلك وإلا حملتني على لقائك . فانصرف عنه . ثم استقره وبيته [١٦١ ب] فقتله
وعشرة بنين له ، فلم يبق له خلف سوى برمك أبي خالد ، فإن أمه هربت به وكان
صغيراً إلى بلاد القشمبر فنشأ هناك وتعلم النجوم والطب وأنواعاً من الحكمة - وهو
على دين آبائه - . ثم إن أهل بلده أصابهم طاعون ووباء فتشاءموا بمفارقة دينهم
ودخولهم في الإسلام ، فكتبوا إلى برمك فقدم عليهم وأجلسوه في مكان أبيه ،
وتولى أمر النوبهار فسمي برمكاً .

فتزوج برمك بنت ملك الصغانيان فولدت له الحسن وبه كان يُكنى ، وخالداً ،

وعمرأ، وأم خالد، وسليمان بن برمك من امرأة غيرها من أهل بخارا^(١). وأهدى صاحب بخارا إلى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وأم القاسم. وللبرامكة أخبار كثيرة يطول أمرها، وإنما ذكرنا هذا الخبر بسبب بناء النوبهار.

وبيلخ جيحون وهو نهرهم العظيم، وبينه وبين بلخ اثنا عشر فرسخاً. والترمد على النهر. وبخارا وجبالها وعيونها وأنهارها التي من الجانب الأقصى في الشمال. والمدن التي عن يمين النهر والأنهار الصغار التي في هذه الجبال الشرقية التي من ناحية القبلة ومن ناحية الدبور تصب إلى هذا النهر أعني نهر بلخ. وهو يجيء من ناحية المشرق من موضع يقال له ريوساران وهو جبل متصل بناحية السند والهند وكابل. ومنه عين تجري من موضع يقال له عندميس واسترز من هذا الجبل. ويجتمع بمرو ويجيء إلى مرغاب ثم يمر إلى أمويه، ويشق خوارزم فيصير إلى البحر الخراساني وهو بحر الخزر، ثم يدخل الصين.

ونصارى خراسان تميل إلى الثوية والشمسية، إلا أن نسطور لما دخلها مالوا إلى مذهبه.

وأصل هذا النهر من المشرق عليه معادن البلور وغيره من الأحجار النفيسة وعليه أيضاً معدن ذهب جيد.

ومن بلخ إلى شط جيحون اثنا عشر^(٢) فرسخاً. فذات اليمين على الشط كورة خلج ونهر الضرغام. وذات اليسار، مرو وخوارزم واسمها بيل. فهي جانبان على نهر بلخ يشقها جيحون [١٦٢ أ] وآمل وزم وجبال الطالقان وبلنجر والجوزجان وأقاصي قرى بلخ^(٣).

سقى مزن السحاب إذا استهلّت مصارع فتية بالجوزجان

(١) إلى هنا تنتهي الرواية التي بدأت بقوله: قال عمر بن الأزرق الكرمانى. وهي موجودة بنصّها مع اسم راويها الكرمانى أعلاه لدى ياقوت (نوبهار).

(٢) من هنا وما يليه من مسافات بين المدن موجود في فتوح البلدان للبلاذري ٣٣ - ٣٤.

(٣) في ياقوت (جوزجان) هذا البيت وبعده آخر، قال إنهما لكثير بن الغريزة النهشلي.

ويعبر نهر بلخ هذا إلى الترمذ - وهو معها - ويضرب سورها ومدينتها على حجر طريق الصغانيان .

ومن الترمذ إلى الراشت، ثمانون فرسخاً . والراشت أقصى خراسان من ذلك الوجه . وهي بين جبلين . وكان منها مدخل الترك إلى بلاد الإسلام للغارة عليهم . فعلق الفضل بن يحيى بن خالد هناك باباً .

ومن بلخ إلى طخارستان العليا ثمانية وعشرون فرسخاً . وهناك قرية يقال لها قارض . وبالقرب منها قرى بسطام بن سورة بن عامر بن مساور^(١) .

ولما ان أقر ابن عامر قيس بن الهيثم على خراسان، سار قيس إلى مدينة بلخ وقدم بين يديه عطاء بن السائب فدخلها وخرّب النوبهار .

ويقال إن أول من دخل هراة من المسلمين رجل يقال له عطاء، دخل من الباب المعروف بالحسك . فسمي الرجل عطاء الحسك .

وحدثني أبو يوسف يعقوب بن إسحاق^(٢) . قال : حدثني إبراهيم بن الجنيد عن إبراهيم بن رويم الخوارزمي قال : فيما بين خراسان وأرض الهند نمل أمثال الكلاب السلوقية . وكلبهم عظيم، لا يطاقون، ويحفرون من أماكنهم الذهب ويخرجونه، فأرضهم كلها ذهب وهي شديدة الحرّ، فهم يخافون في أحجرتهم الهاجرة . فيجيء الناس إلى أخذ ذلك الذهب ويعتمدون وقت شدة الحر ودخولهم إلى أماكنهم، فيأخذون ما يقدرّون عليه ويبادرون الخروج قبل سكون الحرّ وخروجهم . فإن خرجوا ولحقوا أحداً منهم، أتوا عليه، فيكون معهم اللحم اشفاقاً كباراً، فإذا كادوا أن يلحقوهم، طرحوا بعد ذلك اللحم في وجوههم فاشتغلوا به وبادروا هم بالخروج، فإذا بلغوا إلى موضع هو الحدّ لم يخرجوا منه شبراً واحداً في طلسم^(٣) .

(١) إلى هنا ينتهي التطابق مع البلاذري .

(٢) عن أبي يوسف يعقوب بن إسحاق هذا، انظر مقدمة الكتاب .

(٣) كذا في الأصل .

فأما الطريق^(١) من مرو إلى الشاش والترك. فمن مرو إلى كश्ماهن ثم إلى الديوان [ب ١٦٢] ثم إلى المنصف ثم إلى الاحساء وإلى بثر عثمان ثم إلى آمل: فمن مرو إلى آمل ستة وثلاثون فرسخاً. ومن آمل إلى شط نهر بلخ فرسخ ويعبر إلى فربر فرسخ. ومن آمل إلى بخارا سبعة عشر فرسخاً. ولبخارا قهندز ولها من المدن: كرمينية وطواويس وفربر ووردانة وبيكند مدينة التجار. ومن بخارا إلى كول عشرة فراسخ ومما يلي الجنوب من هذا الموضع جبال الصين.

ومن بخارا إلى سمرقند سبعة وثلاثون فرسخاً. ولسمرقند قهندز. ولها من المدن: الدبوسية وأرينجن وكشان وكس ونسف وخجندة وهي مدينة طيبة كثيرة الخير حسنة. أنشدني رجل من أهلها: ولم أرَ بلدًا بإزاء شَرْقٍ ولا غربٍ بأنزه من خجندة هي الغراء تُعجِب من رَأَاهَا وهي بالقارمية دَل يبرذه ويقال إن سمرقند من بناء الاسكندر. واستدارة حائطها اثنا عشر فرسخاً. وفيها بساتين ومزارع وأرحاء. ولها اثنا عشر باباً. من الباب إلى الباب فرسخ. وعلى أعلى السور أزاج وأبرجة للحرب. والأبواب الاثنا عشر من حديد^(٢). وبين كل بابين منزل للبواب.

فإذا جرت المزارع، صرت إلى الریض وفيه أبنية وأسواق. وفي ربضها من المزارع عشرة آلاف جريب. يدخل المدينة ومساحتها خمسة عشر ألف جريب. ولهذه المدينة [أعني]^(٣) الداخلة أربعة أبواب، ومساحتها ألفان وخمسمائة

(١) المعلومات المتعلقة بالمسافات فيما يلي موجودة لدى البلاذري ٢٥.

(٢) في المختصر: من خشب.

(٣) زيادة من ياقوت (سمرقند).

جريب. وفيها مسجد جامع، وفيها القهندز وفيه مسكن السلطان. وفي هذه المدينة الداخلة نهر يجري. فأما داخل سور المدينة الكبير ففيه أودية وأنهار وعيون وجبال. وعلى القهندز باب حديد من داخله باب آخر حديد.

وفي أخبار ملوك اليمن قالوا: لما مات ناشر ينعم الملك، قام بالملك من بعده شمر بن إفريقيس بن أبرهة. فجمع جنوده وسار في خمسمائة ألف رجل حتى ورد العراق. فأعطاه كشتاشف بن بخت نصر الطاعة وعلم أن لا طاقة له به لكثرة جنوده وشدة صولته. فسار من العراق قاصداً لبلد الصين. فلما صار إلى بلد الصغد اجتمع أهل تلك البلاد [١٦٣] وتحصنوا منه بمدينة سمرقند فأناخ عليها وأحاط بمن فيها من كل وجه وحاربهم حتى استنزلهم بغير أمان فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأمر بالمدينة فهدمت، فسُميت من يومئذ شمرقند أي شمر هدمها. فعربتها العرب وقالوا سمرقند. وقال في مسيرته هذا:

أنا شمر أبو كرب البماني	جلبت الخيل من يمن وشام
لآتي أعبداً مرقبوا علينا	بأرض الصين من أهل السوام
فأحكم في بلادهم بحكم	ونبي لا يُجاوز بالأثام
فإن أهلك ولم أرجع إليكم	فقد هلك الملوك من آل سام
بنو مهليل انتجعوا فساحوا	وخطوا البيت بالبلد الحرام
هو البيت العتيق فعظموه	وإن كانت جوهكم دوام
سيملك بعدنا أبنا ملوك	يدينون العباد بغير ذام
ويملك بعدهم ملك كريم	نبي لا يرخص في الحرام
محمد أسمه يا ليت يومي	تأخر بعد مخرجي بعام

ثم سار حتى قارب الصين فمات هو وأصحابه عطشاً فلم يبق منهم مخبر. وكان ملكه سبع سنين. فلم تزل سمرقند خراباً إلى أن ملك تبع الأقرب بن أبي مالك بن ناشر ينعم. فلم تكن له همة إلا الطلب بثأر جده شمر الذي هلك بأرض الصين. فتجهز واستعد وسار في مائة ألف رجل من أبطال قومه. فجاء العراق

فخرج إليه بهمن بن اسفنديار وأعطاه الطاعة وحمل إليه الخراج ثم أقام له الترك في جميع مملكته . وكان طريقه على الأهواز حتى دخل في أرض خراسان فانتهى إلى النهر الأعظم فعبره بالسفن حتى وافى مدينة بخارا فطواها حتى أتى سمرقند وهي خراب فأمر بينائها وأقام عليها حتى فرغ منها وردها إلى أفضل مما كانت عليه من العمارة . ثم سار منها إلى فرغانة وركب من هناك المفاوز فسار فيها شهراً حتى أتى بلاداً واسعة كثيرة المياه والكلا فابتنى هناك مدينة عظيمة وأسكن فيها ثلاثين من أصحابه ممن لم يستطع السير معه إلى الصين وسماها التبت . فأهلها إلى اليوم لهم زي العرب ولباسهم ولهم فروسية وبأس شديد، قد قهروا جميع من حولهم من أجناس الأتراك .

وسار من هناك حتى ورد الصين [١٦٣ ب] فخرج إليه ملكها فحاربه فهزمه الأقرن وقتل خلقاً من جنوده وأخرب مدينته وثمن في أرضه الغارة، وطلب الملك حتى ظفر [به] ^(١) فقتله وغنم من أرضه غنائم لم يغنم مثلها أحد ممن كان قبله من الملوك . فيقال إن تلك ^(٢) المدينة التي سكنها هذا الملك خراب إلى اليوم . وفي ذلك يقول تبع بن الأقرن :

أنا تبّع ذو المجد من آل حفيّر
فدانت لنا شرق البلاد وغربها
ملكناهم قسراً وسارت خيولنا
ومغرب شمس الله قد وطئت لنا
وسوف تليها بعدنا خير أمة
يدينون دين الحق لا يسلمونه
كرام ذوو فضل وعلم ورأفة
يقر جميع العالمين بفضليهم
ملكنا عباد الله في الزمن الخالي
وأبنا عليها خير أوب وأنفالي
إلى الهند بالفرسان حالاً على حال
قبائل خيل غير نكس وأعزالي
ذوو نجدة من خير دين وأفضالي
سجود ركوع في غدو وأصالي
فمن بين زهاد كرام وأبدال
وليسوا عن الحرب العوان بأنكالي

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في الأصل : ذلك .

ضراغمة بيض كأن وجوههم إذا ما بدوا ليلاً قناديل دبال
ثم انصرف بعده إلى أرضه وقد أدرك ثأره.

ولما حضر سعيد بن عثمان بن عفان مدينة سمرقند، حلف أن لا يبرح ولا يزول حتى يدخل المدينة ويرمي القهندز بحجر صلحاً أو فدية أو عنوة. فصالحهم على سبعمائة ألف درهم وأن يدخل المدينة من باب ويخرج من الآخر، وأن يمر على القهندز وأن يعطوه رهناً من أولاد عظمائهم. فدخل المدينة ورمى القهندز بحجر فثبت فيه فتطيروا لذلك وقالوا: ثبت فيها ملك العرب.

وصالح قتيبة بن مسلم أهل سمرقند على أن ما في بيوت النيران وحلية الأصنام. فأخرجت إليه الأصنام فسلم حليتها وأمر بتحريقها فقال سدنتها: إن فيها أصناماً من أحرقها هلك. فقال قتيبة: أنا أحرقها [١٦٤ أ] بيدي، وأخذ شعلة من نار فأضرمها فيها، فاضطربت واحترقت، فوجد بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب خمسين ألف مثقال.

وسمرقند من بلاد الصغد، ومن ورائها كرمانية ودبوس^(١) وأشروسنة والشاش ونخش وبناكت واستوركت، أبوازكت، سام، سرك، بنكت، تكت، رفكت، وسيج، برنمد^(٢). هذه كلها من مدن الشاش.

وقالوا: ليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند. وقد شبهها الحصين بن المنذر الرقاشي فقال: كأنها السماء للخضرة، وقصورها الكواكب للإشراق، ونهرها المجرة للاعتراض، وسورها الشمس للأطباق.

(١) في حدود العالم ١٠٧: كرمينة ودبوسي ورنجن، مدن أسفل بلاد السغد على طريق سمرقند. وفي بلدان الخلافة ٥١١: كرمينية والدبوسية وفي أنساب السمعاني ١: ٤٥٤ (الدبوسية) و ٥: ٥٨ (كرمينية).

(٢) وسيج من مدن فاراب (مسالك وممالك ٢٦٣). أما برنمد (بورنمد) فهي بورنمد وتقع على مرحلتين من سمرقند (القند ١٣٧) وفي أنساب السمعاني (١: ٤١١) بورنمد: قرية من أعمال سمرقند بينها وبين أسروشة.

وسأل المأمون رجلاً عن سمرقند فقال: يا أمير المؤمنين، كأن مدينتها دارة القمر، وكان نهرها المجرة، وكان ضياعها حولها النجوم.

وقال الشعبي: شهدت فتح سمرقند مع قتيبة بن مسلم، فنظر على بعض أبوابها لوحاً في الحائط فيه خطوط^(١) كأنها عربية وليست عربية. - وكان اللوح من حجر - فتأمل طويلاً ثم قال: والله إنني لأظنها بعض فعالات حمير. ابغوني رجلاً من الجند قريب العهد باليمن وكلام حمير: فبعث إلى عبد الله الحزامي فقال له: أتعرف هذا الخط؟ قال: نعم - أصلح الله الأمير - هذا بخط حمير الذي يقال له المسند. قال: اقرأه. فإذا هو: باسمك اللهم. هذا كتاب ملك العرب والعجم سمر يرعش الملك الآثم. من بلغ هذا المكان فهو مثلي، ومن جازه فهو فوقني، ومن قصر عنه فهو دوني.

فأبى قتيبة أن لا يرجع حتى يطأ بلاد الصين. وبلغ ذلك ملكها فخاف فبعث إليه بإكليل مفصل بالياقوت وبجواب من تراب بلده وقال: أبسط هذا التراب وامش عليه، فإذا فعلت فقد برت يمينك. وضمن له خراجاً في كل سنة، فقبل له ذلك منه وأقام.

وقال الأصمعي: مكتوب على باب سمرقند بالحميرية: بين هذه المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ. وبين بغداد وأفريقية ألف فرسخ. وبين سجستان [١٦٤ ب] وبين البحر مائتا فرسخ.

ومن^(٢) سمرقند إلى زامين سبعة عشر فرسخاً.

وزامين مفرق طريقين إلى الشاش والترك وفرغانة. فمن زامين إلى الشاش خمسة وعشرون فرسخاً.

(١) في الأصل: خطوطاً.

(٢) المعلومات الآتية المتعلقة بالمسافات موجودة لدى البلاذري ص ٢٩ فما بعدها.

وفي المخطوطة أخطاء في الأعداد. فكل (أربعة فراسخ) وردت هنا هي في المخطوطة (أربع فراسخ) وكذلك (سبعة فراسخ) كتبت (سبع) إضافة إلى ما سنشير إليه.

ومن الشاش إلى الفنجهير معدن الفضة سبعة فراسخ وإلى باب الحديد ميلان^(١).

ومن الشاش إلى بارجاخ^(٢) أربعون فرسخاً. وبارجاخ تل حوله ألف عين تجيء من المشرق إلى المغرب وتسمى بركوب آب أي الماء المقلوب صيده تدارج^(٣) سود.

ومن الشاش إلى اسبيجاب اثنان وعشرون^(٤) فرسخاً.

ومن اسبيجاب إلى موضع ملك كيماك مسيرة ثمانين يوماً يحمل فيها الطعام.

ومن طراز إلى نوشجان السفلى ثلاثة فراسخ.

ومنها إلى كرباس فرسخان^(٥) وهي خرمية يشنو بها الخرخية ويقربها منشأ الخلجية.

ثم إلى كول شوب أربعة فراسخ.

ثم إلى حل شوب أربعة فراسخ.

ثم إلى كولان، قرية غناء ذات مياه وأشجار أربعة فراسخ.

ثم إلى بركي، قرية كبيرة أربعة فراسخ.

ثم إلى أسبره أربعة فراسخ.

ثم إلى نوركت، قرية عظيمة ثمانية فراسخ.

(١) في الأصل ميلين. والفنجهير، يرد لدى البيروني في الجماهر ١٩٥ باسم پنجهير. وفي معجم

البلدان ١ : ٧٤٣ (پنجهير: مدينة بنواحي بلخ، فيها جبل الفضة).

(٢) لدى ابن خرداذبه (بارجاخ). وفي الأصل (أربعين فرسخاً).

(٣) في ياقوت (بارجاخ): يصاد فيه الدراج الأسود.

(٤) في الأصل: اثنين وعشرين.

(٥) في الأصل: فرسخين.

ثم إلى حرجوا^(١) أربعة فراسخ.

ثم إلى كتوال ثلاثة فراسخ.

ثم إلى نوشجان الأعلى خمسة عشر يوماً للقوافل على المرعى، وهو حد الصين، فأما لبريد الترك فمسيرة ثلاثة أيام.

والطريق من زامين إلى فرغانة، ومنها إلى ساباط فرسخان، وإلى سروشنة سبعة فراسخ. منها فرسخان في سهل وخمسة في استقبال ماء جاز من ناحية المدينة. فمن سمرقند إلى سروشنة ستة وعشرين فرسخاً.

ومن ساباط إلى غلوك ستة فراسخ. ثم إلى خجندة أربعة فراسخ. ثم إلى صامغان خمسة فراسخ. ثم إلى خاجستان أربعة فراسخ. ثم إلى يرمقان سبعة فراسخ. ثم إلى مدينة باب ثلاثة فراسخ. ثم إلى فرغانة أربعة فراسخ. فمن سمرقند إلى فرغانة ثلاثة وخمسون فرسخاً. وكان أنوشروان بناها ونقل إليها من كل أهل بيت واحداً وسماها (أز هر خاله) أي من كل بيت واحد. وخجندة من [١٦٥ أ] فرغانة.

ثم إلى فنا عشرة فراسخ. وإلى مدينة أوش عشرة فراسخ. وإلى مدينة خورتكين سبعة فراسخ. وإلى العقبة مسيرة يوم وإلى اطباس مسيرة يوم. واطباس هذه مدينة على عقبة مرتفعة. ثم إلى نوشجان الأعلى إلى مدينة خاقان التغرغز مسيرة ثلاثة أشهر في قرى كبار وخصب. وأهلها أتراك فيهم مجوس يعبدون النار وفيهم زنادقة. والملك في مدينة عظيمة لها اثنا عشر باباً حديداً. وأهلها زنادقة. ومن يسارها كيماك وأمامها الصين على ثلاثمائة فرسخ.

ولملك التغرغز خيمة [من ذهب]^(٢) على أعلى قصره تسع مائة إنسان ترى من خمسة فراسخ.

(١) عند ابن خرداذبه (٢٩): خرنجوان. وما زال التطابق قائماً بين ابن الفقيه وابن خرداذبه في الأسماء والمسافات هنا.

(٢) تكملة من ابن خرداذبه ٣١.

فأما ملك كيماك ففي خيام يتبع الكلأ. وبين طراز وموضعه مسيرة أحد
وثمانين يوماً في مفاوز^(١) وجبال وأودية فيها الأفاعي وغيرها من الحيوانات
القتالة.

والطراز آخر الإسلام من هذا الوجه.

وروي عن عبد الله بن عمر قال: رأيت النبي (ﷺ) يشير بيده إلى المشرق
ويقول: إن الفتنة هاهنا حيث تطلع قرن الشيطان.

وروي عن عكرمة أنه قال: وقد خرج من خراسان: الحمد لله الذي أخرجنا
منها، لتطوى خراسان طي الأديم حتى يقوم الحمار الذي كان فيها بخمسة دراهم
بل بخمسين أو بخمسمائة.

ويروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: إن الدجال يخرج من المشرق من أرض
يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة.

خراج خراسان^(٢):

الذي وظف على عبد الله بن طاهر من خراج خراسان وللأعمال المضمومة
إليها لستى إحدى وأثنى عشرة ومائتين:
الري، عشرة آلاف ألف درهم.

قومس: ألفا ألف ومائة ألف وستة وتسعون ألف درهم.

جرجان: عشرة آلاف ألف ومائة ألف وستة وسبعون ألفاً وثمانمائة درهم.

كرمان: مائة وثمانون فرسخاً في مائة وخمسين فرسخاً. كانت تجبى

للكاسرة [١٦٥] ستين ألف ألف درهم.

(١) إلى هنا ينتهي التطابق مع ابن خرداذبه.

(٢) قائمة خراج خراسان هذه توجد لدى ابن خرداذبه ٤٣ وما بعدها. وتوجد بين القائمتين بعض

الاختلافات، إضافة إلى بعض الاختلافات في أسماء المدن. كما لم يذكر ابن الفقيه بعض

المدن مثل مرو الشاهجان.

سجستان بعد المنكسر من خراج قرى مورق والرخج وبلاد الداور وزابلستان - وهي من ثغور طخارستان - وهو تسعمائة ألف وسبعة وأربعون ألف درهم . ستة آلاف ألف ألف وسبعمائة ألف وستة وسبعون ألف درهم .

الطبيين : مائة ألف وثلاثة عشر ألفاً وثمانمائة وثمانون درهماً .

قهستان : سبعمائة ألف وسبعة وثمانون ألفاً وثمانمائة وثمانون درهماً .

نيسابور : ألفا ألف وثمانمائة وستون درهماً .

نسا : ثمانمائة ألف وثلاثة وسبعون ألفاً وأربعمائة درهم .

ابيبورد : سبعمائة ألف درهم .

سرخس : ثلاثمائة ألف وسبعة آلاف وأربعمائة وأربعون درهماً .

مرو الروذ ورستاق بها يقال لها طنج ، أربعمائة ألف وعشرون ألف وأربعمائة درهم .

الطالقان^(١) : أحد وعشرون ألفاً وأربعمائة درهم .

غرجستان : مائة ألف درهم ، ومن الغنم ألفا شاة .

باذغيس : أربعمائة ألف وأربعون ألف درهم .

هراة وأسفزار واسفدسج^(٢) : ألف ألف ومائة ألف وتسعة وخمسون ألف درهم .

كور طخارستان :

زم : مائة ألف وستة آلاف درهم .

الفارياب : خمسة وخمسون ألف درهم .

(١) الطالقان : يمكن أن تكون الطايقان ، إذ (الطايقان) مدينة على الحدود بين طخارستان وختلان ، كما في حدود العالم ص ١٠٠ . والوصف ينطبق على هذه المنطقة .

(٢) لدى ابن خردادبه ايندج ص ٣٦ .

الجوزجان: مائة ألف وأربعة وخمسون ألف درهم.

المختلان:

خُلم: اثنا عشر ألف درهم.

بلخ وشعب خرة وجبالها: مائة ألف وثلاثمائة وتسعون ألفاً وثلاثمائة درهم.

فيروغش^(١): أربعة آلاف درهم.

ترمذ: ألفا درهم.

الروب وسمنجان: اثنا عشر ألف وستمائة درهم.

الباميان: خمسة آلاف درهم.

برخان وجوهرين والمنخان^(٢): مائة ألف وستة آلاف وخمسمائة درهم.

الترمذ: سبعة وأربعون ألفاً ومائة درهم.

القيقان^(٣): ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم.

شققان^(٤): أربعة آلاف درهم.

وخان^(٥): عشرون ألف درهم.

(١) ابن خرداذبه ٣٦: قيروغش. ونرجح أن الصواب هو: جيفوكث التي وردت في حدود العالم ١١٥ وقال عنها: إنها معسكر الشاش قديماً.

(٢) ابن خرداذبه ٣٧: برمخان وجومرين والبنجار. وفي رحلة ابن فضلان ٨٩ (فتزلنا رباطاً يقال له زمجان وهو بباب الترك).

(٣) ابن خرداذبه ٣٧: البيققان.

(٤) ابن خرداذبه: شققان. ويبدو أنها هي شققان، بقرينة وخان التي تليها حيث ورد الاسمان معاً في حدود العالم ٤٠ و ٦٤.

(٥) في الأصل: وجان. والتصحيح من ابن خرداذبه ٣٧ وحدود العالم ٢٨، ٤٠، ١٢١. وجهان ناه ٤٨، ٥٨.

المندجان^(١): ألفا درهم.
 آخرون: اثنان وثلاثون ألف درهم.
 الكست: عشرة آلاف [١٦٦] ألف درهم.
 الصغانيان: ثمانية وأربعون ألفاً وخمسمائة درهم.
 باسارا: سبعة آلاف وثلاثمائة درهم.
 الواشجرد: ألف درهم.
 العندمين والوخشان^(٢): اثنا عشر ألف رأس وثلاث عشرة دابة.
 كابل: ألفا ألف وخمسمائة درهم. ومن الوصائف ألفا رأس قيمتها ستمائة ألف درهم.
 وكابل من ثغور طخارستان ولها من المدن: واذان وخواش وخشك وحبره^(٣). وبكابل عود ونارجيل وزعفران وهليلج لأنها متاخمة الهند.
 نسف: تسعون ألف درهم. *مركز تحقيق كابل و سرحد و سردي*
 كس: مائة ألف واثنان عشر ألفاً وخمسمائة درهم.
 البثم: خمسة آلاف درهم.
 الباكين^(٤): ستة آلاف ومائتا درهم.
 رستاق جاوان: سبعة آلاف درهم.

-
- (١) ابن خرداذبه ٣٧: المندجان.
 (٢) ابن خرداذبه ٣٧: الزمشان. أما العندمين فنرجح أنها العندميس (ياقوت مادة جيحون) والوخشان نرى أنها الوخشاب الواردة في حدود العالم ٤٠، ١٩١. وانظر أيضاً بلدان الخلافة ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٢.
 (٣) ابن خرداذبه ٣٧: فارواف وأزران وخواس وخشك وخبرة. نرجح أن تكون (خبرة) هي (فره) الواردة في حدود العالم ١٠٢ وبلدان الخلافة ٣٨١ إذ أنها ترد قبل أو مع خواش.
 (٤) ابن خرداذبه ٣٨: الباكين.

رستاق الديوار^(١): ألفان ومائتان وعشرون درهماً.

افنه: ثمانية وأربعون ألف درهم.

خوارزم: أربعمائة ألف وتسعة وثمانون ألف درهم.

آمل: مائتا ألف وثلاثة وتسعون ألفاً وأربعمائة درهم.

وراء النهر:

بخارا: ألف ألف ومائة ألف وتسعة وثمانون ألفاً ومائتا درهم غطريفية.

الصغد وسائر كور نوح بن أسد: ثلاثمائة ألف وستة وعشرون ألفاً وأربعمائة درهم. منها على فرغانة، مائتا ألف وثمانون ألفاً محمدية. وعلى مدائن الترك ستة وأربعون ألفاً وأربعمائة درهم خوارزمية. ومن الكرايس الغلاظ الكندجية ألف وسبعة وثمانون ثوباً. ومن المرور وصفائح الحديد ألف وثلاثمائة قطعة نصفين. فالجميع ألف ألف واثنان وسبعون ألف درهم محمدية. منها على الصغد والمعدن بالبتم ومعدن الملح بكس ألف ألف وتسعة وثلاثون درهماً محمدية. وكس ونسف والبتم من كور الصغد.

أسروشنه: خمسون ألف ألف درهم. وثمانمائة وأربعون درهم محمدية.

الشاش ومعدن الفضة: ستمائة ألف وسبعة آلاف مسيبيه.

خجندة: مائة ألف درهم مسيبيه.

فجميع خراج خراسان [١٦٦ ب] وما ضُمن إلى عبد الله بن طاهر من الكور والأعمال: أربعمائة وأربعون ألف ألف وثمانمائة ألف وستة وأربعون ألف درهم. ومن الدواب ثلاثة عشر ألف ألف دابة. ومن الغنم ألفا شاة. ومن السبي ألفا رأس واثنا عشر رأساً قيمتها ستمائة ألف درهم. ومن المرور وصفائح الحديد ثلاثمائة قطعة نصفين.

(١) ابن خردادبه ٣٨: رويان.

القول في الترك

روي عن حذيفة أنه قال: تغلب الترك على الكوفة، وتغلب الخزر على الجزيرة، وتغلب الروم على الشام.

وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: لتخرجن الترك أهل العراق من بلادهم.

قال: وكتب عمر رضي الله عنه إلى عماله: إذا أصبتم أحداً من الأتراك فاضربوا عنقه، فإن لهم خرجة بعد المائتين. فإذا خرجوا كانوا أشدّ كلباً على ما في أيديكم مما في أيديهم.

ويروى عن النبي (ﷺ) قال: الترك أول من يسلب أمتي ما خولوا.

ويروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: والله لتكونن الخلافة في ولدي حتى تغلب على عزهم الحمر الوجوه الذين وجوههم كأنها المجان المطرقة.

ويروى عن أبي هريرة أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يجيء قوم عراض الوجوه صغار العيون فطس الأنوف حتى يربطوا خيولهم بشاطئ دجلة.

ويروى أن معاوية قال: لا تبعثوا الرابضين اتركوهما ما تركوكم: الترك والحبشة.

وفي حديث مرفوع قال: قال النبي (ﷺ): اتركوا الترك ما تركوكم.

وقالوا: لا تضع الشاة بالترك أقل من أربعة، وربما وضعت خمسة أو ستة كما تصنع الكلبة. فأما اثنين وثلاثة فإنما يكون في الفرد وهي كبار جداً ولها ألياء عظام تجرها على الأرض.

قال: ويلدان الأتراك^(١): التغرغز وبلادهم أوسع بلدان الأتراك، حدّهم الصين والتبت والخرلخ والكيماك والغز والجقل^(٢) والبجناك والتركش وأركش وخشفاج^(٣) وخرخيز، وبها [١٦٧ أ] مسك. وهي من هذا الجانب [من] النهر. فأما مدينة فاراب فإن فيها مسلحة^(٤) للمسلمين. والآخرى أترك الخرلخية. وجميع مدائن الترك ست عشر مدينة.

وقال بعض العلماء بالترك: أجناس الترك:

الخرلخ: وهم ما يكون إلى ناحية سمرقند. وهم عتاق الترك.

والبدكشية: وهم أصحاب اللحى العظام.

والغز والتغرغز.

والكيماك: وهم الملوك، وهم أوغل في بلادهم وأعزهم عند جميع الترك.

والبشناكية والشرية.

والتغرغز عرب الترك، وهم أصحاب عمد يحلون ويرحلون.

والبدكشية: أصحاب بناء وقرى.

قال: بعث هشام بن عبد الملك رجلاً إلى ملك الترك يدعوه إلى الإسلام.

قال: فدخلت إليه وهو يتخذ سرجاً. فقال للترجمان: من هذا؟ قال: رسول ملك

العرب. قال: غلامي؟ قال: نعم. فأمر بي إلى بيت كثير اللحم قليل الخبز. فلما

كان ذات يوم ركب في عشرة أنفس مع كل واحد منهم لواء وأمر أن أحمل فحملت

(١) تتفق أغلب المعلومات المتعلقة بالترك هنا مع ما هو موجود لدى ابن خردادبه.

(٢) في الأصل: الجقر. وارتأينا ذلك معتمدين على كتاب الكاشغري (ديوان لغات الترك الذي قال ضمن مادة جِكل: (اسم لثلاث طوائف من الترك ان الغزاية سمّت جميع الترك من لدن جيحون إلى الصين الأعلى، جكل. وذلك خطأ) (١: ٣٣٠).

(٣) صوابها خفجاخ. وقد يقال: قبجاق. أما التي قبلها فصوابها اذكش. وهم جيل من الترك (الكاشغري ١: ٨٩). ونخبة الدهر ٣٤٦.

(٤) في الأصل: مصلحة. والتصحيح من ابن خردادبه ٣١.

على دابة . فصعد تلاً وحول التل غيضة . فلما طلعت الشمس أمر واحداً من أولئك العشرة أن ينشر لواءه ويلج^(١) به . ففعل . فوافى عشرة آلاف مدجج . فقال للترجمان : قل لهذا الرسول يُعلمُ صاحبه أن ليس في هؤلاء حجام ولا إسكاف ولا خياط . فإذا أسلموا من أين يأكلون؟

وآخر خراسان من ناحية الشاش ، نوشجان الأعلى . فمن نوشجان إلى مدينة خاقان ملك التغرغز مسيرة ثلاثة أشهر في قرى كبار وخصب وأسواق . وأهلها أتراك وفيهم مجوس يعبدون النار . وفيهم زنادقة على مذهب ماني . والملك في مدينة عظيمة كثيرة الأهل والأسواق ولها ثلاثة [١٦٧ ب] عشر باباً حديداً . وعن يسارها كيماك وأمامها الصين على ثلاثمائة فرسخ .

فأما ملك كيماك وأصحابه فبادية يتبعون مساقط القطر ويحلون ويرتحلون في طلب الكلا .

وقال علي بن ربن كاتب المازيار : أحصن مدينة بُنيت على وجه الأرض ، أن ملكاً من ملوك الترك أتى سبخة ومستنقع ماء عادي أجاجي في طرف من أطراف سلطانه ، فصرف الماء عنه ثم حفر أملاً عرضاً أربعون ذراعاً . ثم أمر فرغ من قرار الحفر سوران بالآجر والكلس ، عرض كل سور عشرة أذرع وبينهما فضاء عرضه عشرون ذراعاً .

فلما انتهى بالسورين إلى وجه الأرض ، طمَّ الفضاء الذي بينهما بالرمل ، وأقبل بينهما فكلما ارتفعاً جعل الرمل في وسطهما حتى جعلهما خمسين ذراعاً . ثم بنى في المدينة له ولرعيته من المنازل والقصور وحفر حولها خندقاً ثم جرف إليها الماء . فلم تلبث أن عادت بعد سنة أجمعة عظيمة من أعظم الآجام ، وأودعها أهله ونفيس أمواله فصارت أمنع مدينة بُنيت على قلل الجبال أو في قرار الأرض .

وإن ملكاً من ملوك الترك رامها - والترك أغلب الأمم وأشد احتيالا على نقب المدن والحصون من المواضع البعيدة - فسار إليها ونزل على فراسخ منها ، وأمر

(١) كذا في الأصل . ولدى ياقوت (تركستان) : يليج .

نقابه أن ينقبوا فنقبوا حتى بلغوها. فلما صاروا إلى الأجمة التي حولها خرج عليهم الماء في النقب. فما زالوا يحتالون فيه وهو مرة يغلبهم ومرة يغلبونه حتى استوى لهم قطعه وظنوا أنهم قد ظفروا بالمدينة. ولما أفضوا إلى السور وأخذوا في نقبه. فلما نقبوه خرج عليهم الرمل المنهال. فكانوا لا يخرجون منه شيئاً إلا سال من جوانبه أضعافه. فلما رأوا ذلك علموا أن لا حيلة بهم فأنصرفوا خائبين.

قالوا: والنعجة تضع في بلاد الترك عدة من السخول في البطن الواحدة. ربما وضعت سبعة وستة وخمسة. فاما أربعة وثلاثة [١٦٨ أ]، فجميع مواشيهم على هذا.

والترك إذا أرادت أن تحلف رجلاً أنت بصنم من نحاس فتنصبه ثم تحضر قصعة فتصير فيها ماء ويوضع بين يدي الصنم، ثم يجعل في القصعة قطعة ذهب وكف دخن ويؤتى بسراويل امرأة فيوضع تحت القصعة. ثم يقولون: استحلف ان نقضت هذا العهد أو غدرت أو خنت فيصيرك الله امرأة تلبس سراويلها، وسلط عليك من يقطعك قطعاً مثل هذا الدخن، واصفر لونك مثل اصفرار الذهب. ثم يشرب بعد اليمين ذلك الماء، فعلى ما يفعله إنسان منهم يحث إلا مات وأصابته بلية.

وفي بلادهم السعور والفنك الجيد. وهم أرمي الأمم كلها بالنشاب.

وإذا وُلد للرجل منهم ولد، رباه ورعاه وعاله وقام بأمره حتى يحتلم. فإذا بلغ الحلم دفع إليه قوساً وسهاماً وأخرجه عن منزله وقال له: احتل لنفسك. ثم يصير ولده عنده مثل الغريب الذي لا يعرفه. هذه سنتهم في أولادهم.

ومنهم قوم [يبيعون]^(١) بنيتهم وبناتهم.

وتزويجهم ان جواريتهم مكشفات الشعور، فإذا أراد الرجل أن يتزوج نظر إلى التي يريد وألقى على رأسها مقنعة. فإذا فعل ذلك فقد صارت امرأته لا يمنعها عنها والد ولا يدفعها أخ.

(١) تكلمة من ياقوت وهي لديه (يبيع) وعدلناها لتلام ما بعدها.

وفي بلادهم الختو الجيد، وهو جبهة دابة تصاد في بلادهم.

وذكر تميم بن بحر المطوعي أن بلادهم شديد البرد. وإنما يسلك فيه ستة أشهر في السنة، وأنه سلك إلى بلاد خاقان التغرغزي على بريد أنفذه خاقان إليه، وأنه كان يسير في اليوم واللييلة ثلاث سكك بأشد سير وأحثة. فسار عشرين يوماً في براري فيها عيون وكلاً وليس فيها قرية ولا مدينة غير أصحاب السكك وهم نزول في خيام. وأنه كان البريد حمل معه زاداً لعشرين يوماً وذلك أنه عرف أمر تلك المدينة وإن مسافتها عشرون يوماً في براري فيها عيون وكلاً. ثم سار بعد ذلك [١٦٨ ب] عشرين يوماً في قرى متصلة وعمارات كثيرة، أهلها كلهم أو أكثرهم أتراك. منهم عبدة النيران على مذهب المجوس، ومنهم زنادة.

وإنه بعد هذه الأيام وصل إلى مدينة الملك وذكر أنها مدينة عظيمة خصيبة حولها رساتيق عامرة وقرى متصلة ولها اثنا عشر باباً من حديد مفرطة العظم.

قال: وهي كثيرة الأهل والزحام والأسواق والتجارات، والغالب على أهلها مذهب الزنادقة. وذكر أنه حَزَرَ ما بعدها إلى بلاد الصين فميزه ثلاثمائة فرسخ. قال: وأظنه أكثر من ذلك.

قال: وعن يمينه مدينة ملك التغرغز، بلاد الترك لا يخالطهم غيرهم. وعن يسارها بلاد كيماك وأمامها بلاد الصين.

وذكر أنه نظر قبل وصوله إلى المدينة بخمسة فراسخ إلى خيمة للملك من ذهب على سطح قصره تسع مائة رجل. وذكر أن خاقان ملك التغرغز كان مخاتناً لملك الصين، وإن ملك الصين يحمل إليه في كل سنة خمسمائة ألف فرند^(١).

وذكر أن بين النوشجان الأعلى وبين الشاش على طراز، أربعين مرحلة للقوافل. فمن سارها على دابة وكان منفرداً قطعها في شهر.

قال: ونوشجان الأعلى بها أربع مدن كبار وأربع صغار. وأنه حزر المقاتلة

(١) والفِرَنْد هو السيف.

في مدينة واحدة على شط بحيرة هناك فمَيَّزَهم نحو عشرين ألف فارس بالسلح
النام. وليس في جميع أجناس الترك أشدَّ منهم، وانهم إذا اجتمعوا مع الخرلخية
لحرب، كان منهم مائة رجل ومن الخرلخية ألف رجل، وعلى هذا يخرجون في
جميع حروبهم.

وذكر أن هذه البحيرة شبيهة بالحوض المربع، وأن حولها جبلاً شامخة فيها
من جميع أصناف الشجر.

قال: وهناك رسم مدينة قديمة لم أجد في الأتراك من يعرف خبرها ولا من
بناها ولا من كان أهلها ولا متى خربت، وأنه نظر فيها إلى نهر يشقها لا يلحق
غوره هناك. ورأيت فيه أنواعاً من الحيوانات البحرية ما رأيت مثلها. وكذلك
رأيت به طيوراً لم أرَ في شيء من البلدان مثلها.

قال: وأهل النوشجان وغيرهم بها يقدمون منهم من المدن والقرى يطوفون
بها في سنة مرة واحدة في أيام الربيع ويجعلون ذلك عيداً^(١).

قال: ويدخلها المأم من ناحية التبت من مائة وخمسين نهراً كبيراً وصغاراً.
وكذلك من ناحية التغرغز والكيماك. وذكر أنه وجد ملك التغرغز حين [ذهب]^(٢)
إليه معسكراً بالقرب من مدينته وأنه حزر جيشه الذي حول سرادقه دون غيرهم
فكانوا نحو من اثني عشر ألف رجل. قال: وبعد هؤلاء سبعة عشر قائداً مع كل
قائد ثلاثة آلاف. قال: وبين القائد والقائد مصالح من خيام. والقواد ومن معهم
من المصالح بأجمعهم محيطون بالعسكر، ولهم في إحاطتهم فرجة يكون مقدارها
أربعة أبواب إلى ناحية العسكر. وجميع دواب الملك ودواب الجند ترعى فيما بين
سرادق الملك ومواضع القواد لا تتخلص منها دابة إلى خارج العسكر.

وسألناه عن طريق كيماك من طراز فذكر أن الطريق مسيرة طراز إلى قريتين
في موضع يقال له كواكب عامرتين أهلينتين ومسافتها من طراز سبعة فراسخ.

(١) في الأصل: عمداً.

(٢) تكملة يقتضيها السياق.

ومن هذا الموضع ملك كيماك مسيرة ثمانين يوماً للفرس المجتهد يحمل معه زاده .
وان جميع ذلك صحارى وبراير ومفاوز واسعة كثيرة الكلا والعيون . وفيه مراعي
الكيماكية . وذكر انه سلك وحده هذه الطريق ووجد ملك كيماك مع عسكره في
خيام وبقره قرى وعمارات وانه ينتقل من موضع إلى موضع يتبع الكلا . وان
دوابهم كثيرة دقيقة الحوافر . وحزر من في عسكره فوجدهم نحو عشرين ألف
فرس .

وذكر أبو الفضل الواشجردي أن ملك التفرغز غزا ملك الصين مرتين في أيام
الرشد . وقيل ذلك في أيام المهدي [١٦٩ ب] وكانت غزوته ما بين سروشنة إلى
سمرقند . وان عامل سمرقند حاربه في عدة وقائع وكانت لهم حروب شديدة . ثم
إن صاحب سمرقند رزق النصر عليه فهزمه وقتل خلقاً من أصحابه . ويقال إنه كان
في ستمائة ألف بين فارس وراجل من أهل الصين . فغنم المسلمون غنيمة عظيمة
وأسروا خلقاً ، فأولادهم الذين بسمرقند يعملون الكاغذ الجيد وأنواع السلاح
والآلات التي لا تعمل بمدن خراسان إلا بسمرقند .

ومن عجائب بلد الترك حصن عندهم يستمطرون [به] ^(١) ما شاؤا من مطر
وثلج وبرد وغير ذلك . وأمر هذا الحصن عندهم مشهور مستفيض لا ينكره أحد من
الأتراك . وهو عند ملك التفرغز خاصة ليس يوجد عند أحد من ملوكهم غيره .

وحدثني أبو عبد الله الحسين بن استاذويه . حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن
الحسن . حدثنا هشام بن لهراسب السائب الكلبي عن أبي مليح عن ابن عباس قال :
لم يتزوج إبراهيم عليه السلام على سارة حتى ماتت فتزوج امرأة من العرب العاربة
يقال لها قنطورا بنت مقطور فولدت له مدين ومداين وهو مدين ونيسان واشتق
وسرج . فأمر إبراهيم عليه السلام أن يضم إليه من ولد إسماعيل وإسحاق ومدين
ونيسان ويخرج عنه مدين واشتق وسرج . فقالوا له : يا أبانا كيف تستجير أن تترك
عندك إسماعيل وإسحاق ومدين ونيسان في الأمن والدعة وتخرجنا نحن عنك إلى

(١) تكملة من ياقوت .

الغربة والوحشة والوحدة؟ فقال: بذلك أمرت ولكنني سأعلمكم اسماً من أسماء الله تعالى لتستنصروا به على أعدائكم وتستزلوا^(١) به الغيث إذا أجديتم. فعلمهم إياه وخرجوا سائرين حتى نزلوا موضع خراسان فتنازلوا هناك وقهروا بذلك الاسم جميع من ناوهم. فاتصل خبرهم بالخزر - وهم من ولد يافث بن نوح - فصاروا إليهم وحالفوهم وتزوجوا إليهم وأقام بعضهم عندهم وانصرف الباقون إلى بلدتهم [١٧٠].

وحدث أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى المروزي^(٢) فقال: لم نزل نسمع في الثغور الخراسانية التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الغزية والتغزغزية والخرلخية وفيهم المملكة ولهم في أنفسهم شأن عظيم ونكاية في الأعداء شديدة، إن من الترك من يستمطر في أسفاره وغيرها فيمطر ويحدث ما يشاء من مطر وبرد وثلج ونحو ذلك. فكنا بين منكر ومصدق حتى رأيت داود بن منصور بن أبي علي الباذغيسي - وكان رجلاً صالحاً قد تولى خراسان فحمد أمره - وقد خلا بابن ملك الترك الغزية وكان يقال له بالقيق بن حَيَوِيه فقال له: يبلغنا عن الترك أنهم يجلبون المطر والبرد والثلج متى شاؤوا فما عندك في ذلك؟ فقال: الترك أذل وأحقر عند الله من أن يستطيعوا هذا الأمر. والذي بلغك فهو حق ولكن له خبر أحدثك به. كان بعض أجدادي راغم أباه - وكان الملك في ذلك العصر - وشذ عنه واتخذ لنفسه أصحاباً من مواليه وغلماناه وغيرهم ممن يحب الصعلكة ومضى سائراً في شرق البلاد يغير على الناس ويصيد ما يظهر له ولأصحابه. فانتهى به المسير إلى بلد ذكر أهله أنه لا منفذ لأحد وراء جبل لهم. فقال لهم: وكيف ذلك؟ قالوا: لأن الشمس تطلع من وراء هذا الجبل وهي قريبة من الأرض جداً فلا تقع على شيء إلا أحرقت. قال: أفليس هناك ساكن ولا وحش؟ قالوا: بلى. قال: فكيف يتهاى لهم المقام على ما ذكرتم؟ قالوا: أما الناس فلهم أسراب تحت الأرض وغيران في الجبال، فإذا طلعت الشمس بادروا

(١) في الأصل: لتستنصرون وتستزلون.

(٢) راجع مقدمة الكتاب فقد ترجمنا له بتفصيل.

إليها فاستكنوا فيها حتى ترتفع الشمس عنهم . وأما الوحش فإنها تلتقط حصي هناك
قد ألهمت معرفته ، فتأخذ كل وحشية حصاة من ذلك الحصى بفيها وترفع رأسها
إلى السماء فتظلها عند ذاك غمامة تحجب بينها وبين الشمس .

قال : فقصد جدي تلك الناحية فوجد الأمر على ما بلغه . قال : فلما بدأت
الشمس في الطلوع بادرت الوحوش إلى ذلك الحصى فجعلته في أفواهها
[١٧٠ ب] ورفعت رؤوسها إلى السماء فأظلتها الغمام . قال : فحمل هو وأصحابه
عليها يكدونها ، فلما أدركها اللغوب ألقت ذلك الحصى من أفواهها ، فأمر أصحابه
بلقطه ليعرفه . ففعلوا وجاءوا به فعرفه وتتبعه هو وأصحابه في تلك البرية فأخذوه
وشالوه حيال الشمس فأظلمهم الغمام ونجوا من وقع الشمس وحرها .

ثم جمعوا منه ما قدروا عليه وحملوه إلى بلادهم . فهم إذا سافروا وأرادوا
المطر [حركوا منه شيئاً يسيراً فينشأ الغيم فيوافي المطر]^(١) وان هم أرادوا الثلج
والبرد زادوا فيه فيوافي الثلج والبرد .

ويقال إنهم إذا أومأوا إلى جهة من الجهات ، مطرت تلك الجهة وأبردت .
فهذه قصتهم وليس هذه من حيلتهم ولا قدرتهم ولكنها من قدرة الله تعالى .

قال أبو العباس : ثم وردت مدينة الشاش واجتمع إلي قوم من أهلها لهم
افهام ومعرفة وعلم بأحوال الترك فسألتهم فقالوا عندنا من جملة الأمر ما عندك .

فأما التفسير الذي ذكره بالقيق فهو أعرف به إذ كان يخرج الحديث عن آبائه .

فقال : ولقيت هناك شيخاً من الكتاب القدماء يقال له حبيب بن عيسى وكان
قد اجتمع أخبار وقائع نوح بن أسد وحروبه مع الترك ، وفهم أمور ذلك الصقع ،
فأخرج إلي نسخة كتاب من عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد ، وفي آخره^(٢) نسخة
كتاب المأمون إليه يأمره بالمسألة والبحث عما يتكلم به الترك في الاستمطار . قال

(١) تكملة من ياقوت (تركستان) .

(٢) في الأصل : آخر .

حبيب: فجمع نوح مشايخ البلد ومسلمي الترك فسألهم عن الأمر فلم يختلفوا في أنه حق إلا أنهم لم يعرفوا العلة فيه.

قال أبو العباس: فسمعت إسماعيل بن أحمد أمير خراسان يقول: غزوت الترك في بعض السنين في نحو عشرين ألف رجل من المسلمين فخرج إليّ منهم نحو ستين ألفاً في السلاح الشاك فواقعتهم أياماً. فإني يوماً في قتالهم إذ اجتمع إليّ خلق من غلمان الأتراك وغيرهم من الأتراك المستأمنة فقالوا لي: إن لنا في عسكر الكفرة قرابات وإخوان قد أنذرونا وخوفونا بموافاة [١٧١ أ] فلان - قال: وكان هذا الذي ذكروا عندهم كالكاهن وكانوا يزعمون أنه ينشئ سحب البرد والثلج وغير ذلك فيقصد بها من يريد إهلاكهم - وقالوا: قد عزم أن يمطر عسكرنا برداً عظيماً لا تصيب البردة إنساناً إلا قتله. فانتهرتهم وقلت لهم: ما خرج الكفر من قلوبكم بعد، وهل يستطيع هذا أحد من البشر؟ قالوا: قد أنذرتنا وأنت أعلم والموعود غداة [غد] ^(١) عند ارتفاع النهار.

قال: فلما كان من الغد وارتفع النهار نشأت سحابة عظيمة هائلة من رأس جبل كنت مستنداً بعسكري إليه. ثم لم تزل تنتشر ويزيد أمرها حتى أظلت عسكري كله. فهالني سوادها ومما رأيت منها وما سمعت فيها من الأصوات الهائلة، وعلمت أنها فتنة فنزلت عن دابتي وصليت ركعتين وأهل العسكر يموج بعضهم في بعض لا يشكون في البلاء. فدعوت الله عز وجل وعفرت وجهي في التراب وقلت: اللهم أغثنا إن عبادك يضعفون عن محنتك، وأنا أعلم أن القدرة لك وأنه لا يملك الضر والنفع إلا أنت، إن هذه السحابة إن مطرت علينا كانت فتنة للمسلمين وسطوة للمشركين. فاصرف عنا شرها بحولك وقوتك يا ذا الحول والقوة.

قال: فأكثر [الدعاء] ^(٢) ووجهي في التراب رغبة ورهبة إلى الله وعلماً أنه لا يأتي الخير إلا من عنده ولا يصرف السوء غيره. فبينما أنا كذلك إذ تبادر إليّ

(١) تكملة يقضيها السياق.

(٢) تكملة من ياقوت.

الغلمان وغيرهم من الجند يبشرون بالسلامة وأخذوا بعضدي ينهضوني من سجدتي ويقولون: انظر، انظر أيها الأمير. فرفعت رأسي وإذا السحابة قد زالت عن عسكري وقصدت عسكري الترك تمطر عليهم برداً عظيماً. وإذا هم يمشون وقد نفرت دوابهم وتقلعت خيمهم وما تقع بردة على واحد منهم إلا أوهنته أو قتلته. فقال أصحابي: نحمل عليهم. فقلت: لا، لأن عذاب الله أدهى وأمر، فلم يفلت منهم إلا القليل وتركوا عسكريهم بجميع ما فيه وهربوا. فلما كان من الغد جئنا [١٧١ ب] إلى عسكريهم فوجدنا فيه من الغنائم ما لا يوصف. فحملنا جميع ذلك وحمدنا الله على السلامة وعلمنا أنه هو الذي سهل لنا ذلك وملكنا إياه والحمد لله رب العالمين.

ذكر بعض مدن الأتراك وعجائبها

قال سعيد بن الحسن السمرقندي: منهم بادية يحلون ويرتحلون ويتجمعون الغيث ويتبعون الكلاً كما تفعل البوادي في بلد الإسلام. وهم لا يدينون لملك ولا يعطون طاعة لأحد. يغير بعضهم على بعض فيسبون الحرم والذراري وربما فارق القوم منهم الحي الذي كانوا فيه وصاروا إلى سبي آخر ومعهم من حرم أهل ذلك الحي الذين قد صاروا إليه وأولادهم قد استعبدوهم فلا يطالبونهم بهم، وهم ينظرون إليهم عبيداً لهم سنة فيهم وشيء قد اصطلحوا عليه.

ولهم مدن كثيرة في بعضها تجار وأموال وفي جميعها أسواق.

فمنها مدينة التفرغز وهي أكبر مدائنهم وأحصنها ولها سور عظيم مبني بالصخر وله خندق دائر به، فيه ماء غزير، وأهلها لهم شدة وإقدام في الحرب وأكثر سلاحهم السيوف.

ومن مدنها أيضاً مدينة يقال لها حيوس^(١) تقرب من الشاش وهي كبيرة أيضاً وأهلها بغير دين وهم شرار خلق الله يغير بعضهم على بعض ويقتل أقدرهم

(١) كذا في الأصل. ونقترح أنها إما أن تكون جيفوكث التي هي من مدن الشاش ومعسكرها القديم (حدود العالم ١١٥) أو جوزن وهي من مدن الشاش أيضاً (مسالك وممالك ٢٦٠).

ضعيفهم ولا يأمن الأخ أخاه ولا الوالد أبناءه. يأكلون جميع الحيوانات. الزنى فيهم ظاهر، يدخل الواحد منهم إلى منزل الآخر فيفترش حرمة وهو ينظر إليه لا يمتعض من ذلك ولا ينكره. وليست لهم شجاعة وفيهم جمال وأكثر رجالهم مؤنثون ويشربون الدم. وفي وسط مدينتهم بحيرة غزيرة الماء إذا مات الواحد منهم ألقى فيها.

ومن مدنها أيضاً مدينة يقال لها دي^(١)، لا يقول أهلها بالحرب بل يؤدون الاتاة إلى كل من غلبت يده عليهم وينكحون كل ما لحقوه من امرأة أو غلام أو حيوان [١٧٢].

ومن مدنها مدينة يقال لها سور^(٢) يقاتل أهلها أهل الشاش وأهل سمرقند، ولهم بأس شديد ونكاية عظيمة ولهم أوصاف يعرفون بها في الحرب ولا تكاد تخطئ. وفي رجالهم جمال وفي نسايتهم قبح وهم ينكرون الزنى ويقتلون من يفعله من الذكر والأنثى. ولهم نبيذ يتخذونه من عقاقير يعرفونها، يسكر الرطل الواحد بالبغدادى منه سكرًا مفرطًا.

(١) لم تهتد إليها فيما بين أيدينا من مصادر. إلا أن أوصاف أهلها تنطبق على قبيلة الجكل التركية. قال مسعر بن مهلهل في رحلته (الورقة ١٧٦ أ من مخطوطة المكتبة الرضوية بمشهد - وقد نقله عنه ياقوت أيضاً ٣: ٤٤٦ في جملة ما ذكر من أوصافهم: «يتزوج الرجل بابنته وبأخته وسائر محارمه وفيهم دعة ولا يرون الشر. وجميع من حولهم من قبائل الترك تتخطفهم وتطمع فيهم».

وقيل عنهم في حدود العالم ٨٤ لهم الطباع الطيبة وحسن المعاشرة وهم عطوفون». وانظر أيضاً: آثار البلاد ٥٨٢ ففيه معلومات إضافية.

إذن، فهم يشتركون مع من ذكرهم ابن الفقيه أعلاه بصفتي: الإباحية الجنسية وحب الموادة والسلام.

(٢) هي مدينة سوار تقع إلى الشرق من بلغار. قال أبو الفداء «بلغار هي بلدة في نهاية العمارة الشمالية وهي قريبة من شط اتل من البر الشمالي الشرقي، وهي وسراي في بر واحد وبينهما فوق عشرين مرحلة» تلفيق الأخبار ١: ٢٦٣ وسوار هي سخسين (الكاشغري ١: ٣٦٥). وانظر حدود العالم ١٩٥ حيث وردت باسم سوار.

ومن مدنهم مدينة يقال لها جريسم^(١) أكثر غارة أهلها على المدينة التي يقال لها سور، وإذا أسروا من أهلها إنساناً قطعوه وطبخوه وأكلوه وهم همج لا يكاد بعضهم يفقه قولاً ولا يعرف شيئاً. وإذا خلا القوي منهم بالضعيف نكحه ولهم أيضاً بأس شديد.

ومن مدنهم أيضاً مدينة يقال لها اغرس^(٢) أهلها قد خالفوا جميع الأتراك باعتدال الطبع وسلامة الناحية. يأكلون لحم أكثر الحيوان بعد الذبح ويعبدون أوثاناً لهم. وفيهم علماء بمذهبهم، ولا يرون الزنى ويجتنبون الفواحش، ولهم بيت عبادة مفرط الطول والعرض والارتفاع يزعمون أنه نزل من السماء على هيئته التي هو عليها. ويقولون: إنما نعبد الأوثان لتقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده لأنها بغير ذنوب. ولهم ملك منهم.

ومن مدنهم مدينة يقال لها كرشيم^(٣) يأكل أهلها كلما دبَّ على وجه الأرض بغير تذكية ولهم إقدام وصوله. وهم عراة كالبهائم يلقي الرجل المرأة في الطريق فيجامعها والناس ينظرون إليه. وهم أصحاب بيات وأكثر قتالهم بالنشاب المسموم ولا يعطون طاعة لأحد.

ومن مدنهم مدينة يقال لها دكس^(٤)، لأهلها بأس شديد وصبر على القتل. وبعضهم شديد الحب لبعض وغنيهم يعود على فقيرهم. ولهم يسار ظاهر من المواشي والخيول وغير ذلك. ومنهم تجار يخرجون إلى بلد الإسلام. ولهم وفاء

(١) لم نهتد إليها فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) في حدود العالم ٧٨ «إغراج أرت»: مكان لا يخلو من الثلج إطلاقاً. وقد أوردها ضمن المدن التي هي في نواحي التوغوز. وهي إغراق لدى الكاشغري (١: ٢٧).

(٣) لم نهتد إليها.

(٤) هي مدينة أذكشبة التي ذكرها ابن سعيد الذي قال ص ١٩٦ «يسكنها قوم من الأذكش وهم قوم من الترك تبصروا بالمجاورة».

قلت: الصواب: تنصروا أي اعتنقوا النصرانية. ويبدو أنه خطأ طباعي. وعن أذكش انظر الكاشغري (١: ٨٩).

بالعهد إذا عاهدوا منهم دون جاره أو من يعرفه من غير بلده، إلا أن الزنى عندهم غير مستنكر. ومدينتهم كثيرة [١٧٣ أ] الخير غزيرة المياه والبساتين ولهم ضروب من الفاكهة عجيبة لا تعرف في بلد الإسلام.

ومنهم مدينة يقال لها كيساه^(١) تقرب من بلد الخزر فأهلها يعززون على الخزر، وهم من شر خلق الله، إذا دخل الغريب مدينتهم نكحوه. وإذا وجدوا رجلاً مع غلام جعلوا الغلام له أبداً. وفي بلدهم ضرب من الحيوان يأكل الناس يكون في قدر الكلب إلا أنه شديد الضراوة على الناس قل من يفلت منه إذا نظر إليه سريع الخطو يسبق الخيل المضمرة. ولهم نبيذ أبيض طيب الرائحة والطعم. يأكلون الميتة والدم مثل السباع. قليلة رحمتهم، لثام الظفر قباح الوجوه قصار الأجسام.

ومن مدنتهم مدينة يقال لها داني^(٢) رجالها طوال ونساؤها قصار ومدينتهم

(١) ذكرها ابن سعيد (ص ١٩٦) على أنها تقع غربي مدينة اذكشبة التي ذكرت أعلاه وقال: «مدينة الكسا: وهم جنس من الترك تنصروا وتعبدون وموضعها على البحر».

ويبدو أن كلام المؤرخ المتأخر بدر الدين العيني (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ): «ومن طائفة الترك: الجراكسة. وأصلهم أربع قبائل وهم: جرکس - ويقال لهم سرکس - وأركس، والآص، وكسا». (السيف المهند ص ٢٦) حيث أن أركس - وربما هي مصحفة من قبل الناسخ عن (ادكس) أو (اذكش) - وكسا، يعني المدينتين أعلاه.

(٢) إن تحديد موقع هذه المدينة بكونها بين الخزر والروم يجعلنا نرجح أنها من مدن البجناكية. قال الاصطخري في مسالك الممالك ص ١٠ «وقد انقطع طائفة من الأتراك عن بلادهم فصاروا بين الخزر والروم يقال لهم البجناكية وليس موضعهم بدار لهم على قديم الأيام وإنما انتابوها فغلبوا عليها».

وقال المروزي في طبائع الحيوان (٢٠ - ٢١) «والبجناكية قوم سيارة يتبعون مواقع القطر والكلأ. وطول أرض بجنالك مسيرة ثلاثين يوماً في ثلاثين يوماً. قد أحاط بهم من كل جهة أمم كثيرة. ففي ناحية الشمال منهم: بلاد خفجاق، وفي ناحية الجنوب في المغرب: بلاد الخزر. ومن ناحية المشرق: بلاد الغزيرة. ومن ناحية الجنوب: بلاد الصقالبة. وهذه الأمم يغزون البجناكية والبجناكية تغزوهم».

وينطبق الكلام الذي قاله المروزي مع ما هو موجود لدى كريدزي ص ٥٧٩ إلا أن هذا قال: =

بين الخزر والروم فهم يقاتلون هؤلاء وهؤلاء . ولهم قوة على الخزر ولا قوة على الروم . يأكلون جميع الحيوان ويلحسون جراحاتهم ويقاتلون بالسيوف ولا صبر لهم على الشباب . يتزوج الرجل منهم بمائة امرأة وربما ذبح الواحد منهم امرأته وولده بحضرة أبي المرأة وأُمها وأخوتها وأكلها هو وهم . ولهم جبل فيه ضرب من الحيات لا يبلى سليمها . ولهم عقارب مفرطة العظم كثيرة في منازلهم ليست تُنال ربما أكلوها . وعندهم خفاش يكون الواحد منهم مثل الحمامة الكبيرة وأعظم .

ومن مدنها مدينة يقال لها سكوب^(١) وأهلها يتكلمون بالسريانية ولهم شجاعة وإقدام ونسأؤهم يقاتلون معهم قتالاً شديداً . والزنى في نسائهم طبع مركب ، تنظر الواحدة منهن إلى الرجل الذي تشتهي فتقبض عليه ولا يملك شيئاً من نفسه وتمضي به إلى جبل بالقرب من المدينة فيه غيران وكهوف فتجعله في بعض تلك الغيران ولا يسهل له الخروج . وتجبره بجميع ما يحتاج إليه . ولا يجوز لزوج - إن كان لها - أو أخ أو ولد منعها من ذلك . وكذا الرجل لا يمكنه الخلاص من يدها إن كانت [١٧٤ أ] امرأة أو ولداً وغير ذلك من الأهل . فمتى يأبى عليها قتلته . وكذلك [إن] منعها منه مانع ، استنجدت من النساء اللواتي على مذهبها فقاتلن معها حتى يبلغن لها ما تريد لأنهن على مذهب واحد فبعضهن بعضاً . فإذا ضجرت منه أو ملته أو هويت سواه صرفته إلى منزله ثم لم يقدرها غيرها على أن يقتطعه لأنها تمنع من ذلك كان معها أو لم يكن .

= ومن المغرب: سقلاب . ويعني بذلك الصقابة . ويعزز هذا قول الكاشغري (١ : ٤٠٤) بجائك : جيل من الترك مسكنهم قرب الروم .

(١) نرى أنها هي مدينة بسكوف Pskov ولاية غربية من روسيا بها عدة بحيرات أهمها البحيرة المسماة باسمها . وفي جهتها الجنوبية الشرقية مستنقعات كثيرة وقسم منها تغشاها غابات من الصنوبر يستخرج منها كمية وافرة من القطران وسكانها على الأكثر من أصل روسي ولكن يوجد بينهم قبائل آخر وبعض من المسلمين . عن دائرة معارف البستاني ٥ : ٤٢١ بتلخيص . وفي Encyclopedia International أنها تقع على نهر فيليكاي محاذية لأستونيا . وعلى بعد ثمانية أميال إلى الجنوب ، تنبسط بحيرة بيبوس . ترتبط بخط للسكة الحديد وطريق من فيلينيوس ، ووارشو ، وريغا ، ولينينغراد .

ولهذه المدينة حمة عجيبة النفع تخرج من كهف في جبل شاهق لا يصل
إنسان إلى الكهف الذي هي فيه، وإنما تجري فيه إلى عشرة أبيات مبنية بالصخر:
سبعة للرجال، وثلاثة للنساء. ماؤها في الشتاء شديد الحر وينقص حره في
الصيف. وفي هذا الجبل ثعالب سود وحمرة وبلق قل ما يصطاد شيء منها لتغلغلها
بين الشجر وقلة نزولها إلى السهل. وهي أصبر الحيوان على الثلج وكذلك جميع
ما في هذا الجبل لأن الثلج يقع فيه أكثر السنة.

ولهم مدن كثيرة ولم نذكرها ومدن ما وصل إليها إنسان من المسلمين ولا
غيرهم يجيئون بصحة خبرها لأنها واغلة في المشرق لا يبلغها أحد ولا يقصدها
تاجر ولا غيره.

ألقاب ملوك خراسان والمشرق والترك والنواحي الملتصقة بهم^(١):

ملك نيسابور: كيان.

ملك مرو: ماهويه.

ملك سرخس: راذويه.

ملك ابورد: بهمنه.

ملك نسا: إيران.

ملك غرجستان: براز بنده.

ملك مرو الروذ: كيلان.

ملك زابلستان: فيروز.

ملك كابل: كابل شاه.

ملك الترمذ: ترمذ شاه.

(١) يمكن مقارنة جدول ألقاب الملوك هذا بجدول مماثلة في المسالك والممالك ص ٣٩ والآثار
الباقية ص ١٠١ ومجمل التواريخ والقصص ص ٤٢٠ - ٤٢٢ وصبح الأعشى ٥ : ٤٨٤.
والسيف المهند ص ٩٩. وتوجد بعض الاختلافات فيما بينها.

ملك الباميان : شيرباميان .

ملك السغد : أخشيد .

ملك فرغانة : أيضاً أخشيد .

ملك رويشان : رويشان شاه .

ملك الجوزجان : كوزكان خداه^(١) .

ملك خوارزم : خوارزم شاه .

ملك الحبش : حبش كيلان^(٢) .

ملك بخارا : بخارا خداه .

ملك أسروشنه : أفشين .

ملك سمرقند : طرخون .

ملك سجستان وبلاد الداور : زنبيل [١٧٤ ب] .

ملك هراة وبوشنج وباذغيس : برازان .

ملك كش والرخج : نيرون
مركز تحقيق كاپور محمد اسدي

ملك ما وراء النهر : شار شاه .

أما ملوك بالترك : هيلوب خاقان . جبغون . خاقان شابه . خاقان سنجبر .

مايوس خاقان . فيروز خاقان .

ومن ملوكهم الصغار : طرخان ونيزك وجورتكين ويمرون وسهران وغورك .

تم الكتاب بحمد الله تعالى إلى هاهنا . تأليف أحمد بن محمد بن إسحاق

الهمذاني المعروف بابن الفقيه من كتاب أخبار البلدان . والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على نبيه محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين .

(١) في الأصل كوكابارخداه والتصحيح من الآثار الباقية ص ١٠٢ . والممالك والممالك لابن

خرداذبه ص ٤٠ .

(٢) في الأصل خنس .



مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

مصادر التحقيق

- (وضعنا حرف (ف) أمام المصدر إن كان باللغة الفارسية) .
- الآثار الباقية عن القرون الخالية : محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني . تحقيق إدوارد ساخاو . لايبزك ١٩٢٣ .
 - آثار البلاد وأخبار العباد : زكريا بن محمد القزويني . بيروت . بلا تاريخ .
 - الأبنية عن حقائق الأدوية : (أو) روضة الإنس ومنفعة النفس (ف) : أبو منصور موقق بن علي الهروي . تحقيق أحمد بهمنيار . طهران ١٩٩٢ .
 - أبواب في الصين والترك والهند متخبة من طبائع الحيوان : طبائع الحيوان .
 - أحسن التفاسيم في معرفة الأقاليم : محمد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي . تحقيق دي خويه . بريل ١٩٠٦ . وأفدنا كذلك من طبعة بيروت (١٤٠٨ - ١٩٨٧) بتحقيق الدكتور محمد مخزوم .
 - الأحكام السلطانية : أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء . تحقيق محمد حامد الفقهي . أوفست طهران ١٤٠٦ .
 - أخبار الزمان ومن أباداه الحدثان : علي بن الحسين المسعودي . تحقيق عبد العظيم الصاوي . بيروت ١٩٧٨ .
 - إخبار العلماء بأخبار الحكماء : جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي يوسف القفطي . بيروت . بلا تاريخ .
 - أخبار مكة : محمد بن عبد الله الأزرق . تحقيق رشدي الصالح ملحق . بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .

- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي: محمد بن الحسن الطوسي. تحقيق حسن المصطفوي. مشهد (إيران) ١٩٦٩.
- أساس البلاغة: جاز الله محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق عبد الرحيم محمود. طبعة أوفست بغير مكان ولا تاريخ للطبع.
- اصطلاحات ديواني دوره غزنوي و سلجوقي (ف): حسن أنوري. طهران ١٩٧٦.
- الأعلام النفيسة: أحمد بن عمر بن رسته. بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- الأعلام: خير الدين الزركلي. بيروت ١٩٨٦.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: إدوارد فنديك. أوفست قم ١٤٠٩.
- إمبراطورية الخزر: آرثر كومستلر. ترجمة حمدي متولي مصطفى صالح. ط لجنة الدراسات الفلسطينية. بلا تاريخ ولا مكان للطبع.
- أمثال العرب: المفضل الضبي. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- الإنجيل (العهد الجديد): عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٨٣.
- الانساب: أبو سعد عبد الكريم السمعاني. تحقيق عبد الله عمر البارودي بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي. بيروت ١٤٠٢ - ١٩٨٣.
- البدء والتاريخ: مطهر بن طاهر المقدسي. تحقيق كلمان هوار. باريس ١٩٠١.
- برهان قاطع (ف): محمد حسين بن خلف تبريزي. تحقيق الدكتور محمد معين. طهران ١٩٨٢.
- البلدان: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي. بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- بلدان الخلافة الشرقية: كي لسترنج. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. بغداد ١٣٧٣ - ١٩٥٤.
- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ. بيروت. بلا تاريخ.

- بيست مقاله (ف): محمد بن عبد الوهاب قزويني. طهران ١٩٥٣.
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي: أغناطيوس كرانسكوفسكي. ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. القاهرة ١٩٦٣.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان. ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار. القاهرة.
- تاريخ الإسلام: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري. صدر الجزء الأول منه بيروت عام ١٤٠٩ - ١٩٨٩ وما زال مستمراً في الصدور.
- تاريخ أفغانستان (ف): عبد الحي حبيبي. طهران ١٩٨٤.
- تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. مصر ١٣٤٩.
- تاريخ بيهق (ف): علي بن زيد البيهقي. تحقيق أحمد بهمينار. طهران بلا تاريخ.
- تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين. ترجمة مجموعة مترجمين. أوفست قم ١٤١٢.
- تاريخ جرجان: حمزة بن يوسف السهمي. تحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني. حيدر آباد ١٣٨٧ - ١٩٦٧.
- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: حمزة بن الحسن الأصفهاني. تصحيح جواد الإيراني التبريزي. برلين ١٣٤٠ هـ.
- تاريخ طب در ایران پس از اسلام (ف): الدكتور محمود نجم آبادي طهران ١٩٧٤.
- تاريخ طبستان (ف): محمد بن حسن بن اسفنديار. تحقيق عباس إقبال. طهران ١٩٨٧.
- تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. أوفست بيروت على طبعة دار المعارف بمصر.
- تاريخ ضرر السير المعروف بفرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم: أبو منصور الحسين بن محمد المرغني الثعالبي. تحقيق زوتنبرك. طهران ١٩٦٣.
- تاريخ قم (ف): حسن بن محمد بن حسن القمي. تحقيق جلال الدين تهراني. طهران ١٩٧١.

- تاريخ كرديزي (ف): عبد الحي بن ضحاك كرديزي. تحقيق عبد الحي حبيبي. طهران ١٩٨٤.
- تاريخ مختصر الدول: غريغور يوس بن أمرون الملطبي المعروف بابن العبري. تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي. بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي. دار صادر بيروت.
- التدوين في أخبار قزوين: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني. تحقيق عزيز الله العطاردي. بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٧.
- قلت: اسم الكتاب هو (التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين) كما ذكر مؤلفه في الجزء الأول ص ٣.
- تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. حيدرآباد ١٣٧٦ - ١٩٥٦.
- ترجمة تاريخ يميني (ف): ناصح بن ظفر جرفاذقاني. تحقيق الدكتور جعفر شعار. طهران ١٩٧٨.
- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: فاسيلي بارتولد. ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. الكويت ١٤٠١ - ١٩٨١.
- التفهيم لأوائل صناعة التنجيم: أبو الريحان البيروني. حققه وترجمه للإنكليزية رمزي رايت. لندن ١٣٠٢ - ١٩٣٤.
- تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار: م. م. الرمزي. أورنبرغ ١٩٠٨.
- التنبيه والإشراف: علي بن الحسين المسعودي. تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي. القاهرة ١٣٥٧ - ١٩٣٨.
- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد: أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي. بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٥.
- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين يوسف المزي. تحقيق الدكتور بشار

- عواد معروف . الطبعة الرابعة بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٥ .
- التوراة (العهد القديم) : عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٨٣ .
- الثقافات : محمد بن حبان البستي . حيدرآباد ١٣٩٥ - ١٩٧٥ .
- جامع الرواة : محمد بن علي الأردبيلي . قم ١٤٠٣ .
- الجامع في الرجال : الشيخ موسى الزنجاني . قم ١٣٩٤ .
- الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن محمد الرازي . حيدرآباد ١٣٧٢ - ١٩٥٢ .
- الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى : موريس لومبارد . ترجمة عبد الرحمن حميدة . دمشق بلا تاريخ .
- جغرافيا دار الإسلام البشرية : أندريه ميكل . ترجمة إبراهيم خوري . دمشق ١٩٨٥ . الجزء الثاني بقسميه .
- الجغرافيا : أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي . تحقيق إسماعيل العربي . بيروت ١٩٧٠ .
- الجماهر في معرفة الجواهر : أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني . بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤ .
- الجمل أو النصر في حرب البصرة : محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد . قم بلا تاريخ .
- جهان نامه (ف) : محمد بن نجيب بن بكران . تحقيق الدكتور محمد أمين رياحي . طهران ١٩٦٣ .
- حدود العالم من المشرق إلى المغرب (ف) : مؤلف مجهول . تحقيق الدكتور متوجهر ستوده . طهران ١٩٨٣ .
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متز . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . القاهرة ١٣٦٦ - ١٩٤٧ .
- حلية الأولياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني . القاهرة بلا تاريخ .
- حماسه سرايي در إيران (ف) : الدكتور ذبيح الله صفا . طهران ١٩٨٤ .

- الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ: تحقيق الدكتور عبد السلام هارون. بيروت بلا تاريخ.
- دائرة المعارف الإسلامية: مجموعة مستشرقين. ترجمها للعربية أحمد الشتناوي ورفيقاه. أوفست بيروت على الطبعة الأولى. بلا تاريخ.
- دائرة المعارف بزرگ إسلامي (ف): لمجموعة محققين وباحثين. تصدر في طهران عن المؤسسة المسماة باسمها. أفدنا من الجزء الرابع الصادر بتاريخ ١٩٩١.
- دائرة معارف البستاني: بطرس البستاني. أوفست بيروت على الطبعة الأولى. بلا تاريخ.
- دستور الاخوان (ف): قاضي خان دهار. تحقيق الدكتور أسد الله. طهران ١٩٧٠.
- دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري. النجف الأشرف ١٣٨٣ - ١٩٦٣.
- ديوان لغات الترك: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري. دار الخلافة العلية ١٣٣٣.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرگ الطهراني. بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- ذكر أخبار إصبهان: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني. ليدن ١٩٣٤.
- رجال النجاشي: أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي. تحقيق السيد موسى الشيبيري الزنجاني. قم. بلا تاريخ.
- رحلة أبي دلف: مسعر بن مهلهل الخزرجي. موجودة ضمن المخطوطة المودعة في المكتبة الرضوية بمشهد رقم ٥٢٢٩.
- رحلة سليمان التاجر: من رحلات العرب.
- رسالة ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس. تحقيق الدكتور سامي الدهان. دمشق ١٣٧٩ - ١٩٥٩.
- رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر. تحقيق الدكتور علي أبو ملحم. بيروت ١٩٨٧.
- السامي في الأسامي: أحمد بن محمد الميداني. طبعة مصورة بالفوتوغراف. طهران ١٩٦٤.

- سفرنامه أبو دلف در ایران (ف): فلاديمير مينورسكي. ترجمة سيد أبو الفضل طباطبائي. طهران ١٩٧٥.
- سير اعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي. تحقيق مجموعة محققين. بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١.
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد: بدر الدين محمود بن أحمد العيني. تحقيق فهد محمد شلتوت. القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٧.
- الشاهنامه: أبو القاسم الفردوسي. ترجمة الفتح بن علي البنداري. تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام. أوفست طهران ١٩٧٠.
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء. تحقيق محمد باقر المحمودي. طهران ١٤١١ - ١٩٩٠.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي. طبعة مصورة بالأوفست على طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة بالقاهرة. بلا تاريخ.
- الصيدنة في الطب: أبو الريحان البيروني. تحقيق عباس زرياب. طهران ١٩٩١.
- طبائع الحيوان: شرف الزمان طاهر المروزي. تحقيق فلاديمير مينورسكي. لندن ١٩٤٢. إضافة إلى مخطوطته الموجودة في مكتبة المكتب الهندي بلندن.
- طبقات المحدثين بإصبهان والواردین عليها: عبد الله بن محمد بن حيان المعروف بابن أبي الشيخ. تحقيق الدكتور عبد الغفار البنداري وكسروي حسن. بيروت ١٤٠٩ - ١٩٨٩.
- عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: السيد مرتضى العسكري. بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- المعبر في خبر من خبر: شمس الدين الذهبي. تحقيق محمد بسيوني زغلول. بيروت بلا تاريخ.
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: زكريا بن محمد القزويني - طبع ملحقاً بكتاب حياة الحيوان للدميري. القاهرة ١٣٩٠ - ١٩٧٠.

- عجائب المخلوقات (ف): محمد بن محمود بن أحمد طوسي. تحقيق منوچهر ستوده. طهران ١٩٦٦.
- عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. أوفست بيروت على الطبعة المصرية الأولى. بلا تاريخ.
- الفارات: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي الأصفهاني. تحقيق مير جلال الدين حسيني أرموي. طهران بلا تاريخ.
- فارس نامه (ف): ابن البلخي. تحقيق لسترنج ونيكلسون. لندن ١٩٢١.
- الفتن: نعيم بن حماد الخزازي. مخطوطة في المتحف البريطاني (المخطوطات الشرقية ١٤٤٩).
- الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي. بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري. تحقيق رضوان محمد رضوان. بيروت ١٣٩٨ - ١٩٧٨.
- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس قم ١٩٨٤.
- قلت اسم الكتاب هو: فرج المهموم في معرفة نهج الحلال من علم النجوم. كما صرح مؤلفه في ص ٩.
- فردوس الحكمة: علي بن سهل بن ربن الطبري. تحقيق الدكتور محمد زبير الصديقي. برلين ١٩٢٨.
- فرهنگ اساطير وإشارات داستاني در ادبيات فارسي (ف): الدكتور محمد جعفر باحقي. طهران ١٩٩٠.
- فرهنگ فارسي: الدكتور محمد معين. طهران ١٩٨٥.
- فروع الكافي: محمد بن يعقوب الكليني. تحقيق علي أكبر غفاري. بيروت ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- فضائل بلخ (ف): أبو بكر عبد الله بن عمر بن محمد بن داود واعظ. تحقيق عبد الحمي حبيبي. طهران ١٣٥٠.

- الفهرست: محمد بن إسحاق النديم. تحقيق رضا تجدد. طهران بلا تاريخ.
- قصة الحضارة: ول ديورانت. ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود. بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- القند في ذكر علماء سمرقند: أبو حفص عمر بن محمد النسفي. تحقيق نظر محمد الفاريابي. المملكة العربية السعودية ١٤١٢ - ١٩٩١.
- الكامل في التاريخ: عز الدين علي بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير. بيروت ١٤٠٢ - ١٩٨٢.
- الكامل في ضعفاء المحدثين: عبد الله بن عدي الجرجاني. تحقيق الدكتور سهيل زكار. بيروت ١٤٠٥ - ١٩٨٨.
- كتاب المهرجان لابن سينا: صادر عن لجنة الآثار الوطنية بمناسبة الذكرى الألف لميلاد ابن سينا (الجزء الثالث ويشمل المقالات العربية). طهران ١٣٧٦ - ١٩٥٦.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- لسان العرب: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور. طبعة دار المعارف بمصر. بتحقيق لجنة من الأساتذة هم عبد الله الكبير ورفيقاه. بلا تاريخ.
- لغت فرس (ف): أبو نصر علي بن أحمد أسدي طوسي. تحقيق الدكتور محمد دبیرسیاقي. طهران ١٩٧٧.
- مجمع الرجال: عناية الله القهباني. تحقيق العلامة الأصفهاني. قم ١٩٨٦.
- مجمل التواريخ والقصص (ف): لمؤلف مجهول ألفه عام ٥٢٠ هـ. تحقيق ملك الشعراء بهار. طهران بلا تاريخ.
- محاسن أصفهان: المفضل بن سعد بن الحسين المافروخي. تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الطهراني. طهران الطبعة الأولى بلا تاريخ.
- مختصر كتاب البلدان: أحمد بن محمد بن إسحاق ابن الفقيه الهمداني. تحقيق دي خويه. ليدن ١٣٠٢ - ١٨٨٥.

- المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني: الدكتور عبد الله يوسف الغنيم. الكويت ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين المسعودي. بيروت ١٣٨٥ - ١٩٦٥.
- مسالك الممالك: إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. تحقيق دي خويه. ليدن ١٩٢٧.
- مسالك وممالك (ف): إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. تحقيق إيرج افشار. طهران ١٩٦٩.
- المسالك والممالك: عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه. تحقيق دي خويه. ليدن ١٨٨٩.
- المشترك وضماً والمفترق صقماً: ياقوت الحموي. تحقيق ومستنفلد. غوتنجن ١٨٤٦.
- المصطلحات العلمية والفنية: يوسف خياط ونديم مرعشلي: أوفست قم (١٤٠٥) على طبعة بيروت.
- المعتمد في الأدوية المفردة: يوسف بن عمر الفساني التركماني: تحقيق الأستاذ مصطفى السقا. بيروت. بلا تاريخ.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي. تحقيق فرديناند وستنفلد. لايبزك ١٨٦٦.
- معجم الحضارات السامية: هنري س. عبود. بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: آية الله السيد أبو القاسم الخوئي. بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- معجم الحيوان: الفريق أمين المعلوف. بيروت ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- مفصل العرب واليهود في التاريخ: الدكتور أحمد سوسة. بغداد ١٩٨١.
- المقالات والفرق: سعد بن عبد الله الأشعري القمي. تحقيق محمد جواد مشكور. طهران ١٩٨٢.
- من رحلات العرب: يشمل على أخبار الصين والهند لسليمان التاجر. و: من أخبار

الصين والهند لأبي زيد السيراقي . و: عجائب الهند ليزرك بن شهریار . قدم لها الأستاذ
نقولا زيادة . بيروت . بلا تاريخ .

- مفاتيح العلوم : محمد بن أحمد الخوارزمي . تحقيق فان فلوتن . ليدن ١٨٩٥ .

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : عبد الرحمن ابن الجوزي . تحقيق محمد عطا
ومصطفى عطا . بيروت ١٤١٢ - ١٩٩٢ .

- المنجد في اللغة والاعلام : الطبعة ٢٤ بيروت ١٩٨٠ .

- المورد (قاموس إنكليزي - عربي) : منير البعلبكي . بيروت ١٩٩١ .

- موسوعة الكنايات العامة البغدادية : عبود الشالحي . بيروت ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : شمس الدين الذهبي . تحقيق علي محمد البجاوي .
أوفست بيروت على الطبعة الأولى . بلا تاريخ .

- نبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة : قدامة بن جعفر . تحقيق دي خويه . مطبوع مع
المسالك والممالك لابن خرداذبة .

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف
بابن شيخ الربوة . بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨ .

- نزهت نامه علائي (ف) : شهردان بن أبي الخير . تحقيق الدكتور فرهنك جهان پور .
طهران ١٩٨٢ .

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد .
تحقيق عبود الشالحي . بيروت ١٣٩١ - ١٩٧١ .

- نهج البلاغة : الإمام علي (ع) . تحقيق الدكتور صبحي الصالح . أوفست قم بلا تاريخ .

- نوادر التبادر لتحفة البهادر (ف) : محمد بن أمين الدين أيوب ديسري . تحقيق محمد
تقي دانش پژوه وإيرج افشار . طهران ١٩٧١ .

- هداية المتعلمين في الطب (ف) : أبو بكر ربيع بن أحمد الاخويني البخاري . تحقيق
الدكتور جلال متيني . مشهد ١٩٩٢ .

- وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٧١.

- یادداشتهاي قزوینی (ف): محمد بن عبد الوهاب قزوینی. تحقيق ایرج افشار. طهران. بلا تاریخ.

FINLAND Creation and Construction: Edited by: HILLAR KALLAS AND SYLVIE NICKELS. LONDON. 1968.

Encyclopedia International. New York 1975.





مركز توثيق الكتب ببرئاسة السيد

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس القوافي
- ٣ - فهرس أعلام الأشخاص
- ٤ - فهرس الأماكن والمواضع والبلدان
- ٥ - فهرس المحتويات



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة: ٢		
﴿اهبطوا مصرًا﴾	٦١	١١٦
﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾	١٠٢	٣٧٨
﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا﴾	١٢٥	٧٥
﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم		
ألف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾	٢٤٣	٢٦٨
﴿إن الله مبتليكم بنهر﴾	٢٤٩	١٦٥
﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها...﴾	٢٥٩	١٥٢
﴿أنى يُخَيِّي هذه الله بعد موتها فأماته		
الله مائة عام ثم بعثه﴾	٢٥٩	١٤٩
سورة آل عمران: ٣		
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة		
من دونكم لا بآلوانكم خبالا﴾	١١٨	٢٧١
﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف		
الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾	١٩٠	٥٩
سورة النساء: ٤		
﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو		

اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ﴿ ٦٦ ٤٨٨

سورة المائدة: ٥

﴿اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾
 ﴿الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾
 ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾
 ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
 ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾
 ٥٣ ٢١ ٩٧ ٤٥ ٤٩٤ ٥٠ ٩١ ٥٤ ٧٥ ٩٧

سورة الأنعام: ٦

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾
 ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ
 وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾
 ٢٢١ ١١٢ ١٧٢ ١٤١

سورة الأعراف: ٧

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
 أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ
 قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
 ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾
 ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾
 ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
 ﴿وَمَنْ قَوْمَ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
 ٢٥٠ ٥٠ ١٢٨ ٥٧ ١١٨ ١٠٧ ١٤٥ ١٢٨ ١٣٨ ١٥٩

سورة الأنفال: ٨

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ
 تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾
 ٤٠٣ ٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التوبة: ٩		
﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم﴾	١٢	٥٦١
﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾	١٢٣	٥٦١
سورة يونس: ١٠		
﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً﴾	٨٧	١١٦
﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مَبُوءاً﴾		
﴿صدق ورزقناهم من الطيبات﴾	٩٣	١٤٥
سورة هود: ١١		
﴿وكان عرشه على الماء﴾	٧	٤٦٨ ، ٤٦٦
﴿يا أرض ابلعي ماءك﴾	٤٤	٢٢٣
سورة يوسف: ١٢		
﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾	٢	٩٧
﴿أكله الذئب﴾	١٤	٩٧
﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾	٢١	١١٦
﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز﴾	٣٠	١١٦
﴿قالت امرأة العزيز﴾	٥١	١١٦
﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها﴾	٥٦	١١٦
﴿يا أيها العزيز إنَّ له ابناً شيخاً كبيراً﴾	٧٨	١١٦
﴿وجاء بكم من البدو﴾	١٠٠	١٦٧
سورة الرعد: ١٣		
﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات﴾		
﴿من أعتاب وزرع ونخيل﴾	٤	١٧١

سورة إبراهيم: ١٤

٩٧	٤	﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾
		﴿رب اجعل هذا البلد آمناً واحببني وبنّي﴾
٧٤	٣٧ - ٣٥	﴿أن نعبد الأصنام . . . وارزقهم من الثمرات﴾
٧٦	٣٧	﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾

سورة النحل: ١٦

٢٤١	١٢٦	﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به﴾
-----	-----	--

سورة الإسراء: ١٧

		﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل﴾
		يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً
٥٤٤ ، ٢٤٠	٥٨	﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾
١٠٥	٧٠	﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر﴾

سورة الكهف: ١٨

		﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين﴾
١٧١	٣٢	﴿من أعنابٍ وحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وجعلنا بينهما زرعاً﴾
٥٨٤	٦٣	﴿أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة﴾
		﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه﴾
		﴿ذكراً. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل﴾
		﴿شيء سبيلاً. فاتبع سبيلاً. حتى إذا بلغ﴾
		﴿مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة.
٥٩٣	٨٣ - ٩٤	﴿... إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾
٥٩٩	٩٨	﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً﴾

سورة طه: ٢٠

﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا
إني آنستُ ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجِدُ على النار
هدى. فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا
ربك فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طوى﴾
﴿لا تأخذ بلحيتي﴾

٥٠٧ ١٢ - ٩
٩٧٠ ٩٤

سورة الأنبياء: ٢١

﴿ونجيناه ولسوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾
﴿وداودَ وسليمانَ إذ يحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ
إذ نفثت فيه غنم القوم ... حكماً وعِلْماً﴾

١٤٥ ، ١٤٤ ٧١
١٧٩ ، ١٥٢

سورة الحج: ٢٢

﴿وطهرْ بيْتِي للطائفين والقائمين﴾

٧٥ ٢٦

سورة المؤمنون: ٢٣

﴿أنزلني مُنزَلاً مباركاً﴾
﴿وآويناها إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

١٧٩ ٢٩
١٤٥ ، ١١٥ ٥٠

سورة النور: ٢٤

﴿من شجرة مباركة زيتونة﴾
﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾

١٦٦ ٣٥
٤٩٤ ٣٥
٤٦٦ ٤٥

سورة الفرقان: ٢٥

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ٤٥ ١٠٣

سورة الشعراء: ٢٦

﴿أَتَنبُونَ بَكُلِّ رِيحٍ آتِيَةٍ تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ

مَصَانِعَ لَكُمْ لَتَخْلُدُونَ﴾

١٢٨-١٢٩ ٤٤٢ ، ٤٤٣

﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

١٣٠ ٤٤٤

﴿أَتَتْرَكُونَ فِيمَا هَاهُنَا آمَنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

١٤٦-١٤٨ ١٧٢

وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾

١٤٦-١٤٧ ٤٤٩

﴿أَتَتْرَكُونَ فِيمَا هَاهُنَا آمَنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

١٩٥ ٩٧

﴿بَلْسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾



سورة النمل: ٢٧

﴿قَبِلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ

٤٤ ٤٦٥

لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾

٥٢ ٤٥٣

﴿فَتَلَّكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾

سورة القصص: ٢٨

٧ ١١٦

﴿فَلَمَّا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيَهُ فِي الْيَمِ﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا

٥٨ ٤٥٣

فَتَلَّكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

سورة العنكبوت: ٢٩

٢٦ ١٧٩

﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾

سورة الروم: ٣٠

٩ ١٠٥

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾	٣٢	٤٩٤
سورة سبأ: ٣٤		
﴿غَدُوها شَهْرٌ ورواحُها شَهْرٌ﴾	١٢	٩١
﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾	١٥	٩١
سورة يس: ٣٦		
﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا﴾		
﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾	٨٠	٥١٠ ، ٥٠٧
سورة الصافات: ٣٧		
﴿إني ذاهبٌ إلى ربِّي﴾	٩٩	١٧٩
سورة فصلت: ٤١		
﴿وقدر فيها أقواتها﴾	١٠	٥١٢
سورة الشورى: ٤٢		
﴿لننذر أم القرى ومن حولها﴾	٧	٦١٢
سورة محمد: ٤٧		
﴿أنهار من ماء غير آسن﴾	١٥	٤٦٥
﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾	٣٨	٩١
﴿يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾	٣٨	٤٠٣
سورة الفتح: ٤٨		
﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾	١٦	٤٠٤
سورة ق: ٥٠		
﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب﴾		

الآية	رقمها	الصفحة
الحصيد . والنخل باسمقات لها طلع نصيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ﴿	٩ - ١١	١٧٢ ، ٤٦٦
سورة القمر: ٥٤		
﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾	١٥	٤٥٣
سورة الرحمن: ٥٥		
﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾	١٩	٦٥
	٣٥ - ٣٦	٥٠٨ ، ٥١٠
سورة الواقعة: ٥٦		
﴿أفرايتم النار التي تورون؟ أنتم أنشأتم سمجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾	٧١ - ٧٣	٥٠٧
سورة الجمعة: ٦٢		
﴿فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾	١٠	١٠٥
سورة الطلاق: ٦٥		
﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾	١٢	٥٩
سورة الملك: ٦٧		
﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾	١٥	١٠٥
سورة نوح: ٧١		
﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾	٧	٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة المدثر: ٧٤		
﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾	٣٨	٤٩٤
سورة المرسلات: ٧٧		
﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ ماءً فراتاً﴾	٢٧	١٤٦
سورة النبا: ٧٨		
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ماءً ثجاجاً. لنخرج به حباً ونباتاً. وجناتٍ ألفافاً﴾	١٤ - ١٦	٤٦٨
سورة الفازعات: ٧٩		
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾	٢٤	٣١٨
سورة عبس: ٨٠		
﴿فَأَنْبَشْنَا فِيهَا حَبّاً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلًا﴾	٢٧ - ٢٩	١٧٢
سورة البروج: ٨٥		
﴿قتل أصحاب الأخدود﴾	٤	٢٧٠
سورة الفجر: ٨٩		
﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾	٧	١٢٤
﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾	٨	١٥٥
سورة التين: ٩٥		
﴿والتين والزيتون. وطور سينين﴾	١ - ٢	١٥٥
﴿البلد الأمين﴾	٣	١٥٥

سورة التكاثر: ١٠٢

﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ ٨ ٤٦٥

سورة الزخرف: ٤٣

﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ ٥٥ ٣٥٩



مركز تحقيق تكملة نبي محمد صلى الله عليه وسلم

٢ - فهرس القوافي

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية الهمزة			
الشتاء -	الوافر	١	٤٧٦
قافية الألف			
ترضى -	السريع	١	٤٦٨
قافية الباء			
تحارب -	الرجز	٥	٥٥٨
عذابا -	مجزوء الرمل	٣	٢٤٩
شرابا -	مجزوء الرمل	١	٤٦٥
مهرب -	الطويل	٢	١٠٠
المطالب -	الطويل	٢	١١٢
الركائب -	الطويل	٣	٤٤٤
خبب -	البسيط	٤	٤٢٥
هبوب -	الوافر	٥	٤٩٢
شاحب -	الطويل	٦	١١٣
غريب -	الطويل	٣	١١٤

(١) أكمل أبو العتاهية الشطر الثاني من هذا البيت .

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ذئب -	الطويل	٥	٢١٢
بيشرب - السيد بن محمد الحميري	الطويل	٦	٢٥٩
مذاهي -	الطويل	٥	٣٦٣
الكرب -	الطويل	٤	٤٠٨
الدُّب -	الطويل	٣	٤٠٨
الدوائب - أم فروة	الطويل	٣	٤٦٦
السباسب -	الطويل	٥	٥٢٣
والعنب -	البسيط	١	١٧٢
منجاب -	البسيط	١	٢٣٢
أيوب - أبو شدقم العنبري	البسيط	٧	٢٥٠
والنسب -	البسيط	٢	٤٥٤
بانسكاب - أبو محمد العبدى	الوافر	١٠	٥٣٥
الجنوب -	مجزوء الكامل	٣	٢٤٩
وتجريب -	المنسرح	٦	٣٦١
أصحابي - عمرو الجُهني	الخفيف	٣	١٠٢

قافية القاء

الفرات - حميد الأرقط	الرجز	١٠	٢٦٧
غيرة -	المتقارب	٩	٣٦١

قافية الثاء

محروث - محبوب بن أبي العشقط النهشلي	البسيط	٦	٣٦٤
والأثاث ^(١) - هارون الرشيد	مجزوء الرمل	٢	٣٠٩

(١) قد يكون هذا البيت على بحر الرمل الرباعي، فتكون القافية حاث.

قافية الجيم

عَرْفَج -	الطويل	٥	٤٨٩
-----------	--------	---	-----

قافية الحاء

المتَطَخِطُحُ الطرماح	الطويل	١	٢٢٧
وينبُحُ الفرزدق	الطويل	١	٢٤١
سَلُحُ عمارة بن عقيل	الرجز	٣	٣٦٠
نوائح عبد الله بن محمد بن زنجويه	الكامل	٢٦	٤٩٨

قافية الخاء

المناخ محمد بن حبيب الضبي ^(١)	الوافر	٤	٤٤٤
--	--------	---	-----

قافية الدال

الصَّمَدُ -	الطويل	١	٢١٥
نجدا هارون الرشيد	الطويل	٢	٣١٣
بَرْدَا -	الطويل	١	٤٦٤
نجدا -	الطويل	٢	٤٩٠
رعدا أبو شذقم العنبري	الطويل	٣	٢٥١
وعدا البحثري	البسيط	٥	١٥٦
الكبدا -	البسيط	٢	٤٧٢
فتاؤدا أبو الوفاء الهمداني	الكامل	١١	٤٧٤
بغدادا -	السريع	٣	٣١٤
حَشَوْدَة -	الرجز	٢	١٦٨
الجامدة وهب بن شاذان الهمداني	المقارب	٥	٤٧٧

(١) الاسم من الهامش.

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
معادٌ -	الطويل	١	١٠٦
رقودُها -	الطويل	٥	٣٦٤
الزَّبدُ -	البسيط	٤	٤٧٢
الحدودُ -	الوافر	٢	٤٥٣
مسدودُ -	الكامل	١١	٤٥٧
عَوْدَةُ العكلي	الرجز	١٨	٤٦٧
الجزدُ -	الطويل	٢	١٠٩
تتجددُ الطائي (أبو تمام)	الطويل	٢	١١٢
البُردُ ابن كُناسة	الطويل	١	٢١٦
للمنورِدُ -	الطويل	١	٣١٤
راقِدُ -	الطويل	٣	٣٦٢
الوادي -	الطويل	١	٤٥٠
العهدُ -	الطويل	٤	٤٨٩
بمخلودُ -	البسيط	١٠	١٤٠
(ميعادُ) ^(١) الخليل بن أحمد	البسيط	١	١٦٩
الصادي القطامي	البسيط	١	٤٦٤
العَمَدُ -	البسيط	٧	٥٧٦
العبيدُ الجدي الفصاعي	الوافر	١	١٧٨
اليهودُ منصور بن باذان	الوافر	٢	٥٣٥
اللُّبْدُ مضر بن الأسدي	الكامل	١	٤٥٠
الأغيدُ -	الكامل	١٢	٤٧٣
حادي الحسين بن الضحاك	الرجز	١٥	٣٧٢
والوجدُ -	السريع	٦	٥٠١
الجِدَادُ الطائي (أبو تمام)	الخفيف	٥	١١٠

(١) التكملة من الهامش.

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الزَّهَادِ -	الخفيف	٣	٣٦٠
المعتادِ الحسين بن الضحاك	الخفيف	٥	٣٧٢
قافية الذال			
حبذا مطيع بن إلياس	الخفيف	٦	٣٦٣
قافية الراء			
مُضَرَّ النجاشي	الرملي	٣	٢٢٠
منهمز ^(١) أبو الحسن العجلي	الرجز	٣٠	٤٢٥
يعمر -	الخفيف	٥	٤٤٥
البقر -	المتقارب	١	٣٩١
ضُمَرَا -	الطويل	٤	٢٢٢
مظفَرَا -	الطويل	٢	٢٣٥
ميكرا الحسين بن الضحاك	الطويل	١٦	٣٧٣
مَهْرَا أحمد بن المعاني	الطويل	٢	١٠٦
منبرا جرير	الطويل	٣	٤٠٤
عبرة -	الطويل	٥	٤٥٣
المطرَا النجاشي	البسيط	٤	٢٢٠
غزارا البريق الهذلي	الوافر	٣	٨٥
اصطبارا -	الوافر	١	١٠٣
دينارا -	الكامل	٨	٥٤٨
القصورا -	الرجز	٦	٤٥٤
حاضرة ابن أبي سرح	السريع	١	٤٨٦
قذِرة أبو تغلب	المنسرح	٢	٢٥١
مكفهرَا -	المتقارب	٧	٤٧٨
فقيرُ -	الطويل	٢	١١٢

(١) قد تكون القافية «والسهز» - بحر الرجز / عدد الأبيات ٦٠.

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الفقرُ -	الطويل	١	١١٢
قصورها -	الطويل	٤	٢٥١
قصورها -	الطويل	٢	٣٦٠
ظاهره -	الطويل	٢	٤٤٥
قفارُ -	الطويل	٤	٤٤٥
والبصرُ بشار	البسيط	٢	٢٤٨
المدَرُ -	البسيط	٢	٤٤٣
خطرُ -	البسيط	٢	٤٥٣
ثارُ أبو الوفاء الهمداني	البسيط	١٤	٤٧٤
فقيرُ -	الوافر	٣	١٠٠
الفقيرُ عمرو بن كلثوم	الوافر	٢	١٦٨
انتشارُ محمد بن حازم	الوافر	٣	٢٣٨
العارُ -	السريع	٣	١١٢
نحروا أحبحة بن الجلاح	المنسرح	٢	٨٢
جاذرها -	المنسرح	١٢	٣٣٨
مزرورُ وهب بن شاذان الهمداني	المنسرح	٥	٤٧٧
الخابورُ عدي بن زيد	الخفيف	١	١٧٧
تفكيرُ عدي بن زيد	الخفيف	٤	٢١٣
الخضِرُ -	الطويل	١	١١٠
والوَعْرِ أبو نواس	الطويل	٤	١١٤
البحرُ الأخطل	الطويل	١	٢٤٢
والأمرُ يزيد بن قيس	الطويل	٤	٢٤٣
المنايرُ -	الطويل	٢	٣١٠
الدهرُ -	الطويل	٣	٤٥٤
الحوافرُ -	الطويل	٢	٥٢١
قبرُ عبد الرحمن بن جمانة الباهلي	الطويل	٢	٥٨٨

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
أثر	-	١	٤٥٢
بالعشر	الورل الطائي ^(١)	٢	٥٠٨
بالقتير	الأحوص بن محمد	٢	٨٣
نار	عبد الله بن المبارك	٢	٤٧٧
دار	الحسن بن أبي الرعد	٧	٣١٢
اعتصاري	عدي بن زيد	١	٤٦٥
بندمر	أبو الحسن العجلي	٤	١٦١
أموري	-	٨	٤٧٩
الشعر	-	٢	٥٨
بمغذور	عبد الله بن محمد ابن زنجويه بن مهران	١٣	٥٠٢
أسفار	-	٢	١١٠
أقدارها	علي بن جهم	٢٤	٣٦٨

قافية الزاي

عزيز	-	١	٤٥٣
كوانز	-	٣	٤٩١
شبديز	أبو محمد العبدى الهمداني	٧	٤٢٥

قافية السين

يلقيسا	أبو تمام	٣	١٥٦
الكاسي	الحطيئة	١	١٠٧
الناس	-	٤	٣٦٣
جلس	البحثري	٣	٤٢٠

(١) اسم الشاعر من الهامش.

قافية الشين

الحوشِ	ذو الرمة	الرجز	١	٩٥
--------	----------	-------	---	----

قافية الصاد

والقلاصِ -		الرجز	٢	١٢٤
------------	--	-------	---	-----

قافية الضاد

بعضِ	أبو العتاهية	الطويل	٣	١٠٩
الخفضِ -		الطويل	٧	٢٩٠

قافية الطاء

واسطِ	بشار بن برد	الطويل	٤	٢٦٩
إفراطي -		السريع	٣	٩٩

قافية العين

مُتوسِّعًا	-	الطويل	١	٦١١
خلعًا	وهب الهمداني	البيسط	١٤	٤٧٢
والفَجِيعَة	ابن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	١	٣٨٤
مُولَّعٌ	مجنون بني عامر	الطويل	٢	١٠٣
طالِعٌ	أبو عمران الكسروي	الطويل	٤	٤٢٥
مُزارِعٌ	-	الطويل	٥	٤٤٥
يلعُ	-	الطويل	١	٥٣٩
فاندفعوا	أبو وجزة	البيسط	٢	٨٣
فينصدعُ	خفاف بن ندبة	البيسط	١	٢٢٧
منفعٌ	-	الرجز	١	٤٦٦

قافية الفاء

بالمواقفِ	علي بن محمد العلوي	مجزوء الكامل	٩	٢١٤
-----------	--------------------	--------------	---	-----

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
منتصفاً	- (تمثل به الحسن)	البسيط	٢ ١١٢
قصف	عبد الله بن عبد الله بن طاهر	الوافر	٥ ٣١٣
عجاف	ابن الزبير السهمي ^(١)	الكامل	١ ٧٥
تصرف	إسحاق الموصلي	البسيط	٢٢ ٣٦٩
الشفوف	-	الوافر	٤ ٤٨٨

قافية القاف

العراقا	أبو دلف	المتقارب	٢ ٤٨٣
عتاقا	عبد الله بن طاهر	المتقارب	٤ ٤٨٣
سحيق	-	الوافر	٣ ٢٢٠
الأصادق	-	الطويل	١ ١٠٦
السوق	-	البسيط	٢ ٤٠٠
متفق	أحمد بن بشار	البسيط	٤٦ ٤٨٠
بباقي	مكحول بن حارية	الوافر	٢ ٣٦٣
العشاق	أبو دلف	الكامل	٥ ١٦١
سحيق	-	الكامل	٢٤ ٣٢٥
مُغلق	غيلان بن سلمة الثقفي	الكامل	١ ٣٨٣

قافية الكاف

مَسْكَا	أبو حمران	الطويل	٢ ١٧٠
اضطكاكا	أبو حمران	الرجز	٢ ١٧١
والفتك	ابن أبي عينة	الطويل	٥ ١٦٩
إليك	-	الوافر	٢ ٣١٣

(١) الاسم من الهامش.

قافية اللام

١٠٦	١	الطويل	الحارث بن الحباب	الكسل
١٠٣	١	الرملي	-	فعل
١٠٣	٢	الرملي	-	ارتحل
٢٠٣	٦	الرملي	أعشى همدان	وذل
٢٤٤	٢	الرملي	-	الجميل
٤٥٣	١	مجزوء الخفيف	-	وارتحل
٣٣٧	١	الطويل	-	وتفعلا
٤٤٠	١٩	البسيط	محمد بن القاسم بن يحيى	ظلها
٨٣	٢	البسيط	عروة بن أذينة	الأولاً
١١٥	١	البسيط	عدي بن زيد التميمي	فصلاً
١٠٦	٢	الكامل	-	التحويلاً
٤٦٧	٢	الكامل	جرير	سقيلاً
٢٦١	٣	الرجز	حميد الأرقط	وآجلاً
٤٨٣	٣	المتقارب	أبو دلف	الجبلاً
٢٢٢	٧	الطويل	أصغر بن حسان العازني	مقاتلة
٢٥٦	١	الطويل	؟؟	فتبادلة
٣٦٢	٢	الطويل	-	طائلاً
٤٧٨	٦	الطويل	محمد بن بشار	أوائلاً
٦١٦	١	الكامل	الأحوص	والنيل
١١٤	٥	الكامل	ابن عبدوس الكاتب	ذليل
١١٣	٩	المنسرح	عبد الله بن طاهر	خُضِلْ
٣٣٧	٢	الطويل	ابن هرمة	العقل
٣٧٦	٣	الطويل	ابن المعتز	ومنزل
٤٨٩	٤	الطويل	خالد بن فريص الهجيمي	بالعياطي

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ميميل ^(١)	أنشده عمر بن الخطاب	الطويل	٥
التخل	خليد عيين العبدى	الطويل	١
الخالى	تبع بن الأقرب	الطويل	٩
بالي	-	البسيط	٤
والملل	محمد بن بشار	البسيط	٥
شكول	أبو قيس بن الأسلت	الوافر	٣
ميل	-	الوافر	٢
الزلال	-	الخفيف	٣
رحيلي	-	الخفيف	٢

قافية الميم

علم	-	الطويل	٣
الملتطم	الحسين بن الضحاك	المتقارب	١٩
صمما ^(٢)	-	الطويل	١
بهواهما	الحسين بن الضحاك	الطويل	٥
طاعم	-	الطويل	١
مخكم	أحمد بن محمد	الطويل	١٥
أمم	-	البسيط	١
النعيم	-	الوافر	١
غلام	-	الوافر	٢
ضرام	نصر بن ميار	الوافر	٢
تعزم	أبو علي البصير	الكامل	١٧

(١) في هذه المقطوعة: البيت الأول والثاني رويهما اللام المكسورة. والأبيات الباقية رويها اللام المضمومة.

(٢) تمثل به المتصور.

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
مستقم	أبو سرح	الكامل	٤٧٧
النسيم	-	الخفيف	٣٦٢
واقم	سعيد بن عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت	الطويل	٨٢
المنوهم	جابر بن خنّي التغلبي	الطويل	٨٨
وسلام	ذو الرمة	الطويل	٢٢٧
سليم	-	الطويل	٤٧١
لحاتم	-	الطويل	٦١٣
الحُرم	-	البسيط	٢٢٢
المقام	أوس بن ثعلبة التيمي ^(١)	الوافر	١٦٠
وشام	شمر بن أفريقس بن أبرهة	الوافر	٦٢٢
يرثم	جعفر بن عمر بن عبد العزيز	السريع	٥٤٧

قافية النون

ماهن	أبو نصر	مجزوء الكامل	١١	٤٢٧
بنيانا ^(٢)	-	البسيط	١	٩٣
الوطنا	-	البسيط	١	١٠٦
عيدانا	-	البسيط	٢	٤٥٢
إنسانا	-	البسيط	٢	٤٥٤
بعمّافارقينا	-	الوافر	١	١٨٠
للغابرينا	-	الوافر	١	٦١٢
خُلِقْتُ	-	الهمزج	١	١٠١

(١) الاسم من الهامش.

(٢) وفيه رواية أخرى:

هل بَعْدَ عَمْدَانِ أَوْ سَلَحِينَ مِنْ أَثَرٍ وَبَعْدَ يَشُونِ يَبِي النَّاسِ بِنِيَانَا

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
إليكن	عمر بن الخطاب	الهزج	١٠١
يفنى	-	الرجز	٤٤٤
فتونا	-	الخفيف	١٠١
العيونا	-	الخفيف	١٠١
يذكرونا	-	الخفيف	٣١٣
٤٠٨			
حلوانا	علي بن الجهم	الخفيف	٦١٤
الدفينا	ابن المبارك	المقتارب	٦١٤
جرين	الحسن بن هانيء	الطويل	١٧٠
ورشائها	محمد بن بشار	الطويل	٤٦٣
رهمين	-	الطويل	٤٩٢
حسن	-	البيسط	٤٨٤
وقحطان	عصابة الجرجاني	البيسط	٦٠٥
العيون	-	الوافر	٤٩٢
قارون	أبو تمام	الكامل	٥٥٥
أوطان	-	السريع	١٠٨
ثمن ^(١)	ابن أبي عيينة	المنسرح	١٦٩
لقد سقط سهواً هذه الأبيات من بحر البسيط.			
وهمدان	-	البيسط	٦٠٨
الحدثان	النجاشي	الطويل	٢٥٨
همدان	-	الطويل	٤٨٦
والحدثان	محمد بن أحمد (ابن الحاجب)	الطويل	٤٩٧
حسين	عمر بن سعد بن أبي وقاص	الطويل	٥٤١
جيرون	أبو قطيفة	البيسط	٨٢

(١) البيتان الأول والثاني موجودان في الصفحة ٢٣٣، ولكن مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات.

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الشياطين -	البيط	١	١٠١
الرياحين -	البيط	١	١٠١
للوطن -	البيط	١	١٠٦
وأوطان -	البيط	٢	١٠٦
أوطاني -	البيط	٣	١٠٩
الغريان -	البيط	٢	٢١٥
والطين -	البيط	٢	٢٣٠
وللذين -	البيط	٢	٣١٠
ماجين -	البيط	٨	٣١٢
وبنيان -	البيط	٥	٤٢٩
اليساتين -	البيط	١٢	٤٤٨
بالصين -	البيط	٧	٥٢٣
أضناني -	البيط	٣٥	٥٤١
بيان -	الوافر	٢	٥٨
ثمان -	الوافر	١	٢٢٠
الرعان -	الوافر	٣	٤٧٩
بالجوزجان -	الوافر	١	٦١٩
أوان -	الكامل	١	١٠٥
الأزمان -	الكامل	٢١	٤٢٠
وتحصن -	الكامل	١	٤٥٤
والحان ^(١) -	الكامل	٨	٤٤٦
همدان -	الكامل	٨	٤٦٢
قنان -	الكامل	١	٤٨٦
لمحزون -	المريع	٢٨	٤٧٠

(١) في هذه المقطوعة البيت الأول على البحر البسيط والأبيات التالية على البحر الكامل.

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
للإنسان -	الخفيف	٢	١٠٤
الساطرون أبو داود	الخفيف	١	٤٠٦
بالزعران -	الخفيف	٣	٤٢٨
أصبهان -	الخفيف	٢	٥٣٤

قافية الهاء

خجندة -	الوافر	٢	٦٢١
مُعجبة أبو حمران	الرجز	٢	١٦٨
دهاها دعبل	مخلع البسيط	٤	٣٣٨
بانيها -	البسيط	١	٤٥٢
سيوها الحسين بن الضحاك	الكامل	٤	٣٧١
يرتجيه -	الوافر	٣	١٠٠

قافية الواو

نغدو عبد الملك + الجارية	الطويل	١	١٠٤
--------------------------	--------	---	-----

قافية الياء

الأولي أبو النجم العجلي	الرجز	١	٤٤٩
ناتيا مالك بن الريب	الطويل	٢	٦١١

أنصاف الأبيات

٨٧	١	البسيط	ذو الرمة	كأنها
٨٧	١	الطويل	امرؤ القيس	كبكر
٥٠٩	١	الطويل	الكميت	كما شبت ^(١)
٤٦٦	١	الكامل	-	ماء
٢٠٧	١	الطويل	-	وعكرمة



مركز بحوث تاريخ اللغة العربية

(١) لقد ورد هذا البيت في الهامش كاملاً، ولكن مختلفاً:
كهولة ما أوقد المحلفو ن للحالفين وما هؤلوا

٣ - فهرس أعلام الأشخاص

باب الهمزة

- آدم (عليه السلام): ٦٥، ٦٦، ٧٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٧، ٢٢١، ٢٧١، ٢٧٣، ٤٠١، ٤٤٤، ٥٣٦.
- آذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح: ٥٨١.
- آذرباذ بن بيوراسف: ٥٨١.
- آسية: ١١٧.
- أبنا بن المصمغان: ٢٧٦.
- أبجد (الملك): ٥٥٤.
- إبراهيم (عليه السلام): ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٨، ٢١٠، ٢١١، ٢٧٧، ٣٣٣، ٣٨٩، ٤٠٣، ٤١١، ٤٩٢، ٥٠٨، ٥٣٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٩، ٦٣٩.
- إبراهيم بن أحمد المادرائي: ٣٢١.
- إبراهيم بن إسحاق بن عيسى = أبو إسحاق الطالقاني. (أ: حرف الألف).
- إبراهيم بن الأشتر: ٢٥٩.
- إبراهيم بن الأغلب: ١٣٢، ١٣٤.
- إبراهيم بن بشير: ٣٥٧.
- إبراهيم التيمي: ٢٢٣.
- إبراهيم بن حبيش: ٢٥٧، ٢٨٨.
- إبراهيم بن الحسن، أبو إسحاق: ٢٧، ٦٣٩.
- إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الكساني: ٩، ١٠.
- إبراهيم بن حميد البصري: ٩.
- إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحراني: ٢٩٦.
- إبراهيم بن رويم الخوارزمي: ٢٤، ٦٢٠.
- إبراهيم بن الشماس: ٢٧، ٦١٤، ٦١٥.
- إبراهيم بن صالح: ٣٦٠.
- إبراهيم بن طهمان: ٢٨.
- إبراهيم بن الغباس بن محمد الصولي: ١٣، ١٤، ١٥، ٣٩٨، ٥٨٠.
- إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي: ٢٤، ٢٥، ٢٧٩، ٣٦٧، ٤٠٣، ٦٢٠.

- إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن : ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٣٠٣ .
- إبراهيم بن عثمان بن نهيك : ٣٠٠ ، ٥٧٥ .
- إبراهيم بن علقمة : ٦٠٩ .
- إبراهيم بن عيينة : ٣٥٨ .
- إبراهيم بن الفرج : ١٠٠ .
- إبراهيم بن محمد (رحمته الله) : ١١٦ .
- إبراهيم بن محمد البيهقي ، أبو إسحاق : ٢٤ ، ٣٦٩ .
- إبراهيم بن محمد بن محمود البربري المعتزلي : ١٣٣ .
- إبراهيم بن مخرمة الكندي : ٩٦ ، ٩٧ .
- إبراهيم بن أبي المهاجر : ٧٤ .
- إبراهيم النخعي : ٢٣ .
- إبراهيم بن ياسين : ٣٢١ .
- أبرويز بن ساسان (كسرى) : ٤٢٩ .
- أبزون التركي : ٥٠٥ .
- إبليس : ٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٥٣٦ .
- أبولونيوس التيانى : ٢٠ .
- أحمد بن إسحاق الرازي : ٣٠٨ ، ٥٤٠ .
- أحمد بن إسرائيل : ٣٩٢ .
- أحمد بن جعفر المستملي : ٢٥ ، ٢٦ .
- أحمد بن حارث الخزاز : ٣٠٩ .
- أحمد بن الحسن : ٤٥٥ .
- أحمد بن حميد بن جبلة : ٢٩٢ .
- أحمد بن أبي خالد الأحول : ٣٠٦ .
- أحمد بن خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني : ٥٣٩ .
- أحمد بن سيار بن أيوب المروزي : ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤ .
- أحمد بن الضحاك الفلكي : ٤٠٩ .
- أحمد بن أبي طاهر : ٣١٠ .
- أحمد بن الطيب (السرخسي) : ٣٢٦ .
- أحمد بن عبد العزيز : ٥٣٩ .
- أحمد بن علي بن لال الهمداني ، أبو بكر : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
- أحمد بن فضلان بن راشد بن حماد : ٣٦ ، ٤٤ ، ٥٥ .
- أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (الفقيه) : ١١٠ .
- أحمد بن محمد بن الأعرابي (ابن الأعرابي) : ١١ ، ٣١ ، ٨٤ ، ١٤٣ ، ١٧٦ .
- أحمد بن محمد : ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
- أحمد بن محمد الحارثي : ٣٦٥ .
- أحمد بن محمد الطائي : ٢٩٦ .
- أحمد بن محمد بن طلحة بن طاهر ، أبو العباس : ٣٠ .
- أحمد بن أبي مريم : ٣٢ .
- أحمد بن المعافى : ١٠٦ .
- أحمد بن منصور الرمادي : ٢٨ .
- أحمد بن النضر بن سعيد : ٥٥٧ .
- أحمد بن هشام : ٢٤١ .

- أحمد بن الهيثم بن فراس : ٢٩٦ .
أحمد بن واضح الأصبهاني : ٥٨٦ .
أحمد بن يوسف : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
الأحنف بن قيس : ٥٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
أبو الأحوص : ٣٥٩ .
الأحوص بن محمد : ٨٣ ، ٦١٦ .
أحيحة بن الجلاح : ٨٢ .
الأخطل : ٢٤٢ .
الأخنس بن شهاب : ٢١٢ .
الأخويني البخاري : ١٩ .
إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن : ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٣٦٠ .
إدريس بن عبد الله بن حسن الطالبي : ١٣٣ ، ١٣٤ .
إدريس بن عمران : ٤٠٤ .
إدريس بن معقل : ٥٢٩ .
إدوارد فنديك : ١٢ .
أذكوتكين بن سائكين التركي (أو أذكوتكين ابن أساتكين) : ٣٠٥ ، ٥٥٦ .
أردشير بن بابك : ٢١٦ ، ٢٤٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٢٣ ، ٦٠٣ .
أردشير بن اسفنديار : ٦١٢ .
أرسطاطاليس : ٤٥١ .
الأرقم (ملك) : ٨٦ .
أرماتيل (لقب بالمصمغان) : ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ .
أرميني بن لنطى : ٥٨٣ .
أزدم بن جوانانه : ٤١٠ .
أزهر بن السمان : ٣٣٦ .
أسامة بن معقل : ٥٧ .
إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٤٠٤ ، ٦٠١ ، ٦٠٩ ، ٦٣٩ .
أبو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين : ٦٠١ .
إسحاق بن إبراهيم بن مصعب : ٢٢٦ .
إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٢٨٧ ، ٢٩٨ .
إسحاق الأزرق الشروي : ٢٩٦ .
إسحاق بن إسماعيل : ٥٩٦ .
إسحاق بن سليمان الرازي : ٥٤٣ .
إسحاق بن سويد : ٤٤٢ .
أبو إسحاق الطالقاني : ٢٦ ، ١٧٢ ، ٦١٤ .
إسحاق بن طلحة بن الأشعث : ٢٧٥ .
إسحاق بن محمد بن عبد الحميد : ١٣٦ .
أسد بن عبد الله القسري : ٢١٨ .
أسدي طوسي : ٢٢ .
أشعد (الملك) : ٩٤ .
ابن اسفنديار : ٢٠ .

أشناس التركي: ٣١٦، ٤٥٣، ٥٩٦.	الاسكندر: ٣٧، ١٠٨، ١٢٤، ١٢٥،
أصفهان (أو أصفهان) بن الفلوج بن سام	١٣٦، ١٣٧، ٢٩١، ٣٣٢، ٣٧٨، ٤٥١،
ابن نوح: ٤٥٩، ٥٢٩.	٤٦١، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٣٠، ٥٩٩، ٦١٦،
اصطخر: ٤٠٦.	٦٢١.
اصطفانوس: ١٩٥، ٢٣٤.	أسماء بن خارجة الفزاري: ٢٠٤، ٢٠٦.
الأصفر: ١٩٣.	أسماء بنت المنصور: ٣٠٥.
أصغر بن حسان المازني: ٢٢٢.	إسماعيل (عليه السلام): ٨٦، ١١٦،
الأصمعي: ٨٤، ٩٤، ١٥٥، ١٧٦،	١٤٨، ٥٠٩، ٦٠١، ٦٣٩.
١٨٢، ١٩٩، ٢٦٢، ٣٧٧، ٤٠١، ٤١٢،	إسماعيل بن إبراهيم: ٣٥٧.
٥٢٠، ٦٢٥.	إسماعيل بن أحمد الساماني: ٢٩، ٣٠،
أعشى همدان: ٢٠٣، ٢٥٦.	٣٤، ٥٧٧، ٦٤٢.
الأعمش: ٣٧٨.	إسماعيل بن إسحاق: ٣٢٤.
أعنين: ٢١٦.	إسماعيل الرازي: ٥٤٣.
أغايتمون: ٣١٩.	أبو إسماعيل الرازي: ٥٤٤، ٥٤٥.
أغناطيوس كراتشكوفسكي: ٢٨، ٣٨.	إسماعيل بن عبد الله: ٢٧٥.
أفراسياب: ٦٠٢.	إسماعيل بن علي: ٥٨٠.
أفريدون جنس: ٢٧٦، ٣٣٣، ٥٤٩،	أبو الأسود الدؤلي: ٢٥٤.
٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٥٥، ٦٠٢.	أسود العدوي: ٢٣٧.
أفريقش بن أبرهة الرائي: ١٣٢.	الأسود بن الهيثم: ١٣٢.
الأفشين: ٥٨١، ٥٨٢، ٥٥٥.	الأسود بن يزيد: ٢٠٨.
أفلاطون: ١١٨.	الأشتر بن الحارث النخعي: ٢٥٨، ٢٥٩.
أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن	أشتق بن إبراهيم (عليه السلام): ٥٦٤،
رستم (الرمثمي الأباضي): ١٣٢.	٦٠١، ٦٣٩.
الأقرن بن أبي مالك بن ناشر ينعم: ٦٢٢،	الأشعث بن قيس: ٨٢، ٢١٧، ٢٥٢،
٦٢٣.	٥٨٢، ٥٩٠.
أفقور شاه بن بلاش: ٢٧٦.	

الإقليدس الذكي : ٣١٩ .

أكثم بن صيفي : ١٠٧ .

أكي : ٢٧٣ .

البيان (ملك سبتة) : ١٣٢ .

أبو أمامة الباهلي : ١٥٣ .

امرؤ القيس : ٨٧ .

أبو أمية : ٢١٤ .

أندريه ميكيل : ٣٤ ، ٣٦ .

أنس بن مالك : ٩٤ ، ١٦٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣٢ ،

٤٠٣ .

أنوشروان بن قباذ : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٩ ،

٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٠٣ ،

٤٠٤ ، ٤٢١ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٦ ، ٥٠٤ ،

٥٠٥ ، ٥٦٧ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ،

٦٢٧ .

ابن الأهمم البصري : ٢٣٤ .

الأوزاعي : ٢٣٨ .

أوس : ٢٣٤ .

أويس القرني : ٢٠٨ .

إياد : ١٨٢ ، ٢١٧ .

إياس بن قبيصة الطائي : ٢٤٨ .

إياس بن قتادة : ٢٠٤ .

إياس بن معاوية : ٤٣٧ .

إيران شاه : ٣٣٣ ، ٤٢١ ، ٥٨٦ ، ٦٤٨ .

إيرج بن أفريدون : ٤٠٥ .

إيلياء : ١٤٧ .

أبو أيوب الخوزي : ٢٨٢ ، ٢٩١ .

باب الباء

بابك بن بهرام بن بابك : ٢٩٤ .

بابك الخرمي : ١١٠ ، ٣٣٧ ، ٣٧٥ ،

٥٥٥ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ ، ٥٨١ .

بابيل بن ضبة بن أد : ٥٦٤ .

بالقيق بن حثويه : ٦٤٠ .

بجلة : ٢١٦ .

البحتري : ٢٤ ، ١٥٦ ، ٤٢٠ .

بخت نصر : ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢٤٨ ، ٢٦٦ ،

٢٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٧٨ ، ٤٠٠ ، ٤٦٠ ، ٥٣٠ .

البراء بن عازب : ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

البردخت (الشاعر الضبي) : ٢١٨ .

أبو بردة بن أبي موسى : ٢٥٩ .

البرذعي العدلي : ٣١٩ .

برهوت : ٣٧٨ .

بروذشت : ٥٣٤ .

بريدة الأسلمي : ٦٠٦ ، ٦١٥ .

بريدة بن الخصيب : ٦١٥ .

البريق الهذلي : ٨٥ .

برزجمهر : ٥٧ .

بسطام بن سورة بن عامر بن مساور :

٦٢٠ .

بسيل الخرشن : ٣٩٢ .

بشار بن برد : ٢٣٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٩ .

بشر بن الحارث : ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بشر بن فرج: ٣٢.

بشر بن أبي قبيصة: ١٠٢.

بشر بن محمد بن أبان: ٢٤، ٢٥، ٤٠٣.

بشر بن المحيص: ٢٤٣.

أبو بشر بن ميمون: ٣١٥.

بشر بن ميمون: ٣١٥.

بشر بن هارون: ٢٦١.

البطريق بن بكاء: ١٥٢.

بطليموس: ٤٣٠، ٣٣٨.

أبو البعيث: ٥٨١.

البعيث: ٥٨١.

بغ (ملك الصين): ٢٧٨.

بغا (ابن موسى): ٥٨٩.

بقراط: ١٨، ١٩، ٤٣٦، ٤٨٩.

بقراطيس: ٥٩٥.

أبو بكر الصديق: ٨١، ٩٧، ٢٠٢، ٦٠٤.

أبو بكر بن عياش: ٣٥٥.

أبو بكر (بن محمد بن الأشعث): ٥٧٠.

أبو بكر الهذلي: ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦.

٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٥٣.

٢٥٥، ٢٥٧، ٢٩٥.

بكر بن الهيثم: ٥٥٦.

أبو بكر الواعظ: ٣٣.

أبو بكرة: ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٤٢.

البلاذري: ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٥٦٥.

٦١٥.

بُلبُل: ٢٣٤.

بلقيس: ٩٣، ١٠٥، ١٥٦.

بلنجر بن يافث: ٥٨٥.

بليناس الرومي: ١٩، ٢٠، ١٩٧، ٤٢٠.

٤٢٢، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٤، ٥٣٢، ٥٣٤.

٥٤٨، ٥٩١.

بنداد هرمزد: ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩.

بندا سقجان: ٥٦٨، ٥٦٩.

بهبود بن القردمان: ٤٣٨.

بَهْرَام جُور بن يزدجرد بن سابور (ذو

الأكثاف): ٢١٣، ٢١٩، ٢٤٨، ٢٦٧.

٤٢٨، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣.

بهرامية: ٦١٢.

بهراميد المغني: ٤٢٣، ٤٤٧، ٤٤٨.

بهمن بن اسفنديار: ٣٣٣، ٦٢٣.

بيران بن وسحان: ٦٠٢.

البيروني: ٢٠، ٣١، ٣٢.

بيل: ٣٩٦.

بيوراسب (بيوراسف): ٥٥، ٣٣٣، ٣٧٨.

٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣.

باب القاء

تالي: ٢٧٣.

تابع بن الأقرن: ٦٢٣.

تُبع (الحميري): ٧٦، ٢١٦، ٤٢١.

التجار العذري: ٢٥٥.

تدمر بنت حسان: ١٦٠.

الترجمان بن صالح: ٢٩٥.

أبو تغلب: ٢٥١.

أبو تمام (الطائي): ١١٠، ١١٢، ١٥٦، ٥٥٥.

تميم بن بحر المطوعي: ٥، ٢٦، ٢٧، ٦٣٧.

تميم بن سنان: ٥٧٤.

التنوخي: ١٧.

تيادوس (عالم يوناني): ٤٦٩.

باب الثاء

ثابت: ٢٢٧.

ثابت بن قرة الحراني: ٣١٩.

ثابت بن يحيى: ٢٥٧.

الثفال البكراوي: ٢٤٧.

ثخذ: ٥٥٤.

الثعالبي المرغني: ٢١.

ثعلب: ٢٤، ٣١٩.

الثقفي: ١٧٣.

ثمامة بن أشرس: ٦٠٦.

باب الجيم

جائر: ٢٣٩.

جابر: ٢٣٩.

جابر بن حنّ التغلبي: ٨٨.

جابر بن حيان: ٣١.

جابر بن داود: ٢٨٤.

جابر بن عبد الله: ٨٠.

الجاحظ (عمرو بن بحر): ٥، ١٣، ١٤.

١٥، ٤٠، ١٦٥، ٣١٤، ٥٠٧.

الجارود (أبو سويد): ٣٠٠.

الجارود بن سيرة الهذلي: ٢٤٥.

جالوت: ١٣٥.

جاماسف: ٤٠٦.

جامع بن وهب: ٣٥١.

جبرئيل: ٩٤، ١٥١، ١٧٩، ٢٢١.

٢٤٠، ٥٣١.

جبغويه: ٢٧.

جبلّة: ٢٩٢.

جبلّة بن الأيهم الغساني: ١٨٦.

جبلّة بن عبد الرحمن: ٢٥٧.

جبّير بن مطعم: ١٩٣.

جبير بن نفير الحضرمي: ١٤٣.

أبو جبيرة: ٢٧٤.

الجحاف ابن حكيم: ٢٥٦، ٢٦١.

الجذّي القضاعي: ١٧٨.

جذيمة الأبرش: ٢١٦، ٢٤٨.

جَزْجِير: ١٣٢.

جرير: ٢٣، ٢٤١، ٢٥٦، ٤٠٤، ٤٦٧.

٥٧٤.

جرير بن سير: ٢٢٤.

جرير بن عبد الله البجلي: ٣٥٦، ٤٥٩.

٥٥٧.

الجعد بن درهم: ٣٣٦.

جعفر بن أحمد المروزي: ١٤.

جعفر البرمكي: ٤٤٥.

أبو جعفر الجمال: ٥٤٠.

جعفر بن سليمان: ٨٢، ٨٤.

جعفر بن أبي طالب (ذو الجناحين): ٩٧.

جعفر بن عمر بن عبد العزيز: ٥٤٧.

جعفر الكردي: ١١١، ٣٧٥.

جعفر بن محمد بن أحمد المروزي، أبو

عباس: ٢٨.

جعفر بن محمد الرازي: ١٥، ٥٣٧.

جعفر بن محمد الصادق، أبو عبد الله:

٤٣٨، ٤٦٢، ٥٢٤، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٥.

٥٦١.

أبو جعفر المنصور (عبد الله بن محمد):

٥٧، ٧٧، ١٣٣، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٩.

١٨٥، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٥٧، ٢٧٥، ٢٧٨.

٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥.

٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١.

٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧.

٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣.

٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٢.

٣١٤، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨.

٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٧، ٤٥١.

٤٩٥، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٩.

٥٨٠، ٥٨٦، ٥٩٠.

جعفر بن المنصور: ٢٥٧، ٢٩٥، ٣١٤.

جعفر بن يحيى: ٣٠٦.

جمل: ٢٢٦.

جَم (ابن فارس بن طهومرث): ٤٠٦.

جَنابا: ٤٠٦.

الجنيد: ٥٤٧، ٥٦٢.

الجنيد بن دعلج: ٥٧٥.

الجنيد بن عبد الرحمن: ٣٩١.

جهور بن مرار العجلي: ٥٧١.

الجواد بن الجواد: ٢٥٦.

جودرز بن جشواذان: ٢٢، ٦٠٢.

أبو الجوز: ٢٩٣.

الجيّهاني = (محمد بن أحمد بن نصر

الجيّهاني). (أ: حرف الميم).

باب الحاء

أبو حاتم السجستاني: ٢٠٠.

حاتم الطائي (في الشعر): ٦١٣.

ابن الحاجب: ٤٢٠.

حاجب بن ررارة: ٢٠٨.

حاجي خليفة: ٤١.

الحارث الأعور: ٢٠٨.

الحارث بن الحُباب: ١٠٥.

الحارث بن كلثة: ٤٩٠.

حارثة بن بدر الغُداني: ٢٣٠.

حازم (أبو عبد الله الضبي): ٢٦٠.

ابن حبيب: ٩٠.

أم حبيب بنت الرشيد: ٣٠٥.

حبيب بن عيسى: ٣٠، ٦٤١، ٦٤٢.

حبيب بن مسلمة: ٥٨٣، ٥٨٩، ٥٩٠.

حيش بن دلجة: ٢٢٢، ٢٢٣.

٢٠٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣ ،
٥٣٥ ، ٥٦١ .

الحسن بن الحسين : ٥٧٢ .

الحسن بن حمد بن يعقوب الهمداني ، أبو
محمد (ابن الحائك) : ١٢ .

الحسن بن خيلويه : ٣٧٥ .

الحسن بن أبي الرعد : ٣١٢ .

الحسن بن زيد الحسني العلوي : ١١١ ،
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٥٦٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ .

الحسن بن سهل : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٢ .

الحسن بن صالح بن حبي : ٢٦٣ .

أبو الحسن العجلي : ١٦١ ، ٤٢٦ .

حسن بن عطية : ١٩٣ .

الحسن بن علي الباذغيسي : ٥٩٠ .

الحسن بن علي بن أبي طالب : ٩٧ ،
١١٢ ، ١١٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .

٢٢٥ ، ٢٤٦ ، ٥٧٠ .

الحسن بن علي بن فضال : ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

الحسن بن قحطبة الطائي : ١٦٢ ، ١٦٣ ،
٥٩٠ .

حسن بن محمد القمي : ١٢ ، ١٣ ، ٤١ .

الحسن بن هانيء ، أبو نواس : ١١٤ ،
١٧٠ .

الحسن بن أحمد العلوي : ٥٤١ .

الحسين بن استاذويه ، أبو عبد الله : ٢٧ ،
٦٣٩ ، ٦٠١ .

الحسين بن جيلويه : ٤١٠ .

حبيش بن عبد الله : ٥٤٧ ، ٥٦٢ .
الحتات : ٢٤٦ .

الحجاج بن أرطاة النخعي : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٥٣٩ .

الحجاج بن خيشمة : ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ .

الحجاج بن عتيق الثقفي : ٢٣٠ .

الحجاج بن عثمان الثقفي : ٢٤٣ .

الحجاج الرصيف : ٣٠٨ .

الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي :
٥٧ ، ٧٧ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٠١ ،

٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ .

٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ .

٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ، ٤١٧ .

٤٥٠ ، ٥٤٦ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ .

حجر بن الأوزع : ٢٣١ .

حذيفة اليماني : ١٨٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

٢٦٣ ، ٤٤٢ ، ٥٢٧ ، ٥٥٧ ، ٥٩٠ ، ٦٣٣ .

حرب بن عبد الله البلخي (أو بن عبد
الملك) : ٢٩٥ ، ٣١٤ .

أبو الحر السكوني : ٣١٧ .

الحرسي (أو سعيد الحرشي) : ٣٠٦ .

حريث بن جابر : ٢٠٧ .

الحريش بن هلال : ٢٠٤ .

حسان بن المنذر بن ضرار : ٢٠٧ .

الحسن بن برمك : ٦١٨ .

الحسن البصري : ٦٥ ، ١٢٤ ، ٢٠٣ .

حماد بن إسحاق الموصلي: ٢٤، ٣٦٩.	الحسين بن أبي السرح (أو ابن أبي السري)، أبو عبد الله: ٩، ١١، ٤٢، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٦.
حماد التركي: ٢٨٦، ٢٩٢.	الحسين بن صالح: ٤١٠.
حماد بن عبد العزيز: ٥٧٥.	الحسين بن الضحاك: ٣٧٠.
حماد بن موسى: ٢٥٧.	الحسين بن علي بن أبي طالب: ٩٧، ١٠١، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٢.
حمال الخطايا: ٢٣٩.	٢٥٣، ٤٤٠، ٥٢٤، ٥٤١، ٥٧٠.
حمدان بن السخت الجرجاني: ٢٦٧.	الحسين بن عمار: ١٥٥.
حمد بن محمد: ٤٩٩.	الحسين بن عمر الرستمي: ٢٦٧.
حمدونة بنت عضيض: ٣١٦.	الحسين بن قرة الفزاري: ٣٠٨.
أبو حمران (الشاعر): ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١.	حصن: ٢٣٤.
حمزة (عم الرسول)، أسد الله: ٩٧، ١٥١.	الحصين بن المنذر الرقاشي: ٢٠٧، ٤٣٨، ٦٢٤.
حمزة الأصباهاني: ٢٢.	الحطيفة: ١٠٧، ٢٥٦.
حمزة بن مالك بن هشم الخزاعي: ٢٩٩.	حطي كلمن: ٥٥٤.
حميد الأرقط: ٢٦١، ٢٦٧.	الحكم بن ثوبة: ٢٦٦.
حميد الطويل: ٩٤.	الحكم بن الجارود: ٢٠٧.
حميد بن القاسم الصيرفي: ٢٨٩.	الحكم بن الطفيل: ٨٥.
حميد بن قحطبة الطائي: ٢٩٩، ٥٧٥.	حكم الغفاري: ٦١٥.
حميد بن مالك (في الشعر): ٤٨٩.	الحكم بن ميمون: ٣٠١.
ابن حبل: ٣٦٠.	حُكَيْم بن سعد بن ثور البكائي: ٢١٧.
حنظلة: ٢١٥.	أبو حلبة: ٣٠٣.
حنظلة بن خالد، أبو مالك: ٥٦٠.	حُلُوان العمليقي: ٥٩١.
حنظلة بن زيد: ٥٥٧.	حليف بن جعفر الربيعي: ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥.
ابن الحنفية: ٢١٠.	حماد (الراوي): ٢٥٥.
أبو حنيفة: ٢٨٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٥٣٩.	
حنين بن إسحاق: ١٨، ١٩.	

حواء: ٥٣٦.

باب الخاء

الخارجي الصُّفْرِي: ١٣٣.

خازم بن خزيمة التميمي: ٥٧١.

خاطيء: ٢٣٩.

خاقان التغزغزي: ٢٦، ٤٢٩، ٥٨٦.

٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٤٩.

خاقان الحارثي السغددي: ٤٩٦.

أم خالد: ٨٢، ١٥١.

أبو خالد الأحول: ٣٠٦.

خالد بن برمك: ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٦.

٥٧٤، ٥٧٩، ٥٨٠، ٦٠٧.

أبو خالد بن برمك: ٦١٨.

خالد بن ثؤالة الكناني: ٧٦.

خالد بن سنان: ٥٠٩.

خالد بن صفوان: ٩٦، ٩٧، ١٦٩.

١٧٣، ٢١١، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٦.

خالد بن عبد الله القسري: ١٥٨، ١٥٩.

٢١٨، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٨.

٢٩٢، ٥٤٧، ٥٦٢.

خالد بن عتاب: ٢٠٤.

خالد بن عمير بن الخباب السلمي: ٤٥٧.

خالد بن فريض الهجيمي: ٤٨٩.

خالد بن كلثوم: ٢٥٥.

خالد بن مَعْدَان: ١٩١.

خالد بن معمر: ٢٠٧.

خالد بن ميمون: ٢٣٨.

خالد بن نضلة: ٢١٤، ٢١٥.

خالد بن الوليد (سَيِّفُ اللَّهِ): ٨١، ٩٧.

١٥٦، ١٦١، ٢٠٢.

خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني: ٥٣٩.

٥٩٠.

أبو خيرة: ٤٠١.

خراسان بن عالج بن سام بن نوح: ٦٠١.

خراش بن المسيب اليمامي: ٢٨٨.

خزّين (في الشعر): ٤٢٨.

أبو خزيمة: ٥٧٤.

خزيمة بن خازم: ٥٨١، ٥٩٠.

الخضر (عليه السلام): ٤١، ٦٥، ١٠٩.

١١١، ١٤١، ١٥١، ٤٥٥، ٤٥٦.

خضر (مولى صالح): ٣٠٥.

أبو الخطاب: ١١٦، ١٢٠.

الخطيب البغدادي: ٢٥.

خفاف بن ندبة: ٢٢٧.

أبو خلف: ٦٠.

خلف بن تميم: ١٠٣.

خليد عيشين العبدي: ٥٠٩.

الخليل بن أحمد: ١٦٩، ٢٣٤، ٢٥٤.

الخليل بن مالك: ٣٠٤.

خليل الناسك: ١٠٠، ١٠١.

الخليل بن هشام: ٢٤٢.

خماني بنت أردشير بن اسفنديار: ٦١٢.

خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي:

٦١٠

خوزاد بن بارس : ٤٠٠

أبو خيرة القشيري : ٢٤٥

الخيزران : ٣١٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٠

باب الدال

ابن دأب (عيسى بن يزيد بن دأب

الكناني) : ١٨٦ ، ١٧٩

دارا بجرد : ٤٠٦

دارا بن دارا : ٤٦١ ، ٢٤٨ ، ١٠٨

داقويه : ٢٧٣

دانيال الأكبر : ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٣١ ، ١٨٨

٤٢٩

داود (عليه السلام) : ١٤٥ ، ١٣٥ ، ٨٦

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٧

٤٥٧ ، ١٨٨

أبو داود : ٤٠٦

ابن أبي داود : ٣٦٩

داود (مولى المهدي) : ٣٠٩

داود بن بسطام : ٣٠٣

داود بن المخير : ٤٠٣

داود بن منصور بن أبي علي الباذغيسي :

٦٤٠

داوردان : ٢٦٤

الدجال : ١٩١ ، ١٥٥ ، ١٤٦ ، ٨٠ ، ٦٩

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٤٠١ ، ٥٣٦ ، ٥٩٤ ، ٦٢٨

أبو الدرداء : ٤٤٢

دعبل : ٣٣٨

دغفل بن حنظلة الشيباني : ٦٠١ ، ٢٥٥

دلغت : ٢٧٠

أبو دلف (الشاعر) : ١٦١ ، ٤٨٣ ، ٥٢٩

دمشق بن خالي بن مالك بن أرفخشذ بن

مسام بن نوح : ١٥٥

الدنيسري : ٣٢

دورثيوس : ٦٠

دي خويه (علامة هولندي) : ٦ ، ١٤

٤٦

دينار : ٥٢٧

باب الذال

أبو ذر : ٤٤٢

ذكوان : ٢٩٦ ، ٢٩٧

الذهبي : ٢٩ ، ٢٥ ، ١٠

ذورثيوس الحكيم : ٣٣٤

ذو الرمة : ٢٥٦ ، ٢٢٧ ، ٩٥ ، ٨٧

ذو الرياستين : ٢٦٧

ذو القرنين : ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٩

١٨٨ ، ٢٦٨ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦

٥٩٧ ، ٦٠٦

باب الراء

رؤية : ٢٥٦

رائطة بنت أبي العباس السفاح : ٣٠٩

راشد الهجري : ٢٢١

رافع بن هرثمة : ١١١ ، ٥٣٨ ، ٥٧٧

زادا نفروخ بن بيري: ١٦٣، ٢١٠، ٣٨٨، ٤١٧، ٣٨٩.

زاغي بن زاغي: ١٣٣.

زيرا: ٢٤٦.

زبيدة بنت جعفر بن المنصور، أم جعفر:

٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٦، ٥٨١.

ابن الزبير: ٢١٠.

الزبير بن بكار: ٨٣.

الزبير بن العوام: ٨١، ١٠٥، ١٥٩، ٢٤٤، ٢٠٦.

زكاد بن سنان: ٢٩٩، ٥٧٨.

زارة بن يزيد بن عمرو بن عُدَس: ٢١٧.

زودشت: ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٨٢.

الزوسيد (طبيب): ١٨٩.

زرياب: ٣٢٣، ٣٧٣.

زكرياء (عليه السلام): ١٤٦، ١٥١.

أبو زكريا: ٣٠٣.

زكريا القزويني: ٤٣.

زلزال الضارب: ٢٩٦.

زهرة بن حوية: ٥٥٨.

زُهْرَة بن مَعْبِد القرشي: ١٢٤.

الزهري: ١٤١، ١٧٩.

زهير بن جناب الكلبي: ٤٤٩.

زهير بن المسيب الضبي: ٢٩٥.

زهير بن محمد: ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٤.

زويعة: ٢٦٨.

الرافعي القزويني: ١٢، ١٣.

راوند بن بيوراسف: ١٧٦.

الربيع (الحاجب): ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٠٦.

ربيع (ابن أبي زياد): ٣٠٧.

الربيع بن خُثَيْم: ٩٩، ١٠٠، ٢٠٨، ٥٦٢.

ربيعة بن عثمان: ٤٥٩.

الرجالي بن الغضائري: ٢٧.

رجعم بن سليمان: ١٥٢.

رستم (المعروف بالشديد): ٤١٦.

رُشيد: ٢٩٨.

ابن رغبان: ٢٩١، ٢٩٧، ٣١٥.

ركن الدولة: ١٦، ١٧.

الرّواد الأزدي: ٥٨٢.

رّوح بن حاتم المهلبّي: ٣٠٨، ٥٧١.

٥٧٤، ٥٩٠.

رّوح بن زُنباع الجذامي: ١٥٧.

الرومي: ١٢٦.

ابن الرومي: ٢٣، ٢٤.

رؤي بن بيلان بن أصبهان بن فلوج بن سام

بن نوح: ٥٣٧.

الرياشي: ١٧٦.

الريان بن الوليد: ٨٦.

ريسانة: ٣١٥.

رينو: ٣٨.

باب الزاي

زاب (ملك): ٣٣٢.

أبو زياد (أبو زينب): ٣٠٧.

زياد بن رباح: ٥٣٥.

زياد (بن أبي سفيان): ٢٠٢، ٢٠٣،

٢٢١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢،

٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥٦، ٣٩١،

٥٨٣.

زياد بن عبد الرحمن البلخي: ٢٥٧،

٤٩٥.

زيد بن ثابت: ١٥٩.

زيد بن أبي زياد: ٦٠٩.

أبو زيد الطائي: ٢٥٦.

زيد بن علي بن أبي طالب: ٢١٩، ٢٢٣،

٢٥٣.

زيد بن محمد: ٣٩٨، ٥٧٨.

زيد بن واقد: ١٥٨.

زيدان: ٩٢.

زينب بنت علي بن أبي طالب: ٢٢٤.

باب السنين

السائب بن الأقرع: ٢٠٠.

سابور بن هرمزد ذو الأكتاف (شاپور):

١٧٨، ٢٢٥، ٢٧٦، ٣٣٣، ٣٨٨، ٣٨٩،

٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٠،

٤١٢، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠،

٥٥٧، ٥٢١.

سارة: ١٤٦، ١٥٢، ٦٠١، ٦٣٩.

سالم بن عمار: ٢١٨.

سام بن نوح: ٣٦٧، ٣٩٥.

سجاح: ٢٤٧.

السدي: ٤٥١.

سرج (شوح): ٦٠١، ٦٣٩.

سرجيس بن هليبا الرومي: ١٩.

السري بن الحطم: ٣١٤.

سعد: ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٣.

السعد بن عمر: ٢٤٣.

سعد بن قيس الهمداني: ٢٠٩.

سعد بن أبي وقاص: ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٦،

٢١٩، ٢٢٩، ٢٤٥.

سعدى (في الشعر): ٣٦٩، ٣٧٠.

سعفص: ٥٥٤.

سعيد بن أسعد الأنصاري: ٢٤٥.

سعيد بن جبير: ٩٢، ٢٠٨، ٥٣٩، ٥٦٣.

سعيد الجوهري: ٥٧٥.

سعيد الحرشي: ٥٧٤.

سعيد بن الحسن السمرقندي: ٦، ٣٤،

٣٥، ٣٦، ٣٧، ٦٤٣.

سعيد بن حميد بن دعلج: ٢٩٩، ٣٠١،

٥٧٤.

سعيد بن سلم: ٥٧٥، ٥٩٠.

أبو سعيد الضرير: ٨٩.

سعيد بن العاص بن أمية: ٢١٩، ٥٥٨،

٥٧٠.

سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

٨٢.

سعيد بن عثمان بن عفان: ٦٢٤.

سعيد بن عطية: ٢٥٧.

سعيد بن كثير بن عفير (ابن عفير): ١٢٣.

سعيد بن مسعود المازني: ٢٠٤.

سعيد بن المسيب: ٢٧٥، ٢٩٩، ٥٢٩.

أبو سفيان: ٢٤٣.

سفيان بن سعيد الثوري: ١٠٠، ١٠٥.

٣٥٩، ٤٠٠، ٤٤٣، ٦١٥.

أبو سفيان الحميري: ٢٦٠.

أبو سفيان بن عروة بن المغيرة بن شعبة:

٢٠٤.

سفيان بن مسعود بن عمر الأزدي: ٢٤٧.

سفيان بن معاوية: ٢٣٢.

ابن السكيت: ١١٥.

سكينة بنت الحسين: ٢٢٤.

سلام الترجمان: ٢٠، ٢١، ٣٩، ٥٩٥.

٥٩٦، ٥٩٩.

سلام الطيفوري: ٤٩٥.

السلطاني: ٢٢٦.

سلم بن نافع: ٥٧٤.

سلمان: ٢٠١، ٢٥٩، ٤٤٢.

سلمان بن ربيعة الباهلي: ٥٨٨، ٥٨٩.

٥٩٠.

سلمة بن زرعة: ٢٤٤.

أم سلمة بنت أبي النجم: ٢٩٨.

أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة: ٢١٩.

سلمى: ٨٨، ١٤٣، ٤٨١.

سليم (أبي العلاء): ٣٠٩.

سليمان بن برمك: ٦١٩.

سليمان التاجر: ١٤، ٦٦.

سليمان بن أبي جعفر: ٢٩٧.

سليمان بن داود (عليه السلام): ٩١.

٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٢٧، ١٣٤، ١٤٠.

١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩.

١٥٠، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٦.

١٨٨، ٢١٠، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣.

٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٩١، ٣٦٩، ٤٥٠.

٤٦١، ٤٩٩، ٥٣١، ٥٥٤، ٥٧٥.

سليمان بن عبد الله بن طاهر: ٢٩، ٣٢٩.

٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٧.

سليمان بن عبد الملك: ٧٩، ١٠٣.

١٥٢، ١٥٣، ٢٠٤، ٢٣١.

سليمان بن علي: ٢٣٢.

سليمان بن قيراط: ٤٩٥، ٤٩٦.

سليمان بن أبي كريمة (البيروتي): ٦٥.

سليمان بن مجالد: ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤.

٢٩٩.

سليمان بن يحيى: ٥٧٨.

سماك بن حرب: ٢١١، ٢٦٢.

سماك بن عبيد العباسي: ٥٢٧.

سماك بن مخزومة بن حُمين الأسدي:

٢١٨.

السمعاني: ٢٨.

سَمَل بن مَسْرُق: ١٨٥.

سمية (أم زياد): ٢٤٣.

سنان بن عَلَّوان (فرعون): ٨٦.

سنحاريب: ٢٧٦.

سَنَمَار: ٢١٢، ٤٢٣.

سهل بن سلامة: ٣٢٩.

أبو سهل بن نوبخت: ٢٩٠.

سهلون بن مهندار الكسروي: ١٧.

سَوَّار بن زيد العبادي: ٢١٧.

سودان بن يوسف: ١٤٢.

سُوَيْد بن مَنجُوف: ٢٠٧.

سَيَّاه: ٢٣٤.

السيد بن محمد الحميري: ٢٥٩.

سَيْف بن عمر: ١٨٥.

باب الشين

شاه آفريد: ٤١٧.

الشاه بن ميكال: ٣٣٩، ٣٤٠.

شَبَث بن رُبَيع التميمي: ٢٠٦، ٢٠٧.

ابن شبرمة: ٢١٦، ٢٣٩، ٥٢٩.

شبل بن معبد البجلي: ٢٤٢.

شبيب بن شبة: ٢٥٦.

شبيب بن وأج المروزي: ٢٩٥، ٣٠٠.

أبو شدقم العنبري: ٢٥٠.

الشرقي بن القطامي: ١٧٧، ٢٤٥، ٢٥٥.

الشروي: ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩.

شروين: ٤٢٨، ٤٤٩، ٥٧١.

شروين بن سهراب: ٥٦٦، ٥٦٨، ٥٦٩.

شريح بن عبيد: ١٠٥، ٢٠٨، ٢١٤.

شريك بن عبد الله: ٦٠١.

شريك بن عمرو بن شراحيل (أبو

الحوقران): ٢١٥.

شعبة الجرمي: ٣٠٥، ٤٥٩.

الشعبي = عامر بن شراحيل الشعبي.

شُعَايا: ١٤٩، ١٥٢.

شعيب (عليه السلام): ٧٤.

شعيب بن حرب (أبو صالح): ٣٥٩.

شقيق بن ثور السدوسي: ٢٠٧.

الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيان:

٢١٢.

شكنة (أم إبراهيم بن المهدي): ٥٨٠.

الشماخ بن مزرد: ٢٥٦.

الشماخ اليماني (مولى المهدي): ١٣٣،

١٣٤.

أبو شمال الأسدي: ٢٥٦.

شمر بن أفريقيس بن أبرهة (يرعش):

٦٢٢، ٦٢٥.

شناصر بن إبليس: ٢٧١.

شهربراز: ١٨٦.

شهريار باغبان: ٣١٩.

شهمردان بن أبي الخير: ٣٢.

ابن شوذب: ١٦٥، ٢٣٩.

أم شيان: ١٦.

شيبة بن أيمن: ٢٥٧.

شبة بن عثمان: ١١١.

ابن الشيخ: ١١١.

شيراز: ٤٠٦.

شرويه بن شهر دار الديلمي: ٩، ١٠،

١٧٩، ٣٠٠.

شيرين: ١٠٩، ٣٦٦، ٤١٩، ٤٢٣،

٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٤٧، ٤٤٨،

٥٢٣، ٥٣٤.

الشيصبان: ٢٧٣.

شيطان بن زهير: ٢١٨.

شيلث: ٢٧١.

صدقة بن علي: ٥٨١، ٥٨٢.

صعصة بن صوحان العبدي: ١٦٤،

٢٥٦.

صفوان بن الأهم: ٢٥٦.

صفوان بن المعطل الشلمي: ٥٨٣.

ابن صفير البربري: ١٣٢.

صقلاب: ٤٦٠.

أبو صلابة بن مالك بن طارق العبدي:

٢١٧.

الصلت بن دينار: ٤٠٣.

صنعاء بن أزال بن يقطن: ٩١.

باب الضاد

ضابن البرجمي: ٢٥٦.

ضاحك: ٩٠.

ضبة: ٣٠٧.

الضحاك (ذر الحيتين): ٨٦، ٣٣٢،

٥٥٤، ٥٥٥، ٥٩١.

الضحاك بن قيس: ٢١٤.

الضحاك بن مزاحم: ١١٥، ٥٣٩، ٦١٦.

ضطع: ٥٥٤.

الضيون بن جبهة: ١٧٧، ١٧٨.

ضَيَّون بن معاوية بن العبيد السليحي:

٢١٨.

باب الطاء

طائفية: ٢٦٩.

طاووس: ٩٢.

باب الصاد

صالح (عليه السلام): ٧٤.

صالح: ٣٠٥.

صالح (المسكين): ٣٠٨.

أبو صالح الباهلي: ٣٥٧، ٦٠١.

أبو صالح الحذاء: ٤٧٠.

أبو صالح السني: ٣١٩.

صالح بن عبد الرحمن: ٢٥٧، ٢٦٣،

٣٨٨، ٣٨٩.

صالح بن علي بن عبد الله بن عباس:

١٥٢، ١٦٣.

صالح بن علي بن يعقوب: ١٣٣.

صالح المري: ٤٥٣.

صباح بن يحيى: ٢٣.

صخر المارد: ٢٧٢، ٥٥٤.

طارق بن زياد: ١٣٤.

طافات بن الليث بن العيزار بن طريف بن

فوق بن مورك البطريق: ٣٠٤.

طالب بن مذك: ١٣٩.

طاهر بن الحسين: ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١،

٣٠٥، ٥٥٧، ٥٧٥.

طاهر بن محمد بن عبد الله: ٢٩، ٣٣٣،

٣٣٩، ٥٧٢، ٥٧٦.

طرحان: ٥٩٦.

الطرماح: ٢٢٧.

طلحة بن خويلد الأسدي: ٥٥٨.

طلحة الطلحات: ٢٥٦.

طلحة بن عبد الله بن خلف: ٢٠٤، ٢٣٤.

طلحة بن عبيد الله: ٨١، ١٥٩، ٢٠٦.

طلحة بن خويلد الأسدي: ٢٠٩، ٢٥٨.

طمبات الحكيم: ٤١٥.

طهمورث: ٥٣٣، ٦١٢.

ابن الطيب الحكمي: ٣١٩.

باب الظاء

أبو ظبيان: ٢٣٦.

باب العين

عائشة بنت أبي بكر: ٨١، ٢٠٦، ٢٢٤،

٢٤٢، ٣٠١.

عاتكة: ٨١.

عاصم: ٨٢.

أبو العالية: ٣٥٦.

عامر: ١١٧.

أم عامر (في الشعر): ٨٢.

عامر بن إسماعيل: ٥٩٠.

عامر بن الخصيب: ٥٣٧.

عامر بن دلجة: ٣٠١.

عامر بن شراحيل الشعبي: ٥٧، ٥٨،

١٣٩، ١٧٦، ٢٠٨، ٢٦١، ٤٠٤، ٤٦٤،

٥٣٠، ٦٠٢، ٦٢٥.

عامر بن صعصعة: ٢٠٨.

عامر بن عبد قيس: ٢٠٤.

عباد بن أثرب: ٥٦٨.

عباد بن حصين: ٢٠٤.

عباد بن أبي الخصيب: ٣٠٥.

عبادة بن الصامت: ١٨٦.

أبو العباس السفاح: ٥٧، ٧٧، ٩٦، ٩٧،

١٥٣، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩،

٢١٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٥٣، ٢٥٥،

٣٦٧، ٥٤٦، ٥٧١، ٥٩٠.

أبو العباس الطوسي (الفضل بن سليمان):

٢٨٣، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٨، ٥٧٤، ٥٨٦.

عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن

العباس: ٣٠١، ٣٠٢، ٥٨٠.

العباس بن مژداس السلمي: ٢٠٩، ٢٤٢،

٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨.

العباسة بنت الرشيد: ٣٠٦.

العباسي المنطقي: ٢٥٣، ٣١٩.

عبد الباقي بن قانع: ٣١.

عبد الله بن الأهم السَّعْدِيّ: ٢٥٦، ٢٠١.
عبد الله بن بديل بن ورقاء: ٦١١.
أبو عبد الله الجدليّ: ٢٠٩.
عبد الله بن جزي: ٢٤٣.
عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو
الباهلي: ٥٨٩.
عبد الله بن حازم: ٥٧٥.
عبد الله بن الحرمي: ٥٧٥.
عبد الله الحزامي: ٦٢٥.
عبد الله بن حسن بن حسن: ٣٠٣.
أبو عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب:
٣١٢.
عبد الله بن الخزاعي: ٢٩٧.
عبد الله بن دارج: ٢٦٢.
عبد الله بن رواحة: ٤٤٢.
عبد الله بن الزبير: ٧٧، ٢٦١، ٤٠٣،
٤٨٧.
عبد الله بن زحر: ٤٤٢.
عبد الله بن زياد المدني: ٥٠٦.
عبد الله بن أبي سعد: ٥٧٥.
عبد الله بن سعيد: ٥٧٥.
عبد الله بن سلام: ١٥٣، ٤٠١.
عبد الله بن شوذب البلخي: ٣٢، ٣٣.
عبد الله بن صالح بن علي: ٣١٢.
عبد الله الضبيعي: ٢٣٨.
عبد الله بن طاهر: ١١٣، ١٢٣، ١٦٢،
٣٠٠، ٣٣٧، ٤٨٣، ٥٧٢، ٥٧٦، ٦٠٠.

عبد الجبار بن عبد الرحمن: ٣٣٧.
عبد الجبار بن مغيث: ٢٥٧.
عبد ربه بن أبي أيوب: ٢٥٧.
عبد الرحمن بن الأزهر: ٥٢٣.
عبد الرحمن بن بشير العجليّ: ٢١١.
عبد الرحمن بن أبي بكرة: ٢٢٩، ٢٣٢،
٢٥٦.
عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان: ٣٩٢.
عبد الرحمن بن جمانة الباهلي: ٥٨٨.
عبد الرحمن بن عبد الجبار: ٥٧٢.
عبد الرحمن بن أبي ليلى: ٢٣٦.
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
الكندي: ٢٠٩، ٢٦١، ٣٠٨.
عبد الرحمن بن محمد بن نصر: ٤٥٥.
أبو عبد الرحمن المروزي: ٢٦.
عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم
الوكيل (الطستي): ٢٥، ٥٨٠.
عبد العزيز بن أبي دؤاد: ٢٧٧.
عبد العزيز بن عبد الله بن حاتم: ٥٨٩.
عبد العزيز بن محمد بن الفضل، أبو
عمرو: ٢٤، ٤٠٣.
عبد القاهر بن حمزة الواسطي: ٤٧٥،
٤٨٢.
عبد الله (آباد): ٤٦٨.
عبد الله بن أحمد بن خالد بن روزبه، أبو
بكر: ٩، ١١.
عبد الله بن إدريس: ٢٣، ١٠٢، ١٠٣.

٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٤٩٥ .	٦٠٧ ، ٦٢٨ ، ٦٣٢ ، ٦٤١ .
أبو عبد الله القشيري : ٢٢٣ .	عبد الله بن عامر بن كُريز : ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٥٧٠ ، ٦٢٠ .
عبد الله بن مالك الخزاعي : ٢٩٧ ، ٥٦٦ ، ٥٧٥ .	عبد الله بن عباس : ٥٩ ، ٦٥ ، ٩٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٣٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٣٣١ ، ٤٠٤ ، ٤٦٦ ، ٥٦٠ ، ٥٩٤ ، ٦٣٩ ، ٦٣٣ ، ٦٠١ .
عبد الله بن مبارك بن واضح الحنظلي التميمي : ٢٦ ، ٣٥٩ ، ٤٧٦ ، ٦٠٧ ، ٦١٤ ، ٦١٥ .	عبد الله بن عبد الرحمن : ٢٦٢ .
عبد الله بن محمد بن خردذابه : ٣٩ ، ٤١٠ .	عبد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ٣٣٦ .
عبد الله بن محمد بن رنجويه بن مهران : ٤٩٨ ، ٥٠٢ .	عبد الله بن عبد الملك : ١٦٢ .
عبد الله بن محمد المعبدى : ٣٠٣ .	عبد الله بن عثمان بن أبي العاص : ٢٣٢ .
عبد الله بن مشعود : ٢٣ ، ١١٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٤٠٢ ، ٤٤٣ ، ٦٠٩ .	عبد الله بن عدي الجرجاني ، أبو أحمد : ٢٣ .
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٦٠٣ .	عبد الله بن علي : ١٦٠ ، ٣١٥ .
عبد الله بن المعتز : ٣٧٥ ، ٣٧٦ .	عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٧٦ ، ٦٢٨ .
عبد الله بن معقل المزني : ٢٤٣ .	عبد الله بن عمر بن عبد العزيز : ٢٤٨ ، ٢٦٠ .
عبد الله بن المقفع : ٣٩٥ ، ٥٨١ ، ٦٠٧ .	عبد الله بن عمرو بن بشير البلخي : ٢٥ ، ٥٦٤ .
عبد الله بن أبي مليكة : ٤٠٣ .	عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي : ٥٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٩٧ ، ٢٣٥ .
عبد الله بن نافع : ٢٣١ .	عبد الله بن عياش الهمداني (ملقب بالمتوف) : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ .
عبد الله بن أبي نعيم الكلبي : ٣٠٣ .	
عبد الله بن هلال : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ .	
عبد الله بن يقطن الليثي : ٢٥٣ .	
عبد الملك بن بشر بن مروان : ٢٥٦ .	
عبد الملك بن حميد الكاتب : ٢٨٢ ، ٢٩١ .	

- عبد الملك بن زيد، أبو عون: ٣٠٠، ٥٧٢.
- عبد الملك بن عمير: ٢١١.
- عبد الملك بن الماجشون: ٢٧٦.
- عبد الملك بن مروان: ٧٧، ١٠٤، ١١٠، ١٣٩، ١٤١، ١٥١، ١٦٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٣٠٩، ٤٠٠.
- عبد الملك المعيطي: ٢٥٥.
- ابن عبدوس الكاتب: ١١٤.
- عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد الإمام: ٢٩٥.
- عبد الوهاب الثقفي: ٢٦٦.
- عبدويه الأزدي: ٣١٥، ٣٠٠.
- أبو عبيد: ٢٠٢.
- عبيد بن الأبرص الأسدي: ٢١٥.
- عبيد بن ثعلبة: ٨٧.
- عبيد الله بن إسحاق: ٢٧٩.
- عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان: ٥٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٣، ٣٩١، ٤٤٣، ٥٤١، ٥٧٠.
- عبيد الله بن سليمان: ٤٩٥.
- عبيد الله بن عبد الله بن خردذابه، أبو القاسم: ٢١، ٢٠، ١٤.
- عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: ٣١٣، ٣٢٤، ٣١٩.
- عبيد الله بن قيس الرقيات: ٣٨٣.
- عبيد الله بن المهدي: ٣٠٥، ٥٩٠.
- عبيد بن مسهر: ٤٤٩، ٤٥٠.
- أم عبيدة: ٣١٥.
- عبيدة السلمي: ٤٥٠.
- أبو عبيدة (معمّر بن المثنى): ١٣، ٨٩، ٩٣، ١٦٢، ١٧٦، ١٩٩، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٧.
- أبو عبيدة (يهودي): ٢٤١.
- عتّاب بن ورقاء: ٢٠٧.
- العتّابي: ٣٥٩.
- أبو العتاهية: ١٠٩، ٤٦٥.
- عتبة بن غزوان: ٢٠٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٥.
- عتبة بن فرقد السلمي: ١٧٦، ١٧٧.
- عتبك بن هلال الفارسي: ٢٩٥.
- عثمان الأودي: ٤٩٦.
- عثمان بن سهيل: ٢٩٨.
- عثمان بن أبي شيبة: ٣١٧.
- عثمان بن أبي العاص: ٤١١.
- عثمان بن العاص الثقفي: ٢٣٢.
- عثمان بن عفان: ٨١، ٩٣، ٩٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٩، ١٦١، ٢٠٣، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٤، ٥٥٨، ٥٧٠، ٥٨٩، ٥٩٠، ٦١١، ٦١٨.
- عثمان بن عمار: ٥٩٠.
- عثمان القباطي: ٧٦، ٧٧.
- أبو عثمان النهدي: ٣٥٦.

العجاج: ٢٥٦.

عَدَسَة بنت مالك بن عوف الكلبي: ٢١٨.

عدي بن أرطاة: ٢٣١، ٢٣٢.

عدي بن حاتم: ٢٥٦.

عدي (بني عدي بن الدميل): ٢١٧.

عدي بن زيد التميمي: ١١٥، ١٧٧.

٢١٣، ٤٦٥.

عدي بن كعب: ١٤٤.

عززم: ٢١٦.

عروة بن أذينة: ٨٣.

عروة بن الزبير: ٨٢.

عروة بن زيد الخيل الطائي: ٢٠٩، ٢٥٦.

٥٣٧، ٢٥٨.

عُزَيْر: ٦٠٦.

العزير: ١١٦.

عصابة الجرجرائي: ٦٠٥.

عضد الدولة: ٣٩.

عطاء بن أبي خالد المخزومي: ١٢٦.

عطاء بن السائب: ٣٥٧، ٦٢٠.

عقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث:

٢٩٦.

عقبة بن نافع بن عبد القيس النهري:

١٣٢.

عقرقوف: ٤٠٦.

عكاشة بن محصن: ٨٤.

عكرمة: ٢٧٠، ٦٢٨.

عكرمة بن رباعي التميمي: ٢٠٧.

عكرمة بن رباعي الفياض: ٢٠٤.

العكلي: ٤٦٧.

أم العلاء الأوذية: ٢٢٣.

العلاء بن موسى الجوزجاني: ٣٠٠.

علقمة بن قيس: ٢٣، ٢٠٨.

أبو علي البصير: ٣٧٣.

علي بن جعفر الشزري، أبو الحسن: ٦.

علي بن الجهشيار: ٣٠٥.

علي بن جهم: ٣٣٢، ٣٦٨، ٦١٣.

علي بن حرب الموصللي: ٢٦٢.

علي بن الحسين: ٢٢٤.

علي بن الحكم العقيلي: ٣٠٨.

علي بن حمزة الكسائي: ٥٣٩.

علي بن ربن الطبري: ١٨، ١٩، ٢٠.

٥٥٥، ٥٧٨، ٦٣٥.

علي بن أبي سعيد: ٢٥٦، ٢٥٧.

علي بن صالح: ٢٥٩.

علي بن أبي طالب (الولي)، أبو تراب:

٩٤، ٩٧، ١١٣، ١٢٨، ١٥٧، ٢٠٠.

٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧.

٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٩.

٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢.

٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨.

٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٧، ٣٥٧، ٤٠١.

٤٧١، ٥٣١، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٦٢، ٥٧٠.

٥٩٠، ٦٠٤، ٦٠٩.

علي بن عاصم: ٤٥٥.

علي بن عبد الله : ٢٩٧ .

علي بن عيسى بن ماهان : ٢٩٩ .

علي بن محمد العلوي : ٢١٤ .

علي بن محمد المدائني : ١٣ ، ٩٦ ،

١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٩٩ ، ٢١١ ، ٢٣٥ ، ٢٧٥ ،

٣٧٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٤١٠ ، ٤٤٣ ، ٦١١ .

علي بن المهدي : ٣٠٩ .

علي بن موسى (المعروف بابن طاووس) :

١٧ .

علي بن موسى الرضا (الإمام) : ٤٣ .

علي بن أبي ناشر : ١٦٧ ، ١٧١ .

علي بن هشام : ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٦٠٧ .

علي بن يقطين : ٢٥٧ ، ٢٨٥ .

ابن عمار : ٢٣٤ .

عمار بن عبد الله : ٥٦١ .

عمار بن ياسر : ٨١ ، ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٥٩ ،

٤٤٣ ، ٤٥٩ ، ٥٣٧ .

عمارة بن حمزة : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٥ .

عمارة بن أبي الخصيب : ٣٠٨ ، ٣١٠ .

عمارة بن عقبة بن أبي مُعيط : ٢١٨ .

عمارة بن عقيل : ٣٦٠ .

عمر الأزرق الكرمانى : ٣٣ ، ٦١٧ .

عمر بن برمك : ٦١٩ .

ابن عمر التغلبي : ٣٦٤ .

عمر بن جيلان (أبو الجلد) : ٦٠٨ .

عمر بن الخطاب ، أبو حفص ، الفاروق :

٧٧ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١٢١ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،

١٦١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،

٢٠٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،

٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣ ،

٣٧٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ،

٤٠٥ ، ٤٤٣ ، ٤٥٩ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٩٠ ،

٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٠ ، ٥٣٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠ ،

٦٠٤ ، ٦٣٣ .

عمر بن ذرّك : ٢٣٦ .

عمر بن سعد بن أبي وقاص : ٥٤١ .

عمر بن عبد العزيز (الخليفة) : ١٢٤ ،

١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ٢٣١ ، ٢٧٥ ، ٣٩١ ،

٦٠٤ ، ٦١٠ .

عمر بن فرج : ٣٠٦ .

عمر بن الفضل الشيرازي : ١١١ .

عمر بن مدرك ، أبو حفص : ٢٦ ، ٦١٤ .

عمر بن المطرف الخراساني المروزي :

٢٩٦ .

أبو عمران الكسروي : ٤٢٥ .

عمرو بن اسفندياذ : ٢٩٨ .

عمرو بن بزيع : ٢٥٧ .

عمرو الجُهني : ١٠١ .

عمرو بن الحارث : ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،

٢٥٦ .

عمرو بن حيان: ٤٥٣.

عمرو الرومي: ٥٥٩.

عمرو بن شاس: ٢٥٦.

عمرو بن العاص: ٧٩، ١١٣، ١١٥.

١١٧، ١٢١، ١٣٢، ٢٥٢.

عمرو بن عتبة بن فرقد: ٢٠٤.

عمرو بن عدي: ٢١٦، ٢٤٨.

أبو عمرو بن العلاء: ٢٥٥.

عمرو بن العلاء: ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩.

٥٧١، ٥٧٤.

عمرو بن كلثوم: ١٦٨.

عمرو بن كليع: ٢٥٧.

عمرو بن الليث الصفار: ١١١، ٤١١.

٥٧٥.

عمرو بن محمد بن حمزة: ٢٢٤.

عمرو بن مسعدة: ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦.

٢٥٨، ٢٥٧.

عمرو بن مسعود: ٢١٤، ٢١٥.

عمرو بن معدي كرب الزبيدي: ٢٠٩.

٢٥٦، ٢٥٨، ٥٣٩.

عمرو بن المنذر بن الشقيقة: ٢٤٨.

٤٥٣.

عمير المأموني: ١٢٨.

عمير بن أبي معن: ٢٥٧.

عوف بن مسكين: ٩٩.

ابن عون: ٣٩٥.

عون بن عبد الله: ٢٥٧، ٢٧٠.

عياش بن باغان الرقي: ١٢٦، ٣٦٤.

عياض بن غنم: ١٧٩.

عيسى (عليه السلام)، المسيح: ٢٢.

١٤٦، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٨٨، ١٨٩.

١٩٧، ٤١٤، ٤٤٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٣١.

٥٩٤، ٦٠٩.

عيسى بن إدريس: ٥٢٩.

عيسى بن بشر الكوفي: ٤٣٨.

عيسى بن جعفر بن المنصور: ٢٩٦.

عيسى بن عبد الرحمن المروزي: ٢٩.

عيسى بن علي بن عبد الله: ٢٩٤، ٣٠٢.

عيسى بن محمد بن عيسى المروزي، أبو

العباس: ٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٦٤٠.

٦٤١، ٦٤٢.

عيسى المنصور: ٢٩٠.

عيسى بن المهدي: ٣٠٨، ٣١٥.

عيسى بن موسى: ٢٢٦، ٢٥٧، ٣٠١.

٣١١، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٦٥.

عيسى بن يونس: ٣٥٩.

أبو العيناء: ٣٦٠.

ابن عينة = محمد بن عينة (أ: حرف

الميم).

أبو عينة بن المهلب: ٢٤٥.

باب الغين

الغصبا بن يزيد: ٢٦١.

الغطريف بن عطاء: ٣٠٠.

الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: ٥٧،
٥٩٠، ٦٢٠.

فضيل بن عياض: ١٤٧، ٣٥٨، ٣٥٩،
٣٦٠.

فطر بن خليفة: ٢٠٣.

أبو فطرس: ١٥٥.

فلاديمير مينورسكي: ٤٤.

الفلهيد المغني = البلهيد (حرف الباء).

فنطوس بن سمار: ٤٢٣.

فوق: ١٨٦.

فيران: ١٤.

فيروز بن يزدجرد بن بهرام: ٤١٧، ٥٣٣،
٦٠٣، ٦٤٨.

فيل: ٢٣٢، ٢٣٤.

فيلان شاه: ٥٩٦.

فيلسين بن كشلوخيم بن صدقيا بن كنعان

ابن حام بن نوح: ١٥٣.

ابن فيلقوس: ١٢٥.

باب القاف

قابوس البحر: ٢٤٨.

قابوس بن المنذر: ٢٤٨.

قارون: ٥٥٥.

قاسم بن أبي الربيع: ٣٠٣.

القاسم بن ربيعة الثقفي: ٥٩٠.

القاسم بن الرشيد: ٥٥٩، ٥٦٠.

القاسم بن مسلم: ٢٥٧.

الغطمش الضبي: ٥٣٨.

غفور (ملك الصين): ٤٢٩.

أبو غيلان: ٢٣٧.

أم غيلان: ٩٤.

غيلان بن مسلمة الثقفي: ٣٨٣.

باب الفاء

فارس طهومرث: ٤٠٦.

فؤاد سزكين: ١٩، ٢٠.

فرج الرخجي: ٣٠٥، ٣٠٦.

فرج بن سُلَيْم الخادم: ١٦٣.

الفرزدق: ١٥٧، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٦.

فرعون: ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ٢١٢.

٢٤٨، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٣٣، ٥٥٥.

فره ن: ٣٦.

أم فروة: ٤٦٦.

فسا: ٤٠٦.

فسطوس: ٤٣٦.

الفضل (أخو ذكوان): ٢٩٦.

الفضل بن إسحاق: ٤٩١.

الفضل بن الربيع، أبو العباس: ٣٠٣.

٣٠٤، ٣٠٥.

الفضل بن سليمان الطوسي = أبو العباس

الطوسي (حرف العين).

الفضل بن سهل: ٢٥٦، ٣٠٦، ٦٠٧.

الفضل بن مروان: ٤١١.

أبو الفضل الواشجردي: ٦٣٩.

القاسم بن سلمان : ٥٥٤ .

القاسم بن شهریار : ٤١٠ .

القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل

العجلي : ٥٢٩ .

قالقلا : ٥٨٩ .

قانبوس : ٥٩١ .

قباذ بن فيروز (الأكبر) : ١٢ ، ١٨٣ ،

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٤٠٦ ، ٤١٧ ،

٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٨٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٥ ،

٥٣٢ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ .

قبيصة بن ذؤيب الأسدي : ٢٥٥ .

قنادة : ٧٦ ، ٢٠٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ،

٦١٢ .

قتيبة بن مسلم الباهلي : ١٧٠ ، ٢٠٧ ،

٤١٧ ، ٤٣٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٥٨٨ ، ٦٢٤ ،

٦٢٥ .

قثم بن العباس بن عبد المطلب : ٦١٥ .

قحذم : ٢٥٧ .

قحطبة بن شبيب : ٦٠٥ .

قرشت : ٥٥٤ .

قرقيسيا : ٤٠٦ .

أبو قررة : ٢٩٢ .

قرة الفزازي : ٢١٧ ، ٣٠٨ .

ابن القرية : ١٤٣ ، ٢٣٨ .

القزويني : ٣٢ .

قس بن ساعدة : ١٠٧ .

قطام التميمية : ٢٥٢ .

القطامي : ٢٥٦ ، ٤٦٤ .

قطرب : ٢٠٠ .

أبو قطيفة : ٨٢ .

الققعقاع بن شور الذهلي : ٢٠٧ .

الققعقاع بن عمرو الأسدي : ٢٥٦ .

قُمام بنت الحارث بن الهانيء الكندي :

٢١٧ .

قمسار بن لهراسف : ٥٣١ .

قنطورا بنت مقطير (مقطور) : ٦٠١ ،

٦٣٩ .

قيراط : ٣٠١ ، ٤٩٥ .

قيس : ٢٤١ .

أبو قيس الأسلت : ١٥٤ .

قيس بن الربيع : ٣٥٨ ، ٣٦٠ .

قيس بن مكشوح : ٢٥٨ .

قيس بن الهيثم السلمي : ٣٣ ، ٦٢٠ .

قيصر : ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٤٠٤ ، ٤٢٩ .

باب الكاف

الكاشغري : ٣٢ .

كال بن برمك : ٦١٩ .

ابن كاوان : ٦٧ .

كرمان بن فلوج : ٤١٣ .

الكرماني : ٢٢٦ .

كرميس بن حليمون : ٤٥٩ .

كسرى (اللقب فقط) : ١٠٩ ، ١٨٦ ،

٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ،

كوشك: ١٤٩، ١٥٢.

ابن الكواء: ١٨١.

كيخسرو: ٦٠٢.

كيكاوس: ٤١٦.

باب اللام

لابان: ١٤٨.

اللب: ٦٠٠.

أبو لبابة: ٢٩٩.

ليبد بن ربيعة العامري: ٢٠٨، ٢٥٦.

ابن لسان الحمي التيمي: ٢٥٥.

لقمان: ٩٣.

لهراسف: ٦١٦.

ابن لهيعة: ١١٧، ٤٠٣.

لودريق (لدریق): ١٣٤، ١٣٥.

لوط (عليه السلام): ١٤٤، ١٤٥، ١٧٩.

٥٣١.

لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي،

أبو مخنف: ٢٥٥، ٥٣٧.

ليث بن أبي سليم: ٢١٠، ٣٦٧.

ليلي: ٩٠، ٤٤٥ (في الشعر).

باب الميم

مأحوج: ٢٠، ٥٩، ٦١، ١٢٥، ١٤٦.

١٥٥، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٩.

المأمون: ٨، ٧٧، ١١٠، ١٢٤، ١٦٢.

٢٤٠، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩.

٢٦٧، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣٠٩.

٤٠١، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٥٣٤.

٥٦٤، ٦٠٨، ٦١٠، ٦١٢.

كسرى أبرويز: ٣٩١، ٤٢٣، ٤٢٥.

٤٢٨، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٧٧، ٤٩٨.

كسرى أنوشروان = أنوشروان (حرف

الألف).

كسرى شهنشاه: ٥٢٣.

كسرى بن قباد بن هرمز: ٦٠٤.

كسكرك: ٤٠٦.

كشتاشف بن بخت نصر: ٦٢٢.

كعب الأحبار: ٦٥، ١١٧، ١٤٦، ١٤٧.

١٤٨، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٩.

١٩٠، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٣٦٥.

٤٠٠، ٥٢٤.

كعب بن جعيل: ٢٥٦.

كعب القرظي: ١٢٩.

ابن كلدة = نافع بن الحارث بن كلدة (باب

النون).

الكلبي = هشام بن محمد بن السائب

الكلبي. (أ: حرف الهاء).

كلواذي: ٤٠٦.

كماشج بن يافث بن نوح: ٥٦٤.

الكميت بن زيد الأسدي: ٢٥٦، ٥٠٨.

ابن كناسة: ٢١٦.

الكندي: ٩٠، ٢٩٥، ٣٢٦.

كنز (أم إدريس): ١٣٦.

كوش بن حام بن نوح: ٥٩١.

المتوكلي: ٢٢٦، ٢٩٧، ٣١٦، ٣٣٨،
٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٣، ٥٧٨، ٥٩٠.
المتوكلي: ٥٠٥.

المثنى بن حارثة الشيباني: ٢٨٠.
المثنى بن الحجاج بن عبد الملك بن
القعقاع: ٥٧٥.

مجاشع بن مسعدة: ٢٥٧.
المجاشعي: ٢٤٤.

أبو مجالد الصنعاني: ٥٦٠.
مجاهد: ٧٦، ٩١، ٩٢، ١٩٣، ٢٢٣،
٣٦٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٥٦١.

أبو مجلز: ٢٣٧.
مجنون بني عامر: ١٠٢.
محبوب بن أبي العشيظ التهلي: ٣٦٤.
أبو محجن الثقفي: ٢٠٩، ٢٥٦.
مخدوج المخزومي: ٢٠٧.

محمد (ﷺ): ٦، ٢٢، ٢٣، ٥٥، ٥٩،
٦٥، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٢،
٨٤، ٩١، ٩٤، ٩٧، ١٠٥، ١١٦،
١٢٠، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٣،
١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢،
١٥٣، ١٥٧، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٦، ١٨٨،
٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤،
٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٢،
٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٠،
٢٧٦، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٥٦، ٤٠٢، ٤٠٣،
٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٦٧، ٤٩٤، ٥٢٥.

٣١١، ٣١٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٦٥، ٤١٤،
٤٥١، ٤٩٦، ٥٣٩، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٦٦،
٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٩٠، ٦١٣، ٦٢٥،
٦٤١.

ماء السماء: ٢١٤.
مار فطرس: ١٩٥.
مار فولس: ١٩٥.
ماروت: ٣٧٨.

مارية القبطية (أم إبراهيم بن محمد ﷺ):
١١٦، ١١٧.

المازيار بن قارن: ١١٠، ٥٥٥، ٥٦٥،
٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٨، ٦٣٥.

ابن أبي مالك: ١٠٢.
مالك بن ثعلبة: ٢١٦.
مالك بن الحارث (الأشتر النخعي):
٢٠٤، ٢٠٩.

مالك بن دينار: ٢٣٤، ٢٩٢.
مالك بن الريب: ٦١١.

مالك بن فهم بن غنم بن دؤس: ٢١٦.
مالك بن قيس: ٢١٧.

مالك بن مسمع: ٢٠٧، ٢٤٤.
ماني (صاحب الزندقة): ٣٩٦، ٦٣٥.

ماه: ١٧٨.
مبارك: ٣٠١.

مبارك التركي: ٣٠٨، ٣١٥، ٥٥٩.
مالك بن سعيد: ٥٢٧.

المبرد: ٢٤، ٣١٩، ٤٠٨.

محمد بن جرير بن رستم الطبري: ٢٣.	٥٦٠، ٥٦٢، ٥٧٦، ٥٨٣، ٦٠٣، ٦٠٦.
محمد الحارثي، أبو عبد الله: ١٧.	٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١٥، ٦٢٢، ٦٢٨.
محمد بن حازم: ٢٣٨.	٦٣٣.
محمد بن حبيش: ٢٥٧.	محمد بن إبراهيم بن أبي مريم: ٣٢.
محمد بن الحجاج بن يوسف: ٥٤٧، ٥٦١، ٥٦٢.	٥٣٢.
محمد بن الحسن: ١٧٦.	محمد بن إبراهيم بن مصعب: ٥٧٢.
محمد بن الحسن (صاحب أبي حنيفة): ٥٣٩.	محمد بن إبراهيم بن نافع: ٥٥٢.
محمد بن الحسن الروندي: ٢٩٩.	محمد بن أحمد (ابن الحاجب): ٤٢٠، ٤٩٧.
محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني: ٥٣٩، ٢٦٥.	محمد بن أحمد الأصبهاني: ٤٠٧.
محمد بن رستم الكلاري: ٥٧٦.	محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني: ١٥، ٣٩، ٣٨، ٢١.
محمد بن الريان بن الصلت: ٥٤٣.	محمد بن أخيه: ٥٧٥.
محمد بن زبيدة: ٣٠٥.	محمد بن إسحاق بن إبراهيم (الفقيه): ٩، ٤٢، ٤٢٩، ٤٧٥.
محمد بن زياد المذحجي: ٥٤٧، ٥٦١، ٥٦٢.	محمد بن إسحاق المكنث، (أبو جعفر): ٤٧٦.
محمد بن زيد العلوي: ١١١، ٥٦٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨.	محمد بن إسماعيل الرازي: ٥٤٤.
محمد بن السائب الكلبي: ٢٥٥.	محمد بن الأشعث الكندي: ٢٠٦، ٥٧٠.
محمد بن مسلمة البصري: (ابن العلاف): ١٦٧.	محمد الأمين (خليفة): ٢٩٧، ٣٠١، ٣١١، ٣٣٨، ٤٩٦.
محمد بن سليمان الهاشمي: ٥٥، ٢٥١، ٢٥٧.	محمد بن أوس: ٣٢٩، ٣٣٠.
محمد بن سيرين: ٢٠٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥.	محمد بن أيوب بن خريس البجلي الرازي: ٩، ١٠.
محمد بن شرحبيل بن حسنة: ٢٢٧.	محمد بن بشار: ٤٦٢، ٤٧٨، ٤٨٠.
	محمد بن البعث: ٥٨١.
	محمد بن أبي بكر (رحمه الله): ٢٥٢.

- محمد بن شهریار الرویانی : ۵۷۶ .
 محمد بن صالح بن علی الهاشمی ، أبو الحسن : ۱۶ .
 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية : ۱۳۴ .
 محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : ۲۷۹ ، ۲۸۴ ، ۳۰۳ .
 محمد بن عبد الله بن طاهر : ۲۸۹ ، ۲۹۷ ، ۳۲۷ ، ۵۷۶ .
 محمد بن عبد الله بن عمرو العتبی : ۳۵۸ .
 محمد بن عبد الملك الزياری : ۳۰۳ ، ۳۹۲ .
 أبو محمد العبدی الهمدانی : ۴۲۵ ، ۵۳۵ .
 محمد بن عطاء الشانی : ۲۹۵ .
 محمد بن علي بن عبد الله : ۲۹۶ ، ۳۱۵ .
 محمد بن علي بن عبد الله بن العباس : ۶۰۴ ، ۶۰۵ .
 محمد بن عمران : ۲۵۷ .
 محمد بن عمرو الرومي : ۵۵۹ .
 محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة بن عدس : ۲۰۱ ، ۲۰۲ ، ۲۰۷ ، ۲۵۶ .
 محمد بن عيسى الجعفري : ۸۲ .
 محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن سليمان المروزي : ۲۸ ، ۲۹ ، ۴۵۱ .
 محمد بن عيسى بن محمد أبو صالح المروزي : ۲۹ .
 محمد بن أبي عينة : ۱۶۹ ، ۲۳۳ .
 محمد بن عينة بن المهلب : ۲۱۰ ، ۲۱۶ ، ۴۴۹ ، ۵۲۹ .
 محمد بن الفضل بن محمد بن سنان : ۵۵۶ .
 محمد بن فضيل : ۲۳ .
 محمد بن القاسم الثقفي : ۲۶۵ .
 محمد بن القاسم بن يحيى : ۴۴۰ .
 محمد بن محمود بن أحمد الطوسي : ۴۱ .
 محمد بن المختار : ۳۰۳ .
 محمد بن مرزوق الهاشمي ، أبو عبد الله : ۶۰۱ .
 محمد بن مروان بن الحكم : ۱۷۶ ، ۵۸۹ .
 محمد بن مسلمة الفهري : ۲۹۱ .
 محمد بن المفضل السكوني : ۲۵۶ .
 محمد بن المهلب : ۲۴۵ .
 أبو محمد المهلي : ۱۶ .
 محمد بن موسى بن حفص بن عمرو بن العلاء : ۵۷۱ ، ۵۷۵ .
 محمد بن موسى الخوارزمي : ۶۰ .
 محمد بن موسى بن الفرات ، أبو جعفر : ۲۹۲ ، ۲۹۳ .
 محمد بن موسى بن الوزير : ۵۲۹ .
 محمد بن ميسرة : ۵۵۷ .
 محمد بن نصر : ۳۲۵ .
 محمد بن هارون : ۵۷۷ .

المري: ٢٦٦.	محمد بن هارون الأصبهاني: ٥٥٩.
مريم (والدة المسيح): ٨٧، ١٤٥، ١٤٦، ١٥١.	محمد بن هارون بن زياد، أبو علي: ٢٥، ٤٢٤.
أبو مريم السلولي: ٢٢٣، ٢٤٣.	محمد بن يحيى الأزدي: ٢٥.
مزاحم بن بسطام: ٦١٥.	محمد بن يحيى بن خالد: ٢٩٧.
مزدق: ٥٠٥.	محمد بن يحيى بن أبي عباد، أبو جعفر: ٤٦٤.
المستعين: ٣٢٧.	محمد بن يزيد: ٣٢٤.
مسروق: ٢٠٨.	محمد بن يزيد بن مزيد: ٥٩٠.
مسعدة بن صدقة العبدي: ٢٦٢.	المختار بن عبيد: ٢١٩، ٢٢١، ٢٤٦.
مسعر بن المهلهل (أو مسعود)، أبو دلف: ٣١، ٤٤، ٥٥، ٩٣.	مخرم بن حزن الحارثي: ٣١٤.
مسلم بن أبي بكرة: ٢٣٢.	مخرم بن يزيد بن مخرم بن شريح بن
أبو مسلم الخراساني: ٢٣٧، ٢٩٨، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٧، ٥٧٢.	مخرم بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة: ٣٠٧.
مسلم بن عقيل: ٢١٩.	مخطي: ٢٣٩.
مسلمة بن عبد الملك: ١٩٠، ٢٣٥، ٢٤٩، ٤٥٧.	مخلد الموصلي: ١٠٠.
المسور: ٣٩٥.	مداين: ٦٠١، ٦٣٩.
مُسَيْلَمَةُ الكَذَّاب: ٢٤٧.	مدین: ٦٠١، ٦٣٩.
المشتري بن الأسود: ١٢٠.	مرداس الخارجي: ٢٤٤.
مصر بن أينم بن حام بن نوح: ١١٥.	مر بن عمرو الموصلي الطائي: ٥٨٢.
مصطفى جواد: ٣٨.	مرزوق أبو الخصيب: ٢١٨، ٢٤٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٤.
مصعب بن الزبير: ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٤.	أبو مرة: ٢٧١.
٢٢٥، ٢٣٤، ٢٤٦.	مرة بن أبي مرة العجلي: ٢٣٤، ٤٩٦.
مصقلة بن رقة العبدي: ٢٥٦.	مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: ١٦٠، ٢٩٧، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٥٧، ٤٤٢، ٥٧١، ٥٨١، ٥٨٩، ٥٩٠.
مصقلة بن هبيرة بن شبل: ٢٠٧، ٢٥٩، ٥٧٠.	

المصمغان: ٥٥٤ ، ٥٥٠ .

مضرس الأسدي: ٤٥٠ .

مطر بن خليفة: ٢٣ .

مطيع: ٢٣٤ .

مطيع بن إياس: ٣٦٣ .

المظفر: ٣١٩ .

معاذ الترمذي: ٦١٥ .

معاوية بن أبي سفيان: ٨٠ ، ٧٧ ، ٥٧ .

١٠٥ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٤ .

١٨١ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

٢٤٣ ، ٢٦٢ ، ٣٠٤ ، ٣٣٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ .

٤٨٨ ، ٥٢٧ ، ٥٧٠ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٦٣٣ .

معاوية بن عمرو، أبو عبيد الله: ٣٠٥ .

٣٠٦ .

المعتز بالله: ٣٩٢ ، ٣٦٨ ، ١٦٧ .

المعتزلي: ٤٥ .

المعتصم بالله: ١١٠ ، ١٥٣ ، ١٦٢ .

٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٦٠ .

٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٥١٤ .

٥٣٩ ، ٥٥٧ ، ٥٧٢ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ .

المعتضد: ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٢ ، ١١١ .

٤٨٥ ، ٥١٤ ، ٥٣٩ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

أبو المعذل بن غيلان: ٢٥٤ .

أبو معشر: ٣٧٧ .

معقل بن قيس الرياحي: ٢٤٤ .

معقل بن يسار المزني: ٢٣٢ .

المعالي بن هلال الكوفي: ٥٩٤ .

معن بن زائدة: ٢١٥ .

المغيرة بن سعيد: ٢٢١ .

المغيرة بن سليمان: ٣٩٥ .

المغيرة بن شعبة: ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ .

٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٤٥٩ ، ٥٥٧ .

٥٨١ ، ٥٩٠ .

المغيرة بن عطية: ٢٥٧ .

المغيرة بن أبي قرّة: ٢٥٧ .

المفضل: ٢٥٥ .

مقاتل بن حسان بن ثعلبة: ٢١٧ .

مقاتل بن حكيم العكي: ٣٠٠ .

مقاتل بن سليمان: ٧٤ ، ١٤٥ ، ٢٧١ .

٥٩٤ .

مقاتل بن صالح: ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

ابن مقبل: ٢٥٦ .

المقتدر بالله: ١٦ ، ١٧ ، ٥٥ .

المقدسي البشاري: ٢١ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

المقوقس: ١١٧ .

المكتفي: ٤٩٩ ، ٥٣٩ .

مكحول بن حارية: ٣٦٣ .

مكحول الشامي: ٩٤ ، ٢٦٦ ، ٥٨٢ .

مكرم بن معزاة الحارث: ٤٠٠ .

مكين الخادم: ٣٠٦ .

ابن ملجم: ٢٥٢ .

ملك بن مغول: ٥٤٠ .

أبو المليح: ١٠٥ ، ٦٣٩ .

مليكة: ٨١ .

٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٧١ ، ٦٣٩ .	أبو منبه : ٢٦٠ .
المهدي بن زيد بن محمد : ٥٧٨ ، ٥٨٠ .	المنتصر : ٣٦٥ .
المهدي بن المصمغان : ٥٥٠ .	منجاب بن راشد الضبي : ٢٣٢ ، ٢٣٤ .
أبو مهران : ١٥٨ .	منجشان : ٢٤٨ .
مهران : ٤٠١ .	ابن المنذر : ٣٩٥ .
مهرويه : ٥٧٥ .	المنذر بن امرئ القيس (هو ابن ماء السماء) : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٤٦٦ .
مهرويه باغبان : ٣١٩ .	المنذر بن الجارود : ٢٤٠ ، ٢٥٣ .
مهرويه الرازي : ٣١٥ .	المنذر بن الزبير : ٢٤٣ .
المهلب : ١٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ .	منشوء : (ولد الشيطان) : ٢٧٠ .
الموبذ : ٢٦٧ .	منصور بن باذان : ٥٣٥ .
مؤرق : ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٣٠٤ .	أبو منصور الخنق : ٢٢١ .
موزخير اليهودي : ٢٤١ .	منصور بن زياد : ٢٥٧ .
موسى (عليه السلام) : ٨٦ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ٢١٢ ، ٣٣٢ ، ٤٤٢ ، ٤٩٤ ، ٥٠٧ ، ٥٣١ ، ٥٨٤ ، ٥٩١ ، ٦١٢ .	منصور بن المهدي : ٣٠٣ ، ٣٠٩ .
موسى (أبو نعيم) : ٣٠٠ .	منصور بن نوح الساماني : ٣٣ .
أبو موسى الأشعري : ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ .	منو جهر : ٦٠٢ .
١٧٦ ، ٢٢٩ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ .	منيرة (مولاة محمد) : ٣١٥ .
موسى بن بغا : ٥٣٩ .	المنيقط الناشي : ٣١٩ .
موسى بن جعفر : ٤٣٧ ، ٥٧٥ .	مهاجر بن يزيد : ٥٦٧ .
موسى بن حفص الطبري : ٥٥٢ ، ٥٧٥ .	المهدي (النبي المنتظر) : ٢٣ ، ٤٤ ، ٢٠١ ، ٢٣٦ ، ٥٣١ .
موسى بن عبد الحميد النسائي : ٢٧٧ .	المهدي (الخليفة) : ٧٧ ، ١٣٣ ، ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢٣١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٤٣٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ .
موسى بن عقبة : ١٨٦ .	
موسى بن عيسى : ١٢٩ ، ١٧٦ ، ٣٠٣ .	
موسى بن كعب : ٣٠١ ، ٣٠٢ .	

ابن التديم: ٩، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٨، ٣٧، ٣٨، ٤٠.
 أبو نصر: ٤٢٧.
 نصر بن أحمد الساماني: ١٥.
 نصر بن سيار الليثي: ٣٣٥، ٣٣٦.
 نصر بن عبد الله: ٢٩٩.
 نصر بن مالك الخزاعي: ٣٠٦، ٣٠٩.
 نصر بن محمد: ٢٧٠.
 نصير (مولى المهدي): ٣٠٩.
 النصيرة بنت الضيزن: ١٧٨.
 النعمان بن امرئ القيس: ٢١٢، ٢١٣، ٢١٩.
 أبو النعمان الأنطاكي: ١٦٢.
 النعمان بن الشقيقة: ٢٤٨.
 النعمان بن عدي بن نقلة: ٢٤٣.
 النعمان بن مقرن: ٢٠٧، ٢٥٨.
 النعمان بن المنذر: ٧٦، ٩١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣٦٣، ٤٢١.
 نعيم بن حماد: ٢٣.
 نعيم بن عبد الله: ١٨٦.
 نفيس: ٤٠٤.
 نفيع بن مسروح: ٢٤٢.
 نمرود: ٤١١.
 نهر بن عمرو: ١٦٩.
 أبو النواس = الحسن بن هانئ. (أ: حرف الحاء).
 نوبخت نصر: ٢٩٠، ٣٠٣، ٣٣٨.

موسى بن نصير: ١٣٤، ١٣٩، ١٤١.
 موسى بن يحيى: ٥٧٥.
 موشايل: ٥٩٠.
 الموفق: ٣٠٥، ٤٦٤، ٥٣٩.
 ميسان: ٢٧٠.
 أبو ميسرة: ٢٠٨.
 ميسرة التغلبي: ٥٣٨.
 ميسرة العائذي: ٥٥٨.
 ميشويه: ٢٩٤.
 ميمون (أبو بشر بن ميمون): ٢١٩، ٣١٥، ٣٣٧.
 ميمون بن مهران: ١٠٥.
 ميمونة (مولاة الرسول محمد ﷺ): ١٤٧، ٣٠٩.

باب النون

ناجية (من بني جهينة): ٥٢٥.
 ناشر ينعم (ملك): ١٣٨، ٦٢٢.
 الناصر لدين الله: ٣١٠، ٤١١.
 نافع: ٢٣١.
 نافع بن الحارث بن كلدة: ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٤٢، ٤٣٧.
 نباط: ٢٧١.
 نبهان: ٤٦٨، ٥٠١.
 النجاشي الحارثي: ٢٧، ٢٢٠، ٢٥٦، ٢٥٨.
 أبو النجم العجلي: ٢٥٦، ٢٩٨، ٤٤٩.

نوح (عليه السلام): ١٨٨ ، ١٥٤ ، ٨٩ ، ٢٢٣ ، ٣٣١ ، ٣٦٧ ، ٣٧٧ ، ٤٥٩ ، ٥٢٧ .
 نوح بن أسد: ٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ .
 نوح بن فرقد: ٣٠١ .
 نيزك طرخان: ٦١٨ .
 نيشان (نيسان): ٦٠١ ، ٦٣٩ .

باب الهاء

هاجر (أم إسماعيل): ١١٦ ، ١١٧ .
 الهادي (موسى الخليفة): ٥٧ ، ١٣٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٣٧ ، ٣٩٣ ، ٥٥٩ .
 هاروت: ٣٧٨ .
 هارون (عليه السلام): ١٨٨ .
 هارون (عامل عمر): ٤٤٣ .
 هارون الخارجي الشاري: ١١١ .
 هارون الرشيد: ٥٧ ، ١٠٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ٢٠٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٤٩٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٥ ، ٥٥٠ ، ٥٥٩ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٨١ ، ٦٣٩ .
 هارون بن ياسين: ٢٥٧ .
 هاشم بن عبد مناف (عمرو): ٧٥ .
 هامان: ٥٥٥ .
 هاني بن بشير: ٣٠٠ .

هاني بن هاني: ٥٧٥ .
 هنبقة القيسي: ٢٤٥ .
 هبيرة بن يريم: ٢٨ .
 هدد بن بدد: ١٨٥ .
 الهذيل بن بلال: ٣٥٧ .
 هرثمة بن أعين: ١٦٣ .
 هرثمة بن عرفة البارقي: ١٧٧ .
 الهرمزان: ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
 هرمس: ٦٢ ، ٣١٩ .
 ابن هرمة: ٣٣٧ .
 أبو هريرة: ١٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٤٤٢ ، ٥٦٠ ، ٦٣٣ .
 هزان: ٨٦ .
 هشام بن العاص: ١٨٦ .
 هشام بن عبد الملك: ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٥٢٩ ، ٦٣٤ .
 هشام بن محمد بن لهراسب بن السائب الكلبي: ٢٧ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٧ ، ٥٨٣ ، ٥٩١ ، ٦٠١ ، ٦٣٩ .
 أبو هلال الأسدي: ٤٩٢ .
 هلال بن عتاب: ٢٠٤ .
 هلال بن الكيس الحميري: ٢٥٥ .
 أبو همام: ١٠٢ .

همذان بن الفلوج بن سام بن نوح : ٤٥٩ .

هند الأفاكة : ٢٢١ .

هند (أم عمرو) : ٢١٧ .

هود (عليه السلام) : ٧٤ .

هوز : ٥٥٤ .

هوشم : ١٨٥ .

أبو الهيثاج الأسدي : ٢٠٠ .

الهيثم بن شعبة بن ظفير : ٢٩٩ .

الهيثم بن عدي : ١٨٢ ، ٢١٤ ، ٢٥٥ ،

٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٥٣٠ .

الهيثم بن عيسى : ٣٦٣ .

الهيثم بن مسلم : ٢٥٧ .

الهيثم بن معاوية : ٢٩٥ .

أبو الهيجا اليمامي : ٥٩١ .

هيطل بن عالج بن سام بن نوح : ٤٦٠ .

هيلانة : ١٨٠ ، ٣٠٨ .

هيما : ٢٧١ .

هيماء : ٢٧١ .

باب الواو

أبو وائل : ٤٠٢ .

الوائق بالله : ٢٠ ، ٢١ ، ٣١٦ ، ٣٦٨ ،

٣٦٩ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ .

الواسطي : ٤٢ .

واضح (مولى المنصور) : ١٣٣ .

واقد : ٥٨١ .

الواقدي : ١٦٢ ، ٢٣٢ ، ٤٠٥ .

ويرة بن رومانس : ٣٦٣ .

أبو وجزة : ٨٣ .

الوجناء بن الرواد الأزدي : ٥٨١ ، ٥٨٢ .

وردان بن سنان : ٣٠٨ .

أبو الوزير الكاتب : ٣٩٣ .

الوضاح بن عطاء : ٢٦٢ ، ٢٧٩ .

أبو الوفاء الهمذاني : ٤٧٤ .

وكيع : ١٠٢ .

الوليد البغدادي : ٣٦٠ .

الوليد بن عبد الملك : ٧٧ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ٢٦٠ ، ٤١٧ .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط ابن أبي عمر

ابن أمية : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

الوليد بن مسلم الدمشقي : ١٩٣ .

الوليد بن مطعب : ٨٦ .

وهب الذماري : ١٤٣ .

وهب بن شاذان الهمذاني : ٤٧٢ ، ٤٧٧ .

وهب بن عمرو بن كعب بن الحارث

الحارثي ، أبو البخري : ٨٠ ، ٢٦٢ ،

٤٠٤ .

وهب المعافري : ١٢٨ .

وهب بن منبه : ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ١٤٧ ،

١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٧١ ، ٥٩٤ .

باب الياء

يأجوج : ٢٠ ، ٥٩ ، ٦١ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ،

١٥٥ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧ ، ٥٩٩ .

- يافث بن نوح : ٦٤٠ .
 ياقوت الحموي : ٥ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٠ ،
 ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ .
 يحيى (عليه السلام) : ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٥٨ ، ٣٠٩ .
 يحيى بن أكثم : ١٥٦ .
 يحيى بن حديش : ٥٤٠ .
 يحيى بن الحسين : ٢٩٠ .
 يحيى بن خالد البرمكي : ١٨٣ ، ٣٠٥ ،
 ٣٠٦ ، ٣٩٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤٥ .
 يحيى بن ذارية السواق : ٣٠٩ .
 يحيى بن دلجة : ٣٠١ .
 يحيى بن زياد بن عبد الرحمن : ٢٥٧ .
 يحيى بن زيد : ٢٥٣ .
 يحيى بن سليمان : ٢٥٧ .
 يحيى بن عمر : ٢١٩ .
 يحيى بن كثير : ١٤٨ .
 يحيى بن محفوظ : ١٢٨ .
 يحيى بن معاذ : ٤٤٦ ، ٥٧٥ .
 يحيى بن مهدي بن كلال : ٢٦٠ .
 يحيى بن الموفق : ٢٦٢ .
 يزدجرد بن مهديان الكسروي : ١٦ ، ١٧ ،
 ٢١٣ ، ٢٤٨ ، ٢٩١ ، ٣١٧ ، ٣٣٩ ، ٥٣٠ ،
 ٥٧٩ .
 يزيد بن الأسلت : ٢٤٩ .
 يزيد بن أسيد السلمي : ٥٨٩ ، ٥٩٠ .
 يزيد بن الحكم : ٢٥٦ .
 أم يزيد الخولانية : ١١٨ .
 ابن يزيد الرقي : ٣٢٥ .
 يزيد بن رويم الشيباني : ٢٠٧ .
 يزيد بن أبي زياد : ٢٣ .
 يزيد بن سمعان : ١٥٨ .
 يزيد بن سويد : ٥٧٤ .
 أبو يزيد الشروي : ٤٥٣ .
 يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلي :
 ٨٢ .
 أبو يزيد بن أبي عتاب : ٥٧٦ .
 يزيد بن عمر الفارسي : ٣٨٠ .
 يزيد بن عمر بن هبيرة : ٢١١ ، ٢١٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،
 ٣٩١ .
 يزيد بن فضيل : ٢٣ .
 يزيد بن قيس بن يزيد ابن الصعو الكلابي :
 ٢٤٣ .
 يزيد بن مزيد الشيباني : ٥٩٠ .
 يزيد بن معاوية : ٢٤٧ ، ٤٠٧ .
 يزيد بن المهلب : ٢٥٦ ، ٥٧٠ .
 يزيد بن هارون الواسطي : ٢٤ ، ٩٤ ،
 ٣٦٢ .
 يزيد بن الوليد : ٤١٧ .
 يسار : ٥٨٠ .
 يعقوب (عليه السلام) : ٢٤ ، ١٤٦ ،
 ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٦٠٩ ، ٦٢٠ .
 يعقوب بن إسحاق (ابن السكيت) : ٣٦٢ .

يوسف بن عمرو بن محمد بن الحكم بن

عقيل الشقي: ٢١٦، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٩،

٣٩١، ٥٢٩.

يوسف بن القاسم: ٢٥٧.

يوسف بن محمد بن يوسف المروزي:

٥٩٠.

يونان بن يافث: ٥٨٣.

يونس بن حبيب: ٢٣٠، ٢٣١.

يونس الصيدلاني: ٣٢٠.

يونس بن متى: ٢١١.

يونس بن مروة: ٢٥٧.

يعقوب بن داود: ٣٠٧.

يعقوب بن أبي الربيع: ٣٠٣.

يعقوب بن سليمان: ٢٩٢.

يعقوب بن المهدي: ٣٠٣.

اليقوبي: ١٩.

يُظَنُّ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن

سام بن نوح: ٩١.

اليقظان بن ظهير: ٢٢٤.

يُوبَّ بن زَرَح: ١٨٥.

يوحنا اللاهوتي: ٢٢.

يوسف (عليه السلام): ٨٦، ١٠٥، ١١٦،

١٢٣، ١٢٧، ١٥٢، ٥٩١.



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

٤ - فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

باب الهمزة

أبتين : ١٧٦ .	أبّا (نهر) : ٢٢٧ .
أثريب : ١٢٦ ، ٦٢٩ ، ٦٤٨ .	آباد (أسد) : ٤٤٧ .
أجّا (جبل) : ١٤٣ .	البارز : ٤١٤ .
آجام البريد : ٣٤١ ، ٣٩٠ .	أبجرد (دار) : ٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٤١١ .
أجباد (سفع) : ٧٦ .	ابرايين : ٦١٢ .
أحد : ٧٥ .	ابرشتيجان : ٥٣٢ .
أغرون : ٦٣٨ .	ابرق الروحان : ٩٠ .
أخطانيه : ٢٩٢ .	ابرقباد : ٣٨٣ ، ٤٠٦ .
أدبار : ٣٩٣ .	ابرقيان : ٢٢٩ .
أدينجين : ٦٢١ .	ابرقوية : ٤١٠ ، ٤١١ .
أذربيجان : ٨ ، ١٧٢ ، ٢٠٢ ، ٢٨٢ ،	ابرويز : ٣٩١ .
٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ،	ابزر : ٤٠٩ .
٤١٩ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٥ ،	الابلة : ٥٥ ، ١٣٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ،
٥٤٠ ، ٥٥٨ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ،	٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٨٣ ، ٤١٢ ، ٤٨٦ ،
٦٠٣ .	٥٤٠ ، ٥٤٦ .
أذرجوى : ٥١٠ .	أبهر : ٥٤٣ ، ٥٥٧ .
أذنة : ١٦٥ .	أبيورد : ٣١٤ ، ٥٧٧ .
أراك : ٢٠٢ .	
آرام (فدان) : ١٤٨ .	

الرها (كنيسة): ١٥٧ .	أرزان: ٦٠٥ .
أرواند (جبل): ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ،	أربيل: ٣٨٢ .
٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ .	أربونة: ١٣٤ .
أرفى: ٦٢ .	ارتوى: ٤١٩ .
أريان: ٦٠٢ ، ٦٠٣ .	أزجان: ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ،
أزاري: ٥٣٨ .	٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٨ ، ٥٤٧ .
الأزد: ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٣١٥ .	أردبيل: ٤١٧ .
أزرميدخت: ٤٧٧ .	أردستان: ٥٣١ .
ازرنارد: ٤٩٥ .	أردشير بهمن: ٣٨٣ ، ٣٩٧ ، ٤٠٤ .
أزنة: ٥١٧ .	أردشير خرة: ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ،
أسار: ٤١٠ .	٤٤٠ ، ٤١٩ .
أسيرة: ٦٢٦ .	الأردن: ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،
اسيجاب: ٥٢٤ ، ٦٢٦ .	١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧٦ .
اسيشان: ٦٠٠ .	أرزن: ١٧٩ ، ١٨٠ .
استاراجاد: ٤٠٦ .	أرغير: ٤٩٥ .
الاستان: ٣٨٣ .	الأرقم (جبل): ٨٦ .
الاستان العالي: ٤٠٧ .	أرم: ٢٧٧ ، ٤٥١ .
الاستان بهقباد: ٣٨٤ .	آرم خاست: ٥٦٥ .
استان شاذ بهمن: ٣٨٣ .	أرمان: ٢٧٧ .
استان شاذ فيروز: ٣٨٧ .	أرمشت: ١٢٦ .
استان روتق ماسيان: ٣٨٤ .	أرفية: ٥٨٢ .
استان الكاليا: ٣٨٣ .	أرمينية: ٨ ، ٣٣ ، ٦٢ ، ١٧٢ ، ٢٨١ ،
استونيا: ٣٦ .	٢٨٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٦٤ ، ٣٨٨ ،
اسداباد: ٤٩٥ .	٤٠٥ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٣٢ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ ،
أسد (سوق): ٢١١ ، ٢١٥ .	٥٤٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ،
إسرائيل: ٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ٣٣٣ ،	٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٦ ، ٦٠٣ .
٤٩٤ ، ٤٥٥ .	الآرة: ٨٩ .

٥٢٥ ، ٤٣٣	اسروشنه : ٦٤٩ ، ٦٣٢
أفشين : ٦٤٩	أسعد : ٩٤
أفنة : ٦٣٢	اسقزار : ٦٢٩
أم سلمه (صحراء) : ٢١٩	اسقنداباد : ٤٩٥
آمد : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٤٠٦	اسقنقان : ٥٥٧
آمل : ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٦ ، ٦٠٢ ، ٦١٥	اسقوتيا : ٦٢
٦٣٢ ، ٦٢١	اسكاف السفلى والعليا : ٤١٨ ، ٣٩٠
أموية : ٦١٩	اسنى : ١٢٧
أنارمرج : ٤٩٥	أسوان : ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٧
أنانجر : ٤٩٥	آسيا الوسطى : ٢٦ ، ٥
اتياجن : ٥٣٤	أسيوط : ١٢٦ ، ١٢٧
انبية : ١٢٦	استشاب : ٦٠٠
اندرابة : ٦١٥	اشمونين : ١٢٧
الأندلس : ٦٣ ، ١٢٦ ، ١٩٠ ، ٣٣٠	إصاد : ٨٨
٥٢٥	إصبهان : ٥٥ ، ٦١ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٣١٢
أنطاكية : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥	٣٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥
١٧١ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ٣١٠	٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٤٨
انطرطوس : ١٦١	٤٥٩ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٩٥ ، ٥١٥ ، ٥٢٥
انصنا : ١٢٧	٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤
انوشروان : ١٨٩	٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨
أهناس : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٣٣١	اصبهيد : ٥٤٩ ، ٥٦٦
الأمواز : ٨ ، ١٤ ، ٥٥ ، ١١٠ ، ١٢٧	اصطخر : ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٤١١
١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤ ، ٢٨٦ ، ٣١٦	٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٤
٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥	اصفهان : ٤٧٦ ، ٤٨٤
٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١	اطباس : ٦٢٧
٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٢٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦	أطرابلس : ٦٣ ، ١٥٦ ، ١٩٠ ، ٣٣٠
٤٨٩ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٦٢٣	افريقية : ٦١ ، ١٩٠ ، ٣٣٥ ، ٣٩٤ ، ٤٣٢

أوراس: ١٣٣.

أوربا: ٣٥.

أورس: ٤٣٢.

أوش: ٦٢٧.

أونيغا: ٣٤.

إياد (دار): ١٨٢، ٣٨٩، ٤٥٨.

إيذج: ٣٩٥.

إيران: ٣٣٠، ٤٠٧، ٦٤٨.

إيرانشهر: ٦١٥، ٣٣٣.

إيرج: ٤١٠.

إيزرج: ١٣٣.

الإيفارين: ٥٢٩.

إيكة: ٥٩٧.

إيليا: ٩٤.

بارود: ٢٨١.

باروسيا: ٣٤١.

بازرميدخت: ٥٣٤.

بارنجان: ٤١٠.

باردا: ٦٣٠.

باعذار: ١٧٩.

باعذبيا (الموصل): ١٨٢.

باكسايا: ٣٤١، ٤١٨، ٥٨٧.

بانقيا: ٢٠٢.

باورد: ٤١٧.

باورنقوس: ٦١٦.

البير: ٥٥٧.

بشنة: ١٥٦.

بتيل: ٨٦.

البجة: ١٢٨، ١٣٠، ٥٦٢.

البحرين: ٧، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٥.

١١٦، ٢٨٦.

بخارا: ٣٤.

البداة: ٤٠٧، ٣٨٤.

البندون: ٣٣٨.

البدئي: ٨٩.

البدية: ٤٥١.

بلخشان: ٦١٥.

البرامكة: ٦١٧.

براذا: ٢٠، ٩٤، ٣٠٠، ٣٠٤.

براوان: ٦٤٩.

برير: ٦٢، ١٠٦، ٢٠٥، ٣٨٨، ٤٣٧.

باب الباء

بابك (نهر): ٢٩٤، ٣٣٧، ٣٧٥.

بابل: ٦١، ١٢٥، ٢٤٨، ٢٧٠، ٣١٩.

٣٢١، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٧٨، ٤٨٠.

٤٨٢، ٦٠٥، ٦١٢، ٦١٥.

بادرايا: ٣٤١، ٣٨٧، ٤١٨.

بادرويا: ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٢٠.

٣٨٤.

بادغبس: ٦١٣، ٦١٥، ٦٤٩.

بادقلي: ٤٨٥.

باذليت صالح: ٤٨٩.

بارما: ٢٨١.

٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨١ ،
 ١٨٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٢ ، ٣٨٨ ، ٤٠٦ ، ٤٥٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ،
 ٥١٥ ، ٥٤٦ ، ٥٥٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٧ ، ٥٩٢ ،
 البصرة: ٢٥١ ،
 بط (نهر): ٤٠١ ،
 البطائح: ٣٦٥ ، ٤٨٢ ،
 بطريق: ٦٠٥ ،
 البطيخة: ٣٣١ ،
 بطيخ: ٤٠١ ،
 بعلبك: ١٦٦ ،
 بغي: ٢٩٧ ،
 بغداد (مدينة السلام): ٨ ، ١٤ ، ١٥ ،
 ١٧ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٧٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
 ١٧٩ ، ٢١٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،
 ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
 ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٤٧٦ ، ٦٣٦ ،
 برجان: ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٦ ،
 برخوار: ٥٣١ ،
 البردان: ١٦٥ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٥٣١ ،
 بردخت: ٢١٨ ،
 برذعة: ٤٧٦ ، ٥٤٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٤ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ،
 برزاري: ٥٣ ،
 برزبنده: ٦٤٨ ،
 برزة: ٤٩٦ ،
 برزند: ٤٨٢ ،
 البرط: ٤٣٣ ،
 البرطاس: ٣٦ ،
 برقة: ٩٠ ، ١١٥ ، ١٣٢ ،
 بركري: ٥٨٢ ،
 برمقان: ٦٢٥ ،
 بريشقان: ٤٦٠ ،
 بربة العرب عمان: ٤٠٥ ،
 بزاري (شارع): ٣٠٩ ،
 بزندی: ١٨٢ ،
 بزرجسابور: ٣٨٧ ،
 بزورند: ٥٤٨ ،
 بزوغن: ٣١١ ،
 بسكوف: ٦ ، ٣٥ ،
 بشار (نهر): ٢٣٤ ،
 بشرج: ٥٠٩ ،
 البصرة: ٨ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ،

بهران: ٤١٠.	٣٥٥، ٣٥٣، ٣٥٢، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٦
بهرور: ٦٠٣.	٣٧٢، ٣٧٠، ٣٦٤، ٣٦٠، ٣٥٨، ٣٥٦
البهزاة: ٥٣٨.	٤٨٤، ٤٨٢، ٤٨١، ٤٧٣، ٤٠٨، ٣٧٥
بهرزويد: ٥٣٧.	٥١٦، ٥١٥، ٤٩٩، ٤٩٥، ٤٩٣، ٤٩٢
البهلبند: ٤٢٣.	٥٢٥
بهمن: ٤٠٦.	بغدان: ٢٧٨.
بهندف: ٣٩٠.	بغدير يا: ٣٢٧.
بورن: ٤٨٦، ٤٧٤، ٤٠٩، ٤٠٨.	بغلان فرغانة: ٦١٥.
بورانجير: ٥٣٧.	بكر: ٢٤٥، ١٧٠.
بوصير: ١٢٧، ١٢٦.	بكه: ٧٤.
بوق (نهر): ٢٨٤، ٢٧٩.	بلخ (نهر): ٦١، ١٣٣، ١٤٥، ٢٧٦.
بوير: ٧٦.	٣٣٤، ٤٠٥، ٤١٨، ٤٧٤، ٤٨٥، ٤٨٦.
بيسان: ١٦٥.	٥٤٨، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦١٥، ٦٢٠.
اليضاء (دار): ٤٤٣، ٢٣٤.	٦٣٠، ٦٢١.
بيكند: ٦٢١.	بلغار: ٤٦.
البيلقان: ٥٩٢، ٥٩٠، ٥٨٤، ٥٨٢.	بلكار: ٣٦.
٦١١.	بلنجر: ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٨، ٥٩٠.
بين: ٢٧٩.	بليناس: ٥٠٤، ٤٩٧، ٤٩٦، ٤٢٢.
بيهيق: ٢٤.	٥٩١.
بيوراسف: ٥٥.	بنداسفجان: ٥٦٨.
	بنداد هرمز (جبال): ٥٦٩.
باب القاء	بندرهمان: ٤١٠.
تاران: ٤٨٨.	البندنيجين: ٥٤٧، ٤٢٢، ٤١٨.
تارس: ٥٩٣.	بندا: ١٣٦.
تاهرت: ١٣٣، ١٣٢.	بنمون: ١٣٦.
تامرا: ٢٨٣.	بنها: ١٢٣.
التبت: ٦١٥، ٣٣٢، ٧١.	بهرام: ٤٠٣.

التبر: ٥٢٣ .	٦٠٣ ، ٦٢١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٧ .
التبن (باب): ٣١٤ .	التوتة: ٢٩٣ .
تينان: ٥٠١ .	توزين: ١٦١ .
تبير: ٧٦ .	توما: ١٥٧ .
تيز: ٣٣١ .	تومان: ٤٢٢ .
التيه (صحراء): ١٢٤ .	تيرى (نهر): ٣٩٧ .
تدمر: ١٦١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٤٣٣ .	تير مردان: ٤١٠ .
التشرك (تركيا): ٢٧ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ١٨٣ ، ٢٧٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٣١ ، ٤٨٤ ، ٦٠٣ .	تيساء: ٨٣ .
٦٢١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٧ .	التيعة: ٤٠٧ ، ٥٣١ .
الترايبية: ٢٩٢ .	تبومة: ٦٧ .

باب الثاء

تركستان: ٢٦ ، ٣٢ .	الثرائ (نهر): ١٧٧ ، ١٨١ .
الثرمد: ٥٢٤ ، ٦٠٢ ، ٦١٩ ، ٦٣٠ ، ٦٤٨ .	الثرملية: ٨٩ .
تُستر: ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٣٨٤ ، ٤٧٤ .	الثعلبية: ٤٣٤ .
تسترشاذ (شازروان): ٣٩٧ .	ثقف: ٤٣٨ .
تعيًا: ٣٩٠ .	الثلاثاء (سوق): ٣٠٥ .
التغرغر: ٦٢٧ ، ٦٣٢ ، ٦٣٨ .	ثمود: ٢٣٨ ، ٢٧٧ .
تكييت: ٦٢٤ .	ثهد: ٩٠ .

باب الجيم

تكريت: ٣٣١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ .	الجاب: ٩٠ .
تكنة: ١٣٠ .	جابر وان: ٥٨٢ .
تمريقى: ٤٣٣ .	الجابية: ١٥٧ .
تميم: ٩٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٤٥ ، ٤٠٧ ، ٤٥٢ ، ٥٦٠ .	جاذر: ٣٨٣ ، ٣٨٧ .
تنيز: ١٨٠ .	الجالوت (رأس): ٣٧٨ .
تنيس: ٣٩٤ .	جاليقوس: ٦١٦ .
تهامة: ٧ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٣٤١ ، ٣٨٤ .	جانان: ٤٢٣ .

جرب: ٣٩.	جاوان: ٦٣١.
جريس: ٦٤٥.	جبرين (بيت): ١٥٩، ١٥٦، ١٥٣.
الجر: ٤٠٨.	جيفون: ٦٤٩.
جزائر (البحر الأخضر): ٣٧.	الجبل: ٨، ٢٥٧، ٢٨١، ٣١٧، ٣٩٢.
جزيرة ابن كماوان: ٦٧.	٥٤١، ٥١٧.
الجزائر: ٥٧٦، ٧٢.	جبل: ١٦١.
الجزيرة (جزيرة العرب): ٧، ٩٣، ١١٦.	التيه: ٤٠٧.
١٦٧، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ٢٨١.	جبل: ١٥٦.
٣١١، ٣٣٠، ٣٣٦، ٤٨٢، ٦٠٤، ٦٣٣.	جدة: ٧٨.
جش أني: ٥٥٦.	جديس: ٨٦.
الجص (قصر): ٣٧٣.	جذام: ١٦٨.
جعفر الكردي: ٣٧٣.	جزي: ٥٣٢.
الجعفري: ٣١٦، ٣٦٧.	جراح: ٥٨٩.
جلجل: ٩٠، ٢٠٩.	جرجان: ٢٦، ٣٠، ٦١، ٦٣، ١١١.
جلولاء: ١٣٢، ٣٨٧.	٢٠٢، ٢٢٢، ٢٣٧، ٤١٧، ٤١٨، ٥٣١.
الجليل (جبل): ١٥٤.	٥٤٠، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٩، ٥٦٥، ٥٦٦.
جم: ٤٠٦.	٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٤.
الجمد: ٩٠.	٦٢٨.
الجمة (هراة): ١٦٦، ٦٠٢.	جرجايا: ٤١٨، ٢٨١.
جنابا: ٤١٨، ٤٠٦.	جرجير: ١٣٢.
جناياد: ٣٣١.	الجرمان: ٥٨٩، ٥٨٤.
الجنالك: ٣٦.	جرزان: ٥٨٤، ٥٨٣.
جنبل: ٣٤١.	جرش: ١٦٥، ١٧٢.
جنحان: ٤١٠.	جرمان (بحر): ٥٩٢، ٥٩٣.
جنديسابور: ٣٩٥، ٣٩٧، ٤١٧، ٤١٨.	جرمانية: ٤٣١.
٤٨٥، ٤٨٦، ٥١٥، ٥٤٧.	جرهم: ٨٦.
الجنيذ: ٤١٠.	جرو: ٤١٨.

جیلان: ۱۹۹، ۵۵۸، ۵۶۵، ۵۶۶، ۵۸۲.

جیحون (نهر بلخ): ۵۲، ۱۱۶، ۶۱۹.

باب الحاء

حبتون: ۱۷۹.

حبرون: ۱۶۲.

الحبش: ۶۴۹.

الحبشة: ۶۲، ۷۵، ۱۱۸، ۱۲۰، ۱۲۸،

۱۳۲، ۳۳۱، ۳۳۲، ۳۸۸، ۴۳۰، ۴۳۳،

۵۲۴، ۶۳۹.

الحبة: ۳۸۴، ۳۸۵.

حبة: ۱۶۱.

الحجاز: ۷، ۵۹، ۸۴، ۸۶، ۹۲، ۱۰۳،

۱۲۸، ۱۵۴، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۸۱،

۲۰۴، ۲۶۱، ۲۷۵، ۲۸۱، ۲۸۶، ۳۳۴،

۴۹۲، ۵۱۴، ۶۱۲.

حجر: ۱۸۰.

حد: ۴۱۶.

الحدادين (جبل): ۵۵۰، ۵۵۲.

الحديثة: ۱۷۹، ۱۸۰، ۳۳۱.

جراء: ۷۶.

الحراث: ۹۰.

الحرام (المسجد): ۱۵۷.

حران: ۱۷۹، ۱۸۲، ۴۵۷، ۴۵۸.

حربى: ۳۹۰.

حرجوا: ۶۲۷.

الحرم: ۷۵.

الجنية: ۸۳.

جهرم: ۴۱۰.

جهينه (مرج): ۱۷۹.

جو: ۸۸.

الجواء: ۸۸.

الجوائار: ۸۹.

الجواذر: ۳۸۳.

جوالق: ۴۱۷.

جوانق: ۵۳۳.

الجواندال: ۴۱۰.

جوبر (نهر): ۳۸۵.

جوخى: ۳۹۲، ۴۱۹.

جوزمة: ۴۹۶.

جور: ۴۰۶، ۴۰۸، ۴۱۰، ۴۱۸.

جورنكين: ۶۴۹.

الجوزجان: ۶۱۳، ۶۱۵، ۶۳۰، ۶۴۹.

الجوسق (قصر): ۳۶۸، ۳۷۳.

الجوف الشرقي والغربي: ۱۲۶.

الجومة: ۱۶۱.

جويم: ۴۱۰.

جوين: ۶۱۱.

جى: ۵۳۰، ۵۳۱، ۵۳۵.

جي (شق): ۴۰۷.

جيان: ۱۳۸.

جييجان (نهر): ۱۲۰، ۱۴۶، ۱۶۵.

جيرفت: ۴۱۴، ۴۱۶.

الجيل: ۵۵۸.

الحيرة: ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٦، ٢١٨،
٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٠،
٤٠٧، ٤١٨، ٤٥٢.
حيقور: ٩٠.
حيوس: ٦٤٣.

باب الخاء

الخابور (نهر): ١٨٠.
خاخ: ١٨٠، ١٨١، ٣٦٤.
خاجستان: ٦٢٧.
الخاضعين: ٣٨٨.
خاقان: ٦٢٧، ٦٣٥، ٦٣٧.
الخاقاني (مصر): ٣٧٣.
خالد (سويقه): ٣٠٦.
خان بني زياد: ٣٠٧.
خان ولدان بن سني: ٣٠٨.
خانقو: ٦٨.
خير: ٤١٠.
خبزة: ٥٨٢.
خييص: ٤١٤.
الختل: ٦١٥.
الختلان: ٦٣٠.
خجندة: ٦٢١، ٦٢٢، ٦٣٢.
الخر: ٣٥٦.
خراب (مدينة): ٤٥٢.
خراسان: ٩، ٢٧، ٣٠، ٦٢، ٧٢،
١٠٩، ١١٠، ١٢٧، ١٤٣، ١٦٢، ١٦٣.

حرماس: ٤٧٤.
حز حيز: ٦٣٤.
الحزلمية: ٦٢٦.
حزمية: ٦٢٦.
الحزون: ٨٩.
حزوين: ٤٤٥.
حزة: ١٧٩، ٤١٠.
حساء: ١٣٢.
حسنون: ١٣٦.
حصيد: ٢٠٢.
حضر موت: ٩٣، ٩٥، ١٧٦، ٣٧٨.
الحضر: ١٧٧، ١٧٨، ١٨١.
حلب: ١٦١، ١٧١.
حليوان (جبل): ٢٠٢، ٣٧٧، ٣٨١،
٣٨٢، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٠٧،
٤١٨، ٤١٩، ٤٩١، ٤٩٥، ٥٢٥، ٥٤٧،
٥٩١، ٦١٤.
حمص: ٨١، ١٥٥، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢،
١٨٠.
حفيـر: ١٢٦، ١٤٠، ١٦٤، ٢١٢،
٥٩١.
الحناية: ١٧٩.
الحوجر: ٨٩.
حوران: ١٥٦.
الحوش: ٩٥.
الحولة: ١٥٦.
حيان رودان: ٣٨١.

خست: ٦١٥، ٦٣٤.	١٧٩، ١٩٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٥٧.
خش: ٦١٥.	٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧.
الخشن: ٤١٠.	٣١٠، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧.
خضرة: ٤٩٠.	٣٣٨، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٩١، ٤١٥.
الخضراء: ٤٤٢.	٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٣٤، ٤٣٦، ٥١٧.
الخضارم: ٨٨.	٥٢٤، ٥٢٥، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٨، ٥٣٩.
خطرائية (بابل): ٣٨٥.	٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٧، ٥٥٩.
خلم: ٦١٥، ٦٣٠.	٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٧.
خللاط: ٥٩١.	٥٧٨، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦١١.
خماريجان السفلى والعليا: ٤١٠.	٦١٢، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠.
خنان: ٥٨٩.	٦٢٢، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٢.
الخطق (نهر): ٣١١.	٦٣٥، ٦٤٨.
خوي: ٥٨٢.	الخزج: ٩٠.
الخوار: ٥٤٧، ٥٤٨.	الخزز: ١٩٩.
الخوار (وادي): ٥٤٩.	خرقان: ٤٩٥.
خوارزم: ٣٠، ٤٧٦، ٥٠٤، ٥٢٤.	خزة: ٣٩١، ٦٣٠.
٥٢٨، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٧٧، ٦١٣، ٦١٥.	الخرليج: ٦٣٤.
٦٣٠.	الخرية: ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٣٨.
الخواروستان: ٤٠٩، ٤١٨.	خزايان نبشت: ٥٠١.
خورست (شاپور): ٤١٨.	خخير: ٨٣، ١٦٧، ٣١١، ٥١٥.
خوزستان: ٣٩٥، ٣٩٧.	الخيزران: ٧٢.
الخوز: ١٣، ٥٥، ١٦٣، ١٦٤، ٢٣٩.	الخز: ٥٥، ٥٩، ٦٢، ٨٢، ١٠٨.
٢٤٠، ٢٧٠، ٢٧١، ٣٨٢.	٣٣٠، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٤، ٥٨٤، ٥٦٤.
الخورنق: ٣٩٥، ٣٩٧.	٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠.
الخونج: ٥٢٨.	٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٢.
خخير: ٨٣، ١٦٧، ٣١١، ٥١٥.	٦٣٣، ٦٣٩، ٦٤٧.
خيزبان: ٥٨٩.	الخززان: ٥٨٤.

الخيزران: ٧٢.

باب الدال

دارا: ١٨٢، ١٧٩.

الدارات: ٩٠.

دارين: ٨٩.

داسن: ١٧٧، ١٧٩.

دامغان: ٦١١.

داني: ٦٤٦.

الداور: ٦٤٩.

داور (حوض): ٣٩.

دبوس: ٤، ٦.

ديبل: ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٩، ٥٩٠.

الدثينه: ٨٤.

دجلة: ٥٤، ٨٤، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٦.

١٧٧، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٢٨.

٢٣٣، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٧٦، ٢٨١.

٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠٦.

٣١١، ٣١٢، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣١.

٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٥٦، ٣٦٤.

٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٧.

٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٣.

٤٠٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٦٤، ٤٧٤، ٤٨٦.

٥١٤، ٦١٦، ٦٣٣.

دجيل (نهر): ٢٩٩، ٣٥٦، ٣٦٦، ٣٩٧.

٤٧٤.

درب مهروية: ٣١٥.

الدرخوند: ٤١٠.

در: ٥٣٣.

دردور: ٦٧، ٥٨٥.

الدرذقية: ٥٨٤.

الدروند: ٥٩٧، ٥٩٨.

الدوقرة: ٢٦٣، ٢٦٥.

دسئي: ٤١٨، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٩.

دست بارني: ٤١٠.

دستميسان: ٢٢٩، ٢٧١، ٣٨٣، ٣٩٠.

٣٩٢، ٥١٤.

اللسكرة: ٣٨٧، ٤٤٦.

الدفينة: ٨٤.

الدكر: ٦٤٥.

دلاص: ١٢٦، ١٢٧.

دماوند (جبل): ١٢.

دمشق: ٧، ١٤، ٩٤، ١٤٣، ١٥٤.

١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٧٠.

١٧١، ١٩٣، ٢٠٢، ٣٩٤، ٤٧٤، ٥٢٥.

٥٩٠، ٥٩١.

دُمقله: ١٢٧، ١٣٠.

دمندان: ٤١٤.

دمياط (قصر): ٣٣٠.

دنباوند (جبل): ٥٥، ٣٣٣، ٥٣٧.

٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٧٠.

٥٧١.

دنية: ٥٣٣.

دهستان: ٥٦٥.

باب الرء

- راذان : ٣٨٣ .
 الراذائين : ٣٨٧ .
 الرازي : ٥٥٦ .
 الراشت : ٦٢٠ .
 الرافقة : ١٧٦ ، ١٨٢ .
 الرام : ٨٦ .
 الرامجان : ٤١٠ .
 رام هرمز : ٤١١ .
 رامهرمز : ٢٠٢ ، ٤١٦ .
 رامين : ١٧٩ .
 الرباط : ٤١٤ .
 الربذة : ٢٢٢ .
 الربض : ١٧٨ .
 ربعون : ١٣٦ .
 الربون : ٣٧ .
 ربيعة (دار) : ٨٦ ، ١٦٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ .
 الرجراجة : ٨٩ .
 رحابة : ٣٤٣ .
 رحي : ٣٠٣ ، ٣٢٦ .
 رحي عبد الملك : ٣٩ .
 الرحبة : ١٨٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٣٠٢ .
 رحبة يعقوب : ٣٠٧ .
 الرخبج : ٤١٦ ، ٦٤٩ .

الدهناء : ٢٣٠ .

الدورانية : ٥٨٩ .

الدورق : ٤٠٩ .

دومة : ٢٠١ .

الديبل : ٣٣١ ، ٣٣٤ .

الديبل المولتان : ٦٣ .

دير ماسرجيس : ٢٦٣ .

الديلم : ١٩٩ ، ٤٠٤ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٥٢٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٦٢٦ .

دينارزاد : ٢٣٤ .

دينارزبنده : ٢٣٤ .

الدينرر : ٢٠٢ ، ٤٩٥ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٣٩ .

الديوار : ٦٣٢ .

الديوان : ٦٢١ .

باب الذال

الذرائب : ٨٩ .

الذريق : ٤٧٤ .

ذمار : ١٤٣ .

الذنين : ٣٨٧ .

ذو الطروية : ٨٣ .

ذو الضراء : ٨٣ .

ذو النار : ٨٩ .

روزستاق: ٣٨٦، ٣٨٤.
 الروس: ٥٥.
 روسيا: ٣٦، ٣٥.
 الروم: ٣٣، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٥، ١٢٦،
 ١٣٤، ١٣٥، ١٤٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩،
 ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٦،
 ١٨٣، ١٨٦، ١٨٩، ٢٧٥، ٢٨٣، ٣١٤،
 ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٩٢، ٤٠٤، ٤٣٦،
 ٥١٤، ٦٠٩، ٦١٠.
 رومية: ١٦٥، ٦٤.
 روزياد: ٥٧٦.
 الرويان: ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٧٦،
 ٥٧٧.
 روي: ٥٣٧، ٥٤٦.
 الرويحان: ٤٠٩.
 رويشان: ٦٤٩.
 الري: ٥٥، ٢٩٠، ٣٢١، ٣٢٥، ٤١٧،
 ٤١٨، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٨٥، ٤٩٥،
 ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٤،
 ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥٦، ٥٦٧،
 ٥٦٨، ٥٧١، ٦٠٠، ٦٢٨.
 الري (سوق): ٣٠٥.
 ريامياروس: ٦١.
 ريشهر: ٤١٠.
 ريوسادان: ٦١٩.

باب الزاي

الزاب: ١٣٢، ١٤٤، ١٨٠، ٣١٢.

رخسابور: ٢٧٤.
 رستانبك: ٦١٥.
 رستاق: ٢٩٤.
 رستاق الأشر: ٤٩٩.
 رستاق الاسفنديهان: ٥٠٠.
 الرساتيق: ٣٨٣.
 رستان: ٣٦٥.
 الرصاف: ٤٦٧.
 الرصافة: ١٨٠، ٢١٨، ٢٧٩، ٢٩٠،
 ٢٩٦، ٣٠٥.
 رفع: ١١٥.
 رفيل (نهر): ٢٣٤.
 الرقة: ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ٢١١، ٢٨١،
 ٣١٥، ٤٣٤.
 الرمل: ٨٦.
 الرملية (واقعة): ٨٩، ١٥٢، ١٦٥،
 ١٧١.
 رندك: ١٦١.
 الرها (باب): ٥٣.
 الرها (كنيسة): ١٠٩، ١٥٧، ١٨٢.
 رخمس: ٧٢.
 الرهيمية: ١٦، ٢٢٥.
 الرقاببي: ١٨٢.
 رواند: ١٧٦.
 روزباد: ٥٣١.
 روزان: ٤١٠.
 روزداور: ٣٣٧، ٤١٧، ٥٤٧، ٥٨٥.

الزندروذ: ٢٩١.	٣٦٥، ٣٦٤.
الزهراء: ٥٣١.	زابلستان: ٦٤٨، ٦٢٩، ٥٦١.
زهرة: ٨١.	الزابوقة: ٢٢٩.
الزهيرية: ٣١٤.	الزابي: ٥٦٢.
الزوابي: ٣٤٧، ٣٤١.	الزادة: ٨٩.
الزوراء: ٢٨٧، ٢٨١، ٢٧٩.	زاغي: ١٣٣.
زيتا: ٧٦.	زالق: ٤١٥.
زيدان (قصر): ٩٢.	زام: ٦٢٩، ٦١٥، ٦١١.
زير: ١٣٩.	زامين: ٦٧٧، ٦٢٥.
زينة: ٨٥.	زبندى: ٥٣٧.
زينوا باد: ٤٦٠.	زرارة: ٢١٧.
باب السين	زربة (عين): ١٦٣.
ساناط: ٦٢٧، ٣٨٩، ٢٨١.	زر جسابور: ٣٨١.
ساير خاست: ٥٨٢.	زون روذ: ٥٣٣.
سابور: ٤١٠، ٤٠٧، ٣٩٠، ٢٢٥.	زرنج: ٤١٦، ١٩٩.
٤١٢، ٤١٧، ٤١٩، ٤٤٧، ٤٨٥، ٥٤٧.	زرنروذ: ٤٨٦.
السابور: ١٧٨، ٨٩.	زروذ: ١٣٢.
سابور خواست: ٥٤٧.	الزط: ٣٧٥.
السايريه: ٤١٢.	زعفران: ٦٣٠.
ساروق: ٦٢٤، ٤٦٢.	زغوان: ١٣٢.
سارية: ٥٦٩، ٥٦٦، ٥٦٥.	زنبيل: ٦٤٩.
ساسان: ٥٤٣، ٣٣٣.	الزنج: ١٦٧، ٧٢، ٦٨، ٦٦، ٦٥، ٣٨٨، ٣١١.
سام: ٣٦٧.	زنجان: ٨، ٥٥، ٣٢١، ٤١٨، ٥٧٦.
سامران: ٩٣.	٥٤٣، ٥٤٧، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٨٢، ٥٩٢.
السامرة: ١٦٥.	زندخسرة: ١٦٤.
الساوردية: ٥٨٩.	زندروذ: ٢٦٣.
ساوة: ٥٤٣، ٥٣٢، ٤٩٥.	

سمرقند: ٣١٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١،
٣٣٨، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٢،
٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٥٩، ٥١٤.
سُر من رأى: ٨، ٢٥، ٥٥، ١٧٣،
٥٩٧.

سوندب: ٦١، ٦٥، ٧٢، ٣٣٢.
سُرّة: ١٩٩.

سروسنة: ٦٢٧، ٦٣٩.

سريان: ٤٨٦.

السريان: ٥٤٥.

سعيد أباذ: ٥٦٥.

السعد: ٦٠٣، ٦١٥، ٦٣٢.

السعد أخشيد: ٦٤٩.

سُغدييل: ٥٨٤.

سغار: ٨٩.

السقائين (درب): ٢٩٩.

السقي: ١٦١.

السقيا: ٨٥.

الشكثير: ١٨٠.

السلام: ٢٧٨.

السلام (نهر): ٣٦٦.

السلام (مدينة): ٨، ٢١٨، ٢٧٨، ٣٠٢،

٣١٠، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٠،

٣٣٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣،

٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٤،

٣٥٥، ٣٩٤، ٥٥١، ٥٧٧.

السلام (وادي): ٢٧٨.

سبام: ١٣٦.

سبنة: ١٣٢.

السبخة: ٢٣٨.

سبسطية: ١٥٣.

سبيطة: ١٣٢.

سبلان: ٥٠٥، ٥٠٦.

سبنيز: ١٥٦.

سجاران: ٥٣٢.

سجستان: ١١٨، ١٩٩، ٢٦١، ٤١٦،

٤١٧، ٤٨٢، ٥١٦، ٥٢٥، ٥٤٨، ٦٤٥،

٦٤٩.

سحاران: ٤١٨.

سحر: ١٥٤.

السّد: ٢٠، ٢١، ٤٢، ٤٦٢، ٥٨٥،

٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨،

سّد اللبن: ٥٨٤.

السّدانة: ٦١٧، ٦١٨.

السدير: ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٥.

سرايط: ٢٦٣.

سراجة: ٥٣٢.

السراة (جبل): ٨٤، ٩٠.

سرج: ١٨٠.

سرخس: ٦١٣، ٦١٥.

سردروز: ٤٩٥.

سُرَق: ٣٩٥.

سرقانية: ٢٩٢.

سرك: ٦٢٤.

٢٨٣ ، ٤١٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٦١٨ .	سلسل : ٢٨٣ ، ٣٨٧ .
سنديايا : ٥٨٢ .	السلسلة (جبال) : ٣٦٤ .
السهلة : ٨٩ .	سلقانرود : ٥٥٧ .
سهيلا : ٤٣٤ .	سلمى (جبل) : ١٤٣ .
سوى : ٢٠٢ .	سلمة : ١٣٢ .
السواد : ٨ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،	سلمية : ١٣٢ .
٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،	السماءة : ١٧٦ .
٣٥٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ ، ٤٨٢ ، ٥١٤ ،	السمائي (قصر) : ٣٧٣ .
٦١٠ ، ٦١٢ .	سميجان : ٦١٥ .
السودان : ٦٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٣ ،	سمر : ٣٩٠ ، ٤١٨ .
١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٩٩ ، ٤٣٠ ، ٦٠٩ ،	سمرقند : ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٤١٧ ،
السدانة : ٦١٨ .	٤١٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٠٣ ، ٥١٢ ، ٥٢٤ ،
السوار : ٣٨٥ ، ٣٧٧ ، ٣٤٧ .	٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٧٧ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ،
السوار (دير) : ٢١٧ .	٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ،
الشوارية : ٢١٧ .	٦٢٧ ، ٦٣٩ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ .
سوران : ١٢٦ .	سمرقند : ٦٥٢ .
سوار (نهر) : ٢٧٦ .	سمسمي (باب) : ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩ .
سوراء : ٣٨٤ ، ٣٩٥ ، ٤٨٥ .	سمندر : ٥٨٤ ، ٥٩٣ .
السوران : ٤١٠ .	سمياط : ١٠٨ ، ١٧٦ ، ٢١١ .
سوزمستان : ٢٠١ .	سمين رود : ٤٩٥ .
سوزا : ٤٠٧ .	السرى : ١٧٩ ، ٣٣١ .
سوسا : ٣٢١ .	سينجار : ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ٣١٢ .
السوس : ٣٣٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ،	سنجة (نهر) : ٢١١ ، ٥١٧ .
٤١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٨٥ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥٤٧ ،	سنجة : ١٥٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٤٧٠ ،
السوس الأدنى : ١٣٥ ، ١٣٦ .	٥٣٢ .
السوس الأقصى : ٦٣ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،	السند : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ١١٧ ،
١٣٦ ، ١٩٠ ، ٤٧٤ .	١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ،

سوميلاد جرد: ٥٣٠.

سونايا: ١٧٣.

السياء مصر: ٤١٠.

السيان: ٣٨٦.

سيجاباد: ٤٦٠.

السيجان: ٥٨٤، ٥٨٣.

سيحان: ٢٥١، ١٦٥، ١٤٦، ١٢٠.

٣٦٥.

سيح العمر: ٨٦.

سيح نعمان: ٨٦.

سيري: ٤٢٠.

سيراف: ٦٦، ١٥٥، ٣٣١، ٣٩٣.

٣٩٤، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٨٤.

السيرجان: ٤١٦، ٤١٤، ٤١٣.

السيروان: ٥٣٨.

سيسير: ٥٨٩، ٤٩٦، ٤٩٥.

سيسين: ٥٥٦.

السيالحين: ٣٨٤.

سينيز: ٤١٢، ٤٠٩، ٣٣١.

باب الشين

شابران (باب): ٥٨٩، ٥٨٦، ٥٨٤.

شابور: ٤١١، ٤٠٧، ٤٠٤، ٣٨٣.

شادفيروزان: ٣٨٨.

شادقباد: ٤٠٧.

شاذروان: ٣٦٦، ٣٦٥.

الشاذياخ: ٤٤٥، ٤٤٢.

شارشارة: ٦٤٩.

الشاش: ٣٠، ٣٣٥، ٥٢٤، ٦١٥.

٦٢١، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٢، ٦٣٥.

٦٣٧، ٦٤١، ٦٤٣.

شاعا: ١٨٠.

الشاقية: ٨٠.

شالها: ٣٨٩.

شالوس: ٥٧٦، ٥٦٨، ٥٦٥.

الشام: ٧، ٣٣، ٣٤، ٥٩، ٦١، ٨٠.

٨١، ٨٣، ١١٠، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٣.

١٤٤، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٥.

١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٦، ١٨١.

١٨٣، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٢، ٢٠٣.

٢٠٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥.

٢٣٩، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧٢.

٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦.

٢٨٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٥٧.

٣٩١، ٣٩٣، ٤٣٦، ٥٩٠، ٥٩١، ٦٠٤.

٦٠٥، ٦٠٩.

الشاهجان: ٤١٠، ٦١٢.

شاور: ٢٨٧.

شيام: ٩٨.

شيواز: ٤٢.

شبديز: ٨، ٥٥، ٢١٢، ٢٨٦.

الشبعان: ٨٩.

الشجن: ٤٤٩.

الشخر: ١٣٠، ٣٣١.

الشرارة: ١٥٦ .	٤١٨ ، ٤٧٤ .
شرارة العليا: ٤٩٥ .	شهر قباد: ٤٠٥ .
شرارة الميانج: ٤٩٥ .	شهيل: ٦٠ .
شرز: ٥٦٦ ، ٥٦٥ .	شواج: ٨٨ .
الشرك: ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٥٣ ، ٣٦٢ .	الشور: ٥٥٤ ، ٥٦٣ .
شروسنة: ٦١٥ ، ٦٠٠ .	شومطان (قصر): ٩٢ .
شروان: ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ .	الشيدار (قصر): ٣٦٨ .
شروين (جبال): ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ .	شيراز: ١٦٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٨ .
شغر: ٨٥ .	شيردهان: ٥٨٥ .
شگران (جبل): ١٧٩ .	شيرياميان: ٦٤٩ .
شق: ٥١٠ .	الشيز: ٥٠٤ ، ٥٨٢ .
شكى (أبواب): ٥٨٤ .	شيرويه: ٣٠٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ .
شلتير (جبل): ١٣٨ .	شيرين (قصر): ٤١٩ ، ٤٤٧ .
شلاهط: ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٢ .	شيطان (نهر): ٢٣٤ .
شلتية: ٥٦٥ .	
الشماسية (باب): ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ .	باب الصاد
الشمس (مدينة): ٤١٥ .	صاحب السرير: ٥٨٦ ، ٥٩٩ .
شمساط: ٨٢ ، ٥٩١ .	صالح الضادية: ٥٨٩ .
الشمانية: ١٨٠ .	الصالحية: ٣٠٨ .
شمشلى (قلعة): ٥٨٤ .	صامغان: ٦٢٧ .
شمساط: ١٨٢ .	الصباعتين (دار): ١٥٢ .
شنقان: ٦٣٠ .	صبل العرج: ٥٩١ .
شهرباد: ٣٨٩ .	الصدفة: ١٦٨ .
شهربراز: ١٨٦ .	الصراة (نهر): ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ .
شهرزور: ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٣١٢ ، ٤٠٧ ، ٣٦٥ .	٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣٢٦ ، ٣٤١ ، ٣٥٦ .

الصين: ٧، ١٤، ٥٥، ٥٩، ٦١، ٦٣،
٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ١٠٨، ١٤٩،
١٨٣، ١٩٩، ٢٦٢، ٢٧٨، ٢٨٣، ٣٣٠،
٣٣١، ٣٨٨، ٤٢٩، ٤٣٦، ٥٢٥، ٥٨٨،
٥٩٢، ٦١٦، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣،
٦٢٥، ٦٢٧، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٣٩.

باب الضاد

الضرغام: ٦١٩.
ضرغند: ٩٠.
ضرية: ٨٤.
صفار اليمن: ١٥٩.
صفرجيل: ١٣٢.

باب الطاء

الطائف: ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٩٠.
طابان: ١٨٠.
طابيران: ٦١٥.
طابق (نهر): ٦٩٤.
طاسان: ٢٢٧.
طارونان (باب): ٥٨٦.
الطاق (باب): ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥.
الطاق (نهر): ١٠٩، ٢٩٧، ٥٧٣، ٥٧٥.
الطالقان: ٥٦٤، ٥٦٨، ٦١٥، ٦٢٩.
طباتوي: ٦٠٠.
طبرستان: ٨، ١٥، ٢٠، ٤٦، ٥٥، ٦٣،
١١١، ١٣٩، ٢٠٢، ٣٣٧، ٣٨٨، ٤١٧،
٤٩٥، ٥١٦، ٥٣١، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٦.

الصراطين (نهر): ٢١١.

صرصر (نهر): ٢١١.

صرواح: ٩٣.

الصريمة: ٨٨.

الصغانيان: ٥٢٤، ٦١٥، ٦١٨، ٦٢٠.

٦٢٤، ٦٣١.

الصغد: ٦١، ٣٣٢، ٤٨٦، ٦٢٢، ٦٢٤.

٦٣٢.

صغدبيل: ٥٨٣.

صفر: ١٤١.

الصقالبة: ٥٥، ٦٢، ٣٣٠.

صقلية: ٣٥، ٤٦.

صقلية: ١٩٠، ٣٣٠، ٤٣٢.

صلاح: ٧٤.

صلصال: ٩٠.

الصلة (نهر): ٣٨٦.

صنجي: ٦٨، ٧٢.

صندرفولات: ٦٨، ٧٢.

صنعاء: ٧٢، ٨٦، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣.

٩٤، ٩٨، ٣٣٥، ٤٨٦، ٦٢٥.

الصنف (جبل): ٦٣، ٦٨.

صهيون (كنيسة): ١٩٤.

صور: ١٥٦، ١٦٥، ١٧١.

الصور: ١٨٠.

صول (باب): ٥٨٦.

الصيد (عين): ٢٢٥.

صيدا: ١٥٦، ١٧١.

طنج: ٦٢٩.	٥٥٢، ٥٥٥، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦١.
طنجة: ٦٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ٤٣٣.	٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣.
طواويس: ٦٢١.	٥٧٥، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٣.
الطوح: ١٢٥.	طبرسلان شاة (باب): ٥٨٦.
الطور: ١٢٦.	الطبيين: ٦٢٩.
طورسينا: ٧٥.	الطبيين: ٦١٥.
طوس: ٦١٥، ٦١٣، ٣٣٧، ٣١٥.	طبرية: ١٧١، ١٦٥.
طونيا: ٤٣١.	طبرية (بحيرة): ١٦٦، ١٦٧.
طيء: ٩٠، ١٤٣، ٢١٥، ٣٠٧.	طحا: ١٢٦.
طيابا: ٨٠.	طخارستان: ٣٣، ٣٨٨، ٤٠٥، ٦١٥.
الطياليس: ٢٩٣.	٦٢٠، ٦٢٩، ٦٣١.
طيبة: ٨٠.	طرايند: ٦١٥.
الطيرهان: ١٧٧، ١٧٩.	طراز: ٢٦، ٦٢٨.
طيرناباذ: ٢١٨، ٣٨٦.	طرازستان: ٤٢١.
الطيلسان: ٣٢٢، ٣٢٣، ٤١٧، ٥٤١.	طرخان: ٦٤٩.
٥٦٤، ٥٥٨.	طرسوس: ٦٣، ١٠٦، ١٦٢، ١٦٣.
الطين (قصر): ٣٠٦.	١٧٠، ١٩٠، ٣٣٠، ٣٣٨.
باب الظاء	طرطوس: ١٣٦، ١٣٨، ١٦١.
ظفار: ٩٢.	طرقله: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨.
باب العين	الطريح (بحيرة): ٥٨٩.
عاد: ٨٦، ٩٥، ٤٤٩.	طسم: ٨٦، ٨٧.
عانات: ١٨٠، ٢٧٦، ٣٨٨.	طسوج: ٣٦٥، ٣٨١.
عبادان: ٧٢، ٣٧٧، ٣٩٠.	طسوج خاتقين الشرقي: ٣٨٢.
عبلاء البياض: ٨٤.	طسوج فيروز قباد: ٣٨٢.
عبلاء الهمرد: ٨٤.	طسوجان: ٢٨٣.
عبيد: ٨٧.	طميس: ٥٦٥.
	طميش: ٥٦٦، ٥٧٠.

العلث : ٣٨١ ، ٣٩٠ .

علجشكش : ١٣٨ .

عمان : ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ،

٩٣ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ،

١٨٢ ، ٢٣٩ ، ٣٨٨ ، ٥١٥ ، ٥٩٢ .

العماليق : ٨٦ .

عمدان : ٩٣ .

عموراس (كور) : ١٥٣ .

عمورية : ١١٠ ، ١٩٠ ، ٣٧٥ .

عوير : ٦٧ .

العيس : ١١٢ .

عيسى (نهر) : ٣٣٢ .

العين (رأس) : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

عيون اطف : ١٦ .

عجم : ٨٨ .

باب الغين

الغاية : ٨٩ .

غاضرة : ٨٩ .

غانة : ١٢٣ ، ١٣٨ .

غرس بقيا (بشر) : ٨٤ .

الغز : ٣٦ ، ٦٣٤ .

الغزبة : ٢٧ .

غزّة : ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٧١ .

غسان : ٨٦ ، ٩٠ .

غمدان (قصر) : ٢١٢ .

غمرة : ٨٤ .

عبدن (طور) : ١٨٢ .

عجلان (دار) : ٢٣٤ .

عدن : ٦١ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١٥٩ .

عدوان : ٩٠ .

العدراء : ٨٠ .

العذيب : ٣٧٧ ، ٣٨١ .

العذير : ١٨٠ .

عربان : ١٨٠ .

العراق : ٦ ، ٣٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٧٨ ، ٨٦ ،

١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ ،

٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٨٨ ،

٣٩٢ ، ٤٠٨ ، ٤٣٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠ ،

٤٨٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٥٧٨ ، ٦٠٩ ، ٦٢٢ ،

العرجة : ٨٩ .

عوزم : ٢١٦ .

عوفات : ٧٨ .

العريش : ١١٥ .

عسقلان : ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٧١ ، ٣٣٠ .

العشيرة : ٩٣ .

العصير : ١١٧ .

العطارين (باب) : ١٣٨ .

عطروت : ١١٢ .

لعقيق : ٨٣ .

عكا : ١٦٥ .

غميرة: ١٣٣.

الغور: ١٥٦.

الغوطة: ١٨٦.

غيضة: ٣٩٦.

باب الفاء

فارس: ٨، ١٧، ٥٥، ٦١، ٦٤، ٦٥،

٩١، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٥،

١٦٦، ١٧٣، ١٧٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٣٣،

٤٠٦، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٦،

٤١٩، ٤٧٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٥، ٥١٦،

٥٢١، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦٣٨.

فار التنور: ١٥٤.

فاس: ١٣٣.

فاليكايا: ٣٥.

فافان (تل): ٣٦٤.

فدان: ١٤٨.

فدك: ٨٣.

الفـرات: ٨٤، ١٢٠، ١٤٦، ١٦٠،

١٦٣، ١٦١، ١٧٦، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠٣،

٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٦٧، ٢٧٦، ٣٣٤،

٣٨٦، ٦١٦.

الفراديس: ١٥٩.

فران: ٩١.

الفراهان: ٥٠٥.

الفردجان: ٥٠٥.

فرغانة: ١٠٩، ٣٣٥، ٤٢٢، ٥٢٤،

٦٢٥، ٦٤٩.

فرنجة: ٦١، ٦٢، ١٣٤، ٥٤٠.

فسا: ٧١، ٤١٨.

الفسطاط: ١٠٨، ١١٧، ١١٨، ١٢٥،

١٢٧.

فلجة: ٨٤.

فلسطين: ١٣٤، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٣،

١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥،

١٦٧، ١٧١.

الفولغا (نهر): ١٤.

فيح (وادي): ٢٦٨.

فيروزياب: ٥٨٣.

الفينية (القبائل): ٦١.

الفيوم: ١٢٦.

باب القاف

قابس: ١٣٢.

قادسية: ٣٧٧، ٤٠٢.

قاطبة: ١٢٤.

قبا: ٨٣، ٨٤، ١٥٧.

قباد خرة: ٤٠٧.

قباقب (نهر): ١٦٣.

القبط: ٩٣، ١٣٠.

القرى (وادي): ٦٣، ٨٣.

قران: ٨٤.

القرصاء: ٨٩.

قرطا: ١٢٦.

قيراط (صحراء): ٣٠١.

قيروة: ١٣٢.

القيس طحا: ١٢٧.

قيس: ٢٠٨، ١٧٠.

قيارية: ١٥٣.

القيروان: ١٣٢، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٢.

١٩٠.

باب الكاف

كابل: ٦١، ٣٨٨، ٦١٥، ٦١٧، ٦١٩.

٦٤٨، ٦٣٠.

كاريان: ٥٠٤.

كازرون: ٤٠٩.

كاسرة: ١٦١.

كاسكان: ٤١٠.

الكاسور: ٦٦.

كتيب: ٨٩.

كجو: ٥٦٨.

كدرنج: ٦٧.

كربلاء: ٢٢٤.

الكرخ: ٢٧٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦.

٣٣٢، ٣٠٤.

كردييل: ٥٨٥.

الكركدن: ٦٦.

كركرة: ٥٨٤.

كركوية: ٤١٦.

كرمان: ٨، ١٩٩، ٢٢٦، ٣٨٨، ٣٩٣.

قرطبة: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨.

قرقاسين: ٨.

قرّة (دير): ١٨٢.

قرميسين: ٥٥، ٤٢٢، ٤٢٩، ٥٩٥.

٦١٤.

قرش: ١٨٢، ٢٦٩، ٦١٧.

قروين: ٨، ٥٦، ١٧٣، ٢٦٧، ٣٢١.

٣٩٤، ٤١٧، ٤١٨، ٤٩٥، ٥٤٠، ٥٤٢.

٥٤٦، ٥٤٧، ٥٥٦، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٩.

قسطنطينية: ٦١، ٩٤، ١٢٥، ١٢٦.

١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٣٣٠، ٥٤٠.

قصر كوكبان: ٩٢.

قصر الملكة: ٩٢.

قطر بل: ٢٧٩، ٢٨٣، ٣٥٦، ٣٨٤.

٣٨٥، ٤٠٧، ٤٩٤، ٤٩٨.

القطقطانة: ١٦.

قطوطا (سويقة): ٣٠٤.

القُطيف: ٨٩.

قم: ٨، ٣٢، ٥٥، ٤١٧، ٥٣١، ٥٣٢.

قمار: ٧٢.

قمونية: ١٣٥.

قنسرين: ١٤٢، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤.

القنطرة: ٢٧٩، ٣٠٣، ٣٠٨.

قنوا: ١٣٦.

قهندر: ١٥٦.

قورنس: ١٦١.

القياصرة (كسرى): ٩٢.

٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،	٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٥١٠ ، ٥٢٥ ، ٥٣٣ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،	٦٢٨ .
٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،	كرمانشاه : ٥٣٩ .
٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،	كرمانية : ٦٢٤ .
٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،	الكريون : ١٢٥ .
٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ،	كسابة : ٦٤٦ .
٣١٠ ، ٣٢٩ ، ٣٦٣ ، ٣٧٩ ، ٣٩٤ ، ٥١٥ ،	كسرى : ١٨٦ .
٥٣٧ ، ٥٤٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٧٠ ، ٦٠٤ ،	كسكر : ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٣٦٥ ،
كول : ٦٢٦ .	٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،
كولم : ٦٩ .	٤٠٦ ، ٤١٨ ، ٥٣٠ .
كولان : ٦٢٦ .	كسير (جبل) : ٦٧ .
كولو ملي : ٦٧ .	الكلار : ٥٧٦ ، ٥٧٧ .
كيان : ٦٤٨ .	كلواذئ : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٠٧ ، ٣٦٤ ،
كيسان : ١٥٧ .	٣٦٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٤٠٦ ، ٤٨٥ .
كيفا (رأس) : ١٨٠ ، ١٨٢ .	كله بار : ٦٧ .
كيلا : ٦٤٨ .	كُمارى : ٥٩٣ .
كيمارج : ٤١٠ .	كناسة : ١٤٤ .
كيماك : ٢٦ ، ٢٢٨ ، ٦٣٥ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ،	كنام : ١٠٢ .
كير : ٤٠٩ .	كندة : ٢٠٦ ، ٥٨٢ .

باب اللام

اللاذقية : ١٦١ .	كنعان : ١٤٨ .
اللاجون (نهر) : ١٢٦ .	كوئى (نهر) : ٢١١ ، ٢٨٥ .
لايان : ١٤٨ .	كوزكان حلة : ٦٤٩ .
لبنان : ٧٦ ، ٨١ ، ١٥٤ ، ١٦٦ ، ١٧١ .	كوكبان (جبل) : ٩٦ .
اللجون : ١٦٥ .	الكوفة : ٨ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٢ ،
لُد : ١٥٢ ، ١٥٣ .	١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨١ ،
	١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
	٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

لُقمَان (سد): ٩٣.

لُبُخ: ٦٧.

لُنْكَبَالُو: ٧٢.

لُوبِيَّة: ٦٢.

لُوبِيَّا: ١٢٦.

لُؤْلُؤ: ٣٦٨.

باب الميم

مآب: ١٥٦.

مَاجِرَاجِر: ١٣٣.

مَاجُوج: ٥٩، ٦١، ١٢٥، ١٥٥، ٥٩٤.

٥٩٧، ٥٩٦.

المَازَحِين: ١٨٢.

المَازِيَار: ٣٧٥.

مَارِب: ٨٩.

مَارِبِين: ٥٣٢.

مَارِدِي: ١٨٢.

مَاسِيدَان: ٢٠٢، ٤٢٢، ٣١٥، ٥٤٧.

مَاشِك: ٥٩.

المَآلِحَة: ٨٩.

مَاهَان: ٤١٠.

مَاهِيْرُويَان: ١٦٤.

المُبَارَكَة: ٨٠.

مِهْرَانَا: ١٦١.

مِهْرُوكَة: ١٣٣.

المِتَوَكِّلِيَّة: ٣٦٨.

المَجَازَة: ٨٦.

المَخْرَم (شارع): ٣٠٨.

المَحْفُوفَة: ٨٠.

المَحْوَل (باب): ٢٩٤.

المَحْرَمَة: ٨٠.

المَحْمُودِيَّة: ٥٣٧.

المَحْمُورَة: ٣٧٥.

المَحِيط الْأَقْصَى: ٣٧.

المَخْتَار (قصر): ٣٦٧.

مَخْزُوم: ١٢٦.

المَدَائِن: ١٠٩، ٢٠٢، ٢٦٣، ٢٧٧.

٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٤١.

٣٤٥، ٥١٧، ٥٣٠، ٥٣٤، ٥٤٧.

مَدْرَكَة: ١٣٩.

المُتَقَيِّر: ١٨٢.

المَدِينَة: ٧، ٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨١، ١١٦.

١٤٤، ١٥١، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٦٠، ٩٤.

٣٠٢، ٥٢٤، ٦٠٤.

المَذَار: ٤١٠.

مِرَازِبَة: ١٦٥.

المِرَاغَة: ٥٨١، ٥٨٢.

مِرَاوَة: ١٢٣.

مَرَبِض: ١٥٥.

المَرَج: ١٧٩.

مَرْدِي: ١٨٢.

المَرزُوقَة: ٨٠.

مَرْمِيَة: ١٦١.

مَرْنَد: ٥٨١.

مرندة: ١٢٣ .	١٧١ ، ٣٣٠ ، ٥٩٤ .
مرة (نهر): ٢٣٤ .	مضر: ٩٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ .
مرو: ٢٦ ، ٢٩ ، ١٢٥ ، ٣٠٠ ، ٣٢٤ .	مضيعة: ١١٩ .
٣٣٢ ، ٤١٧ ، ٥٤٥ ، ٥٧٩ ، ٦٠٦ ، ٦١١ .	معدن الحسن: ٩٤ .
٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٧ ، ٦١٩ .	المغرب: ٧ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٢ .
مرو الشاهجان: ٦٠١ .	١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .
مرو الروذ: ٢٩٧ ، ٦٢٩ ، ٦٤٨ .	١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٩٣ ، ٢٨٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٢ .
مرو ماهوية: ٦٤٨ .	٣٣٥ ، ٤٠٤ ، ٥١٣ .
مرواح: ٩٣ .	المقازة: ٤٩٥ .
المريسية: ١٢٤ .	المفضل (درب): ٣٠٦ .
مزن: ٥٦٩ .	المقدس: ٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .
المسقدان: ٥٨٩ .	المقدس (مسجد بيت): ١٥٠ .
المسكينة: ٨٠ .	المقدسة (الأرض): ٨٠ .
المسلمة: ٨٠ .	مقدونية: ١١٥ .
المسناة (قصر): ٣٦٧ .	المقطم (جبل): ١١٧ .
المشقر: ٨٦ ، ٨٩ .	مقيادات: ١٣٦ .
مشهد الإيرانية (مدينة): ٤٣ .	مكحول: ٩٤ .
مصر: ٣٤ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨٦ ، ٨٨ .	مكران: ١٤٢ .
٩٣ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ .	مكن دارة: ٩٠ .
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٤ .	مكة: ٧ ، ١١ ، ٥٩ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ .
١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢٣٧ .	٨٦ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ .
٢٤٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .	٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ .
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ .	٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٧٣ ، ٤٤٩ ، ٥٩١ ، ٦٠٤ .
٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٧٥ ، ٣٩٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ .	٦٠٥ ، ٦١٧ .
٤٨٢ ، ٥٥٩ ، ٦٨٧ .	مُلثوم: ٩٣ .
مصر مسعود: ٩٣ ، ١٨١ .	ملطية: ٨٢ ، ١٦٣ ، ١٧١ .
المصيصة: ٦٣ ، ٨١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ .	ملسانة: ١٢٣ .

الملك (نهر): ٢١١، ٢٧٦، ٣١١، ٣٤١.

ملوذية (حصن): ١٦٣.

المليح: ٣٦٨.

المليدس: ١٢٦.

منبج: ١٦٤، ١٦٦، ١٨٠.

المنتنة (بحيرة): ١٦٧.

منصور (حصن): ١٦٣، ٣١٤، ٣٤٢.

منشك: ٥٩، ٥٩٣.

منف: ١١٦، ١٢٧.

منوف السفلى: ١٢٦.

منوف العليا: ١٢٦.

المهراج: ٧٣.

مهران: ٤٩٥.

مهسان: ٥٣١.

المهدي (نهر): ٣٨.

موسكو: ٣٦.

الموصل: ٨٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٦.

١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٢، ٢٨١، ٢٨٤.

٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٦٤.

٣٧٧، ٥٨٢.

الموفية: ٨٠.

مدقان: ٦٣، ٥٨٢.

المؤتفة: ٢٣٧، ٢٥٢.

الميدان (شارع): ٣٠٦، ٣٠٩.

الميرة: ٢٨٣.

ميسان: ٢٧٠، ٥١٤، ٥٣٦.

ميمونة: ٣٠٩.

ميندان: ٥٥١.

باب الفون

النار (جبل): ٦٨.

نابلس: ١٥٣.

الناعورة: ١٦١.

الناوس (درب): ٣٠٣.

النبط: ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٠٧، ٣٣٣.

٣٩٠، ٦١٢.

نجد: ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٥، ١٩٩، ٢٢٦.

نجران: ٨٦، ١٧٦.

النخل: ٣٥٦.

نسا: ٤٩٥، ٥١٧، ٦١٣، ٦١٥، ٦٢٩.

٦٤٨.

نسر: ٢٠٢.

نسف: ٦٤٨.

نشوى: ٥٨٣، ٥٩٠.

نصر (سويقة): ٣٠٦، ٣٠٩.

نصيبين: ٣١٢، ٣٣٤، ٤٧٤.

نعمان: ٤١٥.

النفاطين (شارع): ٣٠٧.

نمارة: ٤٥٨.

نهاوند: ٨، ٢٠٢، ٢٠٩، ٤٥٩، ٤٦٠.

٥٣٠، ٥٣٦.

النهران: ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٨٧، ٣٩٠.

٤٧٤.

الهند: ٧، ١٤، ٣٢، ٥٩، ٧٠، ٧١،
 ٧٣، ١٠٦، ١١١، ١٤٧، ١٨٣، ١٨٩،
 ١٩٩، ٢٢٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٥، ٣٢٠،
 ٣٣٩، ٣٩١، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٢٢، ٤٣٦،
 ٤٥١، ٥١٢، ٥٣٦، ٦٠٦، ٦٢٠، ٦٢٣،
 الهندبجان: ٤١٠،
 هندة: ٩٧،
 هندية: ٩٣،
 هوازان: ٢١٨،
 هوزمير: ٤٠٠،
 الهياطلة: ٦٠١،
 هيلوب فاقان: ٦٤٩،
 الهيرين (قلعة): ٥٥٠،
 هينيا: ٣٣٣،

باب الواو

وارسو: ٣٥،
 واسط: ٨، ١٦، ٥٥، ١٢٢، ١٤٤،
 ٢٢٦، ٢٤٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨،
 ٢٦٩، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٢٨، ٣٣١،
 والس (نهر): ٢٣٤،
 واق: ٥٩، ٦٣،
 واقم: ٩٠،
 وبار: ٩٦،
 وبة: ٧٢،
 ورج: ٧٩،
 وجلبايا: ٥٨٢،

النوبختية: ٣٠٤،

النوبهار: ٣٣، ٦١٩، ٦٢٠،

النوبة: ٦٤، ١٢٠، ١٢٧، ١٣٠، ٥١٢،

نوركت: ٦٢٦،

نيسابور: ٥٠٥، ٥١٦، ٥٢٥، ٦٠٠،

٦١٤،

نيسابور: ٣٩، ٢١،

نيروز: ٣١٦،

النيل: ٧، ١٠٦، ١٠٩، ١١٥، ١١٧،

١٢٠، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٦، ٢١٢،

٣١٨، ٥١٣، ٥٢٢، ٦١١، ٦١٣، ٦١٦،

نينوى: ١٧٩،

باب الهاء

هجر: ٨٩، ١١٥، ١٦٤،

هراة: ٣٣٢، ٤١٦، ٥٢٥، ٦٢٩،

هركتند: ٦٠٥،

الهركتند: ٦٧،

هرمجدون (معركة): ٢٢،

هرمزجرد: ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٠٧،

هزان: ٨٦،

همدان: ٤١، ٤٩٨،

همدان: ٩، ١٠، ٤٢، ٣٠٧، ٣٢١،

٤١٩، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٠،

٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٦،

٤٩٣، ٥٠٢، ٥١٥، ٥١٨، ٥٢١، ٥٢٤،

٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٠، ٥٨٦،

الوحيد (قصر): ٣٦٧.

وراكروذ: ٥٣٢.

ورثالا: ٢٩٤، ٢٩٣.

ورثان: ٥٥١، ٥٨٣.

الوردانية: ٢٩٢.

وزدانة: ٦٢١.

وسقى: ٤٣٣.

وسيم: ١٢٧، ١٢٦.

وطرخة: ٨٤.

وكله (جبل): ٧٢١.

وليلة: ١٣٦، ١٣٤، ١٣٣.

ويسو: ٣٤.

باب الياء

ياجوج: ٥٩، ٦١، ١٢٥، ١٥٥، ١٥٩٤.

٥٩٦، ٥٩٥.

الياشغرد: ٥٥.

يافا: ١٥٣.

يئنا: ١٥٣.

يثر: ٢٥٩، ٨٦.

اليدقون: ١٢٦.

يربوع: ٨٩.

يمحون: ١٣٦.

اليمامة: ٧، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ١٢٥،

١٤٤، ٢٥٦، ٣٣١، ٥١٥.

اليمن: ٧، ٦٣، ٦٤، ٧٨، ٨٦، ٩١،

٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٤٢، ١٤٤،

١٦٤، ١٧٢، ١٧٦، ٢٣٦، ٢٨٦، ٤٨٨،

٥١٧، ٦٢٥.

فهرس المحتويات

الصفحة

٥	مقدمة التحقيق
٥٧	مقدمة الكتاب
٥٩	القول في خلق الأرض
٦٣	القول في البحار وإحاطتها بالأرض
٦٥	القول في البحار وعجائب ما فيها
٧٤	القول في مكة
٧٩	مدينة الطائف
٨٠	القول في المدينة
٨٦	القول في اليمامة
٨٩	القول في البحرين
٩١	القول في اليمن
٩٩	باب في تصريف الجدل إلى الهزل والنهزل إلى الجد
١٠٥	باب في مدح الغربية والاعتراب
١١٥	القول في مصر والنيل
١٣٢	القول في المغرب
١٤٣	القول في الشام
١٤٥	القول في بيت المقدس
١٥٥	القول في دمشق
١٧٦	القول في الجزيرة
١٨٣	القول في الروم
١٩٩	القول في العراق

٢٠٠	لقول في الكوفة
٢٢٧	لقول في البصرة
٢٦٠	لقول في واسط
٢٧٨	لقول في مدينة السلام بغداد
٣٦٧	لقول في سُمرى
		لقول في السواد وصفته وأعلام حدوده وكوره وطاسميجه
٣٧٧	وسبب مساحة الأرض وتقدير خراجها وطوله وعرضه
٣٩٥	لقول في الأهواز
٤٠٣	لقول في فارس
٤١٣	لقول في كرمان
٤١٧	لقول في الجبل
٤٣٠	في أبنية البلدان وخواصها وعجائبها
٤٥٩	لقول في همذان
٥٢٧	لقول في نهاوند
٥٢٩	لقول في إصبهان
٥٣٧	لقول في الري والديباوند
٥٥٦	لقول في قزوین وأبهر وزنجان
٥٦٤	لقول في طبرستان
٥٨١	لقول في آذربيجان
٥٨٣	لقول في أرمينية
٦٠١	لقول في خراسان
٦٣٣	لقول في الترك
٦٥١	مصادر التحقيق
٦٦٣	لفهارس:
٦٦٥	١ - فهرس الآيات القرآنية
٦٧٥	٢ - فهرس القوافي
٦٩١	٣ - فهرس أعلام الأشخاص
٧٢٩	٤ - فهرس الأماكن والمواضع والبلدان
٧٥٩	٥ - فهرس المحتويات